

مكتبة الجاحظ
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون

الكتاب الأول



الحيوان

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمى فى المسابقات الأدبية التى نظمها المجمع اللغوى ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء الثالث

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
عباس ومحمد محمود الحلبى وشركاهم - خلفاء



تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

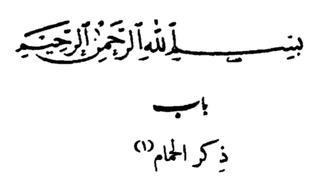
الجزء الثالث

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م



باب
ذِكر الحمام(١)

وما أودَعَها الله عزّ وجلّ(٢) من ضُروبِ المعرفة ، ومِن الخِصال المحمودة ، لِتعرفَ(٣) بذلك حكمةَ الصَّانِع ، وإتقانَ صُنْعِ المدبِّر(٤) .

(استنشاط القارئ ببعض الهزل)

وإن كنَّا قد أملَلْناك بالجِدِّ وبالاحتجاجاتِ الصحيحة والمروَّجة(٥) ؛ لتكثُّرِ الخواطر ، وتشحَذَ العقول — فإنَّا سننشِّطكَ(٦) ببعض البَطالات ، وبذكر العلل الظَّريفة ، والاحتجاجاتِ الغريبة ؛ فربَّ شعرٍ يبلُغُ بفَرْطِ غباوةِ صاحبه [من السرور والضحك والاستطراف] ، مالا يبلغه [حشدُ] أحرِّ النوادر ، وأجمَعِ(٧) المعانى .

---

(١) س : « نبدأ وبالله التوفيق بذكر الحمام » ل : « من الله التوفيق بذكر الحمام » .

(٢) ل : « وماأودعه الله جل ذكره » .

(٣) فى الأصل : « ولتعرف » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط : « وإتقانه وصنعه المدبر » . وفى س : « وصنعة المدبر » .

(٥) المروجة : التى روجها صاحبها ، وجعلها تسير فى الناس . ويقال : روج الدراهم : جعلها تنفق فى السوق . وفى ط ، س : « المزوجة » . والأشبه ماأثبت من ل .

(٦) كذا فى ل . وفى ط : « فاستنشطتك » . وفى س : « فاستنشطك » .

(٧) ط : « وأجود » . وماكتبت من ل أقرب إلى لغة الجاحظ .

وأنا أستظرِفُ أمرَين استظرافاً شـديداً : أحدهما استماعُ حديثِ الأعراب . والأمرُ الآخَر احتجاجُ متنازِعَينِ فى الـكلام ، وهما لا يحسنانِ منه شيئاً ؛ فإنَّهما يُثيرانِ من غَريبِ الطِّيب[1] ما يُضحِك كلَّ ثَـكْلانَ وإن تشدَّد ، وكلَّ غضبانَ وإن أحرقَه لَهيبُ الغضَب . ولو أنَّ ذلك لا يحلّ[2] لـكان فىباب اللَّهو والضَّحِك والسُّرورِ والبَطالة والتشاغُل ، مايجوز فى كلِّ فنّ[3] .

وسنذكر من هذا الشكل عِللاً ، ونُورِدُ عليك من احتجاجاتِ الأغبياء حُجَجاً . فإنْ كنتَ مِمَّن يستعمِل الملالةَ ، وتَعْجَل إليه السآمة ، كان هذا البابُ تنشيطاً لقلْبك ، وجَماماً لقوَّتك . ولنبتدئ النَّظرَ فى باب الحمام وقد[4] ذهب [عنك] الـكَلالُ وحدَثَ النشاط .

وإن كنْتَ صاحبَ علمٍ وجِدٍّ ، وكنت[5] ممرَّناً موقَّحاً ، وكنتَ إلفَ تفـكيرٍ وتنقيرٍ ، ودراسةِ كتُب ، وحِلفَ تبيُّن[6] ، وكان ذلك عادةً لك لم يضِرْكَ مكانُه من الـكِتاب ، وتَخطِّيه[7] إلى ما هو أولى بك .

---

(١) المراد بكلمة « الطيب » هنا : الهزل والفكاهة ، كما فى هذا الجزء ص ٣٩ . وفى القاموس « وفاكه : طيب النفس ضحوك » ، ويقال : طايبه : أى مازحه وجاء فى البيان ٣ : ٣٤٥ : « وكان فتى طيب من ولـد يقطين لايصحو » وطيب بمعنى فـكه مزاح . وأصل معناه السهل المعاشرة . وانظر الحيوان ٤ : ٥٨ .

(٢) س : « ولولا أن ذلك ليحل » ؟ والإشارة بكلمة « ذلك » إلى احتجاج المتنازعين .

(٣) ط ، ل : « مايجوز كل فن » .

(٤) كذا فى س . وفى ل ، ط : « فقد » .

(٥) هذه الـكلمة ساقطة من ل .

(٦) التبين : التفهم . وفى ط ، س : « تبيين » . وما أثبت من ل أشـبه بكلام الجاحظ .

(٧) التخطى : مصـدر تخطى بمعنى تجاوز . والتخطية : مصدر خطاه ، بمعنى دفعه =

(ضرورة التنويع فى التأليف)

وعلى أنِّى قد عزمتُ ــ واللهُ الموفِّق ــ أنِّى أوشِّح هذا الكتابَ وأفصِّلُ أبوابَه ، بنوادِرَ من ضُروبِ الشِّعر ، وضروبِ الأحاديث ؛ ليخرج قارئُ هذا الكتاب من باب إلى باب ، ومن شكل إلى شكل ؛ فإنِّى رأيتُ الأسماعَ تملُّ الأصواتَ المطْرِبَة والأغانىَّ الحسنة والأَوتارَ الفَصيحة، إذا طال ذلك[1] عليها . وما ذلك إلاَّ فى طريق الراحة ، التى إذا طالت أورثت الغفلة .

وإذا كانت الأَوائلُ قد سارتْ فى صغارِ الكتب هذه السِّيرةَ ، كان هذا التَّدبيرُ لِمَا طالَ وكثُر أصلَحَ ، وما غايتنا مِن ذلك كلِّه إلاَّ أن تَستَفيدُوا خيراً .

وقال أبو الدَّرداء : إنِّى لأُجمُّ نفسى ببَعْض الباطل ، كراهةَ أنْ أحمِل عليها من الحق ما يملُّها !

(ادّعاء أبى عبد الله الكرخىّ الفقه)

فمن الاحتجاجات الطيِّبة[2] ، ومن العِلل الملهية ، ما حدَّثنى به ابن المدينى[3] قال : تحوَّل أبو عبد الله الكرْخىُّ اللَّحيانىُّ إلى

= وأماطه . وإذا حملت غيرك على أن يخطئ قلت أخطيته . وكلمة « تخطيه » هى فى س : « تخطيته »، وهو تحريف ماأثبت من ل ؛ ط .

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) الطيبة هنا بمعنى الهزلية . وانظر ماسبق فى ص ٦ . وهذه الكلمة هى فى ط ، ل : « الطيبة » مصحفة .

(٣) هو على بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن بكر بن سعد أبو الحسن السعدى ، مولاهم =

الحَرْبيَّة[١] فادَّعى أنَّه فقيه ، وظنَّ أنَّ ذلك يجوزُ له ؛ لمكانِ لحيته وسَمْته . قال : فألقى على باب داره البوارىَّ[٢] ، وجلس [وجلس] إليه [بعضُ] الجيران ، فأتاه رجلٌ فقال : يا أبا عبدِ الله ! رجلٌ أدخــل إصبَعَه فى أنفه فخرَج علـ ا دمٌ ، أىَّ شىءٍ يصنع[٣] ؟ ! قال : يحتجم . قال : قعدتَ طبيباً أو قعدتَ فقيهاً ؟

(جواب أبى عبد الله المروزىّ)

وحدَّثنى شمئون[٤] الطبيب قال : كنتُ يوما عند ذى اليَمينين طاهرِ ابن الحسين[٥] فدخل عليه أبو عبد الله المروَزِىّ فقال [طاهر] : يا أبا عبدِ الله

= ويعرف بابن المدينى ، بصرى الدار ، وهو أحد أئمة الحديث فى عصره ، والمقدم على حفاظ وقته ، أخذ عنه أحمد بن حنبل ، وكان لايسميه ، إنما يكنيه تبجيلا له . اتصل بالقاضى أحمــد بن أبى داود ، وله معه أخبار كثيرة . ولد سنة إحــدى وستين ومائة ، وتوفى ســنة أربع وثلاثين ومائتين . انظر تاريخ بغداد ٦٣٤٩ .

(١) الحربية : محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب ، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخى الراوندى ، أحد قواد المنصور . انظر الخبر أيضا فى البيان ٢ : ٣٢١ . س : « الحربية » ل : « الحربية » صوابهما فى ط . ونحو هــذا الخبر للشعبى فى العقد ٦ : ١٥٢ .

(٢) البورى ، والبورية : والبارى ، والبارية والبارياء والبورياء : الحصير المنسوج .

(٣) س : « يصنعه » . وانظر قصة شبيهة بهذه فى أخبار الظراف ص ٢٦ .

(٤) المعروف فى هذا الاسم : « شمعون » .

(٥) هو طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعى ، من كبار الوزراء ، كان أديبا حكيما شجاعا ، وهو الذى وطد الملك للمأمون العباسى ، وهو الذى قتــل الأمين ، وعقد البيعة للمأمون ، فولاه شرطة بغداد ثم جعله واليا على خراسان ، فحدثته =

مذ كَمْ دخلتَ العراق ؟ قال : منذ عِشرين سنةً ، وأنا صائم منذ ثلاثين سنة[١] . قال : يا أبا عبدِ الله ، سألناك عن مسألةٍ فأجبتَنا عن مسألتين !

(جواب شيخٍ كندى)

وحدَّثنى أبو الجهجاه[٢] قال : ادَّعى شيخٌ عندنا أنّه من كندة ، قبلَ أن ينظرَ فى شىءٍ من نسبِ كِنْدة ، فقلت له يوماً وهو عندى : ممن أنت يا [أبا] فلان ؟ قال : من كندة . قلت : من أيِّهم أنت ؟ قال : ليس هذا موضعَ [هذا] الكلام ، عافاك الله !

(جواب خَتَنِ أبى بكر بن بريرة)

ودخلتُ على خَتَنِ [أبى بكر بن][٣] بريرة ، وكان شيخاً ينتحل قول الإباضيَّة ، فسمعتُه يقول : العجبُ ممن يأخذه النَّومُ وهو [لا] يزعم [أنَّ] الاستطاعة مع الفعْل[٤] ! قلت : ما الدليل على ذلك ؟ قال : الأَشعار الصحيحة . قلت : مثل ماذا ؟ قال : مثل قوله :

= نفسه بالاستقلال بها ، وحالت دون ذلك منيته . وسمى ذا اليمينين لأنه ضرب شخصا فى وقعته مع على بن ماهان بالسيف فقده نصفين ، وكانت الضربة بيساره فقال فيه بعض الشعراء :

* كلتا يديك يمين حين تضربه *

فلقبه المأمون : ذا اليمينين . انظر وفيات الأعيان . وفى ثمار القلوب ٢٣٢ – ٢٣٣ تعليلان آخران . وانظر الطبرى ١٠ : ١٤١ و ١٥٥ فى حوادث ١٩٥ والديارات للشابشتى ٩١ – ٩٢ . ولد طاهر سنة ١٥٩ وتوفى سنة ٢٠٧ .

(١) ل : « وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة » .

(٢) س : « أبو الجهجا » وهو تحريف . ولأبى الجهجاه حديث فى البخلاء ص ٣٦ .

(٣) الزيادة من مثل هذا الموضع ص ٢٢ س : ٣

(٤) من أصول المعتزلة أن استطاعة الفعل تسبق الفعل ، وجمهور الإباضيين على أن =

• مَا إنْ يقَعْنَ الأَرْضَ إلاّ وفقا[١] •

ومثل قوله :

• يَهوِين شــتَّى ويقعْن وفقــا •

ومثل قولهم فى المثل : « وقَعَا كعِكْمَىْ عَير[٢] »]

وكقوله[٣] أيضاً :

مِكرٍّ مِفَــرٍّ مُقْبلٍ مُــــدْبرٍ معاً

كَجُلمودِ صَخْر حَطَّه السَّيلُ من علِ[٤]

وكقوله :

أكفُّ يدى عن[٥] أنْ تمسَّ أكفهم

إذا نحنُ أهوَينــا وحاجتنا[٦] مَعَا

ثم أقبل علىَّ فقال : أما فى هذا مقنع ؟ قلت : بلى ، وفى دون هذا !

= الاستطاعة مع الفعل ، وشذ منهم الحارثية فإنهم وافقوا المعتزلة . الفرق ٨٤ . وكلمة « الفعل » هى فى ط ، س : « العقــل » وتصحيحه من ل ، ومن عيون الأخبار ٢ : ٥٦ حيث يوجد هذا الخبر .

(١) ط ، س : « فرطا » ، والوجه فيه ماأثبت من ل .

(٢) العكم ، بالكسر : العــدل بكسر العين . والعير : الحمار . ووقعا : أى حصلا ، فهما فى التوازن والتعادل ســواء . أو بمعنى سقطا ؛ لأن العــكمين فى الأكــثر إذا حل أحدهما سقطا معا . والمثــل يضرب للمتساويين . أمثال الميدانى ٢ : ٢٨٩ . ويقال : وقع المصطرعان عكمى عير وكعــكمى عــير : وقعا معاً لم يصرع أحدهمــا صاحبه . لسان العرب وفى الأصل ، وهو هنا ل : « كعظمى عير » وهو تحريف .

(٣) هو امرؤ القيس . والبيت الآتى من معلقته المشهورة .

(٤) هذا الشطر ليس فى ل .

(٥) ل ، س : « من » .

(٦) ل : « وحاجاتنا » .

(جواب هشام بن الحكم)

وذكر محمَّدُ بنُ سلاَّم عن أبانِ بنِ عثمانَ قال : قال رجلٌ من أهل الكوفة لهشام بن الحكم[1] : أتُرَى اللهَ عزَّ وجلَّ فى عدْله وفضلِه كلَّفنا مالا نطيقُ ثمَّ يعذِّبُنا ؟ ! قال : قدْ واللهِ فعل، ولكنَّا لانستطيع أنْ نتكلَّم به !   ٤

(سؤال ممرور لأبى يوسف القاضى)

وحدَّثنى محمَّد بن الصباح قال : بينا أبو يوسفَ القاضى يسيرُ بظَهْر الكوفة — وذلك بعدَ أن كتبَ كتابَ الحِيَل[2] — إذ عرضَ له ممرورٌ عندنا أطيب الخلْق ، فقال له : يا أبا يوسف ، قد أحسنتَ فى كتاب الحيل[2] ، وقد بقيتْ عليكَ مسائلُ فى الفِطن ، فإنْ أذنت لى سألتك عنها . قال : قد أذنتُ لكَ فَسَلْ . قال : أخبرْنى عن الحِرِ كافرٌ هو أو مؤمن ؟ قال أبو يوسف : دينُ الحرِ دينُ المرأة ودينُ صاحبةِ الحِر : إن كانت كافرةً فهو كافر ، وإن كانت مؤمنةً فهو مؤمن . قال : ماصنعت

---

(١) هشام بن الحكم : صاحب مذهب الهشامية ، وهم فرقة من الغالية عند الشهرستانى ، ومن المشبهة عند الخوارزمى فى مفاتيح العلوم ٢٠ ، ومن الإمامية الرافضة عند صاحب الفرق . وكان يقول بالتجسيم والتشبيه ، وآراؤه مفصلة فى الفرق ٤٧ — ٥٣ ، والملل والنحل ٢ : ٢١ — ٢٣ .

(٢) هى الحيل الشرعية ، التى يتخلص بها من بعض الأحكام ، أو من بعض المحظورات ، ومن نماذج ذلك ماكتبه ابن دريد فى كتابه « الملاحن » المطبوع فى مصر سنة ١٣٤٧ . وفى س : « الخيل » وهو تصحيف .

شيئاً . قال : فقل أنت إذَنْ ، إذْ لم ترض بقولى[١] . فقال : الحرُ كافر . قال : وكيف علمت ذلك ؟ قال لأنَّ المرأةَ إذا ركعَتْ أو سجَدت استدبر الحِرُ القِبلةَ واستقبلت هى القبلة ، ولو كان دينُه دينَ المرأة لصنع كما تصنع . هذه واحدةٌ يا أبا يوسف. قال: صدقت . [قال]: فتأذن[٢] لى فى أخرى؟ قال : نعم . قال : أخبرنى[٣] عنك إذا أتيتَ صحراء فهجمْتَ على بَول وخِراء كيف تعرف أبولُ امرأةٍ هو أم بول رجل ؟ قال : والله ما أدرى ! قال أجل والله ما تدرى ! قال : [أ] فتعرف أنت ذاك ؟ قال : نعم ، إذا رأيت البول قد سال على الخِراء وبين يديه فهو بولُ امرأة ، وخِراء امرأة . وإذا رأيت البولَ بعيداً من الخِراء فهو بول رجل وخِراء رجل . قال : صدقت !

قال : وحكى لى جوابَ مسائلَ فنسيت[٤] منها مسألةً ، فعاودتَه فإذا هو لا يحفظها .

(جواب الحجاج العبسى)

وحدَّثنى أيُّوبُ الأعورُ ، قال قائل للحجاج العبْسى[٥] : ما بال شعر الاسْتِ[٦] إذا نبتَ أسرع والتفّ ؟ قال : لقربه من السَّماد[٧] والماء هَطِلٌ عليه[٨] ! !

---

(١) ط ، ل : « فقل أنت إذا لم ترض بقولى».
(٢) أراد الاستفهام .
(٣) ل : « خبرنى » .
(٤) ل : « نسيت » .
(٥) ل : « لحجاج العبسى »، ويظهر أنه من المخنثين .
(٦) ل : « است المرأة » .
(٧) السماد ، بالفتح : أصله سرقين الدواب . وأريد به هنا النجو ، وفى ط : « السماء » وهو تحريف ما فى ل .
(٨) ماء هطل : متتابع القطر عظيمه . وفى ل : « ويسقى من عل » . وحديث =

(جواب نوفل عريف الكناسين)

وحدَّثنى محمَّد بن حسَّان قال : وقفتُ على نوفلٍ عَريفِ الكنَّاسين ، وإذا مُوسْوَس قد وقف عليه ، وعندَه كلُّ كنَّاس بالكَرْخ ، فقال له الموسوَس : ما بال بنتِ وردان[١] تدعُ قعرَ البئر وفيه كُرٌّ[٢] خِراء وهو لها مُسْلَمٌ وعليها موفر ، وتجىء تطلب اللُّطاخة التى فى اَست أحدنا وهو قاعدٌ على المَقْعَدة[٣] ، فتلْزم نفسها الكُلفةَ الغليظة ، وتتعرَّض للقتل ، وإنَّما هذا الذى فى أستاهنا قيراطٌ من ذلك الدرهم ، وقد دفعنا إليها الدِّرهم [وافيا][٤] وافراً . قال : فضحك القوم ، فحرَّك نوفلٌ رأسَه ثم قال : أتضحكون ؟ ! قدْ واللهِ سأل الرجل[٥] فأجيبوا ! وأمَّا أنا فقد ـ والله ـ فكَّرت فيها منذ ستِّينَ [سَنَةً][٦] ، ولكنَّكم لاتنظرون فى شىءٍ من أمر صناعتكم . لاجَرَمَ أنَّكم لاترتَفِعُون أبداً ! [قال له الموسوَس : قلْ ـ يرحمك الله ـ فأنتَ زعيمُ القوم] ، فقال نوفل : قد علمنا أنَّ الرُّطَب

= الحجاج هذا ساقط من س . وتجد فى محاضرات الراغب ٢ : ١١٧ - ١١٨ حديثا مثله يروى عن « مخنث » .

(١) بنت وردان يقال لها فى مصر « خنفس » . معجم المعلوف ٣٦ .

(٢) الكر : بالضم : مكيال للعراق ، أو ستة أوقار حمار ، أو ستون قفيزا ، أو أربعون إردباً . وفى ط : ل : « كل » وهى تصحيف . وأثبت مافى س .

(٣) المقعدة : عنى بها ما وضع له اسم « المرحاض » فى عصرنا هذا . وفى ط ، س : « المقعد » . وأثبت مافى ل . وأصل المقعد والمقعدة مكان القعود .

(٤) ط : « وقد دفعنا إليها من الدرهم وافراً » وهو تحريف .

(٥) ط : « الراجل » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٦) الزيادة من ل ، س وفى ط : « منذ سنين » .

أطْيبُ من التَّمر ، والحديثَ أطرف[١] من العتيق ، والشيءَ من مَعْدنِه أطيَب ، والفاكهةَ من أشجارِها أطرف[٢] . قال : فغضب شريكُه[٣]
٥ مسبِّح[٤] الكنَّاس ثم قال : واللهِ لقد وبَّختنا ، وهوَّلتَ علينا ، حتى ظنَنَّا أنَّك ستُجيب بجوابٍ لايحسنُه أحد ، ما الأمرُ عندَنا وعند أصحابنا هكذا . قال : فقال لنا الموسوس : ما الجواب عافاكم[٥] الله ؛ فإنِّى ما نمتُ البارحةَ من الفِكرَة[٦] فى هذه المسألة ؟ قال مسبِّح[٧] : لو أنَّ لرجلٍ ألفَ جاريةٍ حسناء[٨] ثم عتقْنَ عندَه لبَرُدَتْ شهوتُه عنهنَّ وفترت ، ثمَّ إن رأى واحدةً دونَ أخسِّهن فى الحُسْن صبا إليها[٩] وماتَ من شهوتها . فبنت وردانَ تستظرف[١٠] تلك اللطاخة[١١] وقد ملَّت الأولى[١٢] ؛ وبعضُ الناسِ

---

(١) كذا فى ط ، س وفى ل : « أطرا » .
(٢) ل : « ألذ » .
(٣) ط ، س : « شريك » ، وهو تحريف صوابه من ل .
(٤) كذا ضبط الاسم فى ل . وجاء فى ط ، س : « مسيح » . ولمسبح هذا حديث فى الجزء الأول من الحيوان ص ٢٤٥ .
(٥) س : « فقال له الموسوس : ماالجواب عافاك » .
(٦) ل : « الفكر » .
(٧) انظر التنبيه رقم ٤ من هذه الصفحة .
(٨) ط : « جوارى حسانا » وهو تحريف ، إذ أن تمييز الألف مفرد مجرور . وصوابه فى ل ، س .
(٩) ل : « واثبها » مكان : « صبا إليها » .
(١٠) كذا بالأصل . ولعلها « تستطرف » .
(١١) س : « اللطافة » . وهو تحريف ماأثبت من ط ، ل .
(١٢) ل : « الأول » .

الفطيرُ أحبُّ إليه[١] من الخمير . وأيضاً إنَّ الكثيرَ يمنَع الشَّهوة ، ويورث الصُّدوف[٢] . قال : فقال الموسوس – واستحسَنَ جوابَ مسبِّح ، بعد أن كان لايرى جواباً إلّا جواب نوفل[٣] – : لاتعرفُ مِقدارَ العالمِ حتّى تجلسَ إلى غيره ! أنتم أعلم أهل هذه المدَرة ، ولقد[٤] سألتُ علماءَها عنهُ منذُ عشرينَ سنةً فما تخلَّصَ أحدٌ منهم إلى مثلِ ماتخلَّصتم إليه . وقدْ والله – أَنْمَتُم عيني ، وطابَ بكم عيشي ! وقد علمنا أنّ كلّ شيءٍ يُستَلَبُ استلابا أنَّه ألذ وأطيب . ولذلك صارَ الدَّبيبُ إلى الغِلمان ونيكُهم على جهة القهر[٥] ألذ [وأطيب] ، وكلُّ شيءٍ يصيبهُ الرَّجلُ فهو أعزُّ عليه من المال الذى يرثه أو يوهب[٦] له .

(علة الحجاج بن يوسف)

قال : وحدَّثنى أبانُ بن عثمانَ قال : قال الحجَّاجُ بنُ يوسفَ : واللهِ لَطَاعتى أوجَبُ مِنْ طاعةِ الله ؛ لأنَّ الله تعالى يقول : ﴿ اتَّقُوا اللهَ مَااسْتَطَعْتُمْ ﴾

(١) كذا فى ط . وفى ل ، س : « إليهم » وهما وجهان جائزان ؛ إذ أن لفظ « بعض » يصح أن يراعى فيه الإفراد ، ويصح أن يراعى فيه اكتساب الجمعية مما أضيف إليه من جمع . وينشدون لذلك قول جرير :

إذا بعض السنين تعرقتنا   كفى الأيتام فقد أبى اليتيم

انظر الكامل ٣١٢ – ٣١٣ ليبسك ، والخزانة (٤ : ١٦٤ سلفية) وسيبويه ١ : ٢٥ بولاق .

(٢) الصدوف : العزوف عن الشيء والانصراف عنه . وفى ط ، س : « الصدود » وهو بمثل معناه .

(٣) ل : « أنه لاجواب إلا جواب نوفل » .

(٤) ل : « وأنتم أعلم أهل هذه المدرة ، لقد » .

(٥) ط ، س : « الضبط » ، وهو تحريف ماأثبت من ل

(٦) ط ، س : « الذى يوجب له » .

فَجَعَلَ فِيهاَ مَثْنَوِيَّةً(١) ؛ وقال : ﴿ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ ولم يَجْعَلْ فيها مثنَوِيَّة(٢) ! ولو قلتُ لرجل : ادخل مِن هذا الباب ، فلم يدخل ، لَحَلَّ لى دمُه!

(احتجاج مدنى وكوفى)

قال: وأخبرنى محمَّد بن سليمانَ بنِ عبد الله النوفليُّ قال : قال رجلٌ من أهل الكوفة لرجل من أهل المدينة : نحنَ أشدُّ حبًّا لِرَسولِ الله ــ صلى الله عليه وسلم وعلى آلِه ــ مِنْكُم يا أهلَ المدينة ! فقال المدنىّ : فما بَلَغَ مِنْ(٣) حُبِّكَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ؟ قال : ودِدت أنِّى وَقيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ــ وأنَّه لم يكنْ وصَلَ إليه يومَ أُحُدٍ ، ولا فى غيره من الأيَّام شىءٌ من المكروه(٤) يكرهه إلا كان بِى دونَه ! فقال المدنىُّ : أفَعِنْدَكَ غيرُ هذا ؟ قال : وما يكون غيرُ هذا ؟ قال : ودِدْتُ أنَّ أبا طالبٍ كانَ آمَنَ فسُرَّ به النبىُّ صلى الله عليه وسلم وأنِّى كافر(٥) !

(١) المثنوية : الاستثناء . وهو قوله تعالى : « ما استطعتم » .

(٢) فهم الحجاج أن المراد طاعة أولى الأمر ، وليس كما ظن ، بل المراد : اسمعوا المواعظ وأطيعوا الأوامر الإلهية ، أو اسمعوا لله ولرسوله ولكتابه وأطيعوا الله فيما يأمركم . انظر تفسير الزمخشرى ، والرازى ، والبيضاوى .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٤) س : « شىء يكرهه » . وفى ط : « بشىء يكرهه » ، ولا تصح هذه الأخيرة إلا ببناء « وصل » للمفعول .

(٥) لفظ « كان » ساقط من ل . وكلمة : « وأنى » هى فى ل : « وأنا » .

(احتجاج رجل من وجوه أهل الشام)

وحدَّثنى أبانُ بنُ عثمان قال : قال ابنُ أبى ليلى[١] : إنى لأُسَايِرُ رجلاً من وُجوهِ أهل الشَّام ، إذْ مرَّ بحمَّالٍ معَه رُمَّان ، فتناولَ منه رُمَّانَةً فجَعَلها فى كُمِّه . فَعَجِبْتُ من ذلك ، ثمَّ رجعت إلى نفسى وكذَّبت بصرى ، حتَّى مرَّ بسائلٍ فقير[٢] ، فأخرجها فناوَله إيَّاها . قال : فعلمتُ أنِّى رأيتُها ، فقلتُ له : رأيتُك قَدْ فعلتَ عجباً[٣] . قال : وما هو؟ قلت : رأيتُك أخذْتَ رُمَّانَةً مِنْ حَمَّال وأعطيتَها[٤] سائلاً ؟ قال : وإنَّك ممَّن يقولُ هذا القولَ ؟ ٦ أما علِمتَ أنِّى أَخذْتُها وكانت سيِّئَةً وأعطيتُها فكانت عشْرَ حَسَنَاتٍ ؟ قال : فقال ابنُ أبى ليلى : أمَا علِمتَ أنَّكَ أخذْتَها فكانتْ سيِّئةً وأعطيتَها فلم تُقْبَلَ منك ؟ !

---

(١) ابن أبى ليلى : هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، واسم أبى ليلى يسار . ولى محمد القضاء لبنى أمية ، ثم وليه لبنى العباس . وكان فقيها مفتيا بالرأى . انظر أصحاب الرأى فى المعارف ص ٢١٦ .

(٢) ط ، س : « وكذبت عينى حتى مر به سائل » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٣) ل : « فقلت رأيت منك عجبا » .

(٤) ل : « فأعطيتها » .

(من جهل الأعراب بالنحو)

وقال الربيع[١] : قلت لأعرابىٍّ : أَتَهْمِزُ إسرائيل[٢] ؟ قال : إنِّى إذاً لَرَجُلُ سَوْء ؟ قلت : أتَجُرُّ[٣] فِلَسطين ؟ قال : إنِّى إذاً لَقَوِىّ .

(احتجاج رجل من أهل الجاهلية)

قال : وحدَّثنا حمَّادُ بنُ سلَمَة قال : كان رجلٌ فى الجاهليَّة معَه مِحْجَنٌ[٤] يتناوَلُ به مَتاعَ الحاجِّ[٥] سَرِقة ، فإذا قيل له : سرقت ! قال : لمْ أسرِق ، إنَّما سَرَق مِحْجنى ! قال : فقال حماد : لو كانَ هذا اليومَ حَيًّا لـكانَ من أصحاب أبى حَنيفة !

(الأعمش وجليسه)

قال : وحدَّثنى محمَّد بن القاسم قال : قال الأعمشُ لجليسٍ له : أما تَشتَهى بنانِىَّ[٦] زُرْقَ العُيونِ نَقِيَّةَ البطونِ ، سُودَ الظُّهور ، وأرغفةً

---

(١) هو الربيع بن عبد الرحمن السلمى ، كما فى البيان ٢ : ٢٢٠ .

(٢) ط : « أتهمز أم إسرائيل » ، وتصحيحه من س ، ل .

(٣) ط : « فتجر » وأثبت ما فى ل . وقد أراد الربيع بالهمز والجر معناها الاصطلاحى وفهم الأعرابى من الهمز الغمز ، أو النخس ، أو الدفع ، أو الضرب ، أو العض ، كما فهم من الجر معناه اللغوى .

(٤) المحجن : العصا المعوجة .

(٥) الحاج : الحجاج إلى البيت الحرام . وقد جاء على لفظ المفرد .

(٦) البنى ، بضم الباء : ضرب من السمك . والعامة فى مصر يكسرون باءه . وجمعه « بنانى » . وجاء فى ط : « بناقى » وفى ل : « بنانيا » ، وهو تحريف ما أثبت من س .

حارّةً ليّنة ، وخَلاًّ حاذقا ؟ قال : بلى ! قال : فانهض بنا . قال الرَّجلُ : فنهَضْتُ معه ودخل منزِلَه . قال : فأومأَ إِلَيّ : أنْ خُذْ تِلك السَّلَّة . قال : فكشَفها فإذا برغيفين يابسين[١] وسُكُرَّجة كامَخٍ[٢] شِبْثٍ[٣] . قال : فجعل يأكل . قال : فقال لى تَعالَ كُلْ . فقلت : وأينَ السمك ؟ قال : ماعندى ، [سمك] ، إنما قلت لك : تشتهى !

(رأى حفص بن غياث فى فقه أبى حنيفة)

قال : وسُئل حفْصُ بن غِياث[٤] عن فِقه أبى حنيفة ، قال : كانَ أجْهَلَ النَّاسِ بما يكون[٥] ، وأعرفَهم بما لايكون .

---

(١) ل : « فإذا فيها رغيفان يا بسان » .

(٢) الكامخ ، بفتح الميم : ضرب من مشهيات الطعام ، قوامه البقول والملح واللبن ، وقد تضاف إليه بعض الأبازير . انظر كتاب الطبيخ للبغدادى ص ٦٨ وشفاء الغليل ١٧٠ .

(٣) الشبث ، بالكسر : ضرب من البقول . وجاء فى ل : « شبت » . وفى القاموس : « الشبت كطمر : هذه البقلة المعروفة » . وفى تذكرة داود : « شبت بالمثلثة ويقال بالمثناة » ، فهما لغتان .

(٤) هو حفص بن غياث بن طلق ، وكنيته أبو عمرو . ولاه هارون القضاء ببغداد بالشرقية ، ثم ولاه قضاء الكوفة ، فات بها سنة ١٩٤ . وكان مثلا فى الزهد والعفة ؛ رووا أنه مرض خمسة عشر يوما فدفع إلى ابنه مائة درهم ، وقال له : امض بها إلى العامل وقل له : هذه رزق خمسة عشر يوما ، لم أحكم فيها بين المسلمين ، لا حظ لى فيها ! وقد سبق الخبر فى ١ : ٣٤٧ . وانظر البيان : ٢ : ٢٥٣ حيث المسئول هناك « شريك » .

(٥) ل : « كان » .

(علة خشنام بن هند)

وأما علة خَشْنَامَ[١] بن هند ، فإنَّ خشنام بن هِندٍ كان شيخا من الغاليةِ[٢] ، وكان ممَّن إذا أراد أنْ يسمِّيَ أبا بكر وعُمرَ قال : الجِبْتُ والطَّاغوت ، ومُنْكر ونكير ، وأُفٌّ وتُفٌّ ، [وكُسَير] وعُوَير[٣] . وكان لا يَزال يُدخِل دارَه حمارَ كسَّاح[٤] ويضربه مائةَ عصاً[٥] على أنَّ أبا بكر وعمرَ في جوفه . ولم أر قَطُّ أشدَّ احترافًا[٦] منه . وكان مع ذلك نبيذِيًا وصاحبَ حمَام[٧] . ويُشبه في القَدِّ والَخرْط شيوخَ الحربيَّة[٨] . وكان من [بنى] غُبَر[٩] [من] صميمهم . وكان له بُنَيٌّ يتبعه ، فكان يزنِّى أمَّه عند[١٠] كلِّ حقٍّ وباطل ، وعِنْدَ كلِّ جِدٍّ وهَزْل . قلت له يوماً — ونحن

---

(١) فى القاموس : « خشنام : علم ، معرب خوش نام ، أى الطيب الاسم » .

(٢) الغالية : فرقة من فرق الشيعة الخمس ، وهى الزيدية والكيسانية والإمامية والغلاة والإسماعيلية . والغالية ، أو الغلاة : هم الذين غلوا فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكوا فيهم بأحكام الإلهية ، فربما شبهوا واحدا من الأئمة بالإله ، وربما شبهوا الإله بالخلق . الملل والنحل ١ : ١٩٥ ، ٢ : ١٠ .

(٣) انظر الاستدراكات فى نهاية هذا الجزء .

(٤) الكساح : الكناس . والمكسحة : المكنسة . والكساحة ، بالضم : الكناسة

(٥) ط ، ل : « عصى » . والوجه كتابته بالألف كما فى س .

(٦) الاحتراف ، من الحرفة بمعنى الفقر . انظر المعارف ١٩٧ . وفى ط ، س : « احتراقا » .

(٧) أى يلعب بالحمام ويقامر به .

(٨) الحربية : محلة كبيرة ببغداد ، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخى . انظر ص ٥٨ .

(٩) غبر ، كزفر : قبيلة من يشكر ، كما فى تاج العروس . وفى ط ، س « غير » وتصحيحه من ل .

(١٠) ل : « فى » . يزنيها : يقذفها بالزنى .

عند بنى رِبْعِىّ : وَيْحَكَ ، بأىِّ شىء تستحلُّ أنْ تقذِفَ أُمَّه بالزِّنَا ؟ فقال : لوكانَ علىَّ فى ذلك حَرَجٌ لما قذَفْتهَا ! قلت : فلِمَ تزوَّجتَ امرأةً ليس فى قذْفِها حرج ؟ قال : إنِّى قد احتَلتُ حِيلةً حتَّى حلَّ لى من أجلها ما كان يحرم . قلت : وما تلك الحيلة ؟ قال : أنا رجلٌ حديدٌ ، وهذا غلامٌ عارم ، وقد كنت[1] طلَّقت أمَّه فكنتُ إذا افتريتُ عليها[2] أثمت ، فقلت فى نفسى : إن أرَغتها[3] وخدَعتُها حتَّى أنيكَها مَرَّةً واحدةً حلّ لى بعدَ ذلك افترائى عليها[2] ، بل لا يكونُ قولى حينئذٍ فِرْية ، وعلِمتُ أنَّ زَنْيَةً واحدةً لا تَعْدِل عشرة[4] آلافِ فِرْية . فأنا اليَوْمَ أصدُقُ ولستُ أ كْذِب . والصَّادِقُ مأجور. إنِّى واللهِ ما أشكُّ أَنَّ الله إذا علِم أنِّى لم أزْنِ بها تلك المرَّة[5] إلاَّ مِن خوف الإثم إذا قذفتها[6] — أنَّهُ سيجعَلُ[7] تلك الزَّنية له طاعة[8] فقلت : أنتَ الآن على [يقين] أنَّ زناكَ طاعةٌ لله تعالى ؟ قال : نعم . ٧

(١) ل : « قد » .

(٢) ل : « عليه » ، والمعنى يصح بكلتا العبارتين .

(٣) أرغتها : أردتها وطلبتها أو خادعتها . وفى ط : « أعبث بها » وفى س : « أعبثها » ، وهما تحريف ما أثبت من ل .

(٤) فى الأصل : « عشر » . والألف مذكر .

(٥) س : « المرأة » ، وتصح بتكلف .

(٦) ل : « قذفته » ، ويصح المعنى بالعبارتين .

(٧) ل : « فتجعل لى » ، وهو تحريف .

(٨) ط ، س : « طاعة لله » ، وهو تحريف ما فى ل .

(حجة الشيخ الإباضى فى كراهية الشيعة)

قال الشَّيخُ الإباضى [وقد ذهب عنى اسمُه وكنيتُه] وهو خَتَن أبى بكر ابن بَرِيرة[1] - وجرى يوماً [شئ من] ذِكرِ التشيُّع والشِّيعة ، فأنكر ذلك واشتدَّ غضبُه عليهم ، فتوهَّمْتُ أنَّ ذلك إنّما اعتراه للإباضيّة التى فيه ، [وقلت][2] : وما علىَّ إن سألته ؟ فإنّه يُقال : إنَّ السائل لا يعْدمُه أَنْ يسمَعَ فى الجواب حُجَّةً أو حِيلةً [أو مُلحة][3] - فقلتُ : وما أنكَرت من التشيُّع و [من ذكر] الشِّيعة ؟ قال : أنكرتُ منه مكان الشِّين التى فى أوّل الكلمة ؛ لأنّى لم أجد الشِّين فى أوَّل كلمةٍ قَطُّ إلاَّ وهى مسخوطة[4] مثل : شؤم ، وشرٌّ ، وشيطان ، وشغب ، وشحٌّ[5] ، وشمال ، وشجَن[6] ، وشيب ، وشين[7] ، وشراسة ، وشَنَج[8] ، وشَكٌّ ، وشوكة ، وشَبث ، وشرك ، وشارب[9] ، وشطير ، وشطور ، وشِعرة[10] وشانِى[11] ، وشتْم ،

(١) ط ، س : « برة » ، وأثبت ما فى ل . انظر ص ٩ س ٩ .
(٢) زيادة يفتقر إليها الكلام .
(٣) الزيادة من ل ، س .
(٤) ل : « إلا مسخوطة » .
(٥) كذا فى س ، ط . وفى ل : « وشيخ » .
(٦) ط « شجرة » ، وهو تحريف ما أثبت من س . وفى ل : « وشخت » .
(٧) بدل هاتين الكلمتين فى س ، « وشيب وشتيت » وفى ل : « وشتيت وشيب » .
(٨) الشنج ، بالتحريك : تقبض الجلد . وبدله فى ل : « وشح » .
(٩) فى ل مكان الكلمات الأربع : « وشوك وشازب وشارد » . وفى ط أعيدت كلمة « شوكة » بين « شبث » و « شرك » . الشبث ، محركة : العنكبوت ، أو دويبة كثيرة الأرجل . والشازب ، التى وردت فى ل ، هو الخشن ، أو الضامر اليابس .
(١٠) كذا فى ل . ويراد بها شعر العانة . وفى ط ، س : « شعر » محرفة .
(١١) الشانى ، مخفف الشانئ : المبغض العدو . وفى ط : « شنانى » . وفى ل « شابستى » وأثبت ما فى س . وقد جاء اللفظان معا فى عيون الأخبار ٢ : ٥٦ .

وشتيم[١] ، وشِيطَرْج[٢] ، وشنعة ، وشَناعة ، وشأمة[٣] ، وشوصة ، وشتر وشجوب[٤] وشَجّة ، وشَطُون ، وشاطن[٥] ، وشنّ[٦] ، وشلَل ، وشِيص[٧] وشاطر ، وشاطرة[٨] ، وشاحب .

قلت [له] : ما سمعتُ متكلِّمًا قطُّ يقول هذا ولا يبلُغه، ولا يقومُ لهؤلاء القَوم قائمةٌ بعد هذا[٩] !

---

(١) الشتيم : الكريه الوجه .

(٢) الشيطرج : نبت يوجد بالقبور الخراب ، ورائحته ثقيلة حادة ، وطعمه إلى مرارة . وفى س ، ط : « شطرنج » ؛ وهو تحريف مافى ل .

(٣) زيادة هذه الكلمة من ل ، س . والشأمة والمشأمة ، من الشؤم ، ضد اليمنة والميمنة ، من اليمن .

(٤) الشوصة ، بالفتح وقد يضم : وجع فى البطن ، أو ريح تعتقب فى الأضلاع ، أو ورم فى حجابها . والشتر ، بالفتح : انقطع ، أو انقلاب الجفن من أعلى وأسفل وانشقاقه ، أو استرخاء أسفله . وهاتان الكلمتان موضعهما فى ل بعد كلمة : « شاطرة » .

(٥) الشطون : البعيدة . والشاطن : الخبيث .

(٦) الشن ، بالفتح : القربة الخلق الصغيرة .

(٧) الشيص ، بالكسر : أردأ التمر ، ووجع الضرس أو البطن .

(٨) الشاطر : الذى أعيا أهله ومؤدبه خبثا ، وقد يراد بها اللص . وفى ل : « وشاطر وشطارة » . والشطارة : مصدر شطر : صار شاطراً .

(٩) هذا الخبر الذى ساقه الجاحظ – حديثا بينه وبين الشيخ الإباضى – تجده فى العقد ١ : ٣٥٤ قد ساقه الجاحظ أيضا حديثا بين رجل من رؤساء التجار وشيخ شرس الأخلاق كان راكبا مع التاجر فى سفينة . ولست أدرى من أى كتب الجاحظ نقل صاحب العقد هذا الخبر على ذلك الوجه . كما أننا نجد هذا الخبر فى عيون الأخبار ٢ : ٥٦ مصدرا بعبارة : « قال عمرو بن بحر : ذكر لى ذاكر عن شيخ من الإباضية » .

(حيلة أبي كعب القاص)

قال : وتعشَّى أبو كعبٍ القاصُّ بطفشيل[1] كثير اللّوبيا ، وأكثَرَ مِنه ، وشرِب نبيذَ تمر ، وغَلَّس إلى بعض المساجد ليقصَّ على أهله ، إذ[2] انفتل الإمامُ من الصلاة فصادف زحامًا كثيرًا ، ومسْجِدًا مَستورًا بالبَوارىِّ[3] من البَرْدِ والرِّيح والمَطر ، وإذا محرابٌ غائرٌ فى الحائط ، وإذا الإمامُ شيخٌ ضعيف ؛ فلمَّا صلَّى استدْبرَ المحرابَ وجلسَ فى زاويَةٍ منه يسبِّح ، وقام أبو كعبٍ فَجَعل ظهْرَه إلى وجه الإمام وَوجهه إلى وُجوه القوم[4] ، وطبَّق وجه المحراب بجِسمه وفَروته وعمامته وكسائه ، ولَم يكن بين فَقحته وَبين أنف الإمامِ كبيرُ شيء ، وَقصَّ وتحرَّك بطنُه ، فأَرَاد أنْ يتفرَّج بفَسوةٍ وَخاف أنْ تصير ضراطا[5] ، فقال فى قَصصه : قولوا جميعاً : لا إله إلاَّ الله ! وارفَعوا بها أصواتكم : وَفَسا فَسوةً فى المحراب فدارت فيه وَجثَمت[6] على أنف الشيخ وَاحتَملها ، ثمَّ كدَّه بطنُه فاحتاج إلى أخرى فقال : قولوا : لا إله إلاَّ الله ! وَارفعوا بها أصواتكم . فأَرسل فَسوةً أخرى فلم تُخْطِئْ أنْفَ الشيخ ،

---

(١) الطفشيل ، ضبطه بعضهم بكسر الطاء والشين ، وصاحب القاموس جعله (طفيشل) وزان سميدع ، وقال : إنه نوع من المرق . أما صاحب كتاب الطبيخ فقد جعل الطفشيل ضربا من التنوريات ، أى الأطعمة التى تنضج فى التنور . وجاء فى منهاج الدكان ٢٢٠ : « طفشيل : كل طعام يعمل من القطانى ، أعنى الحبوب ، كالعدس والجلبان ، وما أشبه ذلك » . وانظر الحيوان ٥ : ٢٢٦ .

(٢) فى الأصل : « إذا » .

(٣) البوارى : الحصر المنسوجة .

(٤) ل : « الناس » .

(٥) ل : « ضرطة » . وفى س : « ينفرج » بدل : « يتفرج » .

(٦) جثمت : لزمت مكانها . وفى ط : « جشمت » ، والوجه مافى ل ، س .

واختَنقَتْ[١] فى المحراب . فخمَّر الشَّيخُ أنفَه[٢] ، فصار لا يدرى ما يصنع . إنْ هو تنفَّس قتلَتْه الرائحة ، وإنْ هو لم يتنفَّس مات كَرْبا . فما زَالَ يُدارِى ذلك ، وأبو كعب يقصُّ ، فلم يلبَثْ أبو كعبٍ أن احتاجَ إلى أخرى . وكلما طالَ لَبْثُه تولَّد فى بَطْنِه من النَّفخ على حَسَب ذلك . فقال : قولوا جميعاً : لا إلٰه إلا الله ! وارفَعوا بها أصواتكم . فقال الشيخ مِنَ المحراب ـ [وأطْلَعَ رأسَه وقال] ـ : لا تقولوا ! لا تقولوا ! قد قَتلنى ! إنَّما يريد أن يفسُوَ ! ثم جذب إليه ثوبَ أبى كعبٍ وقال : جئت إلى ها هنا لتفسوَ[٣] أو تقصَّ ؟ فقال : جئنا لنقص[٤] ، فإذا نزلت بليَّةٌ فلا بدَّ لنا ولكم من الصَّبر ! فضحك النَّاسُ ، واختَلَط المجلس . ٨

(جواب أبى كعب القاصّ)

وأبو كعبٍ هذا هو الذى كان يقصُّ فى مسجد عتَّابٍ كلَّ أرْبعا[٥] فاحتبَسَ عليهم فى بعض الأيَّام وطال انتظارُهم له . فبينما هُمْ كذلك إذ جاء رسوله فقال : يقول لكم أبو كعب : انصرفوا ؛ فإنِّى قد أصبحت [اليوم] مخموراً !

---

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « اختفت » .
(٢) خمر أنفه : غطاه .
(٣) ل : « تفسو » .
(٤) ل : « نقص » .
(٥) هو مقصور : « أربعاء » .

(علة عبد العزيز)

وأمّا علة عبدِ العزيز بشكست فإنَّ عبدَ العزيز كان له مالٌ ، وكان إذا جاء وقتُ الزَّكاة وجاء القَوّادُ بغلامٍ مؤاجَر[1] ، قال : يا غلام ألك أمٌّ ؟ ألك[2] خالات ؟ فيقول الغلام : نعم . فيقول : خُذْ هذه العشرة الدراهم — أو خُذْ هذه الدَّنانير — مِن زكاةِ مالي ، فادفَعْها إليهنَّ ، وإنْ شئتَ أن تُبْركني[3] بعد ذلك على جهة المكارمة ، [فافعل] ، وإنْ شئتَ أنْ تنْصَرِف فانصرف . فيقول ذلك وهو واثقٌ أنَّ الغُلامَ لا يمنَعه بعد أخْذ الدراهم ، وهو يعلم أنه لن[4] يبلغ مِن صلاحِ طباع المؤاجَرين أن يؤدُّوا الأمانات . فَغَبر[5] بذلك ثلاثين سنة وليس له زكاةٌ إلاّ عند أمَّهات المؤاجَرين وأخَوَاتهم وخالاتهم .

---

(١) لفظة عباسية ، يقصد بها من يستأجره اللاطة . انظر كنايات الجرجاني ص ١٢٠ س ١١ وأخبار أبي نواس لابن منظور ٩ ، ١٧ .

(٢) يقال أبركه : جعله يبرك . وقد كنى بقوله . وفي ط « تلزمني » وأثبت . ما في س ، ل .

(٣) ل : « لم » .

(٤) ط : « فعبر » وليست من كلام الجاحظ . وأثبت ما في ل ، س ، وغبر . بمعنى بقي وظل .

(احتجاج طيّب كوفى للتسمية بمحمد)

وحدثنى محمّد بن عبّاد بن كاسب قال : قال لى الفضل بن مروان[١] شيخ من طِيَاب[٢] الكوفيِّين وأغْبيَائهم[٣] : إنْ وُلِدَ لك مائةُ ذكرٍ فسمهم كلَّهم محمداً ، [وكنِّهم بمحمد] ؛ فإنّك سترى فيهم البركة . أوَ تَدْرى لأىِّ شىءٍ كثُر مالى ؟ قلت : لا والله ما أدرى . قال : إنّما كثُر مالى لأنّى سمَّيتُ نَفْسى فيما بينى وبَيْنَ اللهِ محمداً ! وإذا كان اسمى عندَ الله محمداً فما أُبالى ما قال الناس !

(جواب أحمد بن رياح الجوهرى)

وشبه هذا الحديث قول المرْوَزى[٤] : قلت : لأحمد بن رياح الجوهرى اشتريتَ كساءً أبيضَ طبَريًّا بأَربعمِائَةِ درهم ، وهو عند الناس — فيما ترى عيونهم قُومَسىٌّ[٥] يساوى مائَةَ درهمٍ ؛ قال: إذا علم الله أنّه طبرىٌّ فما علىَّ ممّا قال الناس ؟ !

---

(١) ل : « مرزوق » .

(٢) الطياب : جمع طيب ، مثل جيد وجياد ، والطيب : الفكه المزاج . انظر البيان ٣ : ١١٥ ، ١٥٢ وسيبويه ٢ : ٢١١ . و ماسبق فى ص ٦ ، ٧ .

(٣) ط ، س : « وأغنيائهم » واعتمدت مافى ل . انظر ص ٦ س ٧ .

(٤) ل : « المرزوق » .

(٥) قومسى : نسبة إلى قومس ، بضم القاف وفتح الميم : كما فى القاموس . أو بضم القاف وكسر الميم كما فى المعجم . وهى صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل .

(احتجاجُ حارسٍ يكنى أبا خزيمة)

وكان عندنا حارسٌ يكنى أبا خُزيمة ، فقلت يوماً — وقد خطَر على بالى — : كيفَ اكتنَى هذا العِلْجُ الألْكَنُ بأبى[1] خزيمة ؟ ثمّ رأيتُه فقلت له : خبِّرنى عنك ، أكان أبوك يسمَّى خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فجدُّك أو عمك أو خالك ؟ قال : لا . قلت : فلك ابنٌ يسمَّى خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فكان لك مولًى يسمى خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فكان فى قريتك رجلٌ صالح أو فقيهٌ يسمى خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فلِمَ اكتنيت بأبى[1] خزيمة ، وأنتَ عِلجٌ ألْكَن ، وأنتَ فقيرٌ ، وأنت حارس ؟ قال : هكذا اشتَهيت . قلت : فلأىِّ شىءٍ اشتَهيتَ هذه الكنيةَ من بينِ جميع الكنى ؟ قال : ما يُدرينى . قلتُ : فتَبيعُها السَّاعَة بدينارٍ ، وتَكتَنىَ بأىِّ كنيةٍ شئت ؟ قال : لا وَاللهِ ، ولا بالدُّنْيا[2] وما فيها !

(جواب الزيادىّ)

٩ وحدثنى مَسْعَدةُ بن طارق ، قال للزيادِىّ — ومررتُ به وهو جالسٌ فى يوم غمِق[3] حارٍّ ومِدٍ[4] ، على باب داره فى شروع نهر

---

(١) ط ، س : « أبا » ، والمعروف فى « اكتنى » أن يتعدى بالباء كما فى اللسان . وأما الذى يتعدى بنفسه أو بالباء فهو « كنيته وكنوته وأكنيته وكنيته » .

(٢) ط : « بالدينار » وتصحيحه من ل ، س .

(٣) يوم غمق ، كفرح ، ذوندى وثقل ، أو لريحه خمة وفساد . وفى ط ، س : « يوم غيم » . والوجه ما أثبت من ل ، وهو الموافق لكلمة « ومد » الآتية .

(٤) اليوم الومد : ذو الومد بالتحريك ، وهو الندى يجىء فى صميم الحر من قبل البحر .

الجُوبار[١] بأَردية[٢] ، وإذا ذلك البحر يبخر فى أنفه[٣] — قال : فقلت له بعتَ دارك وحظَّكَ مِن دارِ جدِّك زيادِ بن أبى سفيان ، وتركتَ مجلِسَك فى ساباط غَيث[٤] ، وإشرافَك على رَحبة بنى هاشم ، ومجلسَك فى الأبواب التى تلى رَحبة بنى سليم ، وجلستَ على هذا النَّهر فى مثل هذا اليوم ، ورضِيت بهِ جارا ؟ قال. نلتُ أطولَ آمالى فى قرب هؤلاء [البزّازين]. قلت له : لو كنت بقُرْبِ المقابر فقلت نزلت[٥] هذا الموضع للاتِّعاظ به والاعتبار كان ذلك وجهاً . ولو كنتَ بقُرْب الحدَّادين فقلت لأتَذَكَّرَ بهذه النِّيران والكِيران[٦] نار جهنَّم ، كان ذلك قولا . ولو كنت اشتريت داراً بقرب العطَّارين فاعتَلَلت بطَلَبِ[٧] رائحةِ الطِّيب كان ذلك وجهاً

---

(١) الجوبار : بضم الجيم : محلة بأصبهان . قال ياقوت : « جو بالفارسية النهر الصغير ؛ وبار كأنه مسيله . فمعناه على هذا مسيل النهر الصغير » قال صاحب الألفاظ الفارسية المعربة : « وهو مركب من جوى أى سيل ، ومن بار ، وهى من الأدوات التى تدل على الكثرة » . وفى ط ، س « الخونان » ، وتصحيحه من ل ومعجم البلدان .

(٢) كذا . وهذه الكلمة ليست فى ل . ولعل الوجه حذفها .

(٣) ط : « ينجر » ، وهو تحريف ما أثبت من ل ، س . وكلمة « البحر » هى فى ل : « النهر » .

(٤) الساباط : السقيفة بين دارين تحتها طريق نافذ . ياقوت والقاموس . قال صاحب الألفاظ الفارسية : « مأخوذة من سايه بوش ، ومعناها المظلة » . وكلمة « غيث » هى فى ط ، س : « عيث » .

(٥) ل : « تركت » ، وهو تحريف ماأثبت من ط ، س .

(٦) جمع كير : وهو الزق ينفخ فيه الحداد .

(٧) كذا فى ط . وفى س ، ل : « بطيب » .

فأمَّا قُرْبُ البَزَّازِين[1] فقط فهذا ما لا أعرفه . أفَلَكَ فيهم دارُ غَلَّةٍ ، أو هلْ لك عليهم دُيُونٌ حالَّةٌ ، أو هلْ لك فيهم أو عِندَهم غِلمانٌ يؤدُّون الضَّريبة ، أو هلْ لكَ معَهم شِرْكة مُضارَبةٍ ؟ قال : لا . قلت: فما ترجو إذًا من قربهم[2] [فلم يكن عنده إلاّ : نلت آمالى[3] بقُرب البزّازين] .

(حكاية ثمامة عن ممرور)

وحدثنى ثمامة بن أشْرس قال : كان رجلٌ ممرور يقوم كلَّ يوم ، فيأتى دالِيةَ لقوم ، ولا يزالُ يَمْشى مع رجال الدالية على ذلك الجذع[4] ذاهباً وجائياً ، فى شـدَّة الحرِّ والبرد . حتَّى إذا أمسى نزل إليهم وتوضَّأ وصلَّى ، وقال : اللَّهُمَّ اجعلْ لنا مِنْ هذا فَرجاً ومَخْرجاً ! ثمَّ انصرف إلى بيته . فكان كذلك حتَّى مات .

(بين أعمى وقائده)

وحدَّثنى المكّىّ قال : كان رجلٌ يقود أعْمَى بِكِراء[5] ، وكان الأعمى ربَّما عَثَرَ العَـثْرَة ونُكِب النَّكبة ، فيقول : اللَّهمَّ أبْدِل

---

(١) البزاز : بائع البز بفتح البـاء ، وهو الثياب ، أو متاع البيت من الثياب . والبزار : بياع بزر الكتان ، أى زيته بلغة البغاددة . وفى ط : « البزارين » وأثبت ما فى س ، ل .

(٢) ل : « قرب البزازين » .

(٣) فى الأصل ، وهو هنا ل : « قنت إمالى » ، وجهه ما أثبت .

(٤) ط « الجزع » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٥) الكراء : الأجرة .

لى[1] بِهِ قائداً خيراً منه ! قال : فقال القائد : اللَّهُمَّ أبْدِلْ لى[1] بهِ أعمَى خيراً لى منه .

(حماقة ممرور)

وحدثنى يزيدُ مولى إسحاقَ بن عيسى قال : كُنَّا فى منزل صاحب لنا ، إذْ خرج واحدٌ من جماعتنا ليَقِيلَ فى البيت الآخر[2] ، فلم يلبث إلّا ساعةً حتى سمِعناه يَصيح : أوْهِ[3] أوه ! قال : فنهَضْنا بأجمعنا إليه فَزِعين ، فقلنا له : مالك ؟ وإذا هو نائم على شقِّهِ الأيسر ، وهو قَابضٌ على خصيته بيده[4] فقلت له : لم صحت؟ قال : إذا غمزت خُصْيتى اشتكيتها ، وإذا اشتكيتُها صحت . قال : فقلنا له : لاتَغْمِزْها بعدُ حتى لاتشتكى ! قال : نعم إن شاء الله تعالى .

(حماقة مولاة عيسى بن على)

قال يزيد : وكانت لعيسى بن علىٍّ مَولاةٌ عجوزٌ خُرَاسانيةٌ تصرُخ بالليل من ضَرَبان ضرس لها ، فكانت قد أرَّقت الأميرَ إسحاق ، فقلت له : إنَّها مع ذلك لاتَدَع أكْلَ التمر ! قال : فبعث إليها بالغداة فقال لها : أتأكلين التَّمر بالنَّهار وتَصِيحينَ باللَّيل ؟ فقالت : إذا اشتهيتُ أكلت وإذا أوجعَنى صِحت !

---

(١) فى عيون الأخبار ٢ : ٤٨ حيث يوجد الخبر : « أبدلنى » .

(٢) قال يقيل : نام فى القائلة ، وهى منتصف النهار . فى س : « فى بيت الآخر » .

(٣) كلمة تقال عند التوجع والألم . وفيها ثلاث عشرة لغة ذكرها الفيروزبادى .

(٤) ل : « بيديه » .

(حكاية ثمامة عن ممرور)

١٠ وحدثنى ثمامةُ قال : مَررتُ فى غِبّ مطرٍ والأرضُ نَديَّة ، والسَّماءُ متغيِّمة ، والرِّيح شَمالٌ ، وإذا شَيخٌ أصْفَرُ كأنَّه جَرادَة ، وقدْ جلسَ على قارعة الطَّريق ، وحَجّامٌ زِنجىٌّ يَحْجُمُهُ ، وقد وضع على كاهِله وأخْدَعَيْه مَحاجِم ، كل مِحْجَمةٍ كأنَّها قَعْب ، وقدْ مَصَّ دَمَهَ حتَّى كادَ أنْ يَستَفْرِغَه. قال : فوقَفتُ عليه فقلت : ياشيخُ لِمَ تَحْتَجِم فى هذا البرد[١] ؟ قال لمكانِ هذا الصُّفار[٢] الذى بى .

(صنيع ممرور)

وحدثنى ثمامة قال : حدَّثنى سعيد بن مسلم[٣] قال : كُنا بخُراسانَ فى منزل بعض الدَّهاقين ونحن شَبابٌ ، وفينا شيخ . قال : فأتانا رَبٌّ لمنزل بدُهن طيبٍ فدَهَنَ بعضُنا رأسَه ، وبعضنا لحيته ، وبعضُنا مَسَح

(١) الزيادة من العقد ٤ : ٢٠٣ حيث يوجد الخبر .

(٢) الصفار ، بالضم : الماء الأصفر يجتمع فى البطن ، أو دود فيها . كذا فى القاموس وقد عبر عنه صاحب مفاتيح العلوم ص ٩٨ بكلمتى « اليرقان والأرقان » وقال : « هما صفار ، وهو أن تصفر عينا الإنسان ولونه بامتلاء مرارته ، واختلاط المرة الصفراء بدمه » . وانظر هذا الخبر فى عيون الأخبار ٢ : ٥٢ .

(٣) كذا فى ط ، ل . وفى س : « سلم » . وهذا الحديث الآتى تجده أيضا فى عيون الأخبار ٢ : ٥٦ مع اختلاف يسير .

شاربه ، وبعضُنا مَسَح يديه وأمَرَّهُما على وجهه ، وبعضُنا أخَذَ بطَرَف إصبعه فأدخَلَ فى أنفه ومَسَح به شارِبَه . فَعَمَد[١] الشيخُ إلى بقيَّةِ الدُّهن فصبَّها فى أذنه ، فقلنا له : ويحك ، خالفت أصحابكَ كُلَّهم ! هل رأيْتَ أحداً إذا أتَوْهُ بِدُهن طِيبٍ صبَّه[٢] فى أذنه ؟ قال : فإنّه مع هـذا يضرُّنى[٣] ؟

(أبُو عيصٍ ، سيّد بنى تميم)

وحدَّثنى مَسْعَدَةُ بنُ طارقٍ [الذَّرَّاع][٤] قال : واللهِ إنَّا لَوُقوفٌ على حدودِ دار فلان للقِسمة ، ونحنُ فى خصومةٍ ، إذْ أقْبَلَ [عِيصٌ][٥] سيِّدُ بنى تميمٍ وموسرهم[٦] والذى يصلِّى على جنائزهم . فلمَّا رأيناهُ مقبلاً إلينا أمسَكْنا عن الكلام ، فأقبل علينا فقال : حدِّثونى عن هذه الدَّار ، هَلْ ضمَّ منها بعضها إلى بعض أحد[٧] ؟ ! قال مسعدة : فأنا مُنْذُ سنين[٨]

(١) عمد : قصد . وفى ط ، س : « وتعمد » ، ولا تصح هذه الكلمة مع وجود « إلى » ، وصوابها فى ل .

(٢) ل : « فصبه » وهو تحريف مافى ط ، س .

(٣) ط ، س . « فأنها مع ذلك تضرنى » ولها وجه ، أى فان تلك الفعلة ، وقد أثبت مافى ل .

(٤) عى بكلمة : « الذراع » من يذرع الأرض ، أى يقيسها .

(٥) الزيادة من العقد (٤ : ٢٠٣)

(٦) موسرهم : غنيهم . وفى ط « مؤسرهم » محرفة .

(٧) كذا فى ل ، س . وفى ط : « أحدنا » وبهذه يخف انبهام الكلام ، مع ان الغاية من الحديث بيان شدة انبهام حديث التميمى . وكلمة « بعضها » هى فى ل : « بعض » . وفى العقد : « هل ضم بعضها إلى بعض أحد » .

(٨) ل : « منذ ستين سنة » . ومثل ذلك فى العقد .

أفكِّرُ في كلامه ما أدري ماعَنَى به . [قال : وقال لى مرّة : مامن شر من ذين ! قلت : ولم ذاك ؟ قال : من جرا يتعلقون] .

وحدّثنى الخليلُ بنُ يحيى السَّلُولىُّ قال : نازَع التميمىُّ بعضَ بنى عمِّه فى حائطٍ ، فبَعَث إلينا لنَشهد على شَهادتِهِ[١] ، فأتاه جماعةٌ منهم[٢] الحميرىُّ والزهرىُّ ، والزِّيادىُّ ، والبكراوى . فلمّا صِرْنا إليه وقفَ بنا على الحائط وقال : أُشهِدُكم جميعاً أنَّ نِصفَ هذا الحائط لى !

(جواب ممرور)

قال : وقدِم ابنُ عمٍّ له إلى عمر بن حبيب ، وادَّعَى عليه ألفَ دِرهمٍ فقال ابنُ عمِّه : ما أعرِفُ ممَّا قالَ قليلاً ولا كثيراً ، ولا له علىّ شىء ! قال : أصلحك الله تعالى ! فاكتُبْ بإنكاره . قال : فقال عمر : الإنكار لايفوتك[٣] ، متى أردْتَه فهو بَينَ يديك !

(أمنية أبى عتّاب الجرّار)

قال : وقلت لأبى عتّاب الجرَّار[٤] : ألا تَرَى عبدَ العزيزِ الغَزَّال وما يتكلَّمُ به فى قَصَصه؟قال : وأىُّ شىء[٥] قاله؟ [قلت] : [٦] قال : ليت الله تعالى

---

(١) ل : « ليشهدنا على شهادة » .

(٢) ل : « فيهم » .

(٣) ل : « ليس يفوتك منه » .

(٤) فى الأصل : « لابن عتاب » ، وكنية الرجل « أبو عتاب » كما فى البيان (٢ : ٣١٨) وعيون الأخبار ٢ : ٤٨ والعقد ٤ : ١٩٧ . و « الجرار » هى كذلك فى ط ، س ، وفى ل : « الخزان » وفى البيان : « الجزار » . واسمه إبراهيم بن جامع كما فى الحيوان ٥ : ١٦٧ .

(٥) فى الأصل : « قلته » .

(٦) زيادة يحتاج إليها الكلام .

لم يَكُن خلقَنى وأنا السَّاعةَ أعور ! قالَ أبو عتّاب[١] : [وقد قصَّرَ فى القول ، وأساءَ فى التمنى . ولكنِّى أقول] : ليتَ الله تعالى لم يكُنْ خلقنى وأنا الساعة أعمى مقطُوعُ اليدين والرجلين !

(تعزية طريفة لأبى عتّاب الجرار)

ودخل أبو عتّاب على عمرو[٢] بن هدَّاب وقد كُفَّ بَصرُه ، والناس يُعزُّونهُ ، فمثَلَ بينَ يديه ، وكان كالجمل المحجُوم[٣] ، [و] له صوتٌ جهير ، فقال : ياأبا أسيد ، لايسوءنَّك[٤] ذَهابُهما ، فلو رأيتَ ثوابَهما فى ميزانِك تمنَّيتَ أنَّ الله تعالى قد قَطَع يديك ورجليك ، ودَقَّ ظَهْرَك ، وأدْمى ضِلْعَكَ![٥] .

(داود بن المعتمر وبعض النساء)

وبينا داودُ بن المعْتَمر الصُّبَيرِىّ جالسٌ معى ، إذ مرت به امرأةٌ جميلة لها قَوَامٌ وحُسْن ، وعينان عجيبتان ، وعليها ثيابٌ بيض ، فنهضَ داودُ ١

(١) ط : « ابن عقاب » س : « ابن عتاب » وصوابه من ل . وانظر التنبيه ٤ من الصفحة السابقة .

(٢) ل ، ط : « عمر » ، وأثبت ما فى س وعيون الأخبار والبيان ٢ : ١٠٣ وكتاب البغال ٢٦٣ .

(٣) الجمل المحجوم : الذى وضع على فه الحجام - ككتاب - لئلا يعض ؛ فصوته أقوى صوت . وجاء فى حديث ابن عمر - وذكر أباه - : « كان يصيح الصيحة يكاد من سمعها يصعق ، كالبعير المحجوم » . فى ط : ل : « الحجوم » . وتصحيحه من س .

(٤) ط ، س : « يسؤك » وهى صحيحة . وأثبت مافى ل وعيون الأخبار (٢ : ٤٨) .

(٥) ط ، س : « ظلعك » وفى ل : « ظلفك » . والظلف ، أصله للبقرة والشاة والظبى بمنزلة القدم من الناس ، ولا يصح معه المعنى إلا بعسر . والوجه ما أثبت من الحيوان ٥ : ١٦٨

فلم أشُكَّ أنّه قام ليَتْبَعها ، فبعثْتُ غلامى ليَعرف ذلك ، فلمّا رجع قلت له: قد علمت [أنّك][1] إنما قُمتَ لتكلّمها ؛ فليس ينفعُكَ إلّا الصدق ، ولا ينْجيك منّى الْجحود ، وإنما غايتى أنْ أعرف كيفَ ابتَدأتَ القول[2] ، وأىّ شىءٍ قلتَ لها ــ وعلمت أنّه سيأتى بآبدة . وكان مليًّا بالأوابد[3] ــ قال : ابتدأتُ القول[4] بأنْ قلتُ [لها] : لولا ما رأيتُ عليكِ[5] من سيماء الخيْر لمْ أتبَعْك . قال : فضَحِكتْ حتى استنَدَتْ إلى الحائط ، ثمّ قالت : إنما يَمْنَع مِثلَكَ مِن اتّباعِ مِثلى والطَّمَع فيها[6] ، ما يَرَى من سِيماء الخير فأمّا إذْ قد صار سيماءُ الخير هو الذى يُطمِعُ فى النّساء فإنا لله وإنا إليه راجعون !

وتبع داودُ بنُ المعتمر امرأة[7] ، فلم يزلْ يُطريها[8] حتى أجابت ، ودَلّها على المنزل الذى يمكنها[9] فيه مايريد ، فتقدمت الفاجرةُ وعرض له

---

(١) الزيادة من س فقط .

(٢) ط ، س: « ابتدئت القول » ، وتصحيحه من ل .

(٣) ط ، س : « مليا » وفى ل : « مليئا » . قال ابن منظور : « الملىء بالهمز : الثقة الغنى . وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الياء » . فالروايتان صحيحتان . والأوابد : جمع آبدة ، وهى الكلمة أو الفعلة الغريبة .

(٤) ط : ، س : « ابتدئت » ، وتصحيحه من ل .

(٥) ط ، س : « لولا ماعليك » ل : « لولا مارأيت » وفى عيون الأخبار (٢ : ٥١) : « لولا مارأيت عليك » وقد أثبت مافيها جامعا بين الروايتين .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فيه » . وكلاهما صحيح .

(٧) ل : « واحدة » .

(٨) يطريها : يبالغ فى الثناء عليها ، وهن يغتررن بذلك . وفى ط : « يطربها ». وليس بشىء . وفى ل : « يطردها » من طرد الصيد . وقد أثبت مافى س .

(٩) ل : « يمكنه » وهما سيان .

رجلٌ فشغَلَهُ ، وجاء إلى المنزل وقد قضى القَوْمُ حوائجُهُمْ وأخَذَتْ حاجتها ، فلم تنتظره(١) . فلما أتاهُمْ ولم يرَها قالَ : أين هى ؟ قالوا : واللهِ قد فرَغْنا وذَهَبت ! قال : فأىَّ طريقٍ أخَذَتْ ؟ قالوا : [لا] والله ماندرى ؟ قال : فإنْ عَدَوْتُ فى إثْرِها حتَّى أقُومَ على مجامع الطرُق(٢) أتُرَوْنى ألحقها ؟ قالوا : [لا] واللهِ ماتَلحقها ! قال : فقد فاتَتِ الآن ؟ قالوا : نعم . قال : فعسى أن يكون خيراً ! فلم أسمَعْ قطُّ بإنسانٍ يشكُّ أنّ السَّلامة من الذنوب خير [غيره](٣) .

(قول أبى لقمان الممرور فى الجزء الذى لايتجزَّأ)

وسأل بعضُ أصحابنا أبا لُقمان الممرور عن الجزء الذى لايتجزَّأ : ماهو؟ قال : الجزء الذى لايتجزأ هو علىٌّ بن أبى طالب عليه السلام . فقال له أبو العيناء محمد(٤) :

---

(١) ل : « وأبت أن تنتظره » .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فى جامع الطريق » محرفة .

(٣) الزيادة من س . وبدونها يصح القول أيضا ويجزل كما فى ط . وفى ل : « فلم أسمع قط بأن إنسانا مسلما شك فى أن السلامة من الذنوب خير من غيرها » .

(٤) أبو العيناء هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان الهاشمى بالولاء ، مولى أبى جعفر المنصور . ولد بالأهواز ونشأ بالبصرة ، وسمع من أبى عبيدة والأصمعى وأبى زيد والعتبى . وكان فصيحا ظريفا لسنا . دخل على المتوكل فى قصره المعروف بالجعفرى فقال له : ماتقول فى دارنا هذه ؟ قال : إن الناس بنوا الدور فى الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا فى دارك ! ولقيه بعض الكتاب فى السحر فقال متعجبا منه ومن بكوره : ياأبا عبد الله ، أتبكر فى مثل هذا الوقت ؟ فقال له : أتشاركنى فى الفعل وتنفرد بالتعجب ؟ ! . فقد أبو العيناء بصره بعد الأربعين . وسبب تلقيبه بأبى العيناء مذكور فى وفيات الأعيان . ولد سنة ١٩١ وتوفى سنة ٢٨٢ . انظر نكت الهميان ٢٦٥ .

أفليس فى الأرض جزءٌ لايتجزأ غيرُه ؟ قال: بلى حَمزةُ جزءٌ لايتجزَّأ، وجَعْفَرٌ جزءٌ لايتجزأ ! قال فما تقول فى العباس؟ قال: جزء لايتجزأ . قال : فما تقول فى أبى بكر وعمر؟ قال: أبو بكر يتجزأ، وعمر يتجزأ . قال: فما تقول فى عثمان؟ قال : يتجزَّأ مَرَّتين ، والزُّبير يتجزَّأ مرَّتين . قال : فأىَّ شىءٍ تقولُ فى معاوية؟ قال : لايتجزأ [ولا لايتجزأ] .

فقد فكرنا فى تأويل أبى لقمان حين جعل الإمام[1] جزْءًا لايتجزأ[2] إلى أىِّ شىءٍ ذهب ، فلم نقع عليه إلاَّ أن يكون كان أبو لقمان إذا سمعَ المتكلِّمين يذكرون الْجزْءَ الذى لايتجزَّأ ، هاله ذلك وكبُر فى صدره ، وتوهَّمَ أنَّه البابُ الأكبرُ مِن عِلِم الفلسفة ، وأن الشىءَ إذا عظُم خَطَرُه سموه بالجزء الذى لايتجزأ .

وقد تسخَّفْنا فى هذه الأحاديث ، واستجزْناَ ذلك بما تقدَّم من العُذر وسنَذْكر قَبْلَ ذِكرِنا [القول] فى الحمام جملاً من غُرَرٍ ونَوَادِرَ وأشْعَارٍ ونُتفٍ وفقَرٍ مِن قصائِدَ قصار وشوارِدَ وأبياتٍ ؛ لنُعطِىَ قارئْ الكِتاب من كلِّ نوعٍ تَذْهَبُ إليه النُّفوسُ نصيباً إن شاء الله .

---

(١) المراد بالإمام : على بن أبى طالب . وفى ط ، س : « الأنام » بمعنى الخلق ، وأثبت ماقى ل .

(٢) كذا فى س ، ل . وفى ط : « أجزاء لاتتجزء » فيكون صواب مافى ط : « جعل الأنام أجزاء لاتتجزأ » والمراد بالجزء الذى لايتجزأ ، أن الأجسام تنحل إلى أجزاء صغار لايمكن ألبتة أن يكون لها جزء . وهذا هو مذهب جمهور المتكلمين وأما الفلاسفة فيرون أن كل جزء فإنه ينقسم إلى أصغر منه ، وهكذا إلى غير نهاية . وقد تبعهم فى ذلك النظام وبعض المعتزلة ، فنفى الجزء الذى لايتجزأ . انظر الفصل ٥ : ٩٢ — ١٠٨ والفرق ص ١٢٣ . وقد صنف جعفر ابن حرب المعتزلى كتابا فى تكفير النظام بإبطاله الجزء الذى لايتجزأ . الفرق ١١٥ .

(٣) الزيادة من س .

(تناسب الألفاظ مع الأغراض)

ولكلِّ ضربٍ من الحديث ضَرْبٌ من اللفظ ، ولكلِّ نوعٍ مِن المعانى ١٢ نوعٌ من الأسماء : فالسَّخيفُ للسخيف ، والخَفِيفُ للخفيف[١] ، والجزلُ للجَزل ، والإفصاحُ فى مَوضع الإفصاح ، والكِناية فى موضع الكناية ، والاسترسال فى موضع الاسترسال .

وإذا[٢] كان مَوْضِعُ الحديثِ على أنّهُ مُضْحِكٌ ومُلْهٍ[٣] ، وداخِلٌ فى باب المزَاح والطِّيب[٤] ، فاستعْمَلْتَ فيه الإعراب ، انقَلَبَ عن جِهَتِه . وإنْ كان فى لفظه سُخْف وأبْدَلْتَ السَّخافَة بالجَزالة ، صارَ الحديثُ الذى وَضِع على أنْ يسُرَّ النُّفوسَ يُكْرِبُها ، ويَأْخُذُ بِأكظامها[٥] .

---

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « وإن » . وأثبت ما فى ل .

(٣) ط ، س : « وملهى » ، والصواب ما أثبت من ل .

(٤) الطيب بمعنى الهزل والفكاهة . وفى ل : « المزح الطيب » . وأثبت ما فى ط ، س . وانظر التنبيه الأول من ص ٦ .

(٥) الأكظام : جمع كظم ، بالتحريك ، وهو مخرج النفس . والكلام فى استعمال الإعراب عند الفكاهة وسرد النوادر سبق للجاحظ مثله فى الجزء الأول ص ٢٨٢ .

(الوقار المتكلف)

وبعضُ النَّاسِ إذا انتهى إلى ذِكْرِ الحِرِ والأيرِ والنَّيك ارتَدَع وأظهرَ التقَزُّز [1] ، واستَعْمَل بابَ التَّوَرُّع . وأكثرُ مَنْ تجده كذلك فإنَّما هو رجلٌ ليس مَعَه من العَفافِ والكَرَم ، والنُّبْل والوَقار ، إلَّا بقَدْر هذا الشَّكل من التَّصنع . ولم يُكْشَفْ قطُّ صاحِبُ رياءٍ ونِفاقٍ ، إلَّا عن لؤمٍ مُسْتَعْمَل ، ونذالةٍ متمكِّنة .

(تسمُّح بعض الأئمة فى ذكر ألفاظ)

وقد كان لهم فى عبدِ الله بن عباسٍ مَقْنَع ، حينَ سَمِعه بعضُ الناس [2] يُنشد فى المسجد الحرام [3] :

وهُنَّ يَمشِينَ بنــا هَمِيسَا إنْ تَصْدُقِ الطَّيرُ نَنِكْ لَمِيسَا [4]

---

(١) التقزز : التباعد من الدنس . وفى ط ، س : « التعزز » بمعنى التكبر والتشدد ، كما فى اللسان ، وأثبت ما فى ل .

(٢) هو أبو العالية ، كما فى عيون الأخبار ١ : ٣٢١ .

(٣) فى العقد ٣ : ١٢٢ أنه كان يرتجز فى الطريق بالبيت الآتى فى طريقه إلى مكة . وفى العمدة ١ : ١١ أن ابن عباس سئل : هل الشعر من رفث القول ؟ فأنشد البيت وقال : « إنما الرفث عند النساء » ثم أحرم للصلاة . وليس فى الخبر عنده ذكر المسجد الحرام أو مكة . والبيت ليس لابن عباس بل تمثل به كما فى اللسان (همس) .

(٤) الهميس : المشى الخفى الحس . لميس : اسم امرأة .

فقيل له فى ذلك ، فقال : إنَّما الرَّفَثُ ما كان عند النساء .

وقال الضَّحَّاك : لو كان ذلك القولُ رَفَثاً لـكان قطْعُ لسانِه أحبَّ إليه مِن أن يَقُولَ هُجْرا[١] .

قال شَبِيبُ بن يزيد الشيبانى[٢] ، لَيْلَةَ بَيَّتَ[٣] عتَّابَ بنَ ورَقاء[٤] :

* مَنْ يَنِكِ الْعَيْرَ يَنِكْ نَيَّاكَا *

وقال علىُّ بنُ أبى طالبٍ – رضى الله عنه – حينَ دخَلَ على بعض الأمراء فقال له : مَن فى هذه البيوت ؟ فلما قيل له : عقائلُ من عقائل

---

(١) الـكلام من مبدإ « وقال الضحاك » : كان فى الأصل متأخرا عن مكانه ، بعد نهاية خبر شبيب الآتى . وقد رددته إلى موضعه الطبيعى . والضحاك هـذا هو الضحاك بن عبد الله الهلالى ، وهو أحد من انضم إلى عبد الله بن عباس فى خروجه على على بن أبى طالب . انظر تفصيل هذا فى العقد ٣ : ١٢٠ – ١٢٢ .

(٢) هو شبيب بن يزيد بن نعيم الخارجى ، كان مع صالح بن مسرح رأس الصفرية . خرج شبيب بالموصل ، وبعث إليه الحجاج خمسة قواد فقتلهم واحدا بعد واحد . وفى إحدى حروبه نفر به فرسه على نهر دجيـل - دجيل الأهواز لادجيـل بغداد - فغرق فيه وكانت تشترك معه زوجه غزالة وكذا أمه جهيزة فى مقاومة الحجاج . ولما دخل هو وزوجه غزالة على الحجاج فى الـكوفة ، تحصن منها وأغلق عليه قصره ، فـكتب إليه عمران بن حطان – وقد كان الحجاج لج فى طلبه – :

أسـد على وفى الحروب نعامة ربداء تجفل من صفير الصافر !

هلا برزت إلى غزالة فى الوغى بل كان قلبك فى جناحى طائر !

ولد شبيب سنة ٢٦ وتوفى سنة ٧٧ . انظر المعارف ١٨٠ ، ووفيات الأعيان ، والأغانى ١٦ : ١٤٩ ، ٢١ : ٨ .

(٣) ط ، س : « ليلة فى بيت » ل : « ليلة بيته » ، والصواب ماأثبت من المعارف ١٨٢ . وبيت العدو : أوقع به ليلا .

(٤) عتاب بن ورقاء ، كان يكنى أبا ورقاء ، وكان من أجواد العرب ، وولى عدة ولايات ، وقاد عدة جيوش .

(٥) يضرب مثلا لمن يغالب الغلاب . وأصل المثل فى أمثـال الميدانى ٢ : ٢٣٢ – ٢٣٣ . وقد سبق فى الجزء الثانى ص ٢٥٦ .

العرب ، قال عليٌّ : « مَنْ يَطُلْ أَيْرُ أَبِيهِ يَنْتَطِق به[1] » .

فعَلَى عليٍّ رضى الله تعالى عنه — يعوِّل[2] فى تنزيه اللفظ وتشريف المعانى[3] .

وقال أبو بكر — رضى الله عنه — حين قال بُدَيل بنُ ورقاء[4] للنبيِّ صلى الله عليه وسلم : جئتَنا بعجرائك وسودانك ، ولو قد مَسَّ هؤلاء وخْزُ[5] السِّلاحِ لَقَدْ أَسْلَمُوك ! فقال أبو بكر — رضى الله عنه — : عَضِضْتَ بِبَظْرِ اللَّات !

---

(١) قال الميدانى فى الأمثال ٢ : ٢٢٨ : « يريد من كثر إخوته اشتد ظهره وعزه بهم » . وانظر رسائل الجاحظ ٢ : ٩٢ بتحقيقنا .

(٢) ط ، س : « يقدم » وتصحيحه من ل .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل . وكلمة « تشريف » هى فى ط ، س : « شرف » وأثبت ما فى ل .

(٤) بديل بن ورقاء : صحابى ، ترجم له ابن حجر فى الإصابة ١ : ١٤٦ وكان من الرجال البارزين فى يوم الفتح وبعده . انظر سيرة ابن هشام . والمعروف فى كتب السيرة نسبة مثل الكلمة الآتية إلى عروة بن مسعود الثقفى . جاء فى سيرة ابن هشام ، عند الكلام فى أمر الحديبية : « فخرج — يعنى — عروة بن مسعود الثقفى — حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بين يديه ، ثم قال : يامحمد ! أجمعت أوشاب الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم ؟ ! إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمور ، يعاهدون الله لاتدخلها عليهم عنوة أبدا ! وايم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا . قال : وأبو بكر الصديق خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد ، فقال : امصص بظر اللات ! أنحن ننكشف عنه ؟ ! قال : من هذا يامحمد ؟ قال : هذا ابن أبى قحافة . قال : أما والله لولا يد كانت لك عندى لكافأتك بها ، ولكن هذه بها ! » . وقد نقل هذا الكلام عنه ابن سيد الناس ٢ : ١١٦ وكذلك ابن كثير فى البداية والنهاية . وانظر رسائل الجاحظ ٢ : ٩٣ .

(٥) الوخز : الطعن الخفيف الضعيف . وفى ل : « حر » .

وقد رووْا مرفوعاً قوله : « مَنْ يُعْذِرُنى من [ابن] أمّ سباع[١] مُقَطِّعَة البُظور ؟ » .

(لكلٍّ مقام مقال)

ولو كان ذلك الموضعُ موضعَ كناية هى المستعملة . وبعد فلو لم يكن لهذه الألفاظِ مواضعُ استعملها أهلُ هذه اللُّغة وكان الرأىُ ألَّا يُلفَظَ بها ، لم يَكُنْ لأوَّل كونها معنًى إلّا على وجه الخطإ ، ولكان فى الحزْم والصَّوْنِ لهذه اللُّغة أنْ تُرْفَعَ هذه الأسماء منها .

وقد أصاب كلَّ الصَّوابِ الذى قال : « لِكُلِّ مَقَامٍ مَقال[٢] » .

(صورٌ من الوقار المتكلّف)

ولقد دخل علينا فتًى حَدَثٌ كان قَدْ وقَعَ إلى أصحاب عبد الواحد ابن زيد[٣] ونحنُ عند مُوسى بن عِمْران ، فدارَ الحديثُ إلى أن قال الفتى : ١٣ أفطرتُ البارحةَ على رغيفٍ وزيتونة [ونصف، أو زيتونَة وثلث، أو زيتونَة وثُلُثَى زيتونة، أو ما أشبه ذلك . بل أقول : أكلت زيتونَة]، وما علم الله من

---

(١) يقال : أعذره منه : أمكنه . وتروى مثل هذه الكلمة منسوبة إلى حمزة بن عبد المطلب . انظر مفاخرة الجوارى والغلمان وسيرة ابن هشام ٥٦٣ — ٥٦٤ جوتنجن وتاريخ الطبرى القسم الأول ص ١٤٠٥ . وسباع هذا هو ابن عبد العزى الغبشانى . وفى س : « سياع » مصحفة . وقد قتله حمزة بن عبد المطلب يوم أحد . السيرة ٦١١ وكانت أمه ختانة بمكة . السيرة ٥٦٣ .

(٢) انظر المثل فى كتاب الميدانى (٢ : ١٣٢) .

(٣) عبد الواحد بن زيد البصرى الزاهد ، كان شيخا للصوفية ، وكان من أهل الحديث ، =

أخرى[١] ، فقال موسى : إنَّ مِن الورع ما يُبغِضُه الله ، عِلِمَ الله ؛ وأظُنُّ ورَعَكَ هذا من ذلك الورع .

وكان العُتْبى[٢] ربّما قال : فقال لى المأمون كذا وكذا ، حينَ صارَ النَّجْمُ على قِمَّة الرأس ، أو حينَ جازَنِى[٣] شيئاً ، أو قبل[٤] أن يوازىَ[٥] هامتى . هكذا هو عندى ، وفى أغلَبِ ظنِّى ، وأكرَهُ أنْ أجزِمَ على شىء وهُوَ كما قلت إن شاء الله تعالى ، وقريباً ممّا نقلت . فيتوقف فى الوقتِ الذى ليسَ من الحديث فى شىء . وذلك الحديث إن كان مَعَ طلوعِ الشمسِ لم يَزِدْه ذلك خيراً ، وإن كان مَعَ غروبها لم ينقُصه ذلك شيئاً ؛ هذا ولعلَّ الحديثَ فى نفسه لم يكُنْ قَطُّ ولم يَصلْ هو فى تلك الليلة ألبتّة . وهو مع ذلك زعم أنّه دخَل على أصحابِ الكهف فعَرَف عَدَدَهم ، وكانت عليهم ثيابٌ سَبَنيّة[٦] وكلبهم مُمَعَّط الجلد. وقد قال الله عزَّ وجلّ لنبيّه صلى الله عليه وسلم : ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ .

= قال حصين بن القاسم : لو قسم حديث عبد الواحد على أهل البصرة لوسعهم . ولكنه كان متهما فى حفظه ، كثير الوهم . لسان الميزان (٤ : ٨٠) . وقد ذكره ابن النديم فى الفهرست ٢٦٠ مصر ١٨٣ ليبسك ، ضمن العباد والزهاد . وانظر خبرين من أخبار أصحابه فى البيان (٣ : ١٧١ ، ٢٨٦) .

(١) أى من ريتونة أخرى . وهذه الكلمة هى فى ط : « أمرى » محرفة صوابها فى س ، ل .

(٢) العتبى هو محمد بن عبد الله . سبقت ترجمته فى الجزء الأول ص ٥٤ . وفى ل : « القينى » محرفة ، صوابها فى س ، ط .

(٣) ط : « جازنى » ، والوجه ماأثبت من ل ، س .

(٤) ل : « قبيل » .

(٥) ط : « يوارى » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٦) ثياب سبنية : نسبة إلى سبن ، بالتحريك ، وهو موضع لم يعينه ياقوت . =

(بعض نوادر الشعر)

وسنذكرُ من نوادرِ الشِّعر جملةً ، فإن نشطت لحفظِها فاحفَظها ؛ فإنّها من أشعار المذاكرة . قال الثَّقفى[1] :

مَنْ كَانَ ذَا عَضُدٍ يُدرِكْ ظُلاَمَتَهُ
إن الذَّليلَ الَّذِى لَيْسَت لَهُ عضُد

تَنْبُو يَدَاهُ إذَا مَا قــلَّ نَاصِرُهُ
ويَأنف الضَّيمَ إنْ أثْرى لَهُ عَدَدُ[2]

وقال أبو قيس بن الأسلت[3] :

= والفيروزبادى جعله قرية ببغداد . وأما صفة الثياب فقد اختلف اللغويون فيها ، فن قائل إنها القسية ، أى الثياب صنعت من كتان مخلوط بحرير . ومن قائل إنها ضرب من الثياب يتخذ من مشاقة الكتان أغلظ مايكون . وهذا المعنى الأخير هو المناسب للكلام . وهذه الكلمة هى فى ط ، س: « الشثنية » تحريف ماأثبت من ل .

(١) الثقفى هذا ، هو الأجرد الثقفى كما فى الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٧١٢ . وهو من الشعراء الذين وفدوا على عبد الملك بن مروان . والبيتان الآتيان رواهما الجاحظ فى البيان ١ : ٦٧ ، ٣ : ٢٢٥ وكذا ابن قتيبة فى عيون الأخبار ٣ : ٢ .

(٢) ط : « وتأنف » وتصحيحه من ل ، س : والبيان وعيون الأخبار . وأثرى عدده : كثر عدد قبيله أو أنصاره .

(٣) أبو قيس ، قال صاحب الأغانى ١٥ : ١٥٤ : لم يقع إلى اسمه . والأسلت لقب أبيه ، واسمه عامر بن جشم ، ينتهى نسبه إلى الأوس . وأبو قيس شاعر من شعراء الجاهلية . قال هشام بن الكلبى : كانت الأوس قد أسندوا أمرهم فى يوم بعاث إلى أبى قيس بن الأسلت ، فقام فى حربهم وآثرها على كل أمر حتى شحب وتغير ، ولبث أشهرا لايقرب امرأته . ثم إنه جاء ليلة فدق على امرأته ففتحت له ، فأهوى إليها بيده فدفعته وأنكرته ، فقال : أنا أبو قيس ! فقالت : والله ماعرفتك حتى تكلمت ! فقال فى ذلك أبو قيس ، القصيدة التى أولها : =

بزُّ امرئٍ(١) مُسْتَبْسِلٍ حَاذِرٍ(٢) للدَّهر ، جِلْدٍ غيرِ مِجْزَاعِ
الكَيْسُ(٣) والقُوَّةُ خيرٌ مِنَ الـ إِشْفَاقِ(٤) والفهةِ والهَاعِ(٥)

وقال عَبْدَةُ بنُ الطَّبيب :

رَبٌّ حَبَانَا بأَمْوَالٍ مُخَوَّلةٍ وكلُّ شيءٍ حَبَاهُ اللهُ تَخويلُ
والمرءُ ساعٍ لأمرٍ لَيْسَ يُدْرِكه والعيْشُ شُحٌّ وإشْفَاقٌ وَتأمِيلُ

وكان عمرُ بنُ الخطَّاب ــ رضى الله تعالى عنه ــ يردِّد هذا النصف الآخرَ ، ويَعجَبُ مِنْ جَودَة ماقَسَم(٦) .

= قالت ولم تقصد لقيل الخنا مهلا فقد أبلغت أسماعى
استنكرت لوناً له شاحباً والحرب غول ذات أوجاع

قلت : والقصيدة من المفضليات ص ٢٨٤ ومنها البيتان المذكوران . وأما ابن حجر فى الإصابة (٩٣٥ من باب الكنى) فقال : « مختلف فى اسمه : فقيل صيفى ، وقيل الحارث ، وقيل عبد الله ، وقيل صرمة . واختلف فى إسلامه » . وانظر الخزانة ٣ : ٢٧٥ — ٣٧٨ .

(١) البز : السلاح ومثلها البزة . وجاءت الرواية فى ط ، س : « إنى امرؤ » وأثبت رواية ل . وهى الموافقة لما فى المفضليات .

(٢) الحاذر : المتأهب الشاكى السلاح ، وجاء مثل هذا فى قول القائل :

وَبِزَّةٍ فَوْقَ كَمِيٍّ حاذِرٍ وَنَثْرَةٍ سَلَبْتُها عَن عامِرِ

وجاء فى ط : « حازر » بالزاى ، وهو تحريف صوابه فى س ، ل ، والمفضليات .

(٣) رواية المفضليات : « الحزم » .

(٤) رواية المفضليات : « الإدهان » . والإدهان : اللين . والإشفاق : الخوف .

(٥) الفهة : العى . وجاء فى ط ، س : « القمية » وهى إن صحت فى اللغة كان معناها الذلة . وقد أثبت رواية ل . ورواية المفضليات : « الفكة » والفكة : استرخاء الرأى . والهاع : سوء الحرص مع الضعف . وهذه هى رواية ل ، والمفضليات . وفى ط ، س : « العاع » وجاء فى اللسان والقاموس : عيع بالتشديد ، بمعنى عىّ . ولم ترد فيهما لفظة « العاع » .

(٦) انظر العقد ٣ : ٣٨٧ والبيان ١ : ٢٤٠ — ٢٤١ والصناعتين ٣٣١ .

وقال المتلمِّس :

وأعْلَمُ علمَ حَقٍّ غـيْرَ ظَنٍّ　　وتَقْوَى اللهِ مِنْ خيْرِ العَتَاد

لِحَفْظُ المَـال أيسر من بُغاهُ[1]　　وضربٍ فى البِلادِ بِغَيْرِ زَادِ

وإصْلَاحُ القَليلِ يزيدُ فيه　　ولا يَبْقَى الكثيرُ مَعَ الفَسادِ　　١٤

وقَال آخر :

وحِفْظُكَ[2] مَالًا قَدْ عُنِيتَ بجمعهِ

أَشَدُّ من الجمْعِ[3] الذى أَنت طالبُه

وقال حُميد بن ثَور الهِلالىّ :

أتشْغَلُ عنَّا يَابْنَ[4] عمٍّ فلن[5] ترى

أخا[6] البخلِ إلَّا[7] سوف يعتلُّ بالشغلِ

وقال ابن أحمر :

هذا الثناء وأَجْدِرْ أنْ أصاحبه　　وقد يدوِّم رِيقَ الطامِعِ الأملُ[8]

---

(١) يقال : بغى الشىء يبغيه بغاء وبغى وبغية ، بضمهن . وماأثبت هو مافى س . وفى ل : « خير من بغاة » ، وهى رواية البحترى فى حماسته ص ٣٤٣ . وفى ط : « أيسر من فناه » وهذه رواية العقد ٢ : ٤١ . وفناه : فناؤه ، وقصر لضرورة الشعر ، ومثل هذه الرواية فى المعنى رواية البغدادى فى الخزانة ٣ : ٧٢ :

* لحفظ المال خير من ضياع *

وقد خصص البحترى الباب الثلاثين والمائة لما قيل فى إصلاح المال وحفظه .

(٢) الرواية فى س : « حفظك » بخرم البيت .

(٣) ط ، س : « المال » والوجه ماأثبت من ل ، والبخلاء ١٤٢ . قال الجاحظ : « وقد قضوا بأن حفظ المال أشد من جمعه » وأنشد البيت .

(٤) ل : « بابن » ولعل الوجه ماأثبت من ط ، س . وهو الأشبه بقول الشعراء .

(٥) ط ، ل : « فلا » .

(٦) ط ، س : « من » ، والوجه ماأثبت من ل .

(٧) ط : « لا » وتصحيحه من س ، ل . وفى ط ، س : « سوف تعتل » وتصحيحه من ل .

(٨) « الثناء » جاءت فى ط ، س : « الشقاء » وهو تحريف صوابه من ل =

وقال ابن مقبل :

هَلِ الدَّهرُ إلَّا تَارَتَان ، فمِنهما
أموت وأُخرَى أبْتَغِي العَيْشَ أكْدَحُ[1]

وكلتاهما قــد خُطَّ لى فى صحيفة
فلا الَمْوتُ أهْوَى لى ولا العيش أروحُ[2]

وقال عمرو بن هند :

وإن الذى ينْهاكمُ عن طلابِها يُناغى نِساءَ الحيِّ فى طُرَّةِ البُردِ[3]

يُعَلِّلُ والأيَّامُ تنقُصُ عُمْـــرَه[4]
كما تنقَصُ[5] النِّيران[6] من طرف الزَّند

= والبيان ١ : ١٨٠ واللسان (مادة دوم) . وجاء فى س : « فأجدر » . وكلمة « أصاحبه » هى فى الأصل « صاحبه » محرفة ، وتصحيحها من البيان واللسان . قال ابن برى فى هذا البيت : « يقول : هذا ثنائى على النعمان بن بشير ، وأجدر أن أصاحبه ولا أفارقه . وأملى له يبقى ثنائى عليه ، ويدوم ريّق فى فى بالثناء عليه » .

(١) الرواية المشهورة فى البيت : « وما الدهر » . انظر ديوان ابن مقبل ٢٤ و الكامل ٥٣٨ ليبسك وحماسة البحترى ١٨٣ وكتاب سيبويه ١ : ٣٧٦ . واستشهد به المبرد وسيبويه على حذف الاسم لدلالة الصفة عليه . وتقدير الكلام : فمنهما تارة أموت فيها .

(٢) هذا البيت من ل . وروى فى حماسة البحـــترى : « فلا الموت أهواه » وما هنا أوفق .

(٣) طرة الشعر والثوب : طرفه .

(٤) ط ، س : « نعلل والأيام تنقص عمرنا » ، وأثبت مافى ل ، والبيان ٣ : ٣٤ وما سيأتى فى ص ٤٧٩ .

(٥) ش : « تنقص » وله وجه . س : « تنقض » وليس بشىء .

(٦) ط : « الأيام » وهو تحريف ماأثبت من س ، ل ، والبيان .

وقال أُمَيَّة — إن كان قالها [١] — :

رُبَّما تَجزَعُ النُّفُوس مِنَ الأَمْـ ... ـرِ لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ العِقَال

(شعر فى الغزل)

وقال آخر [٢] :

رَمَتْنِي وَسِتْرُ اللهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... عَشِيَّةَ آرَامِ الكِنَاسِ رَمِيمُ [٣]

أَلاَ رُبَّ يومٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمَيْتُهَا ... ولكِنَّ عَهْدِي بالنِّضَالِ قَدِيمُ [٤]

رَمِيمُ الَّتِي قالتْ لجَارَاتِ بَيْتِهَا ... ضَمِنْتُ لَكُمْ أَنْ لاَيَزَالَ يَهِيمُ [٥]

وقال آخر :

لم أَعْطُهَا بِيَدِي إِذْ بِتُّ أَرْشُفُهَا ... إلاَّ تطاوَلَ غُصْنُ الجِيدِ للجِيدِ [٦]

---

(١) ل : « قاله » . وانظر اللسان (فرج) .

(٢) هو أبو حية النميرى كما فى الكامل ١٩ ليبسك والحماسة (٢ : ١١٠) . وانظر البيان ١ : ٦٨ و ٣ : ٣٢٤ .

(٣) يقول : رمتنى بطرفها . وعنى بستر الله ، الإسلام ، أو الشيب . وآرام الكناس ، روى فيها : « بأحجار الكناس » وهو اسم موضع . انظر الكامل واللسان (كنس) . ورواية الحماسة : « ونحن بأكناف الحجاز » . ورميم هى خليلته .

(٤) قال المبرد فى شرح هذا البيت : « لو كنت شابا لرميت كما رميت ، وفتنت كما فتنت ، ولكن قد تطاول عهدى بالشباب ! » .

(٥) هذا البيت ساقط من ل . ويصح فى « أن » أن تكون ناصبة أو مخففة من الثقيلة يرفع بعدها الفعل .

(٦) فى اللسان : عطا الشىء يعطوه : إذا أخذه وتناوله .

كما تَطَاعَمَ فى خَضْرَاءَ نَاعِمَةٍ مطوَّقَانِ أصَاخَا بعد تغريدِ[١]

فإنْ سَمِعتَ بهلْكٍ للبَخيلِ فقُلْ بُعداً وسُحْقاً له مِنْ هَالكٍ مُودِى

(شعر فى الحِكَم)

وقال أبو الأسود الدؤلىّ[٢] :

المرءُ يَسْعَى ثمَّ يُدْرِكُ مَجْدُهُ حَتَّى يُزَيَّنَ بالَّذِى لم يَفْعَلِ[٣]

١٥ وتَرَى الشقىَّ إذا تكامَلَ غَيُّه[٤] يُرْمى ويقْذَفُ بالَّذِى لم يَعْمَلِ

[وقال دريد :

رئيسُ حروب لا يزال ربيئةً مشيحاً على محقوقف الصُّلب مُلْبَدِ[٥]

صَبور على رزء المصائب حافظٌ من اليوم أعقاب الأحاديث فى غدِ[٦]

وهَوَّن وجدى أنني لم أقل له كذَبتَ ولم أبخَلْ بما ملكتْ يدى]

---

(١) خضراء ، عنى بها شجرة أو أيكة . والناعمة : الخضراء الناضرة . نعم العود : اخضر ونضر . والمطوقان : حامتان مطوقتان . وتطاعمهما : أن يدخل الذكر فه فى فم أنثاه . وفى ط ، ل : « مطوقات أصاخت » ، والوجه ما أثبت من ل ، واللسان (طعم) .

(٢) الدؤلى : نسبة إلى الدئل بضم الدال وكسر الهمزة ، وهو أبو قبيلة من الهون ابن خزيمة . يقال فى النسبة إليه دؤلى ودولىّ بفتح عينهما ، وديلى بكسر الدال ، ودئلى بكسرتين . وجاء فى س « الديلى » . وأبو الأسود هو ظالم بن عمرو ابن جندل بن سفيان بن كنانة . كان عاقلا ، حازما ، بخيلا . وهو أول من وضع العربية . وكان شاعرا مجيدا ، وشهد صفين مع على ، وولى البصرة لابن عباس ومات بها — وقد أسن — سنة تسع وستين .

(٣) مجده فاعل يدرك ، أى يتكامل مجده ويتم . من أدرك الثمر .

(٤) ل : « عيبه » .

(٥) يقال احقوقف ظهر البعير والفرس : إذا طال واعوج ، وعنى بالمحقوقف فرسه . الملبد : الفرس قد شد عليه اللبد .

(٦) الرواية فى الحماسة : « قليل التشكى للمصيبات حافظ » . والأبيات من قصيدة يرثى بها دريد أخاه عبد الله بن الصمة ، روى بعضها أبو تمام فى الحماسة (١ : ٣٣٦ — ٣٤٠) .

وقال سعيدُ بن عبد الرحمن[١] :

وإنَّ امرأً يُمسى ويُصْبِحُ سَالِمًا مِنَ النَّاس إلاَّ ما جَنَى لَسَعِيدُ[٢]

(شعر فى الزهد)

وقال أكثمُ بنُ صيفىّ :

نُربِّى ويَهْـلِكَ آباؤنَا وبَيْنَـا نُرَبِّى بَنِينَا فَنِينَـا

وقَال بعضُ المحدَثين :

فالآنَ أَسْمحْتُ للخطوبِ فَلاَ يُلْفَى فُؤادِى مِنْ حَادِثٍ يَجِبُ[٣]

قَلَّبنى الدَّهرُ فى قوالبـه وكُلُّ شىءٍ ليومِـه سَبَبُ

وقال آخر[٤] :

لِدُوا للمَوْتِ وابْنُوا للخَرَابِ فَكُلُّكُمُ يَصِـيرُ إلى ذَهاب[٥]

ألاَ ياموتُ لم أَرَ مِنْكَ بُدًّا أَبيتَ فما تَحيفُ ولا تُحَابى[٦]

كأنَّكَ قَدْ هجمت على مَشيبى كما هَجَمَ المشيب عَلَى شبابى[٧]

---

(١) هذا مافى ل ، ومثله فى الحيوان ١ : ٢٤ ونهاية الجزء الثانى من البيان . وفى س ، ط : « وقال آخر » . وجاء فى عيون الأخبار (٢ : ١٢) : « وقال حسان : قلت شعرا لم أقل مثله » . وأنشد البيت .

(٢) إلا ماجنى ، يريد إلا جزاء ماجنى . وجاءت هذه الكلمة فى س : « عنى » وفى ط : « جنا » وهما تحريف ما أثبت من ل والبيان وعيون الأخبار .

(٣) أسمح للخطوب : لان وانقاد ، وهو عبارة عن التحمل والصبر . ووجب القلب وجبا ووجيبا ووجبانًا : خفق .

(٤) هو أبو نواس ، والأبيات من ثلاثة عشر بيتاً فى ديوانه ص ٢٠٠ . ونسبت فى الأغانى ٣ : ١٥٥ إلى أبى العتاهية . وهى فى ديوان أبى العتاهية أيضا ص ٢٣ — ٢٤ .

(٥) الرواية فى ط ، س : « وكلكم يصير إلى التراب » وأثبت ما فى ل والديوان ، وهو الموافق لما فى محاضرات الراغب (٢ : ٢٢٤) .

(٦) حاف يحيف : جار وظلم . وفى ط ، س « تخيف » وهو تصحيف مافى ل . وفى الديوان : « قسوت فما تكف وما تحابى » .

(٧) ط والديوان : « على الشباب » وفى الديوان أيضاً : « هجمت على حياتى » .

وقال آخر [١] :

يانفس خوضى بحارَ العِلمِ أوغوصى ... فالنّاس مِنْ بَيْنِ مَعْمومٍ ومَخْصوصِ [٢]

لاشيء فى هــذه الدنيا يُحاط به ... إلاّ إحَاطَــةَ مَنقوص بمنقــوصِ

(شعر فى التشبيه)

وأنشدنا للأحيمر [٣] :

بأقَبَّ منْطَلِقِ اللَّبــانِ كأنّه ... سِيد تَنَصَّل من حُجور سَعالى [٤]

وقال الآخر [٥] :

أراقب [٦] لحاً من سهيلٍ كأنّه ... إذَا مابَدَامِنْ دُجْيَة اللّيل يطرفُ [٧]

وقالوا [٨] قال خلفٌ الأحمر : لم أرَ أجمَعَ مِن بيتٍ لأمرئ القيس ، وهو قوله :

---

(١) ط ، س : « وقال منهم آخر » والوجه حذف « منهم » كما فى ل . وجاء فى أدب الدنيا والدين ص ٢١ ، « وأنشد الرشيد عن المهدى بيتين وقال : أظنهما له » ثم روى البيتين .

(٢) ط : « بين مغموم » وصوابه فى س ، ل وأدب الدنيا والدين .

(٣) ط ، س « وأنشد الأحيمر » وما أثبت من ل .

(٤) الأقب : الضامر البطن ، عنى به فرسا . اللبان ، بالفتح : الصدر ، وأراد بانطلاق اللبان انبساطه واستواءه . وفى الأصل : « منطلق اللسان » بمعنى زلق فصيح وليس يكون ذلك . والسيد ، بالكسر : الذئب . تنصل من حجور السعالى : خرج منها . والسعلاة — فيما يزعم العرب — : الغول . يقول : كأنه ذئب خبيث فهو سريع العدو . جاء فى ل : « تنصل فى » .

(٥) هو جران العود . والبيت من قصيدة مثبتة فى ديوانه ١٣ — ٢٤ .

(٦) هذا مافى ل والبيان (٣ : ٤٠) وهو صواب الرواية . وفى ط ، س « يراقب »

(٧) الرواية فى الديوان ص ١٤ وكذا فى ل : « من آخر الليل » . والدجية ، بالضم : الظلمة وجمعها دجى . ويطرف : أى كما تطرف العين .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من ل .

أفادَ وجَادَ وسَادَ وزَادَ　　وقاد وذاد وعادَ وأفضلِ[1]

ولاَ أجمعَ مِنْ قوله[2] :

لهُ أَيْطَلاَ ظَبْيٍ وسَاقَا نَعَامَةٍ　　وإرخاءُ سِرْحَانٍ وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ

وقالوا : ولم نر[3] فى التشبيه كقوله ، حينَ شبَّه شيئين بشيئين فى حالَتين مختلفين فى بيتٍ واحدٍ ، وهو قوله : ١٦

كأنَ قلوبَ الطَّيرِ رَطْباً ويَابساً　　لدَى وكْرِهَا العُنَّابُ وَالحَشَفُ البَالِي

(قطعة من أشعار النساء)

وسنذكرُ قِطعةً من أشعارِ النساء . قالتْ أعرابيَّة[4] :

رَأَتْ نِضْوَ أَسْفارٍ أُميمَةُ شاحباً　　على نِضْوِ أسفارٍ فجنَّ جُنُونُها

فقالتْ : مِنَ أىِّ الناس أنتَ ، ومَنْ تَكُنْ

فإنَّكَ مَوْلى فِرْقَةٍ لا تَزِينُها

(١) كذا فى ل ومثله عند العكبرى ٢ : ٧٢ . وجاء فى ط ، س :

أفاد وجاد وساد وقاد　　وعاد وزاد وذاد وأفضل

وقد جرى على طريقة امرئ القيس أبو العميثل الأعرابى فقال :

اصدق وعف وبر واصبر واحتمل　　واصفح ودار وكاف وابذل واشجع

ثم المتنبى فى قوله :

أقل أنل اقطع احمل علّ سلّ أعد　　زد هشّ بشّ تفضل ادنُ سرّ صل

انظر الوساطة ٢٥٣ والعكبرى .

(٢) كذا فى ل وفى ط ، س : « وقالوا : وقال خلف الأحمر : لم أر أجمع من بيت امرئ القيس » .

(٣) س : « يرى » .

(٤) كذا . والشعر كما ترى ، ينطق بأن قائله رجل .

(٥) الفرقة ، بالكسر : الجماعة . ط ، س : « وقرينها » صوابه فى ل ونقد الشعر ٧٣ واللسان (ضحا ٢١٢) حيث أنشد خمسة أبيات .

وقالت امرأةٌ من خثعم :

فإنْ تسـألونى مَنْ أُحِبُّ فإنَّنِي

أُحِبُّ ، وبَيتِ الله ، كَعْبَ بْنَ طارقِ

أحبُّ الفتَى الجَعْدَ السَّلولِيَّ ناضلا[1] على النَّاس مُعتاداً لضَرْبِ المَفارقِ

وقالت أخرى :

وما أحسَنَ الدُّنيا وفى الدَّارِ خالدٌ وأَقبَحَها لَمَّا تجهـزَ غاديا

وقالت أُمُّ فَروة[2] الغطَفانيَّة :

فمـا ماءُ مزْنٍ أىُّ ماءٍ تقولُهُ تحَدَّرَ مِنْ غُرٍّ طِوَالَ الذَّوَائب[3]

بمُنْعَرَجٍ أو بَطْنِ وَادٍ تحدَّرَتْ عليه رِياحُ الصَّيفِ مِن كلِّ جانبِ[4]

نَفَى نَسَمُ الرِّيحِ القَذَا عنْ متونِه فما إنْ بِهِ عَيبٌ يكونُ لعائبِ[5]

بأطْيبَ مِمَّن يقصُرُ الطَّرْفَ دُونَه تُقَى اللهِ واستحياءُ بعْضِ العَواقب

---

(١) يقال نضله ، إذا غلبه فى الرمى . وجاء فى ل : « فاضلا » وأثبت ما فى ط ، س .

(٢) كذا فى س والجزء الخامس من الحيوان ص ١٤٢ . وفى ط « أم فرق » وفى ل : « امرأة فروة » . والشعر الآتى قد نسب فى زهر الآداب (١ : ١٦٧) إلى عاتكة المرية فى ابن عم لها راودها عن نفسها . وفى أمالى القالى (٢ : ٨٧) شعر لمن تدعى زينب بنت فروة المرية ، تقوله فى ابن عم لها يقال له المغيرة .

(٣) رواية زهر الآداب : « وما طعم ماء أى ماء تقوله » . وعنى بالغر السحائب ، وبذوائبها أطرافها .

(٤) رواية زهر الآداب : « بمنعرج من بطن واد تقابلت » وفى الجزء الخامس من الحيوان : « تحدبت » موضع « تحدرت » ، و « المزن » مكان « الصيف » .

(٥) زهر الآداب : « نفت جرية الماء » . وفيه وفى الجزء الخامس : « تراه لشارب » .

وقال بعضُ العُشاقِ[١] :

وأنتِ التى كلَّفتِنِي[٢] دَلَجَ السُّرَى ... وجُونُ القَطَا بالجَلْهَتَينِ جُثُومُ[٣]

وأنتِ التى أوْرَثتِ قلبى حَرارةً ... وقرَّحتِ قرحَ القَلب وهو كليم[٤]

وأنتِ التى أسخطت قومى[٥] فكلُّهُمْ ... بَعِيدُ الرِّضَا دَانِى الصُّدُودِ كَظِيمُ[٦]

فقالت المعشوقة :

وأنتَ الَّذِى أخْلَفْتَنِي ما وَعَدْتَنِي ... وأشمتَّ بى مَنْ كان فِيكَ يَلومُ

وأبرَزتَنى للنَّاسِ حتَّى[٧] تركْتَنى ... لَهُمْ غَرَضاً أُرْمى وأنتَ سَلِيمُ

فلوْ أنَّ قَوْلاً يكلِمُ الجسْمَ قد بَدَا ... بجِلْدِىَ مِنْ قَوْل الوُشاة كُلومُ

وقال آخر[٨] :

شهدْتُ وبَيتِ اللهِ أنَّكِ غادةٌ ... رَدَاحٌ وأنَّ الوجهَ مِنكِ عَتيقُ[٩] ١٧

وأنَّكِ لا تجزِينِي بمودَّةٍ ... ولا أنا للهجْرانِ مِنكِ مُطيقُ

---

(١) هو ابن الدمينة ، وكان قد هوى امرأة من قومه يقال لها « أميمة » فهام بها مدة فلما وصلته تجنى عليها وجعل ينقطع عنها ، ثم زارها ذات يوم فتعاتبا طويلا ، وتحدثا بالشعر الآتى . انظر معاهد التنصيص ١ : ٥٨ والحماسة ٢ : ١٤٦ وديوان ابن الدمينة ٣٦ — ٣٧ . والأبيات الثانية فى البيان ٣ : ٣٧٠ والأغانى ١٥ : ١٤٨ .

(٢) ط ، س : « كلفنى » وتصحيحه من ل والمراجع المتقدمة .

(٣) عنى بالجلهتين ناحيتى الوادى . وفى س : « بالجبهتين » وهو محرف .

(٤) فى الحماسة والديوان : « قطعت قلبى حزازة » والحزازة : الوجد . وفيهما أيضا « وقرقت » مكان : « وقرحت » والوجه فيها « قرفت » بقاف ثم فاء ، يقال قرف الجرح وقرفه : قشره ولما يبرأ . وجاء فى المعاهد : « ومزقت » وفى المعاهد والحماسة : « فهو كليم » وفى الديوان : « فهو سقيم » .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أحفظت قلبى » وهو تحريف . والرواية فى المعاهد والحماسة والديوان : « أحفظت قومى » . وأحفظه : أغضبه .

(٦) الكظيم : المكظوم ، وهو من امتلأ جوفه بالغضب .

(٧) الرواية فى جميع المصادر المتقدمة : « ثم » .

(٨) هو قيس لبنى ، كما فى تزيين الأسواق ٤٩ .

(٩) الرداح ، كسحاب : الثقيلة الأوراك . والعتيق : الجميل الرائع .

فأجابته :

شَهِــدْت وبيتِ اللهِ أنَّكَ باردُ الـ ـثَّنَايا وأنَّ الخصْرَ مِنكَ رَقيقُ[١]
وأنَّكَ مَشْبُوح الذِّرَاعين خَلجَمٌ[٢] وأنَّك إذْ تخْـلو بهنَّ رفيق[٣]

(شعر مختار)

[وقال آخر :

الله يعــلم يا مغــيرة أننى قد دُستها دَوس الحصان الهيكل
فأخذتها أخْــذَ المقصِّب شــاتَهُ عَجلانَ يَشـوِيها لقومٍ نُزَّلِ[٤]]

وقال كعبُ بنُ سعدٍ الغَنَوىّ[٥] :

وحَدَّثتمانى أنَّمــا الموتُ بالقُرَى فـكَيفَ وهاتَا هَضْبَةٌ وقَلِيبُ

---

(١) كذا فى ط ، س . وفى ل والبيان ٢ : ٣٥١ : « وأن الكشح منك لطيف » وما أثبت هو الأشبه ؛ إذ أنه الملائم للمجاوبة .

(٢) مشبوح الذراعين : طويلهما ، وقيل عريضهما . الخلجم : الجسيم العظيم . وفى ط ، س : « حلجم » وهو تصحيف ما كتبت من ل والبيان .

(٣) فى ل ، والبيان : « عفيف » وانظر التنبيه الأول .

(٤) المقصب : القصاب . والشعر للعجاج ، كما فى اللسان (فتخ) .

(٥) كعب بن سعد الغنوى شاعر إسلامى ، وهو أحد بنى سالم بن عبيد بن سعد ابن عوف بن كعب بن جلان بن غنم بن غنى بن أعصر . كذا قال أبو عبيد البكرى فى شرح أمالى القالى فى موضعين منه . وقد راجعت كتب الصحابة وكتاب الشعراء لابن قتيبة وكتاب الأغانى وغيرها فلم أجد ترجمته فى أحدها إلا ما قاله أبو عبيد المذكور ، والظاهر أنه تابعى . خزانة الأدب (٣ : ٦٢١ بولاق) . والأبيات الآتية من مرثية له طويلة رواها ابن الشجرى فى مختارات أشعار العرب (٢٧ — ٣٠) والقالى فى أماليه (٢ : ١٤٨ — ١٥١) يرثى بها أخاه أبا المغوار ، واسمه هرم أو شبيب . وفى أمالى القالى أن بعض الناس يروى هذه القصيدة لـكعب ، وبعضهم يرويها بأسرها لسهم الغنوى ، وهو من قومه وليس بأخيه ، وبعضهم يروى شيئا منها لسهم .

وماءُ سماءٍ[١] كانَ غيرَ مَحَمَّةٍ[٢] ... بِبَرِّيَّةٍ تَجْرِى عَلَيـهِ جنوبُ[٣]
ومنزلة فى دارِ صدقٍ[٤] وغِبطةٍ ... وما اقْتالَ فى حُـكْمٍ علىَّ طَبيبُ[٥]

وقال دُرَيد بن الصِّمَّة :

رئيسُ حُـــروبٍ لا يزالُ رَبيئَـةً ... مشيح على مُحْقوقفِ الصُّلبِ مُلْبِدِ[٦]
صـــبورٌ على رُزْء المصائبِ حافظٌ ... مِنَ اليَومِ أعقابَ الأحاديثِ فى غَدِ
وهَوَّنَ وَجـــدى أننى لم أقلْ لَهُ ... كَذَبْتَ ولم أَبْخَلْ بما مَلَـكَت يَدى

(قطع من البديع)

وقطعةٌ من البَديع قوله[٧] :

إذا حَدَاها صاحِبِى ورَجَّعا ... وصاحَ فى آثارِها فأسْمَعـا

---

(١) ط : « وما وسماع » : س : « وما وسماع » وصوابه من ل ولسان العرب (قول) .
(٢) المجمة : مكان جموم الماء ، أى كثرته . والمحمة بالحاء : المكان تكثر فيه الحمى . جاء فى ط ، س : « بين مجمة » ، وأثبت ما فى ل ، ولسان العرب (قول) .
(٣) ريح الجنوب معها الخير والمطر والتلقيح . انظر اللسان (جنب) . قال ابن الأعرابى : الجنوب فى كل موضع حارة إلا بنجد فإنها باردة . جاء فى ط ، س : « بلدى شربة » مكان « ببرية » التى أثبتها من ل ، واللسان .
(٤) كذا فى ط ، س : واللسان . وفى ل : « أمن » .
(٥) اقتال : تحكم . وجاءت هذه الكلمة فى ل : « افتال » وفى س : « افتاك » وصواب تحريفهما من اللسان (قول) . وجاء فى ط : « افتات » وهى صحيحة ، فى معنى : « اقتال » . وكلمة « فى » هى فى كل من س ، ل ولسان العرب : « من » . وقد عنى بالكلام أن أخاه لم يمرض فيحتاج إلى الطبيب .
(٦) « محقوقف » هى فى الأصل : « محرورف » وليس لهذه وجه . وقد سبق الكلام فى هذه الأبيات وشرحها ص ٥٠ .
(٧) ط ، س : « قولهم » ، وأثبت ما فى ل .

يتبعْن[١] منهن جُــلالاً أتلعا[٢] أدمك فى ماء المهاوى مُنْقعَا[٣]

وقال الراجزُ فى البديع المحمود :

قد كنت إذْ حبلُ صِباك مُدْمَش[٤] وإذْ أهاضيبُ الشباب تَبْغَشُ[٥]

ومن هذا البديع المستَحْسَن منه ، قولُ حُجْر بن خالد بن مرثد[٦] :

سمعتُ بِفِعْلِ الفاعلين فلم أجِــدْ كفِعْلِ أَبى قابوسَ حَزْماً ونائلا[٧]

يُساقُ الغَمامُ الغُرُّ من كلِّ بلدةٍ إليك فأضحى حَوْلَ بيتِك نَازِلا[٨]

---

(١) فى الأصل : « يتبعهن » وهو ظاهر التحريف . وقد عنى بكلامه الإبل .

(٢) الجلال ، بالضم : العظيم . وجاء فى ط ، س : « حلالا » مصحفة . والأتلع : الطويل العنق .

(٣) كذا جاء فى البيت فى ط ، ل . وفى س : « أرمك » وفى ل : « ماء المهارى » .

(٤) فى اللسان : « أدمج الحبل : أجاد فتله . . . وقوله : إذ ذاك إذ حبل الوصال مدمش ؛ إنما أراد : مدمج ، فأبدل الشين من الجيم لمكان الروى » . فروى البيت برواية أخرى .

(٥) الأهضوبة : الدفعة من المطر ، تجمع على أهاضيب . وتبغش : تدفع مابها من الماء . وقد كنى بقوله عن قوة الشباب ونعمته وريه . جاء فى ط ، س : « تنمش » وصوابها من ل ، والبيان ٣ : ٣٣٤ .

(٦) هو حجر بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة ، شاعر جاهلى كان معاصرا لعمرو بن كلثوم . وكان أنشد شعرا بين يدى النعمان بن المنذر ، فأحفظ عمرو بن كلثوم ، فلطمه عمرو فى مجلس الملك ، ثم اقتص منه حجر ، وأجار الملك حجرا . فقال حجر الأبيات الآتية يمدحه . انظرشرح التبريزى للحماسة ٢ : ٣٩ والحماسة ٢ : ٢٩٤ و « مرثد » هى فى ط ، س : « مزيد » وتصحيحها من ل ، والحماسة وشرحها .

(٧) أبو قابوس : كنية النعمان ، و « حزما » هى كذلك فى ط ، والحماسة . وفى ل : « فعلا » .

(٨) فى صدر هذا البيت روايات كثيرة . فيروى « فساق إلهى الغيث » ، و « فسيق إليه للغيث » ، و « فساق الإله الغيث » ، و « فسيق الغمام الغر » . وهى صورة تطلعك على ماتفعل الرواية . وكل هذا دعاء له .

فأصبحَ منه كلُّ وادٍ حللتَه
وإن كان قد خَوَّى[1] المرابيعُ[2] سائلا

فإن أنتَ تَهْلِكْ يَهْلِكِ الباعُ والنَّدَا وتُضْحِي قلوصُ الحمدِ جَرْباءَ حائلا[3]

فلا ملكٌ ما يبلغَنَّك سَعْيُهُ ولا سُوقةٌ ما يَمْدَحَنَّك باطلا[4]

١٨

باب

فى صدق الظَّنِّ وجَودة الفِراسة

قال أوس بن حجر :

[الألمعيُّ الذى يظنُّ بك الظ نَّ كأَنْ قَدْ رأى وقد سمعا

وقال عمر بن الخطّاب : « إنك لا تَنْتَفعُ بعقل الرَّجل حتّى تعرفَ صدقَ فطنته » .

---

(١) خوى النجم : سقط ولم يمطر فى نوئه ، وكان العرب يستدلون على المطر بالنجوم . انظر تفصيل ذلك فى الأزمنة والأمكنة للمرزوقى ٢ : ١٧٩ — ١٨٥ ، وبلوغ الأرب ٣ : ٢٢٩ — ٢٦١ . وفى الأصل « حوى » مصحفة .

(٢) المرابيع : النجوم التى يكون بها المطر فى أول الأنواء . ط : « المراييع » وتصحيحه من س ، ل . يقول : يسير الخير فى ركابك ، فلو انك نزلت فى مكان محروم من نعمة الغيث ، أفضت عليه من الخير مايغمره .

(٣) الباع : الشرف والكرم . قال رؤبة :

* إذا الكرام ابتدروا الباع بدر *

والقلوص : الناقة الشابة الفتية . و « الحمد » هى فى س : « الحب » محرفة وفى ل : « الحى » ، ولها وجه . وفى الحماسة : « الحرب » وهى رواية جيدة . والحائل من النوق : التى حمل عليها فلم تلقح .

(٤) للتبريزى كلام جيد فى هذا البيت .

وقال أوس بن حجر] :

مليحٌ نَجيحٌ أخو مَأْزِقٍ نِقابٌ يُحدِّث بالغائبِ[١]

وقال أبو الفضَّة ، قاتِل[٢] أحمرَ بن شميط :

فإلاَّ يَأتِكُمْ خَبَرٌ يَقِينٌ فإنَّ الظَّنَّ يَنْقُصُ أوْ يزيدُ

وقيل لأبي الهذيل : إنَّك إذا راوَغْت واعتلَلْتَ — وأنتَ تكلِّمُ النظام [وقت] — فأحْسَنُ حالاتِك أنْ يشكَّ النَّاسُ فيكَ وفيهِ ! قال : خَمْسُون شكًّا خيرٌ مِنْ يَقِينٍ واحد ! !

وقال كُثَيِّرٌ في عبدِ الملك :

رَأيتُ أبا الوَليد غَدَاةَ جَمعٍ به شَيبٌ وما فَقَدَ الشَّبابَا[٣]

فقلتُ لَهُ ، ولا أعْيا جَواباً : إذا شابتْ لِدَاتُ المَرْءِ شَابَا

ولكنْ تحتَ ذاكَ الشيبِ حَزمٌ إذا ما قال أمْرَضَ أو أصابا[٤]

وليس في جَودة الظَّنِّ بيتُ شعرٍ أحسن مِنْ بيتِ بلعاء[٥] بنِ قيس :

---

(١) أخو مأزق : أي هو حسن التخلص من المآزق . وروى : « أخو مأقط » . والنقاب : الرجل العالم بالأشياء الفطن .

(٢) ط ، س : « أحمد » وصوابه في ل . وانظر ما كتبت في الشميطية ص ٢٦٨ من الجزء الثاني .

(٣) جمع ، بالفتح ، هو المزدلفة . وكلمة « وما » هي في ط ، س : « رما » ، تحريف ما في ل ، واللسان (مادة مرض) . وفي البيان ٤ : ٦٧ : « وقد » وهي تحريف يشوه المعنى ؛ إذ يريد أنه وإن فقد مظاهر الشباب فهو متمتع بأخص صفات الشباب .

(٤) أمرض : أي قارب الصواب في الرأي وإن لم يصب كل الصواب . وفي س : « أغرض » ولا وجه له ، وصوابه في البيان واللسان . وكلمة : « قال » في البيت بمعنى « ظن » وبهذه الأخيرة جاءت الرواية في البيان واللسان .

(٥) ط ، س : « لبلعا » وأثبت ما في ل . وبلعاء هذا كان رأس بني كنانة في أكثر حروبهم ومغازيهم ، وهو شاعر محسن ، وقد قال في كل فن أشعارا جيادا المؤتلف ١٠٦ . مات بلعاء قبل يوم الحريرة ، وهو اليوم الخامس من أيام الفجار الآخر . العقد ٣ : ٢٧٢ — ٢٧٣ .

وأبغِي صَوَابَ الظَّنِّ أعلم أنَّهُ إذا طاشَ ظنُّ المرء طاشت مَقادِره

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فاتَّبَعُوهُ ﴾ .

وقال ابن أبي ربيعةَ في الظَّنِّ :

ودَعانى إلى الرَّشَادِ فؤادٌ كان للغَيِّ مَرَّةً قَدْ دَعَانى

ذَاكَ دَهْرٌ لو كنتَ فيهِ قَرِينِى[1] غَيْرَ شَكٍّ عَرَفتَ لى عِصْيَانِى

وتَقَلَّبتُ فى الفِراشِ ولا تَعْـ ـلَمُ إلاَّ الظُّنُونَ أيْنَ مَكانِى

(من مختار الشعر)

وقال ابنُ أبي ربيعة فى غير هذا الباب :

وخِلٍّ كنتُ عَينَ النُّصْحِ منْهُ إذا نَظَرَتْ ومستَمعاً مطيعا

أطافَ بغيَّةٍ[2] فنَهَيتَ عنها وقُلْتُ لَهُ أرَى أمرًا شَنيعًا

أَرَدْتُ رَشادَه جَهْدى ، فلما أَبَى وعَصى أَتَيناها جَميعًا

وقال معَقِّر بن حمار البارقى[3] :

---

(١) الرواية فى الديوان ص ٦٦ : « قريبى » وهى رواية جيدة . وعصيان الأهل والأقارب فى الحب ، مما أكثر الشعراء الكلام فيه .

(٢) ط : « بغيه » والوجه ماأثبت من ل ، س . وإليها يعود الضمير فى « عنها » .

(٣) معقر بن حمار البارق اسمه سفيان بن أوس بن حمار ، وهو شـاعر جاهلى . سمى معقرا بقوله فى قصيدة مشهورة :

لها ناهض فى الوكر قد مهدت له كما مهدت للبعل حسناء عاقر

معجم المرزبانى ٢٠٤ وخزانة البغـدادى ٢ : ٢٩١ بولاق . وهو صاحب البيت المشهور (انظر المعجم ، وكذلك المؤتلف ٩٢) :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

وفى ط ، س : « معبد بن حماد » وجاء على الصواب الذى أثبته فى ل .

الشِّعرُ لبُّ المرْءِ يَعْرِضه ... والقَوْلُ مِثلُ مَوَاقِعِ النَّبْلِ
منها المقصِّر عَن رَمِيَّتِه ... ونَوَافذٌ يذهَبنَ بالخَصَل[1]

(أبياتٌ للمحدَثين حِسانٌ)

١٩ وأبياتٌ[2] للمحْدَثين [حِسَان[3]] ، قال العَتَّابىّ[4] :

وَكَمْ نِعمةٍ آتاكها[5] اللهُ جَزْلَةً ... مُبرَّأَةً مِنْ كُلِّ خُلْقٍ يَذِيمُها[6]
فسَلطتَ[7] أخلاقاً عليها ذَمِيمةً ... تَعَاوَرنها حَتَّى تَفرَّى أدِيمُها
وَلوعاً وإشفاقاً ونطقاً من الخَنا ... بعَوراءَ يَجْرِى فى الرِّجال نَمِيمُها[8]
وكنتَ امرأً لو شِئتَ أنْ تَبْلُغَ المدَى[9] ... بَلَغت بأدنَى نِعمَةٍ[10] تَسْتَدِيمُها
ولكنْ فِطامُ النَّفْسِ أعسر محمَلاً[11] ... مِنَ الصَّخرَةِ الصَّمّاءِ حِين تَرُومُها[12]

(١) الخصل ، بالفتح : الغلبة فى النضال .

(٢) ل : « أبيات » .

(٣) الزيادة من س ، ل .

(٤) هو كلثوم بن عمرو العتابى ، سبقت ترجمته فى الجزء الثانى ص ٢٩٦ . وقد روى الراغب البيتين الأخيرين فى محاضراته ١ : ١٣٣ ونسبهما إلى عمرو بن كلثوم وصوابه ماذكرت ، كما فى البيان ١ : ١٢٠ .

(٥) ط ، س : « آتى بها» ، وأثبت ما فى ل .

(٦) ذامه يذيمه : عابه .

(٧) ط : « فسلط » ، وأثبت ما فى س ، ل .

(٨) النميم مثل النميمة . و « نطقا » أى هو ينطق بالعوراء من الخنا .

(٩) رواية المحاضرات : « المنى » . ومؤداهما واحد .

(١٠) رواية المحاضرات : « غاية » .

(١١) كذا فى ط ، س والبيان . وفى ل والمحاضرات : « أثقل » .

(١٢) س فقط : « يرومها » وليس بشىء .

وقال أيضاً :

وكنتُ امرأً هَيَّابَةً تَسْتَفِزّنى رضاعى بأدنى ضجْعَةٍ أستلينُها[١]

أُوافى أميرَ المؤمنين بهمَّةٍ تَوَقَّلُ[٢] فى نَيلِ المعالى فُنُونُها

رَعى أُمَّةَ الإسلامِ فهو إمامُها وأدَّى إليها الحقَّ فهو أمينُها

ويَستَنتج العقباء[٣] حتَّى كأنما تَغَلْغَلَ فى حيثُ استَقَرَّ جنينُها

وماكل مَوصوفٍ لَهُ الحق يَهتَدِى ولا كل مَن أَمَّ الصُّوَى يَستَبِينُها[٤]

مُقيمٌ بمُستَنٍّ العُلا ، حيثُ تَلتَقى طوارفُ أبكارِ الخطُوبِ وعُونُها[٥]

وقال الحسن بن هانىء :

قُولَا لهارُون إمامِ الهُدَى عندَ احتِفالِ المجلسِ الحاشد

نَصيحةُ الفَضْلِ[٦] وإشفاقُهُ أخلَى لَهُ وجهَكَ مِن حَاسد

بصادِقِ الطاعــةِ ديَّانِها وواحد الغائب والشَّاهد[٧]

---

(١) ط ، س : « تستلينها » .

(٢) توقل : تتوقل ، بمعنى تصعد . وهذه رواية ل . وفى ط ، س : « توغل » .

(٣) يستنتج العقباء : يجعلها تلد . وهذا كناية عن قدرته على التغلب على المصاعب . فى ط ، س : « العنقاء » وهى ذلك الطائر الخيالى الذى لاوجود له ، وبها يصح المعنى أيضا . أى هو يقدر أن يحصل على مالا يناله غيره .

(٤) ط ، س : « ومأكل » ، وهى على الصواب فى ل . أم : قصد . والصوى : جمع صوة بالضم : وهى حجر يكون علامة فى الطريق .

(٥) المستن : مكان الاستنان ، وهو سرعة العدو . والطوارف : الحديثات ، وفى ط : « طوارق » . والعون : جمع عوان ، وهى التى ولدت بعد بطنها البكر .

(٦) هو الفضل بن يحيى البرمكى . وأراد أبو نواس استعطاف الرشيد على الفضل .

(٧) يقول : هو مخلص لك فى حضرتك وفى غيبتك .

أنتَ على مابِكَ مِنْ قُدْرَةٍ ما أنتَ مِثلَ الفَضْل بالواجِدِ
أوحَدَه(١) اللهُ فما مثْلُه لطالبٍ ذاكَ ولا ناشِد
وليس على الله بمستنكَر(٢) أنْ يَجْمَعَ العالَمَ فى واحد

وقال عَدىٌّ بن الرِّقاع العاملى :

وقَصيدةٍ قَدْ بتُّ أجمعُ بَيْنَها حتَّى أُقَوِّمَ مَيْلَهَا وسنادها
نظرَ المثقِّف فى كُعُوب قَنَاتِه حتَّى يُقيمَ ثِقافُهُ مُنآدها(٣)
وعَلِمْتُ حتَّى لَسْتُ أسْأَلُ عالِمًا عَنْ حَرْفِ وَاحدةٍ لِكَىْ أزْدَادَهَا(٤)
صَلَّى الإلٰهُ عَلَى امْرئٍ ودَّعته وأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا

(شعر لبنت عدى بن الرقاع)

قال : واجتمع ناسٌ من الشُّعَرَاء بباب عَدىٍّ بن الرقاعِ يُريدون مُماتَنَتَهُ ومُساجَلتَه ، فخرَجَت إليهمْ بِنْتٌ له صغيرة ، فقالت :

تجَمَّعْتمُ منْ كُلِّ أَوْبٍ ومَنْزل عَلَى وَاحدٍ لازلْتمُ قِرْنَ وَاحد(٥)

---

(١) هكذا الرواية الجيدة : « أوحده » أى جعله واحداً . وهى رواية الديوان ٨٧ وعيون الأخبار ١ : ٢٢٧ . وفى الأصل : « أوجده » وليس بشىء .

(٢) كذا فى ط ، ل . وفيه الخزم . والرواية فى س والديوان وعيون الأخبار : « وليس لله بمستنكر » .

(٣) الثقاف ، بالكسر : ماتسوى به الرماح . والمنآد : المعوج . وفى الأصل : « منادها » وهى على الصواب الذى أثبت فى الموشح ص ١٣ .

(٤) قال فى الموشح ١٩٠ قال أبو جعفر المنجم : كنت أحب أن أرى شاعرين فأؤدب أحدهما ، وهو عدى بن الرقاع ، لقوله :

وعلمت حتى ما أسائل واحدا عن علم واحدة لكى أزدادها

ثم أسائله عن جميع العلوم فإذا لم يجب أدبته ! وأقبل رأس الآخر — وهو زيادة بن زيد — لقوله :

إذا ماانتهى علمى تناهيت عنده أطال فأملى أم تناهى فقصرا

(٥) « ومنزل » هكذا جاءت الرواية أيضا فى الشعراء ١٤٥ . وروى فى الصناعتين =

(شعر لعبد الرحمٰن بن حسان بن ثابت وهو صغير)

وقال عبدُ الرحمٰن بن حسّان الأنصارى ، وهو صغير[1] :

اللهُ يَعْلَمُ أَنِّى كُنْتَ مُشْتَغِلًا   فى دَارِ حَسَّانَ أَصْطَادُ اليَعَاسِيبَا[2]

وقال لأبيه وهو صبىٌّ ــ ورجع إليه وهو يبكى ويقول : لسعنى طائر ! قال : فصفه لى يا بنىّ ! قال كأنَّهُ ثَوْبُ حَبَرَةٍ[3] ! قال حسّان : قال ابنِي الشِّعْرَ وَرَبِّ الكعبة !

وكان الذى لَسعه زنبورًا .

= ٣٥٩ ، وذيل الأمالى ٧٠ : « وبلدة » . وفى الكامل ١٤٩ ليبسك وشرح المقامات للشريشى ٢ : ٣٠١ « ووجهة » . وزاد القالى فى الخبر : « فاستحيوا ورجعوا » وابن قتيبة : « فانصرفوا عنه ولم يهاجوه » . والشريشى : « فأفحمتهم ورجعوا بأخزى حالة » .

(١) ل : « صغير » . والخبر هنا مقتضب . جاء فى الكامل ١٤٩ ليبسك : « ويروى أن معلمه عاقب الصبيان على ذنب وأراده بالعقوبة ، فقال : الله يعلم . . . » الخ .

(٢) اليعسوب : أمير النحل .

(٣) الرواية فى الكامل ١٤٩ ليبسك : « كأنه ملتف فى بردى حبرةٍ » . والحبرة ، بالتحريك ، أو كعنبة : ضرب من برود اليمن .

(٤) كذا فى ل ، وفى ط ، س : « زنبور » بالرفع . وهى صحيحة فى العربية ، على تقدير ضمير الشأن . وبتلك اللغة جاء قول العجير :

إذا مت كان الناس صنفان شامت   وآخر مثن بالذى كنت أصنع

انظر سيبويه ١ : ٣٦ بولاق ، وشرح المفصل ٣ : ١١٦ س ٥ .

(شعر سهل بن هارون وهو صغير)

وقال سَهْلُ بن هارون ، وهو يختلف إلى الكُتَّابِ لجارٍ لهم :

٢٠ نُبِّئت بَغْلَكَ مبْطوناً فقلت له فهل تَماثَل أو نأتيه عُوَّادا[1]

(شعر طرفة وهو صغير)

وقال طرفة وهو [صبيٌّ] صغير :

يا لَكِ مِنْ قُبَّرةٍ بِمَعْمَرِ خَلا لكِ الجَوُّ فبيضِي واصْفِرِي[2]

وقال بعض الشعراء[3] :

إذا ما مَاتَ مَيْتٌ من تَميمٍ فَسَرَّكَ أن يَعِيش فجِئْ بزادِ

---

(١) ط : « نبت بغلك » س : « نبثت بمنك » ل : « نبيت نعلك » وصوابه ماأثبت من كتاب البغال . و المبطون : الذي يشتكى بطنه . و « فقلت » هي في ل : « فرغت » وفي البغال : « فزعت » . وتماثل : دنا من الشفاء . ط ، س : « أو يأتيه عواد » . وانظر قصة البيت واضحة في كتاب البغال ٣٠٣ – ٣٠٤ .

(٢) روى الدميرى سبب هذا فذكر « أنه كان مع عمه في سفر ، وهو ابن سبع سنين فنزلوا على ماء فذهب طرفة بفخ له فنصبه للقنابر ، وبقى عامة يومه لم يصد شيئاً ، ثم حمل فخه وعاد إلى عمه ، فتحملوا ورحلوا من ذلك المكان ، فرأى القنابر يلقطن مانثر لهن من الحب فقال ذلك » . والرجز ستة أشطار عند الدميرى واللسان (قبر) . وقال ابن برى : هو لكليب بن ربيعة . وانظر الشعراء ١٤٠ .

(٣) هو يزيد بن الصعق الكلابي كما في معجم المرزباني ٤٩٤ وكنايات الجرجاني ٧٣ والاقتضاب ٢٨٨ . أو أبو مهوش الفقعسي كما في حواشي الكامل ٩٨ ليبسك . وللأبيات خبر فيما عدا الأول ، وكذا في العقد ٢ : ١٠ وأمثال الميداني ١ : ١٧١ وأدب الكاتب ١٢ والخزانة ٣ : ١٤٢ وأخبار الظراف ٢٤ . ورواها الجاحظ في البيان ١ : ١٩٠ .

بخبزٍ أو بلَحْمٍ أوْ بِسَمْنٍ   أو الشَّىْء الملفَّفِ فى البِجَادِ[١]

تَراه يَطُوف بالآفاق[٢] حِرْصاً   ليأ كُلَ رأسَ لُقْمانَ بنِ عادِ[٣]

وقال الأصمعىّ : الشىء الملفَّف فى البِجاد : الوَطْب[٤] :

وقال أعرابىٌّ :

أَلَا بَـكَرَتْ تَلْحَى قتَيْلَةُ بَعْدَما   بدا فى سَوادِ الرَّأس أبيضُ واضحُ

لتُدرِك بالإمْساكِ والمَنْع ثَرْوةً   مِنَ المال أفَنتْها السِّنونَ الجوائح

فقلت لهــا : لا تعذُلينى فإنما   بذِكْر النَّدَى تَبْـكى عَلَىَّ النوائِح[٥]

(أشعار فى معانٍ مختلفة)

وقال بَشَّارٌ أبياتاً تجوز فى المذاكرة[٦] ، فى باب[٧] [المنى ، وفى باب] الحزم ، وفى باب المشورة . وناسٌ [يجعلونها للجعجاع الأزدىّ ، وناسٌ] يَجعلونها لغيره ، وهى قوله :

---

(١) البجاد : الـكساء ، وزنا ومعنى .

(٢) روى : « يطوف الآفاق » كما فى س .

(٣) الثعالبى فى ثمار القلوب ٢٥٧ : « العرب كما تصف لقمان بن عاد بالقوة وطول العمر كذلك تصف رأسه بالعظم ، وتضرب به المثل » وأنشد البيت . ومثل هذا الـكلام لابن السيد فى الاقتضاب ٤٩ . وزاد : « كما يقال لمن يزهى بمـا فعل ، ويفخر بمـا أدركه : كأنه قد جاء برأس خاقان ! » .

(٤) فى اللسان : « الملفف فى البجاد : وطب اللبن ، يلف فيه ليحمى ويدرك » .

(٥) س : « تبكى عليك » ، وما هنا أجود .

(٦) ل : « من المذاكرة » ، محرفة .

(٧) ط ، س : « وفى باب » ، وأثبت ما فى ل .

إذا بَلَغَ الرَّأْىُ المَشُورَةَ فاستَعِنْ   بِرَأْىِ نَصيحٍ أو نَصِيحةِ[1] حازِمِ

ولا تَحْسَبِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً   مَكَانُ الخوافِى رافِدٌ للقَوادمِ[2]

٢١ وأَدْنِ مِنَ القُرْبَى المقرِّبَ نَفْسَه   ولا تُشْهِدِ الشُّورَى امرأً غيرَ كاتِمِ

وما خَيْرُ كَفٍّ أمسَكَ الغلُّ أُخْتَهَا   وَمَا خَيْرُ نَصْلٍ لَمْ يُؤَيَّدْ بِقائمِ[3]

فإنَّك لا تَسْتَطرِدُ الهَمَّ بِالمُنَى   ولا تَبْلُغُ العَلْيَا بغَيْرِ المَكارِمِ

وقال بعض الأنصار[4] :

وبَعْضُ خَلائِقِ الأقوامِ دَاءٌ   كَداءِ الشيْخِ ليسَ[5] له شفاء

وبَعْضُ القَوْلِ ليس لَهُ عِناجٌ[6]   كمَخْضِ الماءِ ليس لَهُ إتاءُ[7]

وقال تأبَّط شرًّا ــ إنْ كان قالَها[8] ــ :

---

(١) ل والبيان (٤ : ٤٩) : « نصاحة » وهى صحيحة ، يقال نصحه نصحاً ، بالضم ، ونصاحة ، ونصاحية . والاسم النصيحة .

(٢) مر الكلام فى ريش الطائر بالجزء الثانى ص ٣٥٥ . رافد : معين . وفى س ، ط : « راية » ولم أجد لها وجها ، ويروى : « فإن الخوافى قوة » . وفى كنايات الجرجانى ٦٠ : « فريش الخوافى » .

(٣) النصل هنا : حديدة السيف . والقائم : مقبضه . فى ل ، « وما خير سيف » وأثبت ما فى ط ، س .

(٤) الشعر فى البيان (٣ : ١٨٦) منسوب إلى الربيع بن أبى الحقيق .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ط . والرواية فى ل : « كداء البطن ليس له دواء » .

(٦) أصل العناج للدلو ، وهو خيط أو سير يشد فى أسفلها ثم يشد فى عروتها . وهذه رواية ل واللسان . وفى ط : « عماد » . والبيت ساقط من س .

(٧) المخض : أصله للبن ، وهو تحريكه لاستخراج الزبد . والإتاء ، بالكسر : الزبد .

(٨) بعد هذه الكلمة فى ل عبارة مقحمة على الكتاب لاجرم ، وهذا نصها : « قال النمرى : ومما يدل على أنه مولد قوله :

جل حتى دق فيه الأجل   =

شامِسٌ فى القُرِّ حتَّى إذا مَا ذَكَتِ الشِّعْرَى فَبَرْدٌ وظِلٌّ[١]
ولَهُ طَعْمَانِ : أَرْىٌ وشَرىٌ وكِلَا الطَّعْمَينِ قَدْ ذَاقَ كُلٌّ[٢]
مُسْبِلٌ فى الحَىِّ أحْوَى رِفَلٌّ وإذا يَغْدُو فسِمْعٌ أزَلٌّ[٣]
وَوَرَاءَ الثأرِ منه ابنُ أختٍ مَصِـــعٌ عُقْدَتُه ما تُحَلُّ[٤]
مُطرِقٌ يَرشَـحُ سُمًّا ، كما أَطرَقَ أَفْعَى يَنْفُثُ السمَّ صِلٌّ
خَـبَرٌ مَا نَابَنَا مُصمَئِلٌّ جَلَّ حَتَّى دَقَّ فيهِ الأَجَلُّ[٥]

= فإن الأعرابى لايكاد يتغلغل إلى مثل هذا . وقال أبو الندى : مما يدل على أن هذا الشعر مولد أنه ذكر فيه سلعاً » . أما النمرى هذا فهو أحد شراح الحماسة ، بل هو أول شارح لها كما فى خزانة الأدب (٣ : ٣٣٢ ، ٥٤١ بولاق) وهو ينقل فى شرحه عن كتاب المعانى لأحمد بن حاتم الباهلى ، وهذا توفى سنة ٢٣١ . وأما أبو الندى فهو محمد بن أحمد الغندجانى ، يروى عنه الحسن بن أحمد أبو محمد الأعرابى الذى قرئت عليه بعض تصانيفه سنة ثمان وعشرين وأربعمائة . وللحسن رد على النمرى فى شرحه للحماسة نقل عنه البغدادى فى الخزانة كثيراً . وهذه الزيادة تجدها فى شرح التبريزى للحماسة (٢ : ١٦٠ - ١٦١) مع بسط وتفصيل .

(١) شامس فى القر : يعنى أن من لجأ إليه فى القر وجده كالشمس التى تدفئ . والشعرى : كوكب يظهر فى شدة الحر .

(٢) الأرى : العسل . والشرى : الحنظل .

(٣) مسبل فى الحى : أى هو فى حال السلم ممن يسبلون ثيابهم لما هم فيه من نعمة . والرفل : الكثير اللحم . ويغدو : أى فى حال الحرب . والسمع : ولد الذئب من الضبع . والأزل : القليل لحم العجز والفخذين .

(٤) ل : « ووراء الثأر منى » وهى رواية الحماسة . والمعنى يصح بكليهما إن حل الضمير فى « منى » على التجريد . والمصع : الشديد المقاتلة .

(٥) المصمئل : الشديد . وفى ل : « خبر ماجاءنا » .

كُلُّ ماضٍ قد تَرَدَّى بِماضٍ ... كَسَنَا البَرْقِ إذا ما يُسَلُّ[١]

فَاسقِنِيهَا[٢] يا سَوَادَ بنَ عَمرو ... إنَّ جِسمِي بَعدَ خالِي لَخَلُّ[٣]

وقال سلامَة بنُ جَندَل[٤] :

سأَجزِيكَ بالوُدِّ الذى كان بيننا ... أصَعْصَعُ إنِّي سوف أجزِيكَ صَعْصَعا

سأُهْدِي وإن كنا بتثليثَ مِدْحةً ... إليك وإن حلَّت بُيُوتك لَعلَعا[٥]

فإنْ يَكُ محموداً أبوك فإنَّنا ... وجدناكَ محمُودَ الخلائقِ أروَعا

فإن شئتَ أهدينا ثناءً ومدحةً[٦] ... وإن شئت أهدينَا لَكُم مائةً معًا[٧]

فقال صعصَعة بن محمود بن[٨] بشر[٩] بن عمرو بن مرثد : الثَّناء والمدحة[١٠]

---

(١) قبل هذا البيت فى الحماسة بيتان يتوقف معناه عليهما . وهما :

يركب الهول وحيداً ولايصـ ... حبه إلا اليمانى الأفل

وفتو هجروا ثم أسروا ... ليلهم حتى إذا انجاب حلوا

أراد بالماضى الأول الرجل الشديد، وبالثانى السيف القاطع. تردى بالسيف: تقلده بحمائله.

(٢) س : « سقنيها » . ويريد الخمر .

(٣) الخل : المهزول . وفى ل : « بعد حالى » مصحفة .

(٤) قال سلامة الأبيات الآتية ، وبعث بها إلى صعصعة بن محمود . (البيان ٣ : ٣١٨) .

(٥) كذا الرواية فى ل ، والبيان . وفى ط : « سأهدى بتثليث إليك هدية توافيك لو » . وفى س مثل ط مع إبدال « مدحة » بكلمة « مذمة » و « توافيك » بكلمة « قوافيك » .

(٦) كذا الرواية فى ل والبيان . وفى ط ، س : « أهدينا إليك ثناءنا » .

(٧) عنى بالمائة مائة من الإبل تكون فدية لأخيه أحمر بن جندل ، الأسير .

(٨) ل : « من » .

(٩) س : « بشير » . وفى البيان : « صعصعة بن محمود بن عمرو بن مرثد » .

(١٠) كذا فى ل والبيان . وفى ط ، س : « الثناء والحمد والمدح » .

أحبُّ إلينا . وكان أحمر[1] بن جندل أسيراً فى يده ، فخلَّى سبيلَه من غير فداء .

وقال أوسُ بن حَجَر ، فى هذا الشَّكل من الشعر ـ وهو يقع فى باب الشُّكر والحمد ـ :

لَعَمرُكَ مَا ملَّت ثَوَاءَ ثَويِّها ... حَليمَةُ إذْ ألْقى مراسىَ مُقْعَدِ[2]

وَلَـكِنْ تَلَقت باليدَينِ ضَمانتى ... وَحَلَّ بفَلَجٍ فالقنافذ عُوَّدِى[3] ٢٢

وفَدْ غَبرتْ شهرَىْ رَبيعٍ كلَيْهما ... بحَمْلِ البَلايا والخِبَاء الممدَّدِ[4]

ولم تُلهِهَا تِلكَ التَّكاليفُ ، إنَّها ... كما شِئتَ مِنْ أُكرُومَةٍ وتَخَرُّدِ[5]

سأجزِيكِ أوَيجزيكِ عنى مثَوِّبٌ[6] ... وحَسْبُكِ أنْ يُثْنَى عَلَيْكِ وتُحمَدِى[7]

---

(١) كذا فى ل والبيان . وفى ط ، س : «أحمد» .

(٢) يقال ألقى مراسيه : أى استقر ، ومثله ألقى عصاه . وكلمة «مقعد» هى فى ط ، س : «ومقعد» ، صوابه فى ل ، ويعنى بالمقعد نفسه . وانظر الديوان ٥ والبيان (٣ : ٣١٩) .

(٣) فلج والقنافذ : موضعان . والعود : جمع عائد للذى يزور المريض . قالوا : وكان أوس قد جالت به ناقته فى سفر فصرعته فاندقت فخذاه ، فآواه فضالة بن كلدة ، وكانت حليمة بنت فضالة تعنى به فى أثناء مرضه . (الأغانى ١٠ : ٧) .

(٤) ط ، س : «عبرت» ، وهى رواية الديوان ومؤداهما واحد . والبلايا : جمع بلية .

(٥) التخرد من قولهم خريدة ، وهى الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخفرة المتسترة ، قد جاوزت الإعصار ولم تعنس . و «تخرد» هى رواية ل والديوان والبيان واللسان (مادة خرد) . وفى ط : «تخودى» بالواو ، والياء فى آخرها زيادة ناسخ . وفى س : «تجرد» .

(٦) المثوب : المثيب . وفى التنزيل العزيز : «هل ثوب الكفار» . وما أثبت هو رواية ل والديوان والأغانى . وفى ط ، س والبيان : «سنجزيك أو يجزيك عنا» .

(٧) ط ، س «وتحمد» وهو خطأ إملائى .

وقال أبو يعقوب الأعور :

فلم أَجْزِهِ إلّا المودَّة جاهداً وَحَسْبُكَ مِنِّى أنْ أَوَدَّ وأجهدا[١]

(من شعر الإيجاز)

وأبيات[٢] تضافُ إلى الإيجاز وحَذْف الفضول . قال بعضهم ووصف كِلَابا فى حالِ شَدِّها وعَدْوِها ، وفى سُرعةِ رفعِ قوائمها ووضعها — فقال :

* كأنَّما تَرْفَعُ مالَمْ يُوضَعِ[٣] *

ووصف آخرُ ناقةً بالنشاط والقُوَّة فقال :

* [خرقَاءُ][٤] إلّا أنَّها صَنَاعِ *

وقال الآخر :

* الليلُ أخفى والنَّهارُ أفضَحُ[٥] *

ووصف الآخرُ قَوْساً[٦] فقال :

* فى كفِّه مُعْطِيَـةٌ مَنوعُ *

---

(١) أى وأجهد فى الود . وفى ط ، س : « وأحدا » .

(٢) ط ، س « وأشياء » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٣) انظر ما كتب عن هذا البيت فى الجزء الثانى ص ٣٥ .

(٤) زيادة هذه الكلمة من ل والعمدة (١ : ١٦٨) والبيان (١ : ١٥٠ و ٣ : ٧٢) .

(٥) قبله فى البيان (١ : ١٥٠) :

* إنك ياابن جعفر لاتفلح *

(٦) فى الأصل : « فرسا » وهو تحريف ، تجد صوابه فى البيان (١ : ١٥٠) وديوان المعانى (٢ : ٥٩) ، وقد نسب البيت فيهما إلى العكلى ، وهو أبو حزام .

وقال الآخر[١] :

وَمَهْمَهٍ فِيهِ السَّرَابُ يَسْبَحُ [كَأَنَّما دليلُه مطوَّح][٢]

يَدْأَبُ فِيهِ القَوْمُ حتَّى يَطْلَحُوا كأَنَّما بَاتُوا بِحَيْثُ أَصْبَحُوا

ومثل هذا[٣] البيت الأخير[٤] [قوله] :

وكأَنَّما بَدْرٌ وَصِيلُ كُتيفة[٥] وكأَنَّما مِنْ عاقِلٍ أَرْمَامُ

ومثله[٦] :

تَجاوَزْتَ حُمْرَانَ فى ليلـةٍ وقُلتَ قُسَاسٌ من الحَرْمَلِ[٧]

ومن الباب الأوّل قوله :

عادَنى الهـــمُّ فاعتلجْ كُلُّ هَـــمٍّ إلى فَرَجْ

وهذا الشِّعر لِجُعَيفران المُوَسْوَس[٨] .

وقال الآخَر[٩] :

---

(١) هو مسعود أخو ذى الرمة ، كما فى ديوان المعانى (٢ : ١٢٨) .

(٢) زيادة هذا البيت من ل ، وهو فى أصله متأخر عن البيت الذى بعده ، والوجه تقديمه عليه .

(٣) ل : « ومن شكل » .

(٤) ط : « الآخر » وأثبت مافى س ، ل .

(٥) كتيفة : اسم جبل . وفى س : « كثيفة » . وفى ل : « كنيفة » وهو تحريف ما أثبت من ط .

(٦) ط ، س : « ومنه قول الآخر » . وصاحب الشعر هو أوفى بن مطر الخزاعى ، كما فى ذيل أمالى القالى ٩١ . والبيت من سبعة أبيات لها قصة فى ذيل الأمالى .

(٧) فى ذيل الأمالى : « تجاوزت ماوان » .

(٨) ل : « لجعفر الموسوس » وصوابه فى ط ، س . وهو جعيفران بن على بن أصفر ابن السرى ، أبوه من أبناء الجند الخراسانية . ولد جعيفران ونشأ ببغداد ، وكان أديبا شاعرا ، تغلب عليه السوداء حينا ، فإذا أفاق قال جيد الشعر . الأغانى (١٨ : ٦١) . والبيت السابق خبر فى الأغانى (١٨ : ٦٢) .

(٩) صاحب الشعر جرير ، كما فى نهاية أمالى المرتضى (٤ : ٢٠٢) .

لم أقضِ من صحْبةِ زَيدٍ أرَبى فتًى إذا نبَّهْتَهُ[1] لم يَغْضَبِ

أبيضُ بَسَّامٌ وإن لم يعجب ولا يضن[2] بالمتاعِ المحقَب

مُوَكَّلُ النَّفس بِحِفْظِ الغُيَّب أقصى رفِيقيه له كالأقْرَب

وقال دُكَين[3] :

وقدْ تعَلَّتْ[4] ذَمِيلَ العَنْس بالسَّوْطِ فى دَيْمُومةٍ كالتُّرْس

* إذْ عَرَّجَ اللّيلَ بروجَ الشَّمسِ[5] *

٢٣ وقال دُكَينٌ أيضاً :

بمَوطنٍ يُنِيط فيه المحتسى[6] بالمشْرَفِيَّاتِ نِطافَ الأنفُسِ[7]

---

(١) هذه الرواية موافقة لما فى عيون الأخبار (٣ : ٢٣) .

(٢) س : « يطن » ولعل صواب هذه « يظن » بالبناء للمفعول : أى يتهم .

(٣) هو دكين بن رجاء الفقيمى ، وكان ممن أجازه عمر بن عبد العزيز — وعمر الضنين بإجازة الشعراء — أجازه وهو والى المدينة ، كما أجازه وهو خليفة . الشعراء لابن قتيبة . والرجز يروى فى المؤتلف ١٠٤ منسوبا إلى منظور بن حبة الأسدى .

(٤) كذا فى الأصل والبيان (٣ : ٣٣٤) ، وصواب الرواية : « تعالت » كما فى المؤتلف ١٠٤ وزهر الآداب (٢ : ١٠٥) واللسان مادة (علل) . يقال : تعالت الناقة : إذا استخرجت ماعندها من السير . والذميل : ضرب من سير الإبل .

(٥) فى البيان والمؤتلف : « بروح الشمس » . وعرج الليل : حبسه . والبروج : الظهور.

(٦) س : « المخنس » وهو تحريف . وينيط : يعلق .

(٧) المشرفيات : السيوف منسوبة إلى مشارف الشام . والنطاف : جمع نطفة ، وهى قليل الماء يبقى فى دلو أو قربة . وتعليق النطاف فى المشرفيات عبارة عن شدة الحرص على الماء ، وذلك يكون فى المهامه المجدبة . وفى ط ، س : « لطاف » ، وهو تحريف ماأثبت من ل .

وقال الراجز :

طَالَ عليهنَّ تكاليف السُّرَى والنَّصُّ فى حِينِ الهَجِيرِ والضُّحى
حَتَّى عُجاهُنَّ فما تحت العُجى[(١)] رَوَاعِفٌ يَخْضِبْنَ مُبْيَضَّ الحصى[(٢)]

وفى هذه الأرجوزة يقول :

* وضَحِكَ المزن بها ثمَّ بكى[(٣)] *

ومن الإيجاز المحذوف قولُ الراجز ، ووصف سَهمه حينَ رَمى عَيراً كيف [نَفَذَ سهمه ، وكيف] صرَعه ، وهو قوله[(٤)] :

* حتَّى نجَا مِنْ جوفه وما نجا[(٥)] *

(شعر فى الاتِّعاظ والزهد)

ومما يجوز فى باب الاتِّعاظ قولُ المرأة وهى تطوفُ بالبيت :

أنت وهَبْتَ الفِتيَةَ السَّلاهِبْ[(٦)] وهَجْمةً يَحارُ فيها الطَّالِبْ[(٧)]

---

(١) العجى ، واحدها العجاية والعجاوة بضم العين فى كليهما ، وهى عصب مركب فيه فصوص من عظام كأمثال فصوص الخاتم ، تكون عند رسغ الدابة . والرجز فى البيان ٣ : ٣٣٥ .

(٢) رواعف : يسيل منها الدم .

(٣) ط ، س : « البرق » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٤) ط ، س : « يقول » وتصحيحه من ل .

(٥) الشعر فى وصف سهم رام أصاب حمارا . انظر البيان ١ : ١٥٠ . يقول : نجا السهم من جوف الحمار وما نجا الحمار . أو نجا الحمار – من النجو – وما نجا من الهلاك .

(٦) وهبهم السلاهب : أى الخيل الطويلة .

(٧) الهجمة : عدد عظيم من الإبل . وانظر البيان ٣ : ١٩٤ .

وغنَمَا مِثلَ الجَرَادِ السَّارِبْ   مَتاعَ أيَّامٍ وكُلٌّ ذَاهِبْ

[ومثله قولُ المسعوديّ :

أخلِفْ وأنْطفْ ، كلُّ شيء   زعزعتْه الريحُ ذاهبْ(١)]

وقال القُدار(٢) ، وكان سيِّد عَنَزة فى الجاهليّة :

أهلَكْت مُهْرِىَ فى الرِّهانِ لَجاجةً   ومن اللَّجَاجة ما يَضُرُّ وَيَنفعُ

[قال : وسمعت عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ينشد ــ وكان فصيحاً :

إذا أنت لم تنفع فضرَّ فإنَّما   يُرَجَّى الفتَى كيما يضرَّ وينفعا]

وقال الأخطل :

شُمْسُ العَداوةِ حتَّى يُستقادَ لهم   وأعظمُ النَّاس أحلاماً إذا قدروا

وقال حارثة بن بدر :

طربتُ بفاثور(٣) وما كدت أطربُ(٤)   سَفاهًا وقَدْ جَرَّبْتُ فيمَن يجرِّب

وجرَّبتُ ماذَا العَيْشُ إلّا تعِلّةٌ   وما الدَّهر إلّا مَنْجَنونَ يقلِّب(٥)

وما اليومُ إلّامِثلُ أمْس الذى مضى   ومثلُ غَدِ الجائى وكلٌّ سيَذْهب(٦)

---

(١) فى اللسان : أخلف فلان لنفسه : إذا كان قد ذهب له شيء فجعل مكانه آخر وأما « أنطف » فلم أهتد إلى وجه فيها ، وهى فى البيان ٣ : ١٩٤ ، ٢٥٢ و ٤ : ٦٩ : « أتلف » .

(٢) ط ، س : « القرار » وأثبت ما فى ل .

(٣) فاثور : اسم موضع ، أو واد ببلاد نجد . فى ط : « بغاثور » وصوابه فى س ، ل .

(٤) ل : « تطرب » .

(٥) فى شرح شواهد المغنى للسيوطى ٧٩ : « المنجنون بفتح الميم : « الدولاب الذى يستقى عليه . وجمعه مناجين وهو مؤنث » . فالوجه : « تقلب » . ومثله قول القائل :

وما الدهر إلا منجونا بأهله   وما صاحب الحاجات إلا معذبا

(٦) منع تنوين : « غد » لضرورة الشعر . وربما كانت الرواية : « أمسى » و « غدى » بالإضافة إلى ياء المتكلم .

وقال حارِثَة بن بَدر الغدَانى[1] أيضاً :

إذا الهَمُّ أمسَى وَهو دَاءٌ فأَلْقِه ولَسْتَ بمُمْضِيهِ وأنتَ تعادِلُه[2]

فلا تَنْزِلَنْ أمْرَ الشديدةِ بامرئٍ إذا رامَ أمراً عَوَّقَتْهُ عَواذِله

وَقُل للفــؤاد إن نَزَا بِك نَزْوَةٌ

مِنَ الرَّوع أفْرِخْ أكثَرُ الرَّوع باطِلُه

(شعر فى الغَزْو)

وقال الحارثُ بن يزيد (وهو جدُّ الأُحَيمِر السَّعدىِّ) وهو يقع فى باب الغَزْو وتمدُّحهم ببعدالمغْزى[3] :

لاَ لاَ أُعَقُّ ولا أحــو ب ولا أُغــير عَلَى مُضرْ

لَــكنَّما غــزوى إذا ضَجَّ المَـطىُّ منَ الدَّبَرْ

وقال ابن مُحفِّض[4] المـازنىُّ :

---

(١) هو حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن مالك بن غدانة بن يربوع . قال أبو الفرج : كان من لدات الأحنف بن قيس . قال ابن حجر : فإن يكن كذلك فقد أدرك النبى صلى الله عليه وسلم . وله أخبار فى الفتوح . وذكر المبرد فى الكامل أنه غرق فى ولاية عبد الله بن الحارث على العراق . وذلك سنة أربع وستين . الإصابة ١٩٣٣ . وفى ط ، س : « الفزارى » وصوابه فى ل ، كما يتضح من نسبه وكما فى أمالى المرتضى ٢ : ٤٧ حيث يوجد الشعر الآتى .

(٢) رواية المرتضى واللسان ١٣ : ٤٦٢ : « فأمضه » . تعادله ، هو من قولهم : أنا فى عدال من هذا الأمر – بكسر العين – أى فى شك منه ، أأمضى عليه أم أتركه . يقول : اجزم بطرد الهم ولا تتردد فى ذلك .

(٣) المغزى : الغزو ، أو مكانه . والبيتان الآتيان سبقا فى الحيوان ١ : ٣٣ وهما كذلك فى البيان ٣ : ٢٠٠ .

(٤) ط ، س : « مخفض » . وقد اختلف فى ضبط هذا الاسم ، ولذلك قصة فى خزانة =

إن تَكُ دِرْعِي يَوْمَ صَحرَاءِ كَلِيَةٍ (١) أُصِيبت فـا ذَا كُمْ عَلَيَّ بِعارِ

أَلم تَكُ مِنْ أَسْلابكمْ قبل ذا كمُ عَلَى وَقَبَى يوماً ويَوْمَ سَفارِ (٢)

[فتلك سرابيل ابن داودَ بيننا عواريُّ والأيام غير قصارِ (٣)

ونحن طرَدنا الحيَّ بَكْرَ بنَ وائلٍ إلى سَنَةٍ مثلِ الشِّهابِ وَنَارِ (٤)

ومُومٍ وطاعون وحُمّى وحَصْبَةٍ وذى لِبَدٍ يَغشَى المُهَجْهِجَ ضارِى (٥)

وحَـكم عَـدوٍّ لاهَوَادةَ عِنْده ومنزلِ ذلٍّ فى الحَياة وعَارِ

= البغدادى ٢ : ٥١٠ - ٥١١ بولاق . وأصوب الأقوال فى ضبطه ماأثبت من ل .
وابن مخفض هـذا ، هو حريث بن سلمة بن مرارة بن محفض ، من بنى مازن
ابن عمرو بن تميم . قال المرزبانى : هو مخضرم له فى الجاهلية أشعار ، وعاش
إلى أن أدرك الحجاج ، وله معه قصة ؛ فإنه سمعه على المنبر وهو يقول :

بنو المجد لم تقعد بهم أمهاتهم وآباؤهم آباء صدق فأنجبوا

فقام إليـه حريث ، وهو شـيخ كبير ، فقال : أيهـا الأمير . من يقول
هـذا ؟ قال : حريث بن محفض المازنى . فلما نزل دعاه فقال : ماحملك على
قطع الخطبة على ؟ قال : أنا حريث بن محفض ، فإنك أنشدت شعرى فأخذتنى
أريحيته ! قال : فخلاه. الإصابة ١٩٦٨ وانظر ذيل الأمالى ٨١ .

(١) كلية ، بضم الكاف : واد من أودية العلاة باليمامة لبنى تميم . وفى ط ، ل ، « كلبة »
وصوابه من س ومعجم البلدان . وفى ذيل الأمالى : « يوم صحراء كلبة ، وهى
موضع وقعة كانت بينهم وبين بكر بن وائل » .

(٢) فى ذيل الأمالى : « الوقبى » ، وكذلك سفار : ماء لبنى مازن » .

(٣) زدت هذا البيت من معجم البلدان وذيل الأمالى . وسرابيل : دروع . وابن داود
هو سليمان ، وقد أخطأ حريث فنسب الدروع إليه . وإنما تنسب لداود نفسه
وانظر نظير هذا الخطأ فى شعر النابغة والحطيئة فى المعرب للجواليقى ص ٨٥ - ٨٦.
عوارى : جمع عارية . بتشديد الياء وتخفيفها ، وهو مايعار .

(٤) قال أبو على : سنة ، أراد أسكناهم السواد وهو بلد وباء . وروى أبو على :
« مثل السنان » .

(٥) الموم ، بالضم : الجدرى الكثير المتراكب . والمهجهج : من يزجر السبع
يصيح به : هج هج .

وقال آخر[١] :

خُذُوا العَقْلَ إن أعطاكُم القَوْم عَقْلَكُمْ
وكونوا كَمَنْ سِيمَ الهَوَانَ فأَرتعا[٢]

ولا تُكثروا فيها الضِّجاجَ فإنَّه مَحَا السَّيف ماقالَ ابنُ دَارةَ أجْمَعا[٣]

وقال أبو ليلى :

كأَنَّ قَطاتها كُرْدُوسُ فَحلٍ مقلَّصةٌ على ساقَيْ ظليمِ[٤]

(شعر فى السيادة)

وقال أبو سليمى[٥] :

لابدَّ للسُّودد[٦] من أرماحِ ومِنْ سفيهٍ دائمِ النُّباحِ

---

(١) هو الكميت بن ثعلبة كما فى خزانة الأدب ٤ : ٥٦٠ بولاق والمؤتلف ١٧٠ . أو هو الكميت بن معروف ، كما فى حماسة البحترى ١١ ، وشرح التبريزى للحماسة ١ : ٢٠٦ .

(٢) سيم الهوان : كلف الذل . وأرتع : من أرتع إياه : جعلها تأكل ماشاءت وهذه رواية ل ، والخزانة . وفى ط ، س : « فأتبعا » وفى حماسة البحترى : « فأربعا » .

(٣) ابن دارة هو سالم بن مسافع بن يربوع ، كان يهجو بنى فزارة هجوا شنيعا ، فقتله زميل الفزارى ، فقال الكميت ذلك ، يريد أن الفعل أفضل من القول . انظر شرح الحماسة للتبريزى ، وخزانة الأدب ٤ : ٥٦٢ بولاق .

(٤) القطاة : العجز ، أو مابين الوركين . والكردوس ، بالضم : كل عظم كثير اللحم . وكلمة « ساق » هى فى الأصل : « سلق » ولا وجه لها ، وتصحيحها مما سبق فى الجزء الأول ص ٢٧٤ .

(٥) س : « سلمى » . وقد سبق الرجز فى الجزء الأول ٣٥٢ .

(٦) ط ، س : « السود » ، وتصحيحه من ل والجزء الأول .

* ومِنْ عَديدٍ يُتَّقَى بالرّاحِ *

وقال الهذلىّ :

وإنَّ سيــادةَ الأقوامِ فاعْــلَمْ لهــا صَعْداءُ مَطلبها طويل [١]

وقال حارثة بن بدر [٢] ، وأنشده سفيان بنُ عُيينة [٣] :

خَلت الدِّيارُ فَسُدْتُ غيرَ مُسَوَّد ومِنَ الشَّــقاء تفرُّدى بالسُّوددِ

(شعر فى هجاء السادة)

وقال أبو نُخيلة :

وإنَّ بقَوْمٍ سَــوَّدوك لَفَاقَــةً إلى سَيِّدٍ ، لوْ يظفَرُون بسيِّدِ

وقال إياس بن قَتادة ، فى الأحنف بن قيس :

٢٥ وإنَّ مِنَ السّادات مَن لو أطعْتَه دَعَاكَ إلى نارٍ يَفُورُ سَعيرها [٤]

وقال حُميضة [٥] بن حذيفة :

أيظلمهم قسراً فتبًّا لسَعيــهِ وكل مطاعٍ لا أبالكَ يَظلِمُ

(١) انظر كلامى على هذا البيت فى الجزء الثانى ص ٩٥ .

(٢) فى الأصل : « الحارث بن بدر » صوابه فى البيان ٣ : ٢١٩ وأمالى المرتضى ٢ : ٥٣ . وانظر أمالى الزجاجى ٢١ .

(٣) سفيان بن عيينة ذكره ابن قتيبة فى المعارف ٢٢١ فى أصحاب الحديث ، ولد سنة سبع ومائة ، ومات سنة ثمان وتسعين ومائة . قال : وكان أشد الناس اختصارا . سئل عن قول طاوس فى ذكاة السمك والجراد ، فقال : ذكاته صيده . وجاء فى العقد ١ : ٢٩١ : لما انفرد سفيان بن عيينة ومات نظراؤه من العلماء ، تكاثر الناس عليه ، فأنشد يقول : خلت الديار . . . الخ .

(٤) س : « يفود سعيرها » . والبيت فى البيان ٣ : ٣٣٦ .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « حصيصة » .

وقال آخر :

فأصبحتَ بعد الحلم فى الحىِّ ظالما تَخَمَّطُ فيهم والمسوَّدُ يَظْلِمُ[(١)]

وكان أنس بن مدركة[(٢)] [الخثعمى] يقول :

عزمت على إقامةِ ذى صباحٍ لأمرٍ ما يسوَّدُ مَنْ يسودُ[(٣)]

[وقال الآخر :

كما قال الحمار لسهمِ رامٍ لقد جَمَّعْتَ من شىء لأمر

وقال أبو حيّة :

إذا قُلْنَ كلاَّ قال والنَّقْع ساطعٌ بلى ، وهو واهٍ بالجراء أباجِلُه]

وقال آخر[(٤)] :

إنى رأيت أبا العوراء مرتفقاً[(٥)] بشطِّ دِجلة يشرى التمر والسمكا

كشدَّة الخيل تبقى عند مذودها والموت أعلم إذ قَفَّى بمن تركا[(٦)]

هذه مساعيك فى آثار سادتنا ومن تكن أنت ساعيه فقد هلكا

---

(١) التخمط : الكبر والغضب .

(٢) أنس بن مدركة ، أو ابن مدرك : شاعر جاهلى . انظر تحقيق العلامة الراجكوتى فى حواشى الخزانة ٣ : ٨٠ سلفية . وفى ل : « إياس بن مدركة » وهو تحريف .

(٣) هذا البيت من شواهد سيبويه ١ : ١١٦ بولاق ، وقد تكلم فيه صاحب الخزانة ٣ : ٧٧ سلفية .

(٤) الأبيات تجدها أيضا فى الجزء الخامس ص ٥٩٨ .

(٥) فى الجزء الخامس : « مرتفعا » .

(٦) فى س ، وكذا فى الجزء الخامس : « كشرة الخيل » . وفى ل : « كثرة » وكلمة « تبقى » ساقطة من س وهى فى الجزء الخامس « تبغى » . و : « إذ قفى » هى فى الجزء الخامس « من يدفى » .

وقال شتيم بن خُويلد ، [أحد بنى غراب بن فزارة] :

وقلت لسيِّدِنا يا حليمُ   إنَّك لَمْ تأْسُ أَسْوًا رَفِيقَا[١]

أعَنتَ عديًّا[٢] على شأوها   تُعادى فَريقاً وتُبقى فريقَا

زَحرتَ[٣] بها ليلةً كلَّها   فجئتَ بهَا مؤْيِداً خَنْفَقِيقَا[٤]

وقال ابن ميادة[٥] :

أتيتُ ابن قَشراء العِجانِ[٦] فلم أجدْ   لدى بَابِهِ إذناً يسيراً ولا نُزْلا[٧]

وإنَّ الَّذِى ولَّاكَ أمْر جماعةٍ   لأنقَصُ من يَمْشِى على قَدَمٍ عَقلا

(شعر فى المجد والسيادة)

وقال آخر[٨] :

ورِثنَا المَجْد عن آباء صِدقٍ   أسأْنَا فى ديارِهِمُ الصَّنيعا

---

(١) أنشده ابن الأنبارى فى الأضداد ٢٢٥ وقال : « أراد ياحليم عند نفسك ، فأما عندى فأنت سفيه » .

(٢) كذا فى ل ، ومعجم المرزبانى ٣٩٢ والبيان ١ : ١٨١ . وفى ط ، س : « عليا » .

(٣) زحرت ، من الزحير ، وهو التنفس بأنين .

(٤) قال الجاحظ فى البيان : « مؤيد : داهية . خنفقيق : داهية أيضا » . ط : « مريدا حنفقيقا » ، وتصحيحه من ل ، س ، والبيان .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وقال آخر » . وجاء فى الجزء الخامس نسبة البيتين إلى ابن أحمر .

(٦) القشراء : الشديدة الحمرة . والرواية فى الجزء الخامس : « حمراء » .

(٧) « يسيرا » هى فى ط ، س : « يسر » ، وأثبت مافى ل ، والجزء الخامس . والنزل أصله بضم النون والزاى ، وسكن للشعر . والنزل : ماأعد للضيف .

(٨) هو معن بن أوس المزنى ، كما فى الأغانى ١٠ : ١٥٨ . والبيتان كذلك فى عيون الأخبار ٤ : ١١٣ .

إذا المَجْدُ الرَّفيعُ تَعاورتْه بُناةُ السُّوءِ أوْشَكَ أنْ يضيعَا

وقال الآخر :

إذا المرءُ أثْرَى ثمَّ قال لقومه أنَا السَّيِّدُ المُفْضَى إليه المعمَّمُ[(١)]

ولم يعْطِهِمْ خيراً أبَوْا أنْ يَسُودَهُم وهَان عليهمْ رَغْمُهُ وهو أظْلمُ[(٢)]

وقال الآخر[(٣)] : ٢٦

تركتُ لبحرٍ دِرهَميه ولمَ يَكُنْ ليَدفَعَ عَنِّى خَلَّتِى دِرْهَمَا بحرِ[(٤)]

فقلتُ لبحرٍ خذْهُما واصطَرِفْهُما وأنفِقْهما فى غيرِ حَمْدٍ ولا أجرِ

أتمنَعُ سُؤَّال العَشيرةِ بعدَ مَا تسمَّيتَ بحراً وأكنيت أبا الغَمر

وقال الهذلىُّ :

وكنت إذا ما الدَّهرُ أحدَث نَكبة أقولُ شَوًى ، مالمَ يُصِبنَ صميمى[(٥)]

وقال آخر فى غير هذا الباب :

سقى الله أرضاً يَعْلَمُ الضَّبُّ أنَّها بعيدٌ من الأدواء[(٦)] طَيِّبَةُ البَقْلِ

بنى بيته فى رأس نَشْزٍ وكُدْيةٍ[(٧)] وكلُّ امرئٍ فى حِرفَةِ العَيْش ذُو عقْلِ

---

(١) فى عيون الأخبار ١ : ٢٤٨ : « المفضى إليه المعظم » . ونسب فى أمالى الزجاجى ١٨ إلى المغيرة بن حبناء .

(٢) فى حماسة ابن الشجرى ١٠٠ : « وهان عليهم فقده » .

(٣) فى العقد ٢ : ٢٧٥ : « سأل أعرابى رجلا يقال له عمرو ، فأعطاه درهمين ، فردهما عليه فقال » ، وأنشد البيتين الأولين ، برواية « عمرو » مكان : « بحر » . وفى محاضرات الراغب ٢ : ١٥٢ : « ولى رجل يقال له البحر ، ويكنى أبا الغمر بعض كور خراسان ، فمدحه شاعر فأعطاه درهمين فقال » . وأنشد البيتين الأولين . وانظر عيون الأخبار ٣ : ١٤٣ .

(٤) فى الأصل : « بحرى » وهو تحريف . والخلة بالفتح : الحاجة والفقر .

(٥) أنشد ابن الأنبارى هذا البيت فى الأضداد ١٩٩ وقال : شوى أى هين حقير .

(٦) الأدواء : جمع داء ، وفى ل : « الأرواء » .

(٧) فى الأصل : « بنا » . النشز : المكان المرتفع . والكدية : الأرض الغليظة .

(أبو الحارث جمّين والبرذون)

وحدّثنى المكىُّ قال : نظر أبو الحارث [جُمَّين][1] إلى برذون يُستقَى عليه ماءٌ ، فقال : المرءُ حيثُ يَضعُ نفسَه[2] ! هذا لو قد هملَجَ لم يُبْتَلَ بمـا تَرى !

(بين العقل والحَظّ)

وقال عبد العزيز بن زُرارة الكلابى :

وما لُبٌّ[3] اللَّبِيب بغير حظٍّ   بأغنى فى المعيشةِ من فَتيل[4]
رأيت الحَظَّ يستُر كلَّ عَيْب   وَهَيْهَاتَ الحُظوظُ من العقول

---

(١) كذا فى ل ، وفى مواضع متعددة من البيان ، وصاحب القاموس يرى هذا خطأ ، وأن صوابه « جميز » قال – فى مادة جمن – : « ضبطه المحدثون بالنون والصواب بالزاى المعجمة ، أنشد أبو بكر بن مقسم :

إن أبا الحارث جميزا   قد أوتى الحكمة والميزا »

(٢) بدل هذه فى البيان ٢ : ١٠٢ :

* « وما المرء إلا حيث يجعل نفسه » *

وهو صدر بيت لحريث اللحام (الوساطة ١٥٦) وعجزه :

* فأبصر بعينيك امرأ حيث يعمد *

(٣) ط ، س : « لبث » ، وتصحيحه من ل .

(٤) الفتيل : الهنة التى فى شق النواة . وفى ط : « قتيل » تحريف مافى س ، ل .

(هجو الخَلْف)

وقال الآخر[1] :

ذهبَ الَّذين أُحِبُّهمْ سلَفاً[2] وبَقِيت كالمقْهـور فى خَلْفٍ[3]
من كلِّ مَطّـوِيٍّ على حَنَقٍ مُتَضَجِّعٍ يُكْفَى ولا يَـكفِى[4]

(عبد العين)

وقال آخر :

ومَوْلًى كَعَبْدِ العَيْن أمَّا لِقـاؤه فيُرضى وأمّا غَيبُـه فظَنُونُ[5]

ويقال للمرائى ، ولمن إذا رأى صاحبَه تحرّك له وأرَاه الخدْمةَ والسرعة فى طاعته فإذا غابَ عنه وعن عينه خالف ذلك : « إنَّما هو عَبْدُ عَينٍ[6] » .

---

(١) هو الأحوص ، كما فى البيان ٢ : ١٨٤ . والبيتان أيضا فيه ٣ : ٣٣٦ .

(٢) ل : « أحب قربهم » . وفى البيان : « أحبهم فرطا » .

(٣) فى الجزء الثانى من البيان : « كالمقمور » . وفى الثالث : « كالمغمور » . وكلمة « خلف » هى فى ط : « خلق » محرفة .

(٤) المتضجع : من تضجع فى الأمر ، إذا تقعد ولم يقم به .

(٥) فى ثمار القلوب ٢٦٣ : « فضنين » ، وهو تحريف ماهنا . وفى البيان ٣ : ٢٠٤ :

ومولى كداء البطن أما لقاؤه فحلو وأما غيبه فظنون

والظنون بالفتح كالظنين : وهو المتهم الذى لايوثق به . ويصح أن تقرأ بضم الظاء جمعا للظن .

(٦) للميدانى مثل هذا الكلام فى أمثاله ٢ : ٣٢٠ وزاد : « وكذلك يقال : فلان أخو عين ، وصديق عين : إذا كان يرائى فيرضيك ظاهره » .

وقال اللهُ عزَّ وجلّ : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَن إنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إلَيْكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ إنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ﴾ .

(من إيجاز القرآن)

وقد ذكرناً أبياتاً تُضاف إلى الإيجاز وقِلَّة الفُضول ، ولى كتابٌ جَمَعْتُ فيه آياً من القرآن ؛ لتَعرِفَ بها [فصل] ما بينَ الإيجاز والحذف ، وبين الزّوائد والفُضول والاستعارات ، فإذا قرأتَها رأيت فضلها فى الإيجاز والجمْعِ للمعانى الكثيرةِ بالألفاظ القليلة [على الّذى كتبتُهُ لك فى بابِ الإيجازِ وترك الفضول] . فنها قوله حينَ وصفَ خمرَ أهلِ الجنّة : ﴿ لَا يُصَدَّعُون عَنْهاَ وَلاَ يُنْزِفونَ ﴾ . وهاتان الكلمتان قد جَمَعتا جميعَ عُيوبِ خمرِ أهلِ الدُّنيا . ٢٧

وقولُه عزّ وجل حينَ ذكر فاكهةَ أهلِ الجنّة فقال : ﴿ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ . جمع بهاتين الكلمتين جميعَ تلك المعانى .

[وهذا كثيرٌ قد دَلَلتك عليه ، فإنْ أردتَه فوضعُه مشهور] .

(رأى أعرابى فى تثمير المال)

وقال أعرابىٌّ من من بنى أسد :

يقُولون ثَمِّر ما استطَعت ، وإنّما ... لِوَارِثِه ما ثَمَّرَ المالَ كاسبُه

فكلْهُ وأطعِمْهُ وَخالِسهُ وَارِثاً ... شحيحاً ودهراً تَعْتَرِيكَ نوائبُه [1]

---

(١) خالسه ، من المخالسة ، وهى الأخذ فى نهزة ومخاتلة .

(شعر فى الهجاء)

وقال رجلٌ من بنى عَبْس :

أبلغ قُراداً لقــد حَكَّمْتُمُ رجــلاً[1]
لا يَعرِفُ النَّصْفَ بل قد جاوَزَ النَّصَفا[2]

كان امرأً ثأْراً والحــقُّ يَغْلِبُــه فجانَبَ السَّهْلَ سَهْلَ الحقِّ واعتَسفا

وذاكمُ أنَّ ذلَّ الجارِ حالَفَكُم وأنَّ أنفَكُمُ لا يعرف الأنَفا

إنَّ المحكَّمَ مالَمْ يَرْتَقِبْ حَسَباً
أوْ يَرْهَبِ السَّيفَ أو حَدَّ القَنَا جنَفَا[3]

مَن لاذَ بالسَّيفِ لاقى قَرضَه عجبا[4] موتاً على عَجَلٍ أو عاش مُنْتَصِفَا

بِيعُوا الحياة بها إذ ســام طالبُها إمَّا رَواحاً وإما مِيتَــةً أنَفــا[5]

---

(١) ط ، س : « أبلغ فؤادى لقد حركتمو » ، وهو تحريف ماأثبت من ل . وقراد : اسم قبيلة .

(٢) النصــف مثلثة والنصفة بالتحريك : الإنصــاف . والنصف بالتحريك : الاسم منه . والأبيات فى البيان ١ : ٢١١ .

(٣) جنف : مال مع أحد الخصمين ، أو جار .

(٤) القرض ، أصله : مايتجازى به الناس بينهم . وجاء فى ل ، والبيان ١ : ٢١١ : « فرصة » .

(٥) يقول : بيعوا الحياة بالحياة . ويقال سام بالسلعة وساوم واستام بها وعليها : غالى . وقد تعــدى الفعــل هــنا بنفسه . فى ط ، س : « نام » وليس بشىء . وأثبت مافى ل .

ليس امروٌ خالداً والموتُ يطلبهُ هاتيك أجْسادُ عادٍ أصبَحَتْ جِيفَا
أبلِغْ لَديكَ أبا كعب(١) مغَلْغَلةً أنَّ الذى بيننا قد مات أو دنِفا(٢)
كانت أمورٌ فجابت عن حُلومكم ثَوْبَ العَزِيمةِ حتَّى انجابَ وانكَشَفا(٣)
إنِّى لأعلَمُ ظَهْرَ الضِّغن أعْدِله عَنِّى ، وَأعْلَمُ أنِّى آكُلُ الكتفا(٤)

(شعرٌ حِكْمىّ)

وقال أسقفُ نجْران(٥) :

منَعَ البقَاءَ تصرُّفُ الشمسِ وطُلوعُها منْ حَيْثُ لا تُمسِى
وطُلوعُها بَيضاءَ صافِيَةً وغروبُها صَفْراءَ كالوَرْس
اليوم أعلم ما يجىءُ بِهِ ومضى بفَصْلِ قضائِه أمْس

---

(١) ل : « سعد » . والمغلغلة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد .

(٢) دنف : براه المرض حتى أشفى على الموت . وفى س : « قد بات » محرف .

(٣) كذا فى ط ، س . وفى ل : « فجافت » و « مال فانكشفا » .

(٤) كذا فى ل ، وفى ط ، س : « أين آكل » . وقولهم : « يعلم من أين تؤكل الكتف » كناية عن الحذق .

(٥) الشعر نسب فى معاهد التنصيص ٢ : ١٢١ وكذلك الصناعتين ١٩٢ إلى بعض ملوك اليمن . ونسب فى العقد ٢ : ١٢٢ إلى عابد من نجران ، وفى معجم المرزبانى ٣٣٩ إلى القمقام بن العباهل ، وهو تبع الثانى أو الثالث ، ملك حضرموت واليمن . وانظر خبرا متعلقا به فى كل من زهر الآداب ٣ : ١٨٣ وذيل أمالى القالى ٢٩ .

وقال عَبيدُ بن الأبرص[١] :

وكُلُّ ذِى غَيْبَـةٍ يَئُوبُ وغائِبُ المـوْتِ لا يَئُوبُ

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوه وسائِلُ اللهِ لا يَخِيبُ

[وعاقِرٌ مثلُ ذاتِ رِحْمٍ وغانِمٌ مِـثْلُ مَنْ يَخِيبُ]

أَفْلِـحْ بما شئْتَ فقَدْ يُبْلَغُ[٢] بالضَّعْف وقَدْ يُخدَعُ الأرِيبُ ٢٨

المرءُ مَا عاشَ فى تَـكْذِيبِ طُولُ الحياةِ لَهُ تَعذِيبُ

وقال آخر[٣] :

إذَا الرِّجالُ ولَدَتْ أَوْلادُها واضطَرَبَتْ مِنْ كِبَرٍ أَعْضادُها

وَجعَلَتْ أَوْصـابُها تعتادُها فَهْىَ زُروعٌ قد دنَا حَصَادُها

(مرثية محمد المخلوع)

وقالت بنت عيسى بن جعفر[٤] ، وكانت مُمْلَكَةً[٥] لمحمدٍ[٦] المخلوع حينَ قتل :

---

(١) كذا فى ل . والشعر من قصيدته المشهورة التى أولها :

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب

(٢) ل : « يدرك » .

(٣) هو زر بن حبيش . قاله وقد حضرته الوفاة . وكان قد عاش مائة وعشرين سنة . انظر أدب الدنيا والدين ١٠٨ . والرجز أيضاً فى الحيوان (٦ : ٥٠٦) والعقد (٢ : ٢٦٨) ومعجم الأدباء ١٦ : ١٢٤ .

(٤) عيسى بن جعفر ، هو حفيد أبى جعفر المنصور ، ولى البصرة وكورها وفارس والأهواز واليمامة والسند ، ومات بدير بين بغداد وحلوان . المعارف ١٥٦ – ١٦٦ .

(٥) مملكة ، من الإملاك ، وهو عقد الزواج . وفى ط « ملكها » وهو تحريف ما أثبت من ل ، س .

(٦) محمد المخلوع ، هو الأمين بن هارون الرشيد . وفى العقد (٢ : ١٧٨) أن اسم المرأة لبانة بنت ريطة بن على ، وفى مروج الذهب (٢ : ٣١٦ بهية) أنها لبابة ابنة على بن المهدى ، وفيهما زيادة فى الشعر . وفى البيان (٣ : ١٢١) أنه لامرأة فى بعض الملوك . وفى الطبرى ١٠ : ٢١٠ أن الشعر للبابة أو لابنة عيسى بن جعفر .

أبكيك لا للنَّعيم والأُنس بَلْ لِلمعالى والرُّمحِ والفَرَسِ
أبكى على فارسٍ فُجعتُ به أَرملَنى قبلَ لَيلةِ العُرُس

(من نعت النساء)

وقال سَلْمٌ الخاسر[1] :

تبدَّتْ فقلتُ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلوعِها بجيدٍ نقيِّ اللَّونِ من أَثرِ الوَرْس[2]
فلما كَرَرْتُ الطَّرفَ قلت لصَاحِبِى على مِرْيةٍ : ما هاهُنا مَطلع الشمس!

---

(١) هو سلم بن عمرو ، مولى بنى تيم بن مرة ، شاعر بصرى قدم بغداد ومدح المهدى والهادى والبرامكة . قالوا : سمى بالخاسر لأنه ورث عن أبيه مصحفا فباعه واشترى طنبورا . وهو صاحب البيت المشهور :

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور

كان سلم تلميذ بشار بن برد وراويته . وجاء اسمه فى الوفيات برسم « سالم » وهو خطأ . انظر الأغانى (٢١ : ٧٣ - ٨٤) وتاريخ بغداد ٤٧٥٤ .
ومما ينص على تعيين اسمه قول أبى العتاهية له :

سلم ياسلم ليس دونك سر حبس الموصلى فالعيش مر

وقوله :

إنما الفضل لسلم وحده ليس فيه لسوى سلم درك

وقوله :

والله والله ما أبالى متى مامت ياسلم بعد ذا السفر

وقوله :

تعالى الله ياسلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال

(٢) « الشمس » يصح قراءتها بالنصب ، بجعل « قلت » بمعنى ظننت . ويصح الرفع بتقدير « هى » . ل : « بجلد نقى اللون أثر كالورس » .

(شعر رثاء)

وقال الآخر[١] :

كَفى حَزَناً بدَفنِكَ ثُمَّ أَنّى   نَفَضْتُ تُرابَ قبْرِك عَنْ يَدَيَّا

وكانت فى حياتِكَ لى عِظَاتٌ   وأنتَ اليوْمَ أوعَظُ منْكَ حَيّا[٢]

باب

من المديح بالجمال وغيره

قال مُزَاحِمٌ العُقَيلىّ :

يزِين سنا الماوِىِّ[٣] كلَّ عشيَّةٍ   على غَفَلَاتِ الزَّينِ والمتجَمَّلِ[٤]

وجوهٌ لوَ انَّ المدْلجِينَ اعتشوْا بها   صَدَعْنَ الدُّجى حتّى ترى اللَّيلَ ينْجَلى[٥]

وقال الشَّمَرْدَل :

إذا جَرَى المسْكُ يَنْدَى فى مفارِقِهِمْ   راحُوا كأنهمُ مَرْضَى من الكَرَمِ

---

(١) هو أبو العتاهية يرثى على بن ثابت الأنصارى ، كما فى معاهد التنصيص (٢ : ١٨٥) . أو ولدا له كما فى العقد (٢ : ١٥٦) . وانظر الكامل ٢٣٠ ليبسك وذيل الأمالى ص ٢ ومروج الذهب (٢ : ٣٦٨) والمستطرف (٢ : ٢٩٤) .

(٢) انظر لهذا البيت الاستدراكات .

(٣) الماوى : لغة فى الماوية أى المرآة ، أو جمع لها عند ابن الأعرابى . وفى ط : « الماذى » وفى س : « المازى » وفى ل : « المادى » وكل ذلك تحريف ما أثبت ، كما فى اللسان (مادة موى) والبيان (٣ : ٢٥٢ و ٤ : ٦٩) .

(٤) فى الأصل : « والمتحمل » وصوابه من اللسان والبيان (٣ : ٢٥٢ و ٤ : ٦٩) ومجالس ثعلب ٢٧٧ . وهى مصدر من تجمل .

(٥) انظر تفسيره فى اللسان (عشا ٢٨٧) .

يشبّهونَ ملوكاً من تجلّتهم[1] وطولِ أنضية الأعناقِ والأُمم[2]

[النضِيُّ : السَّهم الذى لم يرَش ، يعنى أن أعناقهم مُلسٌ مستوية[3] .

والأُمم[4] : القامات] .

وقال القتَّال الكلابيّ :

٢٩ يا لَيتَنى ، والمُنى لَيست بنافعةٍ[5] لمالكٍ أو لِحِصْنٍ أو لسَيَّارِ[6]

طوال أنضِيَةِ الأعْناقِ لم يجِدُوا رِيحَ الإماء إذا راحت بأزفار[7]

لم يرْضَعُوا الدَّهْرَ إلاَّ ثَدْىَ واضِحةٍ لواضِحِ الوَجْهِ يَحمِى باحَةَ الدَّارِ[8]

وقال آخر :

إذا كان عَقْلٌ قلتمُ إنَ عَقْلَنَا إلى الشَّاء لم تَحْلُلْ عَلينا الأباعِرُ

وإنَّ امرأً بعدِى يُبادل[9] وُدَّكُمْ بُودِّ بنى ذبيان مولى لخاسِرُ

---

(١) ل وكذا الكامل (٣٥ ليبسك) ، وأمالى القالى (١ : ٢٣٨) : « فى تجلتهم » . والتجلة : العظمة . وفى العقد (٦ : ٢٢٨ لجنة التأليف) : « فى مجلتهم » . ورواية الحماسة (٢ : ٢٧٨) : « يشبهون سيوفا فى صرامتهم » .

(٢) كذا جاءت الرواية فى ل والأمالى والحماسة ، ويروى : « اللمم » جمع لمة ، بكسر اللام ، وهو شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة .

(٣) جاء فى الكامل : « فالنضى مركب النصل فى السنخ . وضربه مثلا . وإنما أراد طوال الأعناق » .

(٤) الأمم : جمع أمة ، بضم الهمزة .

(٥) ل : « بمغنية » .

(٦) قال المبرد فى الكامل ٣٥ ليبسك : « وقوله لمالك أو لحصن أو لسيار » ، فهؤلاء بيت فزارة » ، يريد موضع الشرف فيهم .

(٧) الأزفار : جمع زفر بالكسر ، وهو الحمل بالكسر ، كما فى الكامل واللسان (مادة زفر) . وفى س : « بأذفار » فيكون جمع ذفر بالتحريك ، وهو خبث الريح .

(٨) قال المبرد : واضحة : أى خالصة فى نسبها ، وليست بأمة .

(٩) فى هامش س : « خ : تبدل » أى فى نسخة .

أولئك قومٌ لا يُهان هَديُّهم (١) إذا صرَّحتْ كَحْلٌ وهَبَّتْ أعاصِرُ (٢)

مَذاليق (٣) بالخَيل العِتاق إذا عَدَوا (٤) بأيديهمُ خطِّيَّـةٌ وبَواتِرُ

وقال أبو الطَّمَحان القَيْنيّ في المعنى الذي ذكرنا :

كم فيهمُ مِنْ سَيِّدٍ وابنِ سَيِّدٍ وَفِيٍّ بعَقْدِ الجارِ ، حِينَ يُفارقُه

يكاد الغَمام الغُرُّ يُرْعِدُ أنْ رَأى وُجُوهَ بَنِى لأمٍ وينْهَلُّ بارقُه

وقال لَقِيطُ بن زرارة (٥) :

وإنِّي مِنَ القَوْمِ الذين عَرَفْتمُ إذا مات منْهُمْ سَيِّدٌ قامَ صاحبُه

نجومُ سماءٍ كلما غارَ كَوْكَبٌ بَدَا كَوْكَبٌ تأوِى إليه كواكبُهْ

أضاءتْ لهمْ أحسابهُـمْ ووُجُوههُمْ دُجَى اللَّيلِ حتَّى نَظَّمَ الجزعَ ثاقِبه (٦)

وقال بعض التَّميميِّين ، يمدَح عوفَ بنَ القَعْقاع بنِ مَعْبَدِ بن زرارة :

بحقٍّ امرئٍ سرو عتيبة خاله (٧) وأنت لقعقاع وعمُّك حاجبُ

[دراري نجوم كلما انقضَّ كوكبٌ بدا كوكبٌ رفضٌ عنه الكواكبُ]

---

(١) الهدى : الرجل ذو الحرمة ، يأتى القوم يستجير بهم أو يأخذ منهم عهدا . فهو مالم يجر أو يأخذ العهد هدى ، فإذا أخذ العهد منهم فهو حينئذ جار لهم . اللسان (هدى) .

(٢) كحل ، بالفتح ، هى السنة والجدب ، . وصرحت : صارت خالصة فى شدتها وجدبها . وهو مثل . انظر الميدانى ٢ : ٣٧٠ واللسان . وفى س : « كهل » محرفة .

(٣) كذا فى ل . والمذلاق : السريع الجرى ، جمعه مذاليق . وفى ط ، س : « مداليف » من الدليف ، وهو المشى الرويد . وليس يصح المعنى به .

(٤) ل : « غزوا » .

(٥) الشعر منسوب إلى أبى الطمحان القينى فى الكامل ٣٠ ليبسك والوساطة ١٥٩ والحماسة (٢ : ٢٧٢) .

(٦) الجزع ، بالفتح : ضرب من الخرز فيه سواد وبياض .

(٧) كذا فى ط ، س . وفى ل : « يسرو عيينة » ، وفى الشطر تحريف .

وقال طفَيْلٌ الغَنَوِىُّ :

وكانَ هُرِيمٌ مِن سِنانٍ خَلِيفةً ... وعمرو ومن أسماءَ لمَّا تَغَيَّبُوا
نجومُ ظلام كلما غاب كوكبٌ ... بَدَاساطِعاًفى حِنْدِسِ اللَّيلِ كَوْكَب[١]

وقال الخرَيمى[٢] ، يمدح بنى خُرَيم[٣] ، من آل سنان بن أبى حارثة :

بقيَّة أقمارٍ من الغُرِّ لو خَبتْ[٤] ... لَظلَّت مَعَدٌّ فى الدُّجَى تَتَكَسَّعُ[٥]
إذا قمرٌ منهم تَغَوَّرَ أو خَبَا ... بدَا قمرٌ فى جانبِ الليل[٦] يَلْمَعُ

وقال بعضُ غنِيٍّ[٧] ، وهو يمدح جماعةً إخوة ، أنشدنيها أبو قطَن ، الذى يقال له شهيد الكَرَم :

٣٠ حَبِّر ثَناء[٨] بنى عمرٍو فإنَّهمُ ... أُولو فُضولٍ وأنْفالٍ وأخطارِ[٩]
إنْ يُسْأَلُوا الخيْرَ يُعطُوهُ ، وَإنْ جُهِدُوا ... فالجَهْدُ يُخْرِج منْهُمْ طِيبَ أخبارِ[١٠]

---

(١) ديوان طفيل ١٨ والبيان ٣ : ٣٣٧ . ل : « نجوم سماء » . ل ، س : « غار كوكب » . ل : « بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب » .

(٢) الخريمى بالراء تقدمت ترجمته فى الجزء الأول ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٣) ط ، ل : « حزيم » : وتصحيحه من س . وانظر ترجمة الخريمى .

(٤) ط ، س : « أقوام » موضع « أقمار » . و « الغر » هى كذلك فى س . وفى ل : « العر » ، وفى ط : « العز » ، محرفتان .

(٥) فى اللسان : « وتكسع فى ضلاله : ذهب ، كتسكع . عن ثعلب » .

(٦) الرواية فى الوساطة ١٥٩ : « فى جانب الأفق » .

(٧) أى أحد الغنويين . وانظر التحقيق الخاص به فى الجزء الثانى ص ٨٩ .

(٨) ط ، س : « خبر ثنائى » وتصحيحه من ل . والتحبير : تحسين الخط أو الكلام أو الشعر .

(٩) الفضول : مايتبقى من الغنائم حين تقسم ، يختص بها الرئيس .

(١٠) جهدوا : أصابهم الجهد ، وهو شدة الزمان .

وإنْ تَودَّدْتَهم لانُوا ، وإن شُهِموا   كشفْتَ أذمَار حربٍ غيرَ أغمارِ[١]
مَنْ تَلْقَ مِنهُمْ تَقُلْ لاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ   مِثْلُ النُّجوم التى يسرى بها السَّارى

وقال رجلٌ من بنى نهشل[٢] :

إنِّى لِمِنْ مَعْشَرٍ أفْنَى أوائلَهُمْ   قِيلُ الكُماةِ ألا أينَ المحامُونا
لو كانَ فى الألفِ منَّا واحدٌ فدَعَوْا   مَنْ فارسٌ خالَهُمْ إيَّاهُ يَعنُونا[٣]
وليسَ يَذْهَبُ مِنَّا سَيِّدٌ أبَداً   إلاَّ افتلَيْنا غُلاماً سَيِّداً فِيناَ[٤]

وفى المعنى الأوّل يقول النّابغةُ الذُّبيانىّ :

وذاكَ لِأنَّ اللهَ أعْطاك سُورَةً[٥]   ترَى كُلَّ مُلْكٍ دُونَها يَتَذَبْذَبُ
بأنَّك شمسٌ والملوك كواكبٌ   إذا طَلَعت لم يَبْدُ منهنَّ كَوكَبُ

وفى غير ذلك من المديح يقول الشاعر :

وأتيتُ حَيًّا فى الحروب محلُّهم   والجيشُ باسم أبيهمُ يُسْتَهزَمُ

[وفى ذلك يقول الفرزدق :

لتَبْك وكيعاً خيلُ ليلٍ مُغيرةٌ   تَساقَى السِّمامَ بالرُّدَيْنِيَّة السُّمْرِ[٦]

---

(١) انظر تفسير البيت فى الجزء الثانى ص ٨٩ . وجاء فى س : « وإن شتموا » محرفة . وفيها أيضا : « أذمار شر » وفى ل : « شد » وفيهما : «غير أشرار» .

(٢) هو بشامة بن حزن النهشلى كما فى شرح التبريزى للحماسة ١ : ٥٠ . وانظر الحماسة ١ : ٢٥ .

(٣) ل : « من عاطف » . يقال عطف على العدو : مال عليه .

(٤) الافتلاء : الافتطام والأخذ عن الأم .

(٦) السورة : بالضم : المنزلة الرفيعة .

(٦) وكيع هذا هو ابن أبى سود الغدانى . والسمام : جمع سم . ورواية الديوان ٢٤٦ والكامل ٧٦٥ ليبسك : « المنايا » . وانظر كتاب البغال ٢٦٨ .

لقوا مثلَهم فاستهزَموهمْ بدعوةٍ دعَوْها وكيعاً وَالرِّماحُ بهم تجرى[١]

وأما قول الشاعر :

* تخامل المحتد أو هزام[٢] *

فإنما ذهَبَ إلى أنَّ الدَّعوةَ إذا قام بها] خامل الذِّكر والنسب[٣] فلا يحسُده من أكفائِه أحـدٌ ، وأما [إذا قام بها[٤]] مذكورٌ بُيمن النَّقِيبة ، وبالظَّفَر المتتابع ، فذلك أجـود[٥] مايكون ، وأقربُ إلى تمام الأمر .

وقال الفرزدق :

تَصرَّم منّى[٦] وُدُّ بكرِ بنِ وَائلٍ وما كان وُدِّى عَنْهُمُ يتصرَّمُ

قوارصُ تأتِينى ويَحتقِرُونها وقَدْ يَملأُ القَطْرُ الأناءَ فَيُفْعَمُ[٧]

وقال الفرزدق[٨] :

وقالتْ أُراهُ واحداً لاأخَا لَهُ[٩] يؤمِّله فى الوَارِثِينَ الأباعِـدُ

---

(١) رواية الديوان والكامل : « والجياد بهم تجرى » . وما هنا أجزل وأقوى .

(٢) كذا جاء .

(٣) ط ، س : « وإذا قام بالدعوى خامل الذكر والنسب » .

(٤) ليست بالأصل والكلام فى حاجة إليها .

(٥) س : « أجوز » .

(٦) كذا فى ل . ، وفى ط ، س : « تذكر حبى » وهو تحريف .

(٧) ل : « الأتى » . وهو الجدول تؤتيه إلى أرضك .

(٨) الشعر الآتى قاله الفرزدق عند ماعيرته زوجه نوار بأنه لاولد له . عيون الأخبار ٤ : ١٢٢ ومعاهد التنصيص ١ : ١٠٢ . وفى الديوان ١٧٢ أن التى عيرته هى امرأته طيبة بنت العجاج المجـاشعى . وينسب الشعر أيضـا إلى ابن عنقاء الفزارى . معجم المرزبانى ٣٤٣ .

(٩) فى الديوان : « طاح أهله » ،وفى المعجم : « باد أهله » .

لعلَّكِ يوماً أن ترَيْني[1] كأنَّما   بَنِىَّ حَوَالَىَّ الأُسُودُ الحوارِدُ[2]
فإنَّ تميما قبل أن يلد الحصى[3]   أقام زماناً وهو فى الناس واحدُ

وقال الفرزدق أيضاً[4] :

فإنْ كانَ سيفٌ خانَ أو قَدَرٌ أَتَى[5]   لميقاتِ يومٍ حَتْفُه غير شاهدِ[6]
فسَيْفُ بنى عَبْسٍ وقد ضَرَبُوا بِهِ   نبابيدَىْ وَرْقاءَ عن رأسِ خالدِ[7]
كذاكَ سُيوفُ الهِنْدِ تَنْبُو ظُباتُها   ويقْطَعْن أحياناً مَناطَ القَلائدِ

---

(١) ط ، س « ترانى » وهو تحريف ، وصوابه من ل وعيون الأخبار . وفى الديوان : « فإنى عسى أن تبصرينى » .

(٢) الحوارد : جمع حارد ، وهو المجتمع الخلق الشديد الهيبة . ورواية الديوان : « اللوابد » .

(٣) الحصى : العدد الكثير . وقال الأعشى :

ولست بالأكثر منهم حصى   وإنما العزة للكاثر

(٤) وكان قدم سليمان بن عبد الملك أسيراً من الروم وأمره أن يضربه بالسيف ، فلما ضربه بالسيف لم يؤثر فيه ، وكلح الرومى فى وجهه ، فارتاع الفرزدق ، وضحك سليمان والقوم . فقال جرير :

بسيف أبى رغوان سيف مجاشع   ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ضربت به عند الإمام فأرعشت   يداك وقالوا محدث غير صارم

انظر تفصيل الخبر فى الأغانى (١٤ : ٨٢ — ٨٣) والغيث المنسجم (٢ : ١١٣) والعمدة (١ : ١٢٦) والنقائض ٣٨٤ .

(٥) س : « أنى » بمعنى حان . وانظر رواية البيت فى حماسة البحترى ٥٦ .

(٦) يروى : « لتأخير نفس حتفها » .

(٧) ورقاء هذا هو ابن زهير بن جذيمة العبسى . وخالد ذاك هو ابن جعفر بن كلاب العامرى ، وكان خالد قد برك على زهير تمهيداً لقتله ، ولحقه حندج بن البكاء العامرى ، وقال : نح رأسك ياأبا جزء — يعنى خالداً — فنحى خالد رأسه ، وضرب حندج رأس زهير ، وضرب ورقاء بن زهير رأس خالد العامرى بالسيف ، وكان على خالد درعان فنبا سيف ورقاء ، فقال فى ذلك :

(خير قصار القصائد)

وإنْ أحببتَ أن تَروِى مِن قِصار القصائدِ شِعراً لم يُسمَع بمثله[١] ، فالتَمِسْ ذلك فى[٢] قصار قصائدِ الفَرَزْدق ؛ فإنَّك لم تَرَ شاعراً قطُّ يجمَعُ التَّجْويدَ فى القِصار والطِّوال غَيْرَه .

وقد قيل للكُميت : [إنّ] النَّاسَ يزْعُمون أنَّك لاتقدِر على القِصار ! قال : مَنْ قال الطِّوالَ فهو على القِصار أقدر[٣] .

هذا الكلام يَخرُج فى ظاهر الرَّأى والظَّن ، ولم نجدْ ذلك عند التَّحصيل على ماقال .

= رأيت زهيراً تحت كلكل جعفر فأقبلت أسعى كالعجول أبادر
إلى بطلين ينهضان كلاهما يريغان نصل السيف والسيف نادر
فشلت يمينى إذ ضربت ابن جعفر وأحرزه منى الحديد المظاهر

الأغانى (١٠ : ١٤) . وقد شاع حديث الفرزدق بهذا ، حتى حكى أن المهدى أتى بأسرى من الروم ، فأمر بقتلهم ، وكان عنده شبيب بن شيبة فقال له : اضرب هذا العلج ، فقال : ياأمير المؤمنين ، قد علمت ما ابتلى به الفرزدق فعير به قومه إلى اليوم ! فقال : إنما أردت تشريفك ، وقد أعفيتك . انظر أدب الدنيا والدين ٦ – ٧ . والفرزدق فى شعره يعرض بسليمان بن عبد الملك ويعيره بنبو سيف ورقاء العبسى عن خالد ، وبنو عبس أخوال سليمان . الأغانى (١٤ : ٨٣) . أو هو قال ذلك لأن صنيع بنى عبس كان مع جرير – يعنى أنه كان مواليا لهم – الأغانى (١٠ : ١٥) . وجرير ليس عبسياً ، بل هو كلبى .

(١) ل : « تسمع بمثله » .
(٢) س : « من » .
(٣) ل : « قدر » .

(جواب عقيل بن علفة وجرير)

وقيل لعَقِيل بن عُلَّفَة : لم لاتُطيل الهجاء ؟ قال : « يَكفِيكَ مِنَ القِلادة مَاأحَاط بالعُنُق[1] » .

وقيل لجرير : إلى كَمْ تهجُو النَّاس ؟ قال : إنِّى لا أبتَدى ، ولـكنِّى أعتدى »[2] .

وقيل له : لم لاتقصِّر[3] ؟ قال : « [إن] الجماحَ يمنع الأذى[4] ! » .

(شعر مختار)

قال عبيد بن الأبرص :

نبِّئتُ أنَّ بَنِى جَـدِيلةَ أوْعَبُوا [نُفَراءَ]منسَلْمَى لناوتَـكَتَّبُوا[5]

---

(١) المعروف فى المثل : « حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق » . انظر أمثال الميدانى (١ : ١٧٩) ونهاية الأرب (٣ : ٢٧) .

(٢) انظر ماسيأتى فى ص ٤٧٠ والبيان ٣ : ٦٥ والتمثيل والمحاضرة ١٨٤ والعقد ٥ : ٢٩٦ .

(٣) أى تقصر قصائدك ، وكان جرير يطيل قصائد الهجاء .

(٤) يريد أن مظهر العنف والانطلاق يـكف الناس عن التعرض لصاحبه . والجماح أصله للخيل تغلب صاحبها وتطير به . فى ط ، س : « قال الجماع يمنع الأذى » وتصحيحه وإكماله من ل .

(٥) بنو جديلة : حى من طيّء . أوعبوا : أى لم يدعوا منهم أحداً ونفروا جميعاً . تـكتبوا : صاروا كتائب . وهى فى ط ، س : « تنكبوا » وتصحيحه من ل والديوان ١٢ ليدن .

[ولقد جَرى لهمُ فلم يتعيَّفوا تيسٌ قَعيدٌ كالهِرَاوةِ أعضَبُ](١)

وأبو الفِراخ على خشاش هَشيمةٍ متنـكِّبٌ إبط الشَّمائل يَنْعَبُ(٢)

[فتجاوزُوا ذَاكُمْ إلينا كلَّه عَدْواً وَقرْطبةً(٣) فلما قرَّبوا]

طُعِنوا(٤) بمـُرَّان الوَشيج ِفما تَرى خلفَ الأسِنَّةِ غيْرَ عِرْقٍ يشْخَبُ(٥)

وتَبَدَّلُوا اليَعْبُوبَ بَعدَ إلهِهِمْ صَنَماً(٦) ففِرُّوا(٧) ياجَدِيلَ وأعذِبوا(٨)

---

(١) يقول : قد جرى لبنى جديلة بالشؤم تيس قعيد من الظباء فلم يتعيفوا . التعيف : من العيافة ، وهى هنا بمعنى التشاؤم . والقعيد : الذى يأتى من الخلف . وجعل التيس كالهراوة فى ضخمها واندماجها . والأعضب : المـكسور القرن . وهو مما يتشاءم به . انظر العمدة (٢ : ٢٠٢) .

(٢) أبو الفراخ ، عنى به الغراب . والهشيمة : الشجرة اليابسة . والخشاش : مالا عظم له من الدواب ، مثل الحيات والعظايا . وشبه فراخ الغراب لمعطها بالخنافس . وروى فى س : « حشاش » ، وهى بالـكسر بمعنى الجانب ، كما فى القاموس . ومتنكبا إبط الشمائل ، أى مائلا عن جهتها . والشمائل : جمع شمال ، وهى الريح الشمالية .

(٣) « ذاكم » عنى به التعيف والزجر . و « قرطبة » أى عدوا شديداً . وفى الأصل « قرضبة » تصحيف ماأثبت . ورواية الديوان : « مرقصة » ، وهى ضرب من العدو .

(٤) ط ، س : « ظعنوا » ، والوجه ماأثبت من ل وديوان عبيد .

(٥) المران بالضم : الرماح الصلبة اللدنة ، الواحدة مرانة . والوشيج : شجر الرماح . يشخب : يسيل دمه .

(٦) اليعبوب : صنم لجديلة ، وكان لهم صنم أخذته منهم بنو أسد ، رهط عبيد ابن الأبرص ، فتبدلوا اليعبوب بدله . الخزانة (٣ : ٢٤٦ بولاق) .

(٧) فى الخزانة : « قروا » ، بالقاف .

(٨) قال البغدادى : « أى لاتأكلوا على ذلك ولا تشربوا » . وهـكذا جاء فى ل والخزانة . وفى ط ، س : « أوعبوا » .

وقال آخر :

أَلم تَرَ حَسَّان بنَ مَيسرةَ الذى ... يجُوْخَى(١) ، إلى جيرانِه كيف يَصنَعُ

مَتَارِيبُ(٢) ما تنفكُّ منهم(٣) عِصابة ... إليه سِراعاً يحصُدُون ويزْرَعُ

(شعر فى معنى قوله : يريد أن يعربه فيعجمه)

وبابٌ(٤) آخرَ مثلُ قوله(٥) :

* يريد أن يُعرِبَه فيُعجِمَهُ *

وقال آخر :

* كأنَّ مَنْ يحفَظها يُضيعها *

---

(١) ماعدا ل : « يجوع » . وانظر الاستدراكات .

(٢) متاريب : جمع مترب ، كمحسن ، وهو الذى قل ماله . وهذا الحرف من الأضداد ، والأكثر فيه أن يستعمل للذى كثر ماله . والمعروف فى الذى قل ماله : ترب كفرح ، من الثلاثى . انظر اللسان (ترب) . وهذه الكلمة هى فى ط ، ل : « متى ريب » ، وهى على الصواب فى س .

(٣) ط ، س : « منه » .

(٤) ط : « وقال » . وتصحيحه من س ، ل ؛ فإن الآتى مخالف للسابق .

(٥) هو الحطيئة ، والبيت الآتى من أرجوزة له ، أولها كما فى العمدة ١ : ٧٤ ، والديوان ١١١ :

الشعر صعب وطويل سلمه ... إذا ارتقى فيه الذى لايعلمه

زلت به إلى الحضيض قدمه ... والشعر لا يسطيعه من يظلمه

وبعده :

ولم يزل من حيث يأتى يخرمه ... من يسم الأعداء يبق ميسمه

وقال آخر :

* أهوجُ لا يَنفعُهُ التثقيفُ *

وقال بعض المحدَثين [فى هذا المعنى] :

إذا حاوَلوا أنْ يَشْعَبُوها رَأيتَها مَعَ الشَّعْب لا تَزْدَادُ إلاَّ تَدَاعِيَا[1]

وقال صَالِحُ بنُ عبدِ القُدُّوس :

والشَّيخُ لا يَتْرُكُ أخلاقَهُ حَتَّى يُوارَى فى ثَرَى رَمْسِهِ[2]

إذا ارْعَوَى عادَ إلى جَهلِهِ كَذِى الضَّنَا عادَ إلى نُكْسِه

ومثل هذا قوله :

وتَروضُ عِرْسَكَ بَعْدَ ما هَرِمَتْ وَمِنَ العَناءِ رِياضةُ الهرِمِ

٣٢ وقال حُسيل[3] بن عُرْفُطة :

لِيَهْنِيكَ بُغْضٌ فى الصَّدِيقِ وَظِنةٌ[4] وتَحديثُك الشَّىءَ الذى أنت كاذِبُهْ

وأنَّكَ مَشْنوءٌ إلى كلِّ صاحبٍ بَلاكَ[5] ، ومثلُ الشَّرِّ يُكْرَهُ جانبُهْ

---

(١) الشعب : الإصلاح . والتداعى : التساقط . وهذا البيت هو الثانى من أبيات عددها اثنا عشر بيتا فى البخلاء ١٨٨ يهجو بها الشاعر قوما بخلاء ، فوصف قدورهم بما يقتضيه الهجاء .

(٢) البيان ١١ : ١٢٠ و التمثيل والمحاضرة ٧٨ .

(٣) هو حسيل بن عرفطة بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس الأسدى ، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ورأى الرسول ، وروى عنه . وهو ممن غير الرسول الكريم أسماءهم ، فسماه « حسينا » . انظر الإصابة ١٧١٧ . وقد جعله أبو زيد فى نوادره ٧٥ ، ٧٧ من شعراء الجاهلية . والصواب ماقدمت . ومن العجيب أن أبا حاتم قال إنه « حسين » ثم يخطئه الأخفش فى ذلك . انظر النوادر فى الموضعين . وقد جاء هذا الاسم فى كل من ط ، س ، وكذلك البيان ٣ : ٢٤٩ : « الحسن » ، وهو تحريف . والأبيات بدون نسبة فى البغال ٣٣٩ .

(٤) فى البيان والبغال : « ليهنك » وهما صحيحتان . وفيه أيضاً « وضنة » .

(٥) بلاك : اختبرك . وفى ط ، س : « قلاك » بمعنى أبغضك ، وأثبت ما فى ل والبيان والبغال .

وأنَّك مِهْداءُ الخنا نَطِفُ النثا[1] شَدِيدُ السِّبَاب رافع الصوتِ غَالِبُهْ

فلم أرَ مِثْلَ الجهْلِ يَدْعو إلى الرَّدى[2] ولا مِثْلَ بُغْضِ النَّاس غَمْضَ صاحِبُه

(كلمة للزِّبرقان)

وقال الأصمعى : قال الزِّبرقَانُ بنُ بدر : خَصْلَتان كبيرتان فى امرئ السَّوء : شِدَّة السِّباب ، وكثرة اللِّطام[3] .

(شعر فى تمجيد الأقارب)

وقال [خالد] بن نَضْلَة :

لَعَمْرِى لَرَهْطُ المَرْءِ خَيْرٌ بَقِيةً عليه ولو عالَوْا به كلَّ مَركبِ[4]

منَ الجانِبِ الأقْصَى وإنْ كانَ ذا نَدًى كثيرٍ[5] ولا يُنْبِيكَ مثلُ المجرَّبِ

إذا كنْتَ فى قومٍ عِدًا لستَ مِنْهُمُ فكلْ مَاعُلِفْتَ مِنْ خَبِيثٍ وَطَيِّبِ[6]

فإنْ تَلتَبِسْ بى خَيلُ دُودَانَ لا أرِمْ وإن كنتُ ذا ذَنْبٍ وإنْ غيرَ مُذْنبِ

---

(١) النثا : ماأخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ . وفى ط ، س ، والبيان : « الثنا » ، وهوتحريف ماأثبت من ل . والنطف : المتهم المريب .

(٢) الردى : الهلاك . وفى الأصل : « الرخا » ، وتصحيحه من البيان .

(٣) س : « الطعام » محرف .

(٤) أى وإن أركبوه المراكب الصعبة . س : « غلت به » محرفة .

(٥) رواية الحماسة ١ : ١٣٤ : « ذا غنى جزيل » . و « كثير » هى فى ط ، س : « كثيراً » ، وإنما هو صفة للندى .

(٦) العدا : اسم جمع بمعنى الأعداء . أو بمعنى الغرباء كما جاء فى المخصص ١٢ : ٥٢ رواية عن ابن السكيت ، قال : « ولم يأت فعل – أى بكسر ففتح – فى الصفات غير هذا » . وانظر البيان ٣ : ٢٥٠ .

(بكل وادٍ بنو سعد)

قال : ولمّا تأذّى الأضبط بنُ قُريع فى بنى سعد[1] تحوّلَ عنهمْ إلى آخَرينَ فآذَوه فقال : بكلِّ وادٍ بنُو سعد !

(مقطّعاتٌ شتّى)

وقال سُحَيمُ بن وَثِيل :

ألا ليسَ زَينَ الرَّحلِ قِطْعٌ وَنُمْرُقٌ ولكنَّ زَينَ الرَّحْلِ ياميَّ راكبُه[2]

وقال أعرابيٌّ :

فما وجْدُ مِلواحٍ مِنَ الهيمِ حُلِّئتْ عن الماء حتَّى جَوْفها يَتَصَلْصَلُ[3]

تحومُ وتَغْشاها العِصِيُّ وحَوْلها أقاطيعُ أنعامٍ تُعَلُّ وتُنْهَلُ

بأكثَرَ مِنِّى غُلَّةً وتعطُّفاً[4] إلى الوِرد[5] ، إلاَّ أنَّنى أتجمّلُ

---

(١) ط ، س : « سحيم » ، والصواب : « سعد » كما فى ل ، وماسبق فى الجزء الأول ص ٣٥٨ .

(٢) القطع ، بكسر القاف : البساط ، أو النمرقة ، أو الطنفسة يجعلها الراكب تحته . وفى ل : « نطع » بالنون ، وهو البساط من الأديم . والنمرق والنمرقة : الوسادة الصغيرة أو الطنفسة فوق الرحل . وقد حرف الناسخون البيت فى عيون الأخبار ١ : ٢٩٧ فجعلوه « قطعاً بمزق » . ورواه المرزبانى فى معجمه ٣٩٠ لمضرس بن ربعى .

(٣) حلئت : منعت من الماء . وفى ط ، س : « خليت » . والهيم : الإبل العطاش .

(٤) ط ، س : « تقطعا » . وأثبت ما فى ل والبيان ٣ : ٥٥ .

(٥) ل : « العدد » وصواب هذا « العد » بالكسر ، وهو الماء الجارى الذى له مادة لاتنقطع .

وقال خالدُ بن عَلْقَمَةَ ابنُ الطَّيفان[١] ، فى عيب أخْذِ العَقْل والرِّضا بشىءٍ دونَ الدَّم ، فقال :

وإنَّ الَّذِى أصبحْتُمُ تَحلُبُونَه دَمٌ غيْرَ أنَّ اللَّونَ لَيسَ بأحْمَرَا

فلا تُوعِدُوا أولادَ حَيَّانَ بَعْدَمَا رَضِيتُمْ وزوَّجتم سَيَالة مِسْهَرَا[٢]

وأعجَبَ قِردٍ يقصم القملَ حَالقاً[٣] إذا عبَّ منها فى النَّقيبةِ بَرْبَرَا[٤]

إذا سكَبُوا فى القَعبِ من ذى إنائهم رأوا لَونَه فىالقَعبِوَردًا وأشقرا[٥]

٣٣

باب
آخـــر

فى ذكر الغضب ، والجنون ، فى المواضع التى يكون فيها محموداً[٦] .

قال الأشهبُ بن رُمَيلة[٧] :

---

(١) ط ، س : « الصهبان » ، وهو تحريف ماأثبت من ل والقاموس . والطيفان هى أم خالد . وكلمة « ابن » هى فى الأصل محذوفة الألف وهو خطأ ، وقد جاء على الصـواب الذى أثبته فى الأغـانى ١١ : ١٢١ . وكان خـالد معاصرا لجرير والفرزدق .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وحولتم بسالة مشفرا » . وهو تحريف ، ولعل صواب « حولتم » فيه « خولتم » .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وأكحم قرداً يقصم الفيل جالباً » !

(٤) منها : أى من إبل الدية . والنقيبة : العظيمة الضرع من النوق . وفى ل : « النقيعة » ، وهى الجزور تجزر للضيافة . والبربرة : الصياح .

(٥) ط : « العقب » محرفة . وقد زاد كلمة « ذى » قبل إنائهم ، ولذلك نظائر فى كلامهم . انظر خزانة الأدب ٤ : ٢٣١ — ٢٣٢ سلفية .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فى مثـل ذلك من الغضب ، وفى ذكر الجنون فى المواضع التى يكون ذكره فيها محموداً » .

(٧) الأشهب بن رميلة : شاعر إسلامى مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم ولم =

هرَّ(١) المَقادَةَ(٢) من لا يستقيدُ لها(٣) وأعصَوْصَبَ السَّيرُ وارتدَّ المساكينُ(٤)

مِنْ كلِّ أشعثَ قدْ مالَتْ عِمامَتهُ كأنَّهُ مِنْ ضِرارِ الضَّيمِ مجنُونُ(٥)

وقال فى شبيهِ ذلك أبو الغول الطُّهَوىُّ(٦) :

فَدَتْ نفسى وما مَلَكَتْ يَمينى مَعاشِرَ صُدِّقَتْ فيهم ظُنُونى(٧)

مَعاشِرَ لا يَملُّون المنـايا إذا دَارتْ رَحَى الحربِ الطَّحون(٨)

ولا يجزُون مِن خـير بشر ولا يجْزُون من غِلَظٍ بِلِينِ(٩)

ولا تَبلى بَسَالتُهُمْ وإنْ هُمْ صَلُوا بالحرْبِ حيناً بعدَ حِين

= تعرف له صحبة . انظر الإصابة ٤٦٤ . و « رميلة » هى أمه . واسم أبيه ثور ابن أبى حارثة ، ينتهى نسبه إلى تميم . وكان الأشهب ممن هاجى الفرزدق ، وقد سبق رجز له فى ذلك بالجزء الأول ٣١٥ هو فى الخزانة ٤ : ٥١٠ بولاق . جاء فى ط : « رملية » وهو تحريف . وجـاء بعد هـذا فى كل من ط ، س : كلمة « بعد ذلك » .

(١) هر : كره . وفى ط ، س : « هذ » بمعنى قطع .

(٢) المقادة : القود ، وهو نقيض السوق . وفى ل : « الوفادة » وأحسبها تحريفاً ، ولعل الكلام فى صفة ركب مسافرين فى فلاة .

(٣) ل : « يستعد لها » .

(٤) اعصوصب السير : صار عصيبا شاقا . وفى ل : « اعصوصب الشر » .

(٥) مالت عمامته مما لعب النوم به . والضرار : الضرر . وفى ٦ : ٢٤٦ : « من حذار الضيم » .

(٦) قيل له أبو الغول لأنه فيما زعم رأى غولا فقتلها . المؤتلف ١٦٣ . وهو شاعر إسلامى . التبريزى (١ : ١٤) ومعجم البلدان (وقبى) . وفى ل : « الضبى » وهو تحريف .

(٧) قال التبريزى : « يروى : صدقوا . . . ويروى : صدقت فيهم ظنونى ، ويكون ظنونى فى موضع رفع بصدقت » ، أى فاعلا لصدقت .

(٨) فى ل ، وكذا فى الحماسة : « فوارس » وفيهما أيضاً : « الحرب الزبون » .

(٩) فى ل ، وكذا فى الحماسة : « ولا يجزون من حسن بسىء » . والسىء بالفتح .

هُمُ أحمَوْا حِمَى الوَقَبَى بضَرْبٍ ... يُؤَلِّف بينَ أشْتَاتِ المَنُونِ(١)
فنَكَّبَ عنهمُ دَرْءَ الأعادِي ... وَدَاوَوْا بالجُنُونِ من الجنونِ

وقال ابن الطَّثْرِيَّة(٢) :

[لو أنَّنِي لم أنلْ منكم معاقبةً ... إلا السِّنَانَ لذاقَ الموت مطعونُ
أو لاختطبتُ فإنِّي قد هممت به ... بالسَّيفِ إنَّ خطيب السَّيفِ مَجْنُونُ(٣)

وقال آخر] :

حمـراءُ تامِكة السَّنامِ كأنَّها ... جَمَلٌ بِهَوْدَجِ أهْلِهِ مَظْعُونُ(٤)
جادَتْ بها يَومَ الوَداعِ يَمينه ... كِلْتَا يَدَىْ عَمْرو الغَدَاةَ يَمينُ(٥)
ما إنْ يجود بمثْلها فى مثلِه ... إلاَّ كَرِيمُ الخِيمِ أو مجْنُونُ(٦)

---

(١) الوقبى ، بالتحريك : اسم أرض ، أو اسم ماء . المقصور ١١٦ ومعجم البلدان . فى ل ، والمقصور والحماسة والمعجم : « هم منعوا » .

(٢) كذا جاء فى ل نسبة البيتين الآتيين إلى ابن الطثرية ، ونسبة الثلاثة التى بعدها إلى « آخر » ، لكن فى ط ، س نسبة الثلاثة الأبيات التالية إلى ابن الطثرية . ولم أعثر على مرجع لهاتين المقطوعتين .

(٣) فى الأصل : « لا شتمت » ، صوابه من ٦ : ٢٤٥ .

(٤) تامكة السنام : عظيمته . وقد شبه الناقة المهداة إليه بالجمل المظعون : الذى شد هودجه بالظعان ككتاب ، وهو حبل الهودج . فجعلها كجمل لوثاقة خلقها ، ثم أضاف إلى النعت ذكر الهودج ، ليصور بذلك عظم علوها .

(٥) كلتا يديه يمين : أراد : شماله كيمينه فى العطاء ، مبالغة فى وصفه بالعطاء . وجاء فى الحديث : « كلتا يديه يمين » فتوهم بعضهم التشبيه ، ورد عليهم ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث ٢٦٥ .

(٦) ط ، س : « فى مثلها » . والأشبه ما كتبت من ل . وضمير : « بمثلها » عائد إلى الناقة الحمراء . وضمير « مثله » إلى يوم الوداع . والخيم بالكسر : السجية .

وفى هذا المعنى يقول حسَّان ، أو ابنُه عبدُ الرحمن بن حسَّان :

إنَّ شَرْخَ الشَّبابِ والشَّعَرَ الأسْ ودَ ما لَمْ يُعَاصَ كانَ جُنونَا

إنْ يكُنْ غثٌّ مِنْ رَقاشِ حَدِيثٌ فبِما نأكُلُ الحديثَ سَمِينا[٢]

وفى شبيهٍ بذلك قول الشَّنْفَرَى :

فدَقَّتْ وجلَّتْ واسْبَكَرَّتْ وأُكْمِلتْ

فلوْ جُنَّ إنْسانٌ مِنَ الْحُسْنِ جُنَّتِ[٣]

وقال القُطامىُّ ـ حين وصف إفراط ناقتِه فى المرَح والنَّشاط :

٣٤ يَتْبَعن ساميةَ[٤] العَيْنَينِ تَحسَبُها مَجْنُونَةً أو تُرَى ما لا تَرَى الإبِلُ

وقالَ ابن أحمرَ ، فى معنى التشبيه والاشتقاق :

بِهَجْلٍ من قَسًا ذَفِرِ الخُزَامى تداعى الجِرْبِياءُ به الحَنِينا[٥]

---

(١) شرخ الشباب هو اسوداد الشعر . ولولا أنهما لاصطحابهما صارا بمنزلة المفرد كان حق الكلام أن يقال : يعاصيا . أمالى ابن الشجرى (١ : ٣٠٩) . وانظر قول المبرد فى الكامل ٥٩٧ ليبسك والعسكرى فى الصناعتين ١٨٥ .

(٢) هذا البيت ليس فى ل . والبيتان فى الديوان ١٣٤ – ٤١٤ فى سبعة أبيات .

(٣) يقول : دق جسمها فى المواضع التى يستحسن فيها الدقة ، وعظم فى الأجزاء التى يرضى فيها العظم . واسبكرت : استقامت واعتدلت . وقصيدة البيت بديعة ، وهى من المفضليات . وانظر البيان (٣ : ٢٢٤) ومجالس ثعلب ٤٢٦.

(٤) سامية : عالية ، وفى ط ، ل : « نامية » ، وتصحيحه من س والجزء السادس من الحيوان ص ٧٧ .

(٥) الهجل ، بالفتح : المطمئن من الأرض . وفى ل : « لجو » وهو تحريف. وفى س : « بجو » وهى صحيحة ، فالجو : ما اتسع من الأرض وبرز واطمأن ، كما فى اللسان . و « قسا » : موضع بالعالية ، وهو بالفتح ، ويقال بالكسر كما فى المقصور . و « الخزامى » : نبت طيب الرائحة . و « ذفر » : ذكى الرائحة . و « تداعى » هى فى ط « تهادى » وهى رواية أخرى ، كما فى اللسان (جرب) . والجربياء : الريح الشمالية الباردة . والحنين : صوت الريح . وفى ل : « الجنينا » مصحفة عما أثبت من ط ، س واللسان فى مواضع متعددة والكامل ٤٦٤ ليبسك ومعجم البلدان (قسا) والمقصور ٨٨ والبيان ٣ : ٢٢٢ والحيوان (٦ : ١٨٥) والمخصص (١١ : ٢٠٧) .

تَفَقَّأُ فَوقَهُ القَلَعُ السَّوَارِى وجُنَّ الخازِبازِ بِهِ جُنُونا(١)

وفى مثل ذلك يقول الأعشى :

وإذا الغيثُ صـوبُه وَضَع القِدْ حَ وجُنَّ التِّـلاَعُ والآفاقُ(٢)

لم يزِدْهُمْ سَفاهـةً نشْوَةُ الخمـ رِ ولا اللَّهوُ فيهمُ والسِّباقُ

وقال آخر فى باب المزاح والبَطَالة ، ممـا أنشَدَنيه أبو الأصبغ(٣) ابن رِبعىّ :

أتونى بمجنونٍ يَسِيلُ لُعَابُه وما صاحبى إلاَّ الصَّحِيحُ المسلَّمُ

وأنشدنى(٤) إبراهيمُ بن هانئ ، وعبدُ الرحمن بنُ منصور(٥) :

جنُونُكَ مَجْنونٌ ولسْتَ بواجدٍ طَبِيباً يُدَاوِى مِن جنُونِ جنُونِ

---

(١) تفقأ : تصبب ، وفى س : « تكسر » ، وهى رواية أخرى كما فى أمثال الميدانى (١ : ٢٢٧) والحيوان (٦ : ١٨٦) . والقلع بالتحريك : قطع من السحاب كأنها الجبال ، الواحدة قلعة . والخازباز : ذباب يظهر فى الربيع فيدل على خصب السنة ، أو هو نبت . وجنونه : تكاثفه .

(٢) البيتان أعيدا فى ص ٤٨٥ والجزء السادس ص ١٨٦ .

(٣) أبو الأصبغ جاء فى الأصل « أبو الأصبغ » . صوابه من البخلاء ٢٢٩ ، ١٠٥ . وذكره الجاحظ فى البيان (٤ : ١٩) ضمن النوكى وأشباههم . وروى أنه قيل له : أما تسمع بالعدو وما يصنعون فى البحر ؟ فلم لا تخرج إلى قتال العدو ؟ قال : أنا لا أعرفهم ولا يعرفوننى ، فكيف صاروا لى أعداء ؟ !

(٤) ط ، ل : « وأنشد » ، وأثبت ما فى س موافقاً ما فى الجزء السادس ص ١٨٦ .

(٥) فى الجزء السادس زيادة : « قبل أن يجن » .

(إبراهيم بن هانئ والشعر)

وكان إبراهيم [بن هانئ] لايقيم شعراً[١] . ولا أدرى كيف أقامَ هذا البيت !

وكان يدَّعى بحضرة أبى إسحاق[٢] علمَ الحِسابِ ، والكلامِ ، والهندسة ، واللحون ، وأنَّه يقول الشعر ؛ فقال أبو إسحاق : نحن لم نمتحِنْك فى هذه الأمور ، فلك أن تدَّعِيهَا عندنا[٣] . كيفَ صِرْتَ تدَّعى قولَ الشعر ،وأنتَ إذا رويتَه لغيرك كسرته ؟! قال : فإنّى هكذا طبِعتُ ،أن أقيمه إذا قلت ، وأكسره إذا أنشدت ! قال أبو إسحاق : مابعدَ هذا الكلام كلام !

(جواب أعرابى)

وقلت لأعرابىّ ، أيُّما أشدُّ غلمةً : المرأةَ أو الرجل ؟ فأنشد :

فوَ اللهِ ما أدْرِى وإنّى لَسائِلٌ ... أألأيرَ أدنَى للفجور أو الحِرُ

وقد جاءَ هذا مُرخِياً من عِنانه ... وأقبلَ هـذا فاتِحاً فاه يهدر[٤]

---

(١) وكان ماجنا خليعاً كثير العبث متمرداً . انظر أخباره وأحاديثه فى الجزء الأول من البيان ٩٣ — ٩٥ .

(٢) هو النظام .

(٣) س : « عندها » .

(٤) يهدر : من الهدير ، وأصله تردد صوت البعير فى حنجرته . وفى ط ، س : « يهبر » بالباء محرفة . وهى على الصواب الذى أثبت فى ل ومحاضرات الراغب (٢ : ١١٨) وقد روى الخبر فيها مهدوءا بقيل لقطرب — يعنى النحوى .

(مقطعات شتى)

وأنشد بعضهم :

أصبَحَ الشَّيبُ فى المفارِقِ شاعا　　واكتَسى الرأسُ من بياض قِناعا

ثم وَلّى الشَّبابُ إلاَّ قليلاً　　ثم يأبىَ[(١)] القليلُ إلاَّ نزاعا

وأنشد محمد بن يسير[(٢)] [لبعضهم] :

قامتْ تُخاصرنى لِقُبَّتِها[(٣)]　　خَوْدٌ تَأَطَّرُ ناعِمٌ بِكْرُ[(٤)]

كلٌّ يَرَى أنَّ الشَّبابَ له　　فى كل مبلغ لَذَّةٍ عُذْرُ　٣٥

وقال الآخرُ فى خلاف ذلك ، أنشدنيه محمد بن هاشم السِّدرىّ[(٥)] :

فلا تعذُرانى فى الإساءةِ إنَّه　　أشرُّ الرِّجال مَنْ يسىءُ فيُعذَرُ[(٦)]

---

(١) ط ، س : « يأتى » . وتصحيحه من ل والبيان (٢ : ٣٣٤) .

(٢) ط ، س : « يسر » وصوابه فى ل . وقد سبقت ترجمته فى الجزء الأول . والشعر فى البيان (١ : ١٩٨) مسبوق بعبارة : « وأنشد الأحوص بن محمد » .

(٣) جاء فى البيان ، من تفسير الجاحظ للبيت : « تخاصرنى : آخذ بيدها وتأخذ بيدى » . وكلمة : « لقبتها » كذا جاءت بالأصل ، ووردت فى الجزء الأول من البيان وكذا فى الثالث منه ص ٣٤١ : « بقنتها » ، وفسرها الجاحظ فى الجزء الأول بقوله : « والقنة (واحدة القنن . وهى) : المواضع الغليظة من الأرض فى صلابة » .

(٤) تأطر : تتأطر ، أى تتثنى وتتعطف . و « ناعم » هكذا جاءت فى ط ، س . وفى ل والبيان : « غادة » ، وفسرها الجاحظ بأنها الناعمة اللينة .

(٥) ط : « السيدرى » صوابه ما فى ل ، س . ترجم له المرزبانى فى معجمه ٤٣١

(٦) قال الجوهرى فى الصحاح : « لا يقال أشر إلا فى لغة رديئة » . وهكذا جاءت الرواية فى ط ، ل . وفى س والجزء السابع ص ٢٦٠ وكذا فى أدب الدنيا والدين ص ٣١ : « شرار » .

وقال ابن فسوة[١] :

فَلَيتَ قَلوصى عُرِّيت أوْ رحلتَها ... إلى حَسَن فى داره وابن جعفر[٢]

إلى مَعْشَر لا يَخصِفُونَ نِعالَهم ... ولا يلبَسُون السِّبْتَ مالم يُخصَّر[٣]

وقال الطِّرِمَّاحُ بنُ حكيم ، وهو أبو نفر[٤] :

لقد زادنى حُبًّا لنَفسىَ أنَّنِى ... بَغيضٌ إلى كلِّ امرئٍ غيْرِ طائِل

إذا مارآنى قطَّعَ الطَّرْفَ بَيْنه ... وَبَيْنِىَ فِعْلَ العارفِ المتجاهِلِ

ملأتُ عليه الأرضَ حتَّى كأنَّها ... من الضِّيقِ فى عَيْنَيْهِ كِفَّةُ حابل[٥]

---

(١) ط ، س : « ابن قترب » وصوابه ما أثبت من ل . والشعر فى الأغانى (١٩ : ١٤٤) وكذا البيان (٣ : ١٠٩) منسوب إلى ابن فسوة . وقد تقدمت ترجمته فى الجزء الثانى ص ١١ .

(٢) كذا على الصواب فى ل والأغانى . وفى ط : « إلى حرى دارى بن جعفر » وفى س : « إلى حين مى دراى » والتحريف فيهما ظاهر . وفيهما أيضا « إذ رحلتَها» ، وهو خطأ صوابه فى ل والأغانى .

(٣) السبت ، بالكسر : الجلد المدبوغ ، وكانت النعال السبتية خاصة بأهل النعمة من العرب . وانظر كلام الجاحظ فى البيان ٣ : ١٠٩ — ١١٣ . والنعل المخصرة : المستدقة الوسط .

(٤) كذا فى ل ، وهو الصواب كما فى الشعراء لابن قتيبة ١٤٠ والأغانى ١٠ : ١٤٨ . وفى ط : « نقير » وفى س : « بقير » محرفتان . والطرماح : شاعر إسلامى فى الدولة المروانية ، ومولده ومنشؤه بالشام ، ثم انتقل إلى الكوفة مع من وردها من جيوش أهل الشام ، فاعتقد مذهب الشراة والأزارقة . وكان شاعراً فصيحا ، يكثر فى شعره الغريب . قال محمد بن حبيب : سألت ابن الأعرابى عن ثمانى عشرة مسألة كلها من غريب شعر الطرماح فلم يعرف واحدة منها . وكان صديقاً للكميت الشاعر لايكادان يتفارقان . انظر المرجعين المتقدمين والخزانة ٣ : ٤١٨ بولاق .

(٥) الحابل : من يصطاد بالحبالة ، وكفته ، بالكسر ، هى حبالته . فى ط : « حائل » محرفة ، صوابها فى ل ، س والأغانى والشعراء . وللبيت نظير فى اللسان (كفف) .

وقال آخر :

إذا أبصرتَنى أعْرَضْتَ عَنِّى ... كأنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِى تَدُورْ

وقال الخُرَيمى[١] وَذَكر عماه[٢] :

أُصغِى إلى قائدى ليخْبِرَنى ... إذا التَقيْنا عَمَّنْ يُحَيِّينى

أُريدُ أن أعدِلَ السَّلامَ وأَنْ ... أَفصِلَ بَيْنَ الشَّرِيفِ والدُّونِ

أَسمَعُ ما لا أرَى فأكره أنْ ... أُخْطِئَ ، والسَّمْعُ غيرُ مَأْمُونِ[٣]

لِلّهِ عينِى الَّتى فجعْتُ بها ... لو أنَّ دَهـرًا بهـا يوَاتينى[٤]

لو كنْتُ خيِّرتُ ما أخَذْتُ بها ... تَعْميرَ نُوحٍ فى مُلْكِ قارُون

وقال بعضُ القدَماء[٥] :

ألم تَرَ حوشَبًا أضحَى يُبَنِّى ... قُصُورًا نفعُها لِبَنى نُفيله[٦]

يُؤَمِّل أنْ يُعَمَّرَ عُمْرَ نُوحٍ ... وأمرُ اللهِ يحدثُ كلَّ لَيْلَه[٧]

---

(١) فى الأصل وكذا معاهد التنصيص (١ : ٨٧) : « الخزيمى » - بالزاى - وهو تحريف ، صوابه فى عيون الأخبار (٤ : ٥٧) ونكت الهميان ٧١ . وقد تقدمت ترجمته ، وتحقيق اسمه فى الجزء الأول ص ٢٢٤ .

(٢) ل : « و عمى عينيه » . وانظر الشعر والشعراء ٨٣٠ - ٨٣١ .

(٣) س : « وأكره أن أخطىء » .

(٤) كذا فى ل والمراجع المتقدمة . وفى ط ، س : « دهرا تولى فا تواتينى » .

(٥) لم أجد صاحب البيتين فيما لدى فى المراجع . قالوا : لما بنى أبو العباس بناءه بالأنبار الذى يدعى رصافة أبى العباس ، قال لعبد الله بن الحسن بن الحسن بن على : ادخل وانظر . فدخل معه فلما رآه تمثل بالبيتين . معجم البلدان ، والأغانى (١٨ : ٢٠٦) وعيون الأخبار (١ : ٢١١) . وقد عاتبه أبو العباس على ذلك ، كما فى عيون الأخبار والعقد (٣ : ٢٦٩) .

(٦) كذا فى ل ، س ومعظم الروايات . وفى ط وعيون الأخبار : « بقيلة » .

(٧) ل : « يطرق كل ليلة » ، وهى رواية فريدة .

وقال ابن عبَّاسٍ بعد ما ذهب بصره[١] :

إنْ يأخُذِ اللهُ من عينيَّ نُورَهُما ... فِفِي لِسانِي وقلبِي مِنْهُما نورُ[٢]

قلبي ذَكِيٌّ وعَقلي غَيْرُ ذي دَخلٍ ... وفي فمي صارمٌ كالسَّيفِ مأثورُ

[وقال حسَّان يذكرُ بيانَ ابن عبَّاس[٣] :

إذا قال لم يَترك مقالاً ولم يقفْ ... لِعِيٍّ ولم يَثْنِ اللِّسانَ على هُجْرِ

يصرِّف بالقولِ اللسانَ إذا انتحى ... وينظر في أعطافه نظرَ الصَّقْر]

(شعر في الخصب والجدب)

٣٦ وقال بعضُ الأعراب يذْكُرُ الخِصْبَ والجَدْب :

مُطِرْنا فلمَّا أنْ رَوِينا تَهادَرَتْ ... شَقاشِقُ فيها رائبٌ وحَليبُ

---

(١) كذا في ل ، وهو الصواب ، كما في نكت الهميان ٧١ نقلا عن الجاحظ ، وكذا عيون الأخبار ٤ : ٥٦ والشعر والشعراء ٨٣٠ ، ومعاهد التنصيص ١ : ٨٧ والعقد ٣ : ١٥٧ ، ٣٩٠ وقد ذكر صاحب العقد سبب الشعر . وشذ أبو علي القالي في ذيل الأمالي ص ١٥ فنسب البيتين إلى حسان بن ثابت . وقد وجدتهما في ديوانه ص ١٦٥ . ويروى البيتان أيضاً لأبي علي البصير كما في المستطرف ٢ : ٢٧٢ ولأبي العيناء في معجم الأدباء ١٨ : ٢٠٣ . وفي ط ، س : « وقال أبو يعقوب الخزيمي »، وهو خطأ .

(٢) س : « ففي لساني وسمعي » وفي عيون الأخبار : « ففي فؤادي وسمعي » .

(٣) انظر معجم الأدباء ٦ : ١٨٩ . ولحسان بن ثابت أبيات أخرى يذكر فيها بيان ابن عباس . انظر البيان ١ : ٣٣٠ .

ورابت رجالاً مِنْ رجال ظُلامةً ... وعُدَّتْ ذُحولٌ بينهم وذنوبُ[١]

ونُصّتْ رِكابٌ للصِّبا فَتَرَوَّحَتْ ... لهنَّ بما هاَجَ الحبيبَ خَبيبُ[٢]

وطَنَّ فناءُ الحيِّ حتَّى كأنَّه ... رَحَى مَنْهَلٍ مِنْ كَرِّهِنَّ نحيب[٣]

بنى عمِّنا لاتَعْجَلُوا ، ينضُبُ الثَّرَى ... قليلاً ويَشفِى المُتْرَفِينَ طَبِيبُ[٤]

فلوقَدْ تَوَلَّى النَّبتُ وامتيرَت القُرَى ... وحَنَّتْ رِكابُ الحيِّ حِينَ تثوب[٥]

وصَارَ غَبُوقَ الخَودِ وهى كريمةٌ ... على أهلها ، ذو جُدَّتَينِ مَشُوب[٦]

[وصار الَّذى فى أنْفِه خُنزوانَةٌ ... ينادَى إلى هادى الرَّحى فيجيبُ[٧]]

أولئك أيَّامٌ تبَيَّنُ ما الفَتَى ... أكابٍ سُكَيْتٌ أمْ أشمٌّ نجيبُ

---

(١) ل : « ورامت رجال » و « ذحول بيننا » . وانظر الإمتاع والمؤانسة ١ : ١٩٦ - ١٩٧ وديوان المعانى ٢ : ٤٥ .

(٢) « فتروحت » كذا فى س والمخصص ١٠ : ١٨٠ . وفى ط ، ل : « فتراجعت » . وفى ط ، س : « هاج الحليب » وتصحيحه من ل والمخصص . قال ابن سيده : « أما قوله : ونصت ركاب للصبا ، فإن طلب اللهو مما يبعث عليه الفراغ ورخاء البال ». و « الحبيب » هنا بمعنى المحب ، بكسر الحاء . و « خبيب » هى بالخاء المعجمة ، ومعناها سرعة الجرى . ل والمخصص : « حبيب » بالحاء ، وليس بشئ . يقول : لتلك الركاب خبيب بما يهيج المحبين ويبعث أشواقهم .

(٣) ط : « وظن » ، ل : « ودير » محرفتان . وفى ل أيضاً : « من كرهن لجيب » .

(٤) عبارة تهكمية ، وعنى بالطبيب هنا الجلب وشدة الزمان .

(٥) تولى : أخذ فى الهيج . وامتيرت القرى : جلب مافيها . ط ، س : « وابتزت القرى ، وصوابه من ل والمخصص . وفى المخصص : « تثوب »، وهما بمعنى .

(٦) الغبوق ، بالفتح : مايشرب بالعشى . والخود : الشابة الحسنة الخلق . وفى ط ، س : « عنوق الجود » تحريف ما أثبت من ل والمخصص . والجدة بالضم : الخط ، وعنى بذو الجدتين اللبن يظهر فيه لونان ، وذلك حين يكون مشوبا ، أى مخلوطاً بالماء . وفى ط ، س : « عشوب »، تحريف ماق ل .

(٧) الخنزوانة : الكبر . وهادى الرحى : مقبضها . وفى المخصص بياض يمكن ساه مما هنا .

(شعر لأنس بن أبي إياس)

وقال : ولما وَلِي حارثَةُ بنُ بَدْرٍ سُرَّقَ[١] ، كتب إليه أنَسُ بن أبي إياسٍ[٢] [الدِّيلي] :

أحارِ بنَ بَدْرٍ قَد وَلِيتَ وِلايةً ... فكُنْ جُرَذًا فيها تَخُونُ وتَسْرِقُ
وباهِ تميما بالغِنى ، إنَّ لِلغِنَى ... لساناً به المرءُ الهَيُوبَةُ يَنْطِقُ
[ولا تحقِرَنْ يا حارِ شيئًا ملكتَه ... فَحظُّك من ملك العراقَين سُرَّق]
فإنَّ جميعَ النَّاسِ إمَّا مُكَذِّبٌ ... يَقُولُ بمَا يَهوَى ، وإمَّا مصَدِّقُ[٣]
يقولون أقوالاً ولا يَعرِفُونهـا ... ولو قيل هاتُوا حقِّقوا لم يحقِّقوا

وقال بعض الأعراب :

فلمَّا رَأينا القوم ثاروا بجَمْعِهِمْ ... رَعَيْناَ الحديثَ وهو فِيهِمْ مُضَيَّعُ[٤]
وأدْرَكَناَ من عِزٍّ[٥] قَيسٍ حَفيظةٌ ... ولا خيْرَ فيمَنْ لا يضرُّ وينْفَعُ

---

(١) سرق ، بالضم وتشديد الراء المفتوحة : إحـدى كور الأهواز . وفى ط : « سرف » محرفة .

(٢) ويروى : « ابن إياس » . وانظر القاموس (أنس) وجمهرة ابن حزم ١٨٤ . وقصة الشعر مفصلة فى أمالى المرتضى ٢ : ٤٩ – ٥١ والعقد ٢ : ٥٥ وزهر الآداب ٤ : ٥٨ ومعجم البلدان رسم (سرق) . وانظر رواية الأبيات فى المراجع المتقدمة وكذا عيون الأخبار ١ : ٥٨ ، ومحاضرات الراغب ١ : ٨٣ . والمفهوم أن الشعر الآتى مداعبة لاهجاء . ويقال إن حارثة بن بدر أجاب عن هذه الأبيات بقوله :

جزاك إله العرش خير جزائه ... فقد قلت معروفا وأوصيت كافيا
أشرت بأمر لو أشرت بغيره ... لألفيتنى فيه لأمرك عاصيا

(٣) ل : « تهوى » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ساروا بجمعهم » و : « فينا مضيع » ، تحريف .

(٥) ل : « عرق » .

(نصيحة رجل لبعض السلاطين)

ويقال إنَّ رجلاً قال لبعض السَّلاطين : الدُّنيا بما[1] فيها حديث ، فإن استَطَعتَ أنْ تكونَ مِن أحسَنِها حديثاً فافعَلْ !

(أقوال مأثورة)

وقال حُذَيفة بنُ بدرٍ لصاحبه[2] يوم جَفْر الهباءة[3] ، حينَ أعطاهُمْ بلسانه ما أعْطَى : إيَّاك والكلامَ المأثور[4] .

وأنشَدَ الأصمَعىُّ :

كلُّ يومٍ كأنَّه يومُ أضْحَى   عِنْدَ عبدِ العَزيزِ أو يومُ فِطرِ

وقال : وذكر لى بعضُ البَغداديِّين أنَّه سمع مَدَنيًّا مرَّ بباب الفَضْلِ ابن يحيى — وعلى بابه جماعةٌ من الشعراء — فقال :

مالَقِينا مِنْ جُودِ فضلِ بنِ يَحيى   تَرَكَ النَّاسَ كُلَّهُمْ شُعَرَاء   ٣٧

---

(١) س : « وما » .

(٢) هو أخوه حمل بن بدر ، كما فى العقد ٣ : ٣١٦ .

(٣) كان هذا اليوم لعبس على ذبيان ، وفيه قتل حذيفة ، وأخوه حمل ، سيدا بنى فزارة . العمدة ٢ : ١٦١ والعقد ٣ : ٣١٦ وكامل ابن الأثير ١ : ٣٥٢ . وفى ط : « المباة » ، وهو على الصواب فى س ، ل .

(٤) المأثور : الذى ينقله الخلف عن السلف . وفى س : « المائق » ، وفى ط : « السائر » والأشبه ماأثبت من ل : موافقاً لما فى العقد .

وقال الأصمعى : قال لى خَلَفٌ الأحمر : الفارسىُّ إذا تظرّف[١] تساكت ، والنَّبَطىُّ إذا تظرَّف[١] أكثر الكلام .

وقال الأصمعىُّ : [قال رجلٌ] لأعرابىٍّ : كيف فلانٌ فيكم ؟ قال : مرزوقٌ أحمق ! قال : هذا الرَّجلُ الكامل .

قال : وقال أعرابىٌّ لرجل : كيف فلانٌ فيكم ؟ قال : غَنِىٌّ حَظِىٌّ[٢] قال : هذا من أهل الجَنَّة !

(السواد والبياض فى البادية)

الأصمعىُّ قال : أخبرنى جَوسق قال : كان يقال بالبدو : « إذا ظَهَرَ البَياضُ قَلَّ السَّواد ، وإذا ظَهَرَ السَّواد قَلَّ البَياض » . قال الأصمعىُّ : يعنى بالسَّواد التمْر ، وبالبياضِ اللَّبن والأقِط[٣] . يقول: إذا كانت السَّنَةَ مُخْصِبةً كثر الأقِط واللَّبنُ وقَلَّ التَّمْر ، وإذا كانت السَّنَةُ مجدِبة كثُرَ التَّمْرُ وقَلَّ اللَّبن [والأقِط] . وقال : إذا كان العام خصيبا[٤] ظهر [فى صدقة الفِطر] البياضُ ، يعنى الأقِط ؛ وإذا كان جَدِيبًا[٥] ظهر السَّواد ، يعنى التمر .

وتقول الفُرس : إذا زَخرت الأوديةُ بالماء كثُر التَّمر[٦] ، وإذا اشتدَّت الرِّياح كثُر الحَبُّ .

---

(١) تظرف : تكلف الظرف . وفى ط ، ل : « تطرف » . وصوابه من س .
(٢) ط ، س : « غنى حظى » ، والوجه ما أثبت من ل .
(٣) الأقط : شىء يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل .
(٤) ط : « خصبا » .
(٥) ط ، س : « جدبا » .
(٦) ط : « السمن » ، وأثبت ما فى س ، ل .

(قول فى أثر الريح فى المطر)

وحدَّثنى محمَّد بن سلاَم[١] ، عن شُعيب بن حجر[٢] قال : جاء رجلٌ على فرسٍ فوقفَ بماءٍ من مياه العرب فقال : أعندكم الرِّيحُ الَّتى تكُبُّ البعير[٣] ؟ قالوا : لا . قال : فتذْرِى الفارس[٤] ؟ قالوا : لا . قال : فكما تكون يكونُ مطرُكم .

وحدَّثنى العُتْبىُّ[٥] قال : هَجَمْتُ على بطنِ بينَ جبلين ، فلم أرَ وادياً أخصبَ منه ، وإذا رجالٌ يترَكَّلون[٦] على مَسَاحيهم ، وإذا وجوهٌ مهَجَّنة ، وألوانٌ فاسِدة . فقلتُ : واديكُمْ أخصبُ وادٍ، وأنتم لاتشبِهُونَ المخاصِيبَ[٧] قال : فقال شيخٌ منهم : ليس لنا ريح .

---

(١) ل : « وحدث محمد بن سلام » . ومحمد بن سلام هذا هو الجمحى صاحب الطبقات ، كان من أئمة الأدب البصريين ، توفى سنة إحدى وثلاثين ومائتين . لسان الميزان (٥ : ١٨٢) .

(٢) ل : « صخر » .

(٣) تكب البعير : تقلبه وتصرعه .

(٤) ذرت الريح الشىء وأذرته : أطارته .

(٥) ل : « القينى » ، وهو تحريف نبهنا عليه كثيراً .

(٦) فى القاموس : « تركل بمسحاته : ضربها برجله لتدخل فى الأرض » . فى ط « يتوكأون » ، وفى ط : « يتوكلون » ، وأثبت مافى ل .

(٧) المخاصيب : جمع مخصب أو مخصاب . وفى ط فقط : « المخاصب » .

(شعر فى الخصب)

وقال النَّمر بن تولب :

كأنَّ حَمْدَةَ[1] ، أو عزَّتْ لها شَبَهاً ... فى العَين يوماً تلاقَيْنا بأرمامِ

ميثـاءُ جاد عليها وابِلٌ هَطِلٌ ... فأمْرَعَتْ لاحتيالٍ فَرْطَ أعوامِ[2]

إذا يَجِفُّ ثَرَاهَا بلَّها دِيَمٌ ... مِن كوكبٍ بزل بالمـاء سَجام

لم يَرْعَها أحدٌ واربتها زَمناً[3] ... فَأْوٌ مِنَ الأرضِ محفوف بأعلام[4]

تَسْمَعُ للطَّير فى حافاتِها زَجلاً ... كأنَّ أصواتَها أصواتُ جُرَّامِ[5]

كأنَّ ريحَ خزَاماها وحنْوَتها ... باللَّيل ريحُ يَلَنجوجٍ وأهْضام[6]

---

(١) ل فقط : « جمرة » .

(٢) لاحتيال : أى بعد احتيال . والاحتيال : مرور الأحوال . وفرط أعوام : بعد أعوام ، قال لبيد :

هل النفس إلا متعة مستعارة ... تعار فتأتى ربها فرط أشهر

وفى ط ، س : « بعد أعوام » .

(٣) كذا . وفى اللسان مادة (فأو) : « وأكتم روضتها » .

(٤) الفأو : بطن تطيف به الرمال يكون مستطيلا . ط : « فأوا » .

(٥) الجرام : الذين يصرمون التمر ، أى يقطعونه . وقد عنى الأنباط . وفى ط ، س : « حوام » محرف .

(٦) الخزامى والحنوة : نبتان طيبا الرائحة . واليلنجوج : العود الهندى الذى يستعمل فى البخور . وفى ط : « يلتجوج » محرفة . والأهضام : واحدها هضم بالكسر ، وهضم بالفتح ، وهضمة ، وهو كل شىء يتبخر به غير العود واللبنى .

قال : فلم يَدَعْ معنًى مِنْ أجلِه يُخصِب الوادى ويعمُّ نبتُه إلاَّ ذكره .

وصدق النمر[١] !

وقال الأسدىُّ فى ذِكْر الخِصْب ورُطوبة الأشجار[٢] ولُدونة الأغصانِ وكثرة الماء :

وَكَأَنَّ أَرْحُلَنَا بجوٍّ مُحَصَّبٍ   بِلِوى عُنيزةَ من مَقيل التُّرْمُسِ[٣]

فى حيثُ خالَطَتِ الخُزَامى عَرْفَجاً   يأتيك قابِسُ أهــله لم يُقْبَسِ[٤]

ذهب إلى أنَّه قد بَلَغَ من الرُّطوبة فى أغصانه وعيدانه[٥] ، أنَّها إذا حُكَّ بعضها ببعضٍ لم يقدح[٦] .   ٣٨

وفى شــبيهٍ بذلك يقول الآخر[٧] ، وذهب إلى كثرةِ الألوان[٨] والأزهار والأنوار :

---

(١) فى ل : « وصدق حديث القينى فى قوله : فأومن الأرض محفوف بأعلام » . وليس بشىء .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « الأشعاب » محرف . وفى البيان (٣ : ٣٤) : « الورق » . وفى الحيوان ٤ : ٤٦٥ أن الشعر للمرار بن منقذ .

(٣) فى الأصل : « أرجلنا » وصوابه من البيان والمخصص (١٠ : ١٣٣) . والجو : ما انخفض من الأرض . والمحصب : موضع بين مكة ومنى . ورواية المخصص : «بوهد مخصب بمنى عنيزة» ، والوهد : المنخفض . وهذه الرواية أجود . والترمس : ماء لبنى أسد . والمقيل : موضع القيلولة حيث يتوافر الظل . ورواية المخصص : « مفيض » ، بمعنى موضع الفيضان .

(٤) كذا فى ل والمخصص (١٠ : ١٧٦ ، ١١ : ٣٢) . وفى ط ، س والبيان : « أهلها » .

(٥) ل : « من رطوبة أغصانها وعيدانها » .

(٦) س : « تقدح » .

(٧) ل : « جرير » .

(٨) ليست فى ل .

[كانت لنا مِنْ غَطفانَ جارَهْ] كأنها من دَبَلٍ وشاره[1]
والحلْى حلْىِ التِّبر والحِجاره[2] مَدْفَعُ مَيثاء إلى قَرارَهْ[3]

[ثم قال :

* إيَّاكِ أعنى واسمعى ياجاره[4]] *

وقال بشَّار :

وحديثٍ كأنَّهُ قِطَعُ الرَّوْ ضِ وفيه الحَمْرَاء والصَّفراءُ

باب

من الفطَن وفَهْم الرِّطَانات والكنايات والفهْم والافهام

(حديث المرأة التى طرقها اللصوص)

الأصمعى قال : كانت امرأة [تنزِل] متنحِّية من الحىّ ، وتحبُّ العُزلة وكان لها غنَمٌ ، فطرقَها اللُّصوص فقالت لأمَتها[5] : اخرُجى ! مَنْ هاهنا ؟

---

(١) الدبل : بالتحريك : أصله فى البعير أن يمتلىء شحما ولحما . وفى ط ، س « زبل » محرفة . والشارة : السمن ، أو حسن الهيئة ، وفى المخصص واللسان (مادة حل) « كأنها من حسن وشاره » .

(٢) استشهد بهذا البيت ابن سيده فى المخصص (٤ : ٤٠) على أن الحلى مايتزين به من مصوغ المعدنيات والحجارة .

(٣) الميثاء : الأرض اللينة . والقرارة : المطمئن من الأرض . والمدفع : المجرى .

(٤) البيت فى أمثال الميدانى (١ : ٤٣) مع أبيات أخرى منسوبة إلى سهل ابن مالك الفزارى .

(٥) ط ، س : « لابنتها » ، وأثبت مافى ل .

[قالت : هاهنا] حَيَّانُ ، والحُمارِس[١] ، وعامرٌ[٢] والحارثُ ، ورأسُ عَنْزٍ[٣] وَشادن[٤] . وراعِيا بَهْمِنا[٥] .[فنحنُ ماأولئك . أى : فنحن أولئك].
فلما سَمِعُوا ذلك ظنُّوا أنَّ عِندَها بنِيها . وقال الأصمعىُّ مرّة[٦] : فلما سمِعت حِسَّهم قالت [لأَمَتِها] : أَخرِجِى سُلَحَ بَنِىَّ من هاهنا .

قال : وسُلَح جمع سُلاح[٧] . وحيَّان والحمارس[٨] : أسماءُ تُيوسٍ لها .

(قصة المَهْمُورة الشياه والخمر)

قال الأصمعىّ : تزوَّج رجلٌ امرأةً فساق إليها مَهْرَها ثلاثين شاة ، وبعثَ بها رسولاً ، وبعثَ بِزِقٍّ خَمْر . فَعَمَدَ الرَّسولُ فذبح شاةً فى الطَّريق فأكَلها ، وشَرِب بَعْضَ الزِّقِّ . فلما أتَى المرأة نظرت إلى تسعٍ وعشرين ورأت الزِّقَّ ناقصاً ، فعلِمت أنَّ الرجل لايبعثُ إلاَّ بثلاثين وَزِقٌّ[٩] مملوء

---

(١) ل : « الحتارس » .
(٢) ط ، س : « وعامرا » ، محرفة .
(٣) ط فقط : « عتر » ، ولها وجه ؛ فالعتر بالكسر : كل ماذبح .
(٤) ط ، س : « بارق » .
(٥) ط ، س : « وراعينا بيهما » ، تحريف مافى ل .
(٦) الكلام من « فلما سمعوا » ساقط من ل .
(٧) السلاح ، بالضم : النجو .
(٨) ل : « الحتارس » . وكنا أن الوجه أن يضاف « عامر والحارث » إلى الكلام ليتحقق معنى الجمعية .
(٩) ط ، س : « وزقا » .

فقالت للرسول : قل لصاحبك[1] : إن سُحيماً قد رُثم[2] ، وإن رسولَك جاءنا فى المحاق ! فلما أتاه الرَّسولُ بالرِّسالة : قال ياعدوَّ الله ، أكلتَ مِنَ الثَّلاثينَ شاةً شاةً ، وشرِبْتَ من رَأْسِ الزِّق ! فاعتَرَف [بذلك[3]] .

(قصة العنبرىّ الأسير)

الأصمعىُّ قال : أخبرنى شيخٌ من بنى العنبر قال : أسر بَنو شَيبانَ رجلاً من بنى العنبر ،قال : دَعونى حتى[4] أرسلَ إلىأهلى ليَفدُونى[5] . قالوا : على ألاَّ تكلِّم الرّسولَ إلاَّ بين أيدينا . قال : نعم . قال : فقال للرسول ، ائتِ أهلى فقل : إنَّ الشَّجر قد أوْرَق . وقل : إنَّ النِّساء قد اشْتَكت وخرَزَت القِرب[6] . ثمَّ قال له : أتَعقِلُ ؟ قال : نعم . قال : إنْ كنت تَعقِلُ فما هذا ؟ قال : الليل . قال : أراك تعقل ! انطلق إلى أهلى فقل لهم : عَرُّوا جملى الأصهب ، واركَبُوا ناقتى الحمراء ، وسلوا حارثاً عنأمرى — وكان حارثٌ صديقاً له — فذهب الرَّسولُ فأخبَرَهم ، فدعَوا حارثاً فقصَّ عليه الرَّسولُ القِصَّة ، فقال أمَّا قوله « إنَّ الشَّجَر قد أورق » فقد تسلَّح القوم . ٣٩

---

(١) ل : « قل له » .

(٢) رثم : كسر أنفه أو فوه حتى تقطر منه الدم ، أو لطخ بالدم .

(٣) هذه الزيادة من س فقط . والخبر فى البيان (٣ : ٢١١) برواية أخرى ، وقد عين اسم الرجل بأنه قسامة بن زهير العنبرى . وانظر كذلك كنايات الجرجانى ٦٣ ومحاضرات الراغب (١ : ٦٧) حيث نسب الخبر فى الأخيرة إلى امرئ القيس .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٥) ط ، س : « إلى صاحبى » ، وفى ط فقط : « يفدونى » .

(٦) هذه الجملة ليست فى ل . وهى فى أصلها : « وجررت القرب » وليس لذلك وجه ، وقد اعتمدت فى تصحيحها على مافى كامل ابن الأثير ١ : ٣٨٤ : والمراد بالخرز هنا الإصلاح استعداداً للحرب .

وأمّا قوله : « إنّ النساء قد اشتكتْ وخرَزت القِرَب[١] » فيقول : قد اتخذت الشِّكاَ[٢] وخرَزت القِرَبَ للغزو . وأما قوله : « هذا الليل » فإنّه يقول : أتاكم جَيشٌ مثلُ الليل . وأمّا قوله : « عرُّوا جملى[٣] الأصْهب » فيقول : ارتحلوا عن الصَّمّان . وأما قوله : « اركَبُوا ناقتى الحمراء » فيقول : انزِلُوا الدَّهناء .

وكان القَوم قد تهيَّئوا لغزْوهم ، فخافوا أن يُنذِرهم ، [فأنذرهم] وهم لا يشعرون ، فجاء القومُ يطلبونهم فلم يجِدُوهم[٤] .

(قصة المطاردى)

وكذلك صنع العُطاردى فى شأنِ [شِعب] جبلة ، وهو كرِب بن صفوان ؛ وذلك أنَّه حينَ لم يرجِع لهمْ قَولا حين سألوه أن يقول ، ورمَى بصُرَّتين فى إحداهما شوك ، والأخرى تراب ، فقال قيس بن زهير : هذا رجلٌ مأخوذٌ عليه ألاَّ يتكلَّم ، وهو ينذِرُكم عَدَدًا[٥] وشَوْكة[٦] .

قَال اللهُ عزَّوجلَّ : ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ .

---

(١) س فقط : « وجررت القرب للغزو » ، والكلمة الأخيرة تفسد الكلام ، وتصحيح كلمة « جررت » هنا وفيما سيأتى قريبا ، اعتمدت فيه على ما فى الكامل .

(٢) الشكا ، بالكسر : جمع شكوة بالفتح : وعاء للماء أو اللبن من أدم .

(٣) ط ، س : « جمالى » وتصحيحه من ل .

(٤) هذا الخبر أورده ابن عبد ربه فى العقد ٣ : ٣٣٠ — ٣٣١ فى بدء كلامه على يوم الوقيط ، وكذلك ابن الأثير ، بصورة مفصلة . وهو أيضاً فى أمالى القالى ١ : ٦ والمرتضى ١ : ١٢ والعمدة ١ : ٢١١ ومحاضرات الراغب ١ : ٦٧ والمزهر ١ : ٣٣٣ وكنايات الجرجانى ٦٤ ومعانى الأشناندانى ٥٧ وطراز المجالس ٢٥٤ والملاحن ٤ وأخبار الظراف ٧٠ والمستطرف ١ : ٤٢ .

(٥) أى عدوا كثير العدد ، وقد أشار إليه بالتراب . وفى ط ، س : « غدرا » وليس بشىء .

(٦) الشوكة : البأس والقوة . س : « أو شوكة » . والخبر مع بسط كبير ، فى كامل ابن الأثير ١ : ٣٥٥ — ٣٥٦ .

(شعر فى صفة الخيل والجيش)

قال أبُو نخيلة[١] :

لما رأيتُ الدِّينَ دينًا يُؤْفَكُ   وأمْسَتِ القُبةُ لا تستمْسِكُ[٢]

يُفْتَقُ مِن أعْراضها ويُهتك[٣]   سرت من الباب فَطَارَ الدَّكدَكُ[٤]

منها الدَّجُوجيُّ ومِنها الأرْمَكُ[٥]   كاللَّيـــل إلاَّ أنَّها تَحَرَّكُ

وقال مَنصورٌ النمَّــرى :

ليلٌ من النَّقْع لا شَمسٌ ولا قَمَرٌ   إلاَّ جبينُك والمذروبة الشُّرُعُ[٦]

وقال آخر :

كأنَّهمْ ليلٌ إذا استَنفِرُوا[٧]   أو لُجَّةٌ ليس لهـا ساحلُ

---

(١) فى الأصل : « ابن نخيلة » ، وليس يعرف شاعر أو راجز بهذا الاسم . وأبو نخيلة تقدمت ترجمته فى ٢ : ١٠٠ .

(٢) ط : « لاتمسك » .

(٣) ط ، س : « أو يهتك » .

(٤) الدكدك : ماتـكبس واستوى من الرمل ، أو ماالتبد منه بالأرض . فى ط ، س « قطار دكدك » ، وفى ل : « فسار الدكدك » ، وقد جمعت بينهما بما ترى .

(٥) الدجوجى : الشديد السواد . والأرمك : الذى يخالط حمرته سواد ، وقد تـكلم العسكرى فى هذا البيت والذى بعده . وهما فى صفة الخيل . الصناعتين ٣٩٧ .

(٦) المذروبة : المحددة . وفى ط س : « المـدربة » ، وهو تحريف ما أثبت من ل وديوان المعانى ٢ : ٦٧ .

(٧) استنفروا : دعوا للقتال والنصرة . فى ط : « استفزوا » وصوابه فى س ، ل .

وقال العجاج(١) :

كأنَّمَا زُهاؤه إذا جُهِرْ(٢) ليـلٌ وَرِزٌّ وَغْرِهِ إذا وَغَرْ(٣)

* سارٍ سَرَى مِن قِبَلِ العَيْنِ فجر(٤) *

وفى هذا الباب وليس منه(٥) يقول بشّار :

كأنَّ مُثارَ النَّقْعِ فوقَ رُءُوسِهِمْ(٦) وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبُه

وقال عمرو بن كلثوم :

تَبنِي سنابكُهم من فوق أَرؤسهم سقفا(٧) كواكبه البِيضُ المباتيرُ

وهذا المعنى قد غلب عليه بشّار ، كما غلب عنترةُ على قوله :

فتَرَى الذُّبابَ بها يُغَنِّى وَحدَهُ هَزِجًا كفِعْلِ الشَّارب المترنِّم

غَرِدًا يحُكُّ ذِرَاعَه بذِرَاعه فِعْلَ المُكِبِّ على الزِّنَادِ الأجذَم

فلو أنَّ امرأ القَيس عَرَضَ فى هذا المعنى لعنترة لافتَضَح .

---

(١) ط : « وقال آخر » . وأثبت مافى س ، ل .

(٢) زهاؤه : قدره . وفى ط ، س : « نهاره » وصوابه من ل : وديوان المعانى ٢ : ٧١ . وجهر : نظر إليه باستعظام . ورواية ديوان المعانى واللسان (مادة جهر ، وغر) : « لمن جهر » . والشعر فى نعت جيش .

(٣) الرز ، بالكسر : الصوت . ووغر الجيش : صوتهم وجلبتهم . وفى ط ، س « وزور وعرة إذا وعر » ، وهو تشويه إصلاحه من ل وديوان المعانى واللسان .

(٤) ل : « فحر » ، وفى الأصل : « العير » صوابه فى ديوان العجاج ١٨ وديوان المعانى والمخصص ١٦ : ١٨٥ . قال ابن سيده : والعين : ماعن يمين قبلة العراق .

(٥) ل : « به » .

(٦) ط ، س : « كأنما النقع يومافوق أرؤسهم » ، وبذلك يختــل الوزن ، وأثبت مافى ل وعيون الأخبار ٢ : ١٩٠ . ومشهور الرواية : « فوق رءوسنا » انظر الوساطة ٢٣٧ وحماسة ابن الشجرى ٢٣٤ .

(٧) ط ، س : « سقف » صوابه فى ل .

(مقطعاتٌ شتى)

وقال بعضهم [فى] غير هذا [المعنى] :

وفلاةٍ كأنَّما اشْتَمَل اللَّيـ ـلُ على رَكْبِها بأبناء حامِ[١]

٤٠ خضْتُ فيها إلى الخَليفـة بالرَّ قّةِ[٢] بجَرَى ظَهيرةٍ وظَلام

وقالَ العَرْجيُّ[٣] :

سَمّيتنى خَلَقاً بخَلَّةٍ قدُمَتْ[٤] ولا جَدِيدَ إذا لم يُلبَس الخَلَقُ

يا أيها المتحلِّى غـيْرَ شِيمَتِه ومِنْ خَلاَئقِه الإقصادُ والمَلَقُ[٥]

ارجعْ إلى خِيمِكَ المعروفِ دَيْدَنُه إن التَّخَلقَ يأبَى دُونَهُ الخُلُقُ[٦]

وقال آخر[٧] :

أودَى الخِيارُ مِنَ المعاشِرِ كلهمْ واستَبَّ بَعْدَكَ يا كُلَيْبُ المَجْلسُ

وتَنازَعُوا فى كلِّ أمرِ عَظيمةٍ لو قَدْ تكونُ شهدْتَهُـمْ لم ينْبِسُوا[٨]

---

(١) حام : أحد أبناء نوح . وإليه ينسب السودان ، والزنوج ، والأحباش ، والنوبة .

(٢) الرقة : مدينة على الفرات. ط ، س : « بالشرفة » تحريف .

(٣) ط ، س : « وقال آخر » ، وأثبت ما فى ل موافقاً لما فى العقد ٢ : ٢٤ وزهر الآداب ١ : ٧٧ والشعراء ١٣٨ . ويروى الشعر أيضاً لسالم بن وابصة كما فى البيان ١ : ٢٣٣ ونوادر أبى زيد ١٨١ . وهو بدون نسبة فى مجالس ثعلب ٣٠٠.

(٤) ط : « بحلة قدحت » س : « لحلة قدمت » ، وأثبت ما فى ل

(٥) الإقصاد ، لعله من أقصدت الحية : لدغت فقتلت .

(٦) الخيم ؛ بالكسر : السجية .

(٧) هو مهلهل ، كما سيأتى ، وكما فى ديوان المعانى ١ : ٢٠٤ والصناعتين ١٩٤ .

(٨) ل : « لو كنت حاضر أمرهم لم ينبسوا » .

وأبياتُ أبي نواسٍ على أنّه مولَّد شاطر ، أشعرَ من شعر مهلهل فى إطراق النّاسِ فى مجلِس كليب ، وهو قوله[١] :

على خبز إسماعيلَ واقِيَة البُخْلِ[٢] وقد حلَّ فى دَارِ الأمان مِنَ الأكْلِ

وما خبزُهُ إلاَّ كآوَى يُرى ابنها ولم تُرَ آوى فى الحزون ولا السَّهْلِ

وما خبزُهُ إلاَّ كعَنْقاء مُغرِبٍ تُصوَّر فى بُسْطِ الملوك وفى المـثْل

يحدث عنها النَّاس من غيرِ رُؤيةٍ سِوى صُورةٍ ما أن تُمِرُّ ولا تُحْلى

وما خبزُه إلاَّ كليبُ بنُ وائلٍ ليالىَ يحمى عزُّه مَنْبِتَ البَقْلِ

وإذْ هو لا يستبُّ خَصْمانِ عِنْدَه ولا القولُ مرفوعٌ بِجِدٍ ولاَ هزْلِ

---

(١) يهجو إسماعيل بن أبي سهل بن نيبخت ، كما فى الديوان ١٧١ وأخبار أبي نواس ١٢٧ وثمار القلوب ٧٧ . قال الجاحظ : « وكان أبو نواس يرتعى على خوان إسماعيل بن نيبخت كما ترتعى الإبل فى الحمض بعد طول الخلة ، ثم كان جزاؤه منه أنه قال :

خبز إسماعيل كالوشـ ـى إذا ماشق يرفا

وقال :

وما خبزه إلا كليب بن وائل ليالى يحمى عزه منبت البقل

البخلاء ٥٩ . وفى رسالة الحاسد والمحسود ص ١٠ : « وكان الحسن بن هانئ يرتع على مائدة إسماعيل الهاشمى ، وكان من المطعمين للطعام المسرفين ، فعارض الحسن بن هانئ يوما بعض أصحابه فقال له : من أين ؟ فقال : من عند إسماعيل . فقال له : ماأطعمـكم ؟ فقال : أطعمنا دماغ كلب فى قحف خنزير . فلم يكن منه هذا القول إلا على وجه الحسد » .

(٢) انفرد ابن منظور فى أخبار أبي نواس برواية : « واقية النحل » ، كما يقال : « واقية الكلاب » .

فإنْ خبزُ إسماعيلَ حلَّ به الذى أصابَ كليبًا لم يكن ذاكَ عن بَذْلِ (١)
ولكنْ قضاءٌ ليس يُسطاعُ دَفْعهُ بحيلةِ ذى دَهْيٍ ولا فِكْرِ ذى عقلِ (٢)

(شعر العرب والمولدين)

والقضيّة التى لا أحتشِمُ منها (٣) ، ولا أهابُ الخصومة (٤) فيها : أنّ (٥) عامَّة العرب والأعراب والبدوِ والحضَر من سائر العرب ، أشعر من [عامَّة] شعراء الأمصارِ والقُرَى ، من المولَّدة (٦) والنابتة (٧) . وليس ذلك بواجبٍ لهم فى كلِّ ما قالوه (٨) .

وقد رأيت ناسًا منهم (٩) يبهرِجون أشعارَ المولَّدين ، ويستسقِطون مَن رواها . ولم أر ذلك قطُّ إلاَّ فى راويةٍ للشِّعرِ غيرِ بصيرٍ بجوهر ما يروى . ولو كان له بصرٌ (١٠) لعرَف موضعَ الجيِّد ممَّن كان ، وفى أىِّ زمان كان .

---

(١) فى ديوان المعانى والثمار : « عن ذل » ، وفى الديوان : « من ذل » ، وأنا أرتضى ماهنا .

(٢) ل : « بحيلة ذى مكر ولادهى ذى عقل » . والدهى : الدهاء .

(٣) كذا فى س ، ل . وفى ط : « والقصيدة هذه احتشم منها » محرفة .

(٤) ط ، س : « ولا أطلب الخصومة » ، ل : « ولا أهاب الخصوم » ، وقد عدلت القول بما ترى .

(٥) ط : « إذ » ، وتصحيحه من س ، ل .

(٦) ل : « المولدين » .

(٧) ط : « والثانية » و ل « التانية » س : « الناتية » ، والوجه ماأثبت .

(٨) ط ، ل : « فيما قالوه » ، والوجه ما كتبت من س .

(٩) ط : « نشائهم » س : « نسابهم » ل : « ناسا » ، ولعل الصواب فيما أثبت .

(١٠) ل : « ولد » ، وهو تحريف ظاهر .

وأنا رأيت[1] أبا عمرو [الشيبانيَّ] وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين ، ونحنُ فى المسجِد يوم الجمعة ، أن كلَّف رجلاً حتى أحضره دواةً وقرطاساً ٤١ حتَّى كتبهما له . وأنا أزعم أنَّ صاحب هذين البيتين لايقول شِعراً أبدا . ولولا أن أدخِلَ فى [الحكم] بعض الفتك[2] لزعمتُ أنَّ ابنَه لايقول شعراً أبدا[3] ، وهما قوله :

لاتحسَبَنَّ المـوتَ مَوْتَ البِـلَى ... فَإنَّما المَوتُ سُؤالُ الرِّجالِ[4]

كـلاهما موتٌ ولـكِنَّ ذَا ... أفظَعَ من ذاكَ لذلِّ السُّؤال[5]

(القول فى المعنى واللفظ)

وذهب الشَّيخُ إلى استحسانِ المعنى ، والمعانى مطروحةٌ فى الطريق يعرفها العجميُّ والعربيُّ ، والبدويُّ والقرَوى ، [والمدنىّ] . وإنَّما الشأنُ فى إقامةِ الوزن ، وتخيُّر اللفظ[6] ، وسهولة المخرج[7] ، [وكثرة المـاء] ،

---

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « قد سمعت » .

(٢) الفتك : المجون . وفى ط ، س : « القيل » .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « لزعمت أن ابنه أشعر منه » .

(٤) كذافى ل . وفى ط ، س : « وإنما » .

(٥) كذا فى ط ، س والبيان (٢ : ١٧١) . وفى ل : « أشد من ذاك على كل حال » . وفى المستطرف (٢ : ٥٣) : « أخف من ذاك لذل السؤال » . ومن العجب أن ينعى الجاحظ على أبى عمرو استحسانه هنا ، ثم يقع هو فيما عابه على غيره فيجعل البيتين فى مختارات البيان والتبيين .

(٦) كذا فى ل . وفى ط : « تمييز » وفى س : « وتخيير » .

(٧) ط : « وسهولته وسهولة المخرج » .

وفى صحّة الطّبع وجَودَة السَّبك[١] ، فإنما الشعر صناعةٌ[٢] ، وضَرْب من النَّسج[٣] ، وجنسٌ من التَّصوير .

وقد قيل للخَليلِ بنِ أحمد : مالكَ لاتقولُ الشِّعر ؟ قال : «الذى يجيئنى لاأرضاه ، والذى أرْضاه لايجيئنى » .

فأنا أستحسنُ هذا الكلام ، كما أستحسنُ جوابَ الأعرابىِّ حين قيل له : كيفَ تجدُك ؟ قال : [أجدنى] أجدُ مالا أشتَهِى ، وأشتهى مالا أجد !

(شعر ابن المقفع)

وقيل لابن المقفَّع : مالك لاتَجوزُ[٤] البيت والبيتين والثلاثة ! قال : إنْ جُزْتُها[٥] عرَفوا صاحبَها. فقال له السائل : وما عليك أنْ تَعرِف بالطِّوال الجياد ؟ ! [فعلِم أنَّه لم يفهمْ عنه] .

(الفرق بين المولد والأعرابى)

ونقول : إن[٦] الفَرق بين المولَّد والأعرابى : أنَّ المولَّديقول[٧] بنشاطه وجمع[٨] باله ، الأبياتَ[٩] اللاحقَةَ بأشعارِ أهلِ البدو ، فإذا[١٠] أمعَنَ انحلَّت قوَّته ، واضطربَ كلامُه .

---

(١) ل : « وجودة السبك وصحة الطبع » مع إسقاط « صحة الطبع » مما سبق .
(٢) ل : « صياغة » .
(٣) ط فقط : « الصبغ » .
(٤) أى تتجاوز . وفى ط ، س : « تجود » محرفة .
(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « جودتها » وهو تحريف »
(٦) ل : « لأن الفرق » مع حذف : « ونقول » .
(٧) س : « يقوم » وهو تحريف .
(٨) ط : « وجيع »، والوجه ماأثبت من س ، ل .
(٩) كذا فى ل . وبدلها فى ط ، س : « فيشبه » .
(١٠) ط ، س : « وإذا » .

(شعر فى تعظيم الأشراف)

وفى شبيهٍ بمعنى مهلهلٍ وأبى نُوَاس ، فى التّعظيم والإطراقِ عندَ السّادة ،
يقول الشاعر[١] فى بعضِ بنى مروان :

فى كفِّه خَيْزُرَانٌ رِيحُه عَبِقٌ فى كفِّ أرْوَعَ فى عِرنينه شَمَمُ[٢]
يغضِى حَياءً ويغضَى مِنْ مَهابتِه فما يكلَّم إلاَّ حينَ يبتَسِمُ
إن قال قال بمـا يَهْوَى جَميعُهمُ وإن تكلَّمَ يوماً ساخَتِ الكلِمُ
كَمْ هاتفٍ بك مِن داعٍ وهاتفةٍ يَدْعُوكَ ياقُثَمَ الخَيْرَاتِ ياقُثَمُ[٣]

وقال أبو نواس فى مثل ذلك[٤] :

فترَى السّاداتِ مائلةً[٥] لِسليلِ الشّمس من قَمَرِهْ
فَهمُ شَتَّى ظُنُونُهمُ حَذَرَ المطوىِّ من خَبَرِهْ[٦]

---

(١) هو الفرزدق يقوله فى هشام بن عبد الملك كما فى أمالى المرتضى (١ : ٤٨) وزهر الآداب (١ : ٦٠) . أو الحزين الكنانى فى عبد الملك بن مروان كما فى ديوان الحماسة (٢ : ٢٨٤) . أو للفرزدق فى على بن الحسين كما فى العمدة (٢ : ١١٠) وأمالى المرتضى . أو للعين المنقرى فيه ، كما فى العمدة . أو لكثير بن كثير السهمى فى محمد بن على بن الحسين . المؤتلف ١٦٩ . أو لداود بن سلم فى قثم بن العباس ، كما فى العمدة . وهذا مثل لمقدار اختلاف الرواة فى نسبة الشعر . وقد سكت الجاحظ عن النسبة هنا ، وكذلك فى البيان (١ : ٣٧٠ ، ٣ : ٤١) وكذا ابن قتيبة فى عيون الأخبار (١ : ٢٩٤ ، ٢ : ١٩٦) تحفظا منهما .

(٢) ل ، س : « ريحها » .

(٣) هذا البيت ساقط من ل .

(٤) يمدح العباس بن عبيد الله بن أبى جعفر المنصور ، كما فى الديوان ٦٦ من قصيدته المشهورة التى مطلعها :

أيها المنتاب من عفره لست من ليلى ولا سمره

(٥) مائلة : واقفة ، يعنى إجلالا له . وهذه رواية ل والديوان . وفى ط ، س : « مائلة » ، والميل علامة الخضوع .

(٦) فى الديوان : « حذر المكنون من فكره » .

وقال إبراهيمُ بنُ هَرْمَةَ فى مديحِ المنصور ، وهو شبيهٌ بهذا وليس منه :

له لحظاتٌ عنْ حِفافَىْ سريرِه[١] إذا كرَّها فيها عقابٌ ونائلُ[٢]

٤٢ فأمُّ الذى أمَّنْت آمِنةَ الرَّدَى وأمُّ الذى أوعدتَ بالثُّكْلِ ثاكلُ[٣]

(شعر فى الحلف والعقد)

وقال مُهلهلٌ ، وهو يقع فى باب الحلف وُكِّد بعَقْد[٤] :

[ملْنا على وائلٍ وأفْلَتَنا يَوْماً عدىٌّ جُرَيْعَةَ الذَّقَنِ[٥]]

دفعتُ عنه الرِّماحَ مجتهداً حِفْظاً لِحْلفى وحلفِ ذى يَمَنِ[٦]

أذكرُ مِن عهدِنا وعهدِهِمُ عهداً وَثيقاً بَمَنْحَرِ البُدُن

مابلَّ بحرٌ كفا بصوفتِها[٧] وما أنافَ الهضابُ من حَضَنِ[٨]

يزيده اللَّيلُ والنَّهارُ معاً شَدًّا ، خِرَاطَ الجَمُوحِ فى الشَّطَنِ[٩]

---

(١) كذا فى س والعقد (١ : ٣٢٠ تأليف) وعيون الأخبار (١ : ٢٩٤) وفى . ل : « عن حفا من » وفى ط : « فى خفا من » . وفى العقد (٦ : ٢٥١ تأليف) : « عن خفاء سريرة » . وفى العمدة (٢ : ١٠٩) : « عن خفانى سريره » .

(٢) س : « فيه عقاب » وهو تحريف .

(٣) ط : « أمته الردى » وتصحيحه من س ، ل . وفى ل : « حاولت بالشكل » وفى س : « أثكلت » .

(٤) ط فقط : « فى باب حلف » . ل فقط : « وكيف يعقد » .

(٥) يقال فى المثل : أفلتنى جريعة الذقن ، إذا كان قريباً منك كقرب الجرعة من الذقن ثم أفلتك ، وهو يضرب مثلا لإفلات الجبان . اللسان (جرع) .

(٦) ط ، س : « وحفظ ذى يمنى » وهو تحريف .

(٧) فى اللسان : « وصوف البحر : شىء على شكل هذا الصوف الحيوانى ، واحده صوفة . ومن الأبديات قولهم : لا أكلمه مابل بحر صوفة » . ل : « بصوقتها » وهو تحريف .

(٨) حضن ، بالتحريك : جبل بأعلى نجد . وفى ط ، س : « حصن » مصحف . وفيهما أيضاً : « وما أناف الصخور » .

(٩) الخراط : بالكسر : الجماح . والشطن : الحبل . ط ، س : « خراط الجموع » وصوابه من ل .

(شعر فى مصرع عمرو بن هند)

وقال جابر بن حَنَىٍّ[١] التغلبىّ :

ولسنا كأقوامٍ قريبٍ محلهُمْ	ولسنا كمن يرضيكمَ بالتملق[٢]
فسائل شُرَحبيلاً بنا ومحلّماً	غداة نكُرُّ الخَيْلَ فى كلِّ خَنْدَق[٣]
لعمرك ماعمرُو بنُ هندٍ وقَدْ دعا	لتخدُمَ ليلى أمَّــهُ بموفَّقِ[٤]
فقام ابنُ كُلثوم إلى السَّيف مُغْضباً	فأمسَكَ مِن نَدْمَانِه بالمخنَّقِ[٥]
وعممه عمداً على الرَّأس ضَرْبةً	بذِى شُطَبٍ صافى الحديدة مِخْفَقِ[٦]

(١) جابر بن حنى أحد شعراء المفضليات . وفى ط ، س : « ضابئ بن حينا » وهو تحريف . والشعر ينسب أيضاً إلى أفنون التغلبى كما فى الشعراء ٩٦ والأغانى (٩ : ١٧٦) وكامل ابن الأثير (١ : ٣٣١) .

(٢) ل : « نرضهم » ، والوجه ماأثبت من ط ، س .

(٣) ط : « فسائل شريكا نائباً ومحكاً » . س : « فسائل شريحا نائباً ومحكما » ، وأثبت مافى ل . وفى س : « تكر الخيل » .

(٤) لاستخدام أم عمرو بن هند ، ليلى أم عمرو بن كلثوم ، قصة يتداولها الرواة . انظر لها الأغانى (٩ : ١٧٥ - ١٧٦) .

(٥) الندمان ، بالفتح : النديم ، والمراد به عمرو بن هند . وفى ل : « ندمانه » وهو تحريف . وفيها أيضاً : « بالمجنق » وهو تحريف كذلك . وفى س : « بالمحنق » .

(٦) الشطب : طرائق السيف . و « الحديدة » هى فى الأصل « الحديد » ، وأثبت مافى الأغانى ليستقيم الشعر . والمخفق ، كمنبر : العريض من السيوف . وفى ط : « محقق » وفى س : « محفق » وهما تصحيف ما أثبت من ل .

(شعر فى الأقارب)

وقال المتلمِّس :

على كلِّهم آسَى وللأَصل زلفة   فزحزح عن الأدنَينَ أن يتصدَّعوا
وقد كان إخوانى كريماً جوارُهم   ولكنَّ أصلَ العُود مِنْ حَيْثُ يُنزعُ

وقال المتلمس :

ولو غيرُ أخوالى أرادُوا نقيصتى   جَعلتُ لهم فوقَ العرانِينِ ميسما
وما كنتُ إلاَّ مِثْلَ قاطعِ كفِّهِ   بكفٍّ لهُ أخْرَى فأَصبح أجْذَما
يداهُ أصابتْ هذِهِ حَتْفَ هذه   فلم تَجِدِ الأخْرَى عليها مُقَدَّما
فأَطرقَ إطراقَ الشجاع ولو يَرَى   مَساغاً لنابَيهِ الشجاعُ لَصَمَّما[1]
أحارثُ إنا لو تُساطُ دِماؤُنا   تَزَايَلْنَ حتَّى لايمَسَّ دَمٌ دما[2]

(تفسير كلمة لعمر)

قال : وسأَلتُ عن قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لأبى مَرْيم الحَنفى[3] : واللهِ لأَنا أشدُّ بغضاً لك من الأرض للدَّم[4] ! قال :

---

(١) الشجاع : الحية الذكر .

(٢) تساط : تخلط . وفى ط ، س : « تساقط » ، وصوابه فى ل . وكانوا يعتقدون أنه إذا خلط دم عدوين تميز كل منهما عن الآخر .

(٣) اسمه إياس بن صبيح ، كان من أهل اليمامة وكان من أصحاب مسيلمة ، وهو قتل زيد بن الخطاب بن نفيل يوم اليمامة ، ثم تاب وحسن إسلامه ، وولى قضاء البصرة بعد عمران بن الحصين فى زمن ابن الخطاب . طبقات ابن سعد (ج ٧ ق ٢ ص ٦٤) : وقال أبو الحسن فى شرح الكامل : ثقة كوفى . الكامل ٣٤٦ ليبسك .

(٤) النص فى الكامل : « والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم » وزاد : « قال : أفتمنعنى حقاً ؟ قال : لا . قال : فلا بأس ، إنما يأسف على الحب النساء ! » .

لأنَّ الدَّم الجارى من كلِّ شىءٍ بيّن ، لايغيضُ فى الأرض ؛ ومتى جفَّ [وتجلَّب] فقرفته[١] رأيتَ مكانَه أبيض .

إلاَّ أنَّ صاحب المنطق قال فى كتابه فى الحيوان : كذلك الدِّماء ، إلاَّ دَمَ البعير . ٤٣

(أشعار شتى)

وقال النَّمِرُ بنُ تولَب[٢] :

إذا كنتَ فى سعدٍ ، وأمُّك منهُمُ غريباً فلا تَغرُرْك أمُّكَ من سَعْدِ[٣]

وقال[٤] :

وإنَّ ابنَ أُختِ القَومِ مُصغًى إناؤه إذا لم يُزَاحِمْ خالَهُ بأبٍ جَلْدِ[٥]

---

(١) قرفه : قشره . وفى ط ، س : « ففرقته » ؛ تصحيف ما أثبت من ل .

(٢) فى محاضرات الراغب (١ : ١٧٧) نسبة الشعر إلى حسان بن وعلة . وفى الحماسة (١ : ٢٠٠) إلى غسان بن وعلة .

(٣) الرواية المشهورة : « فلا يغررك خالك من سعد » . انظر الكامل ٣٣٧ ليبسك ومحاضرات الراغب والعقد (١ : ٤٣) والحماسة ، وعيون الأخبار (٣ : ٨٩) .

(٤) كذا بالأصل . والبيتان متصلان كما فى جميع المراجع السابقة ماعدا العقد ، والرواية فيها جميعاً ماعدا العقد ؛ فإنه لم يرو البيت الثانى : « فإن ابن أخت القوم » . وبعد البيت السابق ، كما فى العقد وشرح التبريزى (٢ : ٤١) :

إذا مادعوا كيسان كانت كهولهم إلى الغدر أدنى من شبابهم المرد

قال أبو عمرو بن العلاء : كانت بنو سعد بن تميم أغدر العرب ، وكانوا يسمون الغدر فى الجاهلية : « كيسان » .

(٥) مصغى إناؤه : يقال أصغيت الإناء : نقصته . انظر المخصص (١٣ : ١٦١) . وفى اللسان ، « ويقال أصغى فلان إناء فلان : إذا أماله ونقصه من حظه » .

وقال آخر :

تخَيَّرَهُ اللهُ الغــداةَ لدينه على عِلْمِهِ واللهُ بالعِلْمِ أفْرَسُ[١]

وقال آخر :

وما تَرَكَ الهاجون لى فى أديمكم مَصَحًّا ولكنِّى أرى مُترقَّعا[٢]

وقال العِجْلِىّ ، أو العُكلىّ[٣] ، لنوح بن جرير :

[أتسبُّنى فأراك مثلى سُبَّةً وأسبّ جدَّكم بسبٍّ أبينا]

ولقد أرى والمقْتَضى متجوِّزٌ[٤] يا نوحُ أنَّ أباك لايُوفينا

وقال عمرو بن معد يكرب :

إذا لم تَستَطِعْ شيئاً فَدَعْه وجاوِزْه إلى مَا تَستَطِيعُ

وصِلْهُ بالزَّمَاعِ فكُلُّ أمرٍ سَمَا لكَ أو سَمَوت لَهُ ولوعُ

(شعر فى صاحب السوء)

وقال المقنَّع الكِندىُّ[٥] :

وصاحبِ السُّوءِ كالدَّاء العَياء إذا مَا ارفَضَّ فى الجوفِ يجرى هاهُنا وهنا[٦]

---

(١) كذا فى ط ، س . وفى ل : « تخيره رب العباد . . . بالعبد أعرف » .

(٢) المصح : موضع الصحة . س : « مترفعا » وهو تصحيف ، صوابه فى اللسان والمقاييس (رفع) .

(٣) كذا فى س . وفى ط : « وقال العجلى ، أو الكعلى » وفى ل : « وقال العكلى » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط : « ولقد رأونا والقضا متخون » وفى س : « ولقد رأونا والفضا متخون » .

(٥) المقنع : لقب غلب عليه ؛ لأنه كان أجمل الناس وجها ، وكان إذا سفر اللثام عن وجهه أصابته العين ، فكان لايمشى إلا مقنعا . واسمه محمد بن ظفر بن عمير . شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية . الأغانى (١٥ : ١٥٧) والشعراء ١٧٣ .

(٦) داء عياء : لايبرأ منه . وفى ل : « كالداء العضال » .

يُنْبِي ويُخبِر عن عَوْراتِ صاحبِه   وما رأى عنده من صالحٍ دفنا[١]
كمُهْرِ سَوْءٍ إذا رفَّعت سَيْرَتَه   رامَ الجماح وإن خفَّضته حَرَنَا[٢]
إن يَحْيَ ذاك فكنْ منه بمعْزَلةٍ   أو ماتَ ذاكَ فلا تعْرِفْ لَهُ جَنَنا[٣]

باب[٤]

ذكر خصال الحرم

فمن خصاله أنّ الذِّئبَ[٥] يصيد الظَّبيَ ويُريغه[٦] ويعارضه ، فإذا دخَلَ الحرم كفَّ عنه .

ومن خصاله أنّه لا يسقط على الكعبة حمام[٧] [إلاّ وهو عليل . يُعرف ذلك متى امتُحنَ وتعرِّفَتْ حالُه[٨] . ولا يسقط عليها] ما دامَ صحيحًا .

ومن خصاله أنّه إذا حاذى أعلى الكعبة عَرَقَةٌ[٩] من الطّير كاليمام وغيره ، انفرَقت فِرقتين ولم يعلها[١٠] طائرٌ منها .

---

(١) ل : « يجرى ويخبر » ، وفى الشعراء : « ينبى ويخبر » .

(٢) رفع سيرته : زاد فى سرعة سيره .

(٣) الجنن ، بالتحريك : القبر . وفى ل : « أو مت ذاك لاتشهد له جنبا » ، وهو تحريف مافى الشعراء : « أو مات ذاك فلا تشهد » .

(٤) قبل هذا فى ل : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

(٥) كذا فى ل وثمار القلوب ١٣ ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٦٣) . وفى ط ، س : « الكلب » ، وليس مرادا .

(٦) يريغه : يطلبه .

(٧) ط ، س : « على الكعبة حمام » .

(٨) فى ثمار القلوب : « عرف ذلك من امتحنه وتعرف حاله » .

(٩) العرقة ، بالتحريك : السطر من الطير ، أو الخيل ، والجمع عرق . وفى ط ، س « عرف » وتصحيحه من ل .

(١٠) ط : « يعلمها » وصوابه فى س ، ل .

ومن خصاله [أنَّه(١)] إذا أصاب المطرُ البابَ الذى من شِقِّ العِراق ، كان الخِصْب والمطرُ فى تلك السَّنة فى شِقِّ العِراق ، [وإذا أصاب الذى مِن(٢) شِقِّ الشَّام كان الخِصْبُ(٣) والمطر فى تلك السَّنَةِ فى شِقِّ الشام] ، وإذا(٤) عمَّ جوانبَ البيتِ كان المطرُ والخِصْبُ عامًّا فى سائر(٥) البُلدان .

٤٤ ومن خصال الحرَم أنَّ حَصَى الجِمار يُرمى بها فى ذلك المرمى ، مُذْ يومَ حَجَّ النَّاسُ البيتَ على طَوَالِ الدَّهر ، ثمَّ كأنَّه على مقدارٍ واحد . ولولا موضع الآيةِ والعلامةِ والأعجوبةِ التى فيها ، لقد كان ذلك كالجبال . هذا مِنْ غير أن تكسَحَه السُّيول ، ويأخُذَ منه النَّاس .

ومن سُنَّتهم : أنَّ كلَّ مَن علا الكعبةَ من العبيد فهو حرٌّ ، لا يرون المِلْكَ على من علاها ، ولا يجمعون بين [عزِّ] علوِّها وذِلة(٦) المِلك .

وبمكةَ رجالٌ من الصُّلحاء لم يدخُلوا الكَعبةَ قطّ .

وكانوا فى الجاهليَّة لا يبنُون بيتاً مربَّعا ؛ تعظيماً للكعبة . [والعربُ تسمِّى كلَّ بيتٍ مربَّع كعبة ، ومنه : كعبة نَجران] . وكان(٧) أوَّلُ مَن بنى بيتاً مربَّعا حُميد بن زهير(٨) ، أحد بنى أسد بن عبد العُزَّى .

ثمَّ البركة والشفاء الذى يجدُه مَن شرب من ماءِ زمزم على وجْه الدهر

---

(١) الزيادة من س ، ل .

(٢) هذه الكلمة وسابقتها ليستا بالأصل . وهما من ثمار القلوب .

(٣) فى الأصل ، أى ل التى منها هذه الزيادة : « الحظر » ، وتصحيحه من ثمار القلوب .

(٤) ل : « فإذا » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل والثمار .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وبين » . وفى الثمار : « وذل الرق » .

(٧) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فكان » .

(٨) هو حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشى . وكانت له دار ملاصقة للمسجد ، وقد ذكره ابن حجر فى الإصابة ١٨٣٣ .

وكثرةُ من يُقيم عليه يجدُ فيه الشفاء ، بعد أنْ لم[١] يدعْ فى الأرض حَمَّةً[٢] إلاَّ أتاها ، وأقام عندها ، وشرب منها ، واستنقع[٣] فيها .

هذا مع شأن الفيل ، والطَّيرِ الأبابيلِ ، والحِجارة السِّجِّيل ، وأنَّها لم تزل أمْنا ولَقاحًا[٤] ، لا تؤدِّى إتاوة ، ولا تَدِين للملوك ، ولذلك سمِّى البيتَ العتيق ؛ لأنَّه لم يَزلْ حُرًّا لم يملِكه أحد .

وقال حرْب بن أميَّة فى ذلك[٥] :

أبا مَطَر هَـلُمَّ إلى صَلاحٍ فتكفِيَكَ النَّدَامى مِنْ قريشٍ[٦]
فتأمَنَ وَسْطَهُمْ وتَعيشَ فيهم أبا مطر هُدِيتَ لخيْرِ عَيشٍ[٧]
وتَنْزِلَ بَلْدَةً عزَّت قَدِيمًا وتأمَنَ أن يَزُورَك ربُّ جيشٍ[٨]

وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً واتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى ﴾ . وقال عزّ وجلّ ، حكايةً عن إبراهيم

---

(١) كذا فى ط ، س . وفى ل : « أن لا » .
(٢) الحمة ، بالفتح : كل عين فيها ماء حار ينبع ، يستشفى بها الأعلاء .
(٣) استنقع فيها : نزل واغتسل . وفى ط ، س : « وانتقع » ، والوجه ماأثبت من ل .
(٤) فى الكامل ٧٠٦ ليبسك : « واللقاح : الذى ليس فى سلطان أحد » .
(٥) يقول الشعر لأبى مطر الحضرمى ، يدعوه إلى حلفه ونزول مكة . كامل المبرد .
(٦) المبرد : « صلاح اسم من أسماء مكة » ، وضبطت فى الكامل ضبط قطام . وقال ياقوت فى المعجم : « صلاح بوزن قطام : من أسماء مكة . قال العمرانى : وفى كتاب التكملة : صلاح ، بكسر الصاد والإعراب » يعنى التنوين . فى س : « فتكنفك » وفى المعجم : « ليكفيك » ، وفى الكامل « فتكنف كالندامى » ، والمعنى مستقيم بالجميع .
(٧) س : « فتأمن رهطهم » .
(٨) كذا فى ط ، س ، والمعجم ، والكامل . وفى ل فقط : « عزت لقاحا » وفى المعجم : « أن ينالك رب جيش » .

﴿ رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يشكُرُونَ﴾ .

(خصال المدينة)

والمدينة هي طَيبة ، ولطيبها قيل تلفِظ خَبَثَها وينصعُ طيبُها . وفى ريح ترابها وبنّةِ[1] تربتها ، وعَرف ترابها[2] ونسيمِ هوائها ، والنعمة[3] التى توجد فى سِكَكِها وفى حيطانها — دليلٌ على أنّها جُعلت آيةً حينَ جعلت حرمًا .

وكلٌّ[4] من خَرجَ من منزلٍ مطَيّبٍ إلى استنشاق [ريح] الهواء والتُّرْبة[5] فى كل بلدة فإنّه لا بدَّ عند الاستنشاق والتثبُّت مِنْ أنْ يجِدَها منتنةً . فذلك[6] على طبقاتٍ من شأنِ البُلدان ، إلاَّ ما كان فى مدينة الرّسول ، رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ، فللصَّياح[7] والعِطْر والبَخور

---

(١) البنة ، بالفتح : الريح الطيبة . وفى س : « نبت » ، وتصحيحه من ل .

(٢) الزيادة من ل ، س .

(٣) كذا فى ط ، س ، وثمار القلوب ٤٣٦ . وفى ل : « والنغمة » ، وهذه محرفة لاريب . وأميل إلى أن تكون هذه الكلمة « فعمة » من فعم المسك البيت : طيبه .

(٤) ط ، س : « وقيل » ، ووجهه من ل .

(٥) ط : « الهوى والبرية » ، وصوابه فى س ، ل .

(٦) ل : « وذلك » .

(٧) الصياح ، بوزن كتان : عطر . ط ، س : « فللصباح » تحريف ماأثبت . وفى ل : « والصياح » .

والنَّضوح[١] ، من الرائحة الطيبة - إذا كان فيها - أضعافُ ما يوجد له في غيرِها من البُلدان ، وإن كان الصَّيّاح[٢] أجوَد ، والعطر أفخرَ ، والبَخور أثمن .

(بعضُ البلدان الرديئة)

٤٥ ورُبّت بلدةٍ يستحيل[٣] فيها العطرُ وتذهب رائحتُه ، كقَصَبة الأهواز . وقد كان الرشيدُ همَّ بالإقامة بأنطاكيَة ، وكره أهلُها ذلك ، فقال شيخٌ منهم ، وصَدَقَهُ : يا أمير المؤمنين ، ليست من بلادك ، ولا بلادِ مثلك ، لأنّ الطِّيب الفاخرَ يتغيَّر فيها حتَّى لايُنْتفعَ منه بكثير[٤] شيء ، والسِّلاحَ يصدأ فيها ولو كان من قلْعةِ الهند[٥] ، ومن طبع[٦] اليمن ، ومطرها رُبَّما أقام

---

(١) النضوح ، كصبور : طيب . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط : « والتضوع » ، وفي س : « والتضوح » ، وفي ل : « والفضرج » ، والصواب ماأثبت موافقا لما في ثمار القلوب .

(٢) ط ، س « الصباح » ، تحريف ماأثبت من ل . وانظر التنبيه الذي قبل السابق .

(٣) يستحيل هنا بمعنى يتغير .

(٤) ل : « بكبير » . وهذا الخبر تجد نحوه في معجم البلدان برسم (أنطاكية) .

(٥) قلعة عظيمة ببلدة تسمى « كله » وهي أول بلاد الهند من جهة الصين ، وفي هذه القلعة تضرب السيوف القلعية . انظر معجم البلدان برسم (القلعة) . وفي ط : « فلق » وفي س : « فلق » ، وتصحيحه من ل .

(٦) ط ، س : « قلع » . والذي باليمن هو « القلعة » كما في المعجم والقاموس . وأثبت ما في ل .

شهرين ، ليس فيه سكون[١] . فلم يُقِم بها[٢] . ثمّ ذكر المدينة فقال : وإنّ الجُويرِيةَ السّوداء ، لَتَجعل فى رأسها شيئاً من بَلح ، وشيئاً من نَضُوحٍ ، مما لاقيمةَ له ؛ لهوانه على أهله ، فتجد لذلك[٣] خُمَرةً طيِّبة[٤] وطيبَ رائحةٍ لايعدِلُها[٥] بيتُ عَرُوسٍ من ذوى الأقدار . حتّى إنّ النّوى المنْقَع ، الذى يكونُ عندَ أهل العراق فى غايةِ النَّتن ، إذا طال إنقاعه ، يكونُ عندَهم فى غاية الطِّيب . والله سبحانه وتعالى أعلم .

باب

ذكر الحمام[٦]

(أجناسه)

قال صاحب الحمام : الحمام وحشىٌّ ، وأهلىّ ، وبيوتىّ ، وطورانى[٧] . وكلُّ طائرٍ يعرف بالزِّواج ، وبحسن الصَّوت ، والهديل ، والدُّعاء ، والتّرجيع فهو حمام ، وإن خالفَ بعضُه بعضاً فى بعض الصَّوتِ واللَّون ،وفى بعض القدِّ

---

(١) ل : « دام شهرين ليس فيها سكون » .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فلم يقربها » وتصح إن جعلت من القرار .

(٣) ط ، س : « ذلك » ،وصوابه فى ل وثمار القلوب .

(٤) الخمرة ، مثلثة : الرائحة الطيبة .

(٥) كذا فى ل وثمار القلوب . وفى ط ، س : « لايعدله » .يعدلها : يساويها .

(٦) كلمة « باب » ليست فى ل . وفيها : « القول فى الحمام » .

(٧) الطوراني : منسوب إلى طور سيناء ، أو إلى جبل يقال له طرآن ، نسبة شاذة .

[ولحن] الهديل[1] . وكذلك تختلف أجناس الدَّجاج[2] على مثل ذلك[3] ولا يخرجها [ذلك] من أن تكون دَجَاجا : كالدِّيك الهندى والخِلاسىّ[4] والنَّبطِىّ ، وكالدّجاج[5] السِّندىّ والزنجىّ وغير ذلك . وكذلك الإبل : كالعِرابِ[6] والبُختِ ، والفوالج ، والبَهْوَنيّات[7] والصَّرْصَرَانيّات[8] ، والحُوش ، والنُّجب[9] ، وغير ذلك من فحول الإبل ؛ ولا يخرجها ذلك من أنْ تكون إبلا .

وما ذاك إلّا كمخالفة الجُرذانِ والفأر ، والنَّمْلِ والذّر ، وكاختلاف[10] الضّأْنِ والمعْزِ ، وأجناسِ البقر الأهليَّة والبقَر[11] الوحشيَّة ، وكقرابَةِ ما بينهما[12] وبين الجواميس .

---

(١) كذا فى ل. وفى ط ، س : « وفى بعض النوح والهديل » . وفيهما أيضاً بعد هذا : « والدعاء والترجيع فهو حام » ، والوجه حذف هذا الكلام الأخير كما فى ل ؛ لأنه تكرار .

(٢) ط ، س : « وقد يختلف الدجاج » .

(٣) « على مثل ذلك » ساقطة من ل .

(٤) الخلاسى ، بالكسر : الديك بين دجاجتين هندية وفارسية .

(٥) بدلها فى ط ، س : « ومثل » .

(٦) ط ، س : « العراب » .

(٧) البهونيات من الإبل : مابين الكرمانية والعربية. وانظر ١ : ١٣٨ .

(٨) الصرصرانيات : مابين البخاق والعراب . ط : « الصراصرنيات » : تحريف .

(٩) هذه الكلمة ساقطة من ل . والحوش والحوشية : الإبل المتوحشة .

(١٠) ط ، س : « ومثل اختلاف فى » ، تحريف .

(١١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(١٢) ل : « بينها » .

وقد تختلف الحيّاتُ والعقاربُ بضروبِ الاختلاف ، ولا يخرجها ذلك من أن تكونَ عقاربَ وحيّاتٍ . وكذلك الكلابُ ، والغِرْبان .

وحسْبُك بتفاوتِ ما بينَ النّاس : كالزّنج والصقالبة ، فى الشُّعُورِ والألوان ؛ وكيأجوج ومأجوج ، وعاد وثمود ، ومثلُ الكَنْعَانيّين[١] والعمالقة.

فقد تخالف الماعزة الضائنة[٢] حتّى لايقع بينهما تسافُدٌ ولا تلاقح . وهى فى ذلك غنمٌ وشاء .

قال : والقُمرىُّ حمام ، والفاخِتةُ حمام ، والوَرَشان حمام . والشِّفْنِين[٣] حمام ، وكذلك اليمام واليعقوب . وضروبٌ أخرى كلها حمام . ومفاخرها التى فيها ترجع إلى الحمام التى لاتَعرف[٤] إلّا بهذا الاسم . ٤٦

قال : وقد زعم أفْليمون[٥] (صاحب الفِراسة) أنَّ الحمام يتّخَذُ لضرُوب : منها مايُتّخذ للأُنس والنساء والبُيُوتِ ، ومنها مايُتّخَذُ للزِّجال[٦] والسباق .

---

(١) ط : « الكنعانين » ، محرفة .

(٢) ط ، س : « الضانية » وهو تحريف ماأثبت من ل .

(٣) الشفنين ، بالكسر : ضرب من الحمام حسن الصوت . ط ، ل : « السفنين » تصحيف ما أثبت من س . وافقا لما فى الدميرى .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « الذى لايعرف » ، وهما وجهان .

(٥) أفليمون : فاضل كبير فى فن من فنون الطبيعة ، وكان معاصرا لبقراط ، وأظنه شامى الدار ، كان خبيراً بالفراسة ، عالما بها ؛ إذا رأى الشخص وتركيبه ؛ استدل بتركيبه على أخلاقه ، وله فى ذلك تصنيف مشهور خرج من اليونانية إلى العربية . القفطى . قلت : وقد طبع كتابه فى حلب سنة ١٣٤٧ وهو يقع فى خمس وأربعين صفحة. وفى ط ، س : « أقليمون » .

(٦) فى الأصل : « الرجال » بالراء ، تحريف ما أثبت من نهاية الأرب ١٠ : ٢٥٧ . وانظر هذا الجزء ص ٢٢٣ .

[والزَّجال : إرسال الحمام الهوادِى[1]] .

(من مناقب الحمام)

ومن مَناقب الحمام حبُّه للناس ، وأنس الناس به ، وأنك لم تَرَ حيواناً قطُّ أعدلَ موضِعاً ، ولا أقْصَدَ[2] مرتبةً من الحمام . وأسفل[3] النّاس لايكون دُون أنْ يتَّخذها ، وأرفع الناس لايكون فوقَ أن يتَّخذها . وهي شيءٌ يتَّخذه[4] مابين الحجَّام إلى الملك[5] الهمام .

والحمامُ مع عمومِ شهوةِ النّاس له ، ليس شيءٌ مما يتّخِذونه هُمْ أشدُّ شغفاً به[6] ولا أشدُّ صَبابَةً[7] منهم بالحمام ، ثمَّ تجد ذلك فى الخِصيان كما تجدُه فى الفحول ، وتجده [فى الصِّبيان كما تجدُه فى الرِّجال ، وتجدُهُ] فى الفِتْيان[8] كما تجدُه فى الشيوخ ، وتجدُه فى النساء كما تجدُه فى الرِّجال .

والحمامُ من الطَّير الميامين . وليس من الحيوان الذى تظهر له عورة وحجم قضيبٍ[9] كالكلب والحمارِ وأشباهِ ذلك ، فيكونَ ذلك مما يكونَ يجبَ على الرِّجال ألّا يُدْخِلوه دورَهم .

---

(١) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ٢٥٨) .

(٢) أقصد : من القصد ، ضد الإفراط . وفى س : « أقصر »، محرفة .

(٣) ل : « لأن أسفل الناس » .

(٤) ط ، س : « يتخذها » ، وأثبت مافى ل . ط : « وهى شئ » ، ل : « وهو شىء » ، وأثبت مافى س .

(٥) ط ، س : « الرجل » .

(٦) ط ، س : « أشد شفقاً » . والشفق : الشفقة . وأثبت مافى ل .

(٧) ط فقط : « ضيانة »، وهى تحريف ، لوجود الباء فى كلمة : « بالحمام » .

(٨) ل: « الشبان » .

(٩) ل : « وحجم وقضيب »، بإقحام الواو .

(كلمة لمثنى فى الحمام)

قال مثنَّى بنَ زهير : ومن العجب أنَّ الحمامَ مُلَقًّى، والسَّكْرَانَ مُوقًّى، فأنشده ابن يَسير[١] بيت الُخرَيمى[٢] :

وأعْدَدتُهُ ذُخْـرًا لـكلِّ مُلِمَّةٍ   وسَهمُ المنَايا بالذَّخائرِ مُولَعُ[٣]

(شرب الحمام)

ومتى رأى إنسانٌ عطشان الدِّيك والدَّجاجة يشربان المـاء ، ورأى ذئباً وكلباً يلطعَان المـاء لطْعًا، ذهَبَ عطشُه من قُبْح حسْو الديك نغْبةً نغْبة[٤] ، ومن لطْع الـكلْب. وإنّه لَيَرى الحمام [وهو] يَشرب الماء! وهو[٥] ريّان ، فيشتهِى أن يَـكرَعَ فى ذلك[٦] الماء معه .

---

(١) هو محمد بن يسير، تقدمت ترجمته فى (١ : ٥٩) . وفى الأصل : « ابن بشير » وهذا تحريف .

(٢) فى ط : « الحزيمى » وفى س : « الخزيمى » ، وصوابه ما أثبت من ل . وهو أبو يعقوب إسحاق بن حسان . تقدمت ترجمته فى (١ : ٢٢٤) .

(٣) انظر الحيوان (٦ : ٤٢٣) .

(٤) النغبة ، بالفتح : الجرعة ، ويضم . أو الفتح للمرة والضم للاسم . وفى س : « نقبة نقبة » ، وهو تحريف .

(٥) أى الإنسان .

(٦) هذه الـكلمة سـاقطة من ل . وفى ط ، س : « يشتهى أن يكون » ، وله وجه .

(صدق رغبة الحمام فى النّسل)

والدِّيك والكلبُ فى طلب[١] السِّفاد [وفى طلب الذَّرْء] كما قال أبو الأخْزر[٢] الحِمَّانىُّ :

* لَامُبْتَغِى الضَّنْء ولَا بِالْعَازِلِ[٣] *

والحمام أكثر معانيه الذّرْءُ وطلبُ الولد . فإذا علم الذَّكَرُ أنّه قد أودَع [رحمَ] الأنثَى مايكون منه الولدُ تقدَّمَا فى إعدادِ العشِّ ، ونقلِ القَصَب[٤] وشِقَقِ[٥] الُخوص ، وأشباهِ ذلك من العِيدان الخوَّارة الدِّقاق[٦] حتّى يعملا أُفحوصة وينسجاها[٧] نسجًا مَداخلًا ، وفى الموضع الذى قد [رضِيياه و]اتّخذاه

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « الأحزر » وصوابه فى ل . قال فيه صاحب المؤتلف ٥٢ : « أحد بنى عبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . وعبد العزى هو حمان . راجز محسن مشهور » .

(٣) الضنء ، بالفتح ويكسر : الولد . وفى ط ، س : « الضر » ، وصوابه فى ل والجزء الأول ص ١٩٥ والعازل فسره الجاحظ فى الجزء الأول ١١٠ . وفى ط ، س : « بالعاذل »، وهو تحريف ما أثبت من الجزء الأول ص ١٩٥ . وفى ل : « العازل » .

(٤) ل : « تقدما فى نقل القصب » .

(٥) الشقق : جمع شقة بالكسر ، وهى القطعة المشقوقة ، ونصف الشىء إذا شق . وفى ط ، س : « تشقيق » ، وأثبت مافى ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٧١) .

(٦) الخوارة : الضعيفة . وفى ط ، س : « الخور » ، تحريف صوابه فى ل ونهاية الأرب . وفى ط ، س : « الرقاق » بالراء .

(٧) كذا على الصواب فى ل ونهاية الأرب . وفى ط ، س : « حتى يعملا الخوص وأشباه ذلك وينسجاه » .

واصطنَعاه ، بقدر جُثمان الحمامة ، ثمّ أشْخَصا لتِلك الأفحوصة حُروفاً غيرَ مرتفِعة ؛ لتحفظَ البَيض وتمنَعَه من التَّدحرج ، [ولتلزمَ كنَفَى(١) الجؤجؤ] ولتكون(٢) رِفداً لصاحبِ الحضْن ، وسنَدًا للبيض . ثمَّ يتعاوران ذلك المكان ويتعاقَبان ذلك القَرمُوص(٣) وتلك الأفحوصة ، يسخِّنانها ويدَفِّيانها(٤) ويطيِّبانها ، وينفِيان عنها طِباعها الأوَّل(٥) ، ويُحدثان لها طبيعةً أخرى مشتقَّةً من طبائعهما ، ومستخرجةً من رائحةِ أبدانهما وقُواهما الفاصِلة(٦) [منهما ؛ لكى تقعَ البيضةُ إذا وقعتْ ، فى موضعٍ أشبَهِ المواضع طباعاً بأرحام الحمام](٧) ، مع الحضانة والوَثارَة(٨) ؛ لكى(٩) لاتنكسر البيضة ٤٧ بيُبس الموضع ، ولئلا ينكر طِباعُها(١٠) طباعَ المكان ، وليكونَ على مقدارٍ من البَرْدو السَّخانَة(١١) والرَّخاوة والصَّلابَةِ . ثمّ إنْ ضَرَبها المخاضُ وطرَّقت(١٢)

---

(١) فى أصلها أى ل وكذا فى نهاية الأرب : « كنفى » ، والوجه ما أثبت . والكنف : الجانب . والجؤجؤ من الطائر : صدره .

(٢) ط ، س : « ليكون » ، وفى ل : « وتكون » ، وأثبت مافى نهاية الأرب .

(٣) القرموص ، بالضم : العش يبيض فيه الحمام . وفى ط : « الغرموص » ، وصوابه فى س ، ل .

(٤) ط فقط : « ويرفيانها » ، والوجه ما أثبت .

(٥) الطباع ، بالكسر : الطبع .

(٦) الفاصلة : المنفصلة . وفى ط ، س : « الفاضلة » ، وما كتبت من ل أشبه .

(٧) هذه الزيادة من ل ونهاية الأرب . وبدلها فى ط ، س : « من أرحامهما » .

(٨) الوثارة : أن يكون الشىء موطأ ممهدا . وفى ط : « والاثارة » ، وصوابه فى ل ، س .

(٩) ط : « لكن » وصوابه فى ل ، س ونهاية الأرب .

(١٠) الطباع ، بالكسر : سبق تفسيره . ط « طبائعها » وفى س : « طبايعهما » ، والوجه ما أثبت من ل .

(١١) فى ل ونهاية الأرب : « والسخونة » وهما بمعنى .

(١٢) طرقت تطريقا : حان خروج بيضها ، وأصل التطريق للقطا .

ببيضتها ، بَدَرَت(١) إلى الموضع الذى قد أعَدته ، وتحامَلتْ إلى المكان الذى اتَّخذتْه وصنعته ، إلّا أن يُقرِّعها(٢) رعدٌ قاصف ، أو ريحٌ عاصفٌ فإنّها ربّما رمَتْ بها دون كِنِّها وظل عُشها ، وبغير موضِعها(٣) الذى اختارته . والرَّعدُ ربما مَرِق(٤) عنده البيض وفسد ، كالمرأة التى تُسقِط من الفزَع ، ويموتُ جنينُها من الرَّوع(٥) .

(عناية ذَكر الحمام وأنثاه بالبيض)

وإذا وضَعت البيضَ فى ذلك المكان فلا يزالان يتعاقبان الحضْنَ ويتعاوران ، حتّى إذا بلغ ذلك البيضُ مَداه وانتهَتْ أيّامه ، وتمَّ ميقاته الذى وظَّفه خالقُه ، ودبَّره صاحبه(٦) ، انصدع القَيْضُ(٧) عن الفرخ ، فخرجَ

---

(١) ل : « بادرت » ، وهما بمعنى . وقبل هذه الكلمة فى ط ، س : « ففصلت أرحامها » ، وهى عبارة مشوهة وليست فى ل ولا فى نهاية الأرب .

(٢) كذا فى ل ، س ونهاية الأرب . والتقريع : الإقلاق وهو الإزعاج . ويجوز أن تكون هذه الكلمة من القرع بمعنى الضرب . وفى ط فقط : « يفزعها » .

(٣) ل : « دون موضعها » ، بإسقاط مابين الكلمتين من كلام .

(٤) مرقت البيضة ، بالكسر : فسدت فصارت ماء .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٦) الكلام من مبدإ : « وتم » ساقط من ل .

(٧) القيض ، بالفتح : القشرة العليا اليابسة على البيضة ، أو هو البيضة التى خرج ما فيها من فرخ ، أو ماء . وفى ط ، س ، ونهاية الأرب : « البيض » ، والمعنى يصح بكل منهما .

عارىَ الجِلْد ، صغيرَ الجناح ، قليلَ الحِيلة ، منسَدَّ الحلقوم ، فيعينانِه على خلاصِه من قيضه(١) وترويحه من ضيق هَوَّته(٢) .

(عنايتهما بالفراخ)

وهما يَعلمان أن الفرخَين لاتتَّسع حلوقهما وحواصِلهُما(٣) للغذاء ، فلا يكونَ لهما(٤) عند ذلك همٌّ إلّا أنْ ينفخا فى حلوقهما(٥) الريح ، لتتّسع الحوصلةُ بعد التحامها ، وتَنْفَتقَ بعدَ ارتتاقِها . ثم يعلمان(٦) أنّ الفرخ وإن اتّسعت حَوصلتُه شيئاً ، أنّه لايحتمل فى أول اغتذائه أن يزقَّ بالطُّعم(٧) ، فيُزَقّ عند ذلك باللُّعاب المختلِط بقواهما وقُوى الطعْم — وهُمْ يسمُّونَ ذلك اللُّعابَ اللِّباء(٨) — ثم يعلمان أنّ طبع حوصلتِه يرق(٩) عن استمراء الغذاء

---

(١) فى الأصل : « بيضه » ، والصواب ما أثبت .

(٢) الهوة بالفتح : أصل معناها الكوة ، وهى الخرق فى الحائط ، والثقب فى البيت ، والمراد بها هنا موضع خروج الفرخ من القيض . والكلام من مبدإ : « فخرج » ساقط من ل . وهذه الكلمة هى فى ط : « هوانه » وفى س : « هواته » والوجه ما أثبت .

(٣) عبر عن المثنى بالجمع ، كما فى الكتاب العزيز : « فقد صغت قلوبكما » أى صغا قلباكما .

(٤) ط فقط : « يكون » ، وهو تحريف مطبعى .

(٥) ل : « حلقه » ، والوجه ماأثبت من ط ، س .

(٦) ط ، س : « ويعلمان » ، وأثبت مافى ل ونهاية الأرب .

(٧) كذا فى ل . وفى ط ، س : « إنه أن امتنعت الحوصلة شيئاً لا يحتمله فى أول غذائه أن يزق بالطعم » ، هو تحريف كما ترى .

(٨) كذا . والمعروف : « اللبأ » .

(٩) ط ، س : « طبع حواصلهما يضعف » ، وصوابه من س .

وهضم الطُّعمِ[١] ، وأنَّ الحوصلةَ تحتاجُ إلى دَبْغٍ وتقوية ، وتحتاج إلى أن يكون لها بعضُ المتانَة والصلابة ، فيأكلان من شَورَج[٢] أصول الحِيطان ، وهو[٣] شيءٌ بينَ المِلح الخالص[٤] وبين التُّراب الملح[٥] ، فيزقَّانه به[٦] حتَّى إذا علما أنَّه قد اندبَغ واشتدَّ زقَّاه بالحبِّ الذى [قد غبَّ][٧] فى حواصلهما ثم زقَّاه بعد ذلك بالحبِّ الذى[٨] هو أقوى وأطرى . فلا يزالان يزُقَّانه بالحبِّ والماء على مقدارِ قُوَّتِه ومبلغ طاقته ، وهو يطلب ذلك منهما ، ويبِضُّ نحوهما[٩] حتى إذا علما أنَّه قد أطاق اللقْطَ منَعاه بعضَ المنْع ، ليحتاج إلى اللقْطِ فيتعوَّده ، حتى إذا علما أنَّ أدَاتَه[١٠] قد تمَّتْ ، وأن أسبابَه قد اجتَمَعَتْ وأنَّهما إن فَطماهُ فطْماً مقطوعا مجذوذاً[١١] قوِيَ على اللَّقط ، وبلغ لنفسِه مُنتَهَى حاجتِه — ضرباه إذا سألهما الكفاية ، ونَفَياه متى رجع إليهما[١٢]

---

(١) كلمة : « وهضم الطعم » ساقطة من ل .

(٢) الشـورج : نوع من الملح ، قال صاحب منهاج الدكان ص ٢١٦ : هو ملح الدباغة . وهـذه الكلمة مضطربة فى الأصـل : فهى فى ط : « صروح » وفى س : « سروح » ، ل وعيون الأخبار ٢ : ٩١ : « سورج » ، نهاية الأرب : « شروج » وصواب ذلك كله ما أثبت من منهاج الدكان .

(٣) ط ، س : «وهى» ، والوجه ما أثبت من ل ونهاية الأرب .

(٤) ط ، س : « والحمض » ، وصواب هذه « المحض » ، وأثبت ما فى ل .

(٥) ط ، س : ونهاية الأرب : « الخالص » واخترت ما فى ل .

(٦) كذا فى ل : ونهاية الأرب . وفى ط ، س : « فيزقان الفرخ » .

(٧) غب : أصل معناها بات . والمراد مكث طويلا حتى لان .

(٨) فى الأصل ، أى ل : « الحب » ، والوجه ما أثبت من نهاية الأرب .

(٩) البض ، أصله فى الإنسان أن يسأل عن الحاجة فيتمطق بشفتيه .

(١٠) ط : « أذاته » ، وصوابها فى ل ، س .

(١١) أى منقطعا لاعودة بعده إلى الزق . وفى ل : « منبتا » ، وهما بمعنى .

(١٢) بعد هذه الكلمة فى ط ، س كلمة : « للعادة » وليست فى ل ، ولا فى نهاية الأرب .

ثمّ تَنْزَع [عنهما] تلك الرحمةَ العجيبة منهما له ، وينسَيان ذلك العطف المتمكِّنَ عليه[١] ، ويُذْهَلان عن تلك الأثَرة [له] ، والكدَّ المضنى[٢] من الغُدُوِّ عليه ، والرَّواح إليه[٣] . ثم يبتديان العمل ابتداءً ثانياً ، على ذلك النظام وعلى تلك المقدّمات[٤] .

٤٨ فسبحان من عرّفهما وألهمهما ، وهداهما[٥] ، وجعلهما دَلالةً لمن استدلّ ، ومُخبِراً صادقاً لمن استخبر ، ذلكم الله رب العالمين .

(حالات الطُّعم الذى يصير فى أجواف الحيوان)

وما أعجَبَ حالاتِ الطُّعْمِ الذى يصير فى أجواف الحيوان ، وكيف تتصرّف به الحالاتُ ، وتختلف فى أجناسه الوجوه[٦] : فمنها[٧] ما يكون مثل زق الحمام لفَرخه ، والزقُّ فى معنى القَىء أو فى معنى التقيؤ وليس بهما[٨] وجِرَّة البعير والشاةِ والبقرة فى معنى ذلك ، وليس به . والبعير يريد أن

---

(١) ليست فى ل .

(٢) ل : « والكد عليه » .

(٣) « من الغدو . . . » الخ ليس فى ل .

(٤) ط ، س : « على هذا النظام وعلى هذه المقامات » وأثبت ما فى ل : بعد تصحيح كلمة « المقامات » من نهاية الأرب .

(٥) فى الأصل : « وهنأهما » ، وما كتبت أليق بالكلام .

(٦) ط ، س : « وتختلف فى أجناسها الوجوه » ، ل : « فى أجناسه فى الوجوه » وصححت الكلام جامعاً بينهما .

(٧) أى من الحالات . وفى ل : « فنه » .

(٨) ط ، س : « التىء وليس هما » ، وأثبت الصواب من ل .

يعود فى خَضمه(١) الأوَّل واستقصاء طعمه . وربَّما كانت الجِرَّةُ رجيعا . والرَّجيع : أن يعود على ماقد أعاد عليه مرَّةً حتَّى ينزِعه من جَوفه ، ويقلبه عن جهته .

(زَقّ الحمام)

والحمام يُخرجه من حَوصلته ومن مُسْتَكَنِّه وقَراره(٢) ، وموضع حاجته واستمرائِه ، بالأَثَرةِ والبِرِّ ، إلى حوصلةِ ولده . [قد] ملك ذلك وطابتْ به نفسُه ولم تَغْثَتْ عليه نفسه(٣) ولم يتَقَذَّر(٤) من صنيعه ، ولم تَخْبُثْ نفسُه(٥) ، ولم تتغيَّر شهوته . ولعلَّ لذَّته(٦) فى إخراجه أن تكونَ كلذَّتِه(٧) فى إدخاله ، وإنما اللذة فى مثل هـذا بالمجارِى(٨) ، كنحو ما يعترى مَجرَى النُّطفةِ من استلذاذ مرُور النُّطفة ، فهذا شأنُ قَلْب الحمام مافى جوفه ، وإخراجه بعد إدخاله . والتمساح يخرجه(٩) على أنه رجعُه ونَجْوه(١٠) الذى لامخرجَ له ولا فَرَج [له] فى سواه .

---

(١) كذا فى ط ، س . وفى ل : « طحنه » .
(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « مسكنه وقرابه » ، وما فى ل أشبه بلغة الجاحظ .
(٣) يقال غثت نفسه : لقست ، أى غثيت غثيانا . وفى ط ، س : « تتعاث » ، ولم أجد لها وجها . وهذه الجملة ساقطة من ل .
(٤) س : « يتقزز » ، ومؤداهما واحد .
(٥) انظر ماجاء خاصاً بهذا التعبير فى ١ : ٣٣٥ س ١٠ .
(٦) ط ، س : « لذاته » .
(٧) ط ، س ، « كلذاته » .
(٨) ط ، س : « كالمجارى » ، تحريف ماأثبت من ل .
(٩) ط ، س : « والتماس إخراجه » ، وصوابه فى ل . وانظر ماسيأتى .
(١٠) ط ، س : « ونحوه » ، وهو تصحيف مافى ل .

(تصرف طبيعة الإنسان والحيوان فى الطعام)

وقد يعترى ذلك الإنسانَ لِمَا يعرِض من الدَّاء ، فلا يعرف[١] إلاَّ الأكلَ والقَىء ، ولا يعرف النَّجْوَ إلاَّ فى الحِين على بعضِ الشِّدَّةِ . وليس ما عَرَض بسبب آفةٍ كالذى يخرج على أصل تركيب الطبيعة .

والسِّنَّور والكلبُ على خلاف ذلك كلِّه ، لأنَّهما يُخرجانه بعارضٍ يعرِضُ لهما مِن خُبْث النَّفس ، ومن الفساد[٢] ، ومن التَّثوير والانقباض[٣] ثمَّ يعودان بعد[٤] ذلك فيه من ساعتهما ، مشتهِيَين له ، حريصين عليه .

والإنسان إذا ذَرَعه ذلك لم يكن شىءٌ أبغضَ إليه منه ، وربَّما استقاء وتكلَّف ذلك لبَعضِ الأمر . وليس التكلف فى هذا الباب إلاَّ له .

وذوات الكروش كلها تَقْعَصُ[٥] بجرَّتها ، فإذا أجادتْ مضْغه أعادته ، والجِرَّة هى[٦] الفرْث ، وأشدُّ من ذلك أنْ تكون[٧] رجيعاً ، فهى تجيدُ مَضغَها وإعادتَها إلى مكانها ، إلاَّ أنَّ ذلك مما لا يجوزُ أفواهها[٨] . وليس عند الحافِر من ذلك قليلٌ ولا كثير ، بوجهٍ من الوجوه .

---

(١) ل : «يعرض» .

(٢) المراد بخبث النفس مايعرض لها من التقزز والغثيان . وفى س : « من حيث النفس والفساد »، وهو تحريف .

(٣) ل : « الانتقاس »، والوجه ماأثبت من ط ، س .

(٤) ل : « مع » .

(٥) أصل معنى القعص الطعن الوحى ، أى السريع .

(٦) ط ، س : « وهو »، تحريف .

(٧) ط ، س : « يكون » .

(٨) س : « إلا أن ذلك ما كان لايجوز أفواهها » .

[وقد يعترى سباعَ الطيرِ شبيهٌ بالقَىء ، وهو الذى يسمُّونه « الزُّمّج »[١] .
وبعضُ السَّمكِ يقىء قيئاً ذريعاً ، كالبال ، فإنّه ربّما دسَعَ الدَّسعة[٢] ، فتلقى[٣] بعض المراكب ، فيلقَون من ذلك شِدّة . والناقة الضجور ربّما دسعَتْ بجِرَّتها فى وجه الذى يرحُلها[٤] أو يعالجها ، فيلقى من ذلك أشدَّ الأذى . ومعلومٌ أنَّها تفعَلُ ذلك على عمد .

فلذوات الأقدام فى ذلك مذهب ، ولذوات الكُروش من الظِّلف والخفِّ فى ذلك مذهب ، ولذوات الأنياب فى ذلك مذهب ، وللسَّمك والتّمساح الذى يشبه السَّمَكَ فى ذلك مذهب .

ويزعمون أن جوف التّمساح إن[٥] هو إلاّ معاليق[٦] فيه ، وأنه فى صورة الجراب ، مفتوح الفم ، مسدود الدُّبر ، ولم أُحقّ ذلك ، وما أكثر من لايعرفُ الحال فيه .

(الرُّجوع إلى طلب النسل عند الحمام)

ثم رجع بنا القولُ فى الحمام بعد أن استغنى ولده عنه ، وبعد أن نُزِعت الرحمة منه ، وذلك أنّه يبتدئُ الذَّكرُ الدُّعاء والطرد ، وتبتدئ الأنثى بالتأنّى

---

(١) الزمج : أحد نوعى العقاب ، والغالب فى لونه أن يكون أحمر ، وهو من خفاف الجوارح ، ومن الطيور التى يصيد بها الملوك. الدميرى .
(٢) دسع : قاء .
(٣) يصح أن تقرأ بفتح التاء أو ضمها .
(٤) يرحلها ، بضم الحاء : يحط عليها الرحل .
(٥) ليست بالأصل ، والأصل هنا ل . وزدتها للحاجة إليها .
(٦) جمع معلاق ، وهو اللسان .

والاستدعاء ، ثمَّ تزيف وتتشكّل[١] ، ثمَّ تمكّن وتمنع ، وتجيبُ وتصدفُ بوجهها ، ثم يتعاشقان ويتطاوعان ، ويحدثُ لهما من التغزُّل والتفتُّل[٢] ، ومن السَّوف[٣] والقبَل ، ومن المصِّ والرَّشف ، ومن التنفُّخِ والتنفُّج ، ومن الخيلاء والكبرياء ، ومن إعطاء التقبيل حقّه ، ومن إدخال الفم فى جوف الفم ، وذلك من التطاعُم ، وهى المطاعَمة . وقال الشاعر :

لم أَعطها بيـدى إذ بتُّ أرشُفُها ... إلاّ تَطاولَ غصنُ الجيد بالجيدِ[٤]

كما تَطاعَمَ فى خضراءَ ناعمـة ... مطوَّقان أصـاخا بعـد تغريد

هذا مع إرسالها جناحيها وكفِّها على الأرض ، ومع تَدَرعها وتبعُّلها[٥] ومع تصاوله وتطاوُله ، ومع تنفُّجه وتنفُّخِه ، مع ما يعتريه مع الحكة والتفلِّى والتنفُّش[٦] حتّى تراهُ وقد رمى فيه بمثله[٧]] .

ثمَّ الذى ترى من كسْحِه بذنبه[٨] ، وارتفاعِه بصدره ، ومن ضرْبه بجناحِه ، ومن فرحه ومَرَحِه بعد قَمْطِه والفراغِ من شهوتِه ، ثمَّ يعتريهِ ذلك فى الوقت الذى يفتر فيه أنكحُ النَّاس .

---

(١) تزيف : تنشر جناحيها وذنبها وتسحبهما على الأرض . والتشكل ، من الشكل بالفتح : وهو الغنج والدلال والغزل .

(٢) التفتل: التلوى .

(٣) السوف : الشم .

(٤) عطا الشئ يعطوه : تناوله بيده .

(٥) فى الأصل ، والأصل هنا ل : « وهو مع . . . » الخ. وكلمة « هو » لا حاجة إليها . والتدرع : أصل معناه لبس الدرع. والتبعل : التزين للبعل.

(٦) التنفش ، بالفاء ، هو أن ينفض الطائر ريشه . وفى الأصل : « والتنقش » .

(٧) كذا . وهنا تنتهى الزيادة التى ابتدأت من مبدإ الصفحة السابقة ، وهى من ل .

(٨) كسحه : كنسه الأرض بذنبه .

(القوة التناسلية لدى الحمام)

وتلك الخَصلةُ يفُوق بها جميع الحيوان ، لأنّ الإنسان الذى هو أكثرُ الخلْق فى قوّة الشهوة ، وفى دوامها فى جميع السَّنة ، وأرغبُ الحيوانِ [فى التصَنُّع و] التغزل ، والتشكُّل والتفتُّل[1] أفترُ مايكونُ إذا فرغ ،وَعندَها يركبُه الفُتور ، ويحبُّ فِراقَ الزَّوج ، إلى أن يعودَ إلى نشاطِه ، وترجِعَ إليه قُوَّتُه . ٤٩

والحمامُ أنشطَ ما يكون وأفرح ، وأقوى ما يكون وأمرح ، مع الزَّهو والشكل[2] ، واللهْو والجَذل ، أبردَ ما يكون الإنسانُ وأفترَه ، وأقْطَعَ ما يكون وأقْصَره[3] .

هذا ، وفى الإنسان ضروبٌ من القُوى : أحدها فَضْل الشّهْوة ، والأخرى دوام الشهْوة فى جميع الدَّهر ، والأخرى قوة التصَنُّع والتكلفِ ، وأنتَ إذا جمعتَ خِصالَه كلها كانت دونَ قوَّةِ الحمام عندَ فَراغِه من حاجته وهذه فضيلةٌ لا يُنْكِرُها أحدٌ ، ومَزِيّة لا يجحَدُها أحد ! !

---

(١) ط ، س : « والتمتع والشكل والتقبيل »، وأثبت مافى ل .

(٢) الشكل ، بالفتح : الغنج والدلال والغزل .

(٣) العبارة فى ل : « والحمام أنشط مايكون وأمرح وأقوى وأجذل أبرد مايكون الإنسان وأفتر » .

(البغال ونشاطها)

ويقال : إنَّ النَّاس لم يَجِدُوا مثلَ نشاط الحمام فى وَقت فَتْرَة الإنسان إلاّ ما وجدوه فى البغال ؛ فإنّ البغال تحمِل أثقالها عَشيَّةً ، فتسيرُ بقيَّة يومها وسوادَ[١] ليلتها ، وصدرَ نهارِ غَدِها[٢] ، حتَّى إذا حطُّوا عن جميعِ ما كان محمّلا من أصنافِ الدوَابِّ أحمالها[٣] ، لم يكنْ لشيءٍ منها هِمّةٌ ، ولا لِمَنْ رَكِبَها من النّاس إلاّ المَرَاغة[٤] والماء والعَلف ، وللإنسان الاستلقاءُ ورفعُ الرِّجْلين والغمْز والتأوُّه[٥] ؛ إلاّ البغال فإنّها فى وقتِ إعياء جميعِ الدواب وشدَّة كلالها ، وشَغْلها بأنفسها ممَّا مرَّ عليها ، ليس عليها عملٌ إلاّ أنْ تدلّىَ أيورَها وتشظَّ[٦] وتضرِبَ بها بطونَها ؛ وتحُطَها وترفعها . وفى ذلك الوقت لو رأى المكارِى امرأةً حسناء لَمَا انتَشَرَ لها ولا هَمَّ بها . ولو كانَ مُنعِظاً ثم اعتراهُ بعْضُ ذلك الإعياء لنَسى الإنعاظ .

وهذه خَصْلَةٌ تخالفُ فيها البغالُ جميعَ الحيوانِ . وتزعم العَمَلة[٧] أنَّها تلتمس بذلك الرَّاحَةَ وتتداوى به . فليس العجبُ — إن كان ذلك حَقًّا — إلاّ فى إمكان ذلك لهـا فى ذلك الوقت ، وذلك لا يكونُ إلاّ عن شهوة وَشبقٍ مُفْرط .

---

(١) ط ، س : « وسائر » .
(٢) ط ، س : « وصدر نهارها من غدها » .
(٣) ل : « حتى إذا حطوا عن جميع أصناف الدواب أثقالها » .
(٤) المراغة : اسم من مرغه فى التراب جعله يتقلب فيه . وانظر كتاب البغال ٣٢٤ .
(٥) الكلام من مبدإ : « وللإنسان » ساقط من ل .
(٦) شظ وأشظ : أنعظ . ط ، س : « تنعظ » .
(٧) العملة ، بالتحريك : العاملون بأيديهم . وفى ل : « العوام » .

(النشاط العجيب لدى الأتراك)

وشِبهٌ آخرُ وشِكلٌ من ذلك، وذلك كالذى يُوجَد عند الأتراك عند بلوغ المنْزِل بعدَ مسير اللَّيلِ كلِّه وبَعْضِ النَّهار ، فإنَّ النَّاسَ فى ذلك الوقْتِ ليس لهم إلاَّ أن يتمددوا ويقيِّدوا[١] دوابّهم . والتركىُّ فى ذلك الوقت إذا عاين ظَبْياً أو بعضَ الصَّيد ، ابْتَدَأَ الرَّكْضَ بمثلِ نشاطه قبلَ أن يسيرَ ذلك السير، وذلك وقْتَ يَهَمُّ فيه الخارجِىَّ والخَصىَّ أنفسُهما[٢] ؛ فإنّهما المذكوران بالصَّبرِ على ظَهْر الدَّابَّة .

(فطام البهائم أولادها)

وليس فى الأرضِ بهيمةٌ تَفطِمُ ولدَها عن اللّبن دَفْعةً واحدةً ، بل تجِدُ الظَّبيةَ أو البقرةَ أو الأتانَ أو الناقة ، إذا ظنّت أنَّ ولدَها قد أطاق الأكل منَعَتْهُ بعضَ المنْع ، ثمَّ لا تزال تُنزِّل[٣] ذلك المنْع وترتِّبه وتدرِّجه، حتَّى إذا علمتْ أنَّ به غنًى عنها إنْ هى فطمته فطاماً لا رَجْعَة فيه ، منَعَتْه كلَّ المنْع .

---

(١) ل : « ويقودوا »، تحريف مافى ط ، س .

(٢) الخوارج مشهورون بالشدة . وقد ضرب الناس بهم المثل ، قال :

إذا ما البخيل والمحاذر للقرى رأى الضيف مثل الأزرقى المجفف

وقال آخر :

وقلب ود حال عن عهده والسيف ينبو بيد الشارى

رسائل الجاحظ ٢٧ ساسى . وانظر لنشاط الترك ص ٣١ منها .

(٣) تنزله : تدرجه . وفى الأصل : « تترك » .

٥٠ والعرب تسمِّى هذا التَّدبيرَ من البهائم التَّعفيرَ[١] ، ولذلك قال لبيد :

لمعفَّرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوَه غُبْسٌ كواسبُ ما يُمَنُّ طَعامُها[٢]

وعلى مثل هذه السِّيرة والعادةِ يكونُ عملُ الحمامِ فى فراخه .

(من عجائب الحمام)

[ومن عجيب أمر الحمام أنّه يقلب بيضه ، حتى يصير الذى كان منه يَلِى الأرضَ يَلِي بدنَ الحمام من بطنه وباطِنِ جَناحِه ، حتّى يُعطىَ جميعَ البيضةِ نصيبها من الحضن ، ومن مَسِّ الأرضِ ، لعلمه أن خلافَ ذلك العملِ يفسُده] .

وخَصْلَةٌ أخرى محمودةٌ فى الحمام ، وذلك أنَّ البغْل المتولِّد بينَ الحمار والرَّمَكة لايبقى له نسل ، والرَّاعِبِى[٣] المتولّد فيما بينَ الحمام والوَرشان ، يكثُر نسله ويطولُ عمرُ ولدِه . والبُخْتُ والفوالج ، إنْ ضرَبَ بعضُها بعضاً خرج الولدُ منقوصَ الخلق لا خير فيه . والحمامُ كيفمَا أدَرْتَه ، وكيفمَا زَاوجْتَ بينَ متّفِقها ومختلفها ، يكونُ الولد[٤] تامَّ الخلق ، مأمولَ الخير .

---

(١) « التعفير » سبق كلام الجاحظ فيه ٢ : ١٩٨ .

(٢) سبق شرح هذا البيت فى ٢ : ١٩٨ . س : « غبش » وهو تصحيف .

(٣) ط ، س : « والزاغبى »، وهو تحريف . واسمه مشتق من الترعيب ، وهو شدة الصوت ، جاء على لفظ النسب وليس به ، وقيل منسوب إلى أرض تسمى راغب . اللسان والقاموس .

(٤) الزيادة من س ، ل .

فمن نتاج الحمام إذا كان مركّبا مشتركا [ماهو][١] كالرّاعِبىّ[٢] والوَردانى . وعلى أنّ للورْدانى غرابةَ لونٍ وظَرَافَةَ[٣] قَدٍّ ، وللرَّاعِبىّ[٤] فضيلةٌ فى عِظَم البدنِ والفِراخِ . وله من[٥] الهديلِ والقَرْقَرَةِ ما ليس لأبويه ، حتّى صار ذلك سبباً للزِّيادةِ فى ثمنه ، وعلّةً للحِرْص على اتّخاذه .

والغنمُ على قسمين : ضأن ومَعز ، والبقرُ على قسمين : أحدهما الجواميس ، إلاّ ما كان من بقرِ الوحْش . [والظِّلْفُ] إذا اختلَفا لم يكنْ بينهما تسافُدٌ ولا تلاقح ، فهذه فضيلةٌ للحمام فى جهة الإنسال[٦] والإلقاح ، واتّساع الأرحام لأصنافِ القبول . وعلى أنّ بين َسائر أجناس[٧] الحمامِ من الوَرَاشِين ، والقمارىّ ، والفواخت ، تسافداً وتلاقُحاً[٨] .

(مما أشبه فيه الحمام الناس)

وممّا أشبَهَ فيه الحمامُ النّاسَ ، أنّ ساعاتِ الحضْن أكثرُها على الأنثى ، وإنّما يحضُن الذّكَر فى صدْر النهار حَضْناً يسيرا ، والأنثى كالمرأة التى تكفُل

(١) زدتها ليلتئم الكلام .
(٢) ط ، س : « كالزاغبى » ، وتصحيحه من ل . وانظر التنبيه الثالث من الصفحة السابقة .
(٣) يقال ظرف ظرفا ، بالفتح وظرافة . والظرافة هنا : حسن الهيئة .
(٤) ط ، س : « الزاغبى » ، وانظر ماسبق .
(٥) ط فقط : « فى » .
(٦) نسل وأنسل : ولد . ط ، س : « الإنسان » ، صوابه فى ل .
(٧) ل : « أصناف » .
(٨) ط ، س : « تسافد وتلاقح » ، والوجه ما أثبت من ل .

الصبيَّ فتَفطِمه وتمرِّضه[1] ، وتتعهَّده بالتمهيدِ والتَّحريك . حتَّى إذا ذهب الحضْنُ وانصرم وقتُه ، وصارَ البيضُ فِراخا كالعِيال فى البيت ، يحتاجون إلى الطّعام والشّراب ، صار أكثرُ ساعات الزّقِّ على الذّكر كما كان أكثرُ ساعاتِ الحضْن على الأنثى .

وممَّا أشبه فيه الحمام النّاس [ما[2]] قال مثنَّى بنُ زُهير (وهو إمام النّاس فى البصرة[3] بالحمام وكان جيِّد الفِراسة ، حاذقا بالعلاج ، عارفاً بتدبير الخارجيِّ إذا ظهَرت فيهِ مَخِيلةُ الخير – و [اسم] الخارجيِّ عندهم : المجهول – وعالماً بتدبير العريق المنسوب إذا ظَهَرَتْ فيه علامَاتُ الفُسولةِ وسوء الهِداية[4] . وقد يمكن أن يَخْلُفَ ابنُ قُرَشيَّين[5] [وَيَنْدُب[6] ابن خُوزِيٍّ[7] من نبطيَّةٍ][8] . وإنما فَضّلنا نِتاجَ العِلْية على نِتاج السِّفلةِ لأنَّ نِتاجَ النَّجابة فيهم أكثرُ ، والسَّقوط فى أولاد السفلة أعمُّ . فليس بواجبٍ أن يكون السفلةُ[9] لا تَلِد[10] إلاّ السفلةَ[9] والعِلْية لا تَلِد[10] إلاّ العِليةَ . وقد يلدِ المجنونُ

٥١ العاقِلَ ، والسخيُّ البخيلَ ، والجميلُ القبيحَ .

---

(١) التمريض : حسن القيام على المريض ، وكأن الفطيم فى سبيل المريض . وفى س : « تمرخه » أى تدلكه بالدهن . وربما كانوا يفعلون ذلك بالفطيم .

(٢) زيادة يقتضيها الكلام . (٣) ط ، س : « فى البصرة » ، وصوابه فى ل .

(٤) ماسيأتى من الكلام استطراد من الجاحظ . وقول مثنى بن زهير سيبدأ فى السطر السادس من الصفحة الآتية .

(٥) ط ، س : « قريشيين » وهما صحيحتان ، يقال قرشى وقريشى . ويخلف ، بضم اللام : يحمق .

(٦) يندب : يكون ندبا ، أى ظريفاً نجيباً . فى ل : « ينتدب » و س : « يندر » ولعل الصواب فيما وجهت به .

(٧) الخوزى : المنسوب إلى خوزستان . وفى س : « حروى » ، وهو تحريف مافى ل .

(٨) الزيادة من س ، ل . (٩) ط ، س : « السفلى » ، بالنسبة إلى « السفلة » .

(١٠) ط ، س : « يلد » .

وقد زعم الأصمعىُّ أنّ رجلاً من العرب قال لصاحب له : إذا تَزَوَّجْتَ امرأةً من العَرَب فَانظُرْ إلى أخوالها ، وأعمامها ، وإخوتها ، فإنها لا تخطئ الشبَهَ بواحدٍ منهم ! وإنْ كان هذا الموصى والحكيم(١) ، جعل ذلك حُكما عامًّا فقد أسرفَ فى القول ، وإن كان ذهبَ إلى التّخويفِ والزَّجْرِ والترهيب ، كى يختارَ لنفْسِه ، [و] لأنّ المتخيِّرَ أكثرُ نجابةً(٢) فقد أحسن) .

وقال مثنَّى بنُ زهير(٣) : لم أر شيئاً قَطُّ فى رجلٍ وامرأةٍ إلاّ وقد رأيتُ مثله فى الذَّكر والأنثى من الحمام : رأيت حمامةً لا تريد إلاّ ذكرَها ، كالمرأة لا تريدُ إلاّ زوجها وسيِّدها ، ورأيتُ حمامةً لا تمنَع شيئاً من الذُّكورة ، ورأيتُ امرأةً لا تمنع يَدَ لامسٍ ، ورأيت الحمامةَ لا تزيف إلا بَعْدَ طَرْدٍ شديد وشدة طلبٍ(٤) ، ورأيتُها تزيفَ لأوَّلِ ذَكر يُريدُها ساعةَ يقصِدُ إليها ، ورأيتُ من النساء كذلك ، ورأيتُ حمامةً لها زوج وهى تمكن ذكراً آخرَ لا تَعْدُوهُ ، ورأيتُ مثلَ ذلك من النساء ، [و] رأيتُها تزيفُ لغير ذكرِها وذكرُها يراها ، ورأيتها لا تفعل ذلك إلاّ وذكرها يطيرُ أو يحضُنُ ، ورأيت الحمامةَ تقمُطُ الحمام الذكور(٥) ، ورأيت الحمامةَ تقمطُ الحمامة ، ورأيت أنثى كانت لى لا تقمط [إلاّ(٦)] الإناث ، ورأيت أخرى تقمط الإناثَ فقط ، ولا تدَعُ أنثى تقمطها .

---

(١) ل : « والمعلم » .

(٢) ط ، س : « نجاة » ، تحريف ما أثبت من ل .

(٣) انظر العقد ٦ : ٢٤٠ تأليف .

(٤) كذا فى ل ، ونهاية الأرب . وفى ط ، س : « وكثرة » .

(٥) ل : « الذكر » .

(٦) الزيادة من س .

[قال] : ورأيت ذَكرًا [يقمُط الذُّكورة وتقمطه ، ورأيت ذَكرًا] يقمُطها و [لا] يدعها تقمطه[١] ، ورأيتُ أنثى تزيفُ للذُّكورةِ ولا تدع شيئاً منها يقمطها .

قال : ورأيتُ هذهِ الأصنافَ كلَّها فى السَّحَّاقات من المذكَّرات والمؤنثات ، وفى الرِّجال الحَلَقيِّين[٢] واللُّوطيِّين[٣] . وفى الرجَال من لايريد النساء ، وفى النساء من لايريد الرجال[٤] .

قال : وامتنعتْ علىَّ خَصلةٌ ، فوالله لقد رأيتُ من النساء من تزْنى أبداً وتساحق أبداً ولا تتزوج أبدا ، [ومن الرجال مَن يلوطُ أبداً ، ويزنى أبداً ولا يتزوَّج[٥]] ، ورأيتُ حماماً ذكراً يقمط مالقِى ولا يزاوج . ورأيتُ حمامَة تمكِّن كلَّ حمامٍ أرادَها مِنْ ذكرٍ وأنثى ، وتقمُطُ الذكورَة والإناثَ ، ولا تزاوِج . ورأيتها تزَاوج ولا تَبيض ، وتَبيضُ فيفسُدُ بيضُها ؛ كالمرأة تتزَوَّج وهى عاقر ، وكالمرأةِ تلد وتكون خرقاء ورْهاء . ويعرض لها الغلظة[٦] والعقوق للأَولاد ، كما يعترى ذلك العُقاب .

وأمَّا أنَا فقد رأيتُ الجفاء للأَولاد شائعاً فى اللَّواتى حَمَلن من الحرام . ولربَّمَا ولدت من زَوجها ، فيكون عطفها وتحنُّنها كتحنن[٧] العفيفاتِ

(١) زيادة : « لا » من س ، ل . وفى ط : « ويدعها حتى تقمطه » ، وهو تحريف .
(٢) الحلقى : الذى فسد عضوه فانعكس ميل شهوته ، وهو من ألفاظ المولدين . شفاء الغليل ٧٠ .
(٣) ط ، س : « اللواطين » .
(٤) ل : « من لايريد إلا » فى الموضعين .
(٥) ط ، س : « من تزنى أبدا ولاتتزوج وتساحق أبدا ولا تتزوج أبدا » . وإصلاح العبارة وإكمالها من ل ، ونهاية الأرب .
(٦) كذا على الصواب فى ل وفى ط ، س : « الغلطة »
(٧) ل : « وتحنيها كتحنى » . والتحنن والتحنى بمعنى ، وهو العطف .

السَّتِيرات ، فما هو[١] إلَّا أن تَزنىَ أو تَقْحُب فكأنَّ اللهَ لم يضْرِب بينها وبين ذلك الولدِ [بـ]شبكة رَحِم ، [و] كأنَّها لم تَلِدْهُ . ٥٢

قال مثنَّى بنُ زهير : ورأيتُ ذكراً له أنثيان وقد باضَتَا منه ، وهو يحضُن مع هذه ومع تلك ، ويزُقُّ مع هذه ومع تلك ، ورأيتُ أنثَى تبيض بيضة ، ورأيت أنثى تبيض فى أكثر حالاتها ثلاثَ بيضات .

وزعم أنّه إنَّما جزَم بذلك فيها ولم يظنه بالذَّكر ، لأنَّها قد كانت قبل ذلك عند ذكَرٍ آخر ، وكانت تبيض كذلك .

ورأيتُ أنَا حمامةً فى المنزِل لم يعرِض لها ذَكَرٌ إلَّا اشتدَّت نحوهُ بحدَّةٍ ونزَقٍ[٢] وتسرُّعٍ ، حتَّى تنقر أينَ صادفتْ منهُ ، حتى يصدَّ عنها[٣] كالهارب منها . وكان زوجها جميلا فى العَين رائعاً ، وكان لها فى المنزل بنون وبنو بنين [وبنات[٤]] وبنات بنات ، وكان فى العَينِ كأنّه أشبُّ من جميعهنَّ[٥] ؛ وقد بَلَغ من حظوتِه أنى قلَّما رأيتُه أرادَ واحدةً من عَرْض تلك الإناثِ[٦] فامتنعتْ عليه ، وقد كُن يمتنعن من غيره . فبينا أنَا ذاتَ يومٍ جالسٌ بحيث أراهنّ إذ رأيتُ تلك الأُنثى قد زافتْ لبعض بنيها ! فقلت لخادمى[٧] :

---

(١) ل : « هى » ، وهما صحيحان فى العربية ، أى فما الشأن أو فما القصة .

(٢) النزق : الطيش والتسرع . فى ط ، ل : « نزق » محرفة . س : « نزف » أى تسرع إسراعا . ولا ينسجم بها الكلام .

(٣) ل : « ينقر » محرف . ط ، س : « صــادفته » وأثبت مافى ل . وفى ل : « حتى يصدن » محرفة .

(٤) الزيادة من ل ، س .

(٥) ط ، س : « جميع بنيه » .

(٦) ط ، س : « تلك الحمام الإناث » .

(٧) ل : « لخادم لى » .

ما الذى غيَّرها عن ذلك الخلق الكريم ؟ فقال : إنى رَحَّلت زوجها من القاطول[1] فذهب ، ولهذا شهر[2] . فقلت : هذا عذر !

قال مثنَّى بنُ زهير : وقد رأيت الحمامة تزاوِج هذا الحمام ، ثم تتحول منه إلى آخر ، وَرأيت ذكراً فَعَلَ[3] مثل ذلك فى الإناث . ورأيت الذَّكَرَ كثيرَ النَّسل قويًّا على القمْط ، ثمَّ يُصفِى كما يُصْفِى الرَّجلُ إذا أكثر من النَّسْل والجماع[4] .

ثمَّ عدّد مُثَنًّى أبوابا غيرَ ماحفِظت ممَّا يُصَابُ مثلُه فى الناس .

(خبرة مثنَّى بن زهير بالحمام)

وزعموا أنّ مثنًّى كان ينظر إلى العاتِق والمخلِف[5] ، فيظن أنّه يجىء من الغاية [فلا يكاد ظنُّه يخطىء] . وكان إذا أظهَرَ ابتيَاع حمَامٍ أغلوْه عليه ،

---

(١) القاطول : نهر كان فى موضع سامرا قبل أن تعمر ، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر . معجم البلدان . وفى ل : « خليت » مكان « رحلت » ، وبكل منهما يصح المعنى .

(٢) ل : « وهذا منذ شهر » .

(٣) كذا فى ل ، س . وفى ط : « يفعل » .

(٤) أصفى الرجل : نفد ماء صلبه . ل : « إذا أكثر من الجماع » .

(٥) العاتق : فوق الناهض ، وذلك فى أول مايتحسر ريشه ونبت له ريش جلذى ، أى شديد ، والجمع عتق . المخصص ٨ : ١٢٨ . وفى ط ، ل : « القائق » وفى س : « العايق » ، وصوابه ما أثبت . وانظر صفحة ٢٢٤ س ٧ . والمخلف : المراد به المسن . وأصله فى الإبل مافوق البازل : الذى فى التاسعة .

وقالوا : لم يطلُبْه إلَّا وقد رأى فيه علامةَ المجيء من الغاية ، وكان يدسٌّ فى ذلك ففطِنوا له وتحفَّظوا منه ، فربَّما اشترى نصفَه وثلثه ، فلا يقصِّر عند الزِّجال[1] من الغاية .

وكان له خَصيٌّ يقال [له[2]] خديج ، يجرى مجراه ، فكانا إذا تناظرا فى شأنِ طائرٍ لم تُخلِف فراستُهما .

(المدة التى يبيض فيها الحمام والدجاج)

قال : والحمام تبيض عشرةَ أشهرٍ من السَّنة ، فإذا صانوه وحفِظوه ، وأقاموا له الكفاية وأحسنُوا تعهُّدَه ، باضَ فى جميع السَّنة .

قالوا : والدَّجاجة تبيض فى كلِّ السَّنة خلا شهرين .

(ضروب من الدجاج)

ومن الدَّجاج ما هو عظيمُ الجثَّة ، يبيض بيضاً كبيراً ، وما أقل ما يحضُن ، ومن الدجاج ما يبيض ستِّين بيضة . وأكثرُ الدجاج العظيم الجثَّة يبيضُ أكثرَ من الصغير الجثَّة[3] .

---

(١) الزجـال : إرسال الحمام كما سبق فى ص ١٤٧ . ط : « الرجل » : ل : « الرجال » ، وصوابه ما سبق ومن صفحة ٢٢٣ .

(٢) ليست بالأصل .

(٣) ط ، س : « يبيض بيضاً كبيراً » .

قال : أما الدَّجاج التى نسبت إلى أبى ريانوس[١] الملك ، فهو طويلُ البدَن ويبيض فى كلِّ يوم ، وهى صعبة الخلق وتقتل فراريجها .

٥٣ ومن الدَّجَاج الذى يربَّى فى المنازل ما يبيض مرَّتين فى اليوم ، ومن الدجَاج ما إذا باض كثيراً مات سريعاً ، لذلك العَرض[٢] .

(عدد مرات البيض عند الطيور)

قال : والخُطَّاف تبيض مَرَّتين[٣] فى السّنة ، وتبنى بيتَها فى أوثق مكانٍ وأعلاه .

فأمَّا الحمام والفَواخت، والأطْرُغُلّات[٤] والحمام البرىّ ، فإنّها تبيض مرَّتين فى السنة . والحمامُ الأهلىُّ يبيض عشرَ مرات . وأما القَبَج والدُّرَّاج فهما يبيضان بين العُشب ، ولا سيما فيما طال شيئاً والتوى .

(خروج البيضة)

وإذا باضَ الطَّيرُ بيضاً لم تخرُج البيضة[٥] من حدِّ التحْدِيد والتَّلطيف ، بل يكون الذى يبدأُ بالخروج الجانب الأعظم ، وكان الظنُّ يسرعُ إلى أنّ الرأسَ المحدَّد هو الذى يخرج أوّلا .

---

(١) كذا فى ط ، س . وفى ل : « ارذيانوس » . وانظر الاستدراكات بآخر هذا الجزء .

(٢) أى مايعرض لها من كثرة البيض . ط : « الفرض » ل ، س : « الغرض » ، وهما تحريف ماأثبت .

(٣) كذا فى ط . وفى ل : « مرة » .

(٤) ل : « والأطرغلة » ، والوجه ماأثبت من ط ، س .

(٥) س : « لم يخرج بيضه » .

[قال] : وما كان من البيض مُستطيلا محدَّد الأطراف فهو للإناث ، وما كان مستديراً عريضَ الأطراف فهو للذُّكور .

قال : والبيضةُ عندَ خروجِها ليِّنَة القِشْر ، غير جاسية[1] ولا يابسة ولا جامدة :

(بيض الريح والتراب)

قال : والبيض[2] الذى يتولد من الريح والتُّراب أصغرُ وألطَف، وهو[3] فى الطِّيب دُونَ الآخر[4] . ويكونُ بيضُ الرِّيح من الدجاج والقبج[5] ، والحمام ، والطاوس ، والإوزّ .

(أثر حضن الطائر)

قال : وحَضْن الطائر وجثومه على البَيض صلَاح لبَدَن الطائر، كما يكون صلاحا لبدَن البيض . و [لا[6]] كذلك الحضْنُ على الفراخ والفراريج[7] فربما[8] هلك الطائرُ عن ذلك السبب .

---

(١) الجاسية : الصلبة . وفى ط : « قاسية »، وهى صحيحة أيضاً .

(٢) فى الأصل : « والبعض » .

(٣) ط ، س : « وهى » ، والوجه ما أثبت من ل ونهاية الأرب ١٠ : ١٨٠ .

(٤) كذا فى ل ، وهو الموافق لما فى نهاية الأرب ، والدميرى حيث يقول : « وأغذى البيض وألطفه ذوات الصفرة ، وأقله غذاء ما كان من دجاج لاديك لها » ، يعنى بذلك البيض الترابى . وانظر عجائب المخلوقات فى الكلام على الدجاج . فى ط ، س: « أطيب من الآخر »، وهو خطأ .

(٥) القبج : بالتحريك : الحجل ، وهو طائر على قدر الحمام أحمر المنقار والرجلين .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) جمع فروج ، وهو فرخ الدجاج خاصة . وفى ط : « الذراريح » ، وفى س : « الدراريج » ، وكلاهما تحريف .

(٨) ط ، س : « والأوز وربما » ، ل : « وإلا فربما » ، وقد جعلت العبارة كما ترى .

(تكوّن بيض الريح)

وزعم ناسٌ أن بيضَ الرِّيح إنما تكوّن[1] منْ سفادٍ متقدِّم . وذلك خطأٌ من وجهين : أمَّا أحدُهُما فأَن ذلك قد عُرف[2] من فَرَاريجَ لم يَرَيْنَ ديكاً قَط . والوجه الآخر : أن بيضَ الريح لم يكن منه فَرُّوج[3] قطّ إلاَّ أن يسفَدَ الدجَاجةَ ديكٌ ، بعد أن يمضىَ[4] أيضاً خَلْقُ البيض .

(معارف شتى فى البيض)

قال : وبيض الصّيفِ المحضون أسرعُ خروجاً منه فى الشتاء ، ولذلك تحضن الدجاجة البيضةَ فى الصّيف خمس عشرة ليلة[5] .

قال : وربَّما عَرَضَ غيمٌ فى الهواء أو رَعْدٌ ، فى وقتِ حضْن الطائر ، فيفسُدُ البيض . وعلى كل حالٍ ففسادُه فى الصيف أكثرُ ، والموتُ فيها فى ذلك الزمان أعمّ . وأكثرُ مايكون فَسادُ البيض فى الجَنائب[6] ، ولذلك كانَ

---

(١) س : « يكون » .

(٢) ط : « عرض » وهى صحيحة ، وأثبت مافى س ، ل ونهاية الأرب ١٠ : ١٨٠ .

(٣) س : « منه » . ل : « فرخ » ، نهاية الأرب : « فروخ » : جمع فرخ كما فى القاموس .

(٤) ل : « يتم » .

(٥) س : « ثمان عشرة ليلة » .

(٦) جمع جنوب بالفتح ، وهى الريح الجنوبية .

ابن الجهم[١] لايطلبُ من نسائِه الوَلد إلاّ والرِّيح شمال . [وهذا عندى تعرُّضٌ للبلاء ، وتحكُّك بالشرّ ، واستدعاء للعقوبة] .

وقال : وبعضهم[٢] يسمِّى بيضَ الرِّيح : البيضَ الجُنُوبىَّ ؛ لأنَّ أصنافَ الطّيرِ تقْبَلُ الرِّيح فى أجوافها .

وربّما أفرخ[٣] بيضُ الرِّيح بسفادٍ كان، [و] لكنَّ لونَه يكونُ متغيِّرا . وإن سفِد الأنثى طائرٌ من غير جنسها[٤] ، غيَّر خلق [ذلك] المخلوقِ الذى كان من الذّكَر المتقدِّم . وهو[٥] فى الديَكةِ أعمّ .

ويقولون : إنّ البَيض يكون من أربعةِ أشياء : فمِنه مَا يكونُ من التُّراب ، و [منه مايكونُ] من السفاد، ومنه ما يكون من النّسيم إذا وصلَ إلى أرحامهن وفى بعض الزَّمَان[٦] ، ومِنْهُ شىءٌ يعترى الحَجَل ومَا شاكله فى الطّبيعة ؛ فإنّ الأنثى ربّما كانَتْ على سُفَالةِ الريح التى تهبُّ من شِقِّ[٧] الذكَر فى بعض الزمَان فتحتشى من ذلك بَيضاً . ولم أرهم يشكُون أن النَّخلة المُطْلِعَة[٨] تكونُ بقربِ الفُحَّال[٩] وتحت ريحه، فتَلقح بتلك الريح وتكتفى بذلك.

٥٤

---

(١) هو محمد بن الجهم البرمكى ، أسلفنا ترجمته فى ٢ : ٢٢٦ .

(٢) ط ، س : « وقال بعضهم » .

(٣) ط : « افترخ » ، وهو تحريف .

(٤) ل : « شكلها » .

(٥) س : « وهى » .

(٦) ل : « ومنه مايكون من نسيم ريح إذا وصل إلى أرحامها فى بعض الزمان » .

(٧) ط ، س : « جهة » وهما بمعنى .

(٨) المطعمة : التى أدركت أن تثمر . يقال : أطعمت الشجرة . وانظر الحيوان ٢ : ٢٣٨ و ٥ : ٢٠٩ والعقد ٦ : ٢٤٠ تأليف .

(٩) الفحال : ذكر النخل .

قال : وبيضُ أبكارِ الطَّير أصغر ، وكذلك أولادُ النساء ، إلى أنْ تتسع الأرحَام وتنتفخ الجنوب[١] .

(هديل الحمام)

ويكون هديلُ الحمام [الفتىّ] ضئيلًا ، فإذا زقَّ مِرَارًا فَتَحَ الزَّقُّ جلْدَة غَبَبه[٢] وحوصلتِه ، فخرَجَ الصَّوتُ أغلَظَ وأجهرَ .

(حياة البكر)

وهم لايثِقون بحياةِ البكر[٣] من النَّاسِ[٤] كما يثِقون بحياةِ الثانى[٥] ويرون أنَّ طبيعَة الشباب والابتداء لايعطيانه[٦] شيئاً إلاَّ أخَذَه تضايقُ مكانِه مِن الرَّحم ، ويحبُّون أن تبكِّر بجارية ! وأظُنُّ أن ذلك إنما هو لشدَّةِ خوفِهم على الذكر . وفى الجملة لايتيمَّنُون بالبكر الذكر[٧] . فإن كان البكرُ ابنَ بكرٍ تشاءَمُوا[٨] به ، فإن كان البكْرُ ابنَ بِكرَينِ فهو فى الشؤمِ

---

(١) كذا فى ل. وفى ط ، س : « إلا أن تتسع الأرحام وتنفتح الجوانب ».

(٢) الغبب : ماتحت الحنك . وفى ط ، س : « عينه »، وهو تحريف عجيب .

(٣) كذا فى ل ، س. وفى ط : « بحيات ولد البكر »، تحريف .

(٤) ماعدا س : « النساء » .

(٥) ط : « بحيات »، س : « أنثى »، تحريفان .

(٦) أى يعطيان البكر . ط ، ل : « يعطيان » .

(٧) يتيمنون : من التيمن : ضد التشاؤم . ط ، س : « لايتمنون البكر »، وهو على الوجه فى ل . وانظر الحيوان ٥ : ٣٣١ .

(٨) فى الأصل : « تشأم »، وإنما تقال هذه لمن انتسب إلى بلاد الشأم .

مثلُ قيسِ بنِ زهير، والبَسوس[١]، فإن قيساً كان أزْرَق[٢] وبكراً ابن بكرين.
ولا أحفظُ شأن البَسوس حفظاً أجزِمُ عليه .

(ما يعترى الحمام والإوز بعد السفاد)

قال : وأمّا الحمام فإنّه إذا قَمَط تَنَفّشَ[٣] وتكبَّر ونَفَضَ ذَنبهُ[٤] وضَرَبَ بجناحِه ، وأمّا الإوَزّ فإنّه إذا سفِد أكثر من السباحَة ، واعتراه فى المَاء من المَرَح مثلُ مايعترى الحمام فى الهواء .

---

(١) هى البسوس بنت منقذ التميمية ، قالوا : استجار بها جار لها من جرم ومعه ناقة له ، فرماها كليب بن وائل لما رآها فى حماه ، فلجأ الجرمى إلى البسوس ، فهيجت أهلها للحرب ، فهاجوا واستمرت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة . وسميت بحرب البسوس – ثمار القلوب ٢٤٥ والعقد ٣ : ٣٤٧ وكامل ابن الأثير ١ : ٣١٣ وأمثال الميدانى ٢ : ٣٥٩ والأغانى ٤ : ١٣٩ .

(٢) ليس المراد زرقة الجلد ، وإنما المراد زرقة العين ، يقال رجل أزرق وامرأة زرقاء ، ويراد بذلك خضرة الحدقة . المخصص ١ : ١٠٠ . والعرب يكرهون ذلك ويتهاجون به . قال :

لقد زرقت عيناك ياابن مكعبر كذا كل ضبى من اللؤم أزرق

وجاء فى القرآن : « ونحشر المجرمين يومئذ زرقا » ، أى زرق العيون . وكان شؤم قيس بن زهير فى إثارة حرب داحس والغبراء ، وكان هو صاحب داحس : فحل من الخيل ، وكان صاحب الغبراء حمل بن بدر ، وتراهنا على السباق ، وحدث خلاف بينهما فى مستحق الرهان ، أدى إلى حروب دامت أربعين سنة . العقد ٣ : ٣١٣. وانظر كامل ابن الأثير١ : ٣٤٣ والأغانى ٧ : ١٤٣ ، ١٦ : ٢٣ وأمثال الميدانى ٢ : ٥١ .

(٣) تنفش: نفض ريشه .

(٤) س : « ثوبه » .

قال : وبيضُ الدجَاج يتمُّ خلقه فى عشْرة أيام وأكثرَ شيئاً[(١)] ، وأمَّا بيض الحمام ففى أقلَّ من ذلك .

(احتباس بيض الحمامة)

والحمامة ربَّما احتبَسَ البيضُ فى جوفها بَعْدَ الوقتِ[(٢)] لأمورٍ تَعْرِضُ لها : إمّا لأمرٍ عَرَضَ لعُشِّها [وأفحوصها]، وإمّا لنتْفِ [رِيشها[(٣)]] ، وإمَّا لعلَّةِ وجعٍ من أوجاعها[(٤)] وإمّا لصوتِ رعد ؛ فإنَّ الرَّعدَ إذا اشتدَّ لم يَبقَ طائرٌ على الأرضِ واقع[(٥)] إلاّ عَدَا فزعا ، وإن كان يطيرُ رَمى بنفسه إلى الأرض[(٦)] . قال علقمة بن عَبَدَة :

رغَا فوقَهُمْ سَقْبُ السَّماء فَدَاحضٌ ... بشِكتِه لم يُستَلَبْ وسليبُ[(٧)]

كأنَّهُمُ صابتْ عليهمْ سَحابةٌ ... صَواعقُها لطيرهِنَّ دَبيبُ[(٨)]

(١) الواو هنا بمعنى أو ، كما جاء فى قوله :

* كما الناس مجروم عليه وجـارم *

(٢) أى بعد الوقت المقدر لنزوله .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) ل : « وإما لوجع من أوجاعها » .

(٥) ل : « واقعاً » ، فهو نصب على الحال من النـكرة الموصوفة . والرفع جائز على الوصف أيضاً .

(٦) ط ، س: « وإن كان يطير إلا رمى »، ل : « وإن يطـير رمى »، وجعلت الـكلام كما ترى .

(٧) سقب السماء ، هو ولد ناقة صالح ، قالوا : لما عقرت أمه رغا ، فنزل العذاب بقوم صالح : فجعل العرب ذلك مثلا فى الاستئصال . انظر ثمار القلوب ٢٨٢ . وفى اللسان : « دحض برجله ودحص : فحص برجله » . وروى القالى البيت فى أماليه ٢ : ١٣٣ بالصـاد المهملة . وقال : « وكان بعض العلماء يرويه : (فداحض) . وهذا البيت أحد مانسب فيه إلى التحريف » . ولعله يعنى الجاحظ . والشكة : السلاح .

(٨) طير الصواعق : طيرانها ، أى سرعتها . وفى س : « للطير هن دبيب » ، أى إن تلك الصـواعق التى تنزل بهم تجلب الموت فتتحرك الطير لتأكل من القتلى . أى إن الصواعق سبب لدبيب الطير .

(تقبيل الحمام)

قال : وليس التَّقبيلُ إلَّا للحمَام والإنسان ، ولا يدَعُ ذلك ذكرُ الحمامِ إلَّا بعد الهَرَم . وكان فى أكثرِ الظَّنِّ أنَّه أحوجُ ما يكون [إلى] ذلك التَّهييجِ به عند الكِبَرِ والضَّعف .

وتزعمُ العوامُّ أنَّ تسافُدَ الغِرْبان هو تطاعُمُها بالمناقير ، وأنَّ إلقاحَها إنَّما يكونُ من ذلك الوجه . ولم أرَ العلماءَ يعرِفون هذا .

٥٥ قال : وإناثُ الحمام إذا تسافَدَت أيضاً قَبَّلَ بَعْضُهُنَّ بعضاً ، ويقال إنَّها تبيضُ عن ذلك ، ولكِنْ لايكونَ عن ذلك البيضِ فِراخ ، وإنَّه فى سبيل بيض الريح[١] .

(تكوُّن الفرخ فى البيضة)

قال : ويَستَبِينُ خَلْقُ الفِراخ إذا مضت لها ثلاثةُ أيَّامٍ بلياليها ، وذلك فى شَبَاب الدَّجاج ، وأمَّا فى المَسَانِّ منها فهو أكثر . وفى ذلك الوقت تُوجد الصُّفرةُ من النَّاحيةِ العُليَا[٢] من البَيضة ، عند الطَّرَف المحدَّد [و] حيث يكونَ أوَّلُ نَقْرِها ، فَثَمَّ[٣] يستبين فى بَياضِ البَيضة مثلُ نقطةٍ من دَم ، وهى تختلجُ وتتحرَّك . والفرخُ إنَّما يُخلق من البَياض ، ويَغْتَذِى

(١) سماه فى ٢ : ٢٤١ « البيض الترابى » .

(٢) ط : « العلياء » .

(٣) ل فقط : « فالقلب » ، وأراه تحريفاً .

الصُّفرةَ ، ويتمُّ خَلْقُه لعشرةِ أيّام . والرَّأسُ وحْدَهُ يكونُ أكبرَ من سائر البدن .

(البيض العجيب)

قال : ومن الدَّجاج ما يبيض بيضاً له صُفْرتَان فى بعضِ الأحايين ، خبَّرنى بذلك كم شئتَ[1] ، من ثِقاتِ أصحابِنا .

وقال صاحبُ المنطق : وقد باضت فيما مضى دَجاجةٌ ثمانِىَ عشْرَةَ بيضةً ، لكلِّ بيضةٍ مُحّتانِ[2] ، ثمَّ سخِّنت وحُضنت ، فخرَج من كلِّ بيضة فَرُّوجان ، ما خلا البيضَ الذى كان فاسداً فى الأصل . وقد يخرج من البَيضة فَرُّوجان[3] ، ويكون أحدُهما أعظمَ جثَّةً ، وكذلك الحمام . وما أقَلَّ مايغادِرُ الحمامُ أن يكون أحدُ الفرْخَينِ[4] ذكَراً ، والآخرُ أنثى .

(معارف فى البيض)

قال : وربَّما باضتْ الحمامةَ وأشباهها من الفَواختِ ثَلاثَ بيضات ، فأمَّا الأُطرُغلَّات والفَواخت[5] فإنها تبيضُ بيضَتينِ ، وربَّما باضتْ ثَلاثَ

(١) كذا فى ل ، س . وانظر ٣ : ٢٣١ و ٤ : ٤٦ و ٥ : ٣٧٤ وكتاب البغال ٢٦٤ . وفى ط : « شبيث » ، تحريف .

(٢) المحة والمح : صفرة البيض . جاء فى س : « محان » ، وهما صحيحان .

(٣) ل : « فرخان » ، والأفضل ما أثبت من ط ، س .

(٤) فى الأصل : « الفروجين » ، وإنما يكون الفروج للدجاج خاصة .

(٥) ط ، س : « فالفواخت » ، ووجهه ماأثبت من ل .

بيضــات ، ولـكنْ لا يخرُجُ منها أكثرُ مِن فرخَين ، وربّمــا كان واحداً فقط .

قال : وبعضَ الطيرِ لا يبيض إلاّ بعدَ مُرُورِ الحَوْلِ عليه كَمَلاً[1] ، والحمامةُ فى أكثرِ أمْرِها يكونُ أحدُ فرخَيها ذكراً والآخرُ أنثى ، وهى تبيضُ أوّلاً البيضةَ التى فيها الذّكر ، ثمّ تُقيم يوماً وليــلةً ، ثمّ تبيض الأخرى ، وتحضُنُ مَابينَ السَّبْعَةَ عشَرَ يوماً إلى العشرين ، على قدْر اختِلاَفِ طِباع الزَّمَان ، والذى يعرِضُ لها من العلل . والحمامةُ أبرُّ بالبَيض ، والحمامُ أبرُّ بالفِراخ .

[قال] : و [أمّا] جميعُ أجناسِ الطيرِ ممّــا يأكلُ اللَّحْمَ ، فلم يظْهرْ لنا أنّه يبيضُ ويُفرِخ أكثرَ من مَرّة واحدة ، مَا خلاَ الخُطَّافَ فإنّه يبيضُ مرّتين .

(تربية الطيور فراخها)

والعُقابُ تبيضُ[2] ثلاثَ بيضات ، فيَخْرُج لهــا فَرْخان . واختلفوا فقال بعضهم : لأنها لاتحضُن إلاّ بَيْضَتين ، وقال آخرون : قد تحضُن وَيخرج

(١) كملا : أى كاملا . وبالأخيرة جاءت الرواية فى ط ، س .

(٢) فى الأصل : « يبيض » . والعقاب يطلق على الذكر والأنثى ، ولكنه أراد الأنثى هنا .

لها ثلاثةُ أفراخ ، ولكنّها ترمى بواحدٍ[1] استثقالاً للتكسُّب على ثلاثة .
وقال آخرون : ليس ذلك إلاّ بما[2] يعتريها من الضّعفِ عن الصَّيد ؛ كما يعترى النُّفَساء من الوهْن والضّعف ، وقال آخرون : العُقاب طائر سَيِّئُ الخلق ، رديءُ التّربية ، وليس يُستعانُ[3] على تربية الأولادِ إلاّ بالصَّبْر .

٥٦ وقال آخرون : [لا ، و] لكنّها شديدةُ النَّهَم والشَّرَهِ ، وإذا لم تكنْ أمُّ الفِراخِ ذاتَ أثَرَةٍ لها ، ضاعت .

وكذلك قالوا فى العَقْعق ، عند إضاعتها لفراخها ، حتَّى قالوا : « أحمقُ من عَقْعَق » ، كما قالوا : « أحذَر من عَقْعَق » .

وقالوا : وأمّا الفَرخ الذى يُخرجه العُقاب ، فإنَّ المكلَّفَةَ ، وهى طائرٌ يقال لها كاسِر العِظام[4] ، تقبلُه[5] وتربِّيه .

والعُقاب تَحضُن[6] ثلاثين يوماً ، وكذلك كلُّ طائرٍ عظيم الجثّة ، مثل الإوزّ وأشباهِ ذلك ، فأمّا الوسطُ فهو يحضُن عِشرين يوماً . مثل الحِدَأ[7] ومثل أصناف البُزاةِ[8] كالبواشِق واليَآيِئ[9] .

---

(١) ط ، س : « بواحدة » .
(٢) بما : بمعنى لما . وفى ل : « ليس ذلك لما » ، وهو كلام ناقص .
(٣) ل : « يقوى شىء » .
(٤) ل : « يقال لها قينا » .
(٥) تقبله : تكفله . والقبيل : الكفيل .
(٦) فى الأصل : « يحضن » . والعقاب هنا مؤنثة .
(٧) هو جمع حدأة . وفى ط ، ل : « الحدأة » .
(٨) ط : « البزات » ، وصوابه فى س ، ل . وهو جمع باز .
(٩) اليآيئ : جمع يؤيؤ ، وهو طير جارح يشبه الباشق . قال أبو نواس فى طردية :

حفظ المهيمن يؤيئى ورعاه ما فى اليآيئ يؤيؤ شرواه

أى شبيهه . ط : « اليافى » . س : « الياى » ، وهما تحريف ما أثبت وهذه الكلمة والتى قبلها ساقطتان من ل .

والحدأة[١] تبيضُ بيضَتين . وربّما باضتْ ثَلاَثَ بيضات وخرَج منهن ثَلاَثَةُ فِراخ .

قالوا : وأما العقبانُ السُّودُ الألوان ، فإنَّها تربِّى وتحضُن[٢] .

وجميعُ الطير المعقَّف المخالبِ تطردُ فراخها من أعشاشها[٣] عندَ قوَّتها على الطَّيَران . وكذلك سائر الأصنافِ منَ الطَّيرِ[٤] ؛ فإنَّها تطرُد الفِراخ [ثمَّ] لا تعرفُها ، ما عدا الغداف[٥] ؛ فإنهاَ لا تزالُ لولدها قابلة ، ولحالِه متفقِّدة .

(أجناس العقبان)

وقال قوم[٦] : إنَّ العِقبانَ والبُزاة التَّامّة ، والجهارْرَانك[٧] ، والسُّمنان[٨] .

---

(١) س : « والحداءة » ، وهو تحريف .

(٢) ل : « تبيض وتحضن » .

(٣) ط ، س : « أعشّها » ، ولم أر هذا الجمع ووجدتهم يجمعون العش على عشاش ، وعششة وأعشاش . انظر المصباح .

(٤) ل : « سائر أصناف الطير » .

(٥) كذا .

(٦) ل : « وزعم غيره » .

(٧) المراد بالبزاة أو العقبان التامة : التامة الأوصاف ، وهو من تعبير البزدرة ، كتب بذلك إلينا حضرة العلامة الكبير الأب أنستاس ، كما كتب أيضاً : « الجهار رنك » أو « الجهارنك » هى مركبة من « جهار » أى أربعة ، و « رنك » أو « رانك » أى لون ، فيكون معنى الكلمة المركبة الفارسية : ذا الألوان الأربعة . وسبب تسمية هذه العقبان ، أو البزاة ذات أربعة ألوان هو وجود الأبيض والأصيفر والأسود والأربد فيها . واللونان الأولان بالتصغير ، أى الضارب إلى الأبيض والضارب إلى الأصفر ؛ لأن هذين اللونين ليسا محضين فى ريش تلك الطير . وقلت : هذه الكلمة هى فى الأصل محرفة فى ط ، س : « الجهادانك » وفى ل : « الجهاردانك » . وقد اتضح الصواب مما تفضل به حضرة الأب .

(٨) كذا فى ط ، س . وفى ل : « النيميات » . وقد تفضل حضرة المحقق الكبير –

والزّمامِج(١) والزّرارِقَة(٢) إنها كلّها عِقْبان . وأمّا الشّواهينُ والصُّقورةَ ، واليَوايِئُ(٣) ، فإنها أجناسٌ أُخر .

(حضن الطير)

[قال : وقالوا : فراخ البزاة سمينةَ طَيِّبَةٌ جدًّا] . وأما الإوزة فإنها [التي] تَحضُن دونَ الذكَر(٤) ، وأمّا الغِربانُ فعلى الإناثِ الحضن ، والذكورة تأتي الإنَاثَ بالطُّعمة(٥) .

وأمّا الحجَل فإنّ الزّوج مِنها(٦) يهيِّئان للبَيض عُشّين وثيقين(٧)

= الأب أنستاس ، فكتب إلى : « والسمان من البزاة والجوارح : كل ماطعن منها في السن ، وهي جمع سمين . والعوام من العراقيين يسمونها : سمنان – كرغفان – فهي إذا طعنت في السن ضخم جسمها وقعدت عن الصيد » . « والنيميات منسوبة إلى نيم ، بالكسر ، الفارسية ، بمعنى نصف . ويشار به إلى تلك البزاة ، أو العقبان الصغيرة الجسم ، وهي تكون في أغلب الأحيان أشد صيداً وجراءة من نظائرها الكبيرة الجسم أو الجثة . ويؤتى بها من البلاد الباردة ، أو من الأرجاء الجبلية » . وعقب حضرته على ذلك بقوله : « وكل ذلك مذكور في كتب البزدرة التي سرقت مني . وكان عندي منها ثلاث نسخ مملوءة أو مشحونة اصطلاحات » .

(١) الزمامج : جمع زمج ، بضم الزاى وتشديد الميم المفتوحة .

(٢) الزرارقة : جمع زرق بضم الزاى وتشديد الراء المفتوحة ، والمعروف زراريق . وفي الأصل : « الزراقة » ، وهو تحريف .

(٣) كذا على الصواب في ل . وهو جمع يؤيؤ . ط ، س : « والبوازى » .

(٤) كذا في ل وهو الصواب . وفي ط : « وأما الأوز فإنها تحضن دون الذكورة » ومثله في س بزيادة « التي » بعد « فإنها » .

(٥) في اللسان : « الطعمة ، بالضم : شبه الرزق » . وفي ل : « بالطعم » ، ومثله في عيون الأخبار (٢ : ٩٤) وهو بالضم : الطعام .

(٦) ل ، ط : « منهما » ، وصوابه في س .

(٧) الوثيق : المحكم . وبدلها في ط : « بيضتين » وفي س : « بيضين » وهو تحريف عجيب .

مقسومَين(١) عليهما ، فيحضُن أحدُهُمَا الذَّكَرَ ، والآخرَ الأنثى(٢) ، وكذلك هُمَا فى التَّربية . وكلٌّ واحدٍ منهما يعيشُ خمساً وعِشرين سنة ، ولا تَلْقَحُ الأنثى بالبيض(٣) ولا يُلقِحُ الذكرُ إلاَّ بعدَ ثلاثِ سنين .

(الطاوس)

قال : وأمَّا الطَّاوس فأوَّلَ ما تبيضُ فإنها تبيض ثمانِيَ(٤) بيضات . وتبيضُ أيضاً بيضَ الريح . والطَّاوس يُلقى رِيشَه فى زَمن الخَريف إذا بدَأ أوَّلُ ورقِ الشَّجرِ يسقُطُ(٥) . وإذا بدأ الشَّجرُ يكتسى ورقاً ، بدأ الطاوس فاكتسى(٦) ريشاً .

---

(١) ط فقط : « مقسومتين » .

(٢) فصلت هذا الضبط لما جاء فى نهاية الأرب نقلا عن الجاحظ : « وإذا باضت الحجلة ميز الذكر الذكور منها فيحضنها ، وميزت الأنثى الإناث فتحضنها ، وكذلك هما فى التربية » . ومثل هذا الكلام عند الدميرى ، مع نسبته إلى التوحيدى .

(٣) ط ، س : « البيض » ، والوجه ماأثبت كما فى ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٣٣)

(٤) كذا فى ل ونهاية الأرب ، وفى ط ، س : « ثلاث » .

(٥) كذا على الصواب فى س . وفى ل : « يلقى ورقه » وفى ط « فإذا بدا » ، وكلاهما تحريف .

(٦) ط : « يكتسى » .

(ما ليس له عشٌّ من الطير)

قال : وما كان من الطَّير الثَّقيل الجثَّة فليس يهيّئ لبيضه عُشًّا ؛ من أجْل أنَّه لا يُجيد[١] الطَّيَران ، ويثقل عليه النهوض ولا يتحلَّق[٢] ، مثل الدُّرَّاج والقَبَج ، [وإنما يبيض على التُّراب] . وفراخ هذه الأجناس كفراريج الدَّجاج ، وكذلك فراريج البطِّ الصِّينى ، فإنَّ هذه كلَّها تخرُج من البيض كاسية [كاسبة[٣]] تلقط من ساعتها ، وتَكفى نفسها .

(القبجة)

قال : [و] إذا دنا الصَّيَّاد من عُشِّ القبجة[٤] ولها فراخٌ ، مرَّتْ بينَ يدَيه مَرًّا غيرَ مُفيت[٥] ، وأطمعَتْه فى نفسها ليتبعها[٦] ، فتمرُّ الفراخ فى رجوعها إلى موضع عُشِّها[٧] . والفراخ[٨] ليسَ معها من الهداية مامع

---

(١) ط ، س : « يجد » .

(٢) يتحلق : لم أجدها بمعنى حلق الطائر أى طار واستدار فى طيرانه ، لكن هكذا جاءت فى ل . وانظر ٥ : ١٥٢ . وفى ط ، س : « يتخلق » ، وهو تحريف .

(٣) الزيادة من س .

(٤) سبق قريباً أنها ليست ذات عش . فالمراد أفحوصتها .

(٥) ط فقط : « معين » ، وهو تحريف .

(٦) ط ، س : « فيتبعها » .

(٧) ل ، س : « فتمر الفراخ ولئلا تغلط فى رجوعها إلى موضع عشها » .

(٨) ل : « فإنها » .

أمَّها . وعلى أنَّ القَبَجَةَ سيِّئة الدَّلالةِ والهِداية ، وكذلك كلُّ طائر يعجِّلُ له الـكَيْس والـكسْوة ، ويعجِّل له الـكَسْبُ فى صغره .

وهذا إنَّمـا اعتراها لقَرابَةِ ما بينَها وبين الدِّيك .

قال : فإذا أمعن الصَّائد خلفها وقد خرجت الفراخُ من موضِعِها ، طارت ٥٧ وقد نحَّتْه[١] إلى حيثُ لا يَهتدى الرُّجوعَ منه إلى موضع عشِّها[٢] ، فإذا سقَطَتْ قريباً دعتْها بأصواتٍ لها ، حتَّى يجتمعْنَ إليها .

قال : وإناثُ القَبَج تبيض [خَمْسَ عشْرَةَ بيضة إلى ستَّ عشرةَ بيضة . قال : والقبج طيرٌ منكرٌ] وهى تفرُّ[٣] ببَيضها من الذَّكر ؛ لأنَّ الأنثى تشتغل بالحضْن عن طاعة الذَّكر فى طلب السِّفاد . والقَبَج الذَّكَرُ يوصَفُ بالقوّة على السِّفاد ، كما يوصف الدِّيكُ والحجَلُ والعُصفور .

قال : فإذا شُغِلت عنه بالحضْن ، طلبَ مواضعَ بيضها حتى يفسِدَهُ[٤] فلذلك ترتاد[٥] الأنثى [عشَّها] فى مَخَابِئَ[٦] إذا أحسَّتْ بوقْتِ البيض .

وإذا قاتل بعضُ ذُكورةِ القَبَج بَعضاً فالمغلوبُ منها مسفودٌ ، والغالبُ

---

(١) ط : « نحت » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٢) يقال : هو لا يهتدى الطريق ، ولا يهدى — بفتح الياء والهاء وتشديد الدال المكسورة — ، ولا يهدى — بفتح الياء وكسر الهاء والدال المشددة . كل أولئك بمعنى لا يهتدى إليه . فى ط : « إلى موضعها » .

(٣) س : « تشغل » .

(٤) ل : « يفسدها » ، ولها وجه .

(٥) ترتاد : تطلب . وفى ل : « توغل » ، ولا يقال أوغله .

(٦) ط ، س : « مخاف » وتصحيحه من ل .

سافد . وهذا [العرض] يعرِضُ للدِّيَكة ولذكور الدَّراريج ، فإذا دَخَل بين الدِّيَكةِ[1] ديكٌ غريب ، فمَا أكثَرَ ما تجتمع عليه حتَّى تسفَدَه ! .

(وثب الذُّكورة على الذكورة)

وسفادُ ذُكورة هذه الأجناسِ إنما يعرض لها لهذه الأسباب ، فأمَّا ذُكورةُ الحَمير والخَنازيرِ والحمامِ ، فإنَّ ذُكورَها تثِبُ على بعضٍ مِن جهة الشَّهوة .

وكان عند يعقوبَ بن صباح[2] الأشعثيِّ ، هِرَّانِ ضخْمان ، أحدُهُما يكومُ الآخَر متى أرادهُ ، مِنْ غيرِ إكراهٍ ، ومِن غيرِ أن يكونَ المسْفودُ يريدُ من السَّافِدِ مِثلَ مايريدُ منه السَّافد . وهذا البابُ شائعٌ في كثيرٍ من الأَجناس، إلاَّ أنَّه في هذه [الأَجناس][3] أوْجَد .

(صيد البُزاة للحمام)

ثمَّ رجَع بنا القَولُ إلى ذِكْر الحمام ، من غير أن يشَاب[4] بذكر غيره .

---

(١) ط : « الرمكة » . ولا تصح . والصواب من ل ، س .

(٢) ل : « الصباح » .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) ط ، س : « انتساب » ويصح بـ « انتشاب » أى تعلق . وأثبت ما فى ل . ويشاب : يخلط .

زعم صاحبُ المنطق أنَّ البُزاةَ عشرة أجناس ، فمنها ما يضرِب الحمامة والحمامة جاثمة ، ومنها ما لا يضرب الحمامَ إلاّ وهو يطير ، ومنها ما لا يضرب الحمام فى حال طيَرَانِهِ ولا فى حالِ جثومِه ، [ولا يعرض له] إلّا أنْ يجده[1] فى بَعْض الأغْصان ، أو على [بعض] الأَنشازِ[2] والأَشْجار . فعدَّد أجناسَ صيدِها ، ثمَّ ذكرَ أنَّ الحمامَ[3] لا يخفى عليه فى أوّلِ ما يرى البازىَ فى الهواء أىُّ البُزَاةِ هُو ، وأىُّ نوعٍ صَيدُه[4] ، فيخالف ذلك . ولمعرفة الحمامِ بذلك من البازى أشكال : أوّلُ ذلك أنَّ الحمامَ فى أوّلِ نُهوضِه يفصلُ بينَ النَّسر والعُقاب ، وبينَ الرَّخمةِ والبازى ، وبينَ الغُرابِ والصَّقر؛ فهو يَرَى الكرْكىَّ والطَّبرزين[5] ولا يستوحِشُ منهما ! ويرى الزُّرَّق فيتضاءل . فإنْ رأى الشّاهينَ فَقَدْ رأى السّمَّ الذعاف الناقِع[6] .

(إحساس الحيوان بعدوّه)

والنَّعجة ترى الفيلَ والزَّنْدَبِيلَ والجاموسَ والبعير ، فلا يهزُّها[7] ذلك ، وترى السَّبع وهى لم تَره قبل ذلك[8] ، وَعضوٌ من أعضاء تلك البهائم أعظمُ

---

(١) ل : « يراه » .

(٢) الأنشاز : جمع نشز ، بالتحريك ، أو بالفتح ، وهو المكان المرتفع .

(٣) ط : « صاحب الحمام » ، والوجه ما أثبت من ل ، س .

(٤) ط : « ضده » ، وصوابه من ل ، س .

(٥) كذا فى ل ، س . والمعروف فى الطبرزين أنه الفأس التى يعلقها الفارس فى سرج جواده . انظر معرب الجواليقى ١٩٤ والألفاظ الفارسية ١١١ . وفى ط : « الطيران » . وانظر الاستدراكات .

(٦) ل : « فقد رأى السم الناقع » .

(٧) ل : « يهدها » .

(٨) ل : « الذى لم تره قبل فتخافه » وفيه تحريف .

وهى أهولُ فى العين وأشنعُ ، ثمَّ ترى الأسَدَ فتخافه . وكذلك البَبْر والنمر . فإنْ رأت الذئب [وحده] اعتراها منه وحْدَه مثلُ ما اعترَاها من تلك الأجناسِ لوكانت مجموعةً فى مكانٍ واحدٍ . وليس ذلك عن تجرِبَةٍ ، ٥٨ ولا لأنَّ منظرَه أشنعُ وأعْظم ، وليسَ فى ذلك عِلَّة[١] إلّا ما طُبِعت عليه من تمييز الحيوان عندها . فليس بمُستَنكَرٍ أنْ تَفْصِلَ الحمامةُ بينَ البازى[٢] والبازى ، كما فصلت بين البازى والكُرْكىِّ .

فإنْ زعمتَ أنَّها تعرف بالمخالب[٣] فمِنقارُ الكرْكىِّ أشنع [وأعظم] وأفظع[٤] ، وأطولُ وأعرض[٥] . فأمَّا[٦] طَرَفُ منقار [الأبغث[٧] فما كانَ[٨] كلُّ سنانٍ وإن كان مذرَّبا[٩]] ليبلغه .

---

(١) ط : « عليه » ، وهى على الصواب فى ل ، س .

(٢) أى تعرف أنواع البزاة وطريقة صيدها لها ، كما فصل ذلك فى الصفحة السابقة س ٦ . ل فقط : « الرخمة » تحريف .

(٣) فى الأصل : « تضرب مخالب » .

(٤) ل : « وأقطع » .

(٥) ليست فى ل .

(٦) ط ، س : « فما » ، وهو تحريف .

(٧) فى القاموس : أن الأبغث طائر ، ولم ينعته .

(٨) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

(٩) مذربا ، بالذال المعجمة : محدداً . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « مدربا » ، تصحيف .

(بلاهة الحمام وخُرقه)

قال صاحب الدِّيك : وكيفَ يكونُ للحمام من المعرفة[1] والفطِنة ما تذكرون ، وقد جاء فى الأَثَر[2] : « كُونُوا بُلْهاً[3] كالحمام » ؟ !

وقال صاحب الدِّيك : تقول العربُ : « أخْرَقُ مِنْ حمامةٍ » ، وممَّا يدل على ذلك قولُ عَبيدِ بنِ الأبرص :

عَيُّــوا بِأَمْرِهِمُ كما ... عَيَّتْ بِبَيْضَتِهَا الحَمَامَهْ

جَعَلَتْ لها عُودَينِ منْ ... نَشَمٍ وآخَرَ من ثُمامَهْ[4]

---

(١) ط ، س « الحركة » ، ووجهه ما فى ل .

(٢) كذا فى ل ، س . وهو الموافق لما جاء فى البيان (٢ : ٢٧٥) : « وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : كونوا بلها كالحمام » . وفى ط : « وقد جاء فى الحديث » كما فى محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٠) . وجاء فى عيون الأخبار (٢ : ٧٢) : « وفى الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال للحواريين : كونوا حلماء كالحيات ، وبلها كالحمام » . قلت : والنص فى إنجيل متى (الأصحاح العاشر : ١٦) : « هاأنا أرسلكم كغنم فى وسط ذئاب فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام » .

(٣) فى الأصل : « بلهاء » ، وإنما هى « بلها » كما فى ٧ : ٢٥٩ . وهو جمع أبله . والمراد به الغافل عن الشر المطبوع على الخير . انظر نهاية ابن الأثير (بله) .

(٤) النشم ، بالتحريك : شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسى . والثمامة : واحدة الثمام ، وهو نبت قصير يضرب به المثل فى الضعف . وذلك حمقها : أن تجمع بين ضعيف وقوى : فيتكسر عشها ويقع البيض فينكسر . انظر عيون الأخبار (٢ : ٧٢) وثمار القلوب ٣٦٩ وأمثال الميدانى (١ : ٢٣٤) وأدب الكاتب (٥٥) .

فإن كان عَبيدٌ إنما عَنَى حمامةً من حمامكم هذا الذى أنتم بهِ تفخَرُون ، فقد أكثرتم فى ذكر[١] تدبيرها لمواضعِ بَيضها ، وإحكامِها لصَنعة عشاشها[٢] وأفاحيصها .

وإن قلتم : إنّه إنما عَنَى بعضَ أجناسِ الحَمَام الوحشى والبَرّىّ ، فقد أخرجتم بعضَ الحَمَامِ مِن حُسْنِ التَّدْبير . وعبيدٌ لم يخُصّ حماماً دُونَ حمام .

(رغبة عثمان فى ذبح الحمام)

وحدَّثَ أُسامةَ بن زيد قال : سمعتُ بعضَ أشْياخِنا منذُ زمانٍ ، يحدِّثُ أنَّ عثمانَ بنَ عفَّانَ ــ رضى اللهُ تعالى عنه ــ أراد أنْ يَذْبَحَ الحَمَامَ ثمَّ قال : « لولا أنّها أُمّةٌ من الأمم لأمرت بذبحهن[٣] ، ولكنْ قُصُّوهنَّ » . [فدلَّ بقوله : قُصُّوهنّ] على أنَّها إنما تُذْبَحُ لرغبة[٤] مَنْ يتّخذُهنّ ، ويَلعبُ بهنَّ من الفتْيانِ والأَحداثِ والشُّطَّار[٥] ، وأصحابِ المراهَنة والقِمار ، والذين

(١) ل : « ذلك » ، وهو تحريف . والمراد بالإكثار التزيد والمبالغة .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أعشتها » وانظر التنبيه رقم ٣ ص ١٨١ .

(٣) ط ، س : « بذبحها » ، وأثبت ما فى ل .

(٤) ل : « لسورعة » ! .

(٥) الشطار : جمع شاطر ، وهو الذى أعيا أهله ومؤدبه خبثا ، وشطر عن الطريق السوى : أى عدل عنه . وفى ل فقط : « السطار » وهو تصحيف . واللعب بالحمام التسابق به ، على نحو ما يفعل بالخيل . انظر صورة من ذلك فى أخبار الظراف ص ٣٨ .

يتشرّفون[(١)] على حُرَم الناس والجيران ، ويختَدِعُون[(٢)] بفراخ الحَمَام أولاد النّاس ، ويرمون بالجُلَاهِق[(٣)] وما أكثر مَنْ قد فقأ عيناً وهشَمَ أنفاً ، وهتَمَ فَماً ، وهو لا يدرى مَا يصنَع ، ولا يَقِفُ على مقدارِ مَا رَكِبَ به القومَ . ثم تذهب[(٤)] جنايتُهُ هدَرًا ؛ ويعودُ ذلك الدَّمُ مطلولاً بلا عقْل ولا قوَدٍ ولا قِصاص ولا أرْش[(٥)] ، إذْ كان صاحِبُه مجهولا .

وعلى شبيهٍ بذلك كان عمرُ — رضى الله عنه — أمر بِذَبْحِ الدِّيَكة[(٦)] وأمرَ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم بقتْل الكلاب .

قالوا : ففيما ذكرنا دليلٌ على أنَّ أكْلَ لحومِ الكلابِ لم يكنْ مِنْ دينِهم ولا أخْلاقِهِمْ ، ولا منْ دواعى[(٧)] شهواتِهم . ولولا ذلك لما جاء الأثرُ عن النبيِّ — صلى الله عليه وسلم — وعُمَر وعُثْمانَ — رضى الله تعالى عنهما بِذَبْح الدِّيَكةِ والحَمَامِ ، وقتْل الكلاب . [ولولا أنَّ الأمرَ على ما قلنا ، لقالوا : اقتلوا الدُّيوكَ والحَمَامَ كما قال : اقتلوا الكلاب] . وفى تفريقهم بينَها دليلٌ على افتراقِ الحالَاتِ عندَهم .

---

(١) التشرف : التطلع . وفى ط فقط : « يشرفون » من الإشراف : أى الاطلاع . وماأثبت أقرب وأشبه .

(٢) ط ، س : « ويخدعون » .

(٣) الجلاهق : هو الطين المدور المدملق ، يرمى به عن القوس ، فارسى ، أصله جلاهه . الجواليقى ٤٢ .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ذهبت » .

(٥) العقل : الدية . والقود ، بالتحريك ، بمعنى القصاص ، وهو قتل النفس بالنفس . والأرش : دية الجراحات .

(٦) كذا فى ل . وكما سبق فى الجزء الأول ص ٢٩٦ س : ١١ ، ١٦ . وفى ط ، س : « أراد عمر رضى الله عنه أن يذبح الديكة » .

(٧) ط ، س : « ولا كان فى دواعى » .

٥٩ قال : حدَّثني أسامة بن زيد(١) ، وإبراهيمُ بنُ أبي يحيى ، أنَّ عثمان شكَوْا إليه الحَمَامَ ، وأنّه قال : « مَنْ أخَذَ منهنَّ شيئاً فهو له » . وقد علمْنا أنّ اللّفظَ وإن كان قد وقَعَ على شِكاية الحمام، فإن المعنى إنّما هو على شكايةِ أصحاب الحمام ؛ لأنّه ليس في الحمام مَعنًى يدعُو إلى شكايةٍ(٢) .

قال : وحدّثنا عُثْمان قال : سُئل الحسنُ عن الحمام الذى يصطاده النّاس ، قال : لا تأكلْه ، فإنّه منْ أموال الناس ! فجعله مالاً ، ونَهَى عن أكْله بغير إذنِ أهله . وكلُّ ما كان مالاً فبيعُه حسَنٌ وابتياعُه حسن . فكيفَ يجوزُ لشيءٍ هذه صفتُه أنْ يُذبح ، إلّا أن يكون ذلك على طريق العِقاب والزَّجْرِ لمن اتَّخذَه لما لا يحلّ ! !

قال : ورووا عن الزُّهرى عن سعيدِ بن المسيَّب قال : نَهَى عُثْمانُ عن اللَّعِبِ بالحَمَام(٣) ، وعن رمى الجُلاهِق . فهذا يدلُّ على ما قلْنا .

(أَمْن حمام مكة وغِزْلانها)

والناس يقولون : « آمَنُ مِنْ حَمَامِ مَكَّةَ ، ومِنْ غِزلان مكة » . وهذا شائعٌ على جميع الألسنة ، لا يردُّ ذلكَ أحدٌ ممن يعرِفُ الأمثالَ والشّواهدَ. قال عُقبةُ الأسديُّ(٤) لابن الزُّبير :

---

(١) ل : « بلدر » .

(٢) ط : « شكايته » .

(٣) ل : « عن ذكر الحمام » وهو تحريف . انظر ص ١٩٠ .

(٤) عقيبة بن هبيرة الأسدى : شاعر جاهلى إسلامى . اللآلى ١٤٩ . وانظر الأغانى ١٨ : ١٢٨ . وفى الأصل : « عقبة » ، تحريف .

ما زلتَ مذ حِجَجٍ بمكة مُحرِماً[1] في حيث يأمَنُ طائرٌ وحَمامُ

فلتَنهَضَنَّ العِيسُ تنفخُ في البُرَا يَجْتَبْنَ عُرْضَ مَخارِمِ الأعلامِ[2]

أبنو المغيرةِ مثلُ آلِ خُويلدٍ ؟ ! يا لَلرِّجالِ لِخِفَّةِ الأحلامِ[3] !

وقال النابغةُ في الغِزْلان وأمْنِها ، كقولِ جميع الشُّعراء في الحمام :

لا والذي آمَنَ الغزلانَ تمسَحُها رُكبانُ مَكّةَ بينَ الغِيلِ والسَّعَدِ[4]

ولو أنَّ الظِّباءَ ابتُلِيَتْ بِمَنْ يتَّخِذها بِمِثلِ[5] الذي ابتُلِيت به الحمام ثمَّ ركبوا المسلمين في الغِزلان بمثل ما ركبوهم به في الحمام ، لساروا في ذَبْحِ الغِزلان كسيرتهم في ذَبْحِ الحمام .

وقالوا : إنّه لَيبلُغُ مَن تعظيم الحمام لحُرْمة البيتِ الحرام ، أنَّ أهلَ مكة يشهَدون عن آخرهم أنَّهم لم يَرَوْا حَماماً قطُّ سقَطَ على ظهر الكعبة ، إلَّا مِن

---

(١) كذا في ل ، وهو الوجه . . وفي ط ، س : « ملحدا » ، من الإلحاد بمعنى الظلم في الحرم . ولا يصح لأن الشعر مدح . وقد أشار عقبة إلى ما كان من عبد الله بن الزبير في مكة ، حيث بويع له بمكة سنة أربع وستين ، وخلع يزيد ابن معاوية ، وأقام بها تسع سنين وقتل في خلافة عبد الملك بن مروان على يد الحجاج بمكة سنة ثلاث وسبعين . انظر تاريخ الإسحاق ص ٥١ .

(٢) العيس ، الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . والبرا : جمع برة ، كثبة ، وهي الحلقة في أنف البعير . يجتبن : يقطعن . والمخارم : الطرق في الأرض الغليظة . س : « تجنبن عرض مخارج » وهو تحريف .

(٣) بنو المغيرة هم بنو مروان ؛ لأن أمهم عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ابن أمية . انظر الإصابة ٧٠٩ من قسم النساء ، والعقد ٣ : ١٤٨ . وآل خويلد هم بنو الزبير ، وهو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى . انظر المعارف ٩٦ .

(٤) ط ، س : « والمؤمن العائذات الطير » ، وما أثبت من ل هو الوجه ؛ لما سبق من الكلام . والغيل ، بالكسر ، والسعد ، بالتحريك : أجمتان كانتا بين مكة ومنى . شرح المعلقات للتبريزي ٣٠٠ .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « بمن يتخذها مثل » .

عِلةٍ عَرَضت له . فإن[1] كانت هذه المعرفة اكتساباً من الحَمام فالحمامُ فوق جميعِ الطير وكلِّ ذى أربع . وإن كان هذا إنّما كان [من] طريقِ الإلهام ، فليس ما يُلهَمُ كما لا يلهَم .

وقال الشّاعرُ[2] فى أمْن الحمَام :

لقد علِم القبائلُ أنّ بَيْتِى ... تفرَّعَ فى الذّوائبِ والسَّنامِ

وأنّا نَحْنُ أولُ من تَبَنَّى ... بمكّتها البيوتَ معَ الحَمام[3]

وقال كثيِّر - أو غيره من[4] بنى سهم - فى أمْن الحَمام :

لَعَنَ اللهُ مَنْ يَسُبُّ عليًّا ... وحُسَيْناً مِنْ سُوقَةٍ وإمامِ ٦٠

أَيَسُبُّ المطيَّبون جدودًا[5] ... والكرامُ الأخوالِ والأعمامِ

يأمن الظبى[6] والحَمامُ ولا يأ ... مَنُ آلُ الرّسولِ عِندَا لمقامِ !!

رحمةُ اللهِ والسَّلامُ عليهمْ ... كلما قامَ قائمٌ بسلامِ[7]

---

(١) ط : « فإذا » .

(٢) هو الزبير بن عبد المطلب ، كما فى المؤتلف ١٣٠ - ١٣١ .

(٣) فى المؤتلف : « بمكتنا » . وفى الأصل : « من الحمام » ، صوابه فى المؤتلف .

(٤) ط ، س : « فى » وتصحيحه من ل . والسهمى هذا ، هو عبد الله بن كثير السهمى ، قال الجاحظ فى البيان ٣ : ٣٥٩ : « وقال عبد الله بن كثير السهمى وكان يتشيع لولادة كانت نالته ، وسمع عمال خالد بن عبد الله القسرى يلعنون علياً والحسن والحسين على المنابر » . وأنشد الشعر الآتى . أو هو كثير ابن كثير السهمى كما فى معجم المرزبانى ٣٤٨ ، قالها لما كتب هشام بن عبد الملك إلى عامله بالمدينة أن يأخذ الناس بسب على .

(٥) المطيبون : المطهرون . فى ل : « أيسب المطيبين » ، وفى المعجم « أتسب المطيبين » ولكل منهما وجه . وبعد هذا البيت فى المعجم وبعد البيت الذى يليه فى البيان :

طبت بيتا وطاب بيتك بيتاً ... أهل بيت النبى والإسلام

(٦) ط فقط : « الطير » ، والصواب ما أثبت من ل ، س والبيان .

(٧) ط س ، : « الإسلام » ، وهى رواية محرفة عما أثبت من ل والبيان والمعجم .

وذكر شأنَ ابنِ الزُّبير وشأنَ ابنِ الحنفيَّة[١] ، فقال :

ومن يَرَ هذا الشَّيخَ بِالخَيفِ من مِنًى[٢]

مِنَ النَّاس يَعلمْ أنَّهُ غيرُ ظالمِ

سَمِيُّ النبيِّ المصطفى وابنُ عمِّه[٣] وفكَّاكُ أغلالٍ ونفَّاعُ غارمِ

أَبَى فهو لا يشْرِى هُدًى بضَلَالةٍ ولا يتَّقِى فى الله لوْمَةَ لائمِ

ونحن بحَمْدِ اللهِ نتلُو كتابَهُ حُلولاً بهذا الخَيْفِ خَيفِ المحارِمِ[٤]

بحيثُ الحَمَامُ آمناتٌ سواكنٌ وتَلْقى العدُوَّ كالوَلىِّ المسالمِ

(حمامة نوح)

قال صاحب الحَمام : أمَّا العرب والأعرابُ والشُّعَراء ، فقد أطبقوا على أنَّ الحَمامَةَ هى التى كانت دليلَ نوحٍ ورائده[٥] ، وهى التى استجعَلَتْ[٦]

---

(١) ابن الحنفية ، هو محمد بن على بن أبى طالب ، وهو أخو الحسن والحسين ابنى على بيد أن والدة هذين هى فاطمة الزهراء ، وأم ذاك هى خولة بنت جعفر الحنفية ، فنسب إليها تمييزاً له . كان ابن الحنفية أحد أبطال صدر الإسلام ، وكان ورعاً واسع العلم . وكان المختار الثقفى يدعو الناس إلى إمامته ، ويزعم أنه المهدى ، وكانت الكيسانية تزعم أنه لم يمت وأنه مقيم برضوى . ولد بالمدينة سنة ٢١ وتوفى سنة ٨١ . وفيات الأعيان (١ : ٤٤٩) وطبقات ابن سعد (٥ : ٦٦) .

(٢) الخيف بالفتح : ناحية من منى . ومنى : بليدة على فرسخ من مكة .

(٣) ليس ابن الحنفية ابن عم للرسول لحا ، بل هو ابن ابن عمه . والعرب يتجوزون فى مثل ذلك .

(٤) ط فقط : « المخارم » ، وهو تصحيف .

(٥) قالوا : أرسلها لتكشف موضعاً فى الأرض يصلح مرفأ للسفينة . انظر الحيوان (٢ : ٣٢١) .

(٦) استجعلت : طلبت الجعالة — كسحابة — وهى الرشوة . والرشوة : العطاء فى مقابل نفع .

عليه الطَّوْقَ الذى فى عنقها ، وعند ذلك أعطاها الله تعالى تلك الحِلْية ؛ ومنَحَها تلك الزِّينةَ ، بدعاءِ نوحٍ عليه السلام ، حينَ رجعتْ إليه ومعها من الكرْم ما مَعها ، وفى رجليها من الطِّين والحَمْأة ما برجليها ، فعوِّضتْ من ذلك الطِّين خِضابَ الرِّجلين ، ومن حُسن الدَّلالَةِ والطَّاعةِ طَوْقَ العنق .

(شعر فى طوق الحمامة)

وفى طوقها يقول الفرزدق[1] :

فمن يكُ خائفاً لأذاةِ[2] شِعرى　　فقد أَمِنَ الهِجاءَ بنو حَرَامِ

هم قادُوا[3] سفيهَهُمَ وخافُوا　　قلائِدَ مِثلَ أطواقِ الحمامِ

وقال فى ذلك بَكْر بن النَّطَّاح[4] :

---

(١) يقول هذا الشعر فى رجل من بنى حرام ، كان قد هجا الفرزدق، فخشى قومه من لسان الفرزدق فجاءوا به يقودونه إليه ، فقال البيتين . انظر العمدة (١ : ٣٨) . والبيتان لم أجدهما فى الديوان ، وقد أثبتهما الثعالبى فى الثمار ٣٦٨ .

(٢) الأذاة : الأذى ، وفى ط فقط : « لأذات » محرفة .

(٣) ط : « قادروا » ، وتصحيحه من ل ، س والعمدة . وبدلها فى الثمار : « منعوا » .

(٤) بكر بن النطاح : شاعر كان فى زمن هارون الرشيد ، وهو بصرى نزل بغداد ، وكان يعاشر أبا العتاهية وأضرابه . وكان أبو هفان يقول : أشعر أهل الغزل من المحدثين أربعة أولهم بكر بن النطاح . تاريخ بغداد ٥٣٢٦ . قلت : وبكر صاحب المقطعة الرقيقة التى تغنيها فى عصرنا هـذا زعيمة الغناء أم كلثوم . وأول هـذه المقطعة :

أكذب نفسى عنك فى كل ماأرى　　وأسمع أذنى منك ماليس تسمع

وهى صوت من أصوات الأغانى (١٧ : ١٥٣) .

إذا شئتُ غنَّتْنى ببَغْدَادَ قَيْنَة   وإن شئتُ غَنَّانى الحَمامُ المطوَّق

لباسى الحسامُ أو إزارٌ مُعصفرٌ   ودِرْعُ حديدٍ أو قميصٌ مخلَّق[(١)]

فذكر الطَّوق، ووصَفَها بالغِناءِ والإطراب. وكذلك قال حُمَيد بن ثَور:

رَقُودُ الضُّحَى لَا تعرِف الجيرَة[(٢)] القصاَ[(٣)]   ولا الجيرةَ الأدْنينَ إلَّا تجشُّما[(٤)]

وليستْ مِنَ اللائى يكونُ حديثُها   أمَام بَيوتِ الحىِّ إنّ وإنَّما

ثمَّ قال:

وما هاج هذا الشّوقَ إلَّا حمامةٌ   دعَتْ ساقَ حُرٍّ تَرْحَةً وتَرَنُّما[(٥)]

---

(١) يقول: هو يلبس الحسام والدرع الحديد فى حال الحرب، والإزار المعصفر والقميص المخلق فى حال السلم. المخلق: المطيب بالخلوق، وهو بفتح الخاء: ضرب من الطيب.

(٢) الجيرة: جمع جار، مثل قاع وقيعة. وهم يمدحون المرأة الكريمة الخفرة بعدم زيارتها لجاراتها أو ندرة ذلك. قال أبو قيس بن الأسلت:

ويكرمها جاراتها فيزرنها   وتعتل عن إتيانهن فتعذر

وليس لها أن تستهين بجارة   ولكنها منهن تحيا وتخفر

وهذان خير ما قيل فى امرأة خفرة. الأغانى (١٥ : ١٥٩). ل: «الجيزة» تصحيف.

(٣) القصا: جمع قصوى، وهى البعيدة. وقد رسمت فى ل: «القصى» وهى كتابة جائزة، فما كان من المقصور ثلاثيا وكان أوله مكسوراً أو مضموماً، جاز أن يكتب بالياء، وإن كان أصله الواو، كما هنا. انظر المقصور ص٦.

(٤) يقال: تجشم الأمر: إذا حمل نفسه عليه وتكلفه. وفى ل: «تجنما» وهو تصحيف.

(٥) ساق حر: ذكر القمارى، أو هو صوت الحمام. وروى فى ل وكذا اللسان (حرر): «فى حمام ترنما» وأثبت ما فى ط، س، وكذا الكامل ٥٠٣ ليبسك وزهر الآداب (١ : ٢٠٢) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٦) وأدب الكاتب ٢٣ وثمار الأزهار ٧٨ والخزانة (٤ : ٢٩٩ بولاق). والترحة: ضد الفرحة.

مطوّقةٌ خطْباء(١) تصدَحَ كلما دنا الصَّيفُ وانجاب الربيعُ فأنجما(٢)

ثمّ قال بعد ذكر الطوق :

إذا شئتُ غنّتْنِى بأجزَاعِ بِيشةٍ أوالنَّخْلِ مِنْ تَثْليثَ أوبيلملما(٣)

عجبتُ لها ، أنّى يكونُ غِناؤها فصيحاً ولم تَفْغَرْ بمَنْطِقها فما

ولم أرَ محزُوناً لهُ مِثْلُ صوتِها ولا عَرَبِيًّا شاقَهُ صوتُ أعجَما

وقال فى ذكر الطّوق — وأنّ الحمامةَ نوّاحةٌ — عبدُ الله بن أبى بكر(٤) وهو شهيد يوم الطائف(٥) ، وهو صاحبُ ابن صاحِب(٦) :

---

(١) الخطباء : التى فيها خطبة ، أى سواد وبياض . وفى س فقط : « خضباء » أى محمرة الساقين، ويعزز هذه ما ورد فى الصفحة ١٩٦ س ٤ . وهى رواية العقد (٤ : ٢٨) .

(٢) انجاب الربيع : ذهب . وفى ل « وانزال » وهى صحيحة ، يقال : انزال عنه : فارقه . وأنجم : أقلع وولى . وفى س : « بأنجما » تحريف .

(٣) الأجزاع : جمع جزع بالكسر ، وهو منحنى الوادى . وبيشة ، بالكسر : بلد جنوبى مكة على خمس مراحل منها . وتثليث : بلد قريب من مكة . ويلملم : موضع على ليلتين جنوبى مكة . ويقال له أيضاً « ألملم » و « يرمرم » . وجاء فى ل : « بينملما » ولم أر هذه اللغة . وفى س : « يتلملما » وهى تحريف .

(٤) هو عبد الله بن أبى بكر الصديق ، كان عبد الله يحضر إلى رسول الله وأبى بكر وهما فى الغار ومعه أخبار قريش فيبيت عندهما ويخرج من السحر فيصبح مع قريش . وشهد فتح مكة ، وحنينا والطائف حيث أصابه حجر فى حصارها ، فمات شهيدا فى خلافة أبيه فى شوال سنة ١١ . قالوا : وترك سبعة دنانير فاستكثرها أبو بكر . المعارف ٧٥ والإصابة ٤٥٥٩ .

(٥) غزوة الطائف كانت إثر غزوة حنين فى السنة الثامنة من الهجرة . لما انهزمت ثقيف فى غزوة حنين سار إليهم الرسول وحاصرهم بالطائف نيفا وعشرين يوما ثم انصرف عنهم . وفى الأصل : « يوم الطف » وليس يصح ذلك ؛ فإن هذا اليوم كان فى سنة ٦١ من الهجرة وهو اليوم الذى قتل فيه الحسين بن على بعد وفاة عبد الله بنحو خمسين سنة . وانظر التنبيه السابق وعيون الأخبار ٤ : ١١٤ .

(٦) هذه العبارة ساقطة من ل .

فلم أرَ مثلى طلَّق اليومَ مثلهاَ ... ولا مِثْلها فى غير جرمٍ تطلَّقُ (١)

أعاتكُ لا أنْساكِ مَا هبَّتِ الصَّبَا ... وما نَاحَ قُمرِىٌّ الحمامِ المطوَّقُ

وقال جَهْم بن خَلَف ، وذكرها بالنَّوح ، والغناء ، والطَّوْقِ ، ودعوةِ نوح ؛ وهو قَوْلُه :

وقد شـاقنى نَوْحُ قُمرِيةٍ ... طرُوبِ العَشِىِّ هتوفِ الضُّحَى

من الوُرْقِ نَوَّاحةٍ باكرَتْ ... عَسِيبَ أشاءٍ بذاتِ الغَضاَ (٢)

تَغَنَّتْ (٣) عَليهِ بلحنٍ لهـا ... يُهيِّج للصَّبِّ ما قدْ مَضى

مطوَّقةٍ كُسِيتْ زِينـةً ... بدعْوةِ نوحٍ لهـا إذ دَعَا (٤)

فـلم أرَ با كِيةً مِثلها ... تبـكِّى ودَمْعَتها لا تُرَى (٥)

أضلَّتْ فُرَيْخاً فَطافَتْ لهُ (٦) ... وقد عَلِقتْه حبالُ الرَّدَى

فلما بدا اليأْسُ منهُ بَـكَتْ ... عَليهِ ، وما ذا يردُّ البُـكا

وقد صـادَهُ ضَرِمٌ مُلْحِمٌ ... خفوقُ الجناحِ حَثِيثُ النَّجَا (٧)

---

(١) يشير بذلك إلى زوجه ، عاتـكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، تزوجها وكانت حسناء جميلة فأولع بها وشغلـته عن مغازيه ، فأمره أبوه بطلاقها ، ففعل ثم تبعتها نفسه وقال هذين البيتين ، فرق له أبوه وأذن له فارتجعها . الإصابة ٦٩٢ قسم النساء ، والعقد ٤ : ١٧٥ - وقد عقد بابا لمن طلق امرأته ثم تبعتها نفسه - وتبعه الراغب الأصفهانى فى المحاضرات (٢ : ٩٩) . وانظر أخبار الظراف ٢٠ والمستطرف (٢ : ٢٢١ ، ٢٢٨) ، وعيون الأخبار (٤ : ١١٤) .

(٢) الأشاء : صغار النخل، أوعامته . والعسيب : الذى لم ينبت عليه الخوص من السعف .

(٣) ل : « فغنت » ، وما أثبت أجزل .

(٤) انظر لهذا المعنى ص ١٩٦ س ٢ .

(٥) هذا البيت أثبت فى ط بعد البيت الآتى . والوجه ما كتبت من ل ، س .

(٦) أضلته : فقدته . ل : « فطافت به » أى من أجله أيضا .

(٧) الضرم : الشديد الجوع . والملحم ، بكسر الحاء : الذى يطعم صاحبه لحم الصيد ، وبفتح الحاء : الذى يطعم اللحم ، بالبناء للمفعول . والحثيث النجا : السريع الطيران . وقد عنى به البازى أو الصقر .

حــديدُ المَـخالِبِ عارِى الوَظِيـ ـفِ ضارٍ من الوُرْقِ فيه قنا[١]
تَرَى الطَّيرَ والوحْشَ مِن خَوفه جِوامزَ[٢] مــنه إذا ما اغتدى

(نزاع صاحب الدِّيك فى الفخر بالطوق)

قال صاحب الديك : وأمَّا قوله :

مطوَّقة كساها اللهُ طوقاً ولم يخْصُصْ به[٣] طيرًا سِوَاها

٦٢ كيف لم يخصُصْ بالأطواق[٤] غيْرَ الحمام ، والتَّدارِجُ أحقُّ بالأطواق وأحسنُ أطواقاً منها ، وهى فى ذُكورتها أعمّ ؟ ! وعلى أنّه لم يصف بالطَّوق الحمامة التى فاخرتم بها الدِّيك ؛ لأنَّ الحمامة ليست بمطوَّقة ، وإنما الأطواقُ لذكورة[٥] الوارشين [وأشباه الوارشين ، من] نوائح الطَّير وهواتِفها ومغنِّياتها . ولذلك قال شاعرُكم ، حيث يقول[٦] :

---

(١) الورق : جمع أورق ، وهو ما فى لونه بياض إلى سواد . وفى ل : « الزرق » ومما جاء فى وصف الصقر بالزرقة قول ذى الرمة :

نظرت كما جلى على رأس رهوة من الطير أقنى ينفض الطل أزرق

والقنا : نتو وسط قصبة الأنف وضيق المنخرين ، وهذا فى الفرس عيب وفى الصقر والبازى مدح . س : « قشا » تحريف .

(٢) جوامز : من جمز إذا عدا .

(٣) فى الأصل : « بها » والضمير عائد إلى الطوق .

(٤) ل : « بالطوق » .

(٥) ط ، س : « للذكورة » وصوابه فى ل .

(٦) الشعر لعبد الله بن أبى بكر كما سبق فى ص ١٩٩ .

أعاتكَ لا أنساكِ ما هبَّتِ الصَّبَا وما ناحَ قُمْرِيُّ الحمَامِ المطوَّقُ[١]

وقال الآخر[٢] :

وقــد شاقنى نوحَ قُمــريَّةٍ طَروبِ العَشِيِّ هَتُوفِ الضُّحى

ووصفها فقال :

مطوَّقــةٍ كُسِيت زِينــةً بدَعوةِ نوحٍ لهــا إذْ دَعا

فإن زعمتم أنّ الحمامَ والقمْرِىَّ واليمامَ والفواخِتَ والدَّبَاسِىَّ[٣] والشَّفانِينَ والوَرَاشِينَ حمامٌ كلُّه ، قلنا : إنَّا نزعم أنّ ذكورةَ التَّدَارِجِ وذكورةَ القَبَج ، وذكورةَ الحجَلِ ديوكٌ كلها . فإنْ كان ذلك كذلك ، فالفخْرُ بالطَّوق نحن[٤] أولى به .

قال صاحب الحمام : العرب تسمِّى هذه الأجناسَ كلها حماماً ، فجمعوها بالاسم العامّ ، وفرَّقوها بالاسم الخاص ، ورأينا صُورَها متشابهة[٥] وإن كانَ فى الأجسامِ بعضُ الاختلافِ ، وفى الجُثَث بعض الائتلاف[٦] وكذلك المناقير . ووجدناها تتشابه[٧] من طريق الزِّواج ، ومن طريق

---

(١) بدل هذا الشطر الأخير فى كل من ط ، س كلمة : « البيتين » .

(٢) هو جهم بن خلف كما سبق فى ص ١٩٩ . ل : « ثم قال الآخر » .

(٣) الدباسى : جمع دبسى بفتح الدال أو ضمها ، وهو من أنواع الحمام الوحشى ط ، س : « الديسى » ل : « الدبسى » والوجه فيه ما كتبت .

(٤) ل : « ونحن » .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وفى الجثث كذلك » .

(٧) ط فقط : « تشابه » بحذف التاء الأولى .

الدُّعاء والغناء والنَّوح ، وكذلك هى فى القُدودِ وصُورِ الأعناق ، وقصب الريش ، وصِيغَة[١] الرُّءوس والأرجل والسُّوق والبَرَاثِنِ[٢] . والأجناسُ التى عددتم ليس يجمعها اسمٌ ولا بلدةٌ ، ولا صورةٌ ولا زِواج . وليس بين الدِّيَكة وبينَ تلك الذُّكورةِ نسبٌ إلّا أنّها من الطَّير الموصوفة[٣] بكَثْرةِ السِّفاد ، وأنَّ فِراخَها وفرارِيجها تخرُج من بيضها كاسية [كاسبة] . والبطُّ طائرٌ مثقل ، وقد ينبغى أن تجعلوا فرخَ البطَّة فَرُّوجاً ، والأنثى دجاجةً والذَّكرَ دِيكا ، ونحنُ نجد الحمامَ ، ونجد الوراشين ، تتسافد وتتلاقح ، [ويجىء منها الراعبىُّ والوردانىُّ ؛ونجد الفَواخِت والقمارىّ تتسافد وتتلاقح] ، مع ما ذكرنا من التشابُه فى تلك الوجوه . وهذا كلُّه يدلُّ على أنَّ بعضها من بعْضٍ كالبُخْتِ والعراب ونتائج مابينهما[٤] ، وكالبراذين والعِتاق ، وكلها خيلٌ ، وتلك كلها إبل . وليس بين التَّدارج والقَبَج والحجَلِ والدَّجاجِ هذه الأمورُ التى ذكرنا

وعلى أنَّا قد وجدْنَا الأطواقَ عامّةً فى ذواتِ الأوضاح مِنَ الحمام ، لأنَّ فيها من الألوان ، ولها من الشِّياتِ وأشكالِ [و][٥] ألوان الريش ما ليس لغيرها من الطَّير . ولَوْ احْتَجَجْنا بالتَّسافدِ دونَ التَّلاقُح ، لكان لقائل مقال ، ولكنَّا وجدنَاهَا تجمع[٦] الخصلتين ، لأنَّا قدْ نجِدُ سُفهاءَ ٦٣

(١) الصيغة ، بالكسر : الهيئة والخلقة . وفى ط ، س : « وصفة » .
(٢) البراثن : جمع برثن ، وهو بمنزلة الإصبع من الإنسان .
(٣) ل : « الموصوف » .
(٤) ل : « وتناتج بينها » تحريف .
(٥) هذا الحرف ليس بالأصل .
(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وجدنا مايجمع » .

النّاس ، ومن لايتقذّر[١] من الناس والأحداث[٢] ومن تشتدُّ غلمته عند احتلامه ، ويَقِلُّ طرُوقُه[٣] ، وتطول عُزبته[٤] ؛ كالمعْزِب[٥] من الرِّعاء[٦] فإنّ هذه الطَّبَقَةَ من النّاس ، لم يَدَعوا[٧] نَاقَةً ، ولا بقرَةً ، ولا شاةً ، ولا أتاناً ، ولا رَمَكَةً ، ولا حِجْراً ، ولا كلبةً ، إلّا وقد وقعوا عليها .

ولَوْلَا أَنَّ فى نفوسِ النَّاس وشَهوَاتِهمْ ما يدعو إلى هذه القاذورة[٨] ، لَما وجدْتَ هذا العمَلَ شائعاً فى أهل هذه الصفة[٩] ، ولَوْ جمعتَهم لجمعتَ أكثَرَ من أهلِ بغْدَادَ والبصرة . ثم لم يُلقِحْ واحد[١٠] منهم شيئاً من هذه الأجناس على أنّ بَعض هذه الأجناس يتلقى[١١] ذلك بالشَّهوةِ المفْرطة .

ولقد خبَّرنى من إخوانى من لا أَتّهِمُ خَبَرَه أنّ مملوكاً كان لبعض أهل القَطيعة — أعنى قطيعة الربيع[١٢] — وكان ذلك المملوكُ يَكومُ بغلةً

---

(١) ل ، س : « يتقزز » ، ومعنياهما متقاربان .

(٢) ل : « من الأحداث » .

(٣) الطروق : مصدر طرق الفحل الأنثى . وفى الأصل : « تقل طروقته » والطروقة بالفتح : المرأة ، وبهذه يفسد المعنى .

(٤) العزبة ، بالضم : ألا يكون للمرء أهل .

(٥) المعزب: الذى أبعد بماشيته .

(٦) الرعاء ، بضم الراء وكسرها : جمع راع ، ومثله الرعاة . وبهذه الأخيرة جاءت الرواية فى ل.

(٧) ط ، س : « لم يرعوا » ، وليست ترعى الكلبة.

(٨) القاذورة : الفعل القبيح .

(٩) ل : « فى هذه الصفة » ولعل صوابهما : « فى هذه الطبقة » .

(١٠) ل : « أحد » .

(١١) على بمعنى مع . وفى ط ، س : « وعلى أنها تتلقى ذلك بالشهوة المفرطة » .

(١٢) القطيعة : ما يقطعه الأمير الناس من الأرض التى لاملك لأحد عليها ، ولا عمارة توجب ملكا لأحد . ويظهر أن أول من توسع فى هذا النظام فى الإسلام هو الخليفة المنصور . معجم البلدان (قطيعة) . وقد تحدث الماوردى فى الأحكام السلطانية (١٦٨ — ١٧٥) حديثا مسهبا فى هذا النظام . والربيع هذا هو الربيع بن يونس حاجب المنصور ومولاه ، وهو والد الفضل وزير المنصور ، وهذه القطيعة كانت بكرخ بغداد . معجم البلدان .

وأنّها كانت تودق وتتلمّظ(١) وأنّها(٢) فى بعض تلك الوَقَعاتِ تأخَّرَتْ وهو موعبٌ فيها ذكرَه تطلبُ الزيادة، فلم يَزَل المملوكُ يتأخّرُ وتتأخّرُ البغْلة حتّى أسندتْه إلى زاوية مِنْ زَوايا الإصطبل، فاضّغَطتْه حتّى بَرَدَ(٣)، فدخل بعضُ من دخل فرآه على تلك الحال(٤) فصاح بها [فتنحّتْ] وخرّ الغلام مَيّتاً(٥).

وأخبرنى صديقٌ لى قال: بلغنى عن بِرْذَوْنٍ لزُرْقان(٦) المتكَلِّم، أنّهُ كان يدربخ(٧) للبغال والحمير والبراذين حتى تكومَهُ، قال: فأقبلت يوماً فى ذلك الإصطبل، فتناولت المجرفة(٨)، فوَضعَتُ رأس عودِ المِجْرَفَة(٨) على

---

(١) تودق: تريد الفحل. ل: «تتودق». تتلمظ: تخرج لسانها كتلمظ الآكل. ط س، : «تلمظ».

(٢) ط: «فإنها» ووجهه فى ل، س.

(٣) «اضغطته» بقلب تاء الافتعال ضادا، شذوذ صرفى، قياسه: اضطغطته. وحكى صاحب اللسان: «اضتغط». قال: «والقياس اضطغط». ولم أرها إلا متعدية بعلى. وبرد: مات.

(٤) ل: «فاذا هو على تلك الحال».

(٥) ل: «فخر العبد ميتا». خر: سقط.

(٦) زرقان هذا هو غلام إبراهيم بن سيار النظام وتلميذه، واسمه محمد بن شداد بن عيسى، كما فى معجم البلدان (المسامعة). وقد حكى زرقان عن النظام أقوالا فى الفرق ٥٠ - ٥١ وقد عده المسعودى فى التنبيه والإشراف ٣٤٢. ط، س: «لوزقان» ل: «لذرقان» وهو تحريف.

(٧) يدربخ لها: يطاوعها فيما تطلب منه، وأصل ذلك فى الحمام. وفى ط، س: «يشمع» ومؤداهما واحد.

(٨) المجرفة: المكنسة وزنا ومعنى. ط، س: «المحرفة» تصحيف ما فى ل.

مَرَاثِه[١] وإنّه لأكْثَرُ مِن ذِرَاعٍ ونصف[٢] ، وإنه خَشِنٌ غليظٌ غير محكوك [الرأس] ولا مُمَلَّسِه[٣] ، فدفعْته حتى بلغ أقصى العود ، وامتنع من الدُّخول ببدن المِجْرفة . فحلَفَ أنّه ما رآه تأطّرَ ولا انثنى .

قال صاحب الحمام : فهذا فرق مابيننا وبينكم .

(ما وصف به الحمام من الإسعاد وحسن الغناء والنوح)

ونَذْكر[٤] ماوُصِف به الحمامُ من الإسعاد[٥] ، ومن حُسْن الغِناء والإطراب والنَّوح والشَّجَا[٦] . قال الحسن بن هانئ :

إذا ثَنَتْه الغصون جلَّلنى ... فَينانُ مَافى أدِيمه جُوَبُ[٧]

---

(١) الكلام من : « فوضعت » ساقط من ل . والمراث : مخرج الروث .

(٢) ط ، س : « وهو أكثر » الخ . وما أثبت من ل أشبه بالكلام .

(٣) ط ، س : « ولا ملين » .

(٤) فى الأصل : « وذكر » .

(٥) الإسعاد : المعاونة والمشاركة فى البكاء والنوح . والعرب يعرفون ذلك من الحمام . والشعر الآتى وما بعده ناطق به . وفى الأصل : « الأشعار » وهو تحريف خفى ؛ صوابه ما أثبت .

(٦) الشجا : التطريب . ل : « الشجى » ومادته واوية .

(٧) ثنته الغصون ، يعنى ظل العنب . جللنى : غطانى . والفينان : أصله الحسن الشعر الطويله ، وأراد به الغصون المشبهة بالشعر . والجوب : جمع جوبة بالفتح بمعنى الفجوة . وفى ط ، س والديوان : « جرب » وما أثبت من ل أجود وأصح . وقبل هذا الأبيات فى الديوان ٢٤٢ :

قطربل مربعى ولى بقرى الكر ... خ مصيف وأمى العنب

ترضعنى درها وتلحفنى ... بظلها والهجير يلتهب

تبيتُ فى مأتمٍ حمائمـهُ كما تُرِنُّ الفواقدُ السُّلُبُ[١]
يَهبُّ شوقى وشوقهُنَّ معاً كأنَّما يستخفُّنا طرب[٢]

وقال آخر[٣] :

لقد هَتَفتْ فى جُنحِ لَيل حَمامةٌ على فَنَنٍ وهناً[٤] وإنِّى لَنائمُ
فقلتُ اعتذاراً عند ذاكَ وإنّنى[٥] لنفسى مِمّا قد سَمِعتُ لَلائمُ
كذبتُ وبيتِ اللهِ لوكنتُ عاشقاً لمـا سَبَقَتْنِى بالبُـكاءِ الحَمَائمُ

٦٤ وقال نصيب :

ولو قَبْلَ مَبْـكاها بَـكَيتُ صبابَةً بسُعدى شَفَيت النّفسَ قبلَ التندُّمِ
ولـكنْ بَـكَتْ قَبلى فهيَّج لى البُـكا بُـكَاها فقلتُ الفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ

وقال أعرابى :

عليكِ سَلامُ اللهِ قاطعةَ القُوى[٦] على أنَّ قَلبى للفِراق كليمُ

---

(١) ترن : من الإرنان ، وهو الصياح والتصويت . وفى ل : « ترثى » وهى صحيحة ، يقال رثى الميت ورثاه ، بالتشديد : بكاه وعدد محاسنه . وفى الديوان : « تراعى » وهى رواية غير مقبولة . الفواقد : جمع فاقد ، وهى التى مات زوجها أو ولدها . والسلب بمعنى الفواقد، جمع سلوب .

(٢) كذا فى ل والديوان . وفى ط ، س : « الطرب » . وهذا البيت هو الثانى فى ط . وصواب الترتيب ما أثبت من ل ، س والديوان .

(٣) هو نصيب الأكبر مولى بنى مروان ، كما فى حماسة أبى تمام (٢ : ٩٧) .

(٤) الوهن : نحو نصف الليل ، أو بعد ساعة منه . وفى ط ، س : « تبكى » وأثبت مافى ل والحماسة .

(٥) ط : « ذا عندك » وهو تحريف مطبعى صوابه فى س والحماسة . وهذا البيت ساقط من ل .

(٦) قوى الحبل : طاقاته، جمع قوة ، . أراد أنها قطعت حبل وده .

قريحٌ بتغريدِ الحمامِ إذا بكث[1]   وإن هبَّ يوماً للجَنُوبِ نَسِيم[2]

[وقال] المجنونُ ، أو غيره :

ولو لم يَهِجْنى[3] الرائحون لَهَاجَنِى   حمائمُ وُرقٌ فى الدِّيارِ وُقوعُ

تَجاوَبْنَ فاستبْكَيْنَ من كانَ ذا هوًى   نوائِحُ لا[4] تجرِى لهنَّ دُموعُ

[وقال الآخر] :

ألا ياسَيَالاتِ الدَّحائِلِ[5] باللِّوى[6]

عليكنَّ من بَيْنِ السَّيالِ سَلامُ

أرَى الوَحْشَ آجالًا[7] إليكنَّ بالضحى

لهنَّ إلى أفيائكنَّ[8] بُغام[9]

---

(١) ل ، « يقرفه نوح الحمام إذا دعا » . يقال قرف الجرح : قشره قبل أن يبرأ .

(٢) ل : « وإن هب من ريح الجنوب نسيم » . س : « أو أن يهب للجنوب نسيم » .

(٣) ل : « ترعنى » وصواب هذه الرواية : « يرعنى » .

(٤) ل : « ما » .

(٥) الدحل بالفتح : نقب فى الأرض ضيق فه ، ثم يتسع أسفله حتى يمشى فيه ، وهو أشبه ما يكون بهذه المخابئ الصناعية التى يحتمى بها الناس وقت الحرب . والجمع أدحل وأدحال ودحال ودحول ودحلان . وجمع الجمع دحائل . والدحائل هنا فى البيت لعلها اسم موضع بعينه ، كما قال ياقوت . وجاءت محرفة فى الأصل، فهى فى ط : « الأخايل » و س : « الأحايل » و ل : « الدخايل » . والصواب ماأثبت من معجم البلدان حيث وردت الأبيات . والسيالات : جمع سيالة ، كسحابة ، وهى واحدة السيال ، نبات له شوك أبيض طويل إذا نزع خرج منه شبه اللبن .

(٦) ل : « بالضحى » ووجه الرواية ما أثبت من ط ، س والمعجم .

(٧) آجال : جمع إجل ، بالكسر ، وهو القطيع من بقر الوحش . ط ، س : « اجلالا » وهو تحريف . ورواية المعجم : « أرى العيس آحادا » .

(٨) الأفياء : جمع فىء ، وهو الظل . ط فقط : « أفنانكن » تحريف يتهافت به البيت . ورواية المعجم : « أطلالكن » .

(٩) البغام : التصويت . ل : « نام » وضبطت بضم النون ، ولم أرلها وجها .

وإنّى لمجلوبٌ لىَ الشّوقُ كلما ... ترَنّمَ فى أفنانكنَّ[1] حَمامُ

وقال عمرُو[2] بن الوليد :

حال مِنْ دونِ أنْ أحلَّ بهِ النّأ ... يُ وصَرْفُ النّوَى وحَرْبٌ عُقَامُ[3]

فتبدَّلْتُ من مَسَاكِنِ قَوْمى ... والقصور التى بها الآطامُ

كلَّ قصرٍ مشيَّدٍ ذى أواسٍ[4] ... تتغنّى على ذُراه الحَمامُ

وقال آخر[5] :

ألا يا صَبَا نجدٍ متى هِجْتَ مِن نَجدِ ... فقد هاجَ لى مَسراكَ وجداً على وَجْدِ[6]

أأن هَتَفتْ ورقاءُ فى رَوْنقِ الضُّحَى ... عَلَى غُصُنٍ غضٍّ النَّباتِ مِن الرَّنْدِ[7]

---

(١) س : « أفيائكن » تحريف .

(٢) ل : « عمر » وصوابه ما أثبت من ط ، س والأغانى (١ : ٦) ، وكذا ذكره المرزبانى فى الشعراء ٢٤٠ فيمن اسمه « عمرو » من الشعراء . وهو عمرو ابن الوليد بن عقبة بن أبى معيط الأموى ، وقد غلب عليه لقب : « أبو قطيفة » . وكان يكثر القول فى حنينه إلى وطنه بالمدينة ، لما أخرجه ابن الزبير عنها مع من أخرج من بنى أمية ونفاهم إلى الشام . وفى ذلك يقول الأبيات الآتية . وقبلها :

ليت شعرى وأين منى ليت ... أعلى العهد يلبن فبرام

أم كعهدى العقيق أم غيرته ... بعدى الحادثات والأيام

وبأهلى بدلت عكا ولخما ... وجذاما وأين منى جذام

(٣) ل : « أصل به النأى » محرف . والحرب العقام ، بضم العين ، وفتحها : الشديدة .

(٤) أواس : جمع آسية ، على فاعلة : وهى الدعامة أو السارية . ويروى : « أواش » قال أبو الفرج : كأنه أراد به أن هذه القصور موشية أى منقوشة .

(٥) هو عبد الله بن الدمينة الخثعمى ، كما فى الحماسة (٢ : ١٠٠) . والأبيات فى ديوان ابن الدمينة ٢٩ ثم ٢٨ .

(٦) الصبا ، بالفتح : الريح الشرقية . ل : « جهداً من الجهد » .

(٧) أأن : أى ألأن ؟ ورواية الديوان والحماسة : « على فنن » . والرند : شجر طيب الرائحة .

بكيتَ كما يبكِي الوليدُ ولم تكنْ
جَليداً وأبْدَيتَ الذى لم تكنْ تُبدى[١]

وقد زعموا أنّ المحبَّ إذا دنَا[٢] يُمَلُّ، وأنّ النّأىَ يشفِى منَ الْوَجْد
بكلٍّ تَدَاوَيْنا فلم يَشْفِ ما بنا عَلَى أنّ قربَ الدّارِ خيرٌ من البُعْد[٣]

(أنساب الحمام)

وقال صاحب الَحمام : للحمام مجاهيل ، ومعروفات ، وخارجيَّات ، ومنسوبات . والذى يشتملُ عليه دواوينُ أصحاب الَحمام أكثرُ من كتب النَّسب التى تضاف إلى ابن الـكلبيِّ ، والشَّرقىِّ بن القطامىِّ ، وأبى اليقظان[٤] ، ٦٥ وأبى عُبيدة النحوىِّ ؛ بل إلى دَغْفَلِ بن حنظلة ، وابن لسان الُحمَّرَة[٥] ، بل إلى صُحارِ العبدىِّ . وإلى أبى السَّطّاح اللّخمى[٦] ، بل إلى النَّخّار

(١) الجليد : الصبور . ط ، س : « كنت لاتبدى » وأثبت رواية ل والحماسة والديوان .

(٢) ط ، س : « نأى » وهو تحريف يفسد المعنى ، وهو على الصواب فى ل والحماسة والديوان .

(٣) بعد هذا البيت – وكان جديراً بالجاحظ أن يثبته ؛ لأنه يتمم المعنى – :

على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه ليس بذى ود

(٤) فى الأصل : « ابن أبى اليقظان » ، والصواب ما أثبت . وانظر ترجمة أبى اليقظان فى الجزء الثانى ص ١٠ .

(٥) سبقت ترجمته فى (٢ : ٢٠٠) ، وترجمة صحار فى (١ : ٩٠).

(٦) وكذا فى البيان (١ : ٣٦٢) وفى بعض نسخ البيان : « أبو الشطاح » ، وفى الفهرست ١٥٦ : « ابن النطاح » ، وذكر أن اسمه محمد بن صالح .

العذرىّ[1] ، وصُبح[2] الطائىّ ، بل إلى مشجور[3] بن غيلان الضبىّ ، وإلى سَطِيح الذئبىّ ، بل ابن شريّة الجُرْهُمىّ[5] ، وإلى زيد بن الكيِّس النَّمَرىّ ؛ وإلى كلّ نسَّابةٍ راويةٍ ، وكلّ متفنِّن علّامة .

ووصف الهذيل المازنىّ ، مثنّى بنَ زُهيرٍ وحفظَه لأنساب الحمام ، فقال : والله لهو أنسَبُ من سعيد بن المسيِّب ، وقَتادةَ بن دِعامة[6] للنّاس ، بل هو أنسبُ من أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه ! لقد دخلت على رجلٍ

---

(١) النخار العذرى ، هو النخار بن أوس ، قال فيه صاحب القاموس : « أنسب العرب » . وكان معاصرا لجميل الشاعر ، وقد هجاه بشعر فى الأغانى (٧ : ٩٥) وقد ذكر الجاحظ فى البيان (١ : ١٠٥) علة تسميته بالنخار : قال : « كان إذا تكلم فى الحمالات ، وفى الصفح والاحتمال ، وإصلاح ذات البين ، وتخويف الفريقين من التفانى والبوار — كان ربما ردد الكلام على طريق التهويل والتخويف ، وربما حمى فنخر » . وفى البيان (١ : ٢٣٧) خبر طريف له مع معاوية . وانظر تلطف معاوية معه فى البيان (١ : ٣٣٣) .

(٢) ل : « صلح » وفى البيان (١ : ٣٠٤) : « صبح الحنفى » .

(٣) ط : « ميجور » س : « متجوز » وصوابه ما أثبت من ل والقاموس والبيان (١ : ٣٤١) . وفيه يقول القلاخ بن حزن المنقرى :

إذا قال بذ القائلين مقاله ويأخذ من أكفائه بالمخنق

وجرير فيه هجاء . انظر ديوانه ٢٣٣ .

(٤) سطيح الذئبى ، قال ابن إسحق فى السيرة ٤٧ جوتنجن : « وكانت العرب تقول لسطيح : الذئبى ؛ لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب » . وسطيح هذا هو الكاهن الجاهلى ، وهو وشق الكاهن المعاصر له ، كانا قد طلبهما ربيعة ابن نصر ملك اليمن ليعبرا له رؤيا هالته — زعموا — فاتفقا فى تعبير الرؤيا وبشرا برسالة الرسول الكريم ، بأسجاع تجدها فى أوائل السيرة . ط ، س : « الديلى » ، وهو تحريف صوابه فى السيرة والبيان (١ : ٢٩٠) . وقد ذكر فى المعمرين ص ٤ .

(٥) هو عبيد بن شرية — ويقال سرية ، ويقال سارية — الجرهمى ، أحد معمرى العرب وأدرك الإسلام فأسلم ، وقدم على معاوية بن أبى سفيان ، وجرى بينهما حديث طويل طريف تجده فى معجم الأدباء (١٢ : ٧٣) والمعمرين ٣٩ . وهو أول من نسب إليه كتاب فى التاريخ من المسلمين . انظر الفهرست ٨٩ ليبسك ١٣٢ مصر . وشرية ، بوزن عطية ، كما فى الإصابة ٦٣٩١ .

(٦) هو قتادة بن دعامة السدوسى البصرى ينتهى نسبه إلى الحارث بن سدوس ، ولد =

أعرفَ بالأمّهاتِ المنْجبات من سُحَيم بن حفص[1] ، وأعرفَ بما دخلَها من الهُجْنة والإقراف ، من يُونسَ بنِ حبيب .

(مما أشبه فيه الحمام الناس)

قال : ومِمَّا أشبَهَ فيه الحمامُ النَّاسَ فى الصُّوَر والشَّمائِلِ ورقّة الطباع ، وسُرعة القَبول والانقلاب[2] ، أنّك إذا كنتَ صاحبَ فِراسةٍ ، فمرَّ بك رجالٌ بعضُهم كوفىٌّ ، وبعضُهم بَصرىٌّ ، وبعضُهم مَدَنِىٌّ[3] ، وبعضهُم شامىٌّ وبعضُهم يمانىٌّ ، لم يَخْفَ عَليك أُمورهم فى الصُّوَر والشمائِلِ والقُدودِ والنَّغم أيّهم[4] بصرىٌّ ، وَأيُّهم كوفىٌّ ، وَأيّهم شامىٌّ ، وَأيهم يمانىٌّ ، وَأيهم مدنىٌّ . وكذلك الحمام ؛ لا[5] تَرَى صاحبَ حَمامٍ تخفَى عليه نسب الحمام[6] وجنسها وبلادُها إذا رآها .

= أعمى ، وكان تابعيا عالما كبيرا نسابة ، وكان ذا علم فى القرآن والحديث والفقه ، أخذ عن الحسن البصرى وابن سيرين . وقد أثر عنه النسيان : قال يوما : مانسيت شيئاً قط ! ثم قال : ياغلام ناولنى نعلى . فقال : نعلك فى رجليك ! ! ولد سنة ٦٠ وتوفى سنة ١١٧ فى أيام هشام بن عبد الملك . وفيات الأعيان ، ومعجم الأدباء ، والمعارف .

(١) هو أبو اليقظان الذى سبقت ترجمته فى (٢ : ١٠) .

(٢) ط ، س : « للألقاب » .

(٣) كذا فى ط ، س وهو الوجه . جاء فى معجم البلدان : « والمشهور عندنا أن النسبة إلى مدينة الرسول ، مدنى ، مطلقاً . وإلى غيرها من المدن ، مدينى ؛ للفرق لا لعلة أخرى . وربما رده بعضهم إلى الأصل فنسب إلى مدينة الرسول أيضاً مدينى ». وفى ل : « مدينى ».

(٤) ط ، س : « أنه » مكان « أيهم » فى مواضعها الخمسة .

(٥) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط ، س : « ألا » .

(٦) ط ، س ، « جماعته » .

(مبلغ ثمن الحمام وغيره)

وللحمام من الفضيلة والفخْر ، أنَّ الحمامَ الواحدَ يباعُ بخمسمائة دينار ، ولا يبلغ [1] ذلك بازٍ ولا شاهينٌ ، ولا صقرٌ ولا عُقاب ، ولا طاوس ، ولا تَدْرَجٌ ولا ديكٌ ، ولا بعيرٌ ولا حمارٌ ، ولا بغلٌ . ولو أردْنَا أن نحقِّقَ الخبرَ بأنَّ برذوناً أو فرَساً بيع بخمسمائة دينار ، لما قدَرْنَا عليه إلاَّ فى حديث السَّمَر [2] .

وأنت إذا أردْتَ أن تتعرَّف مبلغَ ثمنِ الحَمام الذى جاء من الغايَةِ ، ثمَّ دخلْتَ بغدادَ والبصرةَ وجدْتَ ذلك بلا معاناة . وفيه أنَّ الحمام إذا جاء من الغاية بيع الفَرخُ الذَّكرُ من فراخه بعشرين ديناراً أو أكثر ، وبيعَت الأنثى بعشرة دَنَانير أو أكثر ، وبيعَت البيضة بخمسة دنانير . فيقوم الزَّوج منهما [فى الغَلَّةِ] مقام ضيعة ، وحتى [3] ينهَضَ بمُؤْنَة العِيال ، ويَقضىَ الدَّين ، وتبنى من غلاَّتِه وأثمانِ رقابهِ الدُّورُ الجياد [4] ، وتُبتاع الحوانيتُ المغِلَّة . هذا ؛ وهى فى ذلك الوقتِ مَلْهًى عجيبٌ ، ومنظرٌ أنيق ، ومعتَبَرٌ لمنْ فكَّر ، ودليلٌ لمن نظرَ [5] .

---

(١) ل : « ولم » .

(٢) السمر ، أصله الحديث ليلا . ولكنه يراد به فى مثل هذا الموضع حديث الخرافة . وقد جعل ابن النديم الخرافة والسمر مترادفين فى الفهرس (المقالة الثامنة) .

(٣) ط ، س : « حتى » .

(٤) ط ، س ونهاية الأرب (١٠ : ٢٧٥) : « والجنان » ، جمع جنة ، والجنان ليست مما يبنى . وصوابه فى ل ونثار الأزهار ٩٣ .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(عناية الناس بالحمام)

ومن دخل الحَجَر ورأى قصورَها[1] المبنيَّة لها بالشَّامات[2] وكيف اختزانُ[3] تلك الغلاَّت ، وحِفْظَ[4] تلك المئونات ؛ ومن شهد أربابَ الحمام ، وأصحابَ الهُدَّى[5] وما يحتملون فيها من الكُلف الغِلاظِ أيَّامَ الزَّجْل ، فى حملانها على ظهور الرِّجال ، وقبل ذلك فى بُطون السفن ، وكيف تُفْرَدُ 66 فى البيوت ، وتجمع إذا كان الجمع أمثل ، وتفرَّقُ إذا كانت التَّفرِقَةُ أمثل[6] وكيف تُنقلُ[7] الإناثُ عن ذُكورتِها ، [وكيفَ تنقَلُ الذُّكورَةُ عن إناثها] إلى غيرها ، وكيف يُخافُ عليها الضَّوَى[8] إذا تقاربت أنسابُها ، وكيف يُخاف على أعراقِها من دخول الخارجيَّات فيها ، وكيف يحتاط[9] فى صحَّة طَرْقها و نَجْلها[10] ؛ لأنَّهُ لاَ يُؤْمَن[11] أن يقمُط الأنثى ذكرٌ من

(١) الحجر ، بالتحريك ، هو حجر شغلان ، كسلطان : حصن فى جبل اللكام قرب أنطاكية . والقصر : المنزل ، أو كل بيت من حجر .
(٢) الشامات هى بلاد الشام ، وتشمل الثغور ، وهى المصيصة وطرسوس وأذنة وأنطاكية ، وجميع العواصم من مرعش والحدث وبغراس وغير ذلك . ط ، س : « بالسامان » محرف .
(٣) ط ، س : « اقتران » ، ل : « أقدار » ، والوجه فيه ما أثبت .
(٤) ل : « وخفة » تحريف .
(٥) انظر ماأسلفت من تحقيق هذه الكلمة (٢ : ٧٩) فى التنبيه الثالث .
(٦) هذه الجملة ليست فى ل .
(٧) ط ، س : « تغفل » ، وصوابه فى ل .
(٨) الضوى : الهزال والدقة والضعف . ط ، س : « يحتال » .
(٩) ط ، س : « يحتال » .
(١٠) النجل : النسل وزنا ومعنى .
(١١) فى الأصل : « يأمن » .

عُرْضِ الحمام ، فيضربَ فى النَّجلِ بنصيبٍ ، فتعتريه الهُجنة — والبيضة عند ذلك تنسب إلى طَرْقها[1] . وهم لا يحوطون أرحام نسائهم كما يحُوطون أرحامَ المنْجِبات من إناثِ الحمام . [ومن شهد أصحاب الحمام] عند زَجْلها من الغاية ، والذين يعلّمون[2] الحمامَ كيف يختارون لصاحب العلامات ، وكيفَ يتخَيَّرُون الثِّقة وموضعَ[3] الصِّدقِ والأمانَةِ ، والبُعدِ من الكَذِب والرّشوة ، وكيفَ يتوخَّوْن ذَا التَّجربَة والمعرفة اللَّطيفة ، وكيف تسخو أنفسُهمْ بالجعالة[4] الرَّفيعة ، وكيف يختارون لحملها من رجال الأمانةِ والجَلَدِ والشَّفَقَةِ والبَصَر وحُسْنِ المعرفَةِ — لعَلِم عند ذلك[5] صاحب الدِّيك والكلب أنَّهما لا يجريان فى هذه الحلبةِ ، ولا يتعاطيانِ هذه الفضيلة[6] .

(بعض خصائص الحمام)

قال : وللحمام من حسنِ الاهتداء ، وجودَةِ الاستدلاَلِ ، وثَباتِ الحِفْظِ والذِّكْر ، وقوّةِ النِّزاع إلى أربابه ، والإلف لوطنه ، [ماليس لشىء]

---

(١) طرقها : أى طارقها ، وهو فحل الأنثى .

(٢) ل ، ط ، « يعملون » وهو تحريف ظريف ، صوابه فى س .

(٣) ط ، س : « فى موضع »، ووجهه ما أثبت من ل .

(٤) الجعالة ، مثلثة : ماجعل للإنسان فى مقابل عمله .

(٥) لعلم : جواب : « ومن دخل الحجر . . » الخ فى ص ٢١٣ . ط ، س : « ذلك عند » وصوابه من ل .

(٦) ط ، س : « القضيه »، بمعنى الحكم .

وكفاك اهتداءً ونزاعاً أن يكون طائرٌ من بهائم الطير ، يجيء من بَرْغَمَة[1] ، لا بَلْ من العليق ، أو من خَرشنة[2] [أ] وْ من الصفصاف[3] ، لاَ بَلْ من البَغْراس[4] ، ومن لؤلؤة[5] .

ثمَّ الدَّليلُ على أنه يَستدلُّ بالعقلِ والمعرفة ، والفِكرةِ[6] والعناية ، أنَّه إنما يجيء من الغايةِ على تدريج وتَدْريبٍ وتنزيل[7] . والدليل عَلَى علم أربابهِ بأنَّ تلك المقدَّمات قد نَجَعنَ فيه ، وعملن فى طِباعه ، أنَّهُ إذا بلغ الرَّقَّة غمَّروا بهِ بكَرّةٍ[8] إلى الدَّرب وما فوقَ الدَّرْب من بلاد الرُّوم ، بل لا يجعلون ذلك تغميراً[9] ؛ لمكان المقدَّمات والترتيبات التى قد عُمِلت فيه وحَذْقته ومَرَّنته .

---

(١) برغمة : مدينة من بلاد الروم . ذكرها ابن بطوطة فى رحلته (١ : ٢٣١) . وضبطت بباء موحدة مفتوحة ، وراء مسكنة وغين معجمة مفتوحة وميم مفتوحة . ط ، س : « ركة » ل : « رعة » . ولعل صوابهما ما أثبت .

(٢) خرشنة : بلد قرب ملطية من بلاد الروم . معجم البلدان . وفى ط ، س : « حوساء » .

(٣) الصفصاف : كورة من ثغر المصيصة والمصيصة . من ثغور الشام ، بين أنطاكية وبلاد الروم . والمراد ببلاد الروم مايعبر عنه اليوم بتركية آسيا .

(٤) بغراس ، بالفتح : مدينة فى لحف جبل اللكام — بضم اللام — بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ . وفى الأصل : « النقراس » ، وهو تحريف ما أثبت من المعجم والقاموس . وهذه الكلمة وكلمة و« من » بعدها ساقطتان من ل .

(٥) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٧) كذا فى ل . وفى ط : « عن التدريج والتدرب والتنزيل » وفى س مثل مافى ط مع إبدال كلمة : « والتدرب » بجعلها : « التدريب » .

(٨) غمروا به : دفعوا به . فى ط ، س : « غمزوا أنه قطرة » ، وهو تحريف صوابه فى ل .

(٩) ط ، س : « تغميزا » ، وهو تصحيف ما فى ل .

ولو كان الحمام مِمَّا يُرسَل باللَّيل[1] ، لكان مِمَّا يستدِلُّ بالنُّجوم ؛ لأنَّا رأيناه يلزَم بَطنَ الفُرات ، أو بطنَ دِجلة ، أو بُطونَ الأوديةِ التي قد مرَّ بها ، وهو يرى ويُبصِرُ ويفهَمُ انحدارَ الماء ، ويعلمُ بَعْدَ طُولِ الجَوَلَانِ [و][2] بَعْدَ[3] الزِّجال ، إذا هو أشرف عَلَى الفُرات أو دِجلة ، أنَّ طريقَه وطريقَ المَاء واحد ، وأنهُ ينبغِي أن ينحدِر مَعهُ .

وما أكثَرَ مَا يستدلُّ بالجَوَادِّ[4] من الطُّرُق إذا أعيتْهُ بطونُ الأودية . فإذا لم يَدْرِ أمُصْعِدٌ هو أمْ مُنْحَدِرٌ ، تعرَّفَ ذلك بالرِّيح ، ومواضعِ[5] قُرْصِ الشمس في السماء . وإنَّما يحتاج إلى ذلك كلِّه إذَا لم يكُن وَقَعَ بعدُ عَلَى رسم يعمَلُ عليه[6] . فربَّما كَرَّ[7] حين يزجل بِهِ[8] [يميناً و] شِمالاً ، وجنوباً وشَمالاً ، وصَباً ودَبُورًا — الفَرَاسِخَ الكثيرةَ وفوقَ الكثيرة . ٦٧

---

(١) ل : « بالحيل » ، وصوابه من ط ، س ونثار الأزهار ٩٣ .

(٢) زدتها لحاجة الكلام إليها .

(٣) كذا في ل ، ط . وفي س : « بقدر » .

(٤) الجوادّ : جمع جادة ، وهي معظم الطريق . وفي ط ، س : « بالجوّ أو » ، تحريف .

(٥) كذا في ل ونثار الأزهار . وفي ط ، س : « وبموضع » .

(٦) كلمة « على » ساقطة من س . وفي الأصل : « يعمل به عليه » ، والوجه ما أثبت من نثار الأزهار .

(٧) كرّ : عطف ، أي مال في سيره . ل ، وكذا نثار الأزهار : « كسر » .

(٨) كذا في ل . وفي ط ، س : « حتى يرحل » وهذا تحريف وتصحيف .

(الغُمر والمجرَّب من الحمام)

وفى الحمام الغُمْر والمجرّب . وهم لا يُخاطِرون بالأغمار لوجهين : أحدهما أن يكون الغُمْر عريفاً[1] فصاحبُه يضنٌّ به ، فهو يريدُ أن يدرِّبه ويمرِّنَه[2] ثمَّ يكلفه بعدَ الشيء الذى اتّخذه له ، وبسببه[3] اصطنعه [واتّخذهُ] . وإمَّا أن يكونَ الغمْر مجهولاً ، فهو لا يتعنَّى[4] ويُشقى نفسَه ، ويتوقَّعُ[5] الهِدَايَةَ من الأغمارِ المجاهيل .

وخَصلةٌ أخرى : أنّ المجهولَ إذا رَجَعَ مع الْهَدَّى[6] المعروفاتِ ، فحمله معها إلى الغَاية[7] فجاء سابقاً ، لم يكنْ له كبيرُ ثمنٍ حتّى تتلاحق به[8] الأولاد . فإنْ أنْجَبَ فيهنَّ صار أباً[9] مذْكوراً ، وصار نَسَباً[10] يرجَع إليه ، وزاد ذلك فى ثمنه .

---

(١) العريف : المعروف ، وبه سمى عريف القوم : أى رئيسهم . وأراد به المعروف النسب . وفى ل : « عريقا » ، من قولهم : فلان عريق النسب .

(٢) ل : « وهو على أن يدربه أو يمرنه » .

(٣) هذه الكلمة وكذلك كلمة « اتخذه » قبلها ، ساقطتان من ل .

(٤) يتعنى : ينصب ، أى يتعب . ط ، س : « يبق » تحريف مافى ل .

(٥) ط ، س : « وتتوقع » ، وهو خطأ .

(٦) انظر الجزء الثانى من الحيوان ص ٧٩ التنبيه الثالث .

(٧) فحمله ، ضمير الفاعل عائد إلى صاحب الحمام ، وضمير المفعول راجع إلى المجهول من الحمام ، وضمير « معها » عائد إلى « الهدى » . وفى س : « معه » ويصح فإن « الهدى » جمع هاد كما سبق فى الجزء الثانى . والأفضل ماأثبت من ط ، ل .

(٨) ل : « له » وكلاهما جائز .

(٩) ط ، س : « أبدا » وهو تحريف ماأثبت من ل .

(١٠) ط : « نسيبا » .

فأمّا المجرَّب غير الغُمر ، فهو الذى قد عرَّفوه الوُرودَ والتحَصُّب[1] ؛ لأنّه متى لم يقدرْ علَى أن ينقضّ حتَّى يشربَ الماء من بطون الأوديةِ[2] والأنهــرِ والغُدْران ، ومناقع[3] الميــاه ، ولم يتحَصَّب[4] بطلب بُزُورِ البرارىّ ، وجاعَ وعطش — التمسَ مواضعَ النــاس . وإذا مرَّ بالقرى والعُمْــران[5] سقط ، وإذا سقط أُخِــذ بالبَايْكِير[6]

---

(١) المراد بالورود ورود الماء . وفى ط ، س « بالورود » ولايصـح ؛ لأن « عرف » لاتتعدى بالباء ، إلا فى معنى آخر ، فيقال : عرفه بزيد ، أى سماه بزيد ، وعرفه بكذا : أى وسمه به . انظر اللسان . والتحصب ، بالحاء المهملة : خروج الحمام إلى الصحراء لطلب الحب ، وإنما يريدونه على ذلك ليعتاد البعد عن المدن حتى لايقع فى أيدى الناس . ط : « والتخصب » ، س : « والتخضب » وصوابهما فى ل .

(٢) كذا فى س . وفى ط : « من بطون أوســاط الأودية » . وفى ل : « من أوساط الأودية » .

(٣) المناقع : جمع منقع كمجمع ، وهو الموضع يستنقع فيه الماء . وفى ط ، س : « مواقع »، وليس من لغة الجاحظ .

(٤) انظر التنبيه الأول من هذه الصفحة . ط : « يتخصب » س : « يتخضب » محرفتان عما فى ل .

(٥) المراد بالعمران : المواضع العامرة بالناس . ل : « الغمران » ولا وجه له .

(٦) كتب إلى حضرة المحقق الـكبير الأب أنستاس ماري الـكرملى ، بمـا يأتى : « البايكير » بباء موحدة تحتية ، يليها ألف فياء مثناة ساكنة ، فـكاف فارسية مثلثة مكسورة ، فياء مثناة تحتية ساكنة فراء — : كلمة فارسية مركبة من : باى وهو نوع من الطــير يسمى بالعربية : بوهة ، وبالفرنسية : Effraie naine وبالإرمية باوا . ومن « گير » ، ومعناها جاذب . ومحصل اللفظين : حالب البوهة ويراد بذلك مصيدة تحبك بالحبال عيونا كعيون شبـكة صيد السمك ، وتجعل على شكل سلة كبيرة تقلب على فها . وقد دبر فيها بابان : باب خارجى أو أصلى ، وباب داخلى ، أو فرعى . فالباب الخارجى ، أو الأصلى ، يراه كل ناظر إليه . أما الداخلى فيـكون فى مثل دهليز يمتد من الباب الخارج ، ويفتح على يمين الطائر الداخل إليه أو على يساره . فيدخل الطائر من الباب الأول ، ثم إذا صار فى =

وبالقَفّاعــة[١] وبالمِلْقَف[٢] وبالتَّدْبيق[٣] و بالدُّشَاخ[٤] ؛ ورمى أيضا بالُجلاهِق[٥] ، وبغير[٦] ذلك من أسبابِ الصَّيد .

والحمام طائرٌ مُلَقًّى غير مُوَقًّى[٧] ، وأعداؤهُ كثير ، وسباعُ الطَّير تَطلُبه أشدَّ الطَّلب . وقد يترفّع مع الشّاهين[٨] ، وهو للشاهين أخْوَف . فالحمامُ

= الدهليز يبحث عن الباب الآخر فيجده على يمينه ، أو يساره ، حسبما دبر فى أول صنع المصيدة ، فإذا وجده ولجه ذاهبا إلى بطن السلة ليجد الطائر الذى يطلبه . فإذا دخل ، ثم حاول الخروج عائداً إلى موطنه الأول لايهتدى إلى الباب الداخلى لأنه مزور عن الخارج ، فيقبض عليه أسيرا ، أو محاولا التخلص من مأزقه . ووضعت البومة لتكون ملواحا لسائر الطير ، فإن هذا الملواح يضطرب فتراه بعض إخوته الطير ، فتدخل لتنقذه من ورطته ، أو لترافقه فى أسره ، أو لتشاطره طعامه ، أو لتصيب شيئاً من نعيمه . فيؤخذ المخدوع بهذه الحيلة اللطيفة الدقيقة على فهم الطائر ، بدون أن يجرح المصيد » اه .

(١) القفاعة كرمانة : شىء يتخذ من جريد النخل ، ثم يغدف به على الطير فيصاد . يغدف : يسبل .

(٢) آلة من آلات الصيد . ط ، س : «بالقف» .

(٣) التدبيق : الاصطياد بالدبق . والدبق ، بكسر الدال : غراء يصاد به الطير .

(٤) الدشاخ : وأكثرهم يكتبونها « الدوشاخ » كلمة فارســية مركبة من (دو) أى اثنين ، و (شاخ) أى شعبة ، أو طرف أو رأس . ومحصل مناها : ذو الشعبتين أو ذو الرأسين أو ذو الطرفين . وأكثر ماتكون هذه الآلة من حديد ، يصاد بها السمك ، فى دجلة والفرات . واسمها معروف هناك إلى يومنا هذا . كتب بذلك إلى حضرة المحقق الأكبر الأب أنســتاس مارى الكرملى . قلت : وهذه الكلمة هى فى ط ، س : « وبالفخ » وصواب نصها من ل .

(٥) الجلاهق : البنــدق الذى يرمى به الصــيد . فارسى معرب . ل : « وبالرمى بالجلاهق » .

(٦) ل : « وغيره » .

(٧) ملقى : أى يلقى عنتا من الناس والطير . وغير موقى : غير مصون من الأذى . ط ، س : « والحمام أنيس » الخ .

(٨) يترفع معه : أراد يطير معه طيراً سريعاً .

أطْيرُ منْهُ ومن جميعِ سباع الطير ، ولـكِنَّهُ يُذْعرُ فيجهَلُ بابَ المَخْلَص ويَعْتريه ما يعترى الحمارَ من الأَسدِ إذا رآه[١] ، والشاةَ إذا رأت الذِّئب ، والفارةَ إذا رأت السِّنَّور .

(سرعة طيران الحمام)

والحمامُ أشدُّ طيراناً من [جميع] سباع الطير ، إلَّا فى انقضاض وانحدار[٢] ؛ فإنَّ تلك تنحطّ انحطاط الصخور . [و][٣] متى التقت أُمَّةٌ[٤] من سباع الطَّير ، أوْ جُفالةٌ[٥] من بهائم الطير ، أو طِرْنَ عَلَى عَرَقَةٍ[٦] وخيطٍ ممدود ، فـكلُّهَا يعتريها عندذلك التَّقصيرُ عما[٧] ماكانت عليه، إذا طارت[٨] فى غير جماعة .

---

(١) قالوا : إنه يفر إلى الأسد منه .

(٢) ل : « إلا فى الانقضاض والانـكدار » . والانـكدار بمعنى الانقضاض .

(٣) هذه الزيادة الضرورية من ل ، س .

(٤) الأمة ، بالضم : الجماعة ، كما فى اللسان . ل : « رامة » س : « وامه » ط : « وأمه »، وصواب ذلك كله ما أثبت .

(٥) الجفالة ، بالجيم : الجماعة ، وفى ط ، س : « حفالة » بالحـاء المهملة ، وهى بمعنى الحثالة : الردىء من كل شىء. وليس مرادا هنا ، فهى مصحفة عما فى ل .

(٦) العرقة ، بالتحريك : السطر من الطير ، جمعه عرق ، بالتحريك أيضا . وفى ط ، س : « غرفة » ولا تصح . و « طرن » محرفة فى الأصل فهى فى ط ، س : « طرف » وفى ل : « كن »، وقد جعلتها كما ترى .

(٧) ط ، س : « عند »، تحريف .

(٨) ل : « إذ كانت » .

ولن ترى جماعةَ طيرٍ أكثرَ طيراناً إذا كَثُرْنَ من الحمام ؛ فإنّهنّ كلما التففن وضاق موضعُهنَّ كان أشدَّ لطيرانهنَّ . وقد ذكر ذلك النّابغة الذُّبيانيّ في قوله :

وَاحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الحيِّ إذ نَظَرَتْ
إلى حمامٍ شراعٍ واردِ الثَّمَد[1]

يحفُّه جانبا نِيقٍ ويَتْبَعُهُ
مثلُ الزُّجاجةِ لم تُكْحَلْ من الرَّمَدِ[2]

قالت : ألا لَيْتَما هذا الحمامُ لَنا
إلى حمامَتِنا ونِصْفُهُ فَقَدِ[3]

فحسَبوه فألفَوْهُ كما حَسَبَتْ
تِسعاً وتِسْعِينَ لم تنقُصْ ولم تَزِدِ[4]

فكَمَّلت مائةً فيها حمامتُها
وأسْرَعَتْ حَسْبَةً في ذلك العَدَدِ[5]

٦٨

---

(١) احكم : كن حكيما . وأراد بفتاة الحى : زرقاء اليمامة . و « شراع » هى رواية الأصمعى كما فى الخزانة (٤ : ٣٠٠ بولاق). والشراع : التى شرعت فى الماء . والرواية المعروفة : « سراع » بالمهملة ، جمع سريعة . وهذه أوجه ؛ فإن بالأولى يكون التكرار ؛ إذ الشراع هنّ الواردات . والثمد : الماء القليل . والحمام وما أشبهه من أسماء الأجناس يجوز أن يعتبر جمعاً ومفرداً .

(٢) النيق ، بالكسر : الجبل أو أعلاه . و « يتبعه » روى فيها « تتبعه » من الإتباع كما فى الخزانة ، وشرح التبريزى للمعلقات . والفاعل فى الرواية الأولى هو كلمة : « مثل » وفى الثانية الضمير المستكن الراجع إلى « فتاة الحى » . وأراد بـ « مثل الزجاجة » عينى الزباء . يقول : هى صافية كما صفت الزجاجة . و « لم تكحل من الرمد » أى لم ترمد فتتكحل ، كقوله :

* على لاحب لايهتدى بمناره *

(٣) للنحويين كلام طويل فى هذا البيت ، تجده فى مراجع النحو فى الكلام على « ليت » . وانظر الكلام على « ونصفه » فى الخزانة . وقد بمعنى حسب .

(٤) حسبوه : عدُّوه .

(٥) كان الحمام الذى رأت ستا وستين ، وهو ونصفه مع حمامتها مائة .

قال الأصمعيُّ : لما أراد مَديحَ الحاسب وسرعةَ إصابته ، شدَّدَ الأمرَ وضيَّقه عليه ؛ ليكون أحمدَ له إذا أصاب ؛ فجعَلَهُ حزَر[١] طيرًا ، والطَّيرُ أخفُّ من غيره ، ثمَّ جعله حماماً والحمامُ أسرع الطَّيرِ ، وأكثرُها اجتهاداً في السرعة[٢] إذا كثر عددهنَّ ؛ وذلك أنّه يشتدُّ[٣] طيرانُه عند المسابَقةِ والمنافسة . وقال : يحفّه جَانبا نِيقٍ ويتبعه ، فأراد أنَّ الحمام إذا كان في مَضيقٍ من الهواء كان أسرَعَ منه إذا اتّسع عليه الفضاء .

(غايات الحمام)

وصاحب الحمام قد كان يدرِّب ويمرِّن ويُنزِل في الزِّجال ، والغايةُ يومئذٍ واسط[٤] . فكيف يصنَع اليومَ بتعريفه الطَّريقَ وتعريفِه الوُرود والتحصُّب[٥] ، مع بُعد الغاية ؟ ![٦] .

---

(١) الحزر ، بالزاي الساكنة : التقدير .

(٢) « وأكثرها اجتهاداً في السرعة » ساقط من ل .

(٣) ل : « وكثر العدد لأن الحمام » .

(٤) تسمى واسط الحجاج ، سميت بذلك لأنها توسطت بين البصرة والكوفة ، فبينها وبين كل واحدة منهما خمسون فرسخا . وبدلها في ط ، س : « أقصر » .

(٥) التحصب : خروج الحمام إلى الصحراء لطلب الحب . ط : « التخصب » ل ، س : « التخضب » ، مصحفتان .

(٦) هذه الجملة ساقطة من ل .

(ما يختار للزّجْل من الحَمام)

والبغداديون يختارون للزِّجال من الغايةِ الإناث ، والبصريّون يختارون الذُّكور. فحجّة البغداديِّين أن الذَّكر إذا سافر وبَعُد عهدُه بقَمْط الإناث ، وتاقتْ نفسُه إلى السِّفاد ، ورأى أنثاه فى طريقه[1] ، ترك الطَّلبَ إن كان بعُد فى الجوَلان ؛ أو ترك السَّيرَ إن كان وقع على القَصْد ، ومالَ إلى الأنثى وفى ذلك الفسادُ[2] كلُّه .

وقال البَصرىُّ : الذَّكرُ أحنُّ إلى بيتِه لمكان أنثاه ، وهو أشدُّ متْناً وأقوى بدَناً ، وهو أحسنُ اهتداء . فنَحنُ لا نَدَع تقديمَ الشىءِ القائم إلى معنًى قد يعرضُ وقد لايعرض .

(نصيحة شدفويه فى تربية الحَمام)

وسمعتُ شدفويه السلائحى[3] من نحو خمسين سـنة ، وهو يقول لعبد السلام بن أبى عمار[4] : اجعل كعبةَ حمامِك فى صَحْن دارِك ، فإنَّ الحَمامَ إذا كان متَى خرج من بيتـه إلى المعلاة لم يصل إلى معلاتِه إلاَّ بجمع النَّفس والجناحين ، وبالنهوضِ ومكابدَةِ الصعود — اشتدَّ متْنُه ، وقوىَ

---

(١) ل : « فى طريقه ومجيئه » .

(٢) ط فقط : « السفاد » محرف .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « سرفوحة السائحى » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أبى العاص » .

جناحُه ولحمه . ومتى أرادَ بيتَه فاحْتاج[1] إلى أن ينتكس ويجىء منقضًّا — كانَ أقوَى على الارتفاع فى الهواء بعد أن يروى[2] . وقد تعلمون أنَّ الباطِنيِّين أشدّ [متناً] من الظاهريِّين[3] ، وأنّ النِّقرسَ لا يُصيب الباطِنىَّ فى رجله[4] ليس ذلك إلَّا لأنَّه يصعد إلى العَلالى[5] فوق الكَنادِيجِ[6] درجةً بعد درجة ، وكذلك نزوله . فلو دُرِّبَ الحمامَ [على][7] هذا التَّرتيب كانَ أصوب . ولا يعجِبُنى تَدْريب العاتق وما فوق العاتق[8] إلَّا من الأماكنِ القريبة ؛ لأن العاتقَ كالفتاةِ العاتق ، وكالصبىِّ الغرير ، فهو لَا يَعْدِمُه ضعفُ البدن ، وقلَّةُ المعرفة ، وسوءُ الإلف . ولا يُعجبُنى أن تتركوا الحمام حتَّى

---

(١) ط : « فاهتاج » ، تحريف ما فى س ، ل .

(٢) كلمة « الهواء » هى فى ط ، س : « الهوى » محرفة . وكلمة « بعد » ساقطة من ل .

(٣) كذا جاءت كلمتا : « الباطنيين » و « الظاهريين » فى ل . وإن كان وجهه فى العربية : « الباطنيات » و « الظاهريات » إما لأن الجاحظ أراد أن ينقل كلام « شدفويه » كما وقع ، وإما لأنه نزل الحمام منزلة العاقل ، فجمعه جمع العاقلين . وفى ط : س : « الباطنتين » و « الظاهرتين » وهو لا جرم تحريف . والباطنى : نسبة إلى الباطن ، وهو الذى تكون تربيته فى باطن بيت مكنون قد مهدت له فى داخله كناديج : أى درجات يصعد عليها إلى قرموصه. والظاهرى : نسبة إلى الظاهر ، والمراد به ما كان صعوده إلى قرموصه من ظاهر البيت فيصعد إليه بالطيران لا بالصعود التدريجى كما يصنع الباطنى .

(٤) ل : « لا يصيب الباطنى فى رجليه » .

(٥) العلالىّ : جمع علية ، بالضم والكسر ، وهى الغرفة .

(٦) الكناديج : جمع كندجة : معرب كندة بالضم ، وهى خشبة عظيمة يستخدمها البانى فى بناء الجدران والطيقان ، انظر الألفاظ الفارسية ١٣٨ . وضبطت : « الكندجة » فى القاموس بفتح الكاف والدال ، ضبط قلم . والمراد بها الدرجات التى يصعد عليها الحمام . وفى ط : « الكساويح » ، محرفة .

(٧) ليست بالأصل .

(٨) العاتق من الحمام : فرخه ما لم يستحكم . ل : « العتق » فى الموضعين .

إذا صار فى عَدَد المسانّ واكتهل ، وولَدَ البطونَ بَعْدَ البطونِ ، وأخذ ذلك من قوّةِ شبابِهِ ، حملتموه على الزَّجْل ، وعلى التّمْرين ، ثمَّ رميتم به أقصى غايةٍ .

لاَ ، ولكنَّ التّدريب مع الشباب ، وانتهاء الحِدَّة[١] ، وكمال القوَّة ، ٦٩ من قبل أن تأخذ القوّة فى النُّقصان . فهو يلقَّن بقربه من الحداثة[٢] ، ويُعرَّف بخروجه من حدِّ الحداثة[٣] . فابتدِئوا به التّعليمَ والتمْرينَ فى هذه المنزلة الوُسطى .

(الوقت الملائم لتمرين فراخ الحمام)

وهُمْ إذا أرادوا أن يمرِّنوا[٤] الفراخَ أخرجوها وهى جائعة ، حتى إذا ألقَوا إليها الحبَّ أسرعت النزول . ولا تُخْرَجُ والرِّيح عاصف ، فتخرج قبل المغربِ وانتصاف النهار . وحُذّاقهم لا يخرجونها مع ذكورة الحمام ؛ فإنَّ الذُّكورةَ يعتريها النَّشاطَ والطَّيران والتَّباعُدُ ومجاوزةَ القبيلة . فإن طارت الفِراخُ معها سقَطَتْ على دُور الناس . فرياضتها شديدة ، وتحتاج إلى معرفةٍ وعنايَةٍ ، وإلى صبرٍ ومُطاوَلة ؛ لأنَّ الذى يُراد منها إذا احتيج[٥] إليه بعد هذه المقدّمات كان أيضاً من العجَب العجيب .

---

(١) س : « مع انتهائه الحدة والشباب » .

(٢) كذا فى ل : وفى ط ، س : « بقوته مع الحداثة » .

(٣) ل : « الحلاثة » ، تحريف .

(٤) ل : « يثبتوا » .

(٥) ل : « جئن » .

(حوار يعقوب بن داود مع رجل فى اختيار الحمام)

وحدَّثنى بعضُ من أثقُ به أنّ يَعقوبَ بن داود ، قال لبعض مَنْ دَخلَ عليه ـ وقد ذهب عنّى اسمُه ونسيتُه ، بَعْدَ أنْ كُنْتُ عرفته ـ : أمَا ترَى كيف أخلفَ ظنُّنا وأخطأ رأيُنا ، حتّى عمَّ ذلك ولم يخصَّ ؟ ! أمَا كان فى جميع من اصطنعناه واختَرناه ، وتفرَّسْنا فيه الخير وأردناه[1] بِهِ ـ واحدٌ[2] تكفينا معرفته[3] [مؤنَةَ] الاحتجاجِ عنه ، حتّى صِرْتُ لاَ أقرَعُ[4] إلَّا بهم ، ولاَ أعابُ[5] إلَّا باختيارهم ! ! قال : فقال له رجل إنّ الحمام يُختارُ من جهة النَّسَب ، ومن جهة الخِلْقة ، ثمَّ لا يرضى له أربابُه بذلك حتّى يُرتِّبه وتنزِّلهَ وتُدَرِّجهُ[6] ، ثم تُحمَل الجماعةُ منهُ[7] بعد ذلك التّرتيب والتَّدْريبِ إلى الغاية ، فيذهبُ الشَّطرُ ويرجعُ الشطر ، أو شبيهٌ بذلك أو قريبٌ[8] من ذلك . وأنتَ عَمَدْتَ إلى حمامٍ لم تنظرْ فى أنْسابها ولم تتأمَّلْ مَخِيلة الخيرِ فى خَلْقها[9] ثمَّ لم ترْضَ حتى ضربتَ بها بِكَرَّةٍ[10] واحدةٍ

---

(١) ط ، س ، « أردنا به » .

(٢) ط : « واحداً » ، وإنما هو اسم كان أو فاعلها .

(٣) ل : « معرته » محرفة ، وبعد هذه الكلمة واو حذفتها .

(٤) كذا فى ل ، س . وهو الصواب . وفى ط : « أفزع » .

(٥) ط ، س : « أداب » محرف .

(٦) كذا فى ط ، س ، وفى ل : « حتى يرتبوه وينزلوه » .

(٧) ط ، س « معه » وتصحيحه من ل .

(٨) ط ، س : « شبيها » و « قريبا » والوجه الرفع كما فى ل .

(٩) المخيلة : موضع الظن ، فهى كالمظنة . انظر اللسان . ط ، س : « مخيلة موضع الخير » وفيهما أيضاً : « فى خلقتها » .

(١٠) ط ، س : « ضربة » ، تحريف ما فى ل .

إلى الغاية(١) ، فليس بعَجَبٍ ولا مُنْكَرٍ(٢) ألاَّ يرجعَ إليكَ واحدٌ منها ، وإنّما كان العَجبُ في الرُّجوع ، فأمّا في الضّلال فليس [في] ذلك عجبٌ(٣) . وعلى أنّه لو رجع منها(٤) واحدٌ أو أكثرُ من الواحدِ لكان خطؤك موفّرًا عليك ، ولم ينتقصْهُ خطأُ من أخطأ ؛ لأنّه ليس من الصواب أن يجيء طائرًا من الغايَةِ على غير [عِرْقٍ ، وعلى غير] تدريب .

باب

ومن كرم الحمام الإلف والأنْس والنِّزاعُ والشّوق . وذلك يَدُلُّ على ثبات العهد ، وحِفْظِ ما ينبغي أن يُحفَظ ، وصوْنِ ما ينبغي أن يصان وإنه لَخُلق صِدْق(٥) في بني آدم فكيفَ إذا كان ذلك الخلقُ(٦) في بعض الطير .

وقد قالوا : عمَّرَ الله البُلدان بحبِّ الأوطان(٧) . ٧٠

قال ابن الزُّبير : ليس النّاسُ بشيء مِنْ أقسامهم(٨) أقنَعَ منهم بأوطانهم !

---

(١) كذا في ط ، س . وفي ل : « واحدة الغايات » .

(٢) ط ، س : « فليس ذلك بعجيب ولا بمنكر » الخ .

(٣) ط ، س : « فليس ذلك بعجب ولا بمنكر » .

(٤) ط ، س : « منهن » .

(٥) خلق صدق ، بالإضافة ، أي نعم الخلق . وبالوصف ، أي الخلق الكامل . « لخبيء صدق » ، تحريف .

(٦) ل : « فكيف بذلك الحق » .

(٧) القول في الحنين إلى الأول من رسائل الجاحظ ٢ : ٣٨٩ مع نسبته إلى عمر بن الخطاب .

(٨) أقسام : جمع قسم ، بالكسر : وهو الحظ والنصيب : ل : « لشيء » تحريف . ط ، س : « في اقتسامهم » ، ووجهه ما أثبت من ل .

وأخبر الله عزَّ وجلَّ عن طبائع النَّاس فى حبِّ الأوطان ، فقال : ﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِى سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا[1] ﴾ وقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ[2] ﴾ .

وقال الشاعر :

وكنتُ فيهمْ كمَمْطُورٍ ببَلْدتهِ ... فسُرَّ أَنْ جَمَعَ الأَوْطَانَ والمطَرَا[3]

فتجدُهُ يُرْسَلُ مِنْ موضعٍ فيجيء ، ثمَّ يخرج من بيته إلى أضيق موضع وإلى رخام[4] ونَقان[5] فيرسل من أبعد من ذلك فيجيء . [ثم يصنَع به مثلُ ذلك المرار الكثيرة ، ويزاد فى الفراسخ] ، ثم يَكون جزاؤه[6] أن يغمَّر به[7] [من][8] الرَّقَّة إلى لؤلؤة[9] فيجيء . ويُستَرَقُ من منزل

---

(١) هذا القول حكاية عن بنى إسرائيل ، وكانوا طلبوا من نبى لهم — وهو يوشع ، أو شمعون ، أو أشمويل — أن يعين لهم أميرا يتولى قيادتهم فى حرب العمالقة وكان العمالقة قد أجلوا الإسرائيليين وسبوا أولادهم . وكان النبى قال لهم : « هل عسيتم إن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا » — يقول ذلك متوقعا جبنهم عن القتال — فأجابوه بما فى هذه الآية . انظر التفاسير .

(٢) قال العسكرى فى ديوان المعانى (٢ : ١٨٧) تعقيبا على هذه الآية : « فجعل خروجهم من ديارهم كفء قتلهم لأنفسهم » .

(٣) أنشده فى الحنين إلى الأوطان . وأخذ ابن المولى هذا المعنى فقال (ديوان المعانى ١ : ١٩٠) :

كممطور ببلدته فأضحى ... غنيا عن مطالعة السحاب

(٤) هو اسم موضع ، ولم أحققه . وفى ط فقط : « زحام » .

(٥) نقان ، بضم النون ويكسر : اسم جبل فى بلاد أرمينية . وفى ط ، س : « قفار » : وفى ل : « تفاد » وهو تحريف ما أثبت .

(٦) كذا فى ل . وفى ط : « الحرارة » ! وفى س : « الجراوة » .

(٧) يغمر به : أى يدفع به . س: « يغمز » تصحيف .

(٨) التكملة من ل ، س .

(٩) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس .

صاحبه[1] فيقصّ ، ويَغْبُرُ هناك حولاً وأكثَرَ من الحول ، فحينَ ينبت جناحُه يحنُّ إلى إلفه ويَنْزِع إلى وطنه ، وإن كان الموضعُ الثّانى أنفعَ له ، وأنْعَمَ لباله . فيَهَبُ فضْلَ ما بينهما لموضعِ تربيته وسكنه ؛ كالإنسان الذى لو أصاب فى غير بلادِه الرِّيفَ لم يقعْ ذلك فى قلبه ، وهو يعالجهم[2] على أن يُعطَى عُشْرَ ما هو فيه[3] فى وطنه .

ثمَّ ربَّما باعه صاحبُه ، فإذا وجد مَخْلَصاً رجع إليه ، حتَّى ربَّماَ فَعَلَ ذلك مِراراً . وربَّما طار دَهْرَهُ وجالَ فى البلادِ ، وألفَ الطَّيرانَ والتقلُّبَ فى الهواء ، والنَّظَرَ إلى الدنيا ، فيبدو لصاحبه[4] فيقصُّ جناحَه ويُلقِيه فى دِيماس[5] ، فينبتُ جناحُهُ ، فلا يَذْهَبُ عنه ولا يتغيَّر له . نَعَمْ ، حتَّى ربَّما جَدَفَ[6] وهو مقصوصٌ ، فإمَّا صار إليهِ ، وإمَّا بلغَ عذراً.

---

(١) يسترق : من الاسترَاق ، وهو السرقة . ل : « يسرق » وفيها أيضاً « نزل » مكان « منزل » ، وهما بمعنى .

(٢) يعالجهم : يمارسهم . وفى ل : « يصالحهم » .

(٣) ل : « عشر ذلك » .

(٤) يقال بدا له فى الأمر : نشأ له فيه رأى .

(٥) الديماس بالكسر : الكن .

(٦) جدف الطائر : طار وهو مقصوص الجناحين كأنه يرد جناحه إلى خلفه . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط ، س : « جسد » ، وفى ل : « حذف » .

(قص جناح الحمام)

ومتى قصَّ أحد جناحيه كان أعجزَ له عن الطَّيران ، ومتى قصَّهما جميعاً كان أقوى له عليه ، ولكنهُ لا يُبْعِد ، لأنّه إذا كان مقصوصاً من شِقٍّ واحدٍ اختلفَ خلْقُه ، ولم يَعْتَدِلْ وزنه ، وصارَ أحدُهما هوائيًّا والآخرُ أرضيًّا . فإذا قُصَّ الجناحانِ جميعاً طار ، وإن كانَ مقصوصاً فقد بلغ بذلك التعديل من جناحَيهِ[١] أكثرَ مما كانَ يبلغ [بهما] إذا كانَ أحدُهما [وافياً] والآخرُ مبتورا[٢] .

فالكلبُ الذى تَدَّعون له الإلفَ وثباتَ العهد، لايبلغُ هذا . وصاحبُ الدِّيك الذى لا يفخرُ[٣] للدِّيك بشىءٍ من الوفاء والحفاظ والإلف ، أحقُّ بألاّ يعرِض فى هذا الباب .

قال : وقد يكونُ الإنسان شديدَ الُحضْر ، فإذا قُطِعَتْ إحدى يديه فأراد العَدْو كان خطوُه أقصر ، وكان عن ذلك القَصْد والسَّنَنِ أذْهبَ ، وكانت غايَةُ مجهوده أقربَ[٤] .

---

(١) فى الأصل : « جناحه » .
(٢) ط ، س : « إذا قص أحدها وترك الآخر وافيا » .
(٣) أى لا يجد شيئا من وفاء الديك يستطيع أن يفخر به .
(٤) ل : « أنقص » .

(حديث نباتة الأقطع)

وخبّرنى كم شئتَ[١] ، أنّ نباتَة الأَقطع [وَكان] مِنْ أَشِدّاء الفتيان[٢] وكانت يَدُه قطعت[٣] من دُونِ المنكِب ، وكان ذلك فى شقِّه الأيسر ؛ فكان إذا صار إلى القتالِ وضرَبَ بسيفِه ، فإن أصاب الضّريبةَ ثَبَتَ ، ٧١ وإن أخطأ سقَطَ لوجهِه ؛ إذ لم يكنْ جَناحه[٤] [الأيسر] يُمسكه ويثقّله حتّى يَعْتَدلَ بَدَنُهُ .

(أجنحة الملائكة)

وقد طعن قومٌ فى أجنحة الملائكة ، وقد قال الله تَعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلهِ فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْض جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِى الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ . وزعموا أنَّ الجناحين كاليدين ، وإذا كان الجناح اثنين أو أَرْبَعَة كانتْ معتدلة ، وإذا كانت ثَلَاثَةً

---

(١) ل ، ط : « من شئت » . وانظر ماسبق فى ص ١٧٨ وكذا ٤ : ٤٦ و ٥ : ٣٧٤ وكتاب البغال من رسائل الجاحظ ٢ : ٢٦٤ .

(٢) فى الأصل : « من أشداء الفتيان أن نباتة الأقطع » ، وقد رددت الكلمات الثلاث الأولى إلى موضعها ، كما زدت « وكان » لينتظم الكلام .

(٣) ل : « وكانت قطعته » .

(٤) الجناح ، ليس خاصا بالطير ، بل يقال أيضا : جناح الإنسان : أى يده ، أو عضده أو إبطه .

كان[1] صاحبُ الثَّلاثَةِ كالجادِفِ[2] من الطَّير ، الذى أحدُ جناحَيه مقصوص ، فلا يستطيع الطَّيَرَان لعدم التعديل . وإذا كان أحدُ جناحيه وافياً والآخرُ مقصوصاً ، اختلافَ خَلْقُه وصار بَعْضُه يذهب إلى أسفلَ والآخر إلى فوق .

وقالوا : إنَّما الجناحُ مثل اليد ، ووجدنا الأيدىَ والأرجلَ فى جميع الحيوان لاتكونُ إلَّا أزواجاً . فلو جعلتمْ لكُلِّ واحدٍ منهم مائَة جَناحٍ لم نُنْكِرْ ذلك . وإن جعلتموها أنقَصَ بواحدٍ أو أكثرَ بواحدٍ لم نجوِّزه .

قيل لهم : قد رأينا من ذوات الأربع ماليسَ له قَرن ، ورأينا ماله قرْنَانِ أملسان ، ورأينا ماله قرنان لها شُعَبٌ فى مقاديم القرون[3] ، ورأينا بعضَها جُمًّا ولأخَواتِها قرون ، ورأينا منها مالا يقال لها جُمٌّ لأنَّها ليست لها شكلُ ذواتِ القرون ، ورأينا لبعض الشاءِ عِدَّةَ[4] قرونٍ نَابتةٍ فى عظم الرَّأس أزواجاً وأفراداً ، ورأينا قرُوناً جُوفاً فيها قرون ، ورأينا قروناً لاقرونَ فيها ، ورأيناها مُصمَتَة ، ورأينا بعضَها ينصُلُ قَرْنُه فى كلِّ سنة ، كما تسلَخ الحيَّةُ جلدَها ، وتنفضُ الأشجارُ ورقها ، وهى قُرون الأيائلِ . وقد زعموا أنَّ للحِمار الهندىِّ[5] قرنا واحداً .

---

(١) كذا فى ط . وفى ل ، س : « صار » .

(٢) الجادف : الذى يطير وهو مقصوص . وفى ط : « كالحاذق » وفى ل ، س : « كالجاذف » ، وصوابهما ما أثبت .

(٣) ط : « مقادير » وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « لبعض الساعدة » وتصحيحه من ل ، س .

(٥) الحمار الهندى هو الكركدن ، وحيد القرن . والذى سماه بالحمار الهندى هو أرسطو فى كتابه (الحيوان) . قال الجاحظ فى الحيوان (٧ : ٤٠) : « وقد ذكره صاحب المنطق فى كتاب الحيوان ، إلا أنه سماه بالحمار الهندى » .

وقد رأينا طائراً شَديدَ الطيران بلا ريشٍ كالُخفاش ، ورأينا طائراً لايطير وهو وافى الَجناح ، ورأينا طائراً لايمشى وهو الزُّرزور . ونحن نُؤمن بأنَّ جعفرًا الطَّيارَ ابنَ أبى طالب ، له جناحان يطير بهما فى الِجنان ، جُعِلا له عوضاً من يديه اللتين قطعتا على لواء المسلمين فى يوم مؤتة[1] . وغير ذلك من أعاجيب أصناف الخلق .

فقد يستقيم – وهو سهلٌ جائزٌ شائع مفهوم ، ومعقول قريبٌ غير بعيد أن يكون إذا وُضع طباع الطائر على هذا الوضع الذى تراه ألَّا يطير[2] إلَّا بالأزواج . فإذا وُضع على غير هذا الوَضع ، ورُكِّب غيرَ هذا التَّركيب صارت ثلاثة أجنحة وَفُوقَ[3] تلك الطبيعة . ولو كان الوَطواط فى وضْعِ أخلاطه[4] وأعضائه وامتزاجاته[5] كسائر الطير ، لما طار[6] بلا ريش .

(١) كان يوم مؤتة فى الثامنة من الهجرة بين المسلمين والروم . وكان قد حمل لواء المسلمين زيد بن حارثة فقتل ، فحمله جعفر بيمينه فقطعت ، ثم بشماله فقطعت ، فاحتضنها بعضديه فقتل وخر شهيداً ، فحمل اللواء بعده عبد الله بن رواحة فقتل أيضاً . وكان جعفر أيضا يلقب بذى الهجرتين : هجرة الحبشة والمدينة . وانظر الإصابة ١١٦٢ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٦٨ – ٦٩ .

(٢) ط : « لا يسير » . س : « لا تطير » وتصحيحه من ل .

(٣) وفوق ، كرسول ، بمعنى ملائمة موافقة . ومثلها وفق ، بالفتح . انظر اللسان (وفق) ومعنى الكلام أن الأجنحة الثلاثة تكون موافقة لهذا التركيب الشاذ .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وضع فى أخلاطه » .

(٥) ط ، س : « وامتزاجه » .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « كان » .

(الطير الدائم الطيران)

وقد زعم البَحْريّون أنّهم يعرفون[١] طائراً لم يسقُط قطّ ، وإنما يكون سقوطه من لَدُنْ خروجِهِ من بيضه [إلى] أنْ يتمّ[٢] قصبُ ريشهِ ، ثمَّ يطير فليس له رِزق إلّا من بعوضِ الهواء وأشباهِ البَعوض ؛ إلّا أنّهُ قصيرُ العمر سريعُ الانحطام .

٧٢

(بقية الحديث فى أجنحة الملائكة)

وليس بمستنكر أن يُمزَج[٣] الطائر ويُعْجَن غيرَ عجْنه الأوّل[٤] [فيعيشَ ضعفَ ذلك العُمر] . وقد يجوز أيضاً أنْ يكونَ موضعُ الجَناح الثالث بين[٥] الجناحَين ، فيكون الثالث للثانى كالثانى للأوّل ، وتكون كلُّ واحدةٍ من ريشةٍ عاملةً فى التى تليها من ذلك الجسم[٦] ، فتستوى فى القوَى وفى الحِصَص .

---

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وقد زعم البحريون أن » . وهذا الطائر الذى حكى عنه الجاحظ ، تحدث عنه القزوينى فى عجائب المخلوقات ١٠٣ عند كلامه على بحر الصين ، ولم يسمه .

(٢) ط ، س : « تم » .

(٣) كذا فى ل . وفى ط : « يمرح » . وفى س : « يموج » ، محرفتان .

(٤) س : « غير عجنة الأوابد » .

(٥) ل : « من » ، تحريف .

(٦) ل : « البدن » .

ولعَلَّ الجَناح الذى أنكره الملحدُ الضَّيِّقُ العَطَن[1] أن يكونَ مركزُ قوادِمِهِ فى حاقِّ الصُّلب[2] .

ولعَلَّ ذلك الجناح أن تكون الريشة الأولى منه معينةَ للجَناح الأيمن والثانيةَ معينَة للجناح الأيسر . وهذا مما لايضيقُ عنه الوهم ، ولا يعجِز عنه الجواز[3] .

فإذا كان ذلك ممكناً[4] فى معرفة العبد بما أعاره الربُّ جلّ وعزَّ ، كان ذلك فى قدرةِ الله أجوز . وما أكثَرَ من يضيقُ صدرُه لقلَّة علمه !

(أعضاء المشى لدى الحيوان والإنسان)

وقد علموا أنَّ كلّ ذى أربعٍ فإنّه إذا مشى قدّم إحدى يديه ، ولا[5] يجوز أن يستعمل اليَد الأُخرَى ويقدِّمها بَعْدَ الأُولى حَتَّى يستعمل الرِّجلَ المخالِفةَ لتلك اليد : إنْ كانت اليَدُ المتقدِّمة اليمنى حرَّكَ الرِّجْلَ اليسرى ، وإذا حَرَّكَ الرجل اليسرى لم يحرِّك الرِّجْل اليمنى — وهى أقرَبُ إليها[6] وأشبهُ بها — حَتَّى يحرِّك اليَدَ اليسرى . وهذا كثير .

---

(١) الضيق العطن : الضيق الصدر ، السريع الغضب . وأصل العطن مربض الإبل والغنم حول الماء . ط ، ل : « لضيق العطن » .

(٢) حاق الصلب : وسطه .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « الجواب » .

(٤) ل : « مكيفا » ، وهو تحريف .

(٥) ل : « وقد » ، وهو تحريف يفسد المعنى .

(٦) كذا فى ل ، س . وهو الصواب . وفى ط : « إليه » .

[و[1]] فى طريقٍ أخرى فقد يقال : إنَّ كلَّ إنسانٍ فإنما رُكْبَته فى رِجله ، وجميعَ ذواتِ الأربَع فإنَّما رُكبها فى أيديها . وكلُّ شىء ذى كفٍّ وبَنان كالإنسان ، والقرد، والأسدِ ، والضَّبّ ، والدُّب ، فكفُّه فى يده . والطَّائر كفّه فى رجله .

(استعمال الإنسان رجليه فيما يعمله فى العادة بيديه)

وما رأيتُ أحداً ليس له يَدٌ إلَّا وهو يعمل برجليه ما كان [يعمل[2]] بيديه ، وما أقف على شىء من عمل الأيدى إلَّا وأنا قد رأيتُ قوماً يتكلّفونه بأرجلهم .

ولقد رأيتُ واحداً منهم راهنَ على أن يُفرِغ برجليه ما فى دَسْتيجة[3] نبيذ فى قنانىَّ رِطليَّات وفُقَّاعِيَّات[4] ، فراهنوه ، وأزعجنى أمرٌ فتركته عند ثقاتٍ لا أشكُّ فى خبرهم ، فزعموا أنّه وَفَى وزاد . قلت :

---

(١) الزيادة من س .

(٢) التكملة من ل ، س .

(٣) الدستيجة : واحدة الدستيج ، وهى – كما فى تاج العروس – : آنية تحول باليد وتنقل . فارسى معرب : « دستى » . وأصل « دست » فى الفارسية بمعنى اليد . انظر الألفاظ الفارسية ٦٣ .

(٤) رطليات، أى تسع الواحدة منها رطلا . والفقاعيات : ضرب من القوارير صغار ، ولم أجد لها نصاً يفسرها .

قد عرَفتُ قولَكم « وفى » فما معنى قولكم « زاد » . قالوا : هو أنّه لو صبَّ من رأس الدّستيجة حوالَىْ أفواهِ القنانىّ كما يعجِز عن ضَبطه جميعُ أصحاب الكمال فى الجوارح ، لما أنكرنا ذلك . ولقد فرَّغ ما فيها فى جميع القنانىّ فما ضيّعَ أوقيَّةً واحدة .

(قيام بعض الناس بعمل دقيق فى الظلام)

وخبَّرنى الحزَامىُّ[1] عن خليل أخيه[2] ، أنّه متى شاء أن يَدْخُلَ فى بيتٍ ليلا بلا مصباح ، ويفرغ [قربة][3] فى قنانىّ فلا يصبُّ إستاراً[4] واحداً فعله .

و[لو] حكى لى الحزامىُّ هذا الصَّنيعَ عن رجل وُلِد أعمى أو عمِى فى صباه ، كان يعجبنى منه أقلُّ . فأمّا من تعوّد أن يفعل مثل ذلك وهو يبصر فما[5] أشدَّ عليه أن يفعله وهو مغْمَض العينين . فإن كان أخوه قد كان يقدر على ذلك إذا غمَّض عينيه فهو عندى عجب . وإن كان يبصر فى الظلمة فهو قد أشبه فى هذا الوجه السِّنَّورَ والفأر ؛ فإنَّ هذا عندى عجبٌ ٧٣

(١) هو أبو محمد عبد الله بن كاسب ، كان معاصراً للجاحظ ، وقد أفرد له حديثاً فى البخلاء ٤٧ – ٥٤ . وفى ط ، س : « الخزامى » وفى ل : « الحرامى » .

(٢) ل : « مليك » .

(٣) الزيادة من س . وبدلها فى ل : « قرابة » محرفة .

(٤) الإستار : ثلاثة أخماس الأوقية ؛ إذ الأوقية إستار وثلثا إستار .

(٥) ل : « يبصره » .

آخر ، وغرائب الدُّنيا كثيرة عند كلِّ من كان كلفاً بتَعرافها ، وكان له في العلم أصلٌ ، وكان بينه وبين التبَيُّنِ[١] نَسَب .

(اختلاف أحوال الناس عند سماع الغرائب)

وأكثر الناس لاتجدُهم إلّا في حالتين : [إمّا في حال][٢] إعراض عن التبيُّن وإهمالٍ للنّفس[٣] ، وإمّا في حالٍ[٤] تكذيبٍ وإنكارٍ وتسرُّع إلى أصحاب الاعتبارِ وتتبُّعِ الغرائب ، والرغبةِ في الفوائد . ثمَّ يرى بعضهم أنَّ له بذلك التكذيب فضيلةً[٥] ، وأنَّ ذلك بابٌ من التوقِّي ، وجنسٌ من استعظام الكذب ، وأنّه لم يكن كذلك إلّا من حاقِّ الرَّغبةِ[٦] في الصِّدْق . وبئس الشيء عادةَ الإقرار والقبول . والحقُّ[٧] الذي أمر الله تعالى به ورغب فيه ، وحثَّ عليه [أن ننكر من الخبر ضربين : أحدهما ما تناقَضَ واستحال ، والآخر ما امْتنع في الطَّبيعة ، وخرج من طاقة الخِلقة . فإذا خرج الخبرُ من هذين البابين ، وجرى عليه] حكم[٨] الجواز ، فالتدبير[٩] في ذلك التثبت

(١) التبين : التفهم . وفي ط س : « التبيين » ، وتوجيهه من ل . و « نسب » هي في الأصل : « نصيب » ، والوجه ما أثبت . انظر (١ : ٣ س ٤) .
(٢) الزيادة من ل ، س .
(٣) ط ، س : « النفس » .
(٤) ط : « حاله » وأثبت ما في ل ، س .
(٥) ط ، س : « فوائد » .
(٦) حاق الرغبة : شدتها . ط : « حاز الرغبة » وصوابها في ل ، س .
(٧) ط ، س : « أو تبين الشيء معاندة للإقرار وقهراً بالحق و » ، مكان : « وبئس الشيء » . . الخ ، وهو تحريف ما أثبت من ل .
(٨) ط ، س : « ذكر » .
(٩) ط ، س : « والترتيب » ، محرفة .

وأن يكون الحقُّ فى ذلك هو ضالّتك ، والصِّدق هو بُغيتك ، كائناً ماكان ، وقَع منك بالموافقةِ ، أم وقع منك بالمكروه . ومتى لم تعلم أنّ ثوابَ الحقِّ وثمرةَ الصِّدق أجدى عليك من تلك الموافقةِ لم تقَع[1] على أن تعطِىَ التثبّتَ حَقّه .

(تشبيه رماد الأثافى بالحمام)

قال : وهم يصفون الرّماد الذى بين الأثافىِّ بالحمامةِ ، ويجعلون الأثافىَّ أظئاراً لها ، للانحناء الذى فى أعالى تلك الأحجار ، ولأنّها كانت معطّفاتٍ عليها وحانياتٍ على أولادها . قال ذو الرُّمَّة :

كأنّ الحمامَ الوُرْقَ فى الدّارِ جَثّمت   على خَرِقٍ بين الأثافِى جَوازِلِه[2]

شبّه الرّماد بالفراخ قبل أن تنهض . والجُثوم فى الطير[3] مثل الرُّبوض فى الغنم . وقال الشماخ :

وإرثِ رَمادٍ كالحمامةِ ماثلٍ   ونُؤْيَيْنِ فى مَظْلومَتَيْنِ كُدَاهما[4]

---

(١) ل : « لم تقو » .

(٢) ط : «أجثم» مكان «جثمت» ، وهو تحريف صوابه فى ل ، س والديوان ٤٩٥ . وروى فى أمالى المرتضى ٣ : ١٢١ : « وقست » . قال المرتضى : « شبه الأثافى بالحمام الورق ، وجعلها ظئوراً لتعطفها على الرماد . وشبه الرماد بفرخ خرق قد سقط ريشه . والجوازل : الفراخ ، واحدها جوزل » .

(٣) ل : « الخيل » ، وهو تحريف ظاهر .

(٤) إرث رماد : أى أصله . والنؤى بالضم : حفيرة تحفر حول الخباء يجعل ترابه حاجزاً لمنع المطر . والمظلومة : الأرض حفرت ولم تكن حفرت قبل ذلك . والكدى : جمع كدية بالضم ، وهى الأرض الغليظة . والرواية فى ديوان الشماخ : « ونؤيان » . وقبل البيت :

أقامت على ربعيهما جارتا صفا   كميتا الأعالى جونتا مصطلاهما

وبعده :

أقاما لليلى والرباب وزالتا   بذات السلام قد عفا طللاهما

وقال أبو حيَّة :

[مِنَ العَرَصــاتِ غيرَ مَخَـدِّ نُؤْيٍ كباقى الوحْى خُطَّ على إمام[1]

وغيرِ خوالِدٍ لُوِّحْن حَتَّى بهنَّ علامةٌ من غير شــام][2]

كأنَّ بهــا حـمَامَاتٍ ثَلاثاً مَثَلْنَ ولم يَطِرْنَ مَعَ الحمامِ

وقال العَرْجى :

ومَرْبِطَ أفْرَاسٍ وخَيمٌ مُصَرَّعٌ وهابٍ كجُثْمَانِ الحمامةِ هامِدُ[3]

وقال البَعيث :

وَسُفعٍ ثَوَيْنَ العَامَ وَالعَامَ قَبْلَهُ وَسَحْقِ رَمادٍ كالنَّصِيفِ مِنَ العَصْبِ[4]

(بعض ما قيل من الشعر فى نوح الحمام ، وفى بيوتها)

وقالوا فى نَوح الحمام ، قال جِران العَود :

٧٤ واستقبلوا وادياً نوحُ الحمامِ بِهِ كأنَّه صوتُ أنباطٍ مَثَاكيلِ[5]

---

(١) المخد : موضع الخد ، وهو الشق . والوحى : الكتابة . والإمام : الكتاب . وفى القرآن الكريم : « يوم ندعو كل أناس بإمامهم » أى كتابهم .

(٢) لوحن : غيرتهن النار . وعنى بالخوالد الأثافى لأنهن يبقين بعد هجرة أصحابهن ودروس ربوعهم . والشام : جمع شامة ، وهو الأثر الأسود فى البدن ، أو الأرض .

(٣) الخيم : أعواد تنصب فى القيظ وتجعل لهــا عوارض وتظلل بالشجر فتكون أبرد من الأخبية . وقيل : هى عيدان يبنى عليها الخيام . والهابى : الرقيق الدقيق المرتفع ، وأراد به الرماد .

وقبل البيت كما فى ديوان العرجى ١١٧ :

فؤادك أن يهتاج لما بدا له رسوم المغانى والأثافى الرواكد

(٤) النصيف : ماله لونان . والعصب : ضرب من البرود اليمنية ، يعصب غزلهــا أى يجمع ويشــد ، ثم يصبغ وينسج فيأتى موشياً ، ابقاء ماعصب منه أبيض لم يأخذه صبغ .

(٥) ط : « وديا » .

وقالوا في ارتفاعِ مواضعِ بُيوتِها وأعشاشها . قال الأعشى :

ألم تر أن العِرْض أصبحَ بطنُه نخيلاً وزرعاً نابتاً وفَصافِصا[١]

وذا[٢] شُرُفات يقصُرُ الطَّرف دونَه تَرَى للحمام الوُرقِ فيه قَرامصا[٣]

وقال عمرو[٤] بن الوليد :

فتبدَّلتُ من مساكنِ قومى والقُصورِ التى بها الآطامُ

كلَّ قصرٍ مشيَّدٍ ذى أواسٍ تتغنَّى على ذُراه الحمـــام[٥]

والحمام أيضاً ربما سكن أجْوَافَ[٦] الرَّكايا ، ولا يكون ذلك إلَّا لِلْوحشىِّ منها ، وفى البِير التى لاتُورَد . قال الشاعر :

بدلو[٧] غير مُكرَبَةٍ أصابتْ[٨] حَماماً[٩] فى مساكِنِه فَطَارَا

يقول : استقى بِسُفرتِه[١٠] من هذه البئر ، ولم يستق بِدَلوٍ . وهذه بئر قد سكنها الحمام لأنَّها لاتُورَدُ .

---

(١) الفصافص : جمع فصفص أو فصفصة ، بكسر الفاءين من كل منهما ، وهى رطب القت.

(٢) ط ، س : « وذى » .

(٣) القرامص : جمع قرموص ، بضم القاف ، وهو عش الحمام . وقد حذف ياء القراميص للشعر .

(٤) ل : « عمر » ، وهو تحريف ماأثبت من ط ، س . وانظر تحقيق السابق فى التنبيه الثانى ص ٢٠٨ حيث تجد ترجمته .

(٥) سبق الكلام فى شرح الشعر وأصله ص ٢٠٨ .

(٦) ط ، ل : « أجراف » جمع جرف ، والمراد به الحفرة فى جدار الركية .

(٧) ط : « بدلو » وصوابه فى ل ، س .

(٨) كذا فى ل : وهو الصواب . وفى ط : س : « أطابت » . والمكربة : ذات الكرب بالتحريك ، وهو حبل الدلو .

(٩) ط : « جماما » وهو تطبيع .

(١٠) السفرة : مايضع فيه المسافر طعامه ، وأكثر مايكون ذلك جلداً مستديراً . ط : « بملغوة » س : « بملفوة » .

وقال جهم بن خلف[1] :

وقد هاج شَوقى أنْ تَغنَّت حمامةٌ مطوَّقَةٌ ورقاء تصـدَحُ فى الفجْر

هتوفٌ تبكِّى ساقَ حُرٍّ ، ولن ترَى لهـا دَمعةً يوماً على خدِّها تجرى

تغنَّتْ[2] بلحنٍ فاستجابَت لصوتها نَوائِحُ بالأصْياف[3] فى فَنَنِ السِّدْرِ[4]

إذا فترَتْ كرَّتْ بلحنٍ شجٍ لها[5]
يُهَيِّج[6] للصَّبِّ الحزينِ جوَى الصَّـدْرِ

دعتْهُنَّ مِطرابُ العشيَّات والضُّحَى بصوتٍ يَهيجُ المستهَامَ على الذِّكْرِ

فـلم أرَ ذا وَجدٍ يَزيدُ صَبابةً عليها ، ولا ثَـكلَى تُبَـكِّى على بِكْرِ[7]

فأسعَدْنَها بالنَّوح حتَّى كأنَّما شَربنَ سُلافاً من معتَّقة الخمْرِ[8]

تجاوبْنَ لحناً فى الغُصونِ كأنَّها نوائحُ مَيْتٍ يلتدِمْنَ لدى قبرِ[9]

بسُرَّةِ وادٍ من تبَـالةَ مُونِقٍ كسا جانبَيه الطَّلحُ واعتمَّ بالزَّهْرِ[10]

---

(١) جهم بن خلف المازنى : راوية عالم بالغريب والشعر فى زمان خلف والأصمعى ، وله شعر فى الحشرات والجارح من الطير . الفهرست ٤٧ ليبسك ٧٠ مصر . ط ، س : « بن ضابئ » وأثبت ما فى ل .

(٢) ل : « فغنت » والأجزل ما أثبت من ط ، س .

(٣) الأصياف : جمع صيف . ط ، س : « بالأصناف » ل : « بالأضياف » وهما تصحيف .

(٤) السدر : شجر النبق . وقد أراد بكلمة « فنن » الأفنان : أى الأغصان ، أطلق المفرد وأراد الجمع وذلك كثير فى كلامهم .

(٥) ط ، س : « شجونها » .

(٦) ط ، س : « تهيج » .

(٧) يزيد صبابة ، أى تكون صبابته أشـد وأعنف من صبابتها . ط ، س : « على وكر » والوجه ما أثبت من ل .

(٨) ل : « فأسعدتها بالدوح » ! وجعلهن قد شربن الخمر لما كان لهن من شدة الصوت ؛ فعل العربيد .

(٩) يلتدمن ، من الالتدام ، وهو ضرب المرأة صدرها فى النياحة .

(١٠) تبالة : موضع ببلاد اليمن ، حيث الشجر والنضرة . والطلح : شجر عظام . ط ، س : « الزهر » .

(استطراد لغوى)

ويقال : هدر الحمام يهدِر . قال : ويقال فى الحمام الوحشى من القمارىّ والفواختِ والدَّباسى وما أشبه ذلك : قد هدل يهدِل هديلًا . فإذا طرَّب قيل غرَّد يغرد تغريداً . والتغريد يكون للحمام والإنسان ، وأصله من الطير .

وأمَّا أصحابنا فيقولون : إنَّ الجمل يهدِر ، ولا يكون باللام ؛ والحمام يهدل ٧٥ وربَّما كان بالراء .

وبعضهم يزعُم أنّ الهديلَ من أسماء الحمام الذَّكر . قال الرَّاعى وآسمه عبيد بن الحصين — :

كهداهِدٍ كَسَرَ الرُّماةُ جَناحَه يدعُو بقارِعَةِ الطَّرِيق هديلَا[1]

(ساق حُرٍّ)

وزعم الأصمعىُّ أنّ قوله : « هتوفٌ تبكّى ساقَ حرٍّ » إنّما هو حكايةُ صوت وحشىِّ الطير من هذه النَّوّاحات . وبعضهم يزعم أنّ « ساق حرّ » هو الذكر ، وذهب إلى قول الطِّرِمَّاح فى تشبيه الرَّماد بالحمام ، فقال :

بين أظآرٍ بمظْلومــــةٍ كسَراةِ السّاقِ ساقِ الحمامْ[2]

---

(١) الهداهد : الهدهد . وقد شبه بذلك الهدهد الذى كسر جناحه ، رجلا أخذ المصدق إبله . وقبل البيت :

أخذوا حمولته فأصبح قاعداً لايستطيع عن الديار حويلا
يدعو أمير المؤمنين ودونه خرق تجر به الرياح ذيولا

وهو من قصيدة طويلة عدة أبياتها تسعة وثمانون ، ذكر منها البغدادى فى الخزانة (٣ : ١٣١ سلفية) أربعة وعشرين .

(٢) الأظآر : الأثافى . والمظلومة : الأرض حفرت فى غير موضع حفر . والسراة : الظهر . ط ، س : « كسرات » تحريف . والساق : الحمام . وقصيدة البيت فى ديوان الطرماح ٩٥ — ١١٠ . والبيت فى ص ٩٦ . والقصيدة من بحر المديد يصح فى رويها الإسكان والكسر ، كما فى تكملة الصاغانى .

(صفة فرس)

وقال آخر[1] يصف فرساً :

يُنجيه مِنْ مِثْلِ حمام[2] الأغْلَالْ   رفعُ يدٍ عَجلَى ورِجل شملَالْ

* تَظْمَأُ من تحتُ وتُروَى من عَالْ[3] *

الأغلال[4] : جمع غَلَلٍ ، وهو الماء الذى يجرى بين ظهرَى الشَّجر[5] قال : والمعنى : أنّ الحمام إذا كان يريد الماء فهو أسرعُ لها . وقوله : شِملال أىْ خفيفة .

باب[6]

ليس فى الأرض جنسٌ يعتريه الأوضاح والشِّيات ، ويكون فيها المصْمَت والبهيمُ أكثرَ ألواناً ، [و] من أصناف التَّحَاسِين[7] مايكون فى الحمام ، فمنها مايكون أخضرَ مُصمَّتا ، [وأحمر مصمتا] ، وأسودَ

---

(١) هو دكين الراجز ، كما فى اللسان (غلل) .

(٢) يقول : ينجى هذا الفرس من خيل سراع فى الغارة كالحمام الواردة . ل : « حمام » تصحيف .

(٣) تظمأ : أى تكون متوترة ليس فيها رهل ، وذلك محمود فى الفرس . وفى الأصل : « يظمأ » . وتروى : أى يكثر لحمها . من عال : من أعلى .

(٤) قبل هذه الكلمة فى ط ، س كلمة : « حمام » وليس يتطلبها الكلام .

(٥) بين ظهرى الشجر : وسطه . ومثله بين ظهرانيه .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل ، وبدلها : « وقال صاحب الحمام » .

(٧) التحاسين : جمع تحسين . وفى ط : « التخاسين » ، وهو تصحيف .

مصمتا ، [وأبيض مصمتا[١]] ، وضروبا من ذلك ، كلها مصمتة . إلاّ أنّ الهِدَايَةَ للخُضْر والنُّمْر[٢] . فإذا ابيضَّ الحمام [كالفقيع] فمثله من النّاس الصَّقلابىُّ[٣] ، فإن الصَّقلابىَّ[٣] فطيرٌ[٤] خامٌ[٥] لم تُنْضِجْه الأرحام ؛ [إذ كانت الأرحام] فى البلاد التى شمسُها ضعيفة .

وإن اسودّ[٦] الحمامُ فإنما ذلك احتراقٌ ، ومجاوزة لحدِّ النُّضج . ومثلُ [سود الحمام[٧]] من الناس الزِّنج ؛ فإنّ أرحامهمْ جاوزَت حدَّ الإنضاج إلى الإحراق ، وشيَّطت[٨] الشّمسُ شُعورَهم فتقبَّضت .

والشَّعر إذا أدنَيتَه من النَّار تجعَّد ، فإنْ زدْتَه تَفَلفَل[٩] ، فإن زدتَه احترق .

وكما أنّ عقولَ سُودانِ النَّاس وحُمرانِهم دونَ عقول السُّمر ، كذلك بيضُ الحمام وسودُها دونَ الخُضْر فى المعرفة والهدايَةِ .

---

(١) الزيادة من ل ، س . والمراد بالمصمت : الخالص .

(٢) النمر : جمع أنمر ، وهو ما فيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء .

(٣) كذا جاء . والوجه « صقلبى » ، نسبة إلى صقلب ، وهو موضع بصقلية ، وآخر بين بلغار والقسطنطينية .

(٤) فطير : لم ينضج . وفى ط : « قطر » وتصحيحه من ل ، س .

(٥) الخام : أصل معناه الدبس الذى لم تمسه النار ، وكذلك الجلد لم يدبغ أو لم يبالغ فى دبغه ، وهى كلمة معربة . ط ، س : « خاص » تحريف .

(٦) ط : « أسود » وهو خطأ .

(٧) بدل هذه الزيادة المثبتة من ل ، كلمة « به » فى ط ، س .

(٨) شـيطت : أحرقت . ط : « كشطت » س : « نشطت » تحريف ما أثبت من ل .

(٩) يقال شعر مفلفل : شديد الجعودة . فى الأصل : « تقلقل » وهو تصحيف .

(استطراد لغوى)

وأصل الخضرة إنّما هو لون الرَّيحانِ والبقولِ[1] ، ثمَّ جعلوا بعدُ الحديدَ أخضرَ ، والسماءَ خضراء ، حتَّى سمَّوا بذلك الكُحْلَ واللَّيل . قال الشَّمَّاخ بنُ ضرار :

٧٦ ورُحْنَ رَواحاً مِنْ زَرُودَ فنازعت   زُبالةَ جلبابا من الليل أخضرا[2]

وقال الرّاجز :

حتَّى انتضاه الصُّبح من ليلٍ خَضِرْ[3]   مثلَ انتضاء البَطَلِ السَّيفَ الذَّكَرْ[4]

* نضو هوًى بالٍ على نِضْوٍ سَفَرْ[5] *

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . مُدْهَامَّتَانِ﴾ ، قال : خضروان من الرِّى سوداوان .

ويقال : إن العراقَ إنَّما سمِّى سواداً بلون السَّعَف الذى فى النّخل ، ومائه .

والأسودان : الماء والتمر . والأبيضان : الماء واللبن . والماء[6] أسودُ إذا كان مع التَّمر ، وأبيضُ إذا كان مع اللَّبن .

---

(١) ل : « إنما هو للريحان والبقول » .

(٢) بدل هذا البيت جميعه فى ط ، س : « فنازعت جلبابا من الليل أخضراً » ، وأثبت البيت كاملا من ل . على أن صواب روايته : « وراحت رواحا » لأنه فى صفة ناقة واحدة كما فى الديوان ص ٣١ وماقبلها وكما فى رسائل الجاحظ ٧٠ . وزرود : رمال بين الثعلبية والخزيمية . وزبالة ، بالضم : منزل بطريق مكة من الكوفة .

(٣) الرواية فى رسائل الجاحظ : « حتى انتضانى » .

(٤) السيف الذكر : الجيد الحديدة الشديدها . ل : « الليل الذكر » تحريف .

(٥) عنى بالنضو البالى : الراكب . وبالنضو الآخر : مركبه من الإبل .

(٦) ل : « فالماء » .

ويقولون : سُودُ البطون وحُمْر الـكُلى(١) ، ويقولون : سود الأكباد يريدون العداوة ، وأن الأحقاد قد أحرقت أكبادَهم(٢) . ويقال للحافر أسود البطن ؛ لأنّ الحافر لا يكون فى بطونها شحم(٣) .

ويقولون : نحن بخيرٍ ما رأينا سَواد فلان بين أظهُرنا ، يريدون شخصه . وقالوا : بل يريدون ظلّه .

فأمّا خضْرُ مُحارِب(٤) ، فإنما يريدّون السُّودَ(٥) وكذلك : خُضْر غسَّان . ولذلك قال الشاعرُ :

إنَّ الخَضارِمةَ الخضْرَ الذين غدَوْا أَهْلَ البريصِ ثمانٍ منهُمُ الحكَمُ(٦)

ومن هذا المعنى قول القرشىّ(٧) فى مديحِ نفسِه :

---

(١) الكلى : جمع كلية . وفى الأصل : « سود البطن حمر الكلا » ، وذا تحريف وتشويه .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « كالأحقاد أحرقت الأكباد » ، تحريف .

(٣) كذا فى ل ، س . وفى ط : « لأن الحوافر لا يكون فى بطنها شحم » .

(٤) هم بنو محارب بن خصفة بن قيس عيلان .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « السودد » وليس مراداً ، وجاء فى الرسائل ٧٢ ساسى : « وقد فخرت خضر محارب بأنها سود ، والسود عند العرب الخضر » .

(٦) الخضارمة : جمع خضرم ، بكسر الخاء والراء — وهو السيد الحمول . وفى الأصل : « الحضارمة » وصوابه فى رسائل الجاحظ . والبريص ، بالصاد المهملة : اسم نهر دمشق ، حيث ملك الغساسنة . وفى الأصل : « البريض » بالضاد المعجمة ، خطأ تصويبه من الرسائل . وفى الرسائل : « نمانى » ، أى ارتفع نسبى إليه .

(٧) هو عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى كما فى رسائل الجاحظ ٧١ أو الفضل ابن العباس اللهبى ، كما فى الرسائل أيضا والكامل ١٤٣ ليبسك ومعجم المرزبانى ٣٠٩ وكنايات الجرجانى ٥١ والأضداد ٣٣٥ . وهذه الأخيرة هى النسبة الصحيحة . وابن الأنبارى فى الأضداد يرى أن معنى الخضرة السخاء والعطاء .

وأنا الأَخضَرُ مَنْ يَعْرِفُنى   أخضَرُ الجلْدةِ فى بَيْتِ العربْ

وإذا قالوا : فلان أخضَر القفا ، فإنما يعنون به أنّه قد ولدتْهُ سوداء . وإذا قالوا : فلان أخضر البطْن ، فإنما يريدون أنّه حائك ، لأَنّ الحائكَ بطنَهُ لطول[1] التزاقه بالخشبة التى يطوى عليها الثّوب يسودّ .

(عداوة العروضى للنَّظّام)

وكان سبب عداوة العَروضى[2] لإبراهيم النَّظّام ، أنّه كان يسمّيه الأَخضرَ البطن ، والأَسوَد البطن ؛ فكان يكشِفُ بطنَه للناس — يريدُ بذلك تكذيبَ أبى إسحاق — حتّى قال له إسماعيل بن غزْوان : إنّما يريد أنّك من أبناء الحاكة ! فعاداه لذلك .

(استطراد لغوى)

فإذا قيل أخضر النَّواجذ ، فإنما يريدون أنّه من أهل القُرَى ، ممّن يأكل الكُرّاث والبصل .

وإذا قيل للثّور : خاضب ؛ فإنما يريدونَ أنّ البقل قدْ خَضَب أظلافه بالخضرة . وإذا قيل للظليم : خاضب ، فإنما يُريدونَ[3] حمرةَ وظيفيه[4]

---

(١) ل : « لأن بطن الحائك » . والحائك : النساج .

(٢) اسمه عبد الله ، كما ورد فى البخلاء ص ٤٥ ، وهو من معاصرى الجاحظ .

(٣) كذا فى س . وفى ط ، ل : « يرون » .

(٤) الوظيف : مستدق الذراع والساق . ل : « وظيفه » . ط : « وطيفة » وهذه تحريف .

فإنهما يحمرَّان فى القَيْظ ، وإذا قيل للرَّجل خاضب ، فإنَّما يريدون الحنَّاء فإذا كان خضابُه بغير الحِنَّاء قالوا : صَبَغ [1] ولا يقال خضب .

ويقولون فى شبيهٍ بالباب الأوَّل : الأحمران : الذهب والزعفران والأبيضان : الماء واللَّبن ، والأسودان : الماء والتمر .

ويقولون : أهلَكَ النِّساء الأحمران [2] : الذَّهب والزَّعفران ، وأهلَكَ النَّاسَ الأحامِر : الذهب ، والزعفران ، واللَّحم ، والخمر .

والجديدان : اللَّيل والنهار ، وهما الملوان [3] .

والعصر : الدَّهر ، والعصران : صلاة الفَجْر وصلاة العشى [4] ، والعصران : الغَداة والعَشِىُّ ، قال الشاعر [5] :

وأمطُله العَصْرَين حتَّى يملَّنى
ويَرْضى بِنِصْفِ الدَّينِ والأنفُ رَاغِمُ

(١) ط ، س : « صيغ » وصوابه فى ل .

(٢) كذا فى ل ، وهو الصواب . وفى ط : « الأحامران » وفى س : « الأحامر يراد » . وانظر جنى الجنتين للمحبى ١٦ - ١٧ .

(٣) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط ، س : « لونان » .

(٤) جاء فى الحديث : « حافظ على العصرين » أى صلاة الفجر وصلاة العصر ، وسميا العصرين لأنهما يقعان فى طرفى العصرين ، وهما الليل والنهار . وجاء أيضا تفسيره فى الحديث : « قيل : وما العصران ؟ قال : صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها » . وكلمة : « الفجر » هى فى الأصل « العصر » محرفة . و « صلاة العشى » بدلها فى ط ، س : « العشاء » وهو تحريف أيضاً .

(٥) هو عبيد بن الأبرص الأسدى كما فى حماسة البحترى ٤١٥ . وقبله :

ألين إذا لان الغريم وألتوى إذا اشتد حتى يدرك الدين قاتلى

(٦) روى : « وأنطله » فى أمالى المرتضى (٢ : ٣٨) وهى لغة . وكلمة « راغم » هى فى ط : « زاغم » وتصحيحه من ل ، س واللسان والأضداد ١٧٥ ومحاضرات الراغب (١ : ٢٢٩) حيث تجد نظائر هذا المعنى .

ويقال : « البائعان بالخيار » وإنّما هو البائع والمشترى[1] ، فدخل المبتاع فى البائع .

وقال الله عز وجلَّ : ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ ﴾ ، دخلت الأمُّ فى اسم الأبوَّة ، كأنهم يَجمعُون على أنبَهِ[2] الاسمين وكقولهم : ثَبِيرَين[3] ، والبَصرتَين[4] . وليس ذلك بالواجب ؛ وقد قالوا : سيرَة العُمَرَين ، وأبو بكْرٍ فوقَ عمر ، قال الفرزْدَق :

أخــذْنَا بآفاقِ السَّماءِ عليـكمُ   لنا قَمــرَاها والنُّجومُ الطَّوالعُ

وأمَّا قولُ ذى الرُّمَّة :

وليلٍ كجِلبابِ العَرُوسِ ادَّرعتُه   بأربْعةٍ والشخْصُ فى العَينِ وَاحِدُ[5]

فإنهُ ليس يريدُ لونَ الجلباب ، ولكنّهُ يريد سُبوغه .

---

(١) ل : « فإنما هو بائع ومشتر » .

(٢) أنبه الاسمين : أشهرهما وأعرفهما . وفى ط ، س : « ابنه » وصوابه فى ل .

(٣) ثبيران : هما ثبير وحراء كما فى المزهر (٢ : ١٢٢) ، وهما جبلان متقابلان من جبال مكة ، وفى ثانيهما الغار المشهور . وبدل ما أثبت من ل فى كل من ط ، س : « كالبحرين والمسلمين والزهدمين » .

(٤) البصرتان : البصرة والكوفة ، والأولى أقدم من الثانية .

(٥) ادرعته : لبسته كما يلبس الدرع . وقد فسر ذو الرمة الأربعة التى شخصها واحد فى العين ، أى التى يراها الناظر شخصا واحداً ، بقوله بعده :

أحم علافى وأبيض صارم   وأعيس مهرى وأروع ما جد

فالأحم العلافى ، بكسر العين ، هو الرحل . والأحم : الأسود . والعلافى : المنسوب إلى علاف : رجل من الأزد صانع للرجال . والأبيض الصارم عنى به سيفه القاطع . والأعيس : الذى خالط بياضه شقرة . وعنى جمله . والمهرى : منسوب إلى مهرة بن حيدان . والأروع : الذى يعجبك حسنه . وعنى نفسه .

والشعر حديث فى ديوان المعانى (٢ : ٣٤٢) والعمدة (٢ : ٢٩) والصناعتين ٢٢١ .

(جواب أعرابىّ)

قال : وكذلك قول الأعرابىّ حينَ قيل له : بأىِّ شىء تعرفُ حَملَ شاتِك ؟ قال : « إذا استفاضَتْ خاصِرتها ، ودَجت شَعْرَتُها[1] » . فالدَّاجى هاهنا اللابس .

قال الأصمعى ومسعود [بن فيد[2]] الفزارى : ألا تَرونَه يقول : «كان ذلك وثَوبُ الإسلامِ داجٍ » . وأما لفظ الأصمعىّ فإنّه قال : كان ذلك منذُ دَجَا الإسلام . يعنى أنّه ألبس كلَّ شىء[3] .

(شِيات الحمام)

ثمَّ رجع بنا القول إلى ذكر شِياتِ الحمام .

وزعموا أنَّ الأوضاحَ كلَّها ضعَف ، قليلها وكثيرها ، إلاَّ أنَّ ذلك بالحِصَص على قدْر الكثْرة والقلَّة ، كذلك هى فى جميع الحيوانِ سواءٌ مستقبلُها ومستدْبرها . وذلك ليس بالواجبِ حتى لايغادر شيئاً ألبتة ؛ لأنَّ الكَلْبةَ السَّلوقيَّةَ البيضاءَ أكرمُ وأصيَدُ ، وأصبَرُ من السَّوْدَاء[4] .

والبياضُ فى النَّاسِ على ضروب : فالمعيب منه بياضُ المُغْرَب[5]

---

(١) انظر ٥ : ٤٨٢ .

(٢) هذه الزيادة المثبتة من ل ، هى فى الأصل « قيد » بالقاف . وصوابه ما أثبت .

(٣) أى قوى وانتشر ، كما فى اللسان (دجا) .

(٤) ط ، س : « السواد » ، وصوابه فى ل .

(٥) المغرب بضم الميم وفتح الراء : ما كل شىء منه أبيض . ط : « البياض المغرب » وتصحيحه من ل ، س .

والأشقَرُ والأحمرُ أقلُّ فى الضَّعف والفَسادِ ، إذا[1] كان مشتقًّا من بَياضِ البَهَقِ والبَرَصِ والبَرَش [والشيب] .

والمغْرَبُ عند العرب لا خَير فيه ألبتّة . والفقيع[2] لا يُنجِب ، وليس عنده إلاّ حسنُ بياضه ، عند من اشتهى ذلك .

(سوابق الخيل)

وزعم ابن سلاّم الجمحىّ أنّه لم ير قطُّ بلقاءَ ولا أبلق [جاء] سابقاً .

وقال الأصمعىّ : لم يسبق الحَلْبَةَ أهضَمُ قطُّ ؛ لأنهم يمدحون المُجْفَرَ[3] من الخيل ، كما قال[4] :

٧٨ خِيط على زَفرةٍ فتَمَّ ولم يرجــعْ إلى دِقّــة وَلاَ هَضَمِ[5]

ويقولون : إنَّ الفرَس بعُنُقِه وبطْنه .

وخبّرنى بعض أصحابنا ، أنّه رأى فَرَساً للمأمون بَلقاء سبقتِ الحلبة .

وهذه نادرةٌ غريبة .

---

(١) كذا فى ل ، س . وفى ط : « وإذا » .

(٢) الفقيع : الأبيض من الحمام .

(٣) المجفر ، بضم الميم وفتح الفاء : الواسع الجفرة بالضم ، وهى وسط الفرس .

(٤) هو النابغة الجعدى ، كما فى أدب الكاتب ٨٩ والاقتضاب ٣٣٠ .

(٥) يقول : كأنه زفر زفرة امتلأ جوفه بها ثم خيط على ذلك فلم تلحقه دقة ولا هضم . والهضم (بالتحريك) : استقامة الضلوع وانضمام أعالى البطن . وهذا البيت ساقط من ل . وقد أصلحته من اللسان والمصدرين السابقين . وهو فى ط : س محرف هكذا :

خيط على زفرة قم ولم يرجع إلى درقة وهضم

(نظافة الحمام ونَفع ذرْقه)

والحمام طائرٌ ألوفٌ مألوف ومحبَّب ، موصوفٌ بالنّظافة ، حتى إنّ ذرْقه لايعاف[1] ولا نتن له ، كسُلَاحِ[2] الدَّجاج والدِّيَـكة . وقد يُعالج بذرْقه صاحبُ الحصاة . والفلاّحون يجدون فيه أكثرَ المنافع . والخبَّاز يُلقِى الشىء منه فى الخمير لينتفخَ العجينُ ويعظُمَ الرغيف ، ثمّ لايستبينُ ذلك فيه . ولذَرْقه غلاّتٌ ، يعرف ذلك أصحاب الُحجَر . وهو يصلُح فى بَعض وُجوهِ الدَّبْغ .

بـــاب[3]

[وقال صاحبُ الدِّيك] : الحمامُ طائرٌ لئيمٌ قاسى القلب ، وإن برَّ بزَعْمِكم[4] ولدَ غيرِه ، وصنَعَ به كما يصنع بفرخه ؛ وذلك أنهما يحضُنان كلَّ بيض ، ويزُقّان كلَّ فرْخ ، وما ذاك منهما إلاّ فى الفَرْط .

(لؤم الحمام)

فأمّا لؤمه فمن[5] طريق الغَيرة ، فإنّه يرى بعينه الذّكرَ الذى هو أضعف منه ، وهو يطرُدُ أنثاه ويكسَحُ بِذَنَبه حَولها ، ويتطوّس[6] لها

---

(١) لايعاف : لا يكره .
(٢) السلاح ، بالضم : النجو .
(٣) ليست فى ل .
(٤) كذا فى ط ، س . وفى ل : « وإن برعم ببره » ، وليس يستقيم هذا .
(٥) كذا فى ل . وبدلها فى ط س : « فى » وأثبت الصواب .
(٦) التطوس : التزين . ويراد به هنا إبداء المحاسن فى الشكل والحركة .

ويستميلها ، وهو يرى ذلك بعَينه — ثمّ لم نر قط ذكراً واثبَ ذكراً عند مثلِ ذلك .

فإذا قلت : إنّه يشتدُّ عليه ويمنعه إذا جثَمت[1] له وأراد أن يعلوَها ؛ فكلُّ ذكر وأنثى هنالك يفعل ذلك ، وليس ذلك من الذكر الغريب من طريق الغَيرة ، ولكنّه ضربٌ من البُخْل ومن النّفاسة[2] . وإذا لم يكن من ذكَرِها إلاّ مثلُ ما يكون من جميع الحمام عُلِم أنّ ذلك منه ليس من طريق الغيرة . [وأنا رأيت النواهضَ تفعل ذلك ، وتقطع على الذّكر بَعْدَ أن يعلُوَ على الأنثى] .

قال: وأمَّا ما ذكرتم من أن الحمامَ معطوفٌ على فِراخه ما دامتْ محتاجةً إلى الزّقّ ، فإذا استغنَت نُزِعت منها الرحمةُ ، فليس ذلك كما قلتم . الحمامُ طائرٌ ليس له عهد ؛ وذلك أنّ الذّكرَ ربما كانت معه الأنثى السِّنينَ ، ثمّ تَنقَلُ عنه وتُوارَى [عنه] شهراً واحداً ، ثم تظهر له مع زوجٍ أضْعَفَ منه ، فيراها طولَ دهْره وهي إلى جنب بيتِه وتماريده[3] فكأنهُ لايعرفها بعد معرفتها الدّهرَ الطويل[4] ، وإنما غابت عنه الأيَّامَ اليسيرةَ . فليس يوجَّهُ[5] ذلك الجهلُ الذى يُعامِل به فراخَهُ بَعد أن كبِرَت ، إلّا على

---

(١) جثمت : لزمت مكانها أو وقعت على صدرها . وبدلها فى ط : « اجتمعت » .

(٢) النفاسة ، هنا ، من نفس عليه ، بكسر الفاء : حسده ، أو لم يره أهلا .

(٣) التماريد : جمع تمراد بالكسر ، وهو بيت صغير فى بيت الحمام لمبيضه . ط : « وبمرآه » . س : « بمرداته » وهذه محرفة .

(٤) ل : « بعد معرفة » . ل : س: « العمر الطويل » .

(٥) كذا الصواب فى ل ، س . وفى ط : « يوجد » .

الغباوة وسُوء الذِّكر ، وأنّ الفرْخ حين استوى ريشهُ وأشبَهَ غيرَه من الحمام جهِل الفصْل[1] الذى بينهما .

فإن كان يعرف أنثاه وهو يجدُها مع ذكَرٍ ضعيف وهو مسلِّمٌ لذلك وقانعٌ بِهِ ، وقليلُ الاكتراث به ، فهو من لؤمٍ فى أصل الطبيعة . ٧٩

(قسوة الحمام)

قال : وبابٌ آخر من لؤمه: القسوةُ ، وهى ألأمُ اللّؤم ؛وذلك أن الذّكَر ربَّما كان فى البيت طائرٌ ذكرٌ قد اشتدَّ ضعفُه ، فينقر رأسَه والآخرُ مستخذ[2] له ، قد أمكنَه من رأسِهِ خاضعاً له ، شديدَ الاستسلام لأمره ، فلا هو يرحمه لضعْفِه وعجْزه عنهُ ، ولا هو يرحَمُه لخضوعه ، ولا هو يملُّ[3] وليس له عنده وِتر . ثمّ ينقُر يافُوخَه حتى ينقُبَ عنهُ ، ثمَّ لايزال ينقُر ذلك المكانَ بَعْدَ النّقْب حتى يُخرِجَ دِمَاغَهُ فيموتَ بين يَدَيْه .

فلو كان ممّا يأكل اللّحمَ واشتهى الدماغ كان ذلك له عذراً ؛ إذ لم يَعْدُ ماطَبَعَ الله عليه سِباعَ الطير .

فإذا رأينا من بعض بهائمِ الطيرِ من القَسوةِ ما لا نرى من سِباع الطير لم يكن لنا إلاّ أن نقضىَ عليهِ من اللؤم على حسب مباينته لشكل

---

(١) الفصل بالصاد المهملة : أى الفرق . ط ، س : « الفضل » وليس بشىء .

(٢) مستخذ ، بالذال : خاضع . س فقط : « مستخز » ، وهو تصحيف .

(٣) ل: « ولا يميل » .

البهيمــة ، ويزيد[١] فى ذلك على ما فى جوارح الطــير من[٢] السَّبُعية .

(أقوال لصاحب الديك فى الحمام)

وقال صاحب الديك[٣] :

زعم أبو الأَصبغ بن ربعىّ[٤] قال : كان رَوحٌ أبو همام صاحِب المعمّى ، عند مثنَّى بن زهير ، فبينما هو يوماً وهو معهُ فى السطح إذ جاء جماعةٌ فصعِدوا . فلم يلبثْ أن جاء آخرون ، ثمَّ لم يلبَثْ أن جاءَ مثلهُمْ ، فأقبَلَ عليهم فقال : أىُّ شىءٍ جاء بكم ؟ وما الذى جَمَعكم اليوم ؟ قالوا : هذا اليومُ الذى يرجع فيهِ مَزَاجيلُ الحمامِ من الغايَةِ . قال : ثمَّ ماذا ؟ قالوا : ثمَّ نَتَمَتَّعُ بالنَّظَرِ إليها إذا أقبلت . قال : لـكنِّى أتمتّع بتغميض العين إذا أقبلت ، وترْكِ النَّظَرِ إليها !! ثمَّ نزَل وجلس وحدَه .

(التلهِّى بالحمام)

وقال مثنَّى بنُ زهير ذاتَ يوم : ما تَلَهَّى النّاسُ بشىءٍ مثل الحمام ، ولا وجدنا شيئا مما يتخذه النّاس ويُلعَبُ بِهِ ويُلْهَى بِهِ ، يخرج من أبواب

---

(١) ل : « وتزيده » .

(٢) ط ، س : « مثل » وصوابه فى ل .

(٣) هذه الجملة ليست فى ط ، س . وبدلها كلمة « باب » .

(٤) ماعدا ل : « أبو الأصبغ بن ربعى » . وانظر ص ١٠٩ .

الهزل إلى أبواب الجدّ - كالحمام - وأبو إسحاق[1] حاضر - فغاظه ذلك ، وكظم على غيظه . فلمّا رأى مثنّى سكوته عن الردّ عليه طمِع فيه فقال : يبلغ واللهِ مِنْ كرَم الحمام ووفائِه ، وثباتِ عهْدِه ، وحنينِه إلى أهله ، أنّى ربّما قصَصتُ الطّائر[2] بعد أنْ طار عِندى دهراً ، فمتى نبَتَ جَناحُه كنباته الأوَّل ، لم يَدْعُه سوءُ صنعِى إليه إلى الذّهاب عنّى . ولربّما بِعْتُه فيقصُّه المبتاعُ حيناً ، فما هو إلاّ أن يجدَ فى جَناحِه قوّةً على النّهوض [حتّى أراه[3]] أتانى جادفاً أو غير جادف[4] . وربّما فعلتُ ذلك به مراراً كثيرة ، كلُّ ذلك لايزدَادُ إلّا وفاء . ٨٠

قال أبو إسحاق : أمّا أنت فأراكَ دائباً تحمَده وتذمُّ نَفْسَك . ولئنْ كان رجوعُه إليك من الكرمِ إنّ إخراجَك له من اللُّؤم ! وما يُعجبنى من الرِّجال مَنْ يَقْطَعُ نفسَه لصلةِ طائرٍ ، وينسى ماعليه فىجنبِ مالبهيمة . ثم قال : خبِّرنى عنْكَ حين تقول : رجَعَ إلىَّ مرَّةً بعدَ مرَّة ، وكلما زهِدْتُ فيه كان فىَّ أرغبَ ، وكلّما باعدْتُه كان لى أطْلَبَ؛ إليكَ جاء ، وإليكَ حنَّ أمْ إلى عُشّه الذى درَج منه ، وإلى وكْره الذى رُبِّى فيه ؟ ! أرأيت أنْ لو رجَعَ إلَى وكرِه وبيتِه ثمَّ لم يجدْك ، وألفاك غائباً أو ميِّتاً ، أكان يرجعُ إلى موضعه الذى خلّفه ؟ ! وعلى أنّك تتعجّب من هدايتِه ، وما لك فيه

---

(١) هو إبراهيم بن سيار النظام شيخ الجاحظ .

(٢) فى الأصل : « قصصت الطائر دهرا » . وكلمة : « دهرا » مقحمة بلا ريب .

(٣) ليست بالأصل ، وزدتها تكملة للكلام .

(٤) جدف الطائر جدوفا : طار وهو مقصوص .

مقالٌ غيره . فأمَّا شكرُك على إرادته لك ، فقد تبيَّنَ خَطَاؤك[1] فيه ، وإنما بقى الآن حسنُ الاهتداء ، والحنينُ إلى الوطن .

(مشابَهة هداية الحمام لهداية الرخم)

وقد أجمعوا على أنَّ الرَّخَمَ من لئام الطير وبغاثها ، وليست من عِتاقها وأحْرارها ، وهى من قواطِع الطَّير ، ومِنْ موضِع مَقْطَعها إلينا[2] [ثمَّ] مرجِعِها إليه من عندنا ، أكثَرُ وأطوَلَ من مقدارِ أبعَدِ غايات حمامكم . فإن كانتْ وقتَ خُروجها من أوطانها إلينا خرجتْ تقطَع الصَّحارىَ والبرارىَّ والجزائرَ والغِياضَ والبِحارَ والجبالَ ،حتّى تصير إلينا فى كلِّ عام ـ فإن قلت إنّها ليستْ تخرج إلينا على سمْتٍ ولا على هِدايةٍ ولا دَلالةٍ ، ولا على أمارةٍ وعَلامة ، وإنما هَرَبت من الثُّلوج والبَرْد الشديد ، وعلمت أنّها تحتاج إلى الطُّعْم ، وأنَّ الثّلجَ قد ألبَس ذلك العالم ، فخرجتْ هاربةً فلا تزالُ فى هربها إلى أن تصادفَ أرضا خِصْباً[3] دفئاً ، فتقيم عندَ أدنى ماتجد ـ فما تقولُ فيها عند رجوعها ومعرفتِها بانحسارِ الثلوج عن بلادها ؟ ! أليست قد اهتدتْ[4] طريقَ الرُّجوع ! ؟ ومعلوم عند أهل تلك الأطراف ، وعند أصحاب التَّجارب

---

(١) الخطاء ، كسحاب ، مثل الخطأ .

(٢) ط ، س : « إلى » ،وصوابه فى ل .

(٣) يقال : أرض خصب وخصبة بكسرهما ، وخصبة بالفتح . بدلها فى ل : « بيضاء » وليس بشىء .

(٤) يقال هو يهدى الطريق ويهتدى الطريق بمعنى يعرفه .

وعند القانص ، أنّ طَيْرَ كلِّ جهةٍ إذا قَطَعَتْ رَجَعت إلى بلادها وجبالها وأوكارها ، وإلى غياضها وأعشّتها[1] . فتجد هذه الصِّفة فى جميع القواطع من الطَّير ، كرامها كلئامها[2] ، وبهائمها كسباعها . ثمَّ لايكون اهتداؤها على تمرينٍ وتوطين ، ولا عن تدريبٍ وتجريبٍ ، ولم تلقّن[3] بالتّعليم ، ولم تثبّتْ بالتّدبيرِ والتقويم . فالقواطع لأنفسها تصير إلينا ، ولأنفسها تعودُ إلى أوكارها . وكذلك الأوابد من الحمام ، لأنفسها ترجع . وإلفُها للوطن إلفٌ مشترَكٌ مقسومٌ على جميع الطّير . فقَدْ بَطَلَ جميعُ ما ذكرت .

(قواطع السمك)

ثم قال : وأعجبُ من جميعِ قواطعِ الطّيرِ قواطعُ السَّمك ، كالأسبور[4] والجُوَاف[5] والبَرستُوج[6] ، فإنَّ هذه الأنواعَ تأتى دِجلَة البصرةِ من

(١) لم أر هذا الجمع لغير الجاحظ . والمعروف عشاش وعششة وأعشاش .

(٢) ط ، س : « ولئامها » وصوابه ما أثبت من ل .

(٣) كذا فى ط ، س . وفى ل : « ولم تعلّ » .

(٤) فصيلة الأسبور ، أسماك بحرية مشهورة ، منها المرجان ، والسرغوس ، والسرب والكحلاء ، ونحوها . معجم المعلوف ٢٣٢ . ولم أهتد إلى ضبطه لأنه ليس من ألفاظ المعاجم المشهورة . وبدل هذه الكلمة فى ط ، س : « الأشبور » وبدون إلحاق كاف التشبيه فى أوله ، وهو تحريف . وجاء الكلام عليه فى عجائب المخلوقات ١١٤ .

(٥) الجواف بالواو ، بوزن غراب ، كما فى القاموس : ضرب من السمك . وقال صاحب عجائب المخلوقات : « ووصفه مثل وصف الأسبور » . وهذه الكلمة جاءت محرفة فى س وعجائب المخلوقات بلفظ « الجراف » . وفى ط بلفظ « الجوان » وصوابه فى القاموس و ل .

(٦) البرستوج ، هو فى القاموس : « البرشتوك كسقنقور : سمك بحرى » قلت : هو =

٨١ أقصى البحار ، تستعذبُ الماء فى ذلك الإبّان ، كأنها ، تتحمَّضُ بحلاوة الماء وعذوبتِه ، بعدَ مُلوحةِ البحر ؛ كما تتحمَّض الإبلُ فتطلب الحَمْضَ - وهو ملحٌ - بَعْدَ الْخُلّة - وهو ماحلا وعذب .

(طلب الأسد للملح)

والأُسدُ إذا أكلَتْ مِن حَسْوِ الدِّماء - والدِّماءُ حلوةٌ - وأكْلِ اللَّحْم واللَّحمُ حلو - طلبت المِلْحَ لتتملّحَ[1] به ، وتجعلَه كالحَمْض بعْدَ الْخُلّة .

ولولا حُسنُ موقعِ المِلْح لم يُدْخله النّاسُ فى أكثرِ طعامهم .

والأَسَدُ يخرج للتملُّح ، فَلَا يزالُ يسيرُ حتّى يجِدَ مَلّاحَةً[2] . وربّما اعتادَ الأَسَدُ مكاناً فيجدُه ممنوعا ، فلا يَزالُ يقطَعُ الفراسِخَ الكثيرةَ بَعْدَ ذلك[3] فإذا تملّح رجع[4] إلى موضعِهِ وغَيْضَتِه وعَرِينِه ، وغابه وعِرِّيسته[5] ، وإن كان الذى قَطَع خمسين فرسخاً .

= معرب « پرستوك » ، وهو لفظ فارسى معناه الخطاف واحد الخطاطيف ، ولعل سبب تسميته بذلك أنه يشبه الخطاف فى أنه من القواطع كما أن الخطاف من القواطع . وفى عجائب المخلوقات ١١٤ : « وحاله كحال الخطاطيف وغيرها من الطيور ينتقل من مكان إلى مكان » . « وذكر البحريون أن البرستوج فى الوقت الذى يوجد فى البصرة لايوجد بالزنج ، وفى الوقت الذى يوجد فى الزنج لايوجد فى البصرة » . ط : « البزستوج » تصحيف .

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « تستملح » .

(٢) الملاحة : منبت الملح أى معدنه . وأفعال هذه الجملة فى س مبدوءة بالتاء ، فتقرأ « الأسد » بهذه جمعاً ، أى بضم الهمزة وإسكان السين .

(٣) كذا فى ل ، س . وفى ط : « وبعد ذلك » والواو مقحمة .

(٤) س : « عاد » .

(٥) الغاب : جمع غابة ، وهى الأجمة . والأوفق فى هذه الكلمة أن تكون « وغابته » =

(مجىء قواطع السمك إلى البصرة)

ونحن بالبصرة نعرف الأَشْهر التى يقبل إلينا فيها هذه الأَصناف[١] وهى تقبلُ مرَّتين فى كلٍّ سنة ، ثمّ نجدُها فى إحداهما أسمَنَ[٢] الجنس فيقيم كلُّ جنس منها عنْدَنا شهرَين إلى ثَلاَثَة أشْهر ، فإذا مضى ذلك الأَجلُ ، وانقضتْ عِدّةُ[٣] ذلك الجنسِ ، أقْبل[٤] الجنسُ الآخر . فهم[٥] فى جميع أقسام شُهورِ السَّنَةِ من الشتاء والربيعِ ، والصَّيفِ والخريف ، فى نوعٍ من السَّمك غَيرِ النَّوع الآخَر . إلّا أنْ البَرَسْتُوجَ[٦] يُقْبِل إلينا قاطعاً من بلاد الزَّنج[٧] ، يستعذب الماء من دِجلةِ البَصْرَةِ ، يعرفُ ذلك جميعُ الزِّنج والبَحْرِيّين .

= بالإفراد ليتساوق الكلام ، ولكن هكذا وردت فى ل . وفى ط ، س : « محرابه » ، وهو تحريف ظاهر . والعريسة ، بكسر العين وتشديد الراء المكسورة : مأوى الأسد ، ومثلها « العريس » بالضبط المتقدم ، وجاءت بهذه فى ط ، س .

(١) كذا فى ل . وبدل الكلمتين الأخيرتين فى ط ، س : « الأشبور وأصناف السمك » ، وكلمة« الأشبور » مصحفة سبق الكلام فيها ص ٢٥٩ .

(٢) بعد هذا اللفظ فى ط فقط كلمة « الجنس » ، وليس لها وجه .

(٣) عدته أى عدد أيامه . وفى الكتاب العزيز : « ولتكملوا العدة » ط ، س : « مدة » .

(٤) ط : « قبل » صوابه فى ل ، س .

(٥) فهم : أى فأهل البصرة . س « فيهم » تحريف .

(٦) ط : « البزسبوج » ، وهو تصحيف نبهت عليه ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٧) بلاد الزنج ، يراد بها مايعرف الآن ببلاد الصومال الإيطالى وما جاورها من الجنوب وأكبر بلادهم هى (مقدشو) كما ورد فى معجم البلدان برسم (بحر الزنج) . ولا تزال هذه المدينة عامرة إلى وقتنا هذا . وهى عاصمة بلاد الصومال .

(بُعْدُ بلاد الزِّنج والصِّين عن البصرة)

وهم يزعمون أنّ الذى بين البصرة والزِّنج ، أبعَدُ مما بين الصِّين وبينها[١]

وإنما غلط ناسٌ فزعموا أنّ الصِّين أبعد ، لأن بحرَ الزِّنج[٢] حفرةٌ واحدة عميقَة[٣] واسعة ، وأمواجها عِظام ، ولذلك البَحْرِ ريحٌ تهبُّ من عُمانَ إلى جهة الزِّنج شهْرَين ، وريحٌ تَهُبُّ من بلاد الزِّنج تريدُ جِهَة عُمان شهْرين ، على مقْدَارٍ واحدٍ فيما بينَ الشدَّة واللِّين ، إلاّ أنّها إلى الشدَّةِ أقْرَب ، فلما كان البَحْرُ عميقا والرِّيحُ قَوِيَّةً ، والأمْواجُ عظيمَةً ، وكان الشِّراعُ لايحطُّ ، وكان سيرهم مع الوَتَر ولم يكن مع القَوْس[٤] ، ولا يَعْرفون الخِبَّ والمكَلَّأَ[٥] ، صارت الأيّامَ التى تسير فيها السُّفن إلى الزِّنْجِ أقل .

---

(١) أى وبين البصرة . ط ، س : « بينهما » ، وصوابه فى ل .

(٢) بحر الزنج ، هو الجانب الغربى من المحيط الهندى ، المجاور لبلاد الزنج . وانظر ٢٦١ .

(٣) ل : « عميمة » وصوابه فى ط ، س .

(٤) المراد بالوتر الوتر الهندسى ، وهو الخط الذى يصل بين طرفى القوس . والوتر أبداً أقل من قوسه .

(٥) الخب ، بالكسر : اضطراب أمواج البحر . والمكلأ ، كمعظم : المرفأ . يقول : لايضطرب بهم الموج فيلجئهم إلى الرسو بجوار الساحل . ط : س : « الجيب الميل » ، وهما على الصواب الذى أثبت فى ل .

(البرستوج)

قال : والبَرَسْتوج[١] سَمكٌ يقْطَعُ أمواجَ الماء ، ويَسيح[٢] إلى البصرة مِنَ الزنْج ، ثم يَعُودُ مافَضَلَ عنْ صيدِ الناس إلى بلاده وبحره . وذلك أبْعَدُ ممّا بين البصرة إلى العليق[٣] المرارَ الكثيرة . وهم [لا][٤] يصيدون من البَحْر فيما بين البَصرة إلى الزَّنج[٥] من البَرَسْتُوج[٦] شيئا [إلّا] فى إبانِ مَجيئها إلينا ورجوعِها عنّا[٧] ، وإلّا فالبحر منها فارغٌ خالٍ .

فَعامة الطيرِ أعجبُ من حمامكم ، وعامَّةُ السّمك أعجبُ من الطَّير .

(هداية السمك والحمام)

والطَّيرُ ذو جناحين ، يحلِّق فى الهواء ، فله سُرعةُ الدَّرَك وبلوغ الغاية بالطيران[٨] ، وله إدراك العالم بما فيـه بعلامات وأمارات[٩] إذا هو   ٨٢

---

(١) ط : « والبزسبوج » وصوابه فى ل ، س . وانظر التحقيق فى ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٢) كذا فى ل ، ط . وفى س : « يسبح » بالموحدة .

(٣) كذا فى ل ، وانظر ماسبق فى ص ٢١٥ . ط : « العين » س : « العلين » .

(٤) الزيادة من ل ، س .

(٥) فى ط فقط بعد هذه الكلمة : « ولا نرى » .

(٦) ط : « البزستبوج » وهو تصحيف انظر له ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٧) ل : « عنها » تحريف .

(٨) ط ، س : « والطيران » .

(٩) ل : « بعلاماته وأماراته » .

حلَّق[١] في الهواء، وعلا[٢] فوق كل شيء. والسَّمكة تسبِّح في غَمْر البَحْر والماء[٣]، ولا تسبِّح في أعلاه. ونسيمُ الهواء الذي[٤] يعيشُ بهِ الطيرُ لو دامَ على السمَكِ ساعةً مِنْ نهارٍ لقتله[٥].

وقال أبو العنبر[٦]: قال أبو نخيلة الراجز[٧] وذَكَرَ السمك:

تغمُّــــه النشرَةُ[٨] والنسِيم فَــلا يزال مُغرَقا[٩] يَعُومُ
في البَحر والبَحْرُ له تخميمُ[١٠] وأُمُّــــهُ الوَالدةَ الرءومُ
* تَلهمهُ جهلًا وما يَريمُ *

---

(١) تحليق الطائر: ارتفاعه في طيرانه. ل: «تحلق»، ولم أجد هذه إلا في تحلق القمر: صارت حوله دوارة، وتحلق القوم: جلسوا حلقة حلقة.

(٢) علا: ارتفع. ط: «على» تحريف.

(٣) ل: «غمر الماء». وتجد أني ضبطت «تسبح» من التسبيح، وهو مراد الجاحظ، جاء في نقل الدميري: «قال الجاحظ: السمك يسبح الله في غمر الماء» وانظر ما نقله عن صفوة الصفوة.

(٤) ط: «والذي» وصوابه في ل، س والدميري.

(٥) قال الدميري معترضاً: «وما ذكره الجاحظ من كون النسيم يضر بالسمك فليس على إطلاقه، فإن الغزالي قد استثنى منه نوعاً لايضره النسيم فقال: ومن السمك نوع يطير على وجه البحر مسافة طويلة ثم ينزل».

(٦) ط، س: «ابن أبي العنبر» ل: «أبو العس». وجاء في معجم المرزباني ٥١٣: «أبو العنبر بن أبي نخيلة، ويقال هو أبو العبير».

(٧) أبو نخيلة الراجز سبقت ترجمته في (٢ : ١٠٠). في الأصل: «بن أبي نخيلة الراجز»، وقد أبدلته بما ترى.

(٨) ط: «النشزة» وصوابه في ل، س واللسان (نشر).

(٩) س: «معرقا» وتصحيحه من ط، ل واللسان.

(١٠) ط، س والدميري: «حيم»، وصوابه في ل واللسان.

يقول : النشرَة والنسيم الذى يُحيى جَميعَ الحيواناتِ ، إذا طال عليه الُحمُومُ[1] واللَّخَنُ والعَفَن ، والرُّطوباتُ الغليظة ، فذلك يغمُّ السَّمَك ويكرُبُه ، وأمُّه التى ولدته تأكله ؛ لأنّ السَّمكَ يأكلُ بعضُه بعضاً ، وهو فى ذلك لا يَريمُ هذا الموضع[2] .

وقال رؤبة[3] :

والحوت[4] لا يَكفيه شىءٌ يَلْهَمُه   يُصبِحُ عَطْشَانَ وفى الماءِ فَمُهْ[5]

يصف طباعَه واتِّصالَه بالماء ، وأنَّه شديد الحاجةِ إليه ، وإن كان غَرِقا [فيه[6]] أبدا .

---

(١) الحموم : العفن . ط ، س : « الحموم » وتصحيحه من ل واللسان .

(٢) رام الموضع يريمه : تركه .

(٣) فى محاضرات الراغب (١ : ٣٠٤) نسبة الرجز إلى جرير والصواب ما هنا . والبيتان من أرجوزة طويلة لرؤبة أولها كما فى ديوانه ١٤٩ ، وشرح شواهد المغنى ١٢٠ :

* قلت لزير لم تصله مريمه *

(٤) الرواية الصحيحة : « كالحوت » . انظر المحاضرات وشرح شواهد المغنى . وقد روى البكرى الأرجوزة فى أراجيز العرب ١٣٩ — ١٥٥ . وقبل هذا البيت :

* أتاك لم يخطئ به ترسمه *

يعنى نفسه . ويخاطب أبا جعفر المنصور مادحاً .

(٥) استشهد به ابن سيده فى المخصص (١ : ١٣٦) على أنه اضطر فقال « فمه » وقال : « وهذا الإبدال إنما هو فى الإفراد » ، أى إبدال عين الكلمة بميم ، وكان ينبغى أن يقول : « فوه » ، ولا يصح النطق بكلمة « فم » إلا حين إفرادها عن الإضافة . قال البكرى : « يقول : إنه لا يروى حتى يلقى الممدوح » .

(٦) الزيادة من ل ، س .

(شعر فى الهجاء)

وأنشدنى محمَّدُ بنُ يسير لبعض المدنيِّين[١] ، يهجُو رجلا ، وهو قوله :

لو رأى فى السَّقفِ فرْجاً لنزَا حتَّى يمـوتاَ[٢]
أو رآهُ وَسْطَ بحـرٍ صارَ فيـه الدَّهرَ حُوتاَ[٣]

قال : يقول فى الغَوْصِ فى البَحْرِ ، وفى طُول اللبْثِ فيه .[٤]

(شعر فى الضفدع)

وقال الذَّكوانى ، وهو يصف الضِّفْدعَ :

يُدخل فى الأَشْدَاق[٥] ماءً يَنصُفه كَيماَ[٦] يَنقَّ والنَّقيقُ يُتْلِفهُ

قال : يقول : الضِّفدع لا يصوِّت ، ولا يتهيَّأ له ذلك حتَّى يكون فى فيه ماء ، وإذا أرادَ ذلك أدخل فكه الأسفلَ فى الماء ، وترَك الأعلى حتى يبلُغَ الماءُ نِصفَه .

---

(١) الصواب أن الشعر لأبى نواس ، وليس فى هجاء رجل ، بل فى غرض آخر . انظر الكنايات للجرجانى ٣٧ ومعاهد التنصيص (١ : ٣٤) وأخبار أبى نواس ٣٥ .

(٢) نزا : وثب . وفى الأصل : « لزنا » وصوابه فى أخبار أبى نواس . وفى المعاهد : « لنزى » تحريف كتابى . وفى الكنايات : « لرقى » .

(٣) ل : « صار للتغطاط » ، وصوابها « للتنعاظ » . المعاهد : « صار للإنعاظ » .

(٤) هذا التفسير ساقط من ل .

(٥) فى الأصل « الأشدق » ، ولم أر هذا الجمع ، وأثبت ما فى الدميرى وعيون الأخبار (٢ : ٩٧) .

(٦) ط ، س : « كما » ، تحريف . وانظر ٥ : ٥٣٢ .

والمثل الذى يَتَمَثَّلُ بِهِ النّاس : « فلانٌ لايستطيعُ أن يُجيبَ خُصومَه لأنّ فاهُ مَلآن ماءً » . وقال شاعرهُم[١] :

وما نسيتَ مكان الآمريكِ بذا ... يامَنْ هويتُ ولكنْ فى فِى ماءُ[٢]

وإنّما جعلوا ذلك مثلا[٣] ، حينَ وجَدُوا الإنسانَ إذا كان فى فمه ماءٌ على الحقيقة لم يَسْتطع[٤] الكلام . فهو تأويلُ قولِ الذَّكوانىّ :

* يُدخِلُ فى الأشداقِ ماءً يَنْصُفُه *

بفتح الياء وضمِّ الصَّاد ، فإنّه ذهبَ إلى قول الشاعرِ[٥] :

وكنتُ إذا جارى دَعا لمَضُوفةٍ ... أشمِّرُ حتَّى يَنْصُفَ السَّاقَ مِئْزَرِى[٦] ٣

[المضوفة : الأمر الذى يشفقُ منه] .

وكقول الآخر[٧] :

* فإنّ الظَّنَّ يَنْصُفُ أو يزيدُ *

وهذا ليس من الإنصاف الذى هو العَدْل ، وإنّما هو من بلوغ نِصْفِ الساق .

---

(١) هو أبو نواس من أبيات فى الديوان ٣٥٩ .

(٢) كذا فى ط ، س . وفى ل : « بذا » من الوشاة » . وفى الديوان : « وما جهلت مكان لاشريك به » من الوشاة » .

(٣) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط ، س : « مثله » .

(٤) ط : « يستطيع » ، وهو خطأ .

(٥) هو أبو جندب الهذلى ، كما فى اللسان (نصف) .

(٦) تكلم فى هذا البيت ابن الأنبارى فى الأضداد ١١٣ وابن سيده فى المخصص (١٢ : ١٢٥) والبغدادى فى الخزانة (٣ : ٣٢١ بولاق) .

(٧) هو أبو الفضة قاتل أحمر بن شميط ، كما سبق فى ٦٠ . وصدره :

* فإلا يأتكم خبر يقين *

وأمّا قوله :

* كَما[1] ينقّ والنَّقيقُ يُتلِفهُ *

فإنه ذهَبَ إلى قول الشاعِر[2] :

ضفادِعُ فى ظلماء ليل تجاوَبتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتها حَيَّةَ البَحْرِ

(معرفة العرب والأعراب بالحيوان)

وقلَّ معنًى سَمِعناهُ فى باب مَعْرفةِ الحيوان من الفلاسفة ، وقرأناه فى كتبِ الأطبَّاءِ والمتكلمين – إلّا ونحنُ قد وجدناه[3] [أو] قريبا منهُ فى أشعار العَرب والأعراب ، وَفى[4] معرفةِ أهلِ لغَتنا ومِلّتنا . ولولا أنْ يطولَ الكتابُ لذكرتُ ذلك أجمعَ[5] . وعلى أنّى قد تركتُ تفسيرَ أشعارٍ كثيرة ، وشواهد عديدة[6] مما لايعرفه إلّا الرَّاويةُ النِّحرير[7] ؛ مِنْ خوفِ التطويل .

---

(١) ط ، س : « كما » ، وصوابه فى ل .

(٢) هو الأخطل كما فى البيان (١ : ٢٧٠) والحيوان (٥ : ١٥٤) . وللبيت قصة طريفة فى العقد (٢ : ١٤) ومعاهد التنصيص (٢ : ١٩٩) والكنايات ٧٢ .

(٣) ط ، س : « وجدنا » .

(٤) ل : « فى » والوجه ما اثبت من ط ، س .

(٥) ط ، س : « لذكرت لك الجميع » .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « مع شواهد كثيرة » .

(٧) النحرير : الحاذق الفطن البصير بكل شىء . ط ، س : « إلا الرواة للتحرز » تحريف ما أثبت من ل .

(حمام النساء وحمام الفراخ)

وقال أفليمون[1] صاحبُ الفِراسة : اجعل حمامَ النساء المسرْوَلاتِ العِظامَ الحِسَانَ ، ذواتِ الاختيال والتّبختر والهدير ؛ واجعل حمام الفِراخِ ذواتِ الأنساب الشريفة[2] والأعراق الكريمة ، فإنّ الفراخَ إنّما تكثُر عن حُسْن التعهُّد ، ونظافَةِ القرامِيص[3] والبُروج . واتّخذْ لهنّ بيتاً محفوراً عَلَى خِلقة الصَّومَعة ، محفوفا من أسفله[4] إلى مقدارِ ثُلثَى حيطانِه بالتماريد[5] ، ولتَكُنْ واسعةً وليكن بينها حِجاز[6] . وأجودُ ذلك أن تكونَ تماريدُها محفورَةً فى الحائطِ[7] على ذلك المثال ، وتعهَّد البُرْج بالكنس والرَّشّ[8] [فى زمان الرشَ] ،وليكن مخرجُهنَّ من كَوٍّ[9] فى أعلى

---

(١) ط ، س : « أقليمون » بالقاف ، تصحيف ما فى ل .

(٢) ط ، س : « من غير ذوات الأنساب » وكلمة « غير » تفسد الكلام . ولفظ « الشريفة » ساقط من ل .

(٣) القرموص : العش يبيض فيه الحمام . قال الأب أنستاس مارى : هى يونانية بلا أدنى ريب ، من : Kheramos,ou ومعناه الحفرة والأفحوص والقلت والوجار وهى مشتقة من فعل أصله عندهم Kha .

(٤) ط ، س : « أوله » .

(٥) التماريد : جمع تمراد بالكسر ، وهو بيت صغير فى بيت الحمام لمبيضه .

(٦) حجاز ، بالكسر : حاجز . ط فقط : « أحجاز » وهو تحريف .

(٧) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط ، س : « والحائط » .

(٨) ل : « بالكسح » وهو بمعنى الكنس . وكلمة « الرش » هى فى ط : « الريش » وصوابها فى ل ، س .

(٩) الكو : الخرق فى الحائط ، ومثله الكوة بضم الكاف وفتحها ، جمعه كوى وكواء . ط :« من كون » ولا يستقيم الجمع مع سياق الكلام .

الصَّومعة ، وليكن مقتصداً فى السَّعةِ والضِّيق ، بقدر ما يدخل منه ويخرج [منه] الواحد [بعد الواحد] . وإن استطعتَ أن يكونَ البيتُ بقُربِ مزرعةٍ فافعلْ . فإنْ أعجزكَ المنسوبُ منها فالتمسْ ذلك بالفِراسةِ التى لاتخطئُ . وقلَّما يُخطئُ المتفرِّس .

قال : وليس كلُّ الهُدَّى[1] تَقْوَى على الرَّجعة من حيثُ أُرسِلتْ ؛ لأنَّ منها ما تفضَل قوَّتهُ على هِدايته ، ومنها البطىء وإن كان قويًّا ، ومنها السَّريع وإن كان ضعيفا ، على قدر الحنين والاغترام[2] . ولا بدَّ لجميعها من الصَّرامةِ ، ومن التَّعليم أوَّلًا والتَّوطين آخِراً .

(انتخاب الحمام)

وقال : جِماع الفِراسةِ لا يَخرج[3] من أربعة أوجه : أوَّلها التقطيع ، والثانى المجسَّة ، والثالث الشمائل ، والرابع[4] الحركة .

فالتقطيع : انتصاب العنق والخِلْقة ، واستدارةُ الرأس من غير عِظَمٍ ولا صِغَر ، مع عظم القرطمتين[5] ، واتِّساع المنخرين ، وانهرات الشدقين

---

(١) الهدى سبق الكلام عليها فى (٢ : ٧٩) . ط ، س : « وقال ليس » الخ .

(٢) ط ، س : « على قدر التحقيق والاعتزام » والوجه ما أثبت من ل .

(٣) الجماع ، كرمان : مجتمع أصل الشىء . ط ، س : « جميع الفراسة لاتخرج »

(٤) فى الأصل : « والرابعة » وهو خطأ . وفى س أيضاً : « والثانية » « والثالثة » وليس بشىء .

(٥) القرطمتان بكسر القاف والطاء : نقطتان على أصل منقار الحمامة .

وهذان مِنْ أعلامِ الكَرَم فى الخيل ؛ للاسترواحِ[١] وغير ذلك . ثمّ حُسنُ خِلْقة العينين ، وقِصَر المنقار فى غير دِقّة[٢] ثمّ اتّساعُ الصّدرِ وامتلاءُ الجؤجؤ ، وطولُ العنق ، وإشراف المنكبين ، وطولُ القوادمِ فى غير إفراط ، ولُحوق بَعض الخوافى ببعض ، وصلابة العَصَبِ[٣] فى غير انتفاخٍ ولا يُبس واجتماعُ الخلْق فى[٤] غير الجعودةِ والكَزَازَةِ ، وعِظَمُ الفخذين ، وقِصَر الساقين والوظِيفَين ، [وافتراق[٥] الأَصابع] ، وقِصَر الذّنب وخِفَّته ، من غير تَفْنين وتفرُّق[٦] . ثم تَوَقُّدُ الحَدَقتين ، وصفاءُ اللّون . فهذه أعلامُ الفِراسة فى التقطيع . ٨٤

وأمّا أعلامُ المجسة ، فَوثَاقةُ الخلْق ، وشدَّة اللَّحم ، ومَتانَةُ العَصَب ، وصلَابَةُ القَصَب ، ولينُ الرِّيش فى غيرِ رِقّةٍ[٧] وصَلابَةُ المِنقارِ فى غيرِ دقة .

وأمّا أعلام الشمائل ، فقلّة الاختيال ، وصفاءُ البصر[٨] وثباتُ النَّظَر

---

(١) الاسترواح : التشمم . ل : « وهذان من أعلام الكرم فى الاسترواح » تحريف .

(٢) ط ، س : « رقة » بالراء . وأثبت مافى ل ونهاية الأرب ١٠ : ٢٧٠ والمخصص ٨ : ١٧٠ .

(٣) ط ، س : « القصب » وتصحيحه من ل ونهاية الأرب .

(٤) ل : « من » .

(٥) فى الأصل – وهو هنا ل – : « اقتدار » وتصحيحه من نهاية الأرب .

(٦) التفنين أصله فى الثوب أن يبلى فيتقزز بعضه من بعض . ل : « تفنن » وأثبت صوابه من ط ، س : والمصدرين السابقين .

(٧) فى الأصل : « دقة » بالدال ، وأثبت مافى المخصص والنهاية .

(٨) ط ، س : « البطن » وصوابه من ل والمرجعين السابقين .

وشدّة الحذر ، وحسنُ التّلفت[1] ، وقلّةُ الرعْدةِ عنْدَ الفزع ، وخفّةُ النّهوض إذا طار ، وَتَرْكُ المبادرةِ إذا لَقَطَ .

وأمّا أعلام الحركَةِ ، فالطيران[2] فى علوٍّ ، ومدُّ العُنق فى سُموٍّ ، وقلة الاضطراب فى جوِّ السماء ، وضمُّ الجناحين فى الهواء[3] ، وتَدَافُعُ الركض فى غير اختلاط ، وحُسْنُ القَصْدِ فى غيرِ دَوَرَانٍ ، وشِدَّةُ المدِّ فى الطيران . فإذا أصبتَه جَامعاً لهذه الخصال[4] فهو الطائر الكامل . وإلا فبقدر ما فيهِ من المحاسن تكون هدايته وفَرَاهتهُ .

(أدواء الحمام وعلاجها)

قال : فاعلموا أنَّ الحمامَ من الطيرِ الرقيق ، الذى تُسرِع إليهِ الآفة ، وتَعْرُوهُ الأدواءُ[5] ، وطَبيعتُهُ الحرارة واليُبْس . وأكثرُ أدوائِه الُخنان والكباد ، والعُطاش ، والسل ، والقمَل[6] . فَهوَ يحتاجُ إلى المكانِ البارِدِ

---

(١) فى الأصل : « التقلب » وهو تحريف عجيب ، صوابه فى المخصص والنهاية . وقد زاد المخصص فى أعلام المجسة خصالا أخرى كثيرة فانظرها .

(٢) س : « فبالطيران » تحريف .

(٣) فى الأصل : « فى جو السماء » ، فيكون تكراراً ركيكا . وأثبت ما فى المخصص والنهاية .

(٤) ل : « الصفة » . المخصص والنهاية : « الصفات » .

(٥) ل : « تعتوره » .

(٦) الخنان : داء فى الحلق . والكباد ، كغراب : وجع الكبد . والعطاش ، كغراب أيضاً وبالشين المعجمة : داء لا يروى صاحبه . وهى فى ط ، س : « العطاس » مصحفة . والقمل ، بالتحريك : كثرة القمل .

والنَّظيف ، وإلى الحبوبِ البارِدَة كالعَدَس والماش[١] والشَّعير المنخول . والقُرْطَمُ له بمنزلة اللَّحم للإنسان ؛ لما فيه من قوّةِ الدَّسم .

فمَّا يُعالَجُ بهِ الـكُبادُ : الزَّعفران والسكر الطبَرْزَذ[٢] ، وماء الهِندبا ، يجعل فى سُكرُّجة[٣] ، ثمَّ يُوجر[٤] ذلك أو يمجُّ فى حلقه مجًّا وهو على الرِّيق .

وممَّا يعالَجُ به الُخنان أنْ يليَّنَ لسانُه يوماً أو يومين بدُهْن البنفسج ، ثمَّ بالرَّمادِ والملحِ ، يُدْلَكُ بها[٥] حتَّى تنسَلخ الجلدة العليا[٦] التى غشيت لسانَه[٧] . ثمَّ يطلى بعَسل ودُهنِ ورد[٨] ، حتَّى يبرأ .

وممَّا يعالج به السّلّ أنْ يُطعَم الماشَ المقْشور ، ويمجَّ فى حلْقه من اللَّبن الحليبِ ، ويُقطَعَ من وظيفَيْهِ عِرقان ظاهران فى أسفل ذلك ، مما يلى المفصل [من باطن] .

---

(١) الماش : حب صغير أخضر اللون براق له عين كعين اللوبيا ، وشجرته كشجرة اللوبيا . المعتمد ٣٢٦ .

(٢) السكر الطبرزذ : الأبيض الصلب ، معرب تبرزد ، تبر بمعنى الفأس ، وزد بمعنى ضرب ، لأنه كان يدقق بالفأس . الألفاظ الفارسية ١١١ . ط : « والطبرزد » تحريف .

(٣) السكرجة : الإناء الصغير . وأكثر مايوضع فيه الـكوامخ ونحوها .

(٤) يوجر ذلك : أى يصب فى حلقه ليبلعه . ط : « يؤجر » ، تحريف .

(٥) عيون الأخبار : « بهما » .

(٦) ط : « الجلدة العلياء » ، وصوابه فى ل ، س وعيون الأخبار ٢ : ٩١ .

(٧) ط ، س : « عشت على لسانه » ، وتصحيحه من ل وعيون الأخبار .

(٨) كذا فى ل : وعيون الأخبار . وفى ط ، س : « الورد » .

ومِمّا يعالَج بهِ القَمَل أنْ يُطلى أصولُ ريشهِ بالزِّيبَق المحلّلِ[١] بدُهن البنفسَج ، يفعل بِه ذلك مرَّاتٍ حتى يسقُطَ قملُه ، ويُكْنَسَ مكانُهُ الذى يكون فيهِ كنساً نظيفاً .

(تعليم الحمام وتدريبه)

وقال : اعلم أنَّ الحمامَ والطيرَ كلَّها لايصلُح التَّغمير[٢] بهِ من البُعْد . وهدايته على قدْر التعليم ، وعلى قدر التوطين . فأوَّل ذلك أن يخرج إلى[٣] ظهر سطحٍ يعلو عليه ، ويُنْصَبَ عليه علَمٌ يعرفُهُ ، ويكونَ طيرانُه لايجاوز مَحَلَّتُه ، وأنيكون عَلَفُه[٤] بالغداة والعَشِيِّ ، يُلقَى له فوقَ ذلك السَّطْح ، قريباً ٨٥ من علَمِه المنصوبِ له ، حتَّى يألفَ المكانَ ويتعوَّدَ الرُّجوعَ إليه . ولكن

---

(١) فى مفاتيح العلوم ١٤٩ : « التحليل أن تجعــل المنعقدات مثل الماء » . وهذه الـكلمة جاءت فى ل : « المنحــل » . وجاء فى عيون الأخبار : « ودواء القمل أن تطلى أصول ريشه بالزنبق المخلوط بدهن البنفسج » . وكلمة « الزنبق » محرفة صوابها « الزئبق » كما ورد فى النسخة الألمانية من عيون الأخبار ، يؤيد ذلك ماورد فى المعتمد ١٢٨ فى الـكلام على الزئبق : « وإذا قتل كان جيداً للجرب والقمل » ، وماجاء فى تذكرة داود فى الـكلام عليه أيضاً : « ويقتل القمل إذا جعل فى الزيت والحناء ودهن به » .

(٢) التغمير : مصدر غمر به تغميراً : دفعه وأرسله .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وأولى ذلك أن يخرج على » ، وما أثبت أشبه .

(٤) العلف ، أصله طعام الدواب ، ولم يعهد استعماله للطير . ل : « غلفه » تصحيف ، كما أن كلمة « أن » ساقطة من ل .

لِيَنْظُرْ[1] مِنْ أيِّ شيء يتّخذ العلَم ؟ فإنّه لاينبغى أنْ يكون أسودَ ، ولا يكونَ شيئاً تراه من البُعْدِ أسود . وكلما[2] كان أعظمَ كان أدلَّ .

ولا ينبغى أن يطيِّره وزوجتَه معاً ، ولكن يَنْتِفُ أحدهُما ويطيِّر الآخر ، ويُخرَجان إلى السَّطح جميعاً ، ثمَّ يطيِّر الوافى الجناح ؛ فإنّه ينازِع إلى زوجتِه . وإذا عرَف المكان ، ودَارَ[3] ورَجع ، وألِفَ ذلك الموضع ، ونبتَ ريشُ الآخَرِ ، صُنع به كذلك .

وأجود من ذلك أن يُخرَجا إلى السَّطح وهما مقصوصان ، حتّى يألفا ذلك الموضـع ، ثمَّ يطيَّرَ أحدُهما قبلَ صاحبه ، ويُصْنَعَ بالثّانى كما صُنع بالأوّل.

وما أشبه قولَه هذا بقول ماسرجويه ؛ فإنهُ وصفَ فى كتابه ، طباعَ جميعِ الألبان ، وشُرْبَها للدَّواء[4] ، فلمّا فرغَ من الصِّفة قال : وقد وصفت لك حالَ[5] الألبان فى أنفسها ، ولكن انظُرْ إلى من يسقيك اللَّبن ؛ فإنَّكَ بدءًا[6] تحتاجُ إلى تنظيف جوفك[7] ، وتحتاج إلى مَن يعرفُ مقدارَ علّتك من قدر اللّبن ، وجنس علّتك من جنس اللّبن[8] .

---

(١) ط ، س : « ينظر » .

(٢) فى الأصل : « وكل ما » وهو خطأ .

(٣) ط ، س : « وداره » ، ووجهه فى ل .

(٤) المراد بكلمة : « الدواء » التداوى .

(٥) ل : « وصفت للرجال » ، تحريف ماأثبت من ط ، س .

(٦) بدءا : أى أولا . ل : « بديئا » . ط : « أبداً » وهذه محرفة تفسد المعنى .

(٧) ط ، س : « ثوبك » ، وصوابه فى ل .

(٨) كذا فى ل . وفى ط ، س : « من يعرف مقـدار علتك من جنس اللبن ، وجنس اللبن من جنس علتك » .

(حوار مع نجار)

ومثلُ ذلك قول نجّارٍ كان عندى ، دعوته لتعليقِ بابٍ ثمينٍ كريم فقلت له : إنّ إحكامَ تعليق الباب شديدٌ ، ولا يحسنه من مائة نجّارٍ نجارٌ واحد . وقد يُذْكر بالحذْق فى نِجارة السقُوف(١) والقِباب ، وهو لايكمُلُ لتعليق (٢) بابٍ على تمـامِ الإحكام [فيه . والسّقُوف] ، والقِباب عند العامَّة أصعب .

ولهذا أمثال : فمن ذلك أنّ الغلام والجاريةَ يشوِيان الجَدْيَ والحملَ ويحكمان الشيَّ(٣) ، وهما لا يُحكمانِ شيَّ جنبٍ . ومَن لاعِلْم له يظنُّ أنَّ شيَّ البَعْض أهونُ من شيِّ الجميع !

فقال لى : قد أحسنتَ حين أعلمْتَنى أنك تَبصِر العمل ، فإنَّ معرفتى بمعرفتك تمنعنى من التشفيق(٤) . فعَلَّمه فأحكَمَ تَعليقَه ؛ ثمَّ لم يكنْ عندى حَلْقةٌ اوجه الباب إذا أردتُ إصفاقَه ، فقلت له : أكره أنْ أحبسَك(٥) إلى

---

(١) ط ، س : « السيوف » ، وهو تحريف .

(٢) تعليق الباب : نصبه وتركيبه ، كما فى اللسان . ط ، س : « لايكمل تعليق » وما أثبت من ل أجزل .

(٣) ط ، س : « وهما يحكمان الشيء » وأثبت مافى ل .

(٤) كذا فى ل ؛ بالفاء ثم القاف بينهما ياء . وهو من شفق النساج الملحفة تشفيقا : جعلها شفقا — بالتحريك — فى النسج . وشفق النسج : رديئه . وفى ط ، س : « التشقيق » بقافين بينهما ياء ، وليس بشىء . وفيهما أيضا : « تمنع » .

(٥) ل : « أكـره حبسـك » ط ، س : « أكره أن أجلك » ، وجعلت القول كما ترى .

أن يذهب الغلامُ إلى السوق ويرجع . ولكن اثقبْ لى موضعها[١] . فلما ثقبهُ وأخذ حقّه ولأنى ظهرَه للانصراف ، والتفت إلىَّ فقال : قد جوّدتُ الثّقب ، ولكن انظُرْ أىُّ نجارٍ يدُقُّ فيه الزِّرَّة[٢] ؛ فإنه إن أخطأ بضربة واحدة شقَّ الباب ــ[والشق عيب]ــ فعلمتُ أنهُ يفهَمُ صِناعتَهُ فهماً تامًّا .

(قص الحمام ونتفه)

وبعض الناس إذا أراد أن يعلِّم زوجاً قصَّهما ولم ينتِفْهما[٣] . وبين النَّتفِ والقصِّ بَونٌ بَعيد . والقصُّ [كثير القصِّ] لايُوجعُ ولا يُقَرِّحُ مَغارِزَ قصب الرِّيش[٤] ، والنَّتْف يُوهن المنكِبين[٥] . فإذا نتِفَ الطائرُ مِراراً لم يقْوَ على الغاية ، ولم يزَلْ واهنَ المنكِبين . ومتى أبطأ[٦] عليه فنتفهُ وقد جفّت أصولُه وقرُبت من الطَّرح كان أهونَ عليهِ ، وكلما كان النباتُ أطرأ[٧] كان أضرَّ ١٦

(١) كذا فى ط . وفى ل : « موضعه » تحريف ؛ فالضمير عائد إلى الحلقة . س : « فى موضعها » .

(٢) فى الأصل : « الرزة » . وجاء فى لسان العرب (زرر) : « ويقال الحديدة التى تجعل فيها الحلقة التى تضرب على وجه الباب لإصفاقه : الزرة ، قاله عمرو بن بحر » .

(٣) كذا فى ط ، س ، وهو الصواب . وفى ل : « إذا أراد أن يلقّى زوجا يعليهما كتفهما » .

(٤) بدل هذا فى ط ، س : « لايرجع بالنتف » ، تحريف ونقص ظاهر .

(٥) ط ، س : « لايوهن المنكبين » ، وهو عكس المعنى المراد لاجرم .

(٦) فى الأصل : « أخطأ » ، والوجه فيه ماأثبت .

(٧) أطرأ : من الطروء : وهو ظهور الشيء فجأة . وفى ل : « أطرا » بدون همز =

عليه . وإنه ليبلغُ من مضرَّته ، أنّ الذَّكَرَ لايجيدُ الإلقاحَ ، والأنثى لاتُجِيد القَبول . وربّما نتفت الأنثى وقد احتشتْ بيضاً ، وقد قارَبتَ أن تبيضَ ، فتبطئُ بَعْدَ وقتها الأيّامَ ؛ ورُبما أضرَّ ذلك بالبيض .

(زجْل الحمام)

قال : وإذا بَلغ الثّانى مبلغَ الأوّلِ فى استواءِ الرِّيش ، والاهتداءِ إلى العَلَم ، طيَّرا جميعاً ، ومُنِعا من الاستقرار ؛ إلاّ أن يظن بهما الإعياء والكلال . ثم يُوَطَّنُ[١] لهما المَرَاجِلُ برًّا وبحْراً ، من حيث يبصران إذا هما ارتفعا فى [الهواء] السَّمتَ ونفْسَ العَلَمِ ، وأقاصىَ ماكانا يريانِه[٢] منها عند التّباعد فى الدّورَانِ والجوَلان . فإذا رَجَعا من ذلك المكانِ مَرّاتٍ زُجِلا[٣] من أبعَدَ منه ــ وقد كانوا مَرَّةً يعجبهم أن يزجَلوا من جميع التوطينات ، مالم تبعدْ ، مرّتين [مرَّتين]ــ فلا يزالان كذلك حتّى يبلغا الغاية ، ويكون أحدهما محتبساً إذا أرسل صاحبه ؛ ليتذكّرَه فيرجعَ إليه . فإنْ[٤] خيفَ عليه أن

= من طرا يطرو طروا بالمعنى المتقدم ، أو من طرى كفرح : أى صار طريا غضا . وتكون صواب كتابة مافى ل : « أطرى » .

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وتوطن » .

(٢) ط ، س : « يريا » وصوابه فى ل .

(٣) زجلا : أى أرسلا على بعد . ط ، س : « رجعا » ، وهو تحريف ما فى ل .

(٤) ط ، س : « وإن » .

يكون قد ملَّ زوجتَه ، عرضت عليه زوجةٌ أخرى [قبل الزَّجل] ؛ فإذا تسنَّمَها[1] مرَّةً حِيلَ بينه وبينها يومَه ذلك ، ثمَّ عرضوها عليه قبل أنْ يُحمَل[2] ، فإذا أطاف[3] بها نُحِّيت عنهُ ، ثمَّ حُمِل إلى الزَّجل ؛ فإنَّ ذلك أسرعَ له .

وقال : اعلموا أنَّ أشدَّ المَزَاجِلِ ماقلَّتْ أعلامُه ، كالصَّحارى والبِحار .

قال : والطير تختلفُ فى الطِّباع اختلافاً شديداً : فمنها القوىُّ ، ومنها الضعيف ، ومنها البطىء ، ومنها السَّريع ، ومنها الذَّهولُ ، ومنها الذَّكورُ ومنها القليل الصَّبرِ على العطش ، ومنها الصَّبورُ . وذلك لايخفى فيهنَّ عند التَّعليمِ والتَّوطين ، فى سرعة الإجابة والإبطاء . فلا تَبْعِدَنَّ[4] غايةَ الضَّعيفِ والذَّهولِ والقَليلِ الصَّبر على العطش ، ولا تزجُلَنَّ ماكان منشؤه فى بلاد الحرِّ فى بلاد البرد ، ولا ماكان منشؤه فى بلاد البَرْد فى بلاد الحرِّ ؛ إلاَّ ما كان بعد الاعتياد . ولا يصبرُ على طول الطيران فى غير هوائِه [وأجوائه طائرٌ] إلا بطولِ الإقامةِ فى ذلك المكان ، ولا تستوى حاله وحالُ من لايَغْدُو هَوَاءَه[5] والهَوَاءَ الذى يقرُبُ من طِباع هوائه .

---

(١) تسنمها : علاها . وفى ل : « تجشمها » ، وهى صحيحة وبمعنى الأولى . ومنه الحديث « فلزمها حتى تجشمها » .

(٢) أى يحمل على الزجل . ل : « يمل » س : « تحمل » وهما تحريف ما فى ط .

(٣) أطاف بها : قاربها . ط ، س : « طاف » بمعنى دار . وما أثبت من ل أشبه .

(٤) ط : « تبعدون » ، صوابه فى ل ، س .

(٥) كذا فى ل وهو الصواب . وفى س : « يغدو دواء » و ط : « يعدو دواء » .

(تعليم الحمام ورود المـاء)

قال : ولا بدَّ أن يُعلَّمَ الورودَ ، فإذا أَرَدتَ به ذلك فأَوْرِدْه العيونَ والغُدْرانَ والأنهارَ ، ثمَّ حُلْ[1] بينه وبين النَّظرِ إلى الماء ، حتى تكفَّ بصرَه بأصابِعِك عن جهة الماء واتِّساع المورد ، إلَّا بقدْر ما كان يشربُ فيه من المساقى ، ثمَّ أوسِعْ له إذا عَبَّ قليلا بقدر مالا يَرُوعه ذلك المنْظر[2] وليكنْ معطَّشاً ؛ فإنّه أجدرُ أن يشرَب . تفعلُ به ذلك مراراً ، ثمَّ تفسحُ له المنْظَر أوَّلا أوَّلا ، حتَّى لايُنكِر ماهو فيه . فلا تزالُ بِهِ حتَّى يعتادَ الشُّربَ بغَيرِ سترة[3] .

(استئناسه واستيحاشه)

٨٧ قال : واعلم أنَّ الحمامَ الأهليَّ الذى عايشَ النّاسَ ، وشَرِب من المساقى ولَقَط فى البيوت يختلُّ[4] بالوَحدة ، ويَستَوحِش[5] بالغُربة .

---

(١) ط : « خل » وهو عكس المعنى المراد . وأثبت ما فى ل ، س .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « النظر » . وفى س أيضاً : « يردعه » مكان : « يروى » وهو تحريف .

(٣) كذا فى ط ، س ؛ وهى صحيحة . والسترة ، بالضم ، بمعنى الستارة ، وهو ما يستر به . وفى ل : « ستر » .

(٤) يختل : يضعف . ط ، س : « يخيل » ، تصحيف ما فى ل .

(٥) ط ، س : « ومستوحش » ، صوابه فى ل .

قال : واعلم أنّ الوحشيَّ يستأنِس ، والأهلي يستوحش[1] ؛

قال : واعلم أنّه ينسى التّأديبَ إذا أُهمِلَ ، كما يتأدّب بعد الإهمال .

(ترتيب الزجْل)

وإذا زَجَلتَ فلا تُخَطْرِف به[2] من نصف الغاية إلى الغاية ، ولكن رتِّب ذلك ؛ فإنّه ربّما اعتادَ المجيء من ذلك البُعد ، فتى[3] أرسلتَه من أقربَ منه تحيَّر ، وأرادَ أن يبتدئَ أمْرَه ابتداءً . وهم اليومَ لايفعلون ذلك ؛ لأنّه إذا بلغ الرَّقّة أو فوقَ ذلك شيئاً [فقدْ] صار عُقْدَةً[4] ، وصار له ثمنٌ وغَلّة . فهو لايرى أن يُخاطر بشيءٍ له قدْر . ولكنّه إن جاءَ من هِيتَ أُدْرِبَ[5] [به] ؛ لأنّه إن ذهب لم يذهب شيءٌ له ثمن ، ولا طائرٌ له رياسة ؛

---

(١) ط ، س : « يستوحش بالغربة » ، والكلمة الأخيرة مقحمة .

(٢) خطرف : أسرع . ومثله « تخطرف » . وفى ل : « تتخطرف » .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وإن » .

(٤) العقدة ، أصلها : الضيعة والعقار الذى اعتقده صاحبه ملكا .

(٥) هيت ، بالكسر : بلدة على الفرات من نواحى بغداد فوق الأنبار . وبدلها فى ط ، س : « حيث » ، وهو تحريف . و « أدرب » هو من أدرب القوم : إذا دخلوا الدرب . والدرب هنا كل مدخل إلى بلاد الروم ، وإلى تلك الدورب كان يزجل الحمام من البصرة . يريد أنه متى عرف منه الهداية من المكان القريب أمكن أن يزجل إلى المكان البعيد . جاء فى ط ، س : « درب » . وهو نقص وتشويه صوابه فى ل .

وليس له اسم ولا ذِكر ؛ وإن جاء جاء شيء كبير وخطير[١] ، وإن جاء من الغاية فَقَدْ حَوَى به ملكاً . على هذا [هم] اليوم[٢] .

وقال : لا تُرسِل الزَّاقَّ[٣] حتى تستأنف [به] الرِّياضة[٤] ولا تَدَعْ ماتُعِدُّه للزِّجال[٥] أن يحصن بيضاً ، ولا يجثم عليه ، فإنّ ذلك مما ينقُضه[٦] ويُفَتِّحه[٧] ، ويعظم له رأسَه ، لأنّه عندَ ذلك يسمَن وتكثُر رطوبتُه ، فتقذِفُ الحرارةَ تلك الرُّطوبة الحادَّة العارضةَ إلى رأسه ، فإن ثقَبَ[٨] البيضَ وزقّ وحَضن ، احتجْت إلى تضميره واستئناف[٩] سياستِه . ولكنْ إنْ بَدَا لَك أن تستفرخه[١٠] فانقُلْ بيضَهُ إلى غيره ، بَعْدَ أن تُعلِمه بعلامةٍ تعرِفُه بها إذا انصَدَع .

---

(١) خطير : ذو خطر وشرف . ل : « فإن ذهب ذهب شيء ليس له كبير خطر » ، فيكون تكراراً لما سبق . والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٢) ط : « على هذا اليوم » س : « على هذا هو اليوم » . ل : « على هداهم اليوم » وصححته بما ترى .

(٣) الزاق : الذي يزق فراخه ، أي يطعمها بمنقاره . ط ، س : « المزاق » وليس لها وجه هنا . والوجه ما أثبت من ل .

(٤) ط ، س : « حتى تستأنف الرياضة له » .

(٥) للزجال : للزجل . وجاء في ل : « للزجل » .

(٦) ينقضه : بمعنى يضعف قوته . ط ، س : « ينقصه » وليست من لغة الجاحظ .

(٧) كذا في ل . وهو بمعنى يسمنه . روى عن ابن السكيت : ناقة مفاتيح ، وأينق مفاتيح : سمان . وفي ط ، س : « يقبحه » ولست أثبتها .

(٨) كذا في ل . وفي ط ، س : « تقب » وهما بمعنى .

(٩) ل : « استينان » وليس بشيء .

(١٠) تستفرخه : تطلب منه الفراخ ، يقال : استفرخ الحمام : اتخذها للفراخ . ط ، س : « تستفرغه » وصوابه في ل .

(علاج الحمام الفزع)

وإن أصاب الحمامَ أيضاً فَزَعٌ وذُعْرٌ ؛ عن طلب شيء من الجوارح له ، فإيَّاك أن تعيدَه إلى الزَّجل حتّى ترضمه وتستفرخهُ[١] ؛ فإن ذلك الذُّعْرَ لايفارقهُ ولا يسكن حتى تستأنفَ به التّوطين .

(طريقة استكثار الحمام)

وإنْ أردتَ أن تستكثِرَ من الفِراخ فاعزِلِ الذُّكورةَ عن الإناث شهرا أو نحوَه ، حتى يصول بعضها على بعض ، ثم اجمعْ بينها ؛ فإنّ بيضها سيكثُر ويقلُّ سَقطهُ ومُرُوقه . وكذلك كلُّ أرضٍ أثيرت ،وكذلك الحِيالُ[٢] لما كان من الحيوان حائلا . قال الأعشى :

مِنْ سَرَاة الهِجَانِ صَلَّبَهَا العُ ضُّورَعْىُ الحِمَى وطُولُ الحِيَالِ[٣]

---

(١) ترضمه ، هكذا وردت فى ط ، س . وفى القاموس : « رضمت الطير : ثبتت » فلعلها بمعنى تثبته وتقره . وبدلها فى ل : « تربحه » . و « تستفرخه » هى فى ط ، س : « تستفرغه » . وانظر التنبيه الأخير من الصفحة السابقة .

(٢) الحيال : مصدر حالت الناقة تحيل : لم تحمل . ل : « وكذلك الحيال من الحيوان » .

(٣) يقول : هى من خيار الإبل البيض ، قد شددها رعى العض — بضم العين ، وهو النوى المرضوخ ، أو القت — وكذلك رعيها فى الحمى — وهو مكان فى نجد — وخلوها من الحمل زمنا طويلا . وكلمة « العض » هى فى الأصل : « العرض » محرفة ، وصوابها فى ديوانه ٦ والمعلقات بشرح الزوزنى ١٨٨ وكذا فى اللسان (مادتى : عضض ، حيل) .

وقال الحارث بن عبادٍ وجَعَل ذلك مثلا :

قَرِّبا مَرْبِطَ النَّعامــةِ مِنِّى لَقِحَتْ حَرْبُ وائل عن حِيَالِ[1]

(حديث أفليمون عن نفع الحمام)

وقال أفليمون[2] صاحب الفِراسة ، لصاحبه : وأنا محدِّثك عن نَفع الحمام بحديثٍ يزيدُك رغبةً فيها : وذلك أنَّ مَلِكَين طلب أحدُهما مُلْكَ صاحبِه ، وكان المطلوبُ أكثرَ مالا وأقلَّ رجالاً ، وأخصب بلاداً ، وكانت بينهما مسافةٌ من الأرضِ بعيدة ، فلما بلَغَه ذلك دعا خاصَّتَه فشاوَرَهُمْ فى أمْره وشَكا إليهم خوفَه على مُلكِه ، فقال له بعضهم : دامتْ لك أيُّها الملِكُ السلامةَ ، ووُقيتَ المكروه ! إنَّ الذى تاقَتْ له نفسك قد يُحتالُ له باليَسيرِ من الطمع ، وليسَ مِنْ شأنِ العاقلِ التَّغريرُ ، وليس بعد المُناجَزَة بقيّة ، والمناجزُ لايدرى لمن تكون الغَلَبة ، والتمسُّك بالثقةِ خيرٌ من الإقدام على الغرَر . ٨٨

(١) النعامة : فرس الحارث بن عباد . وعنى بحرب وائل تلك الحروب الكثيرة التى كانت أبداً مشتعلة بين ابنى وائل وهما تغلب وبكر . وقد قال الحارث الشعر الآتى لما قتل ابنه بجير ، قتله مهلهل التغلبى ، فلما قالوا له : إن ابنك قتل ! قال : إن ابنى لأعظم قتيل بركة ؛ إذ أصلح الله به بين ابنى وائل . فقيل له : إنه لما قتل قال مهلهل : بؤ بشسع نعل كليب ! فعند ذلك أدخل الحارث يده فى الحرب . وقال الشعر . انظر الكامل ٣٧١ ليبسك والعقد (٣ : ٣٥٢) . واليوم الذى شهده الحارث بن عباد البكرى هو (يوم قضة) . انظر خبره فى العقد ومعجم البلدان .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أقليمون » وهو تصحيف .

وقال بعضهم : دامَ لك العزُّ ، ومُدّ لك فى البقاء ! ليسَ فى الذُّلّ دَرَكٌ ولا فى الرِّضا بالضيم بقيَّــة ، فالرَّأىُ اتّخاذ الُحصون وإذكاءُ العُيونِ ، والاستعدادُ للقتال ؛ فإنّ الموتَ فى عزٍّ خيرٌ من الحياة فى ذلّ[١] ! .

وقال بعضهم : وُقِيتَ وكُفِيت ، وأُعطِيتَ فَضْلَ المزيد ! الرَّأىُ طلب المصاهرة له[٢] والخِطْبة إليه ؛ فإنّ الصهرَ سببُ أُلفةٍ تقعُ به الُحرْمةُ ، وتثبت بِهِ المودَّة ، ويَحُلُّ به صاحبُهُ المحلَّ الأدنى[٣] . ومنْ حلَّ من صاحبه هذا المحلَّ لم يخلِّه مما عَراه[٤] ، ولم يمتنع من مناوأة من ناواه[٥] . فالتمس خِلطتَهُ ؛ فإنّه ليسَ بَعْدَ الخِلطةِ عداوةٌ ، ولا مَع الشِّركة مبايَنة !

فقال لهم[٦] الملك : كلٌّ قد أشارَ برأيٍ ، ولكلٍّ مدَّة ، وأنا ناظِرٌ فى قولِكم ، وبالله العِصمة ، وبشكره تتمُّ النعمة . وأظهَرَ الخِطبةَ إلى الملكِ الذى فَوقَه ، وأرسل رُسلاً ، وأهدى هدايا ، وأمَرَهُم بمصانعةِ جميع مَن يَصِل إليه ، ودسَّ رجالًا من ثقاتِه ، وأمَرَهمْ باتِّخاذ الحمام فى بلاده وتَوطينِهِنَّ واتّخذَ أيضاً عندَ نفسه مِثلهنَّ ، فرفَّعهن من غايَةٍ إلى غاية . فجعلَ هؤلاء يرسلون من بلاد صاحبهم ، وجعل مَن عندَ الملِكِ يرسلون من بلاد[٧]

(١) ل : « فإن المحاماة عن العز خير من الحياة فى ذل » .
(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « الرأى أن تطلب مصاهرته » .
(٣) ط ، س : « محل الأولياء » .
(٤) عراه : اعتراه . والمراد أنه يخبره بكل ما يعروه ويطلعه على دخيلته . ط : « لم يخل ما عزاه » س : « لم يحل ما عداه » وأثبت ما فى ل .
(٥) كذا فى ل . وناواه : تسهيل ناوأه . والمناوأة : المعاداة . ط ، س : « ولم يمتنع منه بشىء امتنع منه » .
(٦) فى الأصل : « له » . والوجه ما أثبت .
(٧) كذا فى ل . وهو ما تقتضيه المقابلة . وفى ط ، س : « عند » .

الملك ، وأمرهم[١] بمكاتَبتِه بخبرِ كلِّ يوم ، وتعليقِ الكُتُب فى أصولِ أجنحة الحمام[٢] . فصار لايخفى عليه شىءٌ من أمره . وأطمعَهُ المَلِكُ فى التزويج واستفردَهُ[٣] وطاولَه، وتابعَ [بين] الهدايا، ودسَّ لحرسِه رجالاً يلاطفونَهم حتى صاروا يبيتون بأبوابه معهم . فلمَّا كتبَ أصحابهُ إليه بغِرَّتهم وصل الخبر إليه من يومِه، فسار إليه فى جندٍ قد انتخبهم، حتى إذا كان على ليلةٍ أو بَعْض ليلة ، أخذ بمجامع الطُّرُق ، ثمَّ بيَّتَهُمْ[٤] ووثبَ أصحابهُ من داخلِ المدينةِ وهو وجنده من خارج[٥] ، ففَتحوا الأبوابَ وقَتلوا المَلِكَ . وأصبَحَ قد غَلَبَ على تلك المدينة ، وعلى تلك المملكة ، فَعظُمَ شأنُه ، وأعظَمتْه الملوك ، وذُكِر فيهم بالحزْم والكَيْد .

وإنما كان سبب ذلك كلِّه الحمام ! .

---

(١) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « وأمره » .

(٢) هذا الصواب من ل . وفى ط ، س : « فى أول أذناب الحمام » ! .

(٣) ل : « استفزه » ط : « استغرره » وصوابه فى س . واستفرده : أراد أرسل إليه رسلا ، وفى القاموس : « وأفرده : عزله ، وإليه رسولا : جهزه » . وفى اللسان : « وأفردته : عزلته ، وأفردت إليه رسولا » .

(٤) بيتهم : أوقع بهم ليلا .

(٥) كذا فى ل . وفى ط : « وهو من خارج وجنده » س : « وهو من الخارج وجنده » .

(حديث آخر له فى نفع الحمام)

قال : وأحدِّثك عن الحمام أيضاً بحديثٍ آخر فى أمر النساء والرِّجال وما يصابُ من اللَّذَّةِ فيهنَّ ، والصَّواب فى معاملتهنَّ . قال : وذلك أنَّ رجلاً أتانى مرَّةً فشكا إلىَّ حاله فى فتاةٍ عُلِّقها فتزوَّجها[1] ، وكانت جاريةً [غِرًّا] حسناء ، وكانت بكراً ذاتَ عقلٍ وحياء ، وكانت غَريرةً فيما يحسِن النِّساءُ من استمالةِ أهواء الرِّجال ، ومِنْ أخْذِها بنصيبها من لذّة النساء فلما دخَلَ بها[2] امتنعتْ عليه ، ودافعته[3] عن نفسها ، فزاولها بكلِّ ضربٍ كان يحسنُه من لَطَفٍ ، وأدخل عليها مِن نسائه ونسائها مَنْ ظَنَّ[4] أنَّها تقبَلُ منهنّ ، فأعيتْهُن ، حتى هَمَّ[5] برفضها مع شدَّة وجْده بها ، فأتانى فشكا ذلك إلىَّ مرةً ، فأمرْته أن يُفرِدَها ويخلِّيَها من الناس ، فلا يَصِلَ إليها أحدٌ ، وأنْ يُضْعِفَ لها الكرامة فى اللَّطفِ والإقامة لما يُصلِحها من مَطْعَم ومشرَبٍ ومَلبس وطيبٍ وغير ذلك ، مما تلهو به امرأةٌ[6] وتُعجَبُ بِهِ ، وأنْ يجعَلَ خادِمَها أعجميَّةً لاتَفْهَمُ عنها ، وهى فى ذلك عاقلة ، ولا تفْهمُها إلَّا

٨٩

---

(١) ل : « فزوجوه إياها » .

(٢) ط ، س : « عليها » .

(٣) ل : « ودفعته » .

(٤) ط ، س : « يظن » .

(٥) كذا فى ل . أى عزم على ذلك . وفى ط ، س : « اهتم » ، أى أحزنه رفضها إياه .

(٦) كذا فى س ، وفيه جزالة . وفى ط ، ل : « تلهو المرأة به » .

بالإيماء[١] ؛ حتى[٢] تستوحِشَ إليها وإلى كل من يصل[٣] إليها من النِّساء [و[٤]] حتى تشتهىَ أن تجِدَ مَنْ يراجعها الكلامَ وتشكو إليه وحْشة الوَحْدة ، وأنْ يَدخِل عليها أزواجاً من الحمام ، ذواتِ[٥] صورةٍ حسنة ، وتخيُّل وهدير[٦] فيُصَيِّرَهُنّ فى بيتٍ نظيف، ويجعل لهنّ فى البيت تماريد[٧] وبين يَدى البيت حجْرةً نظيفة ، ويفتحَ لها من بيتها باباً فيصِرْن نُصْبَ عينها فتلهو بهن وتنظر إليهنّ ، ويجعل دخوله[٨] عليها فى اليوم دَفْعَةً لايزيدها[٩] فيه على النَّظَرِ إلى تلك[١٠] الحمام ، والتسلّى بهنّ ، والاستدعاء لهنّ إلى الهدير ساعةً ، ثم يخرج[١١] ، فإنّها لاتلبث أنْ تتفكّر فى صنيعهنّ إذا رأتْ حالهن ؛ فإنَّ الطَّبيعةَ لاتلبَثُ حتى تحرّكها ، ويكون أوفقُ المقاعد لها الدنوّ منهن[١٢] ، وأغلبُ الملاهى عليها النَّظَرَ إليهن ؛ لأنَّ الحواسّ لاتؤدى إلى النَّفس شيئا من قِبَل السمعِ ، والبَصر ، والذوق ، والشم

---

(١) ط ، س : « بالإشارة » وهما بمعنى .

(٢) ط ، س : « ولا » وهو خطأ .

(٣) ل : « يقبل » .

(٤) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

(٥) ط ، س : « ذات » .

(٦) التخيل هنا من الخيلاء . وفى ط ، س : « تحيل » ، وهى هنا بمعنى الحذق فى الاستمالة .

(٧) ط ، س : « ويجعل لهن » ، وصوابه فى ل . والتماريد : جمع تمراد بالكسر وهو بيت صغير فى بيت الحمام لبيضه .

(٨) ط ، س : « وتجعل دخولك » .

(٩) ط ، س : « لا تزيدها » .

(١٠) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ذلك » وهما صحيحتان . والحمام يذكر ويؤنث .

(١١) ط ، س : « تخرج » .

(١٢) س : « لهن » .

والمجسّة[1] إلّا تحرّك مِنَ العَقْل فى قَبُولِ ذلك أوْ رَدِّه ، والاحتيالِ فى إصابته أو دفعه ، والكراهيةِ[2] له أو السُّرورِ به بقدر ماحرّك النَّفسَ منه . فإذا رأيتَ الغالبَ عليها الدنوّ منهنّ ، والتأمُّل لهنّ ، فأدخِلْ عليها امرأةً مجرِّبةً غَزِلةً تأنسُ بها ، وتفطِّنها[3] لصنيعهنّ ، وتعجِّبُها منهنّ ، وتستميلُ فِكرتها إليهنّ ، وتَصِفَ لها موقِعَ اللَّذّة على قدْر ماترى من تحريك الشّهوة . ثمّ أخْرِج المرأةَ عنها ، وحاوِل الدُّنوَّ منها ، فإنْ رأيتَ كراهِيَةً[4] أمسكْتَ وأعدْتَ المرأةَ إليها ، فإنها لاتلبَثُ أن تمَكِّنَك . فإنْ فعلتْ ماتحبُّ وأمكنَتْكَ بعض الإمكان ، ولم تَبْلُغ ماتريد فأخْبِرنى بذلك .

قال : وقلتُ له : مُر المرأةَ فلتسألها عن حالها فى نفسها ، وحالِك عندها ، فلعلَّ فيها طبيعةً من الحياء تَمْنَعُها[5] من الانبساط ، ولعلَّها [غِرٌّ] لايُلتمس ماقِبَلها من الخرق[6] . [ففعل ، وأمر المرأة أن تكشفها عن ذات نفسها ، فشكت إليها الخرق]، فأشارت[7] عليها بالمتابعة ، وقالت : اعتبرى ٩٠ بما تَرَيْنَ من هذا الحمام ؛ فقد تَرَيْنَ الزّوجين كيفَ يصنعان ! قالت : قد

---

(١) ل : « من قبل سمع ، أو بصر ، أو ذوق ، أو شم ، أو مجسة » .

(٢) ط ، س : « الكراهة » ، وهما بمعنى .

(٣) تفطنها : تجعلها تفطن . ط ، س : « توقظها » .

(٤) ط ، س : « كراهة » .

(٥) ط ، س : « منعتها » .

(٦) ط : « لا تلتمس فاقبلها على ما قبلها من الخرق » س : « لا تلمس ما قبلها من الخرق » ل : « لا يلتمس ماقبلها بالخزق » ، وجعلت الكلام كما ترى . والخرق ، بالتحريك : الحياء .

(٧) ط ، س : « وأشارت » .

تأمّلتَ ذلك فعجبتُ منه ، ولستُ أحْسِنُه ! فقالت لها : لاتمنعى يدَهُ ولا تحملِى على نفسك الهيبة[1] ، وإنْ وجدتِ من نفسِك شيئاً تدعُوكِ إليه لذّةٌ فاصنَعيه ؛ فإنَّ ذلك يأخُذُ بقلبه ، ويزيدُ فى محبّتِكِ ، ويحرِّكُ ذلك منهُ أكثرَ مما أعطاك . فلم يلبثْ أنْ نال حاجتَه وذهبت الحشمة ، وسقطت المداراة[2] فكانَ سببُ الصُّنع لها ، والخروج من الوَحْشة إلى الأُنس[3] ، ومن الحال الدَّاعِية إلى مفارقتها إلى الحال الدّاعية إلى ملازمتها ، والضّنِّ بها[4] ـ الحمام[5] .

(الخوف على النساء من الحمام)

وما أكثرَ مِنَ الرِّجال ، من ليسَ يمنَعُه من إدخال الحمام إلى نسائه إلّا هذا الشيءُ الذى حثَّ عليه صاحبُ الفِراسة ؛ وذلك أنَّ تلك الرُّؤيةَ قد تذكِّر وتشهِّى وتَمْحَن[7] . وأكثرُ النِّساء بين ثلاثة أحوال : إمَّا امرأة قد ماتَ زوجُها ، فتحريكُ طِباعها خِطار[8] بأمانتها وعَفافِها . والمُغيبة[9]

---

(١) ل : « له » .

(٢) ل : « وسقطت الحشمة ، وذهبت المداراة » .

(٣) ل : « الأنسة » ، وهى بالتحريك بمعنى الأنس . والأنس : ضد الوحشة .

(٤) بدل هذه العبارة الطويلة فى ط ، س : « ومن حال الفرقة إلى حال الاتفاق » .

(٥) بعد هذا اللفظ فى س كلمة : « باب » ، وأراها مقحمة .

(٦) س : « وتشتّهى » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٧) تمحن : تصيب بالمحنة ، أى البلية . ل : « تحن » .

(٨) الخطار ، بالكسر : مصدر خاطر : إذا ركب الخطر . ط : « خطر » ل ، : « إخطار » .

(٩) امرأة مغيب ومغيبة ومغيب بضم الميمات ، وكسر الغين فى الأولين وإسكانها فى الثالثة : غاب عنها زوجها .

فى مثل هذا المعنى . والثَالثة : امرأةٌ قد طال لُبثها مع زوْجها ؛ فقد ذهب الاستطراف ، وماتت الشهوة . وإذا رأت[١] ذلك تحرَّك منها كلُّ ساكن وذكَرَتْ ماكانتْ عنه بمندوحة .

والمرأةُ سليمة الدِّين والعِرْضِ والقَلب[٢] ، مالم تَهْجِسْ فى صدرها الخواطر ، ولم تتوهَّمْ حالاتِ اللَّذَّة وتحرُّكِ[٣] الشهوة . فأمَّا إذا وقعَ ذلك فعزْمُها أضعَفُ العَزْم ، وعزْمُها على ركوبِ الهوى[٤] أقوى العَزْم .

فأمَّا الأبكارُ الغريرات فهنَّ إلى أن يُؤْخَذْن بالقراءة فى المصحف[٥] ، ويُحتالَ لهن حتى[٦] يصرْنَ إلى حال التشييخ[٧] والجبن والكَزَازَة[٨] ، وحتَّى لايَسمعَن من أحاديث البَاهِ والغَزَل قليـلاً ولا كثيراً — أحوجُ .

---

(١) ل « أرادت » ولا تصح . والمراد : رأت فعل الجماع .

(٢) ل : « والصدر » .

(٣) ل : « وتخير » ، وليس بشىء .

(٤) ط : « ركوبها لهوى » .

(٥) س : « مصحف » .

(٦) كذا الصواب فى ط ، س . وفى ل : « إلا أن » .

(٧) التشييخ : مصدر شيخ : صار شيخا . والمراد أن تطرأ عليهن طباع الشيخوخة وما لها من ركانة وتزمت . ل : « الشح » .

(٨) الـكزازة : البخل . ط ، س : « الغرارة » ، وهى بالفتح بمعنى الغفلة وقلة التجربة .

(نادرة لعجوز سندية)

ولقد ركبت عجوزٌ سنديةٌ ظهرَ بعيرٍ ، فلما أقبَلَ بها [هـذا] البعيرُ وأدبر وطمَر[1] ، فمَخَضها مَرَّةً مخضَ السقاء[2] ،وجعلَها مَرَّةً كأنَّها ترْهَزُ[3] فقالت بلسانها ــ وهى سنديّةٌ أعجميَّة ــ أخزَى الله هذا الذَّمَل[4] ؛ فإنَّه يذكُرُّ بالسَّرِّ[5] ! تريد : أخزى الله هذا الجمل ، فإنه يذكِّر بالشر . حدثنا بهذه النادرة[6] محمَّد بن عبَّاد بن كاسب .

(نادرة لعجوز من الأعراب)

وحدَّثنا رِبْعِيٌّ الأنصاريُّ : أنَّ عجوزاً من الأعرابِ جَلستْ فى طريق مكة إلى فتيانٍ يشربون نبيذاً [لهم] ، فسقَوْها قَدَحاً فطابت نفسُها ،

---

(١) طمر : وثب .

(٢) المخض : التحريك الشديد . كلمة « مرة » ساقطة من ل . وكلمة : « مخض » جاءت فى ط ، س : بالحاء المهملة ، وتصحيحها من ل .

(٣) رهزها : حركها فارتهزت هى .

(٤) فى الأصل : « الزمل » وصوابه بالذال ، كما صرح بذلك الجاحظ فى البيان (١ : ٧٤) .

(٥) ط ، س ؛ « بالشر » بالشين ، وصوابه بالمهملة كما فى ل والبيان . جاء فى البيان : « فجعلت الشين سينا والجيم ذالا » . وانظر نظائر هذه اللكنة فى البيان (١ : ٧١ - ٧٤) .

(٦) ط ، س : « بهذا النادر » .

وتبسمت ؛ ثمَّ سقَوْها قدحاً آخرَ فاحْمَرَّ وجهها وضَحِكت ، فسقَوْها قدَحًا ثالثاً فقالت: خبِّرونى عن نسائكم بالعراق، أيشرَبْنَ من هذا الشراب ؟ فقالوا: نعم . فقالت : زَنَيْنَ وربِّ الكعبة !

(عقاب خصىّ)

وزعمَ إبراهيم الأنصارىُّ المعتزلىُّ أنَّ عباسَ بن يزيد بن جريرٍ دخَلَ مقصورةً لبعض جَواريه ، فأبصَرَ حماماً قد قَمَط حمامةً ، ثمَّ كسَحَ بِذنبه ونفَش ريشه ، فقال : لمن هذا الحمام ؟ فقالوا : لفلانٍ خادِمِك ـ يعْنونَ[1] خَصِيًّا له ـ فقدَّمه فضرَبَ عنقهُ .

١١

(قول الحطيئة فى الغناء)

و [قد] قال الحطيئةُ لفتيانٍ من بنى قُرَيع[2] ـ و [قد] كانوا رُبَّما جلَسُوا بقُربِ خَيْمتِه ، فتَغَنَّى[3] بعضُهمْ غِناء الرُّكبان ـ فقال: يابنى قريع ! إيَّاىَ والغِناءَ ؛ فإنّه داعِيةُ الزِّنَى[4] !

---

(١) ط ، س : « يريدون » .

(٢) بنو قريع كانوا ممن مدحهم الحطيئة ، فرفع شأنهم . كان يقال لهم بنو أنف الناقة فيغضبون ، حتى قال الحطيئة :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ... ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

فصارا يتباهون بهذه النسبة . العمدة (١ : ٢٥ — ٢٦) . ط : « قريريع » ، تحريف مافى ل ، س .

(٣) ط ، س . « فيغنى » .

(٤) ط ، س : « إلى الزنا » .

(أبو أحمد التمار وصاحب حمام)

وأمّا أبو أحمد التّمار المتكلم ، فإنّه شاهَدَ صاحبَ حمامٍ فى يوم مجىء حَمامِه من واسط ، وكانت واسطَ يومئذ الغايّة ، فرآه كلما أقبلَ طائرٌ من حمامه نعر[1] ورَقَص ، فقال له : والله إنى لأرَى[2] منك عجبا ؛ أراك تفْرَحُ بأن جاءك[3] حمامٌ من واسط ، وهو ذلك الذى كان ، وهو الذى جاء ، وهو الذى اهتدى ؛ وأنتَ لم تجِئْ ولم تهتَدِ ؛ وحين جاءَ من واسط ، لم يجِئْ معه بشىءٍ من خبر أبى حمزة ، ولا بشىءٍ من مقاريض[4] واسط ، وبزيون[5] واسط ، ولا جاء معه أيضاً بشىء من خِطْمِىٍّ[6] ، ولا بشىءٍ من جوز

---

(١) نعر نعيراً ونعارا : صاح . ط ، س : « سر » .

(٢) فى الأصل : « لا أرى » .

(٣) ط ، س : « بأزجال » ، وصوابه من ل .

(٤) لم أر واحد هذه الكلمة . وفى القاموس : المقارض : أوعية الخمر ، والجرار الكبار .

(٥) فى القاموس : « البزيون كجردحل وعصفور : السندس » . والسندس : ضرب من رقيق الديباج . وهو مركب من « بز » و « يون » أى يشبه « البز » . و « يون » لغة فى « كون » بالفارسية . الألفاظ الفارسية ٢٢ . ط « بزبون » س : « بزبوه » وهى على الصواب الذى أثبت فى ل .

(٦) الخطمى بكسر الخاء وفتحها : نبت له زهر شبيه بالورد ، وتسمى شجرته « كثيرة المنافع » . المعتمد ٩١ . واسمه العلمى Malvarotundifolia. ويعرف أيضا بالخبازى البرية . وكتب الفقه الإسلامى تردد ذكر هذا النبت فى باب الجنائز ؛ إذ أن من خواصه جودة تنظيف الشعر ، وهو بمنزلة الصابون . انظر مثلا مسكين ٤٩ — ٥٠ . ل « خطى » مع حذف كلمة « واسط » قبلها .

ولا بشيء من زبيب[1] . وقد مرَّ بكسكَرَ ، فأين كان عن جِداء كسكر ، ودَجاج كسكر[2] ؛ وسمك كسكر ، وصحناة[3] كسكر ، ورُبيثاء[4] كسكر [وشعير كسكر؟!و] ذهب صحيحاً نشيطاً ،ورجع مريضاً كسلان،وقد غرمت ما غرمت[5] ! ! فقل لى : ماوجه فرحك ؟ فقال : فرحى أنى أرجو أن أبيعه بخمسين ديناراً . قال : ومَن يشتريه منك بخمسين ديناراً ؟ قال: فلان ، وفلان . فقام ومضى إلى فلان[6] فقال : زعم فلان أنك تشترى منه[7] حماماً جاء من واسط بخمسين ديناراً ؟ قال : صدق . قال : فقل لى[8] لم تشتريه

---

(١) ل : « وشيء من جوز ، وشيء من زبيب » .

(٢) دجاج كسكر سبق الكلام فيه (٢ : ٢٤٨) . وقد أبديت عجبى هناك من تقدير ثمنه ، لكن وجدت ياقوتا يؤيد ما ذكره فى كسكر بما ذكره فى (واسط) أيضاً حيث قال : « رأيت فيها — يعنى واسطاً — كوز زبد بدرهمين واثنتى عشرة دجاجة بدرهم ، وأربعة وعشرين فروجا بدرهم » . ط ، س : « عن دجاجها » .

(٣) الصحنا والصحناة ، ويمدان ويكسران : إدام يتخذ من السمك الصغار والملح . القاموس والمعتمد ١٩٧ . قال داود : « لاتعرف إلا بالعراق ، ويقرب منها ما يعمل بمصر ويسمى : الملوحة » . ط : « وصحنا بها » تحريف وأثبت ما فى ل . وفى س : « وصحناء كسكر » . وانظر ٦ : ٨٤ — ٨٥ .

(٤) فى مفاتيح العلوم ١٠٠ : « الربيثاء ، والصحناء ، والصير : السميكات تعمل من السمك الصغار والملح » . وبدل هذه الكلمة فى ط ، س : « سعتر » وهو نبت طيب الرائحة .

(٥) ط ، س : « وقد عرفت ماعرفت » .

(٦) ط ، س : « إلى فلان وفلان » وصوابه ما أثبت من ل .

(٧) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٨) س : « قال فقل له » ، وصوابه ما أثبت من ل . وفى ط : « فقال له » .

بخمسين دينارا ؟ قال : لأنّه جاء من واسط . قال : فإذا جاء من واسط فلِمَ تشتريه بخمسين دينارا ؟ قال : لأنى أبيع الفرخَ منه بثلاثة دنانير ، والبيضة بدينارين . قال : ومن يشترى منك ؟ قال : مثلُ فلان وفلان . فأخَذ نعْله ومضى إلى فلان ، فقال : زعم فلان أنّك تشترى منه فرخا من طائرٍ جاء من واسط بثلاثة دنانير ، والبيضةَ بدينارَين . قال : صَدَق . قال : فقل لى : لِمَ تشترى فرخَة بثلاثة دنانير ؟ قال : لأنَّ أباه جاء من واسط . قال : ولِمَ تشتريه بثلاثة دنانيرَ إذا جاء أبوه من واسط ؟ قال : لأنى أرجو أن يجىء من واسط . قال : وإذا جاء مِن واسط فأىَّ شىء يكون ؟ قال : [يكون أن] أبيعَه بخمسين ديناراً . قال : ومَن يشتريه منك بخمسين دينارا ؟ قال : فلان . فتركَه ومضى إلى فلانٍ ، فقال : زعم فلانٌ أنّ فرخاً من فراخه إذا جاء أبُوه من واسط اشتريته أنت منه بخمسين ديناراً[1] . قال : صدق . قال : ولم تشتريه بخمسين دينارا ؟ [قال : لأنّه جاء من واسط . قال : وإذا جاء من واسط لم تشتريه بخمسين دينارا ؟] قال : فأعاد عليه مثل قولِ الأوّل[2] . فقال : لارزق الله مَن يشترى حماماً جاء من واسط بخمسين دينارا ، ولا رزق الله [إلّا] مَن لا يَشتريه بقليل ولا بكثير[3] .

---

(١) كلمة « أبوه » ساقطة من ل . وكذا « أنت منه بخمسين دينارا » .

(٢) ل : « مثل قوله الأول » ، وصوابه فى ط ، س .

(٣) كلمة « دينارا » ساقطة من ل . و « يشتريه » هى فى ط : « يشريه » وشرى تكون بمعنى اشترى .

(نوادر لأبى أحمد التمار)

٩٢ وأبو أحمد هذا هو الذى قال ـــ وهو يعظ بعض المسرفين ـــ لو أنَّ رجلاً كانت عنده ألفُ ألف دينار ثم أنفقها كلَّها لذهبت [كلها] . وإنما سمع قول القائل : لو أنَّ رجلا عنده ألفُ ألفِ دينار فأخَذَ منها ولم يضَعْ عليها لكان خليقاً أن يأتىَ عليها(١) .

وهو القائل فى قصَصه : ولقد عظَّمَ [رسول الله صلى] الله [عليه وسلَّم] حقَّ الجارِ ، وقال فيه قولاً أستحْيِى واللهِ من ذكره !

وهو الذى قال لبعضهم(٢) : بلغنى أنَّ فى بستانك أشياءَ تهمّنى ، فأحبُّ أن تَهَبَ لى منه أمراً من أمْرِ الله عظيم(٣) .

وكان زَجَّالا(٤) قبل أن يكون تمارا .

وزعم سليمان الزجَّال(٥) وأخوه ثابت ، أنّه قبل أن يكون تماراً(٦) قال يوماً — وذكر الحمام ، حينَ زَهِد فى بيع الحمام ؛ وذكَرَ بعضَ الملوك ـــ فقال : أمَّا فلان فإنّه لما بلغنى أنه يلعبُ بالحمام سقط من عينى !

---

(١) ط ، س : « على أكثرها » .

(٢) ل : « الهفتى » .

(٣) ل : « بلغنى أن فى أرضك أشياء تهمنا فهب لى منه أمراً من أمر الله عظيما » .

(٤) الزجال هنا : الذى يتاجر فى حمام الزاجل ، كما يظهر من الكلام . ل : « جدالا » تحريف .

(٥) ل : « الجدال » . وما كتبت من ط ، س أوفق ؛ لما سيأتى من الكلام .

(٦) التمار : بائع التمر . والكلام من مبدأ « قبل » ساقط من ل

والله سبحانه وتعالى أعلم[١] .

[تمَّ القولُ في الحمام ، والحمدُ لله وحدَه] .

باب

القول في أجناس الذِّبَّان[٢]

بسم الله ، وبالله [والحمد لله] ولا حَولَ ولا قُوَّة إلا بالله ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّدٍ النبىِّ الأمىِّ وعلى آله وصحبِه وسلَّم ، وعلى أبرار عِتْرَتِه[٣] الطيِّبينَ الأخيار[٤] .

أُوصيك أيُّها القارئُ المتفهِّم، وأيُّها المستمعُ المنصِت المصيخ[٥] ، ألاَّ تحقِرَ شيئاً أبداً لصغر جثَّته ، ولا تستصغر قدرَه لقلَّة ثمنٍ .

---

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) كلمة « باب » وكذا « أجناس » ساقطتان من ل .

(٣) العترة ، بالكسر : نسل الرجل ، ورهطه ، وعشيرته الأدنون ممن مضى وغبر . ل ، ط : « عشيرته » .

(٤) يبدو أن الفقرة من أولها دخيلة على الكتاب ، فليست من أسلوب صاحبنا .

(٥) المصيخ : المستمع . وبدلها في ط ، س : « المتصفح » . وكيف يكون المستمع متصفحاً ؟ ! .

(دلالة الدقيق من الخلق على الله)

ثمَّ اعلمْ أنَّ الجبلَ ليس بأدلّ على الله من الحصاة ، ولا الفَلكَ المشتمل على عالَمنا هذا بأدلَّ عَلَى الله من بدَن الإنسان . وأنَّ صغيرَ ذلك ودقيقَهُ كعظيمهِ وجليله . ولم تفترقِ الأمورُ فى حقائقها ، وإنما افترقَ المفكِّرونَ فيها ، ومَن أهمَل النَّظَرَ ، وأغفَلَ مواضع الفَرْق ، وفُصولَ الحدود .

فمِنْ قِبَلِ ترْكِ النَّظرِ ، ومن قِبَلِ قطْع النَّظر ، ومن قِبَل النظر من غير وجه النَّظَرِ ، ومن قِبَل الإخلال ببعض المقدّمات ، ومن قِبَل ابتداء النَّظر من جهَة النَّظرِ ، واستمام النظرِ مع انتظام المقدَّمات ــ اختلَفوا .

فهذه الخصالُ هِيَ جُمَّاع هذا الباب ، إلاَّ ما لم نذْكرْه من باب العجز والنقص ؛ فإن الذى امتنع من المعرفة من قِبَل النُّقصانِ الذى فى الخِلقة[1] بابٌ عَلَى حدة .

وإنما ذكرناَ بَابَ الخطأ والصَّواب ، والتَّقْصِيرِ والتكميل .فإياك أن تسىء الظَّنّ بشىءٍ من الحيوان لاضطراب الخلق ، ولتفاوُت التركيب ، ولأنّه مشنوءٌ فى العَين ، أو لأنّه قليلُ النّفع ِوالرَّدِّ ؛ فإنَّ الذى تظُنُّ[2] أنّه أقلُّها نفعا لعله أن يكون أكثرَها ردًّا . فإلاَّ يكن[3] ذلك من جهةِ عاجلِ أمرِ الدنيا ،

---

(١) ط ، س : « الذى بابه فى الخلقة » . وكلمة « بابه » مقحمة .

(٢) ط ، س : « يظن » ، وتقرأ بالبناء للمفعول .

(٣) ط : « إن لايكون » س : « ألا يكون» وتصحيحه وفق مافى ل .

٩٣ كان ذلك فى آجل أمر[1] الدين . [وثوابُ الدين] وعقابُهُ باقيان ، ومنافعُ الدنيا فانية زائلة ؛ فلذلك قدِّمت الآخرة على الأولى .

فإذا رأيتَ شيئاً من الحيوانِ بعيداً من المعاوَنة ، وجاهلاً بسبب[2] المكانَفَةِ[3] ، أو كان مما يشتدُّ ضررُه ، وتشتدُّ الحِراسة منهُ ، كذوات الأنيابِ من الحيَّات والذئابِ[4] وذواتِ المخالبِ من الأسْدِ والنُّمور ، وذوات الإبر والشعر من العقارب والدَّبْر ، فاعلم أنّ مواقع[5] منافعها من جهة الامتحان ، والبلوَى . ومن جهة ما أعد الله عزَّ وجلَّ للصابرين ، ولمن فهم عنه ، و [لمن] [6] علم أنَّ الاختيارَ والاختبَار [لا] [7] يكونان والدنيا كلُّها شرٌّ صِرْفٌ أو خيرٌ مَحْض ؛ فإنّ ذلك لا يكون إلاّ بالمزاوجةِ بين المكروهِ والمحبوب ، والمُؤلم والملِذّ ، والمحقَّرِ والمعظَّم ، والمأمُون والمخوفِ . فإذا كان الحظُّ الأوفَرُ فى الاختبار والاختيار[8] ؛ وبهما يُتوسل إلى ولاية الله عزّ وجلّ ، وآبِد[9] كرامته ، وكان ذلك إنما[10] يكونُ فى الدار الممزوجةِ من

---

(١) ط ، س : « ثواب » .

(٢) س : « بسبيل » ط : « لسبيل » وهذه تحريف الأولى . وأثبت ما فى ل .

(٣) المكانفة ، بالنون : المعاونة . كانفه : عاونه . ل : « المكاتفة » بالتاء . ولم أجدها .

(٤) ط : « الذبان » ، وهو تحريف عجيب ، صوابه فى ل ، س .

(٥) ليست فى ل ، س .

(٦) الزيادة من ل ، س .

(٧) الزيادة من س . والكلام بعده إلى كلمة « ذلك » ساقط من ل .

(٨) ط ، س : « والاعتبار » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٩) الآبد : الدائم . وبدلها فى ط ، س : « وإلى » .

(١٠) ل : « لا » ، وهو تحريف يفسد المعنى .

الخير والشرِّ ، والمشتركة والمركّبة بالنّفْع[1] والضر ، المشوبةِ باليُسْرِ والعسْر — فليعلَمْ موضعَ النَّفْعِ في خَلْق العقرب ، ومكانَ الصُّنْع في خَلْق الحيَّة ، فلا يحقرنَّ الجِرْجِس[2] والفَرَاشَ والذرَّ والذِّبان[3] ولْتقِفْ حتّى تتفكَّرَ في الباب الذى رميتُ إليك بجمْلَته ، فإنّك ستكْثِرُ حَمْدَ اللهِ عزّ وجلّ ، على خلْق الهمَجِ والحشرَاتِ ، وذواتِ السُّمومِ والأنياب ، كما تحمَده عَلَى خلْقِ الأغذيةِ من الماءِ والنَّسيم .

فإنْ أردتَ الزِّرايةَ والتَّحقيرَ ، والعَداوةَ والتَّصغير ، فاصرفْ ذلك كلَّهُ إلى الجنِّ والإنس ، واحقِرْ منهم كلَّ مَن عمِل عملاً من جهةِ الاختيار[4] يستوجبُ به الاحتقار ، ويستحقُّ به غايةَ المقْت من وجـهٍ ، والتصغيرَ من وجه .

فإن أنت أبغضت من جهةِ الطبيعة[5] ، واستَثْقَلتَ من جهةِ الفِطرة ضَربينِ من الحَيَوان : ضرباً يقتلك بسمه ، وضربا يقتلك بشدةِ أسْره[6] لم تُلَمْ . إلاّ أنّ عليكَ أنْ تَعلَمَ أنّ خالقَهما لم يخلقْهما لأذاك[7] ، وإنما خلقهما لتصبِرَ عَلَى أذاهما ، ولأنْ تنالَ بالصَّبر الدرَجةَ التى يستحيل أنْ تنالها [إلاّ] بالصَّبر[8] .

---

(١) ل : « ومكان النفع فى صنع الحية » .

(٢) الجرجس ، بكسر الجيمين : البعوض الصغار . ويقال أيضاً : القرقس ، بوزنه .

(٣) الذر : صغار النمل . و « الذبان » بالكسر : جمع « الذباب » . وبهذه جاءت فى ط ، س .

(٤) ط ، س : « الاختبار » وهو تحريف ما فى ل .

(٥) ل : « فإن أنت بنية الطبيعة » وهو كلام مشوه .

(٦) الأسر : شدة الخلق والخلق . ط : « أشره » تحريف .

(٧) ط : « لذاك » . وما أثبت من س ، ل أوفق .

(٨) ط ، س : « التى تستحق أن تنالها بالصبر » ، ومؤدى العبارتين واحد .

والصبرُ لا يكون إلاّ عَلَى حَالٍ[1] مكروه . فسواءٌ عليك [أ] كان المكروه سبُعا وثّابا ، أو كانَ مَرَضًا قاتلا . وعَلَى أنّك لاتدرى ، لعلَّ النزْعَ ، والعَلَزَ والحشْرَجة[2] ، أن يكون أشدَّ من لذْغ[3] حيّة ، وضَغْمةِ سبعٍ[4] . فإلاَّ تكُنْ له حُرقَةٌ كحرق النار[5] وألمٌ كألم الدّهَق[6] ، فلعلَّ هناك من الكَرْب ما يكون موقعهُ من النّفس فوقَ ذلك .

وقد علمنا أنّ النّاس يُسَمُّون[7] الانتظار لوقع السيف عَلَى [صليف[8]] العُنق جهدْ البلاءِ ؛ وليس ذلك الجهْدَ من شكل لذْع النار ، ولا من شكل ألم الضربِ بالعصا . فافهم فهَّمَكَ الله مواقع النفع كما يعرفها أهلُ الحكمة ، وأصحاب الأَحْسَاس الصحيحة . ٩٤

ولا تَذْهب فى الأمورِ مذهَبَ العامّةِ ، وقد جَعَلَكَ اللهُ تعالى من الخاصة ، فإنّكَ مسئولٌ عن هذه الفضيلة ؛ لأنّها لم تجعَل لعِبا[9] ، ولم تترَكْ

---

(١) حال ، أى حاضر . ل : « عاجل » .

(٢) النزع : قلع الحياة . والعلز بالتحريك : هلع يصيب المحتضر . والحشرجة : الغرغرة عند الموت .

(٣) ط ، س : « لذع » وصوابه فى ل .

(٤) هاتان ساقطتان من ل . والضغمة : العضة . وسمى الأسد ضيغما لذلك .

(٥) كذا فى ل . وفى ط : « فلا يكون حرقة كحرق السع » وفى س : « فلا يكون لك حرقة كحرق السع » ، محرفتان .

(٦) الدهق ، بالتحريك : خشبتان يغمز بهما الساق ، فارسيته : أشكنجه .

(٧) ل : « لايسمون » ، وكلمة « لا » تفسد المعنى .

(٨) الصليف ، كأمير : عرض العنق .

(٩) ل : « لغوا » .

هَمَلا . واصرِفْ بُغْضَك إلى مُريدِ ظلمكَ[١] ، لا يراقِب فيكَ إلاًّ ولا ذِمَّة ، ولا مودةً ، ولا كتابا ولا سنَّة . وكلما زادك الله عزَّ وجلَّ نعمةً ازدادَ[٢] عليك حَنَقا ، ولكَ بُغْضاً . وفِرَّ كلَّ الفِرارِ واهرُبْ كلَّ الهرَب ، واحترسْ كلَّ الاحتراس ، ممن لا يراقبَ اللهَ عزَّ وجلَّ ؛ فإنه لا يخلو من أحد أمرين ، إمَّا أن يكونَ لا يعرفُ رَبَّهُ مع ظهور آياتِهِ ودلالاته ، وسبوغِ آلائهِ ، وتتابُع نَعْمائه ، ومع برهانات رُسله ، وبيانِ كتبِهِ ؛ وإمَّا أنْ يكون بِهِ عارفاً وبدينهِ[٣] موقناً ، وعليهِ مجترئاً ، وبِحُرماتِهِ مستخفًّا . فإن كان بحقِّهِ جاهلا فهو بحقِّك أجهل ، وله أنْكَر . وإن كان بهعارفاًوعليه مجترئاً فهو عليك أجرأ ، ولحقوقك أضْيَع [٤] ولأياديك أكفر .

فأمَّا خلْق البَعُوضةِ والنَّملة والفَرَاشةِ والذَّرَّة والذِّبّان[٥] والجِعْلان ، واليعاسيب والجراد — فإياك أن تَهاونَ بشأن هذا الجُنْد ، وتستخف[٦] بالآلة التى فى هذا الذَّرْء[٧] ؛ فَربَّتَ أمة قد أجلاها عن بلادها[٨] النملُ ، ونقلَها

---

(١) س « لمن يريد ظلما » .

(٢) ط فقط : « ازدادوا » .

(٣) س : « وبذنبه » وهو تحريف .

(٤) ط ، س : « ولحقك » . و « أضيع » تفضيل من أضاع . وفى التفضيل من أفعل مذاهب ثلاثة : المنع مطلقا ، والجواز مطلقا ، والمنع إن كانت الهمزة لغير النقل .

(٥) الذبان : جمع ذباب . ط ، س : « والذباب » .

(٦) ط : « تستخفف » تحريف صوابه فى ل ، س .

(٧) الذرء : الخلق . وفى الأصل : « الذر » .

(٨) ل : « مساكنها » .

عن مساقِطِ رءُوسِها الذَّرُّ ، وأُهلِكت بالفأر[١] ، وجُرِدت بالجَرادِ، وعُذِّبت بالبعوض ، وأفسَدَ عيشَها الذِّبَّان ؛ فهي جُندٌ إن أرادَ اللهُ عزَّ وجلَّ أن يُهلِكَ بها قوماً بَعْدَ طُغْيانِهم وتجبُّرِهم وعُتُوِّهم ؛ ليعرِفوا أو ليُعرَفَ بهم أنَّ كثيرَ أمرِهم ، لا يقوم بالقليلِ من أمر الله عزَّ وجل . وفيها بَعْدُ مُعتبرٌ لمن اعتبر ، وموعِظةٌ لمن فكَّر ، وصلاحٌ لمن استبصر[٢] ، وبلوَى ومِحْنة ، وعذابٌ ونِقْمة ، وحُجَّةٌ صادقة ، وآيةٌ واضحة[٣] ، وسَبَبٌ إلى الصَّبْرِ والفِكْرَة . وَهما جِمَاع الخيرِ في باب المعْرفة وَالاستبانة[٤] ، وَفى بابِ الأجْرِ وعِظَم المثوبة[٥] .

وسَنَذْكُر جملةً من حَال الذِّبّان ، ثم نقولُ في جملةِ ما يحضرُنا من شَأْنِ الغِرْبانِ والجعلانِ .

(أمثال فى الفراش والذباب)

ويقال[٦] فى موضع الذمِّ والهجاء : « ما هُمْ إلاّ فَراشُ نارٍ وَذِبَّانُ طَمَعٍ » . وَيقال : « أطْيَشُ مِنْ فَراشَة ، وَأزْهى مِنْ ذِبّانٍ » .

---

(١) إشارة إلى حادثة سيل العرم . زعموا أن السبب فيه فأرة ، قال الجاحظ : « لا يشك الناس فى أن أرض سبأ وجنتها إنما خربت حين دخلها سيل العرم ، وأن الذى فجر المياه فأرة » . ثمار القلوب ٣٢٨ . ط ، س : « بالقراد » وليس بشيء .

(٢) ل : « معتبر وموعظة وصلاح » .

(٣) سقط الكلام من ل ، من مبدأ : « وحجة » .

(٤) ط : « والإبانة » .

(٥) « وعظم المثوبة » ساقطة من ل .

(٦) ل : « قالوا : يقال » .

وقال الشاعر :

كأنَّ بنى ذوبية رهْطَ سَلمَى ... فَرَاشٌ حول نارٍ يَصْطلينا

يُطِفْنَ بحرِّها ويَقَعْنَ فيها ... ولا يَدْرِينَ ما ذا يتَّقينا

والعرب تجعل الفَراشَ والنَّحلَ والزَّنابيرَ والدَّبْرَ كلَّها من الذِّبان .

وأما قولهم[1] : « أزهى مِنْ ذُباب » فلأنَّ الذُّبابَ يسقُط على أنفِ الملِكِ[2] الجبَّار ، وعلى مُوقِ عينيه[3] ليأكله ، ثم يطرده فلَا ينطرد[4] . ٩٥

(معانٍ وأمثالٌ فى الأنف)

والأنف هو النَّخْوة وموضعُ التَّجبُّرِ .

وكان من شأن البطارقة[5] وقوَّاد الملوك إذا أنفوا [من شىء] أن ينخُروا كما ينْخِر الثَّورُ عندَ الذَّبح ، والبِرذونُ عند النَّشاط .

---

(١) ل : « قوله » .

(٢) ل : « الملوك » ، وهو تحريف .

(٣) موق العين : طرفها مما يلى الأنف . وللعينين موقان . ولكنه أفرد ، وذلك جائز فى العربية . ومنه قوله تعالى : « بدت لها سوأتهما » بالإفراد ، فى قراءة الحسن . انظر همع الهوامع (١ : ٥١) .

(٤) كذا فى ل . وفى ثمار القلوب ٣٩٥ : « ثم يطرد فلا ينطرد » . وفى ط ، س « فيطرده ولا ينطرد » .

(٥) البطريق ، كـكبريت : القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل . وهو معرب من الرومى : Patricius .

والأنف هو موضعُ الُخنْزُوانة والنُّعَرة[١] . وإذا تـكبَّرت النَّاقةُ بعد أن تَلْقَح فإنَّها[٢] تزمُّ بأنفها .

والأصيد : الملك الذى تراه أبداً من كِبْره مائلَ الوجه . وشُبِّه بالأسد فقيل أصيد ؛ لأنَّ عُنقَ الأسدِ من عظمٍ واحد، فهو لا يلتفتُ إلَّا بكُلِّه، فلذلك يقال للمُتَـكبِّر : « إنَّما أنفُه فى أسلوب » ، ويقال : أرغَمَ الله أنفَه وأذلَّ معطِسَه ! و [يقال] : ستفعل ذلك وأنفُك راغم ! والرَّغام : التراب . ولولا كذا وكذا[٣] لهشَّمت أنفك . فإنما يخصُّون بذلك الأنف ؛ لأنَّ الكبر إليه يضاف[٤] ؛ قال الشاعر[٥] :

يا رُبَّ مَنْ يُبْغِضُ أذْوادنا ... رُحْن عَلَى بَغْضَائِه واغتدَيْن[٦]

لو نَبتَ البَقْلُ عَلَى أنفِهِ ... لرُحْنَ منه أُصُلاً قد أبِين[٧]

---

(١) الخنزوانة ، بالخاء والزاى مضمومتين بينهما نون ساكنة : الكبر ، ومثله النعرة ، كهمزة ، وبالتحريك .

(٢) ل : « فإنما » .

(٣) ل : « ولولا كذا » .

(٤) كذا الوجه فى ل ، س . وفى ط : « يضاف إليه » .

(٥) هو عمرو بن قيئة ، كما فى أمالى ابن الشجرى (٢ : ٣١١) .

(٦) الأذواد : جمع ذود ، وهو القطيع من الإبل . وأراد بقوله : « على بغضائه » أنهن يرعين ويرتوين ، ولا يستطيع العدو منعهن لقدرة صاحبهن وعزته . وكلمة « بغضائه » هى فى ط : « بغصانه » وفى س : « بعصانه » . وصوابها من ل وأمالى ابن الشجرى ، ومحاضرات الراغب (٢ : ٦٣) .

(٧) الأصل ، بضمتين : الأصيل ، وهو العشى أى آخر النهار . وبعضهم قال : إن الأصل جمع أصيل . وليس بشىء . وأبين ، يقول : قد أبين الطعام من كثرة مارعين فأشبعن شهواتهن . ط ، س : « أتين » وصوابه فى ل . والرواية فى المحاضرات : « رعين » . وجاء فى ط ، س : « رحن إليه » وتصحيحه من ل والمحاضرات .

ويقال « بعير مذبوب » إذا عرض له ما يدعو[1] الذِّبَّانَ إلى السُّقوط عليه . وهم يعرفون الغُدَّة[2] إذا فشَتْ أو أصابَتْ بعيرًا بسُقوط الذِّبَّان عليه .

(احتيال الجمالين على السلطان)

وبسقوط[3] الذِّبّان على البعير يحتال الجَمَّال للسُّلطان ، إذا كان قد تسخَّرَ إبلَهُ[4] وهو لذلك كاره ، وإذا كان فى جماله الجملُ النفيسُ أو الناقةُ الكريمة[5] ؛ فإنه يعمِد إلى الخَضْخاض[6] فيصبُّ فيه شيئا من دِبس[7] ثم يَطْلى به ذلك البعير ، فإذا[8] وجد الذِّبّان رِيحَ الدِّبس تساقَطْنَ عليه ، فيدَّعى عند ذلك أنَّ به غُدَّة[9] ويجعلُ الشاهدَ له عندَ السُّلطان[10] ما يُوجد عليه من الذِّبان ! فما أكثر ما يتخلصون بكرائم أموالهم[11] بالحيلِ من أيدى

---

(١) ل : « داء يدعو » .

(٢) الغدة بالضم : طاعون الإبل . ط ، س : « العرة » ، وهى بالضم بمعنى الجرب . ولا تستقيم هذه مع بقية الكلام .

(٣) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط ، س : « ولسقوط » .

(٤) يقال سخره تسخيراً ، وتسخره كذلك : كلفه عملا بلا أجرة . ط ، س : « يسخر إبله » وأثبت ما فى ل .

(٥) ل : « فإذا كان فيها جمل نفيس أو ناقة كريمة » .

(٦) الخضخاض : نفط أسود رقيق تهنأ به الإبل الجربى .

(٧) الدبس ، بالكسر وبكسرتين : عسل التمر ، وعسل النحل . والأول المعنى .

(٨) ط ، س : « وإذا » .

(٩) كذا فى ل . وفى ط ، س : « عرة » . وانظر التنبيه الثانى من هذه الصفحة وفى ل : « فتدعى عند ذلك أنه » . وفيه تحريف .

(١٠) كلمة : « له » ساقطة من ل .

(١١) يتخلصون : ينجون . ل : « يخلصون » وهما بمعنى . ل ، س :

السُّلطان ، ولا يظنُّ ذلك السُّلطانُ إلّا أنه متى شاء أنْ يبيعَ مائةَ أعرابيٍّ بدرهم فَعَل . والغدّة[1] عندهُمْ تُعدِي ، وطِباع الإبل أقبلُ شيء للأدواء التى تُعْدِى ، فيقول الجمّال عنْدَ ذلك للسُّلطان : لو لم أخف على [الإبل إلّا] بعيرى هذا المغِدّ أن يُعدِيَ لم أبال[2] ، ولكنّى أخافُ إعداء الغُدَّةِ ومضرَّتها فى سائر مالى ! فلا يزالُ يستعطِفه بذلك ، ويحتالُ له به[3] حتّى يخلِّيَ سبيلَه .

(نفور الذِّبَّان من بعض الأشياء)

ويقال إنَّ الذِّبَّان لايقْرُب قِذْراً فيه كمأة ، كما لا يَدخُل سامٌّ أبْرَص[4] بيتاً فيه زعفران .

(الخوف على المكلوب من الذِّبَّان)

ومن أصابه عضُّ الكلب الكَلِبِ حمَوا وجهَه من سقوط الذِّبان عليه. قالوا : وهو أشدُّ عليه من دبيب الذِّبْر[5] على البعير .

= « من كرائم » والوجه ما أثبت من ط .

(١) ط ، س : « والعرة » . وانظر التنبيه الثانى من الصفحة السابقة .

(٢) المغد ، هو من أغد البعير : أصابته الغدة ، أى الطاعون . ط ، س : « المعر » ولم أجد لهذا وجها تصح به وكلمة « يعدى » هى فى س : « يعر » وليست مرادة . ل : « لم أبل » وهما صحيحتان .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ويحتال له ويميله » .

(٤) ل : « كما لاتدخل » ، والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٥) الدبيب : المشى الخفيف . ل : « سقوط » . والنبر ، بالكسر ، سيفسره الجاحظ بعد هذا .

(النِّبر)

والنِّـبْر دويْبَّةٌ إذا دبَّت على البعـير ، تورَّم ، وربَّمـا كان ذلك سببَ هلاكِه .

قال الشاعرُ وهو يصف[1] سِمَن إبله ، وعِظَمَ أبدانها :

حمر تحقَّنَت النَّجيل كأنَّما بجلودهِنَّ مَدَارِجُ الأنْبارِ[2]

(مميزات خلقيَّة لبعض الحيوان)

وليس فى الأرض ذبابٌ إلَّا وهو أقْرَح[3] ، ولا فى الأرض بعيرٌ إلَّا وهو أعلم[4] ، كما أنَّه ليس فى الأرض ثورٌ إلَّا وهو أفطس .   ٩٦

وفى أنَّ كلَّ بعير أعلمُ يقولُ عنترة :

وحَليلِ غانيةٍ تركتُ مجدَّلاً تمكو فريصَتُه كشِدْق الأعلَمِ[5]

---

(١) ل : « يذكر » .

(٢) « حمر » فى اللسان : « جردا » . وتحقنت النجيل : امتلأت أجوافها به . ط ، س : « تحققت المحيل » ، وتصحيحه من ل واللسان . والنجيل : خير الحمض كله وأليَنه على السائمة . والحمض : ما ملح وأمر من النبات . والأنبار : جمع نبر بالكسر وقد مر تفسيره . ومدارجه : مواضع دروجه ، أى مشيه .

(٣) « أقرح » ، وهو من القرحة . وكل ذباب فى وجهه قرحة . انظر أمثال الميدانى (٢ : ٤٠٣) . ط ، ل : « أقدح » والوجه ما أثبت ؛ إذ هو الصفة الخلقية التى تساير السياق . وانظر عيون الأخبار ٢ : ٧٥ وفيه « كل ذباب أقرح » . وانظر كذلك العقد ٦ : ٢٣٦ تأليف .

(٤) الأعلم : مشقوق الشفة العليا .

(٥) حليل : بمعنى زوج . ط ، س : « جليل » والصواب فى ل ، مجدلا : ملقيا على الجدالة وهى الأرض . تمكو فريصته : تصفر . والفريصة : لحمة فى وسط الجنب عند منبض القلب ، وهى ترتعد عند الفزع . قال التبريزى : « كأن هذه الطعنة فى سعتها شدق الأعلم » . وكأن الجاحظ يفهم هذا المعنى كما سيأتى بعد سطر . وأنا أقول : إنه فى هذا البيت ما شبهها بشدق الأعلم فى السعة ، بل أراد أن صوت الدم الدافق من هذه الطعنة ، يحكى الصوت الصادر من شدق البعير . وهذا لايمنع أن بعض الشعراء أراد فى شعره هذا المعنى الذى أدركه التبريزى والجاحظ .

كأنَّه[1] قال : كشدق البعير ؛ إذ كان كلُّ بعيرٍ أعلم .

والشعراء يشبِّهون الضربةَ بشِدْق البعير ، ولذلك قال الشاعر[2] :

كَمْ ضربةٍ لَكَ تَحكِى فَا قُراسِيَةٍ مِن الْمَصاعِيبِ فى أشداقِهِ شَنَع[3]

وقال الكميت :

* مَشافِرَ قَرْحَى أكلْنَ البريرَا[4] *

وإذا قيل الأعْلم ، عُلِم أنَّه البعير ، كما أنَّه إذا قيل الأقرح[5] علم أنَّه الذِّبَّان . قال الشاعرُ :

ولأنْتَ أطيَشُ ، حينَ تَغْدُو سادرًا حذر الطعان، مِنَ القَدُوحِ الأقْرَح[6]

يعنى الذبَّان لأنَّه أقرح[7] ، ولأنّه أبدا يحكُّ بإحدى ذراعَيْه على

---

(١) كذا فى ل ، وهو الوجه . وفى ط ، س : « كما أنه » .

(٢) هو النمر بن تولب ، كما فى البيان (١ : ٥٥) .

(٣) تحكى فاه : تماثله . والقراسية : الضخم الشديد من الإبل ، ذكراً كان أوأنثى ، وهو فى الذكور أغلب . والمصاعب ، واحدها صعب ، وهو الفحل . فى أشداقه : أراد فى شدقيه ، ومثل هذا جائز . فى الأصل : « فى أشداقها » ، والوجه ما أثبت من البيان ؛ إذ أن المراد بالقراسية هنا الفحل .

(٤) قرحى : جمع قريح ، وهو هنا المصاب بالقرحة فى فيه ، فيهدل لذلك مشفره . والبرير : الأول من ثمر الأراك . وهذا عجز بيت ، صدره كما فى الحيوان ٥ : ٦٠٢ :

* تشبه فى الهام آثارها *

(٥) فى الأصل : « الأقدح » .

(٦) السادر : الراكب رأسه . و « حذر الطعان » كذا فى ط ، س ، وفى ل « حذر العظام » ، والرواية المعروفة : « رعش الجنان » كما فى أمثال الميدانى (١ : ٤٠٣) وثمار القلوب ٣٩٥ واللسان والتاج (قدح) . والجنان : القلب . والقدوح : الذى يحك ذراعا بذراع ، يحكى فعل القادح الذى يطلب النار . والأقرح : الذى فى وجهه قرحة . وفى الأصل وكذا اللسان : « الأقدح » ، خطأ ، صوابه فى الثمار وأمثال الميدانى .

(٧) فى الأصل : « أقدح » . وانظر التنبيه السالف .

الأخرى كأنّه يقدح بعودَى مَرْخٍ وعَفار[١] ، أو عرجون، أو غير ذلك مما يقدح به .

(أخذ الشعراء بعضهم معانى بعض)

ولا يعلم فى الأرضِ شاعرٌ تَقَدَّمَ فى تشبيهٍ مُصيبٍ تامّ ، وفى معنًى غريبٍ عجيب ، أو فى معنًى شريف كريم ، أو فى بديعٍ مُختَرَع ، إلّا وكلُّ مَنْ جاءَ من الشُّعراءِ منْ بَعْدِهِ أو معه ، إنْ هو لم يعْدُ[٢] على لفظه فيسرقَ بعضه أو يدعِيَه بأسْره ، فإنّه لايَدعُ أن يستعينَ بالمعنى ، ويجعَلَ نفسه شريكاً فيه ؛ كالمعنى[٣] الذى تتنازعُه الشعراءُ فتختلفُ ألفاظهم، وأعاريضُ أشعارهِمْ ، ولا يكونُ أحدٌ منهم أحقَّ بذلك المعنى من صاحبه . أو لعلّه [أن] يجحد أنهُ سمع بذلك المعنى قَطُّ ، وقال إنَّه خَطرَ على بالى من غير سماع ، كما خطَر على بال الأوَّل . هذا إذا قرَّعُوه به . إلاّ ما كان من عنترة فى صفةِ الذُباب ؛ فإنه وصفَه فأجاد صفته[٤] فتحامى معناهُ جميعُ الشعراء

---

(١) المرخ ، بالفتح : شجر من العضاه خشبه كثير الورى سريعه . والعفار ، كسحاب : شجر خوار . ومن المرخ يتخذ الزندة ، وهى السفلى ، ومن العفار يتخذ الزند وهو الأعلى ، ويقتدح بهما . قال :

إذا المرخ لم يور تحت العفار وضن بقــدر فلم تعقب

ط : « بعود من مرخ ، أو غفار » ، س « بعود فى مرخ أو عفار » وتصحيحه من ل .

(٢) كذا الصواب فى ل . وفى ط ، س : « يقدر » .

(٣) ل : « وكالمعنى » .

(٤) ط ، س : « وصفه » .

فلم يعرضْ له أحدٌ منهم[1] . ولقد عَرَض له بعضُ المحدَثين ممن كان يحسِّنُ القَول ، فبلغ من استكراهه لذلك المعنى ، ومن اضطرابه فيه ، أنّه صار دليلًا على سوء طبعه فى الشعر[2] . قال عنترة :

جادَتْ عليها كلُّ عينٍ ثَرَّةٍ   فتَرَكْنَ كلَّ حَدِيقةٍ كالدِّرْهم[3]

فتَرى الذُّبابَ بها يغنِّى وحْدَه   هَزِجاً كفِعْل الشَّارِبِ المترنِّمِ

غَرِداً يحُكُّ ذِراعَــــه بذِرَاعِهِ   فِعْلَ المكبِّ على الزِّنَادِ الأجذمِ

قال : يريد فعل الأقْطعِ المكبِّ على الزِّناد . والأجذم : المقطوع

٩٧ اليدين . فوصف الذّباب إذا كان واقعاً ثمَّ حكّ إحدى يديه بالأخرى ، فشبَّهَهُ عند ذلك برجلٍ مقطوع اليدين ، يقدَحُ بعودين . ومتى سقَط الذُّبابُ فهو يفعل ذلك .

ولم أسمع فى هذا المعنى بشعر أرضاه غير شِعر عنترة .

(قولٌ فى حديث)

وقد كان عندنا فى بنى العدويّة[4] شيخٌ منهم مُنْكر[5] ، شديد العارضة [فيهِ توضيع][6]، فسمعنى أقول : قد جاء فى الحديث : « إنَّ تحْتَ جَناح

---

(١) ط ، س : « فلم يعرضوا له » .

(٢) لست أدرى الآن من عنى الجاحظ بقوله ، ولم أجد الشعر الذى أشار إليه .

(٣) أراد بالعين الثرة : السحابة الغزيرة المطر ، وجعل الحديقة كالدرهم فى استدارته لا قدره .

(٤) ط : « العروبة » والأشبه ما أثبت من ل ، س .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٦) التوضيع : التخنيث . وفى الحديث : « إن رجلا من خزاعة يقال له هيت ، فيه توضيع » أى تخنيث .

الذُّباب اليمين شفاءٌ وتحتَ جَناحِه الأيسر[١] سمًّا . فإذا سقط فى إنَاءٍ أو فى شرابٍ أو فى مَرَق فاغمسوه فيهِ ؛ فإنه يرفَعُ عند ذلك الجناحَ الذى تحتَه[٢] الشفاء ، ويحطُّ [الجناح] الذى تحتَه السمّ » . فقال : بأبى أنتَ وأمِّى هذا يجمع العداوةَ والمَكيدة !

(قصّة لتميمى مع أناس من الأزد)

وقد كان عندنا أُنَاسٌ من الأزد ، ومعهم ابن حزن[٣] ، وابن حزن هذا عدوىٌّ من آل عموج[٤] ، وكان يتعصّب[٥] لأصحابه من بنى تميم وكانوا على نبيذٍ ، فسقَطَ ذبابٌ فى قدَح بعضِهم ، فقال له الآخر : غطٍّ التميمى ، ثمَّ سقط آخر فى قدَح بعضِهم ، فقال الباقون[٦] : غطٍّ التميميّ ! فلمَّا كان فى الثالثة قال ابن حزن : غطِّه فإنْ كان تميميًّا رسَبَ ، وإن كان أزديًّا طفا . فقال صاحب[٧] المنزل : مايسرُّنى أنَّه كان نقصكم حرفا[٨] . وإنما عَنَى أنَّ أزْدَ عُمان مَلَّاحُون .

---

(١) س : « اليمنى » و « اليسرى » . والجناح مذكر .

(٢) ل : « فيه » .

(٣) ط ، س : « حذر » فى المواضع الثلاثة . وأثبت ما فى ل .

(٤) ط ، س « عدولى » : نسبة إلى عدولى ، بفتح أوله وثانيه وفتح اللام والقصر ، وهى قرية بالبحرين تنسب إليها السفن . وأثبت ما فى ل . وهو منسوب إلى بنى العدوية السالف ذكرهم ، وهم من تميم ، كما فى المعارف ٣٥ . و « آل عموج » هى فى ط ، س : « أهل تنوخ » .

(٥) فى الأصل : « يتصعب » .

(٦) ل : « بعضهم » .

(٧) ل : « رب » .

(٨) كذا فى ل . وفى ط : « كان قال بعضهم مرقا » ، محرف . وفى س : « كان قال بعضكم حرفا » .

(ضروب الذِّبَّان)

والذِّبّان[1] ضروبٌ سِوى ما ذكرنَاه[2] من الفَراش والنَّحلِ والزَّنَابير. فمنها الشَّعْراء[3] ، وقال الراجز :

* ذبّان شَعْرَاءَ وبيت ماذلِ[4] *

وللكلاب ذبابٌ على حِدَة يَتَخَلَّقُ منها ولا يُريدُ سِواها[5] . ومنها ذبّان[6] الكلإ والرِّياض . وكلٌّ نوعٍ منها يألفُ ما خَلقَ منه . قال أبو النَّجْم :

مَستأسِـد ذبّانه فى غَيْطَـلِ يقُلنَ للرَّائِدِ أعشَبْتَ انزلِ[7]

---

(١) الذبان بالكسر : جمع ذباب . ط ، س : « والذباب » .

(٢) ل : « ماذكر » .

(٣) الشعراء ، بفتح الشين وكسرها ، وبالعين المهملة الساكنة : ذباب أزرق ، أو أحمر ، يقع على الإبل ، والحمير ، والكلاب ، فيؤذيها أذى شديداً، واسمه العلمى: Hippodoscidae .

(٤) « بيت ماذل » كذا فى الأصل وسيأتى فى ص ٣٩٠ : « وصيف ماذل » . وفى نهاية الأرب (١٠ : ٢٩٩) : « ونبت مائل » . وقبله:

* تذب عنها بأثيث ذائل *

(٥) ط ، س : « يخلق منها ولا يريد سواها » .

(٦) ط ، س : « ذباب » .

(٧) مستأسد : هو من استأسد النبت : إذا بلغ وقوى والتف ، أراد كثرته وتكاثفه . ويروى : « مستأسداً » . والغيطل : الشجر الكثير الملتف، وكذلك العشب. وأرجوزة أبي النجم هذه طويلة نادرة ، عدة أشطارها ١٩١ شطرا .

وقد نشرت فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (٨ : ٤٧٢ — ٤٧٩) سنة ١٩٢٨ . وكان رؤبة يسميها : أم الرجز .

(شعرٌ ومثل فى طنين الذّباب)

والعربُ تسمِّى طَنِينَ الذِّبَّانِ والبعوض غِناءً . وقال الأخطلُ فى صفة الثَّور :

فَرِدًا تغنّيه ذِبَّانُ الرِّياض كما غَنَّى الغُواةُ بِصَنْجٍ عِنْدَ أسْوارِ [(١)]

وقال حَضْرمىٌّ بن عامرٍ فى طنين الذباب :

ما زالَ إهداءُ القَصائدِ بينَنَا شَتْمَ الصَّديقِ وكثْرَةَ الألقاب

حتَّى تركت كأَنَّ أمْرَكَ بينَهم فى كلِّ مجمعَةٍ طنينُ ذُبَاب [(٢)]

ويقال : « ما قولى هذا عندك إلّا طنينُ ذُبَاب [(٣)] » .

(سفاد الذباب وأعمارها)

وللذُّباب وقتٌ تهيج فيهِ للسِّفاد [(٤)] ، مع قصر أعمارها . وفى الحديث : « أنَّ عُمْرَ الذباب أربعون يوماً » ، ولها أيضاً وقت هَيْجٍ فى [(٥)] أكْلِ النّاس

---

(١) ط : « فرد » . والصنج ، بالفتح : آلة موسيقية وترية . ط ، س : « بصبح » ، وهى تصحيف ما أثبت من ل . والأسوار : واحد الأساورة ، وهم قواد الفرس ، أو قوم من العجم نزلوا بالبصرة قديما .

(٢) ط وثمار القلوب ٣٩٧ : « فى كل مجتمع » .

(٣) طنين الذباب ، يضرب المثل به لـلكلام يستهان ولا يبالى به . ثمـار القلوب . فى ل : « كطنين ذباب » .

(٤) ل : « وقت هيج السفاد » .

(٥) ل : « على » .

وعضِّهم ، وشربِ دمائهم . و [إنما يعرض هذا] الذِّبَّان فى[1] [البيوت عند قرب أيَّامها ؛ فإنّ هلاكها يكون بعد ذلك وشيكا . والذِّبَّان] فى وقتٍ من الأوقات من حتوف الإبل والدوابّ .

(علّة شدّة عضّ الذباب)

والذُّباب والبَعوضُ من ذوات الخراطيم ؛ ولذلك اشتدَّ عضُّها وقويتْ على خرْق الجلودِ الغِلاظ . وقال الراجز [فى وصف البعوضة] : ٩٨

مثل السَّفاةِ دائم طَنينُها[2] ركِّبَ فى خُرطومها سِكِّينُها

(ذوات الخراطيم)

وقالوا : ذوات الخراطيم من كلِّ شىء أقوى عضًّا ونَاباً وفكًّا ؛ كالذيب والخنزير ، والكلب . وأمّا الفيل فإنّ خرطومَه هو أنفه ، كما أنّ لكلِّ شىءٍ من الحيوان أنفا ، وهو يده ، ومنه يُغَنِّى[3] وفيه يجرى الصَّوت ، كما يُجرى الزَّامرُ الصَّوتَ فى القصَبةِ بالنَّفخ . ومتى تضاغَطَ الهواءُ صوَّتَ على قدْر الضَّغْطِ ، أو على قدر الثّقب[4] .

---

(١) زدت هذه الكلمة لحاجة الكلام إليها .

(٢) السفاة : واحدة السفا ، وهو شوك البهمى والسنبل ، أو كل الشوك . والرجز رواه أبو على فى الأمالى (٣ : ١٢٩) . وجاءت روايته عند الدميرى : « مثل السفاة دائما طنينها » . وانظر ٥ : ٤٠٢ .

(٣) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « يغنى » .

(٤) ل : « السبب » ، وصوابه فى ط ، س .

(أمثال من الشعر فى الذباب)

والذباب : اسم الواحد ، والذِّبّان : اسم الجماعة . وإذا أرادوا التّصغير والتقليلَ ضربوا بالذِّبّان المثل . قال الشاعر [١] :

رأيتُ الخبزَ عزَّ لدَيكَ حتَّى   حَسِبتُ الُخبْزَ فى جوِّ السَّحابِ
وما روَّحْتَنا لتذُبَّ عنّا   ولكنْ خِفْتَ مَرْزِية الذُّبابِ [٢]

وقال آخر [٣] :

لما رأيت القَصْر أُغْلِقَ بابهُ   وتعلَّقتْ هَمْدانُ بالأسباب [٤]
أيقَنتُ أنّ إمَارة [٥] ابن مضارب [٦]   لم يبق منها قِيسُ أَيْرِ [٧] ذبابِ

(١) هو أبو الشمقمق كما فى عيون الأخبار (٢ : ٣٦ و ٣ : ٣٤٧) . وجاء فى البخلاء ٥٩ : « وكان أبو الشمقمق يعيب فى طعام جعفر بن أبى زهير ، وكان له ضيفا ، وهو مع ذلك يقول » ، وأنشد البيتين ، كما أعادهما فى ١٠٦ . وقد نسب البيت الثانى مع سابق له غير المروى هنا ، إلى أبى الشيص . انظر محاضرات الراغب (١ : ٣١٨) . وإلى أبى نواس كما فى المحاسن والأضداد ٥٠ والمحاسن والمساوى (٢ : ٢٠٣) . وهو بدون نسبة فى العقد (٦ : ١٩١ تأليف) .

(٢) المرزئة ، بفتح الميم والراء الساكنة بعدها زاى مكسورة ؛ من رزأه : أى أصاب منه شيئا . سهلت الهمزة هنا ، وجاءت بالهمز فى البخلاء وديوان المعانى (١ : ١٨٧) . ورويت فى العقد (٤ : ٢٢٥) : « من دب الذباب » . والدب بالفتح : مصدر دب : مشى على هينته .

(٣) هو عبد الله بن همام السلولى ، كما سيأتى فى (٦ : ٧٦) .

(٤) همدان : قبيلة يمنية . ط ، س : « بالأسلاب » وأثبت مافى ل والجزء السادس وثمار القلوب ٣٩٨ .

(٥) ط ، س : « إثارة » ، وتصحيحه من ل والجزء السادس وثمار القلوب .

(٦) كذا فى ل والجزء السادس . ط ، س : « مجرب » وفى الثمار : « ابنى مقرب » .

(٧) قيس ، بالكسر : قدر . والكلمة التى بعدها هى فى ط : « بن » س : « ابن » وتصحيحه من ل والجزء السادس والثمار .

قال بعضهم : لم يذهب إلى مقدار أيْره[1] ، وإنما ذهب إلى مثل قول ابن أحمر :

ما كنت عنْ قومى بمهتضم[2] لو أنَّ معصيًّا له أمرُ
كلّفتنى مُخَّ[3] البَعوضِ فقدْ أقصرت لا نُجْحٌ ولا عُذْرُ[4]

(ما يَلَغُ من الحيوان وما لا يلَغ)

قال : وليس شىءٌ مما يطيرُ يلَغُ فى الدَّم ، وإنما يلغ فى الدماء من السِّباع ذواتُ الأربع . وأمّا الطّيرُ فإنَّها تشربُ حَسوًا ، أو عبَّة بعد عَبّة . ونُغبةً بعد نغبة . وسباع الطَّيرِ قليلة الشُّرب للماء ، والأُسد كذلك . قال أبو زُبَيد الطائى[5] :

تذبُّ عنــهُ كفٌّ بهــا رَمَقٌ طيراً عكوفاً كزُوَّرِ العُرُسِ[6]

---

(١) ط ، س : « أثره » ؛ وصوابه فى ل والثمار .

(٢) ل : « بذاهلة » .

(٣) ط ، س : « متح » وصوابه من ل والثمار . و « كلفتنى مخ البعوض » مثل يضرب لمن يكلفك الأمور الشاقة . أمثال الميدانى (٢ : ٨٤) .

(٤) النجح ، بالضم : النجاح : ط : « ولا غدر » وتصحيحه من ل والثمار .

(٥) تقدمت ترجمته فى (٢ : ٢٧٤) .

(٦) يقول : إن كفه التى بها بقية من حياة ، تدفع الذباب التى تحاول أن تظل عاكفة عليه مقيمة ؛ لتأكل منه . وهى فى تجمعها كأنه زور العرس قد اجتمعوا له . والعرس : وليمة الزواج ، وقد ضم الراء للشعر . والزور : جمع زائر . وهذا تمثيل جيد بارع . ط : « كذود » وأراها تصحيفا . والبيتان فى صفة أسد صريع ، كما فى الأغانى (١١ : ٢٦) حيث تجد القصيدة . وأنشدهما ابن الشجرى فى حماسته ص ٢٧٣ .

إذا ونى ونْيَةً دَلَفنَ له فهنَّ مِنْ والغٍ ومُنْتَهِسِ[1]

قال : والطّير لاتَلَغ ، وإنما يلغَ الذباب . وجعله من الطّير ، وهو وإن كان يطير فليس ذلك من أسمائه . فإذ قد جاز أن يستعير له اسم الطائر ، جاز أن يستعير للطير ولْغ السِّباع فيجعَلَ حسْوها ولْغا ، وقال الشاعر :

سراع إلى ولْغ الدماءِ رماحهم وفى الحرب والهيجاءِ أُسْدٌ ضَراغِمُ[2]

(خصلتان محمودتان فى الذباب)

٩٩ قال وفى الذباب خَصْلتانِ من الخصال المحمودة : أمَّا إحداهما فقُربُ الحيلة لصرف أذاها ودفع مكروهها[3] ؛ فمن[4] أراد إخراجَها من البيت فليس بينَهُ وبين أن يكونَ البيتُ على المقدارِ الأوّلِ من الضِّياءِ والسكِنِّ[5] [بعد إخراجها] مع السَّلامة من التأذى بالذبان — إلاّ أن يُغْلقَ البابُ ، فإنَّهُنَّ يتبادَرْنَ إلى الخروج ، ويتسابَقْنَ فى طَلب الضوء والهَرَب من الظلمةِ ، فإذا أُرخِيَ السِّترُ وفتحَ البابُ عاد الضَّوءُ وسلِمَ أهلُه من مكروهِ الذباب . فإنْ كان فى الباب شقٌّ[6] ، وإلاّ جَافَى المغلقُ أحدَ البابَين عن صاحبه[7]

---

(١) ونى : أبطأ ، أى عن ذب تلك الطيور ودفعها . دلف : مشى مشية المقيد .

(٢) ل : « سريع » س : « سود ضراغم » ويصح إذا قصرت « الهيجاء » وتكون صحة كتابتها على هذا الوجه : « والهيجا أسود ضراغم » .

(٣) ط : « مكروها » وصوابه فى ل ، س .

(٤) ل : « لمن » .

(٥) الكن بالكسر : الستر . ط ، س : « ولكن » ، والوجه ما أثبت من ل

(٦) لم يذكر الجواب .

(٧) ط ، س : « وإلا جاء فى المغلق أحد — س : إحدى — البابين من صاحبه » وتصحيحه من ل . وجافى : أبعد .

ولم يطبقه [عليه[1]] إطباقاً . وربّما خرجْن من الفتْح الذى يكون بين أسفل الباب والعتَبة . والحيلةُ فى إخراجها والسَّلامةِ من أذاها يسيرة[2] ، وليس كذلك البعوض ؛ لأنَّ البعوضَ إنما يشتدُّ أذاه ، ويقوى سلطانُه ، ويشتدُّ كَلَبُه[3] فى الظلمةِ ، كما يقوَى سُلطانَ الذبان[4] فى الضياءِ ، وليس يمكنُ النّاسَ أنْ يُدخلوا منازلَهمْ من الضِّياءِ مايمنعُ عَمَلَ البَعوض ؛ لأنَّ ذلك لايكون إلاّ بإدخال الشَّمسِ ، والبعوض لايكونُ إلّا فى الصَّيف ، وشمسُ الصَّيفِ لاصبْرَ عليها . وليس فى الأرضِ ضياءٌ انفصلَ من الشمس إلّا ومَعه نصيبهُ من الحَرِّ ، وقديفارق الحرُّ الضياء[5] فى بَعضِ المواضع ، والضِّياءُ لايفارِقُ الحَرَّ فى مكانٍ من الأماكن .

فإمكان الحِيلة فى الذباب يسير ، وفى البَعُوض عَسِير !

والفضيلة الأُخرى : أنه لولا أن الذّبابة تأكل البَعُوضة [و] تطلبها وتلتمسها على وجوهِ حيطان البيوت ، وفى الزوايا ، لما كان لأَهلها فيها قَرار !

(الحكمة فى الذباب)

وذكَر محمدُ بن الجهْم ـــ فيما خبَّرنى عَنْه بعضُ الثقات ـــ أنه قال لهم ذاتَ يوم : هل تَعْرِفُون الحِكمة التى استفَدْناها فى الذُّباب[6] ؟ قالوا : لا .

---

(١) الزيادة من س .

(٢) ط ، س : « يسير » وتصحيحه من ل .

(٣) كلبه ، بالتحريك : شدة رغبته فى العض .

(٤) كذا فى ل ، س . وفى ط : « الذباب » .

(٥) ط : « أيضاً » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٦) ل « الخبر الذى استفدناه فى الذباب » .

قال : بلى ، إنها تأكل البعوض وتصيده وتلقطه وتفنيه[1] : وذلك أنّى كنتَ أريد القائلة[2] ، فأمرْتُ بإخراج الذُّباب وطَرْحِ السِّترِ وإغلاقِ الباب[3] قبلَ ذلك بساعة . فإذا خرجن حَصل فى البيت البعوضُ ، فى سلطان البعوض[4] و [موضِعِ] قوَّته . فكنتُ أدخلُ إلى القائلة فيأكلنى البعوضُ أكلا شديداً . فأتيتُ ذاتَ يومٍ المنزِلَ فى وقت القائلة ، فإذا ذلك البيتُ مفتوحٌ ، والسِّترُ مرفوع ، وقد كان الغلمان أغفلوا ذلك فى يومهم ، فلما اضطجَعْتُ للقائلة لم أجد من البعوض شيئاً[5] وقد كان غضبى اشتدَّ على الغِلمان[6] ، فنمتُ فى عافية . فلما كان من الغد عادُوا إلى إغلاق الباب وإخراجِ الذّباب ، فدخلتُ ألتمسُ القائلة ، فإذا البعوضُ كثير . ثمَّ أغفلوا[7] إغلاقَ البابِ يوماً آخر ، فلما رأيته مفتوحاً شتمتُهُمْ فلمَّا صرتُ إلى القائلة لم أجدْ بعوضةً واحدةً ، فقلت فى نفسى [عند ذلك] : ١٠٠ أرانى قد نمتُ فى يَوْمَيِ [الإغْفَالِ وَ] التَّضْييع ، وامتَنعَ منِّى النَومُ فى أيَّام التحفُّظِ والاحتراس. فلِمَ لا أجرِّبُ تَرْكَ إغلاقِ الباب فى يومى هذا. فإن نمتُ[8]

---

(١) كذا فى ل ، س . وفى ط : « وتصيدها وتلقطها وتفنيها » ، وهما صحيحتان .

(٢) القائلة : النوم فى القائلة ، وهو نصف النهار .

(٣) ط : « فأغلاق الباب » ، وهو تحريف . والإشارة بكلمة « ذلك » الآتية إلى القائلة .

(٤) ط ، س : « وقوى سلطانه » .

(٥) ل : « لم أجد البعوض كثيراً » .

(٦) ط ، س : « وقد كان الغضب يشتد على الغلمان » .

(٧) فى الأصل « أغلقوا » ، والوجه ما أثبت . وانظر ماسيأتى بعد سطر .

(٨) كذا على الصواب فى ل ، س . وفى ط : « تمت » .

ثلاثة أيّام[١] لا ألقى من البَعوضِ أذًى مع فتح الباب ، علمتُ أنَّ الصَّواب فى الجمع بين الذِّبان و [بين[٢]] البعوض ؛ فإنَّ الذِّبّان [هى التى] تُفنيه[٣] ، وأنَّ صلاحَ أمرنا فى تقريبِ ما كُنَّا نباعد . ففعلتُ ذلك ، فإذا الأمر قد تمّ . فصرنا إذا[٤] أردْنا إخراجَ الذِّبّانِ أخرجْناها بأيسرِ حيلة ، وإذا أردنا إفناء البعوض أفنيناها [على أيدى الذِّبّان بأيسر حيلة] .

فهاتان خَصْلتان من مناقب الذِّبّان .

(طبّ القوابل والعجائز)

وكان محمد بن الجهم[٥] يقول : لاتتهاونوا بكثيرٍ ممَّا ترَوْنَ[٦] من علاجِ القوابل والعجائز ، فإنّ كثيراً من ذلك إنما وقع إليهنَّ[٧] من قدماءِ الأطباء ؛ كالذِّبّان يُلقى فى الإثمِد ويسحق معه ، فيزيد [ذلك[٨]] فى نور البصر ، ونفاذ[٩] النظر ، وفى تشديد[١٠] مراكز [شعر[١١]] الأشفار[١٢] فى حافَات الجُفون .

---

(١) ل : « يومين » .

(٢) من س .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « يفنيه » .

(٤) ط ، س : « إن » .

(٥) ل : « وكان ابن الجهم » .

(٦) ط : « تريدون » وتصحيحه من ل ، س وعيون الأخبار (٢ : ١٠٤) والعقد (٦ : ٢٤٥) .

(٧) ط ، س : « إليهم » وهى على الصواب فى ل وعيون الأخبار .

(٨) من ل وعيون الأخبار .

(٩) كذا فى ل وعيون الأخبار . وفى ط ، س : « ويقوى » .

(١٠) ط ، س : « ويشد » .

(١١) من ل ، س .

(١٢) الأشفار جمع شفر بالضم ، ويفتح ، وهو أصل منبت الشعر فى الجفن .

(نفع دوام النظر إلى الخضرة)

وقلت له مرَّة : قيل لماسَرجَويه : ما بالُ الأكَرَة[١] وسُكَّان البساتين ، مع أكلهم الكرَّاث والتمر ، وشربهم ماء السَّواقى على المالح[٢] أقلَّ النَّاس خُفْشانا [وعميانا] وعُمْشانا[٣] وعورا ؟ قال : إنى فكّرت فى ذلك فلم أجد له علّةً إلّا طولَ وُقوع أبصارِهِمْ على الخُضْرة .

(من لا يتقزّز من الذّبّان والزنابير والدّود)

قال ابن الجهم : ومن أهل السُّفالة[٤] ناسٌ يأكلون الذّبان ، [وهُمْ] لا يرمدون. وليس لذلك أكلوه[٥] وإنّماهُمْ كأهل خُراسان الذين يأكلون فراخ الزَّنَابير ، والزَّنَابير ذِبان ، وأصحاب الجبن الرَّطب يأخذون الجبنة التى قد نَغِلت[٦] دوداً ، فينكتها [أَحَدُهم[٧]] حتّى يخرُج مافيها منالدُّود فى راحَتِه ، ثمَّ يقمَحُها كما يقمَحُ السَّويق[٨]. وكان الفرزدق يقول : ليت أنَّهُمْ دفعوا إلىَّ

---

(١) الأكرة : جمع أكار ، وهو الحراث .

(٢) كذا . وفى عيون الأخبار (٢ : ١٠٨) : « وشربهم الماء الحار على السمك المالح » .

(٣) الأخفش : الضيق العينين ، أو الذى ضعف بصره خلقة ، أو الذى فسد جفنه بلا وجع . ط ، س : « خفشانا وعشيانا » . والأعشى : الذى لايبصر ليلا .

(٤) السفالة ، بالضم من بلاد الزنج .

(٥) ط : « أكلوا » .

(٦) نغلت : فسدت .

(٧) ليست بالأصل، والكلام فى حاجة إليها .

(٨) قمح السويق ، كفرح : استفه . والكلام من : « يأخذون » إلى هنا ، ساقط من ل .

نصيبى من الذبان ضَرْبة واحدة ، بشرط أنْ آكله لراحة الأبد منها[١] . وكان كما زعموا[٢] شديدَ التقذُّر لها [والتقزُّز][٣] منها .

(دعوتان طريفتان لأحد القصاص)

وقال ثُمامة : تساقط[٤] الذبّان فى مَرَق بَعض القصّاص وعلى وجْهه فقال : كثّر اللهُ بكنّ القبور !

وحكى ثمامة عن هذا القاصّ أنه سمعه بعَبّادَان[٥] يقول فى قَصَصِه : اللهمّ مُنّ علينا بالشهادةِ ، وعلى جميع المسلمين !

(قصّة فى عمر الذُّباب)

وقال لى المكّىُّ مرَّة : إنما عمر الذبّان أربعونَ يوماً . قلت[٦] : هكذا جاء فى الأثر . وكنّا يومئذ بواسط فى أيّام العسكر[٧] وليس بَعْدَ أرض

---

(١) ضمير « آكله » للنصيب ، وضمير « منها » للذبان . ل : « منه » والتذكير والتأنيث جائزان .

(٢) ل : « وكان زعموا » .

(٣) هذه من س . وكلمة « لها » ساقطة من ل .

(٤) كذا فى ل والبيان (٢ : ٣١٧) وفى ط ، س والعقد (٤ : ٢٠٠) : « وقع » .

(٥) عبادان : جزيرة فى دجلة ، قرب مصبها . وفى العقد : « ببغداد » .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أربعين » ، ولا تصح هذه إلا بجعل « عمر » فعلا .

(٧) ل : « العساكر » . وانظر ماورد فى ص ٣٤٧ .

الهند أكثرُ ذباباً من واسط ، ولربّما رأيتَ الحائطَ وكأنَّ عليهِ مِسْحا[1] شديدَ السَّواد من كثرة ما عليه من[2] الذبّان . فقلت للمكّيِّ : أحسب الذبّان يموت[3] فى كل أربعين يوماً ، وإن شئت فى[4] أكثرَ ، وإن شئت فى أقلَّ . ونحنُ كما ترى ندوسُها بأرجلنا ، ونحن ها هنا مقيمون من أكثر من أربعين يوماً[5] ، بل منذ أشهر [وأشهر] ، وما رأينا ذباباً واحداً ميّتاً . فلوكان الأمر على ذلك لرأينا الموتى كما رأينا الأحياء . قال : إنَّ الذّبابة إذا أرادتْ أن تموت ذهبتْ إلى بعض الخرِبات[6] . قلت : فإنّا قد دخلنا كلَّ خَرِبةٍ[7] فى الدُّنْيا ، مَا رأينَا فيها قطُّ ذبابا ميّتا . ١٠١

(المَكِّيُّ)

وكان المكيّ طيّباً[8] طيّب الحُجَج ، ظَرِيفَ الحِيَل[9] ، عجيبَ العلل وكان يدَّعى كلَّ شيءٍ على غاية الإحكام ، ولم يُحْكِمْ شيئاً قطُّ ، [لا] من

---

(١) المسح ، بالكسر : الكساء من الشعر ، جمعه أمساح ومسوح . قال أبو ذؤيب :
ثم شربن بنبط والجمال كأ ن الرشح منهن بالآباط أمساح
(٢) ط ، س : « من كثرة الذبان الذى عليه » .
(٣) ل : « أحسب أن الذبابة تموت » .
(٤) ط ، س : « فى » .
(٥) ط ، س : « منذ أربعين يوما » .
(٦) الخربات : جمع خربة ، كفرحة ، وهى موضع الخراب . ط ، س : « الخزايب » وصوابه ما أثبت . ل : « الخرابات » ، ولم أر هذا الجمع ولا مفرده .
(٧) ط ، س : « خربة » ، وهى على الصواب فى ل .
(٨) طيبا ، أى ظريفا فكها . وانظر هذا الجزء ص ٦ . س : « طبيبا » .
(٩) ل : « كثير الحيل » .

الجليل ولا من الدَّقيق . وإذْ قد جرى ذِكره فسأحدِّثك ببعضِ أحاديثِه ، وأخبرك عن بعض علله ؛ لِتَتَلَهَّى[1] بها ساعةً ، ثمَّ نعودَ إلى [بقية] ذكر الذِّبَّان .

(نوادر للمكيّ)

ادَّعى هذا المكّيُّ البَصَرَ بالبراذين ، ونظرَ إلى برذونٍ واقف ، قد ألقى صاحبه [فى] فيه اللِّجام ، فرأى فأسَ اللِّجام[2] وأين بَلَغَ منه ، فقال لى : العجب ! كيف لا يذرَعُه القىء ، وأنا لو أدخلت إصبعى [الصغرى] فى حلقى لما بَقِيَ فى جوفى شىءٌ إلَّا خرج ؟ ! قلت : الآنَ علمتُ أنَّك تُبْصر[3] ! ثمَّ مكث البرذَونَ ساعةً يلوكُ لجامه ، فأقبل علىَّ فقال لى : كيف لا يبرُدُ أسنانَه ؟ ! قلت : إنما يكون [علم هذا] عند البصراء مثلِك ! ثمَّ رأى البرذَونَ كلَّما لاك اللِّجامَ والحديدةَ[4] سال لعابُه على الأرض فأقبل عَلَىَّ وقال : لولا أنَّ البِرذَونَ أفسَدُ الخلق عقلاً لكان ذهنَه قد صفا[5] ! قلت له : قد كنت أشكُّ فى بَصرك بالدَّوابِّ ، فأمَّا بعْدَ هذا فلستُ أشكُّ فيه !

---

(١) ل : « لتتلهى » ، وحذف التاء فى مثل هذا جائز .

(٢) فأس اللجام : الحديدة القائمة فى الحنك .

(٣) ل : « بصير » .

(٤) لاكه يلوكه لوكا : عضه . ل : « كلما لاك الحديدة » .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فقال لى إن البرذون أفسد الخلق عقلا ، ولولا ذلك لكان ذهنه قد صفى » .

وقلت له مرّةً ونحن فى طريق بغداد: مَا بالُ الفرْسَخ فى هذه الطريق يكون فرسخين ، والفرسخ يكون أقلّ من مقدار نصفِ فرسخ ؟ ! ففكّر طويلا ثمّ قال : كان كِسرى يُقْطِعُ للنّاس الفراسخ ، فإذا صانَعَ صاحبَ القطيعة زادوه ، وإذا لم يصانعْ نقصوه !

وقلت له مَرَّةً : علمتُ أنّ الشارى(١) حدّثنى أنّ المخلوعَ(٢) بعث إلى المأمونِ بجرابٍ فيه سمسِم ؛ كأنّه يخبِرُ أنّ عندَه من الجند بعددِ ذلك [الحبّ] وأنّ المأمونَ بعث إليه بديكٍ أعورَ ، يريد أنّ طاهر بن الحسين(٣) يقتُلُ هؤلاء كلّهم ، كما يلقط الدِّيك الحبّ ! قال : فإنّ هذا الحديث أنا ولّدته . ولكن انظرْ كيفَ سار فى الآفاق ؟ !

وأحاديثه وأعاجيبه كثيرة .

---

(١) ل : « السيارى » .

(٢) المخلوع هو محمد الأمين بن هارون الرشيد ، وهو أخو المأمون .

(٣) طاهر بن الحسين ، كان الساعد الأيمن للمأمون . ولما خلع المأمون بيعة أخيه الأمين أرسل طاهراً إلى محاربته ، فوجه الأمين على بن عيسى لملاقاة طاهر ، فلقيه بالرى فقتله طاهر سنة ١٩٥ وتقدم طاهر إلى بغداد وأخذ ما فى طريقه من البلاد وحاصر بغداد والأمين بها ، فقتله سنة ١٩٨ ، وحمل رأسه إلى خراسان ووضعه بين يدى المأمون ، وعقد للمأمون على الخلافة . ولد طاهر سنة ١٥٩ وتوفى سنة ٢٠٧ . وكانت له عين واحدة ، ففى ذلك يقول عمرو بن بانة :

ياذا اليمينين وعين واحده نقصان عين ويمين زائده

(معارف فى الذّباب)

ثمّ رجع بنا القولُ إلى صلة كلامِنا فى الإخبار عن الذّبّان .

فأمّا سكّان بلاد الهند فإنّهم لا يطبُخون قِدرًا ، ولا يعملون حَلْوَى[1] ولا يكادون يأكلون إلّا ليلاً ؛ لِما يتهافت من الذِّبّان فى طعامهم . وهذا يدلُّ على عفَنِ التُّربة ونَخَنِ الهواء .

وللذِّبّانِ يعاسيبُ وجِحْلانٌ[2] ، ولكن ليس لها قائدٌ ولا أمير . ولو كانتْ هذه الأصناف التى يحرسُ بعضها بعضاً ، وتتّخذ رئيساً يدبِّرها ويحوطها ، إنّما أخرج[3] ذلك منها العقْلُ دونَ الطّبع ، وكالشىء يخصُّ به البعض دون الكلّ[4] — لكان الذّرُّ [وَالنَّمْلُ] أحقَّ بذلك من الكراكىِّ والغرانيق[5] والثّيران ، ولكان الفيلُ أحقَّ به من البعير ؛ لأنه ليس للذّرّ قائدٌ ولا حارس، ولا يعسوبٌ يجمعها ويحميها بعضَ المواضع ، ويوردها بعضاً . ١٠٢

---

(١) فى الأصل: « الحلوا »، وإنما هى «الحلوى» تقصر وتمد .

(٢) الجحلان ، بتقديم الجيم المكسورة على الحاء : جمع جحل بالفتح ، وهو العظيم من اليعاسيب . واليعاسيب هى كبار الذباب كما نقل الدميرى عن الجاحظ . ولفظ « الجحلان » جاء فى الأصل بتقديم الحاء ، وهو تصحيف .

(٣) ل ، س : « خرج » .

(٤) ل : « دون البعض »، ومؤدى العبارتين واحد .

(٥) الغرانيق : جمع غرنيق ، بضم الغين وفتح النون ، وهو طائر أبيض طويل العنق من طير الماء . ويطلق فى العراق على مايسمى بالإوز العراقى .

وكلُّ قائدٍ فهو يعسوبُ ذلك الجنسِ المَقُود . وهذا الاسم مستعارٌ من فحل النَّحل وأمير العَسَّالات[1] .

وقال الشاعر[2] وهو يعني الثَّور :

كما ضُربَ اليعسوبُ إذ عاف باقِرٌ   وما ذنْبُه إذ عافَتِ الماءَ باقِرُ

وكما قال على بن أبي طالب رضي الله عنه ، في صلاح الزَّمان[3] وفساده : « فإذا كان ذلك ضَربَ يعسوبُ الدِّين بذَنَبِه[4] » .

وعلى ذلك المعنى قال حين مَرَّ بعبد الرحمن بن عتَّاب [بن أسيد][5] قتيلا يوم الجمل : « لهفي عليكَ يَعْسُوبَ قريش ! جدَعْتَ أنْفِي وشفَيْتَ نفسي ! » .

قالوا : وعلى هذا المعنى قيل : « يعسوب الطُّفاوة[6] » .

---

(١) العسالات : النحل التي تخرج العسل .

(٢) هو الهيبان الفهمي ، كما سبق في (١ : ١٩) .

(٣) ط ، س : « الذبان » ، وهو تحريف طيب ، صوابه في ل .

(٤) يعسوب الدين : سيد الناس ورئيسهم في الدين . وضرب ، أي ضرب في الأرض مسافرا أو مجاهداً . وبذنبه أي أتباعه الذين يتبعونه على رأيه . وللعبارة معان أخر تكفل بها صاحب اللسان .

(٥) عبد الرحمن بن عتاب ، أحد الرواة الذين ولدوا في آخر عهد الرسول . وقد شهد وقعة الجمل مع عائشة ، والتقى هو والأشتر فقتله الأشتر ، وقيل قتله جندب بن زهير ورآه على وهو قتيل فقال ما قال . الإصابة ٦٢٢٠ والمعارف ١٢٣ . و « أسيد » ضبط في الإصابة ٥٠٣٨٣ والاشتقاق ٧٨ بتحقيقنا بفتح الهمزة. قال ابن دريد : « وأسيد : فعيل من قولهم أسد يأسد أسدا إذا صار كالأسد . وفي اللسان (عسب) بضمها على هيئة التصغير ، تحريف .

(٦) الطفاوة ، بالضم : حي من قيس عيلان . وليت شعري من سمى بهذا اللقب .

(أقذر الحيوان)

وزعم بعض الحكماء أنَّه لا ينبغى أن يكون فى الأرض شىءٌ من الأشياء أنتنُ من العَذِرة ، فكذلك لا شىء أقذَرُ من الذِّبَّان والقمل . وأمَّا العَذرة فلولا أنَّها كذلكَ لكان الإنسانُ مع طول رُؤيتِه لَهـا ، وكثرةِ شمِّه لها من نفسه فى كلِّ يوم صباحًا ومَساء ، لقد كان ينبغى أن يكونَ قد ذهَب تقذُّرُهُ له على الأيَّام(١) ، أو تمَحَّق(٢) ، أو دخله(٣) النَّقص . فثباتُها ستِّين عامًا وأكْثَرَ وَأقَلَّ على مقدار واحد [من النتَن] فى أنفِ الرَّجل ومنهم من وجدناه بعد مائة عام كذلك(٤) ، وقد رأينا المِران(٥) والعاداتِ وصنيعَها فى الطَّبائع ، وكيف تهوِّن الشديدَ ، وتقلِّل الكثير . فلولا أنَّها فوقَ كلِّ شىءٍ من النَّتْنِ ، لَمَا ثبتَتْ هذا الثَّباتَ ، ولعَرض لها ما يعرِض لسائرِ النَّتْنِ . وبَعْد فلو كان إنَّما يشَمُّ شيئاً خرجَ من جوفِ غيره ولم

---

(١) ط ، س « أن يكون ذلك قد أذهب تقذره له على الأيام » . ل : « أن يكون ذلك قد ذهب على الأيام » ، وقد عدلت القول بما ترى

(٢) تمحق : امحى وذهب . ط ، س : « يمحق » ، وأثبت ما فى ل .

(٣) ط ، س : « يدخله » .

(٤) ل : « فى أنف من وجده ألف عام كذلك » .

(٥) لم أر المران بمعنى التعود والإلف . ووجدته مصدراً لمارنت الناقة مرانا ، إذا ظهر أنها قد لقحت ولم يكن بها لقاح . وأما المعنى الأول فلفظه المرون والمرونة والمرانة . ط ، س : « المرات » تحريف .

يخرجْ من جوفِ نفسه ، لكان ذلك أشْبَه . فإذْ قد ثبت فى أنفه على هذا المقْدار[1] ، وهو منه دونَ غيره ، وحتّى صار يجدُه أنْتَنَ من رَجيع [جميع] الأجناس — فليس ذلك إلاّ لما قد خُصّ به من المكروه .

وكذلك القول فى القمل الذى إنّمَا يُخْلق من عَرَق الانسان ، ومن رائحته ، ووسَخِ جلده ، وبخار بدنه . وكذلك الذِّبّانُ المخالطةُ لهُمْ فى جميع الحالات ، والملابِسَةُ لهم دُونَ جميعِ الهوامِّ والهمَجِ والطَّيرِ والبهائمِ والسِّباع حتَّى تكون ألزمَ من كلِّ ملازم ، وأقربَ من كلِّ قريب ؛ حتى ما يمتنعُ عليه شىءٌ من بدن الإنسانِ ، ولا من ثوبه ، ولا من طعامِهِ ، ولا مِن شرَابِهِ ، [حتّى لزمه لزوماً] لم يلزمه شىء[2] قطُّ كلزومه ، حتى إنّه يسافر السَّفَرَ البعيدَ من مواضع الخِصْب ، فيقطعُ البرارىَّ والقِفارَ التى ليس فيها ولا بقربهــا نباتٌ ولا ماءٌ ولا حيوان ، ثمَّ مع ذلك يتوخّى عند الحاجة إلى الغائط فى تلك البَرّيّة أنْ يفارق أصحابَه ، فيتباعدُ فى الأرض ، وفى صحراء ١٠٣ خلْقاء[3] ، فإذا تبرَّزَ فتى وقع بصرُه على بَرازِهِ رأى الذِّبّانَ ساقطا عليه . فقَبْلَ ذلك ما كان يَراه . فإن كان الذُّبابُ شيئاً يتخلّق له فى تلك الساعة فهذه أعجبُ مما رآه ومما أردنا[4] ، وأكثرُ ممّــا قلنا . وإن كان قد كان ساقطاً على الصُّخورِ المُلْسِ ، والبِقاعِ الجُرْدِ ، فى اليوم القائظِ ، وفى الهاجرةِ

---

(١) ط ، س : « على هذا المقدار من النتن » .

(٢) ط ، س : « ولا من شرابه لم يلزم شيئا » وله وجه .

(٣) الخلقاء : المصمتة التى لا نبات فيها ، الملساء . ل : « صخرة ملساء » .

(٤) ط فقط : « أردناه » . ل : « أعجب مما أردنا » .

التى تَشْوِى كلَّ شىء ، وينتظِرُ مجيئه ــ فهذ أعجبُ ممَّا قلنا . وإن كانت قد تبعته من الأمصار ، إمَّا طائرةً[1] معه ، وإمَّا ساقطةً عليه ، فلما تبرَّزَ انتقلتْ عنه إلى بَرازه ، فهذا تحقيقٌ لقولنا إنّه لا يلزَمُ الإنسانَ شىءٌ لزوم الذُّباب ؛ لأنَّ العصافيرَ ، والخطاطيف ، والزَّرازير ، والسَّنانيرَ ، والكلابَ وكلَّ شىءٍ يألفُ النَّاسَ ، فهو يقيمُ مع النَّاس . فإذا مضى الإنسانُ فى سفره ، فصار كالمستوحش[2] ، وكالنَّازل بالقِفار ، فكلُّ شىءٍ أهلىٍّ يألفُ النَّاسَ فإنَّما هو مقيمٌ على [مثل] ما كان من إلفه لهم ، لا يتبعهم من دورِ النَّاسِ إلى منازل الوحش ؛ إلاَّ الذِّبَّان .

قال : فإذا كان الإنسانُ يستقذِرُ الذِّبَّان فى مَرَقِه وفى طعامِهِ هذا الاستقذارَ ، ويستقذِرُ القَمْلَ مع محلِّه من القَرابَةِ والنِّسبةِ هذا الاستقذار فعلومٌ أنَّ ذلك لم يكن إلَّا لِمَا خصَّ به من القذَر . وإلَّا فبدون هذه القرابةِ وهذه الملابَسَةِ ، تطيبُ الأنفُس عن كثيرٍ من المحبوب .

(إلحاح الذُّباب)

قال : وفى الذِّبَّان خُبْرٌ آخَر : وذلك أنّهُنَّ ربَّما تعوَّدْنَ المبيتَ على خُوصِ فَسيلةٍ وأقلابها[3] من فسائل الدُّور ، أو شجرةٍ ، أو كِلَّةٍ[4] ، [أوْ]

---

(١) ط ، س : « سائرة » والوجه ما أثبت من ل .

(٢) المستوحش : ضد المستأنس . ط س : « كالمتوحش » .

(٣) الفسيلة كـكريمة : النخلة الصغيرة . والأقلاب : جمع قلب ، بالضم ، وهو شحمة النخلة أو أجود خوصها .

(٤) الكلة ، بالكسر : الستر الرقيق ، والغشاء الرقيق يتوقى به من البعوض . ط ، س : « أو بلة » .

بابٍ ، أو سقفِ بيت ، فيُطْرَدْن إذا اجتمعن لوقتهنّ عند المساء[1] ليلتين أو ثلاث ليال ، فيتفرقْنَ أو يهجُرْن ذلك المكان فى المُستَقْبَلِ ، وَإنْ كانَ ذلِك المكانَ قريباً ، وهو لهنّ معرَّض ، ثمّ لايدعْنَ أن يلتمِسْنَ مبيتاً غيرَه . ولا يعرض لهنّ من اللَّجاجِ فى مثل ذلك ، مثلُ الذى يعرِض لهنّ من كثرة الرُّجوعِ إلى العينين والأنف بعدَ الذَّبِّ والطّرْد ، وبعدَ الاجتهادِ فى ذلك .

(أذى الذباب ونحوها)

وقال محمَّد بن حرب[2] : ينبغى أن يكونَ الذِّبّانُ سُمّاً نَاقِعاً ؛ لأنّ كُلَّ شىءٍ يشتدُّ أذاه باللّمس من غيره ، فهو بالمداخلة والملابسة أجْدَرُ أن يؤذىَ . وهذه الأفاعى والثّعابينُ والجرَّارات[3] قد تمسُّ جلودَها ناسٌ فلا تضرُّهم[4] إلّا بأن تلابسَ إبرةُ العقربِ ونَابُ الأفعى الدَّم . [ونحن] قد نجد الرَّجُلَ يدخُل فى خَرْق أنفِه ذبَابٌ ، فيجولُ فى أوله من غير أنْ يجاوزَ [ما حاذى]

---

(١) ط ، س : « العشاء » .

(٢) هو أبو على محمد بن حرب الهلالى ، كان من أعلام متكلمى الخوارج ، وكان من البلغاء الأبيناء ، وكتب للأمين . انظر الفهرست ٢٥٨ ، ١٨٢ . وقد روى عنه الجاحظ فى غير ما موضع من البيان .

(٣) الجرارات : ضرب من العقارب صغار تجرر أذنابها ، وهن أشد العقارب فتكا . ط ، س : « والجرار » ، وهى على الصواب فى ل .

(٤) ط : « ولا وتضرهم » محرفة .

روثَة أنفه وأرنبَته[1] فيخرجه الإنسانُ من جوفِ أنفه بالنّفخِ وشدَّة النَّفَس ولم يكن له هنالك لُبْثٌ ، ولا كان منه عضٌ ، وليس إلاّ ما مسَّ[2] بقوائمه وأطراف جناحيه ، فيقع [فى[3]] ذلك المكان من أنْفه ، من الدَّغدغة والأُكال[4] والحِكَّة ، ما لا يصنع الخَرْدَل[5] وبَصَلُ النَّرجِسِ ، ولبنُ التِّين . فليس يكون ذلك منه إلّا وفى طبعه من مضادَّةِ طباع الإنسان ما لا يبلغه مضادَّةُ شيءٍ وإن أفرط .

١٠٤

قال : وليس الشّأنُ فى أنّه لم ينخُس[6] ، ولم يجرح ، ولم يَخِزْ[7] ولم يَعضّ ، ولم [يغمز] ، ولم يخدش . وإنّما هو على قدْر منافرةِ الطِّباعِ للطباع ، وعَلَى قدر القَرابةِ والمشاكلةِ .

---

(١) روثة الأنف : طرف الأرنبة . والأرنبة : طرف الأنف . ط ، س : « روث أنفه » ، وصححه فى ل .

(٢) ط : « بما » ، وهذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) الأُكال ، بالضم : الحكة .

(٥) الخردل : نبت يسمى بمصر (الكبر) بالتحريك ، يخرج كثيراً مع البرسيم ، وله بذر حار . ومن طريف ماروى داود ، أن أهل مصر يأكلونه مع الشواء فى عيد الأضحى . وبدل هذه الكلمة فى ل : « الحرب » ، صوابها « الحرف » كقفل ، وهو حب الرشاد .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « يخمش » .

(٧) ط ، س : « يغمز » .

(الأصوات المكروهة)

[و] قد نجدُ الإنسانَ يغتَمُّ بِتَنَقُّضِ[1] الفتيلة وصوتِها عندَ قربِ انطفاء النار ، [أ] وْ لبعض البلَل يكون قد خالط الفتيلة ، ولا يكون الصَّوت بالشَّديد[2] ، ولكنَّ الاغتمامَ به ، والتكرُّه له ، يكونُ فى مقدارِ ما يعتريه من أشدِّ الأصوات . ومنْ ذلك المكروهُ الذى يدخُلُ عَلَى الإنسان من غَطيط النَّائم ، وليست تلك الكراهةُ لعلَّةِ الشِّدَّةِ والصَّلابة ، ولكن من قِبَلِ الصُّورَةِ والمقدار ، وإنْ لم يكن من قبل الجنس[3] . وكذلك صوتُ احتكاك الآجُرِّ الجديدِ بعضِه ببعض، وكذلك شجر الآجَام عَلَى الأجراف[4] ؛ فإنَّ النَّفسَ تكرهُه كما تكرهُ صوتَ الصَّاعقة . ولو كان عَلَى ثِقَةٍ من السَّلامة من الاحتراق ، لَمَا احتَفَل بالصَّاعقةِ ذلك الاحتفالَ . ولعلَّ ذلك الصَّوت وحدَه ألاَّ يقتله[5] . فأَمَّا الذى نشاهدُ اليومَ الأمْرَ عليه ، فإنّه متى قرُب منه قتله . ولعلَّ ذلك إنَّما هو لأنَّ الشّى إذا اشتدَّ صَدْمُه[6] فَسَخَ القوَّة

---

(١) تنقضت الفتيلة : صوتت . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « بتقض »، وفى س ، ل : « بتنفض » .

(٢) ط : « بالشر » وتصحيحه من ل ، س .

(٣) ط : « إذا لم يكن من قبل الجنس » .

(٤) الآجام : جمع أجمة ، وهى الشجر الكثير الملتف . والأجراف : جمع جرف بالضم وبضمتين ، وهو ما أكل السيل من أسفل شق الوادى والنهر .

(٥) ل : « ولعل ذلك الصوت أن لو خالطه لم يقتله » .

(٦) ط ، س : « صوته » .

أو لعلَّ الهواء الذى فيه[1] الإنسانُ والمحيط [به] أن يحمَى ويستحيلَ نارًا[2] ؛ للذى قَدْ شارك ذلك الصَّوتَ من النّار . وهم لم يجدوا الصَّوتَ[3] شديدا جدًّا إلّا مَا خالَطَ منه النّار .

(ما يقتاتُ بالذُّباب)

وقال ابن حرب : الذِّبّان قوتُ خلْقٍ كثيرٍ من خلق الله عزّ وجلّ ، وهو قوتُ الفراريج ، والخفافيش ، والعنكبوت ، والخُلْد[4] ، وضروبٍ كثيرةٍ من الهَمَج ، همجِ الطير ، وحشرات السّباع[5] . فأمّا الطّير والسُّودَانِيّات[6] ، والحِصَانيّات[7] ، والشاهُمْرُكات[8] ، وغير ذلك من أصنافِ الطّير ؛ وأمّا الضّباع — فإنّها تأْكل الجيف ، وتدع فى أفواهها فُضُولاً ، وتفتَحُ أفواهَها

---

(١) ل : « فى » .

(٢) كذا فى ل واللسان (صعق ٦٧) . وفى س : « يستحر » وفى ط : « ويستخر » .

(٣) ط ، س : « وهم لم يجدوا الصوت من النار » . والوجه ما أثبت من ل .

(٤) الخلد ، بالضم ويفتح : دابة عمياء صماء ، سيتحدث عنها الجاحظ فى (٦ : ٤١١)

(٥) كذا .

(٦) السودانيات : الزرازير . ل : « وكالسودانيات » تحريف .

(٧) فى القاموس : « الحصانيات : طير » . ط س : « الحضانيات » ، تصحيف صوابه فى ل .

(٨) الشاهمرك ، ويقال الشاهمرج كما ورد فى المخصص (٨ : ١٥٢) : كل طائر طويل الساقين . بذا فسره شيخ المحققين الأب أنستاس مارى فى رسالة إلى . وقال : «هو بالفرنسية : Echassier ، وبالمعنى المتقدم فى الفارسية » . قلت : قد ضبطت هذه الكلمة وفسرت خطأ فى (١ : ٢٨) . وقد عده الجاحظ من الحيوان آكل الحيات (١ : ٢٨ ، ٦ : ١٢٤) .

للذِّبَّان، فإذا احتشَتْ ضمَّت عليها . فهذه إنّما تصيد الذِّبَّانَ بنوعٍ واحدٍ، وهو الاختطافُ والاختلاس ، وإعجالها عن الوثوب إذا تلقّطته بأطراف المناقير ، أو كبعض ما ذكرنا من إطباق الفم عليها .

(صيد اللَّيث للذُّباب)

فأمَّا الصَّيدُ الذى ليس للكلب ، ولا لعَنَاق الأرض[1] ، ولا للفهد ، ولا لشيءٍ من ذوات الأربع مثلُه فى الحِذْق والخَتْل والمداراة ، وفى صواب الوثْبةِ ، وفى التسدُّدِ وسرعة الخطف ، [فليس[2]] مثل الذى يقال له الليث وهو الصِّنف المعروفُ من العناكب بصيد الذِّبّان[3] ؛ فإنّك تجدُه إذا عاين الذِّبَّانَ ساقطاً ، كيف يَلْطأ[4] بالأرضِ ، وكيف يسكِّن جميعَ جوارحِه للوثْبة ، وكيفَ يؤخِّر ذلك إلى وقت الغِرَّة ، وكيف يريها أنَّه عنها لاهٍ ؛ ١٠٥ فإنّك ترى من ذلك شيئا لم تر مثله من فهدٍ قطُّ ، وإن كان الفهدُ موصوفا منعوتاً .

---

(١) عناق الأرض : دابة نحو الكلب الصغير تصيد صيداً حسنا . الحيوان (٦ : ٣٥٢) فى الأصل : « لعتاق » بالتاء ، وهو خطأ .

(٢) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

(٣) ل : « وهو صنف من العناكب » .

(٤) لطأ بالأرض ، كنع وفرح : لصق . ط ، س : « يلتطئ » .

واعلم أنّه قد ينبغى ألّا يكونَ فى الأرض شىءٌ أصيَدُ منه ؛ لأنّه لايطير ، ولا يصيدُ إلاّ ما يطير ! ويصيدُ طائرًا شديدَ الحذر ، ثمَّ يصيد صيَّادًا ! لأن الذّباب يصيد البعوض . وخديعتك للخدَّاع أعجبُ ، ومكرُكَ بالماكِرِ أغرب! فكذلك يكون صيدُ هذا الفن [1] من العنكبوت .

(صيد الوزغ والزنابير للذباب)

وزعم الجردانى [2] أنّ الوزغَ تختِلُ الذّبانَ ، وتصيدُها صيدًا حسناً شبيهاً بصيد اللّيث .

قال : والزُّنبور حريصٌ على صيدِ الذّبّان ، ولكنه لا يطمع فيها إلاّ أن تكون ساقطةً على خرْءٍ ، دونَ كلِّ تمروعسل ؛ لشدَّة عجبها بالخرْء ، وتَشاغلها به ! فعند ذلك يطمَعُ فيه الزنبور ويصيده .

وزعم الجردانى [3] وتابعه كيسان : أنّ الفهدَ إنما أخذذلكَ عن اللّيث . ومتى رآه [4] الفهدُ يصيد الذّبّانَ حتى تعَلَّمَ منه ؟ ! فظننت أنّهما قلّدَا فى ذلك بعض مَنْ إذا مَدَحَ شيئاً أسرف فيه .

---

(١) الفن : الضرب والنوع . ل : « الفز » ، وهو تحريف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل . وبدلها فى س : « الجرذانى » .

(٣) س : « الجرذانى » . ل : « الجرادى » .

(٤) ل : « وحتى » ، وهو تحريف .

(تقليد الحيوان للحيوان وتعلمه منه)

ويزعمون أنّ السّبع الصَّيُودَ إذا كان مع سبعٍ هو أصْيَدُ منه ، تعلَّمَ منهُ وأخَذَ عنه . وهذا لم أحقّه . فأمّا الذى لا أشكُّ فيه فأنَّ الطائرَ الحسَنَ الصَّوتِ الملحَّنَ ، إذا كان مع نوائح [الطَّيرِ][1] ومغنِّياتها ، فكان بقربِ الطَّائرِ [2] من شِكله ، وهو أحذق منه [وأكرز][3] وأمهر ، جاوبَه وحكاه ، وتعلَّم منه ، أو صنَع شيئاً يقوم مقامَ التعلُّم .

(تعليم البراذين والطير)

والبِرذَونُ يُراضُ فيعرِفُ مايراد منه ، فيعين على نفسه . وربّما استأجروا للطَّيرِ رجُلاً يعلِّمها . فأمّا الذى رأيتَه أنا فى البلابل ، فقد رأيتُ رجُلاً يُدْعَى لها فيطارِحُها من شكل أصواتها .

(ما يخترع الأصوات واللحون من الطير)

وفى الطَّيرِ مايختَرع الأصواتَ واللُّحون التى لم يُسمَع بمثلها قطُّ من المؤلِّف للحونِ من النَّاس ؛ فإنّه ربّما أنشأ لحناً لَمْ يمرّ على أسماع[4] المغنِّين قطُّ .

---

(١) ليست بالأصل .
(٢) ط : « يقرب » .
(٣) أكرز بمعنى أحذق .
(٤) ط : « سماع » .

وأكثرُ ما يجدون ذلك من الطَّير في القماريّ ، وفي السُّودَانيات[1] ، ثمّ في الكرارِزة[2] . وهي تأْكل الذِّبّان أكلاً ذريعاً .

(الألجوج من الحيوان)

ويقال إن اللَّجاج في ثلاثةِ أجناسٍ من بينِ جميع الحيوان : الخنفساء ، والذُّباب ، والدُّودة الحمراء ؛ فإنَّها في إبَّانِ ذلك تَرومُ الصُّعودَ إلى السَّقف ، وتمرُّ على الحائط الأملس شيئا قليلا فتسقطُ وتعود ، ثمَّ لا تزال تزداد شيئا ثمَّ تسقط ، إلى أن تمضيَ إلى باطن السَّقف ، فربما سقطتْ ولَمْ يبق عليها إلَّا مقدارُ إصبع ، ثمَّ تعود .

(لجاج الخنفساء واعتقاد المفاليس فيها)

والخنفساء تُقْبِلُ قِبَلَ الإنسانِ فيدفعُها ، فتبعُد بقدر تلك الطَّردة والدَّفعة ثمَّ تعود أيضاً ، فيصنع بها أشدَّ من تلك ثمَّ تعود ، حتَّى ربما كان ذلك سبباً لغضبه ، ويكون غضَبُه سبباً لقتلها .

---

(١) السودانيات : الزرازير .

(٢) الكرارزة : جمع كرّز ، كقبّر ، وهو البازى . ط ، س : « الكرارة » وهو تحريف .

وما زالوا كذلك ، وما زالت كذلك ، حتَّى سقط إلى المفالِيس[١] أنَّ ٦ الخنافسَ تجلب الرِّزق . وأنّ دنوَّها دليلٌ على رزقٍ حاضر : من صِلَةٍ أو جائزة ، أو ربحٍ ، أو هديَّةٍ ، أو حظّ . فصارت الخنافسُ إنْ دخلَتْ فى قُمُصهم ثمَّ نفذَتْ إلى سَراويلاتهم لَمْ يقولوا لها قليلاً ولا كثيراً . وأكثرُ ماعندهم اليومَ الدَّفعُ لها ببعض الرِّفق . ويظنُّ بعضهم أنه إذا دافعها[٢] فعادَتْ ، ثمّ دافعها ، فعادت ، ثمّ دافعها فعادت ـــ أنّ ذلك كلما كان أكثرَ ، كان حظُّهُ من المال الذى يؤمِّله عند مجيئها أجزَل[٣] .

فانظرْ ، أيّة واقيةٍ ، وأيَّة حافِظة[٤] ،وأىُّ حارسٍ ،وأىُّ حصنٍ أنشأه لها هذا القول[٥] ! وأىُّ حظٍّ [كان] لها حينَ صدَّقوا [بهذا الخبر] هذا التصديق[٦] ! والطَّمعُ هو الذى أثارَ هذا الأمْرَ مِن مدافِنه[٧] ، والفقر هو الذى اجتذب[٨] هذا الطَّمع واجتلبه . ولكن الويل لها إنْ ألحَّتْ على غَنِيٍّ عالِمٍ ، وخاصَّةً إن كان مع جِدَتِه وعلمِه حديداً عَجُولا[٩] .

---

(١) المفاليس : جمع مفلس . ط ، س : « المقاييس » ولا تصح .

(٢) ل : « دفعها » فى مواضعها الثلاثة .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س « أكثر » .

(٤) كذا فى ل ، س . وفى ط : « أية واقية دائمة حافظة » .

(٥) القول هنا بمعنى الاعتقاد . ط ، س : « وأى حصن إن شاء الله تعالى لها بهذا القول » ، ووجهه من ل .

(٦) كذا فى ل . س : « بهذا القول ذلك التصديق » .

(٧) ل : « مواقيه » .

(٨) كذا فى ل . وفى ط ، س : « سبب » .

(٩) هذه العبارة ساقطة من ل . والجدة ، كعدة : الغنى واليسار . وفى الأصل : « مع حلوثه » .

(اعتقاد العامة فى أمير الذِّبَّان)

وقد كانوا يقتلون الذبابَ الكبيرَ الشديدَ الطنين[1] الملحَّ فى ذلك ، الجهيرَ الصوت ، الذى تسميه العوامُّ : « أمير الذِّبَّان » ، فكانوا يحتالون فى صرفه[2] وطرده [وقتله] ، إذا أكربَهمْ بكثرةِ طنينه وزَجَله وهماهِمه[3] فإنّه لايفتر[4] . فلمَّا سقط إليهم أنّه مبشِّرٌ بقدومِ غائبٍ وبُرءِ سقيم ، صاروا[5] إذادخل المنزلَ وأوسَعَهُم شرًّا ، لم يَهِجْه أحدٌ منهم .

وإذا أرادَ الله عزَّ وجلَّ أن يُنْسِىَ فى أجلِ شىءٍ من الحيوان هيَّأَ لذلك سبباً ، كما أنّه إذا أراد أن يقصُرَ عمرُه [ويَحينَ يومُه] هيَّأَ لذلك[6] سبباً . فتعالى الله علوًّا كبيراً !

ثمَّ رجَع بنا القولُ إلى إلحاح الذِّبَّان .

---

(١) كلمة « الكبير » ساقطة من ل . ولفظ « الطنين » هى فى ط ، س : « البطش » وتصحيحه من ل .

(٢) ل : « ضربه » وليس بشىء .

(٣) هماهم : جمع همهمة ، والمراد بها الطنين .

(٤) أى لايسكن ولاينقطع عن الطنين . ط : « يغير » وصوابه فى ل ، س .

(٥) ل : « صار » .

(٦) ط ، س : « له » .

(عبد الله بن سوَّار وإلحاح الذُّباب)

كان لنا بالبَصرة قاض يقال له عبدُ الله بنُ سَوَّار[١] ، لمْ يَرَ النَّاسُ حاكماً قطُّ ولا زِمِّيتاً ولا رَكيناً[٢] ، ولا وقوراً حليماً ، ضبَط من نفسه وملَك من حركته مثلَ الذى ضبَط وملَك . كان يصلِّى الغداةَ فى منزله ، وهو قريب الدَّار من مسجده ، فيأْتى مجلسَه فيحتبى ولا يتَّكئ ، فلا يزالُ منتصبا لايتحرَّك له عضوٌ ، ولا يلتفت ، ولا يحلُّ حُبْوَته[٣] ولا يحوِّل رِجلاً عن رجل[٤] ، ولا يَعتمد على أحد شِقَّيه ، حَتَّى كأنَّه بناءٌ مبنىٌّ ، أو صخرةٌ منصوبة . فلا يزال كذلك ، حتَّى يقوم إلى صلاة الظهر ثمَّ يعودُ إلى مجلسهِ فلا يزال كذلك[٥] حتى يقوم إلى العصر ، ثمَّ يرجع لمجلسه ، فلا يزال كذلك حَتى يقوم لصلاة المغرب ، ثمَّ رُبما عاد إلى محلِّه ، بل كثيراً ما كان يكون ذلكَ إذا بقى عليه من قراءة العهود والشُّروط والوثائق ، ثمَّ يُصلِّى العشاء [الأخيرة[٦]] وينصَرف . فالحق يقال : لَمْ يقُمْ

---

(١) هو عبد الله بن سوار (بالتشديد) بن عبد الله بن قدامة العنبرى البصرى . وسبقت ترجمة ولده سوار بن عبد الله بن سوار فى ٢ : ١٨٧ . والقصة رواها المرتضى فى فى أماليه ٤ : ٢٢ .

(٢) كلمة : « قط » ساقطة من ل ، كما سقطت « ولا » من ط ، س . والزميت كسكيت : العظيم الوقار . والركين الرزين .

(٣) الحبوة ، بالفتح وتضم : أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها .

(٤) ط ، س : « ولا يحل رجلا على رجل » وأثبت مافى ل وثمار القلوب ٣٩٦ .

(٥) الكلام من مبدأ « حتى يقوم » ساقط من ل ، والثمار .

(٦) الزيادة من ثمار القلوب . والعشاء الأخيرة خلاف الأولى ، والأولى هى المغرب .

فى طول تلك المدَّةِ والولايةِ مَرَّةً واحدةً إلى الوضوء ، ولا احتاجَ إليه ،
١٠٧ ولا شربَ ماءً ولا غيرَه من الشّراب . كذلك كانَ شأْنُه فى طوال الأيام وفى قصارها ، وفى صيفها وفى شتائها[1] . وكان مع ذلك لايحرِّك يدَه ، ولا يُشيرَ برأسِه . وليس إلاّ أن يتكلمَ [ثمَّ يوجز ، ويبلغ بالكلام اليسير المعانى الكثيرة][2] . فبينا هو كذلك ذاتَ يوم وأصحابه حواليه ، وفى السِّماطين[3] بينَ يديه ، إذْ سقَطَ على أنفِه ذبَابٌ فأطال المكث ، ثمَّ تحوّل إلى مُؤْقِ عينه[4] ، فرام[5] الصَّبر فى سقوطه عَلَى المؤق ، وعلى عضِّه ونفاذ خرطومه كما رَام[6] من الصبر عَلى سقوطه عَلَى أنفه من غير أن يحرِّك أرنبَته ، أو يغضِّنَ[7] وجهَهُ ، أو يذبَّ بإصبعه . فلمّا طال ذلك عليهِ من الذبَاب وشغَله وأوجعَه وأحرَقهُ ، وقصدَ إلى مكانٍ لايحتمل التّغافُلَ ، أطبَق جفنَهُ الأعْلى عَلَى جفنِه الأسفلِ فلم ينهض ، فدعاه ذلك إلى أن وَالَى[8] بينَ الإطباقِ والفتْح ، فتنحَّى ريثَماَ سكنَ جفنُهُ ، ثمَّ عاد إلى مؤقِه بأشدَّ من مرَّته الأولى فَغَمَسَ خرطومهُ فى مكان كان قد أوهاهُ قبلَ ذلك ، فكان احتماله له

---

(١) كلمة : « فى » ساقطة من ل فى الموضعين .

(٢) الزيادة من ل ، وثمار القلوب .

(٣) السماط ، بالكسر : الصف .

(٤) فى الأصل : « عينيه » ، وأثبت مافى الثمار . والمؤق : طرف العين مما يلى الأنف .

(٥) ل فقط : « فدام » ، وبكل من العبارتين يتجه المعنى .

(٦) ل فقط : « ودام » وانظر التنبيه السابق .

(٧) غضن وجهه : جعل به غضونا ، وذلك بأن يقبض جلده . ط ، س : « يغض » بمعنى يخفض . وفى الثمار : « يعض » .

(٨) والى : تابع . ط ، س : « يوالى » وأثبت مافى ل والثمار .

أضعف ، وعجزُه عن الصَّبر فى الثانية أقوى[1] ، فحرَّك أجفانَهُ وزاد فى شدَّة الحركة وفى فتح العين[2] ، وفى تتابُع الفتْح والإطباق ، فتنحَّى عنهُ بقدْرِ ماسكَنَتْ حركتهُ ثمَّ عاد إلى موضِعِه ، فما زالَ يلحُّ عليه حتى استفرغَ صبْرَهُ وبَلَغَ مجهُودَه . فلم يجدْ بُدًّا من أن يذبَّ عن عينيهِ بيده ، ففعل ، وعيونُ القوم إليه ترمُقه ، وكأنَّهم لا يَرَوْنَه[3] ، فتنَحَّى عنه بقدْر ما رَدَّ يدَه وسكَنتْ حركته ثمَّ عاد إلى موضعه ، ثمَّ ألجأَه إلى أن ذبَّ عن وجْهه بطَرَف كمه ، ثم ألجأه إلى أن تابَعَ بين ذلك ، وعلِم أنَّ فِعلَه كلَّه بعين مَنْ حَضَره من أُمنائه وجلسائه . فلمَّا نظروا إليه قال : أشهد أنَّ الذّباب ألَحُّ[4] من الخنفساء ، وأزهى من الغراب ! وأستَغفر الله ! فما أكثر مَن أعجبَتْه نفسُه فأراد الله عزَّ وجلَّ أن يعرِّفه من ضعْفِه ما كان عنهُ مستوراً ! وقد علمت أنِّى عند الناس مِنْ أزْمَتِ الناس[5] ، فقد غلَبَنى وفَضَحَنى أضعفُ خلْقِه ! ثمَّ تلا قولَهُ تعالى : ﴿ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلوبُ ﴾ .

---

(١) ط ، س : « وعجزه عن الصبر عليه فى الثانية أقل » ، وصوابه فى ل . ونحو منه مافى الثمار .

(٢) ط ، س : « وألح فى فتح العين »

(٣) كلمة : « إليه » ليست فى الثمار . وليس مايمنع بقاءها . و « يرونه » هى فى الأصل « يريدونه » ، وتصحيحه من الثمار .

(٤) كذا فى الأصل : « الح » بالحاء كما فى أمثال الميدانى ٢ : ١٨٠ . ويروى بالجيم ، كما فى الثمار وكما سيأتى فى ص ٥٠٠ .

(٥) أزمت الناس : أى أشدهم وقاراً وسكونا . ط : « أضعف » ووجهه فى س ، ل . وفى الثمار : « أرزن » ، وكلمة « الناس » الأولى هى فى ط ، س فقط : « نفس » . كما أن كلمة « من » ساقطة من س .

وكان بيِّن اللِّسان ، قليلَ فضولِ الكلام ، وكان مَهيباً فى أصحابه ، وكان أحدَ منْ لم يَطْعَنْ عليهِ فى نفسه ، ولا فى تعريض أصحابهِ للمَنَالة[1] .

(قصَّة فى إلحاح الذباب)

فأمَّا الذى أصابنى أنَا من الذِّبَّان ، فإنِّى خَرَجتُ أمشى فى المبارك[2] أريد دَيْرَ الربيع ، ولم أقدِرْ علَى دابَّةٍ ، فمررتُ فى عشْبٍ [أَشِبٍ][3] ونباتٍ ملتفٍّ كثيرِ الذِّبَّان ، فسقط ذبابٌ من تلك[4] الذِّبّان عَلَى أنفى ، فطردته ، فتحوّل إلى عينى[5] [فطردْتُه ، فعاد إلى مُوقِ عينى] ، فزدتُ فى تحريكِ يدىَّ فتنحَّى عنى بقدْر شدّة حركتى[6] وذبَّ عن عينى — ولِذِبّان الكلإِ والغِياضِ والرِّياضِ وقْعٌ ليس لغيرها — ثمَّ عادَ إلىَّ فَعُدْتُ عليهِ ، ثمَّ عَاد [إلىّ] فعدتُ بأشدَّ من ذلك ، فلما عاد استعملتُ كُمِّى فذَببْتُ بهِ عن ١٠٨ وجهى ، ثمّ عاد ، وأنَا فى ذلك أحثُّ السَّير ، أؤمِّل بسرعتى انقطاعَهُ عنِّى[7] فلما عَاد نزعتُ طَيْلَسانِى[8] من عُنُقى فذببت بهِ عَنِّى بَدَلَ كُمِّى ، فلما

---

(١) المنالة : مصدر نلت أنال .

(٢) المبارك : اسم نهر بالبصرة احتفره خالد بن عبد الله القسرى . ويمشى فيه : أى فى شاطئه . ط ، س : « من عند ابن المبارك » .

(٣) أشب : أى ملتف . وكلمة « عشب » ساقطة من ل .

(٤) ط ، س : « ذلك » .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فطردته فلم أقدر فتحول إلى عينى » .

(٦) ل : « فتنحى على قدر شدة حركتى » .

(٧) ل : « أحث السير » وقد سقط منها « أؤمل بسرعتى » .

(٨) الطيلسان : كساء مدور أخضر ، لحمته أو سداه من صوف ، يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ ، وهو من لباس العجم ، وهو لفظ معرب من تالسان الفارسية .

عاوَدَ ولم أجدْ له حيلةً استعملتُ العدْوَ ، فعدوْت منه شوطاً [تامًّا] لم أتكلفْ مثلَه مذْ كنتُ صبيًّا ، فتلقّانى الأندلسىُّ فقال لى : مالك يا أبا عثمان ! هل مِنْ حادثة ؟ قلت : نعم ، [أكبر الحوادث] ، أريد أن أخرجَ من موضعٍ للذِّبَّان عَلَىَّ فيه سلطانٌ ! فضحك حتى جلس . وانقطع عنى ، وما صدّقتُ بانقطاعه عنّى حتَّى تباعد[1] جدًّا .

(ذبّان العساكر)

والعساكر أبداً كثيرة الذِّبَّان . فإذا ارتحلوا لم يَرَ المقيمُ بعدَ الظّاعن منها إلا اليسير .

وزعم بعضُ النَّاسِ أنّهنَّ يتبعن العساكرَ ، ويسقُطْنَ على المتاع ، وعلى جِلَالِ[2] الدّوابّ ، وأعجاز البراذِينِ التى عليها [أسبابها[3]] حتى تؤدِّىَ إلى المنزل الآخر .

[و] قال المكّىُّ : يتبعوننا ليُؤْذونا ، ثمَّ لايركبون إلَّا أعناقَنا ودوابَّنا[4] !

---

(١) ل : « تباعدت » .

(٢) الجلال : جمع جل بالضم وبالفتح ، وهو ماتلبسه الدابة لتصان به .

(٣) كذا فى س . وبدلها فى ل : « أربابها » .

(٤) هذا حكاية من الجاحظ للفظ المكى . وفيه استعمال ضمير العاقل لغيره .

(تخلّق الذُّباب – ١ –)

ويقول بعضهم : بل إنما يتخلَّق من تلك العُفونات والأبخرةِ والأنفاس ، فإذا ذهبت فنيتْ مع ذهابها[1] ويزعمون أنّهم يعرفون ذلك بكثْرتها في الجنائبِ ، وبقلّتها في الشمائِل[2] .

قالوا : وربّما سددْنا فمَ الآنيةِ التي فيها الشَّرابُ بالصِّمامةِ ، فإذا نزعْناها وجدنا [هناك] ذباباً صغاراً .

وقال ذو الرّمّة[3] :

وأيقنَّ أنّ القنع صارت نِطافه[4] فَرَاشاً وأنّ البَقْلَ ذَاو ويابسُ

[القِنع : الموضع الذى يجتمع فيه نقران الماء[5] . والفراش : الماء الرقيق الذى يبقى فى أسفل الحِياض] .

وأخبرنى رجلٌ من ثقيف ، من أصحاب النّبيذ أنّهمْ [رُبّما] فلقوا السَّفرجلة أيّامَ السَّفرجل للنَّقْل[6] والأكل ، وليس هناك من صغار الذّبّان شىءٌ ألبتّة

---

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فإذا ذهب ذلك خف » .

(٢) الجنائب : جمع جنوب . وهى الريح الجنوبية . والشمائل : جمع شمال ، بالفتح ، وهى الريح الشمالية . ل : « فى الشمال » .

(٣) يصف الحمر الوحشية . ديوانه ٣١٣ .

(٤) النطاف : جمع نطفة ، وهى هنا الماء الكثير . وتقال أيضاً للماء القليل ، بل هو الأكثر . ط ، س : « نطاقة » ووجهه فى ل .

(٥) النقران : جمع نقير . و « يجتمع » هى فى الأصل : « يجمع » ، والتفسير بعده مخالف للاستشهاد . وانظر ماسيأتى فى ٥ : ٤٠٤ .

(٦) النقل بالفتح : مايتنقل به على الشراب ، وهو مايعبث به الشارب على شرابه .

ولا يُعدِمُهمْ أنْ يَرَوا على مَقاطعِ السَّفرجلِ ذُبابا صغاراً . وربَّما رصدوها وتأمَّلوها ، فيجدونَها تعظُم حتَّى تلحق بالكبار فى السَّاعة الواحدة .

(حياة الذُّباب بعد موته)

قال : وفى الذِّبان طبع كطبع الجِعلان، فهو طبعٌ غريب عجيب . ولولا أنّ العِيانَ قهَرَ أهلَهُ لكانوا خلقاءَ أن يدفعوا الخبرَ عنهُ ،فإنَّ الجُعَلَ إذا دُفِنَ فى الوردِ[1] ماتَ فى العين ، وفنِيت حركاتُه كلُّها ، وعاد جامداً تارزاً[2] ولم يفْصِل الناظِرُ إليه بينَه وبين الجُعَلِ الميِّت ، ما أقام على تأمله[3] . فإذا أعيد إلى الروث عادت إليه حركة الحياةِ من ساعته[4] .

وجرَّبتُ أنا [مثلَ] ذلك فى الخنفساء ، فوجدْتُ الأمر فيها قريباً من صِفَةِ الجعَل، ولم يبلغْ كلَّ ذلك [إلّا[5]] لقَرابةِ [ما] بينَ الخنفساء والجُعَل.

ودخلت يوماً على ابن أبى كريمة ، وإذا هو قد أخْرَجَ إجَّانَةً[6] كان فيها ماءٌ من غُسالةِ أوساخ الثياب ، وإذا ذِبَّان كثيرةٌ قد تساقطْنَ فيه من اللّيل فَوَّتْنَ[7] . هكذا كُنَّ[8] فى رأى العين . فَغَبَرْنَ كذلك

---

(١) ط : « المورد » وصوابه فى ل ، س . وانظر ماسبق فى (٢ : ١١٢) .

(٢) التارز : اليابس الذى لا روح فيه .

(٣) ل : « تأملها » ، ولكل وجه .

(٤) ل : « عاد إليه حركة الحيوان من ساعته » .

(٥) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(٦) الإجانة : الوعاء يغسل فيه الثياب . فى الأصل : « من إجانة » ، والوجه حذف « من » .

(٧) يقال موتت الدواب تمويتا : كثر فيها الموت . انظر اللسان . ط ، س : « فتن » .

(٨) كذا فى ل ، س . وفى ط : « كان » أى كان الأمر .

١٠٩ عَشِيَّتَهُنَّ وليلَهنّ ، والغَدَ إلى انتصاف النهار ، حتّى انتفخْنَ وعفِنّ[١]
واسترخَين ؛ وإذا ابن أبى كريمة قد أعدّ آجُرّةً جديدة[٢] ، وفُتاتَ آجُرٍّ
جديد ، وإذا هو يأخذ الخمس منهنّ[٣] والستّ ، ثمّ يضعهُنّ عَلى ظهر الآجرّة
الجديدة ، ويذرُّ عليهنّ من دُقاق ذلك الآجرِّ الجديدِ المدقوق بقدْر مايغمُرها
فلا تلبث أن يراها[٤] قدْ تحرَّكتْ ، ثمَّ مشت ، ثمَّ طارت ؛ إلّا أنّه
طيرَانٌ ضعيفٌ .

(ابن أبى كريمة وعود الحياة إلى غلامه)

وكان ابنُ أبى كريمة يقول : [لا] واللهِ ، لادفنْتُ ميِّتاً أبداً حَتّى يَنْتُنَ !
قلت : وكيف [ذاك] قال : إنّ غلامى هذا نَصيراً ماتَ ، فأخّرْتُ دفنَهُ
لبعْضِ الأمْر ، فقدِم أخوه تلك اللّيْلَة فقال : ما أظنُّ أخى ماتَ ! ثمَّ أخذ
فتيلتين ضخمتين ، فروّاهما دُهْناً ثمَّ أشعل فيهما النّارَ ، ثمَّ أطفأهما وقرّبهما
إلى منخريه ، فلم يلبَثْ أنْ تحرَّك . وها هو ذا قد تراه ! قلت له : إن أصحاب
الحروب [و]الذين يغسلون الموتى ، والأطبَّاء ، عندَهم فى هذا دَلالاتٌ وعلامات
فلا تحمل عَلَى نفسك فى واحدٍ من أولئك ألّا تستُره بالدفن حتى يجيف :

(١) ل : « وغضن » .
(٢) ل : « أجراً جديداً » .
(٣) ل : « منها » .
(٤) س : « نراها » ل : « تراها » .

والمجوس يقرّبون الميِّتَ منْ أنف الكلب ، ويستدلون بذلك عَلَى أمره .
فعلمت أنّ الذى عايَنّاه[١] من الذّبّان قد زادَ فى عزْمِه .

(النُّعَر)

والنُّعَر : ضربٌ من الذِّبان ، والواحدةُ نُعَرة . وربما دخلتْ فى أنف البعيرِ أو السَّبع ، فيزمُّ بأنفِه[٢] ؛ للذى يلقى من المكروه بسببه . فالعَرَبُ تشبّه ذا الكِبْر من الرجال إذا صعّر خده ، وزَمّ بأنفه ـ بذلك البعير فى تلك الحال . فيقال عند ذلك : « فلان فى أنفه نعرَة ، وفى أنفِه خُنْزُوانةٌ » .
وقال عمر[٣] : « والله لا أقلعُ عنه أو أطيِّرَ[٤] نُعرَته » .

ومنها القَمَع ، وهو ضربٌ من ذبّان الكلأ . وقال أوس[٥] :

ألم تَرَ أن اللهَ أنزَلَ مُزْنه[٦] وعفْرُ الظِّباءِ فى الكِناسِ تَقَمَّعُ[٧]

وذلك مما يكون فى الصيفِ وفى الحرِّ .

---

(١) ل : « عاينه » .
(٢) زم البعير بأنفه : رفع رأسه لألم به . ط ، س : « فتورم أنفه » وليس هنالك .
(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل .
(٤) لا أقلع عنه : لا أتركه . س : « اطر » وصوابه فى ط ، ل ونهاية ابن الأثير .
(٥) هو أوس بن حجر . ديوانه ١١ .
(٦) المزن بالضم : السحاب ، أو أبيضه ، أو ذو الماء منه . والقطعة منه مزنة . وبهذه الأخيرة جاءت الرواية فى الديوان .
(٧) العفر : جمع أعفر ، وهو الظبى يعلو بياضه حمرة . والكناس مأواه . والتقمع : أن تحرك رءوسها لتطرد القمع .

(أذى الذّبّان للدوابّ)

والذّبان جُنْدٌ من جند الله شديدُ الأذى. وربّما كانَ أضرّ من الدَّبْر[1] فى بَعضِ الزمان ، وربما أتت عَلَى القافلة بما فيها ؛ وذلك أنّها تغشى[2] الدوابّ حتّى تضربَ بأنفسها الأرض — وهى فى المفاوز — وتسقط ، فيهلك أهل القافلة ؛ لأنهم لايخرجون من تلك المفاوز عَلَى دوابهمْ . وكذلك تُضْرِب الرِّعاء[3] بإبلهم ، والجمالون بجمالهم عن تلك الناحية ، ولا يسْلُكُها[4] صاحبُ دابَّة ، ويقول بعضُهمْ لبعض : بادِرُوا قبْلَ حركَةِ الذِّبان ، وقبل أنْ تتحرك ذبّان[5] الرِّياضِ والكلأ !

والزّنابير لا تكادُ تدْمِى[6] إذا لسعت بأذنابها . والذِّبّان تغمس خراطيمها فى جوفِ لحوم الدوابّ ، وتخرِق الجلودَ الغلاظ حتى تنزفَ الدَّمَ نزفا . ولها مع شدّة الوقعِ سمومٌ . وكذلك البَعوضة ذاتُ سمّ ، ولو زِيدَ ١١٠ فى بَدَن البعوضة وزِيدَ فى حرْقة لسْعها إلى أن يصيرَ بَدَنها كبدن الجرَّارة[7] — فإنها أصغرُ العقارب[8] — لما قام له شىءٌ ، ولكان أعظمَ بليَّةً من الجَرَّارة

---

(١) الدبر ، بالفتح : جماعة النحل والزنابير . ويقال بالكسر أيضاً .

(٢) س : « تعش » محرفة .

(٣) ل : « ولذلك ينصرف الرعاة » .

(٤) س : « يستلكها » .

(٥) جاء فى ط ، س : « الذباب » و « ذباب » .

(٦) ط ، س « ترى » وصوابه فى ل .

(٧) الجرارة سبق تفسيرها فى ص ٣٣٣ . ط : « الجرادة » وصوابها فى ل ، س .

(٨) كذا الصواب فى ل . وفى ط ، س : « أصغر من العقارب » .

النصيبيّة [١] أضعافاً كثيرة . وربّما رأيت الحمار وكأنّه مُمَغَّر [٢] أو معصفر . وإنَّهُمْ [٣] مع ذلك ليجلِّلون حمُرَهم ويُبَرقِعونها ، وما يَدَعون موضعًا إلاَّ ستروه بجهدهم ، فربَّما رأيتَ الحمير وعليها الرِّجال [فيما بين عَبْدَسى [٤] والمذار [٥]] بأيديهم المناخس والمذابُّ [٦] ، وقد ضربت بأنفسها الأرضَ [٧] واستسلمت للموت . وربما رأيت صاحبَ الحميرِ [٨] إذا كانَ أجيراً يضربُها بالعَصا بكلِّ جَهْده ، فلا تنبعث .

وليس لجلد البقرة والحمار والبعير عندَه خطر . ولقدْ رأيتُ ذُباباً سقط على سالفة [٩] حِمار كانَ تحتى ، فضرب بأُذنيه ، وحرَّك رأسه بكلِّ

---

(١) ط : « الجرادة النصيبية » ، وتصحيحها من ل ، س . والنصيبية : نسبة إلى نصيبين ، وهى مدينة من بلاد الجزيرة ، كما ذكر ياقوت . قالوا : وسبب كثرة العقارب بها أن كسرى أنوشروان كان حاصرهـا فاستعصت عليه ، فأمر أن تجمع له العقارب من قرية تسمى طيرانشاه ، فرماهم بها فى العرادات والقوارير ، فتملأ القارورة وتدفع بالعرادة ، فإذا وقعت انكسرت فتخرج العقارب ، حتى ضج أهلها وأسلموا له الأمر .

(٢) ممغر : مصبوغ بالمغرة ، وهى بالفتح وبالتحريك : صبغ أحمر طينى ، وأجوده ما كان من مصر . ط ، س : « منعر » ، ل : « منغر » وصوابه ما أثبت .

(٣) ط : س : « فإنهم » .

(٤) عبدسى ، كما فى معجم البلدان : اسم مصنعة كانت برستاق كسكر ، خربها العرب وبقى اسمها على ما كان حولها من العمارة .

(٥) المذار ، بالذال : مدينة بين واسط والبصرة .

(٦) ما بعد المعقفين ساقط من ل .

(٧) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٨) ل : « المكارى » . والمكارى : الذى يكريك دابته . والكراء : الأجرة .

(٩) السالفة : ماتقدم من العنق .

جهده[١] ، [و[٢]] أنا أتأمَّله وما يقلع عنه ، فعَمَدْتُ بالسَّوطِ لأُنحِّيَه به[٣] فنزا عنه ، ورأيت مع نزْوِهِ عنه الدَّمَ[٤] وقد انفجر ؛ كأنَّهُ كان يشرب الدَّمَ وقد سدَّ المخرج بفيه ، فلمَّا نحَّاه طلع .

(ونيم الذّباب)

وتزعمُ العامَّةُ أنَّ الذِّبَّان يَخْرَأ [عَلَى] ماشاء[٥] قالوا : لأنَّا نراه يخرأ عَلَى الشيء الأسود أبيضَ ، وعلى الأبيضِ أسود .

ويقال قد ونَمَ الذُّباب — فى معنى خرئ الإنسان — وعرَّ الطائر[٦] ، وصام النَّعام ، وذَرَق الحمام . قال الشاعر[٧] :

وَقدْ وَنَمَ الذُّبابُ عليه حتَّى ... كأنَّ وَنِيمَه نقطُ المِـدَادِ[٨]

وليس طولُ كَوْمِ البعير إذا ركب النَّاقةَ ، والخنزير إذا ركب الخنزيرة ، بأطولَ ساعةً من لُبْثِ ذكورةِ[٩] الذبّان عَلَى ظهور الإناثِ عندَ السِّفاد .

---

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وحك رأسه بكل جهة » .

(٢) الزيادة من ل ، س .

(٣) ل : « وما يقلع عنه الذباب فلما طراد ذلك يطرده عنه قصدت بالسوط لأنحسه » .

(٤) كذا فى ط ، س . وبدله فى ل : « فع نزوعه عنه نزا الدم » . نزا : وثب .

(٥) ل : « على ماشاء » ، فتكون « ما » مصدرية .

(٦) كذا على الصواب فى ل ، س . وفى ط « عرا » .

(٧) هو الفرزدق ، ذكر ذلك أبو العباس المبرد . الاقتضاب ٣٤٩ .

(٨) يروى : « لقد ونم » كما فى المخصص (٨ : ١٨٦) ، وأدب الكاتب ١٣٤ والاقتضاب .

(٩) الذكورة : الذكور . ط : « ذكور » .

(تخلق الذُّباب - ٢ -)

والذّباب من الخلْق الذى يكونُ مَرّةً من السِّفاد والوِلاد[١] ، ومرّةً من تعفُّن الأجسامِ والفَسادِ الحادث فى الأجرام .

والباقلاءُ[٢] إذا عتَقَ شيئا فى الأنبار[٣] استحال كلُّه ذُباباً[٤] ، فربّما أغفلوه فى تلك الأنْبار فيعودون إلى الأنبارِ وقد تطاير من الكُوَى والخروقِ فلا يجدون فى الأنبار إلاّ القشور .

والذّباب الذى يخلق من الباقلاء يكون دوداً ، ثمَّ يعود ذباباً . وما أكثر ما ترى الباقلاء مثقّبا فى داخله شىءٌ كأنّه مسحوق ، إذا كان الله قد خلق منه الذّبّان وصيّره[٥] . وما أكثر ما تجده فيه تامَّ الخلق . ولو[٦] تمّ جناحاه لقد كان طار .

---

(١) الولاد — بالكسر — أحد مصادر ولد يلد . ط ، س : « والولادة » .

(٢) الباقلى ، بكسر القاف وتشديد اللام وتخفف ، والباقلاء مخففة ممدودة هى الفول . هذه هى الباقلاء النبطية ، وأما الباقلاء المصرية فهى الترمس . والأولى هى المرادة ؛ لارتباط العراقيين بالأنباط .

(٣) الأنبار : بيوت الطعام التى يختزن فيها ، واحدها نبر بالفتح ؛ سميت بذلك لأن الطعام إذا وضع فيها انتبر : أى ارتفع . ومنه المنبر لارتفاعه . ط ، س : « الأقباء » فى كل موضع ترد فيه هذه الكلمة .

(٤) ل : « ذبانا » .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « خلق فيه الذباب وطيره منه » .

(٦) ل : « ولم » تحريف .

(حديث شيخ عن تخلق الذّباب)

وحدّثنى بعض أصحابنا عن شيخٍ من أهل الُحريبة[١] قال : كنت أحبُّ الباقلاء ، وأردت ، إمَّا البَصرة وإما بغداد — ذهب عنِّى حفظه — فصرتُ فى سفينةٍ حِمْلها باقلاء ، فقلت فى نفسى : هذا والله من الحظِّ وسعادة الَجدِّ ، ومن التَّوفيق والتسديد ، ولقد أربع من وَقَعَ له مثل هذا[٢] الذى [قد] وقع لى : أجلسُ فى هذه السفينة على هذا الباقلاء ، فآكلُ منه نِيًّا[٣] ومطبوخا ، ومقلوًّا ، وأرضُّ بعضَه وأطحنهُ[٤] ، وأجْعله مرقا[٥] وإداماً ، وهو يغْذو[٦] غذاءً صالحاً ، ويُسْمِنُ ، ويزيد فى الباه[٧] . فابتدأت فيما أمّلته ، ودفعْنا السَّفينة ، فأنكرْتُ كثرة الذِّبَّان . فلما كان الغدُ جاء منهُ مالم أقدرْ معه على الأكلِ والشربِ . وذهبت القائلة وذهب الَحديث ، وشُغِلت بالذَّبِّ . على أنهنَّ لم يكنَّ يبرحْنَ بالذَّبِّ ، وكنَّ[٨]

١١١

(١) الحريبة بالتصغير : موضع بالبصرة . ط ، س : « الجزيرة » وليس بشىء .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل . وأربع : أخصب . ط ، س : « ربح » .

(٣) مسهل « نيئا » . والنىء ، بالكسر : الذى لم ينضج .

(٤) الرض : الدق . س : « أصحنه » موضع « أطحنه » ، ولم أجده بمعنى الطحن ، وإن كان معروفا فى عاميتنا المصرية بمعنى الطحن .

(٥) س : « ملقا » .

(٦) كذا فى س . وفى ل ، ط : « يغذى » .

(٧) يقال الباه والباءة : وفى الحديث : « من استطاع منكم الباءة فليتزوج » . جاء فى س : « الباءة » ، وفى ل : « يزيدفى الماء » .

(٨) ط : « ولن » وتصحيحه من ل ، س .

أكْثَرَ من أنْ أكونَ أقوى عليهنّ ؛ لأنّى كنتُ لا أطردُ مائةً حتى يخلفهَا مائةٌ مكانها . وهُنّ فى أولِ مايخرجْنَ من الباقلاء كأنّ بهنّ زَمَانَةً[1] فلما كانَ طيرانهنّ أسوأ [كان أسوأ][2] لحالى ، فقلت للملاح : ويلك ! أىُّ شيءٍ معك حتى صار الذبان يتبعك ! قدْ واللهِ أكلتُ وشربتُ ! قال : [أ] وَليس تعرف القصة ؟ قلت : لا والله ! قال : [هى والله] من هذه الباقلاء ، ولولا هذه البليّة لجاءناَ[3] من الرُّكاب كما يجيئون إلى جميع أصحاب الحمولات[4] . وما ظننته[5] إلاّ ممن قد اغتفر [هذا] للين الكِراء ، وحبِّ التفرُّد بالسفينة . فسألتهُ أنْ يقربنى إلى بعض الفُرَض[6] ، حتى أكترىَ من هناك إلى حيث أريد، فقال لى : أتحبُّ أنْ أزوِّدَك منه ؟ قلت : ما أحبُّ أنْ ألتقىَ أنا والباقلاء فى طريقٍ أبدًا !

(من كره الباقلاء)

ولذلك كان أبو شمر[7] لا يأكل الباقلاء ، وكان أخذ ذلك عن معلّمه مَعَمَّر أبى الأشعث[8] . وكذلك كان عبدَ الله بن مسلمة بن محارب والوكيعىُّ ، ومُعمَّر ، وأبو الحسن المدائنىُّ ، برهةً من دهرهم .

---

(١) الزمانة ، بالفتح : العاهة والآفة .

(٢) التكلة من ل ، س .

(٣) ط : « لجانا » وصوابه فى ل ، س .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « إلى أصحابنا » .

(٥) ط ، ل : « وما أظنك » .

(٦) الفرض : جمع فرضة بالضم ، وهى محط السفينة . ل : « القرى » .

(٧) أبو شمر هذا أحد أئمة القدرية المرجئة . وآراؤه فى الفرق بين الفرق ١٩٠ — ١٩٤ . قال فيه الجاحظ : « وكان شيخا وقورا وزميتا ركيناً ، وكان ذا تصرف فى العلم ، ومذكورا بالفهم والحلم . البيان (١ : ٩١) . وضبطه السمعانى ٣٣٨ بكسر الشين وسكون الميم ، ومرة أخرى بكسر الشين وتشديد الميم المفتوحة .

(٨) معمر هذا أحد أئمة الاعتزال ، وكان من تلاميذه أبو الحسن المدائنى ، وحفص الفرد =

وكان يقول : لولا أنَّ الباقلاء عفِنٌ فاسدُ الطَّبعِ ، رديءٌ يخثِّر الدَّمَ ويغلِّظُه ويورث السَّوداءَ وكلَّ بلاء — لما ولَّدَ الذِّبان . والذِّبان أقذرُ ما طار ومشَى ! وكان يقول : كلُّ شيءٍ ينبت منكوساً فهو رديءٌ للذِّهن ، كالباقلاء والباذنجان .

وكان يزعم أنّ رجلاً هرب من غرمائه فدَخل فى غابةِ باقلاء ، فتستَّر عنهم بها ، فأَراد بعضهُمْ إخرَاجه والدُّخولَ فيها لطلبهِ ، فقال : أحكَمهَمْ وأعلمهم : كفاكم له بموضعه شرًّا !

وكان يقول : سمعت ناساً من أَهل التجْربةِ يحلفون بالله : إنَّه[١] ما أقام أحدٌ أربَعين يوماً فى مِنبت باقلاء وخرج منه إلّا وقد أسقمهُ سُقْماً لا يزايلُ جِسمَهَ .

وزعم أنّ الذى منع أصحاب الأدْهان[٢] والتّربيةِ بالسمسم منْ أن يربُّوا السّمَاسِم[٣] بنَوْر الباقلاء ، الذى[٤] يعرفونَ من فسادِ طبعهِ[٥] ، وأنَّه[٦] غير

= ومعمر ، وأبو شمر ، وأبو بكر الأصم ، وأبو عامر عبد الكريم بن روح . فهرست ابن النديم ١٤٧ مصر ١٠٠ ليبسك . وذكر فيه باسم معمر بن الأشعث . لكن اتفاق نسخ الحيوان على أنه أبو الأشعث ، وورده ثلاث مرات فى الجزء الأول من البيان برسم أبى الأشعث ، يرجح كتابته كما أثبت .

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « الأذهان » . والذهن بكسر الذال المعجمة : الشحم .

(٣) السماسم ضبط فى نسخ القاموس بضم السين ، وفسره بأنه طائر . قال شارحه : « كذا هو بالضم فى النسخ وصوابه بالفتح » . قلت : يظهر أنها هى « السمائم » واحدته سمامة ، وهو طائر من الخطاطيف ، ومن أسمائه عصفور الجنة . انظر معجم المعلوف ٢٤١ .

(٤) س : « الذين » ، تحريف .

(٥) ل : « طباعه » والطباع والطبع بمعنى ، يقال : هو ذو طباع حسن .

(٦) س : « فانه » .

مأمونٍ على الدِّماغ وعلى الخيشوم والسِّماخ[1] ، ويزعمون أنّ عمله [الذى عمله هو[2]] القصد إلى الأذهان بالفساد[3] .

وكان يزعم أنَّ كلَّ شيءٍ[4] يكون رديئا[5] للعصب فإنَّه يكون رديئاً للذِّهن ، ، وأن البصل [إنما كان] يفسد الذهن ؛ إذ كان رديًّا للعصب ، [وأنّ البَلادرَ[6] إنما صار يُصلح العقلَ ويورثُ الحفظ ؛ لأنَّه صالح للعَصَب] .

وكان يقول : سواءٌ علىّ أكلت الذّبان أو أكلت شيئا لا يولِّد إلَّا الذِّبانَ ، وهو لايولِّده [إلَّا هُوَ] . والشىءُلايلد الشىءَ إلّا وهو أولى الأَشياء ١٢ بهِ ، وأقربها إلى طبعهِ[7] ، وكذلك جميع الأَرحام ، وفيما ينتج أرحام الأَرض[8] وأرحام الحيوان ، وأرحام الأَشجار ، وأرحام الثِّمَار ، فيما يتولَّد منها وفيها[9] .

---

(١) السماخ بالكسر : خرق الأذن ، جاء فى ط : « الصماخ » ، وهما لغتان .

(٢) الزيادة من س .

(٣) ل : « الفصد » بدل « القصد » ، وهو تصحيف . وفيها أيضا : « إلى الذهن بالإفساد له » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أن كل شىء ردىء » .

(٥) ط ، س : « رديا » بالتسهيل .

(٦) البلادر ، ويقال البلاذر ، لفظه هندى . وهو ثمرة لونها إلى السواد على لون القلب وفى داخلها مادة إسفنجية بها شيئ شبيهبالدم . ومنأسمائه : تمر الفؤاد ، وحب الفهم ، وثمرالفهم . وذكروا أنه يقوى الحفظ ، ولكن الإكثار منه يؤدى إلى الجنون . وانظر قصة تتعلق به فى الألفاظ الفارسية لأدى شير ص ٢٥ .

(٧) ل : « من طبعه » .

(٨) ل : « فيما تنتج من أرحام الأرض » .

(٩) « وأرحام الثمار . . » الخ ساقط من ل .

(حديث أبي سيف الممرور)

وبينا أنا جَالسٌ يوماً فى المسجد مع فِتيانٍ من المسجديِّين[1] مما يلى أبواب بنى سليم ، وأنَا يومئذٍ حَدَث السّنّ[2] إذْ أقْبَلَ أبو سَيف[3] الممرور — وكان لايؤذى أحداً ، وكان كثير الظَّرْفِ من قومٍ سَراة — حتى وقف علينا ، ونحن نرى فى وجهه أثر الجِدِّ ، ثمَّ قال مجتهداً : والله الذى لا إلٰه إلاَّ هو إن الخَرْء لحلو . ثمَّ والله الذى لا إلٰه إلاَّ هو [إنَّ الخرء لحلو . ثم والله الذى لا إلٰه إلا هو إنّ الخرء لحلو]، يميناً بَاتَّةً[4] يسألنى اللهُ عنها يوم القيامة! فقلت له : أشهد أنَّك لا تأكله ولا تذوقُه ، فن أين علمت ذلك ؟ فإن كنْتَ علمت أمراً فعلِّمنَا ممَّا علمَكَ الله . قال : رأيت الذِّبّان يَسقط على النّبِيذ[5] الحلو ، ولا يسقط على الحازِر[6] ، ويقع على العسل ولا يقع[7] على الخلّ ، وأراه عَلَى الخُرء أكثرَ منه على التَّمْر . أفتريدون حُجَّةً أبين من

(١) المسجديون : طائفة كانت تلزم المسجد الجامع بالبصرة والكوفة . انظر حواشى البيان ١ : ٢٤٣ .

(٢) ل : « وأنا يومئذ حدث » .

(٣) ل ، س : « أبو يوسف » ، وما أثبت من ط أشبه بأنباز الممرورين .

(٤) باتة : قاطعة . ط ، س : « ثانية » ، وهو تحريف .

(٥) ط : « النيذ » ، وتصحيحه من ل ، س . وفى س : « تسقط » فى هذه الجملة ولاحقتها .

(٦) الحازر : الحامض الشديد الطعم . ط ، س : « الحاز » محرف .

(٧) س : « تقع » ، فى الموضعين .

هذه[١] ؟ فقلت : يا أبا سَيْفٍ[٢] بهذا وشبهه يُعرفُ فضلُ الشَّيخِ عَلَى الشابِّ .

(تخلق بعض الحيوان من غَيرِ ذكر وأنثى)

ثُمَّ رَجَعَ بنا القول إلى[٣] ذِكر خلقِ الذِّبان من الباقلاء . وقد أنكر ناسٌ من العوامِّ وأشباهِ العوامِّ أن يكونَ شيءٌ من الخلق كانَ من غير[٤] ذكرٍ وأنثى . وهذا جهلٌ بشأن العالَم ، وبأقسام الحيوان . وهم يظنُّون أنَّ على الدِّين من الإقرار بهذا القول مضرَّةً . وليس الأمر[٥] كما قالوا . وكلُّ قولٍ يكذِّبُه العِيانِ فهو أفحش[٦] خطأً ، وأسخَفُ مذهباً ، وأدلُّ على معاندةٍ شديدة أو غفْلة مفْرطة .

وإنْ ذهب الذَّاهبُ إلى أن يقيس ذلك[٧] على مجازِ ظاهر الرَّأى ،

---

(١) ل : « هذا » .

(٢) كذا فى س ، ط . وانظر التنبيه الثالث من الصفحة السابقة . وفى ل : « أبا يوسف » .

(٣) ط ، س : « فى » .

(٤) ل : « نحن » ، وهو تحريف .

(٥) ط ، س : « القول » .

(٦) كلمة : « فهو » ساقطة من ل . و « أفحش » هى فى ط ، س : « فحش » تحريف .

(٧) س : « على أن يقيس ذلك » . ط : « إلى أن لا يقيس ذلك » ، والأخيرة محرفة .

دونَ القطْعِ على غيب حقائق العِلل ، فأجْرَاه فى كلِّ شىء — قال قوْلاً[1] يدفعه العِيانُ أيضاً ، مع إنكار الدِّين له .

وقد علمنا أنَّ الإنسانَ يأكُلُ الطَّعامَ ويشربُ الشَّرابَ ، وليس فيهما حيَّةٌ ولا دودةٌ ، فيُخْلق منها[2] فى جوفِه ألوانٌ من الحَيَّاتِ ، وأشكالٌ من الدِّيدان من غيرِ ذَكرٍ ولا أنثى . ولكنْ لابدَّ لذلك الوِلادِ واللِّقاحِ من أنْ يكون عن تناكح طِباعٍ[3] ، وملاقاة أشياءَ تشبه بطباعها الأرحامَ ، وأشياءَ تشبه فى طبائعها ملقِّحات[4] الأرحام .

(استطراد لغوى بشواهد من الشعر)

وقد قال الشاعر :

فاسْتَنْكَحَ اللَّيْلَ البهيمَ فَأَلْقِحَت[5] عن هَيْجِه واسْتُنْتِجَتْ أحلاما[6]

وقال الآخر :

وإذا الأمُــور تناكَحَتْ فالجُــود أكــرمُها نِتاجا

(١) « قال قولا » هو جواب الشرط . وفى ط ، س : « وقال قولا » ، والوجه حذف الواو .

(٢) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « منها » .

(٣) ل : « طبائع » .

(٤) ط : « ملاقات » محرفة . ل : « فى طباعها » .

(٥) الليل البهيم : الشديد الظلمة . ل ، س : « وألقحت » .

(٦) ل : « واستفتحت » ، والوجه ما أثبت من ط ، س . والمراد بالأحلام الرؤى .

وقال ذو الرُّمَّة :

وإنّى لِمدلاجٌ إذا ما تناكَحَتْ مَعَ اللَّيلِ أحلامُ الهِدَانِ المثقَّلِ[١] ١١٣

وقال علىُّ بن مُعاذ[٢] :

لَلْبَدْرُ طِفلٌ فى حِضَانِ[٣] الهــوا مُسْتَزْلِقٌ من رَحِمِ الشَّمْسِ[٤]

وقال دُكَينٌ الرَّاجز[٥] ، [أو أبو محمد الفقعسىٌّ] :

وقــد تعللتُ ذميــل العنْسِ[٦] بالسَّوطِ فى ديمومةٍ كالتُّرسِ[٧]

* إذْ عَرَّجَ اللَّيلَ بروجُ الشَّمس[٨] *

وقال أمية بن أبى الصَّلت :

والأرضُ نوَّخها الإلٰهُ طَرُوقةً للمـاء حتَّى كلُّ زَنْدٍ مُسْفَدُ[٩]

---

(١) الهدان ، بالكسر : الأحمق الثقيل .

(٢) على بن معاذ: أحد شعراء الدولة العباسية ، وروى عنه الجاحظ فى البيان والتبيين .

(٣) الحضان : مصدر حضن الطائر بيضه . ط ، ل : « حصان » بالمهملة ، صوابه فى س . والهوا أصله الهواء وقصر للشعر . وكتب فى الأصل بالياء « الهوى » وصواب كتابته بالألف .

(٤) مستزلق : من أزلقت الفرس : إذا ألقت ولدها تاما . ط : « متزلق » س : « مسترق » .

(٥) تقدمت ترجمته فى ٧٤ من هذا الجزء .

(٦) س : « تغللت » ! وانظر تحقيق هذا البيت فى ص ٧٤ .

(٧) الديمومة : الفلاة الواسعة . ط : « كالندس » وصوابه فى ل ، س . والترس هو ذاك الذى يتوقى به المحارب . وجعل الفلاة كالترس فى صلابتها .

(٨) انظر ما سبق فى ص ٧٤ .

(٩) نوخها : أى أبركها . والطروقة ، بالفتح : أنثى الفحل . والزند : هو قرين الزندة ، ومنهما تقتدح النار . فالأول لا فجوة فيه ، وفى الزندة فجوة يدار فيها الزند فيظهر الشرر . والمسفد بفتح الفاء : الذى طلب السفاد فناله . وضبطت فى اللسان بكسر الفاء ، وصوابه ما ذكرت . يقول : إن نظام التلاقح ليس خاصا =

والأرضُ مَعقِلنَا وكانتْ أمَّنا فيها مقابِرُنَا وفيهـا نولد(١)

وذكر أميَّة الأرْضَ فقال :

والطُّوط نَزْرعُـه فيهـا فنَلبَسهُ والصُّوف نجتزُّه ما أردف الوَبَرُ(٢)

هى القرارُ فما نبْغِى بهاَ بدلا ما أرحَمَ الأرضَ إلاَّ أنَّنا كُفُرُ(٣)

وطَعنَةَ اللهِ فى الأعـداءِ نافذةٌ تُعيِي الأطِبَّاءَ لا تَثْوَى لها السُّبُرُ(٤)

ثمَّ رجع إليها فقال :

مِنها خُلِقْنَا وكانَتْ أُمَّنا خُلِقَتْ ونحنُ أبناؤها لو أنَّنَا شُكُرُ(٥)

= بالأحياء ، بل نراه أيضاً بين الأرض والماء حيث يتغلغل فيها ، ونجده أيضاً بين الزند والزندة اليابسين . وهو معنى شعرى بارع . ط ، س: « زبد » تصحيف . س : « مفسد »، تحريف . وهذا البيت فى ل هو الثانى فى الترتيب .

(١) كذا فى ل والجزء الخامس ص ٤٣٧ والمخصص (١٣ : ١٨٠) . وفى ط ، س : « نوىد » .

(٢) الطوط ، بالضم : القطن ، أو قطن البردى خاصة . وأردف الوبر : توالى وتتابع ط ، س : « أدفأ ». ورواية البيت فى اللسان هكذا:

والطوط نزرعه أغن جراؤه فيه اللباس لكل حول يعضد

(٣) الكفر ، بضمتين : جمع كفور بمعنى كافر ، وهو يقال للمذكر والمؤنث . ط : « لها بدلا » .

(٤) السبر : جمع سبار بالكسر ، وهو ما يقدر به غور الجراحات ، وهو أيضا الفتيلة تجعل فى الجرح . والمعنى يتجه بكل منهما . وتثوى : تقيم وتستقر . ط ، س : « يلوى » يقال لوى يلوى : انتظر وتحبس . وكل منهما متجه ؛ فإن المعنى أن تلك الطعنة لشدة ما يتلفق منها من دم تدفع بما يوضع فيها دفعا . ومثله قول الآخر :

* ترد على السابرى السبارا *

وقوله :

* ترد السبار على السابر *

(٥) الشكر ، بضمتين : جمع شكور بالفتح .

(ما تستنكره العامة من القول)

وتقول العرب : الشمسُ أرحمُ[١] بنا ! فإذا سمع السامعُ منهم أنَّ جالينوسَ قال : عليكم بالبَقْلةِ الرحيمة - السِّلق[٢] - استشنعه السامع ، وإذا سمع قولَ العرب : الشمسُ أرحم بنا ، وقولَ أميّة :

* ما أَرْحَمَ الأرضَ إلا أنّنا كُفُرُ *

لم يستشنعه ، وهما سواء . فإذا سمع أهل الكتاب يقولون : إنَّ عيسى ابن مريم أخَذَ فى يده اليمنى غرْفَةً[٣] ، وفى اليسرى كِسرَةَ خبز[٤] ، ثم قال : هذا أبى، للماء ، وهذه أمِّى ، لكسرة الخبز[٥] . استشنعه، فإذا سمعَ قولَ أميّة[٦] :

والأرضُ نوَّخها الإلٰه طَرُوقَةً للماء حتَّى كل زَنْد مُسفَدُ

لم يستشنعه . والأصل فى ذلك أنّ الزّنادِقَةَ أصحابُ ألفاظٍ فى كتبهمْ ، وأصحابُ تهويل ؛ لأنّهم حينَ عدِمُوا المعانىَ ولم يكن عندهم فيها طائل ، مالُوا إلى تكلُّف ماهو أخْصَرُ وأيسرُ وأوجَزُ كثيرًا .

---

(١) انظر الحيوان ٥ : ١٠٢ .

(٢) ط ، س : « السلقة » .

(٣) الغرفة ، بالضم : مقدار ما يغترف المرء بيده . ل : « أخذ فى يده كسرة خبز » .

(٤) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٥) ط ، س : « هذا أبى وهذه أمى لكسرة الخبز والماء » .

(٦) انظر ما سبق من الكلام على هذا البيت ، فى ص ٣٦٣ .

(حُظْوة طوائفَ من الألفاظ لَدَى طوائف من النّاس)

ولكلِّ قَوْمٍ ألفاظٌ حظِيتْ عِنْدَهم . وكذلك كلُّ بليغٍ فى الأرض
١١٤ وصاحِب كلامٍ منثور ، وكلُّ شاعِرٍ [فى الأرض[1]] وصاحِبِ كلامٍ موزون ؛ فلا بد من أن يكون قد لهجَ وألف ألفاظاً بأعيانها ؛ ليديرَها فى كلامه وإن كان واسعَ العلمِ غزيرَ المعانى ، كثيرَ اللّفظ . فصار حظُّ الزَّنَادِقَةِ من الألفاظ التى سبقتْ إلى قلوبهم ، واتَّصلت بطبائعهم ، وجَرتْ على ألسنتهم التناكحَ ، والنتائِج[2] ، والمِزاج ، والنُّور والظلمة ، والدفَّاع والمنَّاع[3] ، والساتر والغَامر ، والمنحلّ[4] ، والبُطلان ، والوِجْدان ، والأَثير والصِّدِّيق[5] وعمود السبح[6] ، وأشكالا من هـذا الكلام . فَصَارَ[7] وإن كان غريبًا

(١) الزيادة من ل، س . وانظر لنحو هذا البحث سر الفصاحة ٩٨ - ٩٩ .

(٢) ل : « والنتائج » .

(٣) ط ، س : « والبقاع » .

(٤) هذه ساقطة من ل .

(٥) الصديق يعنون به المؤمن الخالص الإيمان ، وفى اعتقاد المانوية أن الصديق حين يحتضر تحضره أربعة آلهة ، ومعهم ركوة ولباس وعصابة وتاج وإكليل النور، فيلبسونه التاج والإكليل ويعطونه الركوة بيده ، ويعرجون به فى عمود السبح إلى فلك القمر . وانظر بقية الكلام فى الفهرست ٤٦٩ مصر ٣٣٥ ليبسك . ط : « الصداق » س : « الصدا » وصوابهما ما أثبت . وهذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من ل . وسبق فى الجزء الأول ، ص ٧٥ برسم « الصنديد » وهذه أيضا من كلمات الزنادقة . انظر لها الفهرس ٤٦٣ مصر ، ٣٣١ ليبسك .

(٦) السبح : يراد به العروج والصعود إلى السماء . وفى ذلك العمود الوهمى ترتفع التسابيح والتقاديس والكلام الطيب وأعمال البر . ذلك ما قاله مانى . انظر الفهرست ٤٦١ ،مصر ٣٣٠ ليبسك . فى الأصل: « الصبح » وسبقت فى الجزء الأول ص ٥٧ برسم « السنخ »، وصوابه ما أثبت .

(٧) ط ، س: « نصا » وتصحيحه من ل .

مرفوضاً[١] مهجوراً عنْد أهلِ ملَّتنا ودعوَتِنا ، وكذلك هو عِنْدَ عوامِّنا وجمهُورنا ، ولا يستعملهُ إلاّ الخَواصُّ[٢] وإلّا المتكلِّمون .

(اختيار الألفاظ وصوغ الكلام)

وأنا أقولُ فى هذا قَوْلا ، وأرجو أن يكون مرضياً . ولم أقلْ « أرجو » لأنى أعلمُ فيه خللاً[٣] ؛ ولكنِّى أخذتُ بآدابِ وجوهِ أهلِ دعوتى وملَّتى ، ولغتى ،وجزيرتى، وجيرتى؛ وهم العرب. وذلك أنّه قيل لصُحَارٍ[٤] العبدىّ : الرجل يقول لصاحبِه ، عنْدَ تذكيره أياديَه وإحْسانه[٥] : أما نحنُ فإنّا نرجو أن نكونَ قدْ بلغْنا من أداءِ مايجبُ علينا مبلغاً مُرضِيا . وهُوَ يعلم أنّه قَدْ وفّاه حَقّه الواجبَ،وتفضّل [عليه] بما لايجب . قال صُحار : كانوا يستحبُّون أن يَدَعُوا للقول متنفَّسا ، وأن يتركوا فيه فضلا ، وأن يتجافَوا عن حَقٍّ إن[٦] أرادوه لم يُمنَعوا منه .

فلذلك قلت « أرجو » . فافهَمْ فَهَّمَكَ اللهُ تعالى .

---

(١) ط : « من فوضى » ، وصوابه فى ل، س .

(٢) ط ، س : « والخاص » . والكلام من كلمة « عند » الأولى ، إلى « هو » ساقط من ل .

(٣) ل : « لأنى لا أعلم » .

(٤) صحار العبدى تقدمت ترجمته فى (١ : ٩٠) .

(٥) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « ما يقول الرجل لصاحبه عند تذكيره أياديه وإحسانه قال » .

(٦) ل ، « متى » .

فإنَّ رأيي في هذا الضَّربِ من هذا اللفظ ، أنْ أكونَ ما دمتُ في المعاني التي هي عبارتُها ، والعادَة[1] فيها ، أن ألفِظ بالشَّيء العتيد[2] الموجود ، وأدَعَ التكلُّفَ[3] لِما عسى ألَّا يسلس ولا يسهلَ إلَّا بعد الرِّياضة الطويلة .

وأرى أنْ ألفِظ بألفاظِ المتكلمين ما دُمتُ خائضاً في صناعة الكلام مع خواصٍّ[4] أهل الكلام ؛ فإن ذلك أفهمُ [لهمْ] عنِّي[5] ، وأخفُّ لمؤنتِهمْ[6] عليَّ .

ولكل صناعةٍ ألفاظٌ قد حَصلت لأهلها بعدَ امتحان سواها، فلم تَلزَق بصِناعتهم[7] إلَّا بعدَ أن كانتْ مُشاكلاً بينها وبين تلك الصناعة[8] .

وقبيحٌ بالمتكلم أنْ يفتقر إلى ألفاظِ المتكلِّمينَ في خُطبةٍ ، أو رسالة ، أو في مخاطبةِ العوام والتجار[9] ، أو في مخاطبةِ أهله وعبْدِهِ وأمته ، أو في حديثه إذا تحدثَ[10] ، أو خبره إذا أخبر .

---

(١) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « والعبادة » .

(٢) العتيد : الحاضر المهيأ .

(٣) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « التكليف » .

(٤) ط ، س : « خاص » .

(٥) كذا على الصواب في س ، ل . وفي ط : « عندي » .

(٦) ط ، ل : « لمؤنهم » .

(٧) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « بضاعتهم » .

(٨) ط : « وبين تلك المعاني الصناعة » ، والوجه حذف « المعاني » كما في ل ، س .

(٩) ط : « الجار » تحريف .

(١٠) ط : « حدث » . ل : « أو في مجاورة أهله » .

وكذلك [فإنّه][1] من الخطأ أن يجلِبَ[2] ألفاظ الأعرابِ ، وألفاظَ العوامّ وهو فى صناعة الكلام داخل . ولكلٍّ مقامٍ مقال ، ولكلٍّ صناعة شكل .

(خلق بعض الحيوان من غير ذكر وأنثى)

ثم رجع بنا القول إلى ما يحدث اللهُ عزَّ وجلّ من خلْقه من غير ذكرٍ ولا أنثى . فقلنا : إنّه لابدَّ فى ذلك من تلاقى أمرينِ يقومانِ مقامَ الذّكر والأنثى ، ومقامَ الأرضِ والمطر . وقد تقرب الطّبائعُ من الطبائع ، وإن لم تتحوَّلْ فى جميع معانيها ، كالنطفة[3] والدَّم ، وكاللّبنِ والدَّم . ١٥

وقد قال صاحبُ المنطقِ : أقول بقولٍ عامٍّ : لابدَّ لجميع الحيوان من دم ، أو من شيء[4] يشاكل الدَّم .

ونحن قد نجد الجيفَ يخلق[5] منها الدِّيدان ، وكذلك العذرة . ولذلك المجوسىُّ كلما تبرَّز ذرَّ على بُرازه شيئاً من التراب ؛ لئلا يخلق منها

(١) الزيادة من ل ، س .

(٢) ط ، س : « يحلب » .

(٣) النطفة : ماء الرجل . ط ، س : « كالنقطة » ، وصوابه فى ل .

(٤) ط ، س : « شكل » .

(٥) ل : « تخلق » .

دِيدان[1] . والمجوسىُّ[2] لايتغوَّط فى الآبار والبلاليع لأنّه بزعمه يُكرم بطنَ الأرض عن ذلك ، ويزعم أنّ الأرضَ أحَدَ الأركان التى بُنِيَت العوالمُ الخمسةُ عليها[3] بزعمهم : أبرسارس[4] وأبرمارس[5] وأبردس[6] وكارس[7] وحريرة أمنة[8] . وبعضهم يجعل العوالم ستة ويزيد أسرس[9] ، ولذلك لايدفنون موتاهم ولا يحفرون لهم القبو: ، ويضعونهم فى النّواويس وضْعا . قالوا : ولو استطعنا أنْ نخرج تلك الجيف من ظهور الأرضين وأجواف الأحراز ، كما أخرجْناها من بطون الأرَضين[10] لفعلنا . وهم يسمُّون يومالقيامة روز رستهار[11] ، كأنّه يوم تقوم الجيف .

فمن بُغضهم لأبْدَان الموتى سمَّوها بأسمج أسمائهم[12] . قالوا : وعلى هذا المثال أعظمْنا النّار والماء[13] ، وليسا بأحقّ بالتعظيم من الأرض .

---

(١) « ولذلك المجوسى » . . الخ ، ساقط من س . وفى ط : « وكذلك » .

(٢) ل : « ولذلك المجوسى » .

(٣) كذا فى س . وفى ط : « تنبت » محرفة . ل : « عليها يثبت العوالم الخمسة » .

(٤) ط : « البرسارس » وفى رسائل الجاحظ ١٠٨ ساسى : « ابرشارش » .

(٥) ط : « البرمارس » وفى رسائل الجاحظ : « ابربارش » .

(٦) ابردس هى فى الرسائل : « ايددش » :

(٧) س : « كاومرة » .

(٨) كذا .

(٩) الكلام من مبدإ « ابرسارس » ساقط من ل . وانظر الاستدراكات .

(١٠) الأرضين : جمع أرض . ط ، س : « الأرض » فى الموضعين . والأحراز : جمع حرز ، وهو المكان الحصين . ط . « الأحرار » س : « الأحرا » ل : « الأجواء » ، ولعل الوجه فيه ما أثبت .

(١١) س : « روز سرهار » ، ط : « روز سهرهار » .

(١٢) ل : « أسمائها » .

(١٣) ل : « عظمنا الماء فالنار » .

وبعد فنحن ننزِع الصِّمامة من رءوس الآنية التى يكونُ فيها بعضُ الشراب ، فنَجد هنالك من الفراش مالم يكن عن[١] ذكر ولا أنثى ، وإنما ذلك لاستحالة بعضِ أجزاءِ الهواء وذلك الشرابِ إذا انضمَّ عليه ذلك الوعاء[٢]. وهذا قولُ ذىالرمَّة وتأويلُ شعره ، حيث يقول :

وأبصَرْنَ أن القِنْعَ صارتْ نِطافُهُ   فَرَاشاً وأنَّ البَقلَ ذاوٍ ويابِسُ[٣]

وكذلك كلُّ ما تخلَق من جُمَّارِ النَّخلة وفيها[٤] ، من ضروب الخلَق والطَّير ، وأشباه [الطير] ، وأشباه[٥] بناتِ وَردان ، وَالذى يسمَّى بالفارسية فاذو[٦] ، وكالسُّوس ، والقوادح[٧] ، والأَرَضة ، [وَبَنات وَرْدانَ اللاتى يخلقْن من الأَجذاع والخشب والحشوش[٨] . وقد نجد الأَزَج[٩] الذى يكبس فيه اليخُّ[١٠] بخراسان ، كيف يستحيل كله ضفادِعَ . وما الضِّفدع بأدَلّ عَلَى الله من الفَراش .

---

(١) ط ، س : « عند » والوجه ما أثبت من ل .

(٢) ل : « وإنما ذلك استحالة » . ط : « إذا انضم » ، وصواب الأخيرة فى ل ، س .

(٣) سبق شرح البيت فى ص ٣٤٨ من هذا الجزء . وصدر البيت محرف فى ط هكذا :
* وأبصرت أن النقع صارت لطافة *

(٤) ل : « وكذلك ما يخلق » . . الخ .

(٥) ط ، س : « وأشباه ذلك » .

(٦) ط ، س : « وأن الذى » ، والوجه حذف « أن » كما فى ل . و « فاذو » هى فى ط ، س : « تارداد » .

(٧) القوادح : جمع قادحة ، وهى الدودة . ل: « القوارح » محرفة .

(٨) الحشوش : جمع حش بالضم ، وهو بيت الخلاء .

(٩) الأزج . بالتحريك : بيت يبنى طولا .

(١٠) اليخ : الثلج بالفارسية .

وإنما يستحيل ذلك الثَّلجُ إذا انفتح فيه كقدْر منخر الثَّور ، حتَّى تدْخُلَه الرِّيح التى هى اللاقحة ، كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لوَاقِحَ﴾ ، فجعلها لاقحةً ولم يجعلها ملقحة .

ونجد وسْط الدَّهناء — وهى أوسع من الدوِّ ومن الصَّمَّان[1] — وعلى ظهر مسجد الجامع[2] فى غِبِّ المطر من الضَّفادِع مالا يُحصى عددُه . وليس أنَّ ذلك كان عن ذكرٍ وأنثى ، ولكنَّ اللهَ خَلَقها تلك الساعةَ من طِباع تلك التُّربَةِ وذلك المطر وذلك الهواءِ المحيطِ بهما ، وتلك الرِّيح المتحرِّكةِ . وإنْ زعموا أن تلك الضَّفادعَ كانت فى السَّحاب ، فالذى أقرُّوا به أعجبُ من الذى أنكروه . وإنما تقيم الضَّفادعُ وتتربَّى وتتوالَدُ فى مناقع المياه ، وفى أرض تلاقى ماءً . والسَّحابُ لا يوصف بهذه الصفة . قد نجد الماء يزيد فى دِجْلةَ والفُراتِ فتنزُّ البطون والحفائر التى تليها من الأَرض ، فيُخْلق من ذلك الماءِ السَّمكُ الكثير ، ولم يكن فى تلك الحفائر الحدث[3] ، ولا فى بحر تلك الأرضين شىءٌ من بيض السَّمك .

ولم نجِد أهلَ القاطول[4] يشكُّون فى أنَّ الفأر تخلَّق من أرضهم ، وأنَّهُمْ ربَّما أبصروا الفأرَة من قبل أن يتم خلْقُها . فنسبوا بأجمعهم خلق الفأرِ إلى الذكر والأنثى ، وإلى بعض المياه والتُّرَبِ والأجواء والزمان ، كما قالوا فى السمك ، والضَّفادعِ ، والعقارب .

---

(١) الدهناء : اسم لواد فى بادية البصرة . والدو : أرض ملساء بين البصرة ومكة . والصمان : بفتح الصاد ، أرض غليظة فيها ارتفاع قريبة من الدهناء

(٢) يقال المسجد الجامع ومسجد الجامع ، كما فى القاموس . والمراد به مسجد البصرة .

(٣) الحدث : واحد الأحداث ، وهى الأمطار الحادثة فى أول السنة .

(٤) قال ياقوت : نهر كان فى موضع سامرا قبل أن تعمر .

(ضعف اطراد القياس والرأى فى الأمور الطبيعية)

فإن قاس ذلك قائسٌ فقال][1] : ليسَ بين [الذِّبَّان و] بنات وردان و [بين] الزَّنَابير فرق، ولا بين الزَّنابير والدَّبْر والخنافس[2] فرق ،[ولا بين الزّرازير والخفافيش] ولاَ بين العصافير والزّرازير فرق : فإذا فرغوا من خشاش الأرض صاروا إلى بغاثها ثم إلى أحرارها ، ثم إلى الطواويس والتَّدارجِ[3] والزمامج[4] حتّى يصعدوا إلى الناسِ . قيل لهم : ليس ذلك كذلك ، [و] ينبغى لكم بَدِيًّا أن تعرفوا الطّبيعة والعادة ، والطبيعة الغريبة[5] من الطبيعة العامّيـة[6] ، والممكنَ من المُمْتَنِعِ ، وَأَنّ المُمْكِنَ على ضربَين : فمنه الذى لا يزال يكون ، ومنه الذى لا يكاد يكون ، وما علة الكثرة والقلة ، وتعرفوا[7] أنّ الممتنع أيضا عَلَى ضربَين : فمنه ما يكُون لعلةٍ موضوعة يجوز دفعها ، وما كان منه لعِلة لا يجوز دفعها[8] ، [وفصلَ ما بين العلة التى لا يجوز دفعُها] وهى عَلَى كل حالٍ علة ، وبين الامتناع الذى لا علة له إلّا عينُ الشىء وجنسهُ[9] .

---

(١) إلى هنا تنتهى الزيادة التى ابتدأت من ص ٣٧١ س ٨ .

(٢) ل : « وعين الزنابير والخفافيش »، والكلمة الأخيرة محرفة .

(٣) التدارج : جمع تدرج ، وهو طائر مليح مغرد . ط ، س : « التداريج » .

(٤) الزمامج : جمع زمج ، وهو من أنواع البزاة ، وفارسيته « دوبرادران » كما فى القاموس .

(٥) بدل هاتين الكلمتين فى ط ، س : « الغريزة » تحريف .

(٦) المراد بالعامية العامة ، التى لاغرابة فيها ولا شذوذ .

(٧) ط ، س : « يعرفون » ل : « يعرفوا » ووجهه ما أثبت .

(٨) هذه ساقطة من ل وفى ط : « للعلة التى » .

(٩) ط ، س : « الذى لا علة له غير الشىء وجنسه » .

١١٦ وينْبَغِي أنْ تعرفوا فَرْقَ ما بين المحال [و] الممتنع ، وما يستحيل كونه من الله عزَّ وجلَّ ؛ وما يستحيل كونه من الخلق .

وإذا عرفتم الجواهرَ وحظوظها من القوى ، فعند ذلك فتعاطَوا الإنكارَ والإقرار ، وإلاّ فكونوا فى سبيل المتعلم ، أو فى سبيل [من[1]] آثرَ الرَّاحة ساعةً عَلَى ما يورِث كدُّ التعلُّم من راحة الأبد . قد يكون أن يجيء عَلَى جهة التوليد شيءٌ[2] يبعُد فى الوهم [مَجيئُه ، ويمتنع شيءٌ هو أقربُ فى الوهم[3]] من غيره ؛ لأنّ حقائق الأمور ومغيَّبات الأشياء ، لا تُردُّ إلى ظاهر الرَّأيِ ، وإنما يردُّ إلى الرَّأى ما دخل فى باب الحَزْم والإضاعَة[4] وما هو أصوَبُ وأقربُ إلى نَيل الحاجة . وليس عنـدَ الرَّأى علمٌ بالنُّجْح والإكداء[5] ؛ كنحو مجيء[6] الزُّجَاج من الرَّمل ، وامتناع الشَّبَهِ والزئبق من أن يتحوَّل فى طبع الذَّهب والفضّة[7] . والزئبق أشبـهُ بالفضّة المايعة من الرَّمل بالزجاج الفرعونىّ[8] . والشَّبه الدمشقى بالذهب الإبريز أشبه من الرَّمل بفِلق[9] الزجَاج النقىِّ الخالص الصافى .

---

(١) الزيادة من ل ، س .

(٢) ط ، س : « قد يكون أو يجيء على جهة التوليد وشيء » ، تحريف .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) كذا فى ل ، س . وفى ط : « الجزم والإضافة » محرف .

(٥) النجح بالضم : النجاح . ط ، س : « بالنصح » محرفة . والإكداء : الخيبة .

(٦) ط : س : « مخارج » ، وصوابه فى ل .

(٧) الشبه نوعان : أحدهما طبيعى يكون بجبال أصبهان . والآخر صناعى يؤخذ جزء من النحاس وعشرة من التوتيا يطعمها بالسبك بعد التنقية . عن تذكرة داود .

(٨) الزجاج الفرعونى : ضرب من الزجاج الصناعى ، تجد صفته فى تذكرة داود . وانظر الاستدراكات .

(٩) فلق : جمع فلقة ، وهى القطعة .

ومن العجب أنّ الزُّجاجَ – وهو مولَّد – قد يجرى مع الذهب فى كثيرِ مفاخِرِ الذّهب ؛ إذْ كان لا يغيِّر طبعَهُ ماءٌ ولا أرض ؛ والفضّة التى ليسَتْ بمولدة[1] إذا دفنت زماناً غير طويلٍ استحالتْ أرضاً . فأمّا الحديد فإنّه فى ذلك سريعٌ غير بطيء .

وقد زعمَ نَاسٌ أنّ الفرقَ الذى بينهما إنما هو أنّ كلّ شيء له فى العالم أصلٌ وخميرةٌ ، لم يكن كالشيء الذى يكتسب[2] ويجتَلب ويلفَّق ويلزَّق ، وأن الذّهب لا يخلو من أن يكون ركناً من الأركان فإنَّما منــذ كان الهواء والمـاء والنار والأرض . فإن كان كذلك فهو أبعد شيء من أن يولِّد النّاسُ مثلَه[4] . وإن كان الذّهب إنمـا حدث فى عمق الأرض[5] ، بأن يصادف من الأَرض جَوْهَرًا[6] ، ومن الهواء الذى فى خلالها جوهرا ، ومن المـاء الملابِس لها جوهرا ، وَمن النار المحصورة فِيها جوهرا ، مَع مقدار من طول مُرور الزمان ، ومقدارٍ من مُقَابلات البروج . فإن كان الذّهب إنمـا هُوَ نتيجة [هذه] الجواهِرِ عَلَى هذه الأَسباب[7] ، فَواجب ألاّ يكون الذهب أبداً إلاّ كذلك .

---

(١) ط ، س : « ليست بمواده » ، ل : « والفضة مولدة » وجعلتها كما ترى .

(٢) ط : « يكتب » ، وصوابه فى ل ، س .

(٣) كذا فى ل ، س . وفى ط : « قديما » .

(٤) ل : « فهو أبعد للناس من أن يؤلفوا مثله » .

(٥) س : « فى عين الأرض » .

(٦) ط : « جواهر أو » فى المواضع الأربعة . وصوابه فى ل ، س .

(٧) ل : « الأصناف » ! .

فيقال لهؤلاء : أرأيتم الفأرة التى خُلِقَتْ من صُلْب جُرَذٍ ورحم فأرة ، وزعمتم أنها فأرة على[1] مقابلة من الأمور السّماويّة والهوائيّة والأرضيّة ، وكانت نتيجة هذه الخصال ، مع استيفاء هذه الصّفات[2] ؟ ألَسْنا قَدْ[3] وجدنا فأرة أخرى تهيَّأ لها من أرحام الأرَضِين ، ومن حضانة الهواء ، ومن تلقيح الماء ، ومن مُقابلات[4] السماويّات والهوائيّات ، فالزّمان أصَارَ[5] جميع ذلك سبباً لفأرة [أخرى] مثلها . وكذلك كلٌّ ما عددناه[6]

١١٧ فمن أين يستحيل أن يخلط الإنسانُ[7] بينَ مائيَّة طبيعية ومائيَّةِ جوهَر[8] ؟ إمَّا من طريق التبعيد والتقريب ، ومن طريق الظُّنون والتجريب ، [أ] وْ من طريق أنْ يقع ذلك اتّفاقا ، كما صنع النّاطف الساقط من يد الأجير فى مُذَاب الصُّفر[9] حتى أعطاه ذلك اللّون ، وجلَب ذلك النَّفع[10] ، ثم إنَّ

---

(١) س : « عن » .

(٢) ط : « مع استبقاء مده صفات » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٣) ط : « ألتسافد » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٤) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « المقابلات » .

(٥) أصار : جعل . ل : « من الزمان ما صار » .

(٦) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « كلما عددنا » .

(٧) ط ، س : « يحلها إنسان » ، وصوابه فى ل .

(٨) ط ، س : « مأية » ، وصوابه فى ل .

(٩) الناطف : ضرب من الحلوى يصنع من اللوز والجوز والفستق ، ويسمى أيضا القبيطى والقباطى والقبيط — بضم القاف وتشديد الباء فيهن — والقبيطاء كحميراء . انظر القاموس واللسان مع الألفاظ الفارسية ١٢٣ وحاشية الصبان على شرح الأشمونى للألفية (٤ : ٨٨) وحواشى تهذيب الصحاح (نطف) . والصفر ، بالضم : النحاس .

(١٠) ل : « البقع » .

الرِّجالَ دبرْته وزادَتْ ونقَصَتْ ، حتى صارَ شَبَهَا ذهبيًّا . هذا مع النّوشاذر المولّد من الحجارة السُّود[١] .

فلو قلتم: إنَّ ذلك قائمُ الجوازِ فى العقل[٢] مطّرد فى الرّأى ، غير مستحيل فى النَّظَر[٣] . ولكنّا وجدْنا العالَمَ بما فيه من النّاس منذ كانا فإنَّ النّاس يلتمسون [هذا] وينتصبون له[٤] ، ويَكلَفون به . فلو كان هذا الأمرُ يجىء من وجه الجمع والتوليد[٥] والتركيب [والتجريب ، أ[٦]] وْ من وجه الاتفاق ، لقد كان ينبغى أنْ يكونَ ذلك قد ظهر من ألوفِ سنينَ وألوف ؛ إذْ كان هذا المقدارُ أقلَّ ماتؤرِّخ به الأمم ، ولكان[٧] هذا مقبولاً غيرَ مردود . وعلى أنَّه لم يتبيَّنْ لنا منه أنَّه يستحيل أنْ يكون الذَّهبُ إلاّ من حيث وجد[٨] . وليس قُربُ كونِ الشىءِ فى الوهْم بموجب لكونه ، ولا بعدُه فى الوهْم بموجبٍ لامتناعه .

ولو أنَّ قائلاً قال : إنَّ هذا الأَمرَ[٩] [إذ] قد يحتاج إلى أنْ تتهيّأ له طباع الأَرض، وطباع الماء ، [وطباع الهواء]، وطباع النار، ومقادير حركات

---

(١) النوشاذر ، كذا جاء بالذال المعجمة . وانظر ما سيأتى فى ٥ : ٣٤٩ ط ، س : « والحجارة السود » .

(٢) ل : « القائم الجواز » . ط ، س : « قائم الجوهر فى العقل » ، وجمعت بينهما .

(٣) ل : « العقل » .

(٤) ل : « وينصبون له » .

(٥) ط ، س : « والتفريق »، والأشبه ما أثبت من ل .

(٦) الزيادة من ل ، س .

(٧) ط ، س : « وكان » .

(٨) ل : « وجه »، محرفة .

(٩) ل : « الأصل » .

الفلك ، ومقدارٌ من طول الزمان . فمتى لم تجتمعْ هذه الخصالُ وتكمُلْ هذه الأُمور لم يتمَّ خلق الذَّهب . وكذلك قد يستقيم أنْ يكون قد تهيَّأ لواحدٍ أن يجمع بين [مائتى] شكلٍ [من] الجواهِرِ ، فمزجها على مقاديرَ ، وطبخَها على مقادير ، وأغبّها مقدارًا[١] من الزمان ، وقابلت مقدارًا من حركات الأجرام السماويَّة ، وصادفت العالم بما فيه على هيئة[٢] ، وكان بعضُ ماجرى على يده اتفاقا وبعضه قصدًا ، فلما اجتمعت جاء منها ذهبٌ فوقَعَ ذلك فى خمسة آلاف سنة مرّة ، ثمَّ أراد صاحبُه المعاوَدَة فلم يقدِرْ على أمثال مقادير طبائع تلك الجواهِرِ ، ولم يضبط مقاديرَ ما كان قصَدَ إليه فى تلك المرَّة[٣] ، وأخطأ ما كان وقَعَ له اتِّفاقا[٤] ، ولم يقابل من الفلك مثلَ تلك الحركات ، ولا من العالَم مثل تلك الهيئة ؛ فلم يُعَدْ له ذلك .

فإن قال لنا هذا القَول [قائل] وقال : بَيِّنُوا[٥] لى موضعَ إحالته ، ولا تحتجُّوا بتباعد [اجتماع] الأُمور فيه ، فإنَّا نقر لكم بتباعدها . هل كان عندنا فى ذلك قولٌ مقنع ، والدَّليل الذى تَثْلج به الصُّدور ؟! وهل عندنا فى استطاعة النَّاس أن يولِّدوا مثل ذلك[٦] ، إلاَّ بأن يُعرَض هذا القول على العقول

(١) أغبها : جعلها تغب ، أى تمكث . ط ، س : « وأعانها مقدار » .

(٢) س : « هيئته » .

(٣) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « المدة » .

(٤) ل : « وأخطأ ما وقع له اتفاقا » .

(٥) ط ، س : « أثبتوا » .

(٦) ل : « أن يولدوا ناسا » ، وهو تحريف .

السليمة ، والأفهام التّامَّة ونردَّه إلى الرسُل[1] والكتب ؟ ! فإذا وجدنا هذه الأُمورَ كلها نَافِيَةً له[2] كانَ ذلك عندنا هُوَ المقنع . وليس الشأن فيما يظهر اللِّسانُ من الشكِّ فيه والتّجويز له ، ولكن ليردَّه إلى العقل[3] ؛ ١١٨ فإنّه سيَجده منكرا ونافيا [له] ، إذا[4] كان العقل سليماً من آفة المرض ، ومن آفة التخبيل .

(ضروب التخبيل)

والتخبيل ضروب[5] : تخبيلٌ من المِرَار[6] ، وتخبيل من الشّيطان ، وتخبيل آخر كالرجل يعمِد إلى قَلبٍ رَطْبٍ لم يتوقّح ، وذهن لم يستمِرَّ[7] ، فَيَحْمِله على الدقيق وهُو بَعْدُ لايفي بالجليل ، ويتخطّى المقدّمات متسكّعا[8] بلا أمَارة ، فرجَع حَسيراً[9] بلا يقين، وغَبَر زَمَاناً لايعرف إلّا [الشكوك و]

---

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٢) كذا على الصواب في ل ، وفي ط ، س : « باقية » .

(٣) ل : « ذهنه » .

(٤) في الأصل: « فإذا » .

(٥) ل : « ضربان » ، وإنما هي « ضروب » .

(٦) المرار : جمع مرة بالكسر ، وهي مزاج من أمزجة البدن إذا قوى اختل معه التفكير .

(٧) يتوقح : يصلب . يستمر : يقوى .

(٨) متسكعا : متحيرا . ط ، س : « متكشفا » محرفة عن « متكسعا ».يقال تسكع وتكسع .

(٩) الحسير : المتعب المعيي . ط : « حيران » .

الخواطرَ الفاسدة ، التى متى لاقت القلبَ على هذه الهيئة ، كانت ثمرتها[1] الحيرة . والقلبُ الذى يفسُد فى يومٍ لا[2] يداوَى فى سنة ، والبناءُ الذى يُنقَضُ فى ساعةٍ لايبنى[2] مثله فى شهر .

(قولهم : نبيذٌ يمنع جانبه)

ثم رجع بنا القول إلى ذكر الذبان

قيل لِعَلُّويه كلبِ المطبخ : أىُّ شىءٍ معنى قولهم : « هذا نبيذٌ يمنع جانِبَه » ؟ قال : يريدُون أن[3] الذِّبَّان لايدنو منه . وكان الرّقاشى حاضراً ، فأنشدَ قول ابن عبدل[4] :

عَشَّشَ الْعَنْكَبُوتُ فى قَعْرِ دَنِّى ... إنَّ ذا مِنْ رَزِيَّتِى لَعَظِيمْ

لَيتنى قد غَمَرْتُ دَنِى حتَّى ... أُبْصِرَ العَنْكبُوتَ فيهِ يَعُومْ[5]

غَرقاً لا يُغِيثُــهُ الدَّهْرِ إلَّا ... زَبَدٌ فوقَ رأسِــه مركومْ[6]

---

(١) س : « ثمرته » ، تحريف .

(٢) ط : « ولا » والوجه حذف الواو كما فى ل ، س .

(٣) ط ، س : « يريدان » .

(٤) هو الحكم بن عبدل الأسدى تقدمت ترجمته فى (٢ : ١٥٤) . وانظر أبياتاً من هذه القصيدة فى ٥ : ٢٩٧ . وهى مقيدة الروى ، أى ساكنته .

(٥) غمرته : ملأته حتى نهايته . وفى الأصل : « عمرت » . والدن ، بالفتح : الراقود العظيم . ط : « ذنى » وصوابه فى ل ، س . وفى ل : « تعوم » والعنكبوت مؤنثة وتذكر قليلا ، وابن عبدل قد جعلها هنا مذكرة بقرائن كثيرة .

(٦) الزبد : ما يعلو الخمر ونحوها . س : « وبز » محرفة . والمركوم : المتجمع .

مخرجاً كفَّه ينادى ذُباباً أن أغِثْنى فإنَّنى مَغْمومْ[١]
قال : دَعْنى فَلَنْ أُطِيقَ دُنُوًّا من شَرابٍ يشَمُّهُ المزكومْ[٢]

[قال] : والذِّبَّان يضرَب به المثلُ فى القَذَرَ وفى استطابة النَّتْن ، فإذا عَجزَ الذُّبابُ عن شمِّ شيءٍ فهو الذى لايكون أنتنُ منه .

ولذلك حينَ رمى ابنُ عبدلٍ محمَّدَ بنَ حَسَّان بنِ سعْد[٣] بالبخر ، قال :

وما يدنُو إلى فيــهِ ذبابٌ ولو طُلِيَتْ مَشافِرُه بقَنْد[٤]
يَرَيْنَ حَلاوةً ويخَفْنَ مَوتاً وَشِيكاً إنْ هَمَمْنَ له بورْد[٥]

(أبو ذبّان)

ويقال لكلِّ أبخر : أبو ذبَّان، وكانت فيما زعموا كنيةَ عبدِالملك بن مروان[٦] وأنشدوا[٧] قولَ أبى حُزابة[٨] :

---

(١) ط ، س : « مخرج » . ل : « مظلوم » .
(٢) لا يشم المزكوم إلا ما كان غاية فى ظهور الرائحة . ل : « يقطر المزكوم » .
(٣) ط ، س : « سعيد » والصواب ما أثبت من ل والأغانى (٣ : ١٤٥) والبيان (٣ : ٧٤) ونهاية الأرب (١٠ ، ٣٠٠) وعيون الأخبار (٤ : ٦٢) حيث يوجد الشعر .
(٤) ل : « فا » . ومشافره أراد بها شفتيه ، ولكنه تهكم . والقند بالفتح : عسل قصب السكر إذا جمد ، معرب : « كند » .
(٥) ط : « يرون » وصوابه فى ل ، س . ل : « ذعافا » بدل : وشيكا » وقد تقدمت أبيات من هذه القصيدة فى (٢ : ٢٥٠ — ٢٥٣) .
(٦) قالوا : كنى بذلك لشدة بخره ، وموت الذبان إذا دنت من فيه . ويحكى أنه عض يوما تفاحة ورمى بها إلى بعض نسائه ، فدعت بسكين فقطعت موضع عضته ، فقال لها : ما تصنعين ؟ قالت : أميط عنها الأذى ! فطلقها من وقته . انظر ثمار القلوب ١٩٧ .
(٧) ط ، س : « وأنشد » :
(٨) ط ، س : « ابن خرابة » ، وتصحيحه من ل . وقد تقدمت ترجمته فى (١ : ٢٥٥) .

أمسى أبو ذبّانَ مخلوعَ الرَّسَنْ[١] خَلْعَ عِنانٍ قَارحٍ مِنَ الْحُصُنْ[٢]

• وقد صفَتْ بَيْعَتنا لابن حسن[٣] •

١١٩ (شعر فيه هجاء بالذباب)

وقال رجلٌ يهجو هلالَ بنَ عبد الملك الْهُنَائيَّ[٤] :

ألا مَن يَشْترى منِّى هِلالًا مَوَدَّتَه وخُلَّتَه بفَلْسِ

وأَبرأُ للذى يبتاعُ مِنِّى هلالًا مِن خصالٍ فيه خَمْسِ[٦]

فمنهنَّ النغانِغُ والمكاوِى وآثارُ الجروحِ وأَكْلُ ضِرْسِ[٧]

ومن أخْذِ الذباب بإصبعَيهِ وإن كانَ الذُّبابُ بِرأسِ جَعْسِ[٨]

---

(١) ل : « أضحى » . والرسن ، بالتحريك : الزمام للدابة يوضع على الأنف .

(٢) س : « خلع عناق » ، وهو تحريف صوابه فى ل ، ط . والقارح : الذى انتهت أسنانه ، وإنما تنتهى فى خمس سنين . والحصن : جمع حصان . ط ، س : « الرش » تحريف .

(٣) ط ، س : « لابن الحسن » ، وهما وجهان جائزان فى العربية . جاء فى المخصص (٧١ : ٤٦) فى الكلام على إدخال (أل) ونزعها من الأعلام التى كانت فى أصلها صفات : « والعرب قد تفعل هذا ؛ لأنهم ربما قالوا : العباس وعباس ، والحسن وحسن » .

(٤) الهنائى : نسبة إلى هناءة ، كثمامة ، وهى قبيلة يمنية . انظر المعارف ٤٩ . ط ، س : « الهنافى » ، ل : « الهنأى » ، ووجهه ما كتبت .

(٥) ل : « وخلطته » .

(٦) ل : « ويشترط الذى » ، تحريف .

(٧) النغانغ : جمع نغنغ ، كبرقع ، وهو لحمة فى الحلق . أراد أنه يمرض بها أبداً . والمكاوى : جمع مكواة ، التى يعالج بها الجروح ونحوها . ل : « والمكادى » ولا تصح . و : « آثار » بدلها فى ل : « آلات » . وأكل الضرس : أراد به فساده .

(٨) الجعس ، بالفتح : الرجيع . ل : « ولو كان » .

(قولٌ فى آية)

قالوا : وضرب الله عزَّ وجلَّ لضعف النَّاس وعجْزهم مثلاً ، فقال : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَه وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْه ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ فقال بَعْضُ النَّاس : قَدْ سَوَّى بين الذِّبَّان والنَّاس فى العجز . وقالوا : فقدْ يولِّد النَّاس من التَّعفين الفَراشَ [وغيرَ الفَراش[1]] وهذا خلقٌ ، على قوله : ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ ، وعلى قوله : ﴿أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ ، وعلى قول الشاعر[2] :

وأَرَاكَ تَفْرِى مَا خَلَقْتَ وبَعْـ ... ـضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لا يَفْرِى[3]

قيل لهم : إنما أراد الاختراع ، ولم يرد التَّقدير[4] .

---

(١) الزيادة من ل ، س .

(٢) هو زهير ، من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان . فى ديوانه ص ٦٠ – ٦٤ .

(٣) تفرى : تقطع . خلقت : قدرت وهيأت . يقول : إذا تهيأت لأمر أمضيته وأنفذته .

(٤) أى إن المراد من الخلق فى الآية الأولى هو الاختراع لا التقدير . وأما فى الآيتين بعدها والشعر فالمراد التقدير ، لا الاختراع والابتداع .

(قولٌ فى شعر)

وأمّا قول ابن ميّادة :

ألا لانُبالى أنْ تُخندِفَ خِندِفٌ ولسْنا نُبالِى أن يَطِنّ ذُبابها[1]

فإنّما جعل الذُّباب هاهنا مثلا ، وقد وضعَه[2] فى [غير] موضع تحقير [له] و [موضع] تصغير . وهو مثل قوله :

بنى أسَدٍ كونُوا لمن قد علمتم مَوَالِىَ ذلّتْ للهوَانِ رِقابُها[3]

فلو حاربتْنا الجنُّ لم نرفع العَصَا عن الجنّ حتّى لاتَهِرَّ كلابُها[4]

وليس يريد [تحقير[5]] الكلاب .

(استطراد لغوى)

ويقال : هو ذباب العين ، وذباب السّيف . ويقال تلك أرضٌ مَذَبَّة ، أىْ كثيرة الذُّباب .

---

(١) تخندف : تمشى مشية كالهرولة ، ومن ذلك ما سميت القبيلة خندفا . ل : « تخندق » س : « تجيد » ، والوجه ما فى ط . وفى س : « تطن ذبابها » ، والذباب يذكر ويؤنث ؛ إذ كل جمع يكون بينه وبين واحده الهاء فإنه يذكر ويؤنث .

(٢) ط ، س : « وصفه » ، وصوابه فى ل .

(٣) ل : « كن » ، ويتجه بها المعنى أيضاً .

(٤) ط ، س : « ولو » ط : « القنا » وهو جمع قناة .

(٥) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إلى مثلها .

وقال أبو الشَّمقْمَق فى هِجائه لبعض من ابتُلى به :

أسَمج النَّاسِ جميعاً كلِّهم كذُبَابٍ ساقطٍ فى مَرَقَهْ

[ويقال إن اللبن إذا ضرب بالكندس[١] ونضح به بيت لم يَدْخله ذبَّان] .

(أبو حكيم وثمامة بن أشرس)

وسمعت أبا حكيم الكيمائى[٢] وهو يقول لثمامة بنِ أشرس : قلنا لكم إنَّنا ندلكم على الإكسير[٣] ، فاستثقلتم الغُرْم ، وأردتم الغُنم بلا غُرم . وقلنا لكم : دَعُونا نصنع هذه الجسور [صنعةً لاتنتقض أبداً ، فأبيتم . وقُلنا لكم : ماترجُون من هذه المسنَّيات[٤]] التى تهدمها المُدود[٥] ، وتخرِّبها المرادىّ[٦] ؟ ! نحنُ نعمَل لكم مسنَّياتٍ[٧] بنِصف هذه المئُونة ، فتبقى لكم

---

(١) الكندس ، كقنفذ : عروق نبات داخله أصفر وخارجه أسود .

(٢) ط : « الكيماوى » . س : « الكيمائى » .

(٣) فى مفاتيح العلوم ١٥٠ : « ملح الإكسير : هو الدواء الذى إذا طبخ به الجسد المذاب جعله ذهبا أو فضة ، أو غيره إلى البياض أو الصفرة » .

(٤) المسنيات : الأحباس تبنى فى الأودية .

(٥) المدود : جمع مدّ ، بالفتح ، وهو السيل أو كثرة الماء .

(٦) المرادى : جمع مردى ، كشرطى ، وهو خشبة تدفع بها السفينة . ويسميها عوام مصر « المدرى » بكسر الميم والقصر . ط ، ل : « المدارى » وصوابه فى س .

(٧) المسنيات قد فسرت . ط : « مسببات » س : « مسنات » وصوابه فى ل .

أبداً . ثمَّ قولوا للمُدود أن تجتهد جهدَها ، وللمَرَادِيِّ[1] أنْ تبلغ غايتها [فأبيتم] . وقولوا لى :[2] الذُّباب ماتَرجُون منها[3] ؟ و [ما] تشتهون من البَعُوض ؟ وما رغبَتُـكُمْ فى الجرجِس[4] ؟ لم لاتَدَعُونى أخرجُها من بيوتـكم بالمئُونَة اليسيرة ؟ وهو يقول هذا القولَ وأصحابُنا يضحكون ، وابن ١٢٠ سافرى جالسٌ يسْمع[5] ، فلما نزلنا أخذ بيده ومضى به إلى منزله ، فغدَّاه وكساه وسَقاه ، ثمَّ قال له : أحببتُ[6] أنْ تخرج البَعُوضَ من دارى . فأمَّا[7] الذُّباب فإنى أحتمله . قال : ولم تحتمل الأذى وقد أتاك اللهُ بالفَرج[8] ؟ قال : فافعلْ . قال : لابدَّ لى من أن أخلط أدوية [وأشترى أدوية]. قال : فـكم تريدَ ؟ قال : [أُريد] شيئاً يسيراً . قال : وكم ذاك[9] ؟ قال : خمسون ديناراً[10] . قال : ويحك ! خمسون يقال لها يسير[11] ؟ ! قال:

---

(١) المرادى سبق تفسيرها فى ٣٨٥ . ط ، ل : « للمدارى » وصوابه فى س .

(٢) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « إلى » .

(٣) ط ، س : « منه » .

(٤) الجرجس : لغة فى القرقس ، وهو البعوض الصغار . ط ، س : « رغبكم » .

(٥) ابن سافرى ، هو كذلك فى ل والبخلاء ١٧٦ . وفى ط ، س : « ابن مسافر » . وفيهما أيضاً : « يستمع » .

(٦) ل : « أحب » .

(٧) ط فقط : « وأما » .

(٨) كذا فى ل . وفى ط ، س : « قد جاءك الله بالفرج » .

(٩) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فكم مبلغه » .

(١٠) ط ، س : « أريد خمسين ديناراً » .

(١١) ل : « وخمسون يسير » .

أنت ليسَ[1] تشتهي الرَّاحـة من قذَر الذِّبَّان ولسع البعوض ! ثمَّ لبس نعليه[2] وقام على رجليه . فقال له : اقعد . قال : إن قعدْتُ قبل أن آخذَها ثمَّ اشتريت دواءً بمائة دينار لم تنتفعْ به[3] ؛ فإنِّى لست أدَخِّنُ هـذه الدُّخْنة[4] ، إلاَّ للذين إذا أمرتَهم بإخراجهنَّ أخرَجُوهن . ولا أكتمكَ ما أُريدُ ؛ إنِّى لست أقصد إلاَّ إلى العُمَّار[5] . فما هو إلاَّ أنْ سمع بِذكر العُمَّار[6] حتى ذهب[7] عقله ، ودعا له بالكيس [وذهب][8] ليزن الدَّنانير ، فقال له : لا تشقَّ على نفسك ! هاتها بلا وزنٍ عددًا[9] ، وإنَّما خاف أن تحدث حادثَةٌ ، أو يقع شغل ، فتفوت . فعدَّها وهو زَمِعٌ[10] فغلط بعشرة دنانير ، فلما انصرف وزنها وعدَّها فوَجَدَ دَنانيرَه[11] تنقص ، فبكَرَ عليه يقتضيه الفَضْل[12] ، فضحك أبوحكيم حتَّى كاد يموت ، ثُمَّ قال :

---

(١) كذا فى ل ، س . وفى ط : « لست » .

(٢) ل : « خفه » .

(٣) ط ، ل : « تنفع » .

(٤) ط : « أدخل » ل : « الدخن » .

(٥) العمار : سكان البيوت من الجن فيما يزعمون . ط ، س : « القمار » وتصحيحه من ل .

(٦) ط ، س : « فما هو إلا صلك سمعه بذكر القمار » ، وفيه تحريف .

(٧) ط ، س : « فذهب » .

(٨) هذه من س .

(٩) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « وعدد » .

(١٠) زمع : دهش . ل : « فيعدها وهو زيغ »، تحريف .

(١١) ط : « فوجدنا دنانير »، محرف .

(١٢) بكر عليه ، جاء إليه بكرة فى أول النهار . ط ، س : « فكتب إليه »، محرف والفضل : الفرق .

تسألنى عن الفرع وقد استُهلكَ الأصل ؟ ! [ولم يزل] يختلفُ إليه ويدافعُه حتَّى قال له ثمامة : ويلك أمجنونٌ[1] أنت ؟ ! قد ذهب المالُ والسُّخرِيَةَ مستورة . فإن نافرْتَه فضَحْتَ نفسَك ، وربِحتَ عداوة شيطانٍ هُوَ واللهِ أضَرُّ عليكَ من عُمَّارِ بيتِك ، الذين ليسَ يخرجون عنك[2] الذبابَ والبعوضَ بلا كُلفة ، مع حقِّ الجوار . قال : هم سكَّانى وجيرانى . قالوا : لو كان سمع منك أبو حكيم هذه الكلمة لكانت الخمسون دينارًا مائَةَ دينار ! !

(شعر فى أصوات الذُّباب وغنائها)

ومما قيل فى أصوات الذباب[3] وغِنائها ، قال المثقِّب العبدىُّ[4] :

وتسمَعُ للذِّبابِ إذا تغنَّى كتَغربد الحمامِ على الغُصونِ

وقال آخر :

حُوٌّ مَسارِبُهُ تَغَنَّى فى غَياطِله ذبابُه[5]

---

(١) ط ، س : « ويلك يامجنون » .

(٢) ط : « ليسوا يخرجون عنه » .

(٣) س : « الذبان » .

(٤) المثقب العبدى : شاعر جاهلى من شعراء البحرين ، مسكن قبيلة عبد القيس . واسمه محصن ، بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الصاد المهملة . وأبوه ثعلبة ابن وائلة بن عدى . والمثقب : اسم فاعل من ثقب ، سمى بذلك لقوله :

رددن تحية وكنن أخرى وثقبن الوصاوص للعيون

خزانة البغدادى (٤ : ٤٣١ بولاق) ومعجم المرزبانى ٣٠٣ والشعراء ٨٨ .

(٥) حو : جمع أحوى ، وهو الضارب إلى السواد لشدة خضرته . والمسارب : المراعى والغيطل : الشجر الملتف .

وقال أبو النجم :

أُنفٌ ترى ذُبَابها تعَلّه[١] من زَهَرِ الرَّوْضِ الذى يكَلِّلُهْ[٢]

وقال أيضاً :

[والشيخ تهديه إلى طحمائه][٣] فالرَّوضُ قد نوَّر فى عَزَّائه[٤]

مختلفَ الألوان فى أسمائِه[٥] نَوْرًا تخال الشَّمْسَ فى حمرائِه[٦]

مكلَّلاً بالوردِ من صفرائِه يجاوب المكَّاءَ من مُكَّائِه[٧]

صوتُ ذُبابِ العُشْبِ فى دَرْمائِه[٨] يَدْعُو كأنَّ العَقْبَ مِنْ دُعائه[٩]

صوتُ مُغَنٍّ مَدَّ فى غِنائه

١٢١

وقال الشمَّاخ :

يكلفها ألاَّ تخفِّضَ صَوْتَهاَ أهازيجُ ذِبَّانٍ عَلَى عُودِ عَوْسَجِ[١٠]

بعيدُ مَدَى التَّطريبِ أوَّلُ صَوْتِه سَحِيلٌ وأعلاهُ نَشِيجُ الحشْرَجِ[١١]

(١) أنف : أى روضة أنف بضمتين ، وهى التى لم يرعها أحد . وأسكن النون للشعر . ط : « أتعترى » وصوابه فى ل ، س ، واللسان (أنف) . وتعلله : من علله بالطعام : شغله به . وضمير « ذبابها » عائد إلى الروضة الأنف . ط ، س: « ذبابة » محرفة . وفى اللسان: « ذبانها » .

(٢) يكلله : يحفه من كل جانب . ل : « من زهر النور » ، تحريف .

(٣) فى هذه الزيادة تحريف .

(٤) العزاء : الأرض التى لبدها المطر فشددها . انظر اللسان . ط : « عزائه » وتصحيحه من س . ل : « حوائه » .

(٥) ل : « من أسمائه » .

(٦) أى تخال أنت الشمس فى أزهاره الحمراء ، فلونهما واحد . ل : « تحار الشمس » .

(٧) المكاء بضم الميم والتشديد : ضرب من القنابر له صفير حسن .

(٨) الدرماء : نبت ليس بشجر ولا عشب ، ينبت على هيئة الكبد .

(٩) العقب ، بالفتح : بمعنى التوالى والملاحقة . ط ، س : « كنى العقب من بكائه » ، صوابه من ل .

(١٠) أهازيج : جمع أهزوجة ، وهو هنا صوت طيران الذباب . ط : « أهاريج » بالراء وصوابه فى س . والبيتان ساقطان من ل . ولم أجد هذا البيت فى ديوان الشماخ ، وبدله فى صفة امرأة :

منعمة لم تلق بؤس معيشة ولم تغتزل يوماً على عود عوسج

(١١) مدى التطريب : غاية ترجيع الصوت . والسحيل : أشد نهاق الحمار . ط : =

(المغنِّيات من الحيوان)

والأجناس التى توصف بالغِناء أجناسُ الحمام والبعوض ، وأصناف الذِّبَّان من الدَّبْر ، والنَّحلِ ، والشَّعْراء ، والقَمَع[1] والنُّعَر[2] . وليس لذِبَّان الكلب غِناء ، ولا لما يخْرُجُ من الباقلاء . قال الشاعر :

تذبّ عنهــا بأثيثٍ ذائِلِ ذِبّان شَعْرَاءَ وَصيفٍ ماذِلِ[3]

(ألوان الذِّبّان)

وذِبّان الشَّعْرَاء حُمر . قال : والذِّبّان التى تُهْلِكُ الإبلَ زُرق .

قال الشاعرُ[4] :

تربَّعَتْ والدَّهرُ ذو تصفُّق[5] حَاليــةً بذى سَبَبٍ مونِقِ[6]

إلاّ منَ أصواتِ الذّبّاب الأزرق[7] أو من نقانق الفَلا المنقْنق[8]

= « سيحل » س : « سجل » وصوابه فى الديوان ١٤ . والنشيج : الصوت يتردد فى الصدر . والحشرج : الذى يغرغر عند الموت . والبيت فى صفة حمار .

(١) القمع بالتحريك : ذباب يركب الإبل والظباء إذا اشتد الحر .

(٢) النعر : ذباب أزرق يلسع الدواب . س : « النعر » ل : « النغر » وهما تصحيف ماف ط .

(٣) الأثيث : الكثير الشعر . والذائل : الطويل . وقد عنى به : الذيل . وانظر ص ٣١٤.

(٤) الأولى أن يقول : الراجز . والكلام من « قال الشاعر » إلى نهاية الرجز ساقط من ل .

(٥) تربعت : يعنى الإبل أكلت الربيع . والتصفق : التقلب والتحول .

(٦) حالية : مزينة ، أراد روضة . والسبيب واحدته سبيبة ، وهى العضاه تكثر فى المكان . أو أراد بالسبيب : ذوائب الأشجار . والمونق : المعجب .

(٧) ط : « الأزق » ، تطبيع صوابه فى س .

(٨) « نقانق » بدلها فى س : « تفانع » . وأحسبهما محرفتين .

والذِّبَّان الذى يسقط على الدواب صُفر[1] .

وقال أرطاة بن سُهَيَّة ، لزُميل بن أمّ دينار[2] :

أزميل إنّى إن أكنْ لك جازيا أعكِرْ عليكَ وإن ترُحْ لاتسْبِقِ[3]

إنّى امروٌ تجد الرِّجال عدَاوتى وجْدَ الرِّكاب من الذُّبابِ الأزْرق

وإذا مرَّ بك الشِّعر الذى يصلح للمثل وللحفظ[4] ، فلاَ تَنْسَ حظَّكَ من حِفظه .

وقال المتلمِّس :

فهذا أوَانُ العِرْض حَىَّ ذُبَابُهُ زنابيرُه والأزرَقُ المتلمِّسُ[5]

وبه سمِّى المتلمِّس .

---

(١) ط : « أصفر » .

(٢) زميل بن أم دينار : أحد بنى مازن بن فزارة ، أحد بنى عبد مناف . وأبوه أبير بالتصغير ، أو وبير ، أو دبير ، وهو قاتل ابن دارة فى خلافة عثمان ، وهو من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام . المؤتلف والمختلف ١٢٩ ، والإصابة ٣٩٧٣ ، والخزانة ٢ : ١٢٨ سلفية . ط ، س : « بن أم زبير » ، وصوابه فى ل ، والخزانة . وأرطاة بن سهية : هو ابن زفر بن عبد الله الغطفانى المزنى ، شاعر مشهور . وسهية أمه . أدرك الجاهلية ، وعاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان . وكان يكنى أبا الوليد ، وهى أيضاً كنية عبد الملك . فقال من شعر :

وما تبغى المنية حين تأتى على نفس ابن آدم من مزيد

وأعلم أنها ستكر حتى توفى نذرها بأبى الوليد

فارتاع عبد الملك وظن أنه أراده . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما عنيت نفسى فسكت . ونسب فى الحماسة ١ : ١٤٩ إلى سالم بن دارة .

(٣) ل : « يازمل » ى : « جازيا » بدلها فى ل : « حاديا » ، وهذه الأخيرة لاتصح وأعكر عليك : أغلبك أو أكر عليك . و « ترح » هى فى ط : « تزع » .

(٤) ل : « يصلح لمكانه ، ولأن تحفظه » .

(٥) بهذا البيت سمى المتلمس . وهو شاعر جاهلى اسمه جرير بن عبد المسيح الضبعى كما فى الشعراء . والعرض – بالكسر – : كل واد فيه شجر . وحى ذبابه : من الحياة والمراد هنا الانتعاش ، ويروى : « جن ذبابه » وجنونه : كثرة طنينه . ط : « ذبابة » صوابه فى ل ، س . س : « حتى » وهى تحريف .

وقال ابن ميّادة :

بعَنْتَريسٍ كأنّ الدَّبْرَ يلسَعُها إذا تغــرَّدَ حادٍ خلفَها طَرِدُ[1]

(ما يسمَّى بالذِّبّان)

والدَّليل على أنَّ أجناسَ النَّحْل والدَّبْر كلّها ذِبَّان ، ما حدث [بِه] عبَّاد بن صُهيب ، وإسماعيل المكّىّ[2] عن الأعمش ، عن عطيَّة بن سعيد العَوْفى[3] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كلُّ ذُبابٍ فى النارِ إلاَّ النَّحلة » .

وقال سليمان : سمعت مجاهدًا يكرهُ قتل النَّحل وإحراقَ العِظام . يعنى فى الغزو .

وحدثنا عَنْبسة قال : حدّثنا حنْظلة السّدُوسىُّ قال : أنبأنا[4] أنسُ ابن مالك ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : « عمر الذّبابِ أربعون يوما . والذُّبَاب فى النار » .

---

(١) العنتريس : الناقة الصلبة القوية الجريئة . وانظر الأغانى ٢ : ١٠٢ .

(٢) ل : « عن إسماعيل المكى » .

(٣) ل : « العوفى » وصوابه فى ط ، س كما فى تقريب التهذيب . قال ابن حجر : عطية بن سعد بن جنادة – بضم الجيم بعدها نون خفيفة – العوفى الجدلى – بفتح الجيم والمهملة – ، الكوفى ، أبو الحسن . صدوق يخطئ كثيراً . مات سنة إحدى عشرة يعنى بعد المائة . وترى أنه جعل أباه سعداً لاسعيدا .

(٤) ل : « حدثنا » .

(بحث كلاميّ فى عذاب الحيوان والأطفال[١])

وقد اختلف النَّاس فى تأويل قوله : « والذباب فى النار » وقال قوم : الذّباب خلقٌ خُلق للنّار ، كما خلق الله تعالى نَاساً كثيراً للنَّار ، وخلق أطفالاً للنَّار . فهؤلاء قومٌ خلعوا عُذُرَهم[٢] فصارَ أحدهم إذا قال : ذلك عَدْلٌ من الله عزَّ وجلّ ؛ فقد بلغ أقصى العذر ، ورأى أنَّه إذا أضاف إليه عذابَ الأطفال فقد مجَّده . ولو وجد سبيلاً إلى أنْ يقول إنَّ ذلك ظُلم لقاله[٣] ولو وجد سبيلاً إلى أن يزعم أنَّ الله تعالى يخبرُ عن شَىْءٍ[٤] أنَّه يكون وهو لا[٥] يكون ، ثم يقول إلاَّ[٥] أنّ ذلك صدق لقاله . إلاّ أنَّه[٦] يخاف السَّيف عند هذه ، ولا يخاف السَّيف عند تلك . وإن كانت تلكَ أعظمَ فى الفِريةِ مِن هذه .

١٢٢

وبعضهم يزعُم أنَّ الله عزَّ وجلَّ إنَّمَا عذَّبَ أطفالَ المشركين ليغمَّ بهم آباءهم[٧] . ثمَّ قال المتعاقِلون منهم : بل عذَّبهم لأنّه هكذا شاء ، ولأنَّ هذا له . فليت شعرى [أ] يحتسب بهذا القول فى باب التمجيد لله تعالى ؛ لأنَّ

---

(١) انظر مثل هذا البحث فى الفرق بين الفرق ١٣١ .

(٢) جمع عذار ، وهو من اللجام ماسال على خد الفرس . وخلع العذار كناية عن التشاطر كما فى الأساس .

(٣) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٤) ط : « الشىء » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٦) بدلهما فى ل : « ولكن » .

(٧) كلمة : « بهم » ساقطة من ل . و « آباءهم » رسمت فى ط ، س : « آبائهم » خطأ .

كل من فعل ما يقدر عليه فهو محمود ، وكل من لم يخف سوط أمير فأتى[1] قبيحاً فالذى يحسن[2] ذلك القبيحَ أنّ صاحبَه كان فى [موضع][3] أمن ، أو لأنّه آمنٌ يمتنع[4] من مطالبة السلطان . فكيف وكون الكذب والظُّلم والعبث واللهو والبُخْل[5] كلّه محال ممّن لا يحتاج إليه ، ولا تدعوه[6] إليه الدواعى ! !

وزعم أبو إسحاقَ أنّ الطّاعاتِ إذا استوَتْ استوى أهلُها فى الثّواب ، وأنّ المعاصىَ إذا استوتْ استوى أهلُها فى العقاب . وإذا لم يكن منهم طاعةٌ ولا معصية استوَوْا فى التفضُّل[7] .

وزعم أنّ أجناس الحيوان [وكلّ شىء] يحسُّ ويألم ، فى التفضُّل[7] سواء .

وزعم أنّ أَطفالَ المشركين والمسلمينَ كلَّهم فى الجنّة . وزعم أنّه ليس بينَ الأطفالِ ولا بينَ البهائم والمجانين فرق ، ولا بين السِّباع فى ذلك وبين البهائم فرق .

---

(١) ط : « أتى » تحريف .

(٢) ط : « يحس » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٣) من ل ، س :

(٤) ل : « أم لأنه يمتنع » و « أم » تحريف .

(٥) ط ، س : « والضحك » .

(٦) ط ، س : « تدعو » .

(٧) أى تفضل الخالق بالثواب . ط ، س : « بالتفضيل » محرف .

وكان يقول : إنّ هذه الأبدان السبُعيّة والبهيمية لا تدخل الجنّة ، ولكنّ الله عزّ وجلّ ينقُل تلك الأرواحَ خالصةً من تلك الآفات ؛ فيركّبها فى أىّ الصُّور أَحَبَّ[١] .

وكان أبو كلدة[٢] ، ومَعْمَر ، وأبو الهُذَيل ، وصحصح[٣] ، يكرهون هذا الجواب ، ويقولون : سواءٌ عند خواصِّنا[٤] وعوامِّنا ، أقلنا : إنَّ أرواحَ كلابنا تصيرُ إلى الجنّة ، أم قلنا : إنَ كلابَنا تدخل الجنّة[٥] . ومتى مااتّصل كلامُنا بذكر الكلب على أىِّ وجهٍ كان ؛ فكأنّا عِنْدَهم قد زعمنا أنّ الجَنّـة فيها كلاب . ولكنّا نزعم أنّ جميع ما خلَقَ الله تَعالى مِنَ السِّباع والبهائم والحشَرات والهمج [فهو] قبيح المنظرة مؤلم، أو حسن المَنظرةِ[٦] مُلِذّ؛ فما كان كالخيل والظباء، والطواويس ، والتّدارِج[٧] فإنَّ تلك [فى] الجنّة ، ويَلَذُّ[٨] أولياءُ الله عَزَّ وجلَّ بمَناظرها . وما كان منها قَبِيحاً فِى الدُّنيا مؤلِمَ النظَر

---

(١) ط ، س : « الصور الحسان أحب » . وكلمة « الحسان » مقحمة .

(٢) أبو كلدة : سبق له حديث فى الجزء الأول ص ٢٣٤ .

(٣) كان صحصح ذا مذهب غريب فى « تفضيل النسيان على كثير من الذكر ، وأن الغباء فى الجملة أنفع من الفطنة ، وأن عيش البهائم أحسن موقعاً فى النفوس من عيش العقلاء » . وتجد حجته لذلك فى البخلاء ص ٥ .

(٤) ل : « خصومنا » .

(٥) ط ، س : « تدخل » بدل : « تصير إلى » . والكلام من « أم » ساقط من س : وبدلها فى ط : « أو » ، والوجه « أم » كما فى ل .

(٦) المنظرة : المنظر ، وبهذه الأخيرة جاءت فى ط ، س .

(٧) التدارج : جمع تدرج ، وهو ضرب من الطير . ط ، س : « التداريج » .

(٨) ط ، س « وتلك » وصوابه فى ل .

جعله الله عذاباً إلى عذاب أعدائه فى النّار . فإذا[١] جاء فى الأثر : أنّ الذّباب فى النّار ، وغير ذلك من الخلق ، فإنّما يراد به هذا المعنى .

١٢٣ وذهب بعضهم إلى أنها تكون فى النّـار ، وتلَذُّ ذلك[٢] ، كما أنّ خَزَنَةَ جهنّمَ والذين يتولَّون من الملائكة التّعذيبَ ، يلذُّون موضعَهم من النار .

وذهب بعضهم إلى أنّ الله تعالى يطبَعهُم على استلذاذ النّار والعيشِ فيها ، كما طبع ديدان[٣] الثّلج والخلِّ على العيش فى أماكنها .

وذهب آخرون إلى أنّ الله عزّ وجلّ يحدث لأبدانهما علّةً لاتصل النّار إليها ، وتنعم قلوبهما وأبدانهما من وجه آخر كيف شاء[٤] . وقالوا: [و] قد وجدْنا النّاسَ يحتالون لأنفسهم فى الدُّنيا حِيلاً ، حتى يدخُل أحدُهم بَعضَ الأتاتين[٥] بذلك الطلاء ، ولا تضرُّه النار ، وهو فى معظمِها ، وموضع الجاحم[٦] منها . ففَضْلُ ما بينَ قدرةِ الله وقُدرة عباده أكثر من فضل ما بينَ حَرّ نار الدُّنيا والآخرة[٧] .

---

(١) ل ، ط : « إذ » ، ووجهه من س .

(٢) ط ، س : « تلذ بذلك » وأثبت ما فى ل . وهما صحيحتان . قال الزبير بن العوام يرقص ابنه عروة (البيان ١ : ١٨٠) :

أبيض من آل أبى عتيق مبارك من ولد الصديق
ألذه كما ألذ ريقى

(٣) ط : « حيوان » ، وصوابه : فى ل ، س . وديدان الخل سبق الكلام عليها فى ٢ : ١١١ .

(٤) ط ، س : « كما شاء » . وجاءت الضمائر فى ط ، س للعاقل ، أى « لأبدانهم » و « قلوبهم وأبدانهم » وصوابه فى ل .

(٥) الأتاتين : جمع أتون ، كتنور ، وهو : أخدود الخباز والجصاص ونحوه . ط ، س « الناس » وصوابه فى ل .

(٦) الجاحم : التوقد والالتهاب . ط ، س : « الجماجم » وتصحيحه من ل

(٧) كذا فى ل . والفضل : الزيادة . ط ، س : « كفضل مابين قوة حر نار الدنيا والآخرة » .

وَذهب بعضهم إلى أنَّ سبيلها[١] فيها كسبيل نار إبراهيم ؛ فإنّه لما قُذِف فيها بَعَثَ الله عزَّ وجلَّ مَلَكًا يقال له [ملك] الظلّ ، فكان يحدّثه ويُؤْنسه ؛ فلم تصل النار إلى أذاه ، مع قرْبِه من طباع ذلك الملَك .

وكيفَمَا دار الأمرُ[٢] فى هذه الجوَابات ؛ فإن أخسَّها وأشنَعَها أحسَنُ مِن قَولِ مَنْ زَعمَ أنّ الله تَعالى يُعَذِّب بنار جهنّمَ من لم يسخطه ولا يَعقِلُ كيف يكون السخط . ومن العَجَب أنَّ بَعضهُمْ يزعمُ أن الله تعالى إنما عذّبه ليغمَّ أباهُ[٣] . وإنما يفعل ذلك من لا يقدر على أن يُوصِلَ إليهم ضعف الاغتمام ، وضعفَ الألم[٤] الذى ينالهم بسبب أبنائهم . فأمّا مَن يقدِرُ على إيصال ذلك المقدارِ إلى من يستحقّه ، فكيف يوصله ويصرفه إلى من لا يستحقّه ؟ ! وكيف يصرفُه عمَّن أسخطه إلى من لم يُسْخِطه[٥] ؟ ! [هذا] وقَد سمعوا قولَ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يَوَدُّ الْمجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ . وَمَنْ فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ . كلاَّ إنّها لظَى . نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ﴾ . وكيف يقولُ هــذا القَوْلَ مَنْ يتلو القرآن ؟ !

ثمَّ رجع بنا القولُ إلى الذبّانِ وأصنافِ الذّبّان .

---

(١) ط ، س : « سبيلهم » ، وصوابه فى ل .

(٢) ط ، س : « وكيف دار الأمر » .

(٣) ط : « آباءه » ، وصوابه فى ل ، س .

(٤) ل : « ضعف اغتمامهم والألم » .

(٥) ط : « إلى من لا يستخطه دون من أسخطه » س : « إلى من استحقه » ، وهما تحريف ما أثبت من ل .

(جهل الذِّبّان وما قيل فيها من الشعر)

والذِّبّان أجهلُ الخلق ، لأنّها تَغْشَى النّارَ من ذات أنفُسِها حتّى تحترق.

وقال الشاعر :

خَتَمْتَ الْفُؤَادَ عَلَى حُبِّهــا ... كذَاكَ الصَّحيفةُ بالخاتَمِ [1]

هــوتْ بى إلى حبها نظرةٌ ... هُوِىَّ الْفَرَاشَــةِ للجــاحمِ

وقال آخر :

كأنَّ مَشــافِرَ النَّجَدَاتِ منها ... إذا مامسَّها قَمَــعُ الذُّبابِ [2]

بأيدى مأْتمٍ متســـاعداتٍ ... نعال السبت أو عَذَبَ الثِّياب [3]

(نقد بيت من الشعر) ١٢٤

وقال بعض الشعراء [4] ، يهجو حارثَة بنَ بدرٍ الغُدَانىَّ :

زعمَتْ غُدَانَةُ أنَّ فيها سيِّدًا ... ضخمًا يُوَارِيهِ جَنَاحُ الجُنْدُبِ [5]

---

(١) كذا فى ط ، س : وثمار القلوب ٣٩٩ . وفى ل : « على حبها كختم » . وكانوا يختمون الرسائل بالخاتم على طين خاص ، يسمى طين الختم .

(٢) النجدات : جمع نجدة ، وهى الناقة تكون نجدة على صاحبها . والقمع : ذباب الإبل .

(٣) المأتم : جماعة النسوة فى الحزن . ط : « بأيده متاتم » صوابه فى ل ، س . والعذاب : جمع عذبة ، وهى خرقة النائحة . ط ، س : « عرب » محرف . أما « نعال السبت » فلم أجد لها علاقة بالكلام . وماذا عسى تفعل النوائح بنعال السبت ؟ ل : « فعال السبت » !

(٤) هو الأبيرد الرياحى ، كما فى الأغانى (١٢ : ١٠) . وانظر (٦ : ٣٥١) .

(٥) غدانة بالضم : قبيلة . يواريه : يستره . ط ، س : « يوازنه » ، أى يماثله ويساويه . وأثبت ما فى ل وثمار القلوب ٣٢٥ .

وزعم ناسٌ أنّه قال :

يُروِيهِ ما يُرْوِى الذُّبابَ فينتَشى سُكْراً ، وتُشْبِعُه كُراعُ الأرنب[1]

قالوا : لايجوز أنْ يقول : « يرويه مايروى الذباب » و « يواريه جَناحُ الجندب[2] » ثم يقول : « ويشبعه كراع الأرنَب » :

وإنما[3] ذكر كُراعَ الأرنب ؛ لأنّ يد الأرنب قصيرة ، ولذلك تسرع [فى] الصُّعود ، ولا يلحقها مِن الكلاب إلّا كلٌّ قصير اليد[4] . وذلك محمودٌ من الكلب . والفرس تُوصَف[5] بقصر الذِّراع .

(قصة فى الهرب من الذّباب)

وحدّثنى الحسنُ بن إبراهيم العلوىُّ قال : مررتُ بخالى ، وإذا هو وحده يضْحك ، فأنكرتُ ضحكه ؛ لأنّى رأيتُه وحده ، وأنكرته[6] ؛ لأنّه كان رجلا زمِّيتاً رَكِيناً[7] ، قليلَ الضَحِك . فسألته عن ذلك فقال : أتانى فلانُ

---

(١) ط ، س : « ويشبعه كراع الجندب » . والكراع بالضم : قائمة الدابة . وتجمع على أكرع ثم على أكارع . وهى مؤنثة يصح فى فعلها التذكير والتأنيث . لكن كلمة « الجندب » تحريف صوابه من ل والثمار ومن سياق الكلام .

(٢) الجندب : ضرب من الجراد . ط ، س : « يوازنه جناح الجندب » .

(٣) قبل هذا فى ط ، س : زيادة لا حاجة إليها ، وهو : « وأما سماعى فهو الرواية الأولى :

يرويه ما يروى الذباب فينتشى سكراً وتشبعه كراع الأرنب »

(٤) ل : « اليدين » .

(٥) ط ، س : « يوصف » .

(٦) ط س : « فأنكرته » .

(٧) الزميت : العظيم الوقار . والركين : الرزين . ل : « سكيتا » .

يعنى شيخاً مدينيًّا[١] — وهو مذعورٌ فقلت له : ما وراءك ؟ فقال : أنَا واللهِ هاربٌ من بيتى ! قلت ولِمَ ؟ قال : فى بيتى ذبابٌ أزرق ، كلما دخلتُ ثَارَ[٢] فى وجهى ، وطار حولى وطنَّ عند[٣] أذنى ، فإذا وجد منِّى غفلةً لم يُخطِئْ مُوقَ عينى . هذا واللهِ دأبُه ودأبى دهراً معه[٤] . قلت له : إنّ شبه الذباب بالذباب كشبه الغراب بالغُراب ؛ فلعلَّ الذى آذاك اليومَ أن يكونَ غيرَ الذى آذاك أمسِ ، ولعلَّ الذى آذاك أمسِ غيرُ الذى آذاك أوَّل [من[٥]] أمسِ ، فقال : أعتِقُ ما أملك إن لَمْ أكن أعرفه [بعينه] منذُ خمس عَشرة سنة[٦] . فهذا هو الذى أضحكنى !

(قصة فى سفاد الذباب)

وقال الخليلُ بن يحيى : قد رأيت الخنزيرَ يركَبُ الخنزيرةَ عامَّة نهارِه. ورأيتُ الجمل يركبُ النّاقة ساعةً من نهاره[٧] . وكنت قبل ذلك أغبِط

---

(١) ل : « مدنيا » وانظر ما أسلفت من التحقيق فى (٢ ، ٢٩٢) .

(٢) ط : « دار » وهو تحريف .

(٣) ط : « على » .

(٤) ل : « منذ دهر » .

(٥) من ل ، س .

(٦) ل : « حجة » ، وهى بالكسر : السنة .

(٧) ل : « من نهار » .

العصفور والعصم[١] — فإنَّ الذَّكرَ وإنْ كان سريعَ النُّزولِ عن ظهر الأنثى فإنَّه لِسُرعةِ العودة ، ولكثْرةِ العدد، كأنَّه فى معنى الخنزير والجمل — حتَّى رأيتُ الذُّبابَ وفطِنتُ له، فإذا هو يركب الذُّبابَةَ عامَّة نهاره . فقال له محمد ابن عمر البكراوى[٢] : ليس ذلك هو السِّفاد[٣] . قال : أمَّا الذى رأت العينانِ فهذا حكمُه . فإنْ كنتَ تريدُ أنْ تطِيب نفْسُك بإنكار ما تعرفُ ممّا قسَم الله عزّ وجلّ بين خلْقه ، من فضول اللَّذَّة[٤] ، فدونك .

(سفاد الورل)

ويزعمون أن للوَرل فى ذلك ما ليس عند غيره .

---

(١) كذا فى ط ، س . ولم أجد « العصم » مفرداً أو جمعا ، فيما لدى من مراجع الحيوان ، ووجدت « المصع » كصرد وقفل جمعا . ل : « مصعة » كهمزة وغرفة . وهو طائر أخضر، كما فى القاموس . وانظر المخصص (٨ : ١٤٣) . وفى ل : « الصعو والخنزير » ، وكلمة : « الخنزير » خطأ . وأما الصعو فهو ضرب من صغار العصافير .

(٢) البكراوى : نسبة إلى بكرا باذ . وانظر ما سبق فى ٣٤ . قال الإصطخرى : « جرجان قطعتان : إحداهما المدينة، والأخرى بكرا باذ، وبينهما نهر يجرى يحتمل أن تجرى فيه السفن». كذا فى معجم البلدان . قال ياقوت : « ينسب إليه البكراوى والبكرا باذى ». ل : « محمد ابن عمرو النكراوى » . وفى النسبة تصحيف كما رأيت .

(٣) ل : « لعل ذلك ليس هو السفاد » .

(٤) ط : « فضل الله » س « فضول الله » وأثبت ما فى ل .

(٥) الورل : دابة على خلقة الضب ، لكنه أعظم منه ، وهو من أكثر الحيوان سفاداً ط ، س : « الولى » وصوابه فى ل .

١٢٥ (قصَّة آكل الذِّبَّان)

وأنشدَ ابن داحة فى مجلس أبى عَبيدة ، قولَ السَّيِّد الحميرىِّ :

أترى صُهاكا وابنها وابن ابنها⁽١⁾ وأبا قحافة آكِلَ الذِّبَّان
كانوا يَرون ، وفى الأمور عجائبٌ يأتى بهنَّ تصرُّفُ الأزمانِ
أنَّ الخلافةَ فى ذؤابةِ هاشمٍ فيهم تصير وهَيْبَةَ السُّلطانِ⁽٢⁾

وكان ابن داحة رافضيًّا ، وكان أبو عبيدة خارجيًّا صُفْريا ، فقال له: مامعناه فى قوله : « آكل الذِّبَّان » ؟ فقال : لأنّه كان يذبُّ عن عطر ابن جُدْعان⁽٣⁾ . قال : ومتى احتاج العطّارون إلى المذابّ ؟ ! قال : غلطتُ إنّما كان يذبُّ عن حَيْسة ابن جَدْعَان . قال : فابن⁽٤⁾ جُدعانَ وهشامُ

---

(١) ل : « أترى صهاكا وابنها وأب ابنها » .

(٢) س : « من ذؤابة » . ل : « من وراثة » ، وفيها أيضا : « فيهم تكون » .

(٣) ابن جدعان ، هو عبد الله بن جدعان ، وكان من أشراف قريش فى الجاهلية ومن وفد على كسرى . وهو صاحب الجرادتين : المغنيتين المشهورتين فى الجاهلية . ومدحه أمية بن أبى الصلت بقصيدته التى أولها :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى حياؤك إن شيمتك الحياء

فأعطاها إياه . وكان مشهوراً بالكرم . قالوا : كان سمى بحاسى الذهب ؛ لأنه كان يشرب فى إناء من الذهب ، فقالوا فى المثل : « أقرى من حاسى الذهب » . الأغانى (٨ : ٢ — ٤) وبلوغ الأرب (١ : ٨٧) . س : « جذعان » وفى المواضع الثلاثة ، تصحيف .

(٤) ل : « فإن ابن » .

ابن المغيرة ، كان يُحاسُ لأحدهما الحَيْسةُ على عِدَّة أنطاع[1] ، فكان يأكلُ منها الرَّاكبُ والقائمُ والقاعدُ[2] فأين كانت تقعُ مِذَبَّةُ أبي قُحافةَ من هذا الجبل ؟! قال : كان يذبُّ عنها ويدورُ حوالَيها . فضحكوا منه ، فهجر مجلسهم سنةً[3] .

(تحقير شأن الذُّبابة)

قال : وفي باب تحقير [شأن] الذبابة وتصغير قدرها، يقول الرسول[4] : « لو كانت الدُّنيا تُساوى عند الله تعالى جَناحَ ذبابةٍ[5] ما أعطى الكافرَ منها شيئاً » .

---

(١) الحيسة : المرة من الحيس ، وهو أن يخلط التمر بالسمن والأقط فيعجن ثم يندر نواه ، وربما جعل فيه سويق . والأنطاع : جمع نطع ، بالكسر ، وبالفتح ، وبالتحريك وكعنب ؛ وهو بساط من الجلد المدبوغ .

(٢) قالوا أيضاً : « كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب ، بل كانت جفنة يأكل منها الراكب على البعير وسقط فيها صبي فغرق ومات » . بلوغ الأرب (١ : ٨٩) . وقد يبدو هذا الخبر غريبا ، لكنا نجد تعزيزاً له من الحديث ، جاء في غريب الحديث لابن قتيبة أن الرسول قال : « كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عمى »، يعني في الهاجرة .

(٣) ط ، س : « مجلسه » . س : « ثم هجر » .

(٤) هذا الحديث الآتي ، حديث صحيح رواه الترمذي ، ونقله عنه السيوطي في الجامع الصغير ٧٤٨٠ ولفظه : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء » . في الأصل : « يقول الرجل » . وهو تحريف كما رأيت

(٥) ط ، س : « ذباب »، ووجهه ما أثبت من ل .

(أعجوبة فى الذّبان بالبصرة)

وعندنا بالبصرة فى الذبّان[1] أعجوبة، لوكانت بالشّاماتِ[2] أو بمصر لأدخلوها فى باب الطِّلّسْم ؛ وذلك أنّ التَّمْرَ يكونُ مصبوباً فى بيادر التمر فى شقّ البساتين ، فلا ترى على شيءٍ منها ذُبَابَةً لَا فى اللَّيل ، ولا فى النّهار ، ولا فى البَرْدَين[3] ، ولا فى أنصاف النهار . نعم وتـكون هناك المعاصر[4] ، ولأَصحاب المعاصر ظِلال ، ومن شأن الذُّباب الفِرارُ من الشّمس إلى الظِّلّ . وإنّما تلك المعاصر بين تمْـرة [و] رُطَبَة ، ودِبْس [وثجير][5] ، ثمَّ لاتـكاد تَرَى فى تلك الظِّلال والمعاصر ، فى انتصاف[6] النهار ، [ولا] فى وقت طلب الذِّبَّان الـكِنَّ ، إلَّا دونَ ما تَراه فى المنزل الموصوف بقلّة الذبَّان .

وهذا شيءٌ يكون موجوداً فى جميع الشِّقِّ الذى فيه البساتين . فإن تحوَّل[7] شيء من [تمر] تلك الناحية[8] إلى جميع ما يقابلها فى نواحى البصرة ، غشيَه من الذّبان ما عسى ألاّ يكون بأرض الهند أكثرُ منه

---

(١) ط : « الذباب » .

(٢) الشامات: هي بلاد الشام . وانظر ما سبق فى حواشى ١ : ٧٣ .

(٣) البردان : الغداة والعشى . ط ، س : « البرد » وتصحيحه من ل .

(٤) المراد بالمعاصر هنا معاصر التمر ، وكانوا يعصرونه لاستخراج الدبس ، وهو عسل التمر .

(٥) الثجير : ثفل كل شيء يعصر . وهو فارسى معرب، كما فى المعرب للجواليقى ٤١ .

(٦) ل : « أنصاف »، كما سقطت كلمة « تـكاد » .

(٧) ل : « حول » .

(٨) ط ، س : « البادية »، والوجه ما أثبت من ل

وليس بين جزيرة نهر دُبَيس[1] ، وبين موضع الذبّان إلاّ فيض البصرة ، ولا بين مايكون من ذلك بنهر أذرب[2] وبين موضع الذبّان ممّا يقابله ، إلّا سيحان[3] ، وهو ذلك التمر وتلك المعصرة ، ولا تـكون تلك المسافة إلاّ مائة ذراع أو أزيَدَ شيئاً أو أنقَصَ شيئاً .

(نوم عجيب لضُروبٍ من الحيوان)

وأعجوبة أُخرى ، وهى عندى أعجبُ من كلِّ شىء صدَّرنا به جملة القَوْل فى الذباب . فمن العجب أن يكون بعض الحيوان لاينامُ كالصافر[4] والتُّنَوِّط[5] ؛ فإنَّهما إذا كان اللّيلُ فإن أحدهما يتدلَّى من ١٢٦ غصن الشّجرة ، ويضمُّ عليه رجليه ، وينـكّس رأسه، ثمَّ لايزال يصيحُ حتَّى يبرُقَ النُّور . والآخرُ لايزالُ يتنقَّل فى زوايا بيته ، ولا يأخذه القرار ، خوفاً على نفسه ، فلا يزال كذلك . وقد نتفَ قبلَ ذلك ممَّا على ظهور

---

(١) نهر دبيس ، بالتصغير ، نهر بالبصرة . ودبيس : مولى لزياد ابن أبيه . كما فى معجم البلدان .

(٢) كذا فى ط . س : « أدرب » ، ل : « أردر » .

(٣) قال البلاذرى : سيحان نهر بالبصرة ، كان للبرامكة وهم سموه سيحان . وقد سمت العرب كل ماء جار غير منقطع : سيحان . معجم البلدان . ط ، س : « فرسخان » وصوابه فى ل .

(٤) الصافر : طائر من أنواع العصافير ، وسيكمل الجاحظ نعته . ط : « كالعصافير » ووجهه ما أثبت من ل ، س .

(٥) التنوط : طائر شبيه بالصافر المتقدم ذكره . وانظر ما سيأتى .

الأشجار مما يشبه الليف[1] فنفشَه ، ثمَّ فتَلَ منهُ حبلاً ، ثمَّ عمِلَ منه كَهَيئَةِ القُفَّة ، ثمَّ جعله مُدَلًّى بذلك الحبل ، وعقَدَه بطَرَف غُصنٍ من تلك الأغصان ؛ إلاَّ أنَّ ذلك بترصيعٍ ونسْج ، ومُدَاخلَةٍ عجيبة ؛ ثمَّ يتَّخذ عشَّه فيه ، ويأوى إليه مخافة على نفسه .

والأعرابُ يزعمون أنَّ الذِّئبَ شديدُ الاحتراس ، وأنَّه يُراوح بينَ عينَيه، فتكونُ واحدة مطبقة[2] نائمة،[وتكون] الأُخرى مفتوحة حارسةً . ولا يشكُّون أنَّ الأرنب تنامَ مفتوحة العينين .

وأمَّا الدَّجاج والكلاب فإنما تعزُب[3] عقولهما فى النَّوم ، ثمَّ ترجع إليهما بمقدار رجوع الأنفاس . فأمَّا الدَّجاج فإنها تفْعَلُ ذلك من الجبن[4] وأمَّا الكلب فإنَّه يفعل ذلك من [شدَّة] الاحتراس .

وجاءوا كلهم يخبرون أن الغرانيقَ والكراكيَّ لاتنامُ أبداً إلاَّ فى أبعدِ المواضعِ من النَّاس ، وأحْرَزِها مِن صغار سباع الأَرض ، كالثعلب وابن آوى . وأنها لا تنام حتّى تقلِّد أمرَها رئيساً وقائدا ، وحافظاً وحارساً ، وأن الرئيس إذا أعيا رفَعَ إحدى رجليه ؛ ليكون أيقَظَ له .

---

(١) ط ، س : « يشتبه بالميف » .

(٢) ل : « منطبقة » .

(٣) تعزب : أى تبعد وتغيب . ل ، ط : « تعرف » س : « يعرف » وصوابه ما أثبت مطابقا لما سيأتى ص ٤٠٨ س ٦ .

(٤) ط ، س : « فإنه يفعل » ، والوجهان جائزان .

(سلطان النوم) :

وسلطان النَّوم معروف . وإن الرَّجل ممن يغزو[١] فى البحر ، ليعتصمُ بالشِّراع وبالعُود ، وبغير ذلك ، وهو يعلم أن النَّومَ متى خالطَ عينَيهِ استرخَتْ يدُه، ومتى استرخَتْ يَدُه بايَنَهُ الشيءُ الذى كان يركبه ويَستَعْصِمُ به[٢] ، وأنه متى بايَنه[٣] لم يقدرْ عليه، ومَتَى عَجز عن اللَّحاق [به] فقد عطِب[٤] . ثمَّ هو فى ذلك لايخلو ، إذا سَهِر ليلة أو ليلتين ، من أنْ يغلِبه النَّومُ ويقهرَه ، وإمَّا أنْ يحتاج إليه الحاجة التى يريه الرأى الخوّانُ ، وفسادُ العقْلِ المغمُورِ بالعِلَّة الحادثة ، أنَّه قد يُمكن[٥] أنْ يُغفِيَ وينتبهَ فى أسرع الأَوقات ، وقبلَ أنْ تَسترخِيَ يَدُهُ كلَّ الاسترخاء ، وقبلَ أن تبايِنَه الخشَبةُ إن كانتْ خشبة .

---

(١) ط ، س : « يغرق » وصوابه فى ل . وفى س أيضاً « فأى رجل » تحريف .

(٢) كذا فى س . وفى ط : « يركبه واستعصم به » ل : « مركبه واستعصم به » .

(٣) باينه : فارقه ، وبعد عنه . ط : « يأتيه » وصوابه فى ل ، س .

(٤) عطب : هلك. ط ، س : « ومن عجز » وصوابه فى ل .

(٥) « يريه » هى فى ط ، ل : « يريد » محرفة . و « الخوان » هى فى ل : « الفاسد » . و « يمكن » هى فى ط ، س : « تمكن » محرفة .

(العجيبة فى نوم الذباب)

وليس فى جميع ما رأينا وروَينا ، فى ضروبِ نومِ الحيوان ، أعجبُ من نَوم الذِّبّان ؛ وذلك أنَّها ربما جعلت مأْواها [بالليل] دَرْوَنْد الباب[١] وقد غشَّوه ببطانَةِ ساجٍ أملسَ كأنَّه صَفاةٌ ، فإذا كان اللَّيلُ لزقت[٢] به ، وجعلت قوائمها مما يليه ، وعلَّقت أبدانها إلى الهواء . فإن كانتْ لا تنام البتَّةَ ولا يخالطُها عُزُوب[٣] المعرفة فهذا أعجب[٤] : أنْ تكونَ أمّةٌ من أمم الحيوانِ لا تعرف النَّومَ ، ولا تحتاج إليه . وإن كانت تنام ويعزُب عنها ما يعزُب[٥] عن جميع الحيوان سوى ما ذكرنا ، فما تخلو من أن تكون قابضةً على مواضع قوائمها[٦] ، ممسكة[٧] بها ، أو تكون مرسلةً لها [مخلّية عنها] . فإنْ كانت مرسلةً لها فكيف لَمَ تسقطْ وهى أثقلُ من الهواء ؟ ! وإن كانت ممسكةً لها فكيف يجامع التشدُّد والتثبيت[٨] النَّوم ؟ !

١٢٧

---

(١) الدروند كلمة فارسية. وفى اللسان (نجف) : «ابن الأعرابى: النجاف هو الدروند والنجران. وقال ابن شميل : النجاف الذى يقال له الدوارة ، وهو الذى يستقبل الباب من أعلى الأسكفة » . وانظر نهاية الأرب ١ : ٣٧٦ ومعجم البلدان (سد يأجوج ومأجوج) ط : « دورة » تحريف .

(٢) ط : « لزمت » .

(٣) العزوب : البعد . وفى ل : « غروب » .

(٤) ل : « عجب » .

(٥) ل : « يغرب » فى الموضعين .

(٦) فى الأصل : « قائمها » .

(٧) ل: «متمسكة » .

(٨) س : « والتثبت » .

(بعض ما يعترى النائم)

ونحن نرى كلَّ مَن كان فى يده كيس أوْ[1] دِرهم أو حبلٌ ، أو عصا فإنَّه متى خالط عينَيْه[2] النَّومُ استرخَتْ يده وانفتحت أصابعُه[3] . ولذلك يتثاءب المحتالَ للعبْد الذى فى يده عِنان دابَّةِ مولاه ، ويتناوم له وهو جالس ؛ لأنَّ مِن عادة الإنسان إذا لم يكن بحضرتِه مَن يشغله ، ورأى إنساناً[4] [قبَالَتَه] يتثاءبُ أوْ يَنْعس ، [أن يتثاءب وينعَس مثله[5]] . فمتى استرخَتْ يدُه أو قبضتَه عن طَرَف العِنان ، وقد خامَرهُ سُكْرُ النَّوم ، ومتى صار إلى هذه الحال — ركب المحتالُ الدَّابَّة ومرّ بها .

باب
القول فى الغربان

اللهم جنِّبنا التكلُّفَ ، وأعِذْنَا مِن الخطأ ، واحْمِنا العُجْبَ بما يكون منه ، والثِّقةَ بما عندنا ، واجعلْنا من المحسنين .

---

(١) ط ، س : « كيس دراهم » .

(٢) ط ، س : « عينه » .

(٣) ط فقط : « وتفتحت أنامله » .

(٤) س : « من » . وفى ل : « ينود » بدل : « يتثاءب » . ينود : يتمايل من النعاس .

(٥) هذه التكملة من س .

نذكر على اسم الله جُمَلَ القولِ فى الغِربان ، والإخبار عنها ، وعن غريبِ ما أُودِعتْ من الدّلالة ، واستُخْزِنت من عجيب الهداية[١] .

وقد كُنّا قدّمنا ما تقول العربُ فى شأنِ منادَمةِ الغُراب الدِّيكَ وصداقتِه له ، وكيف رهَنه عند الخَمّار ، وكيف خاسَ به وسخِر منه وخدعه[٢] وكيف خرج سالماً غيرَ غارم ، وغانماً غيرَ خائب[٣] ، وكيف ضربت به العربَ الأمثالَ ، وقالت فيه الأشعار ، وأدخلتْه فى الاشتقاقِ لزجْرها عند عيافتها وقِيافتها ، وكيف كان السبب فى ذلك[٤] .

(ذكر الغراب فى القرآن)

فهذا إلى ماحكى اللهُ عزَّ وجلَّ من[٥] خبر ابنَىْ آدمَ ، حينَ قرَّبا قرباناً فحسَدَ الذى لم يُتقبَّلْ منه المتقبَّلَ منه ، فقال عند ما همَّ به مِن قتلِه ، وعند إمساكهِ عنه ، والتَّخليةِ بينَه وبين ما اختارَ لنفسه : ﴿ إنِّى أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ . ثمَّ قال : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ .

---

(١) الكلام من مبدإ : « اللهم » ساقط من ل .

(٢) خاس به : غدر به وخانه .

(٣) « وغانما غير خائب » ساقطة من ل .

(٤) انظر لمثل هذا الكلام (٢ : ٣١٩ ، ٣٢٠) . والكلام من : « وقالت » ساقط من ل .

(٥) ل : « عن » .

فَبَعَثَ اللهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾
حتّى قال القائل ، وهو أحد ابنَىْ آدم ما قال . فلولا أنّ للغُراب[1] فضيلةً وأمورًا محمودةً ، وآلةً وسبباً ليس[2] لغيره من جميع الطَّير لما وضعه اللهُ تعالى فى موضعِ تأديبِ الناس ، ولَما جعله الواعِظَ والمذَكِّرَ بذلك .
وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فبَعَثَ اللهُ غَرَاباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾ ، فأخْبر أنّه مبعوثٌ ، وأنّه هو اختاره لذلك مِنْ بينِ جميعِ الطَّير . ١٢٨

قال صاحب الدِّيك : جعلتَ الدَّليلَ على سوء حاله وسقوطِهِ[3] الدَّليلَ على حُسنِ حاله وارتفاعِ مكانه . وكلما كان ذلك المقرَّعُ به أسفَلَ كانت الموعظةُ فى ذلك أبلغَ . ألا تَرَاهُ يقول : ﴿ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هٰذا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ .

ولو كان فى موضعِ الغُرابِ رجلٌ صالحٌ ، أو إنسانٌ عاقلٌ ، لما حَسُن به أن يقولَ : يا ويْلَتَى أعجَزت أنْ أكونَ مثلَ هذا العاقِل الفاضلِ الكريمِ الشَّريف . وإذا[4] كان دوناً وَحقيراً فقال : أعجزتُ وأنا إنسانٌ أن أُحسِنَ ما يحسنه هذا الطائر ، ثمّ طائرٌ من شِرار الطير . وإذا أراه[5] ذلك

---

(١) ل : « فى الغراب » .

(٢) ط ، س : « وأشياء ليست » .

(٣) ط : «وسقوط » وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « إذ » وصوابه فى ل ، س .

(٥) ط : « أراد » .

فى طائرٍ أسودَ محترقٍ[1] ، قبيحِ الشمائلِ ، رديء المِشْيَة[2] ، ليس من بهائم الطير المحمودة ، ولا من سباعها الشريفة ، وهو بَعْدُ طائرٌ يتنكَّد به ويتطيَّر منه ، آكلُ جيف[3] ، رديءُ الصَّيد . وكلما كان أجهلَ وأنْذَل[4] كان أبلغَ فى التَّوبيخ والتَّقريع .

وأمَّا قوله : ﴿ فأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ فلم يكنْ به على جهة الإخبار أنّه كانَ قتَلهُ ليلاً ، وإنما هو كقوله : ﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ﴾. ولو كانَ المعنى وقع على ظاهر اللَّفظ دونَ المستعمَلِ فى الكلامِ من عادات الناس ، كان مَن فرَّ من الزَّحفِ ليلاً لم يلزمْه وَعيد[5] . وإنما وقع الكلامُ على ما عليه الأغلبُ من ساعاتِ أعمال الناس ، وذلك هو النّهارُ دون اللَّيل .

وعلى ذلك المعنى قال صالح بن عبد الرحمن[6] ، حين دفَعوا إليه جَوَّاباً[7] الخارجيَّ ليقتله ، وقالوا : إن قتله برئت الخَوارجُ منه ، وإن ترك قتْله فقد

---

(١) ل : « محرق » .

(٢) للغراب مشية رديئة . وفى القصص التمثيلى أنه أعجبه مشية العصفور أو القطاة فرام تقليدها ففعل . ثم أراد الرجوع إلى مشيته الأولى فنسى ، فلا هو حافظ على مشيته الأولى ، ولا هو أدرك مشية العصفور . انظر شعراً فى ذلك بطراز المجالس ١٩٩ .
ط : « الشبه » وصوابه فى ل ، س .

(٣) ط ، س : « الجيف » .

(٤) ل : « أخل وأرذل » .

(٥) ل : « وعيده » .

(٦) صالح بن عبد الرحمن هو كاتب الوليد بن عبد الملك .

(٧) ط ، س : « خواتا » .

أبدى لنا صفحتَه . فتأوّل صالحٌ عند ذلك تأويلاً مستنكراً[1] : وذلك أنّه قال : قد نجدُ التّقيَّة تُسيغ الكفر[2] ، والكفر باللّسان أعظمُ من القتل والقذْفِ بالجارحة . فإذا جازت التّقيَّة[3] فى الأعظم كانت فى الأصغر أجوَزَ . فلما رأى هذا التأويل يطّرد له ، ووجد على حالٍ بصيرته ناقصة ، وأحسّ[4] بأنّه إنما التمس عُذْراً ولزّق الحجّة تلْزيقا [فلمّا عزمَ على قتل جوّاب ، وهو عنده واحدُ الصُّفرية فى النُّسك والفضل] قال : إنى[5] يومَ أقتُل جَوَّاباً على هذا الضّربِ من التأويل لَحريصٌ[6] على الحياة ! ولو كان حين قال إنى[5] يوم أقتل جوَّاباً إنما عنى النهارَ دون اللّيل ، كان عند نفسه إذا قتلهُ تِلكَ القِتلة ليلاً لم يأثم بهِ . وهذا أيضاً كقوله تعالى : ﴿ وَلاتَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إنِّى فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَدًا إلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللّهُ ﴾ .

ولو كان هذا المعنى إنما يقع على ظاهر اللّفظ دونَ المستعمَلِ بين الناس ، لكان إذا قَال من أوّل الليل : إنى فاعِلٌ ذلك غداً فى السَّحر ، أو معَ الفجر أو قال الغداة[7] : إنى فاعِلٌ يومى كلّه ، وليلتى كلها ، لم يكنْ عليه حِنْث ، ولم يكن مخالفاً إذا لم يستثنِ[8] ، وكان إذن لا يكون مخالفاً إلاَّ فيما وقع عليهِ

١٢٩

---

(١) ل : « مستكرها » .

(٢) التقية : الخوف والخشية من الهلاك . تسيغ الكفر : تبيحه . أى إن من هدد بالقتل إن لم يكفر ، ساغ له الكفر ظاهرا . ل : « أجد البقية تسع فى الكفر » ط ، س : « بجد التقية تسيغ بالكفر » . والوجه فى العبارة ما ذكرت .

(٣) ل : « البقية » . وانظر التنبيه السابق .

(٤) ط ، س : « وأخبر » وصوابه فى ل .

(٥) ط : « أى » وتصحيحه من ل ، س .

(٦) ط : « الحريص » وله وجه .

(٧) ل : « بالغداة » .

(٨) المراد بالاستثناء هنا ، قول : « إن شاء الله » . ط : « يستسن » محرفة .

اسمُ غد . فأمّا كلُّ[1] ما خالفَ ذلك فى اللّفظ فلا . وليس التّأويل كذلك لأنّه جلَّ وعلاَ إنما ألزَمَ عبدَه أنْ يقول : إن شاء الله ؛ ليَتّقِىَ عَادَةِ التألّى[2] ولئلاَّ يكونَ كلامُه ولفظُهُ يشبه لفظَ المستبدِّ والمستغْنى ، وعلى أن يكون عِنْد[3] ذلك ذاكرَ اللهِ ؛ لأنهُ عبـدٌ مدبَّرٌ ، ومقلَّب ميسَّر[4] ، ومصرَّفٌ مسخَّر .

وإذا كان المعنى فيه ، والغايَةُ التى جَرَى إليها اللفظ ، إنمـا هو على ما وصفنا ، فليس بينَ أن يقول أفعَلُ ذلك بعْدَ طرْفَةٍ ، وبين أن يقولَ أفعَلُ ذلك بَعْدَ سنةٍ فرقٌ .

وأمّا قوله : ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ فليس أنّه كان هنالك ناسٌ قتَلوا إخوتَهـمْ ونَـدِموا فصارَ هذا القاتلُ واحداً منهم ؛ وإنما ذلك على قوله لآدمَ وحَوَّاء عليهما السلام : ﴿وَلا تقْرَبَا هٰـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ، على معنى أن كلّ مَن صَنَعَ صنيعكما فهو ظالم .

(الاستثناء فى الحلف)

وعجبت من ناسٍ ينكرون قولَنا فى الاستثناءِ ، وقد سمعوا اللهَ عزَّ وجلَّ يقُولُ : ﴿إنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ . وَلاَ

---

(١) ط ، ل : « كلما » ، وصوابه فى س .
(٢) التّقى : الحذر . ط ، ل : « لبقى » س : « لتقى » ، ووجهته بما ترى . والتألى : الحلف . ل : « التالى » ط ، س : « المتألى » ، والوجه ما ذكرت . والمعنى : ليحذر تعود الإنسان الحلف واستسهاله .
(٣) ط ، س : « عنده » وصوابه فى ل .
(٤) انظر الاستدراكات .

يَسْتَثْنُونَ . فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ . فَأَصْبَحَتْ كالصَّرِيمِ ﴾ ، مع قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلا تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَداً إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ ﴾ .

(تسمية الغراب ابن دأية)

والعربُ تسمِّى الغرابَ ابن دأية ؛ لأنَّه إذا وجَدَ دَبَرَةً[1] فى ظهر البعير ، أو فى عنقه قرحة سقط عليها، ونقَرَهُ[2] وأكله حتَّى يبلغ الدَّايات[3].

قال الشاعر[4] :

نَجيبةَ قَرْمٍ شادَهَا القَتُّ والنَّوَى ... بيثربَ حتَّى نَيُّهَا متظَاهر[5]

فقلتُ لها سِيرى فما بكِ عِلَّة ... سنَامكِ ملمومٌ ونابُكِ فَاطِرٌ[6]

فِمثْلِكِ أو خيراً ترَكْتُ رذيَّة ... تقلِّب عينيها إذا مرَّ طائر[7]

---

(١) الدبرة ، بالتحريك : القرحة .

(٢) ط ، س : « وعقره » وهى صحيحة أيضاً ، يقال عقر الكلأ : أكله ، ويقال أيضاً : عقره : جرحه .

(٣) جاءت هذه الكلمة ومفردها فى السطر السابق خالية من الهمز ، وأصلها الهمز . والدأيات : فقر الكاهل والظهر .

(٤) هو أبو الربيس الثعلبى ، أو الجون المحرزى . خزانة الأدب (٢ : ٥٣٢) حيث قصة الشعر .

(٥) نجيبة قرم : يقول: هذه الناقة قد أنجبها قرم من الإبل ، وهو بالفتح والراء : الفحل الكريم . ط ، س : وكذا أصل البيان (٣ : ٣٠٦): « قوم » ، وصوابه ما أثبت من ل . شادها القت والنوى : أى نماها تناول هذا العلف . والنى المتظاهر : الشحم الذى ركب بعضه بعضاً .

(٦) ملموم : مجتمع . وفطر ناب الناقة : انشق وظهر .

(٧) الرذية ، بالذال : الناقة المهزولة من السير . وإنما تقلب عينيها خوف أن تنقرها الطير . وانظر شرح القصائد السبع الطوال ص ٣٩ .

ومثله قول الرَّاعى :

فلو كنت معذوراً بنصْرِك طيَّرت صقورِىَ غِرْبان البَعــيرِ المقيدِ

هذا البيت لعنترة ، فى قصيدةٍ له[1] . ضرب ذلك مثلاً للبعير المقيَّد ذى الدَّبَر ، إذا وقعَت عليه الغِرْبان .

(غرز الريش والخِرق فى سنام البعير)

وإذا كان بظهر البعير دَبَرَةٌ غرزوا فى سَنامه إمَّا قوادمَ رِيش[2] أسود وإمَّا خرَقا سُوداً[3] ؛ لتفزع الغِرْبانُ منْهُ ، ولا تسقط عليه . قال الشاعِرُ ، وهو ذو الخِرَق الطُّهَوىّ[4] :

لمــا رَأتْ إبِلِى حَطت حمولتهــا هَزْلَى عِجافاً عليها الرِّيشُ والخِرَقُ[5]

---

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) قوادم الريش : أربع أو عشر فى مقدم الجناح . ط ، س : « قوادم » وانظر ما سيأتى .

(٣) كذا فى ل . وفى ط « خرقة سوداء » . وفى س : « خرقاء سوداء » وهذه الأخيرة محرفة .

(٤) هذه الجملة ساقطة من ل . وذو الخرق قائل هذا الشعر : اسمه خليفة بن حمل ابن عامر بن حميرى ؛ فإن من لقب بهذا اللقب من بنى طهية ثلاثة شعراء أحدهم هذا ، والثانى قرط بن قرط ، والثالث شمير بن عبد الله بن هلال . انظر الخزانة (١ : ٥٠ — ٥١ سلفية) والمؤتلف والمختلف ١٠٩ ثم ١١٩ . وجاء فى الخزانة أن الآمدى لم يذكر الشعر الذى منه البيت الآتى . وقدسها البغدادى ؛ فإن الشعر مذكور فى ص ١٠٩ من المؤتلف والمختلف ، فى غير مظنه .

(٥) العجاف : جمع أعجف وعجفاء على الشذوذ ؛ لأن أفعل وفعلاء لايجمعان على فعال . والأعجف : الذى ذهب سمنه . وقبل البيت :

ما بال أم حبيش لاتكلمنا لما افترقنا وقد نثرى فنتفق

قالتْ ألا تبتغى عيشاً نعيشُ به عَمّا نلاقى ، فشَرُّ العِيشة الرَّنَقُ ١٣٠

[الرَّنَق ، بالرَّاء المهملة ، وبالنون ، هو الـكدِرُ غير الصافى] .

وقال آخر [1] :

كأنَّها رِيشــــةٌ فى غاربِ جَرَزٍ فى حيثُما صرفَته الرِّيح ينصرف [2]

[جَــرَز : عظيم . قال رؤبة :

* عن جَرَزٍ منه وجوزٍ عارِ * [3]]

(غرز الريش فى أسنمة إبل الملوك وخرائطهم)

وقد تُوضع [4] الرِّيش فى أسنمتها وتغرَز فيها لغير ذلك ؛ وذلك أنَّ الملوك كانت تجعل الرِّيشَ علامــــةً لحباء الملك [5] ؛ تحميها بذلك وتشرِّف صاحبها [6] .

---

(١) ل : « وفى ذلك يقول الآخر » .

(٢) الغارب : أعلى مقدم السنام . ل : « غارز » وليس له وجه . والجرز بالتحريك سيفسر . ط ، س : « جرد » تحريف ما فى ل . ط ، س : « ضربته الريح » ، وأثبت ما فى ل .

(٣) الجوز : الوسط . والبيت فى صفة جمل سمين فضخه الحمل الثقيل . وقد نسب فى اللسان (جرز ، ورى) إلى العجاج لا رؤبة . وقد روى البكرى الأرجوزة فى أراجيز العرب ١٥٧ منسوبة إلى العجاج كما فى اللسان . وقبل البيت :

* وانهم هاموم السديف الوارى *

(٤) ط : « يوضع » ، والأولى التوحيد فالتأنيث كما أثبت من ل ، س .

(٥) كذا فى ل . والحباء ، بالكسر : العطاء . ط ، س : « لجمالها » .

(٦) ط : « تحميها بذلك بشرف أصحابها » . ل : « تحميها بذلك ويشدن صاحبها » .

قال الشاعر :

يهَبُ الجِلادَ بريشِها ورِعَائها كالليْلِ قبلَ صَبَاحِهِ المتبلِّجِ [١]

ولذلك [٢] قالوا فى الحديث : فرجع النَّابغة من عند النُّعمان وقد وهبَ له مائةً من عَصَافيره [٣] بريشها :

وللرِّيش مكانٌ آخر : وهو أنَّ الملوكَ إذا جاءتها الخرائطُ بالظَّفَر [٤] غرزَتْ فيها قوادمَ ريشٍ سُود .

(غربان الإبل)

وقال الشاعر :

سأرفَعُ قولاً للحُصَين ومَالكٍ تطيرُ به الغِربان شَطْرَ المواسمِ [٥]

---

(١) الجلاد من الإبل : الغزيرات اللبن . والرواية فى البيان (٣ : ٩٦) : « الهجان » . والرعاة بالضم والرعاء بالضم ويكسر : جمع راع . وقد روى البيت بالوجه الأول فى ط ، س . وبالثانى فى ل ، والبيان . وجعلها كالليل لما فوق أسنمتها من الريش السود ، كما جعل أبدانها كالصبح تحت الظلام . وهو خيال ركب تركيبا بارعا . أو جعلها كالليل لأنها سود ، كما فى الشعراء ١١٠ . وفيها أيضا : « ولم يكن بأرض العرب بعير أسود إلا له » : أى النعمان .

(٢) س : « وكذلك » .

(٣) هى إبل نجيبة كانت له ، وقال ابن سيده : أظنه أراد من فتايا نوقه . قالوا : كان النعمان غاضبا على النابغة لقصيدته المشهورة التى وصف فيها المتجردة ، ثم ذهب غضبه عليه عند ماغنت النعمان قينة بشعر النابغة ، ووهب له العصافير . انظر الأغانى (٩ : ١٦٥) والتنبيه السابق وما سيأتى فى (٥ : ٢٣٣) .

(٤) الخرائط : جمع خريطة ، وهى وعاء من أدم وغيره يشرج على ما فيه ، أى يشد .

(٥) رواية اللسان عن ابن الأعرابى : « لحصين ومنذر » . والمواسم : أسواق العرب فى الجاهلية حيث كانوا يجتمعون .

وتروَى به الهيمُ الظِّماءُ ، ويَطَّبى   بأمْثَالِهِ الغازِينَ سَجْعُ الحمائمِ [1]

يعنى غِرْبان الإبل [2] . وأمَّا قوله : « وتروى به الهيمُ الظِّماء » فمثل قول المـاتحِ [3] :

عِلقْتَ يا حارث عِنـدَ الوِرْدِ   بجـــاذل لارَفِلِ التَّرَدِّى [4]

* ولا عَيِيٍّ بابتِناء المَجْدِ [5] *

---

(١) يطبيهم سجع الحمائم : يستميلهم غناء الحمام الذى يسجع بهذا الشعر . و « الغازين » هنا بمعنى القاصدين . ط ، س : « بأمثالها » ، وإنما الضمير راجع إلى القول . ل : « الغاوين » .

(٢) فى الأصل : « الليل » ، وإنما هى غربان الإبل ، وغراب البعير هو حد الورك الذى يلى الظهر . أى إن هذا الشعر يذهب به على الإبل إلى المواسم . ومعنى تطير : تسرع . وإنمـا خص الأوراك لأنهم كانوا يحملون الرسائل فى حقيبة تحتقب ، وتشد على عجز البعير . كما قال الآخر :

وإن عتاق العيس سوف يزوركم   ثناء على أعجازهن معلق

(٣) الماتح ، بالتاء : الذى ينزع الدلو وهو بجوار البئر . والمائح ، بالهمز : الذى يدخل البئر فيملأ الدلو . ط : « المسائح » ل : « المايح » والأولى تحريف ، والثانية ليست مرادة . والرجز فى البيان (١ : ٤) مسبوقا بعبارة : « وقال الراجز وهو يمتح بدلوه » . ووجه المثلية أن كلا منهما خاطب نفسه ، قال الأول « وتروى » يخاطب نفسه ، وكذا الثانى : « علقت » .

(٤) الجاذل : الواقف مكانه لايبرح ، شبه بالجذل الذى ينصب فى المعاطن لتحتك به الإبل الجربى . ومثله « الجاذى » ، وبهذه الأخيرة جاء فى س مع الهمز أى « جاذئ » وفى البيان : « بجابئ » . والجابئ : الذى يطلع فجأة . وقد عنى رجلا . والرفل : الذى يجر ذيل ثوبه . والتردى : لبس الرداء . وفى الأصل : « لاوجل التود » وصوابه من البيان . وجاء بعد هذا البيت فى ل :

* فجاءنى لارفل التردى *

وأقول : إنه مقحم وإن به تصحح نهاية هذا البيت .

(٥) العيى : العاجز . ط : « يمى » س : « يمِيى » ، وصوابه ماأثبت من البيان . وفى ل : « عييا » .

(شعر فى تعرض الغربان للإبل)

وقالوا فى البعير إذا كان عليه حِملٌ من تمْر أو حبٍّ ، فتقدّم الإبلَ بفضل قُوّته ونشاطه(١) ، فعرض ما عليه للغربان(٢) . قال الرّاجز :

قد قلتُ قولاً للغُرابِ إذْ حَجَلْ   عليكَ بالقُود المسانِيف الأُوَل(٣)

* تَغَدَّ ما شئتَ على غير عَجَلْ(٤) *

ومثله(٥) :

يقدُمُها كلُّ أَمُونِ مظعان(٦)   حمراءَ من مُعَرِّضاتِ الغِرْبانْ(٧)

---

(١) ط : « فيقدم » . ل : « لفضل » : مكان « بفضل » .

(٢) س : « الغربان » .

(٣) القود : الطوال الأعناق . ط ، س : « بالعود » وصوابه فى ل والمخصص (١٠ : ١٦٧) وتنبيه البكرى ٤٨ والمحاسن للبيهقى (٢ : ٨٤) . وفى مجالس ثعلب ١٣٦ : «عليك بالإبل» . والمسانيف : المتقدمة، جمع مسناف . س ، ط : « المسانف » .

(٤) ط ، س : « من بعد مامشت على غير عجل » ، وتصحيحه من المراجع المتقدمة . قال الكسائى — وقد سأله الرشيد عن هذا الشعر — : « إن العير إذا فصلت من خيبر وعليها التمر يقع الغراب على آخر العير فيطردها السواق . يقول هذا ، تقدم إلى أوائل العير فكل على غير عجل » المحاسن للبيهقى . وللرجز بقية فى تنبيه البكرى ، فراجعه .

(٥) الرجز الآتى يروى للأجلح بن قاسط ، كما فى اللسان (عرض) . وقال ابن برى : « وهذان البيتان فى آخر ديوان الشماخ » . قلت أنا : هما فى أخرياته ص ١١٦ منسوبان إلى الجليح بن شميذ رفيق الشماخ. ونسبا فى مشارف الأقاويز ٢٠٨ — ٢٠٩ إلى الجعيل . وجاء قوله فى آخر الرجز يخاطب نفسه :

* يا ابن جليح كن دليل الركبان *

ويظهر أنه اجتلب كلمة : « ابن » تحسيناً للكلام ، وضبطا للوزن .

(٦) ل : « تقدمها » . والأمون : الوثيقة الخلق . س : « أموق » تصحيف . ل : « علاة » ، وهى رواية القالى والبكرى . والعلاة : الشديدة الصلبة ، مشبهة بالعلاة وهى السندان . والمظعان ، السهلة السير . ل : « مدعان » ، صوابه « مذعان » بالذال ، وهى المنقادة لقائدها .

(٧) قال البكرى : « الحمر أجلد الإبل » . والمعرضات : التى تقدم الإبل فتقع الغربان عليها فتأكل ما حملته ، كأنها عرضت ماتحمله الغربان .

(أمثال فى الغراب)

ويقال : « أصحُّ بدناً مِنْ غُراب » ، و « أبصَرُ مِنْ غُراب » ، و « أصفى عيناً من غراب » .

وقَال ابن ميَّادة :

ألا طرَقَتْنَا أمُّ أوسٍ ودونَها حِرَاجٌ من الظلْماء يعشى غُرَابُها[1]

فبتْنا كأنَّا بَيْنَنا لَطَمِيَّةٌ من المِسْكِ ، أو دارِيَّةٌ وعِيابُها[2]

يقول : إذا كان الغراب لايبصر فى حِراج الظَّلْماء[3] . وواحد الحِراج حَرَجة ، وهى هاهنا مَثَلٌ ، [حيث[4]] جعَلَ كلَّ شىءٍ التفَّ وكَثُفَ من الظلام حِراجا ، وإنَّما الحِراجُ من السِّدْرِ وأشباه السِّدر .

يقول : فإذا لم يبصِرْ فيها الغرابُ مع حِدَّة بَصره ، وصفاء مُقْلته فما ظنُّك بغيره ؟ !

وقالأبو الطَّمَحان القَيْنىُّ[5] : ٣١

إذا شاء راعيها استقى مِنْ وَقِيعةٍ كَعين الغراب صَفْوُها لم يكدَّرِ

---

(١) س : « جراح من الظلماء يغشى » ، وصوابه فى ط ، ل .

(٢) اللطمية : العنبرة لطمت بالمسك فتفتقت به . ل وكذا فى كتاب الصيدنة ص ٦ : « بيتتنا لطيمة » . واللطيمة : العير تحمل الطيب . والتبييت أصله من بيت العدوّ : أوقع بهم ليلا . والدارية : منسوبة إلى دارين ، فرضة بالبحرين كان يحمل إليها المسك من ناحية الهند . وعنى بها المطور ، أو العير . والعياب : جمع عيبة ، وهى وعاء من أدم يوضع فيه الثياب ونحوها . ط ، س ، وكذا كتاب الصيدنة : « كعابها » ولم أر لها وجها .

(٣) ط : « الظماء » ، وصوابه فى ل ، س ، وثمار القلوب ٣٦٤ .

(٤) الزيادة من ثمار القلوب .

(٥) من أبيات فى الأغانى (١١ : ١٢٨) .

(استطراد لغوى)

والوقيعة : المكان الصلب الذى يُمسك الماء ، والجمع الوقائع . قال : وأنشَدَنَا أبو عمرٍو[١] بن العلاء ، فى الوقائع :

إذا ما استبالوا الخيلَ كانتْ أكفُّهم وقائعَ للأَبْوالِ والماءُ أبرَدُ

يقول : كانوا[٢] فى فلاةٍ فاستبالوا الخيل فى أكفهم ، فشربوا أبوالها من العطش .

ويقال شهدَ الوقِيعة والوقْعَة بمعنًى واحد . قال الشاعِرُ[٣] :

لعمرى لقد أبقَتْ وقِيعةُ راهطٍ على زُفَرٍ داءً من الشَّرِّ باقيا[٤]

وقال [زُفَر بنُ[٥]] الحارث :

لَعَمرى لقد أبقتْ وقِيعةُ راهطٍ لِمَرْوانَ صدْعاً بيننا متَنائِيَا[٦]

---

(١) أبو عمرو بن العلاء تقدمت ترجمته فى (٢ : ٢٢٥) . ط ، س : « وأنشد أبو محمد » وصوابه فى ل . وانظر الاشتقاق ١٧٧ من تحقيق .

(٢) ط ، س : « إذا كانوا » ، والوجه حذف « إذا » كما فى ل .

(٣) هو جواس بن القعطل الكلبى . المؤتلف والمختلف ٧٤ والتنبيه والإشراف ٢٦٨ .

(٤) وقعة راهط هى المعروفة بوقعة مرج راهط . انظر لها الأغانى (١٧ : ١١١ — ١١٤) والعقد (٣ : ١٤٥) ومروج الذهب (٢ : ١٠٧ بهية) . ط ، س : « على دفر » ، وصوابه فى ل ، والعقد (٣ : ١٤٧) والمؤتلف ٧٤ .

(٥) هذه الزيادة الضرورية اعتمدت فيها على المراجع المتقدمة وحماسة البحترى ١٧ .

(٦) مروان هذا هو ابن الحكم الأموى والد عبد الملك . ط : « بينا » ، وصوابه فى ل ، س ، والمراجع المتقدمة . ط ، س : « متباينا » وصوابه فى ل والمراجع المتقدمة ؛ فإن البيت من قصيدة يائية ، منها البيت المشهور :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وقال الأخطل :

لَقَدْ أوقَع الجحَّافُ بالبشرِ وقْعَةً إلى اللهِ مِنها المشتَكَى والمعوَّلُ[١]

(أمثال من الشعر والنثر فى الغراب)

وفى صحَّة بدَن الغراب يقولُ الآخر[٢] :

إنَّ مُعــاذَ بنَ مَسلِمٍ رجُلٌ قدْ ضَجَّ مِنْ طُولِ عُمْرِهِ الأَبَد[٣]

[قَدْ[٤]] شاب رأْسُ الزَّمانِ واكتَهَل الدَّهْ

رُ وأثوابُ عُمْــرِهِ جُــدُدُ

يا نَسْر لُقْمانَ كَمْ تَعِيشُ وكَمْ تَسْحَبُ ذَيل الحَيَاةِ يا لُبَدُ[٥]

---

(١) الجحاف هذا هو ابن حكيم السلمى، قاد قومه وأغار على بنى تغلب بموضع يسمى البشر بين الفرات والشام ، فقتل منهم مقتلة عظيمة . انظر معجم البلدان والعمدة ١٦٧ وأمثال الميدانى (٢ : ٣٦٧ ، ٣٥٥) . ط ، س : « الجحاب بالشر » صوابه فى ل والمعجم . وانظر نقد البيت فى الموشح ١٦٥ — ١٦٦ .

(٢) هو الخزرجى كما فى الحيوان (٦ : ٣٢٧) ، وقد ذكر ابن خلكان (فى ترجمة معاذ بن مسلم) أن صاحب الشعر هو أبو السرى سهل بن أبى غالب الخزرجى . قال ابن خلكان فى ترجمته (وذكرها فى نهاية ترجمة معاذ) : إنه نشأ بسجستان وادعى رضاع الجن ، وزعم أنه بايعهم للأمين بن هارون الرشيد بالعهد ، فقرّبه الرشيد وابنه الأمين وزبيدة ، وله أشعار حسان وضعها على الجن والشياطين والسعالى . وقال له الرشيد : إن كنت رأيت ما ذكرت فقد رأيت عجبا ، وإن كنت ما رأيته فقد وضعت أدبا . وتجد الأبيات فى العقد (٣ : ٥٢) وبغية الوعاة ٣٩٣ منسوبة إلى محمد بن مناذر . وهى بدون نسبة فى المعانى الكبير ٥٨ وأمالى الزجاجى ١٧ من تحقيقى .

(٣) معاذ بن مسلم هذا هو المعروف بالهراء ، كان نحويا كوفيا ، وكان يتشيع . قرأ عليه الكسائى وروى عنه . عمر معاذ بن مسلم طويلا . وتوفى سنة سبع وثمانين ومائة ، وهى سنة نكبة البرامكة .

(٤) من ل ، س ، والجزء السادس ، وعيون الأخبار (٤ : ٥٩) وثمار القلوب ٣٧٧ وأمثال الميدانى (١ : ٤٥٤) .

(٥) لبد ، كزفر : آخر نسور لقمان ، قالوا فى أساطيرهم : عمر لقمان عمر سبعة أنسر =

قد أصبحَتْ دارُ آدمٍ خرِبَتْ وأنتَ فيها كأنَّكَ الوَتِدُ[١]
تسألُ غِربانَها إذا حَجَلَتْ كيفَ يكونُ الصُّدَاعُ والرَّمَدُ

ويقال : « أرضٌ لا يَطير غرابها[٢] ». قال النَّابغة :

وَلِرَهْطِ حرّاب وقَدٌّ سَوْرَةٌ في المجدِ ليس غرَابُها بمُطَارِ[٣]

جعله مثلاً . يعنى أنّ هذه الأرضَ تبلُغ مِن خِصبها أنّه إذا دخلَها الغرابُ لم يخرُج منها ؛ لأنّ كلّ شيءٍ يريدُه فيها[٤] .

وفى زهوِ الغُراب يقول حسَّان ، فى بعضِ قريش[٥] :

إنَّ الفَرافِصَةَ بنَ الأحْوَصِ عِندَه شَجَنٌ لأمِّك مِن بَناتِ عُقابِ[٦]
أجمَعْتَ أنَّكَ أنتَ الأَمُ مَنْ مشى فى فحش مُومِسَةٍ وزهْوِ غرَابِ[٧]

= كلما مات واحد خلفه آخر ، وكان كل منها يعيش ثمانين سنة . انظر الدميرى .

(١) الوتد يبقى بعد دروس المنزل .

(٢) ط : « ويقال فى أرض لا يطير غرابها » ، والوجه حذف (فى) كما فى ل ، س

(٣) حراب : رجل من بنى أسد ، وكذلك قد ، بالفتح ، وهو أحد شعرائهم ترجمه المرزبانى فى المعجم ٣٣٩ . والسورة ، بالفتح : الارتفاع . والرواية فى الديوان بشرح البطليوسى : « ليس غرابهم » .

(٤) قال البطليوسى : « وقيل الغراب ها هنا سوادهم » . ونقل الميدانى عن أبى عبيد أن المراد بالمثل الشدة . انظر الأمثال (٢ : ٣١٦) .

(٥) ط ، س : « فى بعض بنى قريش » ، وكلمة « بنى » مقحمة . والشخص المراد هو الحارث بن هشام بن المغيرة ، كما فى الديوان ٥٩ .

(٦) عقاب : عبد كان لبنى تغلب ، وكان له بنات وقع بعضهن عند الفرافصة بن الأحوص الكلبى فكن إماء له ، وكانت واحدة منهن ولدت لرجل من بنى تغلب ابنة تزوجها مخربة بن جندل . ومخربة هذا والد أسماء والدة الحارث بن هشام . فحسان يهجو الحارث بأن له نسباً فى الإماء . و « عنده شجن » أراد أنه يجلب لها الشجن عند ماتتذكر نسبها . ط ، س : « بن أحوص » وأثبت ما فى ل والديوان.

(٧) يقال : « أزهى من غراب » ؛ لأنه إذا مشى اختال ونظر فى عطفيه » . ثمار القلوب ٣٦٥ . ورواية المخصص (٣ : ١٠٣) : « فى فحش زانية » ، وفيه وفى الديوان ٦٠ : « وزوك غراب » . والزوك : المشى المتقارب الخطو مع تحرك الجسد .

ويقال: «وجَد فلانٌ تَمْرَةَ[1] الغُراب»، كأنّه يتّبع عندهم أطيَب التمر[2].

ويقال: «إنّه لأَحْذَرُ مِنْ غراب» و: «أشدُّ سَواداً من غراب». ١٣٢

وقد مَدحوا بسَوادِ[3] الغراب. قال عنترة:

فيها اثنتانِ وأربَعُون حَلوبَةً سُودا كَخَافِيَةِ الغرابِ الأسْحَمِ

وقال أبو دوَاد[4]:

تنفِى الحصى صُعُداً شَرْقِيَّ مَنْسِمِها نَفْيَ الغُرابِ بأعلى أنفه الغَرَدا[5]

والمغاريد: كَمْءٌ[6] صِغار. وأنشَد[7]:

يَحُجُّ مأمومةً فى قَعْرِها لَجَفٌ فاستُ الطَّبيبِ قذَاها كالمغارِيدِ[8]

وقد ذكرنا شدَّة منقاره، وحدَّةَ بصره فى غير هذا المكان.

---

(١) كذا فى ل واللسان (ت م ر) ومثله فى أمثال الميدانى (١ : ٣٦٩، ٢ : ٢٨٧). يضرب لمن يظفر بالشىء النفيس، ولمن يجد أفضل ما يريد. ط، س وكذامحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٩): «ثمرة» بالمثلثة.

(٢) ط، س، «الثمر» بالمثلثة. وانظر التنبيه السابق.

(٣) ما عدا ل: «سواد».

(٤) كذا على الصواب فى ط. وفى ل، س: «أبو داود» تحريف. وأبو دواد: شاعر جاهلى اسمه جارية بن الحجاج أو حنظلة بن الشرقى. وهو أحد نعات الخيل المجيدين. وكانت العرب لا تروى شعره ولا شعر عدى بن زيد لأن ألفاظهما ليست بنجدية. خزانة الأدب (٤ : ١٩٠ بولاق) والشعراء لابن قتيبة.

(٥) ل: «ينفى» ويصح إذا قرئ بالبناء للمجهول. ومنسم الناقة كمجلس: خفها. والغرد: ضرب من الكمأة صغار، وأراد بالأنف هنا المنقار. ط: «نفى الغراب» وصوابه فى ل، س. ل: «الغردة».

(٦) ط: «كم»، صوابه فى ل، س. والمغاريد: جمع مغرود، بالضم: لغة فى الغرد.

(٧) البيت الآتى قائله عذار بن درة الطائى. اللسان (ح ج ج).

(٨) وصف هذا الشاعر طبيبا يداوى، شجة بلغت أم الرأس فى قعرها. تلجف أى تقلع، كما تتلجف البئر فينقلع طيها من أسفلها. وذلك الطبيب يجزع من هولها فالقذى يتساقط من استه كالمغاريد. انظر اللسان (ح ج ج) والكامل ٦٤ ليبسك، ومعجم الأدباء (١٥ : ٧٣ — ٧٤) حيث الكلام طويل فى البيت. ط، س: =

(شعر فى مديح السواد)

وقالوا فى مديح السَّواد ، قال امرؤ القيس :

العــينُ قادحــةَ واليــدُّ سابحــةٌ والأُذْنَ مصْغِيةٌ واللّونُ غِربيبُ(١)

وفى السَّواد يقول رَبيِّعة أَبُو ذؤابٍ(٢) الأسدىّ ، قاتل عتيبة بن الحارث ابن شهاب :

إِنَّ المــودة والهــوادةَ بينَنَا خلقٌ كسَحْقِ الْيُمْنَةِ المنجَابِ(٣)

إِلَّا بجيشٍ لا يكَتُّ عــدِيدُه سُودِ الجلودِ من الحديدِ غِضابِ(٤)

= « فحج » ، وصواب الرواية من ل والمراجع المتقدمة . ل : « لحف » مصحف . ط : « قاسى الطيب » محرف . وروى : « كالغاريد » مقلوب عن « المغاريد » المخصص (١٣ : ١٨٢) .

(١) ط ، س : « والعين » . واليد ، بالتشديد : لغة فى اليد . س : « والرجل » .

(٢) كان ذؤاب قتل عتيبة بن الحارث اليربوعى فى يوم خو ، وأسرت بنو يربوع فى ذلك اليوم ذؤابا ، أسره الربيع بن عتيبة بن الحارث وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه ، فأتى ربيعة أبو ذؤاب إلى الربيع ، فافتدى ولده بشىء معلوم ، ووعده أن يأتى بذلك سوق عكاظ . وساق ربيعة الفداء إلى السوق فى الموعد فلم يجد الربيع وابنه الأسير ، وكان الربيع تخلف لغرض له ، فقدر ربيعة فى نفسه أن الربيع علم بقتل أبيه فقتله فرثاه بأبيات منها البيتان الآتيان ، وسارت عنه . فبلغت بنى يربوع ، فعرفوا أنه قاتل عتيبة فأقادوه به . ولولا ذلك لنجا . انظر الخبر فى شرح التبريزى للحماسة (٢ : ١٦٦) . والشعر والخبر فيه وفى أمالى القالى (٢ : ٧٢ - ٧٣) . وربيعة أبو ذؤاب هو بضم الراء ، قال أبو محمد الأعرابى : « ليس فى العرب ربيعة غيره » وهو ابن عبيد بن سعد (أو هو ابن أسعد) بن جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين . شرح الحماسة والمؤتلف ١٢٥ ط ، س : « ربيعة بن أيوب » ، تحريف صوابه فى ل .

(٣) الهوادة : اللين . كسحق اليمنة ، أى كالثوب السحق البالى منها . اليمنة بالضم : نوع من برود اليمن .

(٤) إلا بجيش : يقول لانهدأ إلا إذا حكمنا الحرب . لا يكت : لا يعد ولا يحصى .

(شعر ومثل فى شيب الغراب)

وفى المَثَل : « لا يكونُ ذلك حتّى يشيبَ الغُراب » . وقال العرْجىُّ :

لا يحولُ الفؤادُ عنه بودٍّ أبداً أو يَحولَ لون الغُرابِ

وقال ساعدةُ بن جُؤَيّة :

شابَ الغرابُ ولا فؤادُكَ تاركٌ عَهْدَ الغَضُوبِ ولا عتابُكَ يُعتِبُ[١]

(معاوية وأبو هوذة الباهلىّ)

ومما يُذكَر للغراب ما حدّث به أبو الحسن[٢] ، عن أبى سليم[٣] ، أنّ معاويةَ قال لأبى هوذة[٤] بن شمّاس الباهلىّ[٥] : لقد هممت أن أحمِلَ جمْعا من باهلةَ فى سفينةٍ ثم أغرقهم ! فقال أبو هَوْذة : إذَنْ لا ترضى باهلةُ بعِدّتِهم من بنى أمية ! قال : اسكت أيُّها الغرابُ الأبقع ! وكان به برص —

---

(١) أراد : طال عليك الأمر حتى كان مالا يكون أبداً ، وهو شيب الغراب . عن اللسان . ط ، س : « تاركا » ولا تصح وصوابها فى ل واللسان (شيب وعتب) . و « عهد » هى فى ل : « ذكرى » وفى اللسان « ذكر » . ويعتب ، بالضم والبناء للفاعل ، بمعنى يجلب إليك العتبى ، وهى الرضا ، يقول : إن عتابك فى غير طائل . وقد ضبطت فى اللسان بالبناء للمفعول فى الموضعين . وفسرها بقوله : « أى لا يستقبل بعتبى » .

(٢) أبو الحسن ، يريد به على بن محمد المدائنى الأخبارى المعروف .

(٣) ل : « أبى سليمان » .

(٤) هذه الكلمة جاءت فى الأصل بالدال المهملة فى مواضعها الثلاثة . والوجه ما أثبت .

(٥) « ابن شماس » ساقطة من ل .

فقال أبو هوذة : إنّ الغراب [الأبقع] ربّما درج إلى الرَّخمةِ حتى ينقرَ دِماغها ، ويقلع[1] عينَها ! فقال يزيد بن معاوية : ألا تقتُلُه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : مَهْ ! ونهض معاوية . ثمَّ وجّهه بعدُ فى سريَّة فقتل . فقال معاوية ليزيد : هذا أخفَى وأصوب !

(شعر فى نقر الغراب العيون)

وقال آخرُ[2] فى نقْر الغراب العُيونَ :

أتوعد أسرتى وتركتَ حُجْراً يُرِيغُ سـوادَ عَينيهِ الغُرابُ[3]

ولو لاقيت عِلباءَ بنَ جَحْشٍ رضِيتَ من الغَنيمةِ بالإيابِ[4]

١٣٣ وقال أبو حيَّة — فى أنّ الغراب يسمُّونه الأعور تطيُّرا منه — :

وإذا تَحَـلُّ قُتودها بتَنوفـةٍ مَرَّت تليح من الغُرابِ الأعورِ[5]

لأنَّها تخاف من الغربان ؛ لمَا تعلمُ من وقوعها على الدَّبر .

---

(١) س : « ويقتلع » .

(٢) هو عبيد بن الأبرص يرد على امرئ القيس . انظر الخزانة (٢ : ٤٠٣ بولاق) والعمدة (١ : ٦٥) .

(٣) يريغ : يطلب . س « يريع » مصحفة .

(٤) س : « علباء » تصحيف . وفى البيت إقواء كما ترى . ومن عجيب ماروى فى شأن الإقواء : قول صاحب القاموس : « وقلت قصيدة لهم بلا إقواء »، يعنى العرب .

(٥) قتود الناقة : أدوات رحلها . والتنوفة : الفلاة . وتليح : تشفق وتحاذر . ط ، س : « يحل قتودها » . ط : « غرت » مكان « مرت » والأولى تحريف .

(شعر فيه مدح بلون الغراب)

ومما يُمدَح به الشُّعراءُ بلون الغراب(١) قال أبو حيَّة :

غرابٌ كانَ أَسْوَدَ حالكِيًّا ألَا سَقْيًا لِذلِكَ مِنْ غُرابِ

وقال أبو حيَّة(٢) :

زمانَ عَلَيَّ غرابٌ غـــدَافٌ فَطيَّرهُ الدَّهْرُ عَنِّى فطَارا

فلا يُبعِدِ الله ذاكَ الغُـدافَ وإن كان لا هو إلّا ادّكارا(٣)

فأصبـحَ موضــعهُ بائضاً مُحِيطا خِطاماً مُحيطا عذارا(٤)

وقال أبو حيَّةَ فى غير ذلك ، وهو مما يُعدّ للغراب :

كأَنَّ عَصِيمَ الدَّرس منهنَّ جاسدٌ بما سال من غربانهنَّ من الخَطْرِ(٥)

---

(١) ط ، س : « الشعر » وليست مرادة ، بل المراد الشعراء كما فى ل . ط : « لون » وصوابه فى ل ، س .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وقال آخر » . وقد روى المرتضى فى أماليه (٢ : ١٠٠) تسعة أبيات من قصيدة أبى حية منسوبة إليه . وقبل البيت الأول :

زمان الصبا ، ليت أيامنا رجعن لنا الصالحات القصارا

(٣) كذا فى الأصل . وفى أمالى المرتضى : « وإن هو لم يبق إلا ادكارا » .

(٤) بائضا ، من باض النبت : إذا صوح . ل ، س : « محيطا غدارا » .

(٥) العصيم : الدرن والوسخ والبول إذا يبس على فخذ الناقة . الدرس : الجرب أول مايظهر . وفى الأصل : « الورس » ووجهه ما أثبت . انظر اللسان (درس ٣٨٣) والمخصص (٧ : ١٦٣). وجاسد : لاصق، وفى الأصل: « حاسد » . والخطر : بالفتح ويكسر : ما يتلبد على أوراك الإبل من أبوالها وأبعارها .

(استطراد لغوى)

والغراب ضروب، ويقع هذا الاسمُ فى أماكن، فالغراب[1] حدُّ السكين والفأسِ ، [يقال] فأسٌ حديدة الغراب . وقال الشّماخ :

فأَنْحَى عليها ذات حدٍّ غرابها   عَدُوٌّ لِأَوْسَاطِ العِضَاهِ مشارزُ[2]

المشارزة : المعاداة والمخاشَنة .

والغراب : حدُّ الورِك ورأسه الذى يَلِى الظهر[3] ، ويبْدأ[4] من مؤخَّر الرِّدف . والجمعُ غِربان . قال ذو الرُّمَّة :

وقَرَّبْنَ بالزُّرقِ الحمائِل بعدَ ما   تَقَوَّب من غِربانِ أوراكِها الخَطْرُ[5]

تقوَّب[6] : تقشر ماعلى أوراكها من سلْحِها وبَولها ، من ضَربها بأذنابها .

---

(١) ط : « فالغرب » ، وصوابه فى ل ، س .

(٢) أنحى : أمال . وذات حد : الفأس . والعضاه : شجر عظيم . والبيت فى صفة قواس تناول فرعا وجعل يشذبه بالفأس ليصنع قوسا . ل : « علولا لأوساط » ، صوابه فى ط ، س والديوان ٤٧ .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ورأسه الفقارة التى تلى الظهر » .

(٤) ط ، س : « تبدأ » ، ل : « ويبدو » ، وجعلته كما ترى .

(٥) الزرق : أكثبة رملية بالدهناء . والحمائل ، بالحاء المهملة : جمع حمولة بالفتح ، وهى الإبل التى تحمل . ومثل هذه الرواية فى اللسان (خطر ، زرق) . ورواه ابن سيده فى المخصص (٧ ، ٢٣ ، ١٤ : ١١٧) : « الجمائل » بالجيم ، وقال هو جمع جمال بالكسر . والخطر فسر فى الصفحة السابقة .

(٦) س : « يقول » .

(غراب البيْن)

وكلُّ غراب فقد يقال له غراب البين إذا أرادوا به الشؤم ، أمَّا غراب البين نفسه ، فإنَّه غرابٌ صغير . وإنَّما قيل لكلِّ غراب غراب البَين ، لسقوطها فى مواضعِ منازلهم إذا بانوا عنها . قال أبو خَوْلة الرِّياحِيّ[1] :

فليس بِيربوع إلى العَقْل فاقَةٌ ... ولا دَنَس يَسودُّ منه ثيابُها[2]

فكيف بنَوكَى مالك إن كفَرتم ... لهم هذه ، أم كيف بعدُ خِطابها[3]

مَشَائم ليسُوا مُصلِحِين عشيرةً ... ولا ناعبٍ إلّا ببينٍ غرابها[4]

(الوليد بن عقبة وعبد الله بن الزبير)

١٣٤ ومن الدَّليل على أنّ الغرابَ من شرارِ الطَّير ، ما رواه أبو الحسن قال : كان ابنُ الزبير يقعُد مع معاويَةَ على سريره ، فلا يقدر معاويةُ أن يمتنع

---

(١) أبو خولة : كنية الأخوص ، بالخاء المعجمة ، الرياحى اليربوعى ، كما فى الخزانة (٤ : ١١٩ سلفية) . ل : « أبو خوالة » محرف . وفى البيان (٢ : ٢٦٠) « أبو الأحوص الرياحى » ، صوابه : « الأخوص الرياحى » كما فى الخزانة (٤ : ١١٨ سلفية) . وروى السيوطى فى شرح شـواهد المغنى ٢٩٥ نسبته إلى أبى ذؤيب الهذلى . وقد ذكر صاحب الخزانة سبب الشعر وقصته . والأخوص الرياحى شاعر إسلامى .

(٢) المراد بالعقل هنا : الدية . والرواية فى الخزانة والبيان : « سوى دنس » . و « منه » هى فى الأصل « منها » وتصحيحه من البيان وشرح شواهد المغنى .

(٣) أراد بمالك : بنى دارم بن مالك ، وكانوا قتلوا رجلا من بنى غدانة بن يربوع .

(٤) أراد بالمشائم بنى مالك لا بنى يربوع . وفى الخزانة : « مشائيم » . وأنت تراه قد جر « ناعب » توهما منه أن الباء قد دخلت على المعطوف عليه وهو « مصلحين » فإن الباء تزاد فى خبر ليس . وقد رواه سيبويه فى كتابه (١ : ١٥٤ ، ٤١٨) بالجر كما هنا . ورواه فى (١ : ٨٣) ، « ولا ناعبا » على الأصل .

منه ، فقال ذات يومٍ : أمَا أحدٌ يكفينى ابنَ الزبير ؟ فقال الوليدُ بن عقبة : أنا أكفِيكه[1] يا أميرَ المؤمنين . فسبق فقعَد فى مقعَدِه على السرير ، وجاء ابنُ الزبير فقعَدَ دونَ السرير ، ثمَّ أنشد ابنُ الزبير :

تسمَّى أباناً بعد ما كان نَافِعاً　　وَقَدْ كانَ ذَكْوَانُ تَكَنَّى أبَا عمرِو[2]

فانحدَرَ الوليدُ حتى صار معه ، ثم قال :

ولولا حُرَّةٌ مهَدَتْ عَلَيْكَمْ　　صفِيَّةُ ما عُدِدْتم فى النَّفِيرِ[3]

ولا عُرِفَ الزبيرُ ولا أبوه　　ولا جلسَ الزبير على السريرِ

ودِدْنَا أنَّ أمَّكَمَ غرابٌ　　فكنتم شرَّ طيرٍ فى الطَّيورِ

(القواطع والأوابد)

قال أبو زيد : إذا كان الشتاء قطعت إلينا الغِربان ، أى جاءت بلادنا[4] ، فهى قواطعُ إلينا ، فإذا كان الصيف فهى رواجع . والطير التى تقيم بأرض[5] شتاءها وصيفها أبداً فهى الأوابد . والأوابد أيضاً

---

(١) ط ، س : « أكفيك » .

(٢) ط ، س : « يسمى » و « يكنى » .

(٣) صفية هذه هى بنت عبد المطلب ، عمة الرسول . وهى أم الزبير بن العوام . يقول لولا ما أدركتم من شرف الأم ما عددتم فى النفير . والعبارة تنظر إلى المثل السائر « فلان لا فى العير ولا فى النفير » ، يضرب لمن لا يستصلح لأمر من الناس ، ولمن هو صغير القدر . انظر اللسان (نفر) وأمثال الميدانى (٢ : ١٥٤ — ١٥٥) .

(٤) ل : « من بلادنا » تحريف .

(٥) ل : « بأرضنا » .

هى الدواهى، يقال جاءنا بآبدةٍ . ومنها أوابد الوحْش . ومنها أوابد الأشعار .
والأوابد أيضاً : الإبل إذا توحَّش منها شىءٌ فلم يُقدَر عليه إلّا بعقْر . وأنشد
أبو زيدٍ فى الأوابد[1] :

ومَنْهل وَرَدْتَه التِقَاطَا[2] طامٍ فلمْ ألْقَ به فُرَّاطَا[3]
* إلّا القطا أوابداً غطَاطا[4] *

(صوت الغراب)

ويقال نغق الغراب ينغِق نغيقا ، بغين معجمة ؛ ونعب ينعب نعيباً
بعين غير معجمة . فإذا مرَّت عليه السِّنونَ الكثيرةُ وغلُظ صوته قيل شحَج
يشحَج شحيجاً[5] . وقال ذو الرُّمَّة :

ومُسْتَشْحِجَاتٍ بالفِراقِ كأنّها مَثَا كِيلُ من صيَّابةِ النُّوبِ نُوَّحُ[6]

والنُّوبة توصف بالجزع .

---

(١) صاحب الرجز نقادة الأسدى ، كما فى اللسان (فرط ، لقط) .

(٢) التقاطا : فجأة بدون احتساب أو رجاء .

(٣) الفراط : المتقدمات إلى الماء . ط ، س : « فلم نلف » . اللسان : « لم أر إذ وردته » و « لم ألق إذ وردته » . ل : « قراطا » بالقاف ، تصحيف .

(٤) ل : « أبدا » . والغطاط ، بالفتح : الطوال الأرجل ، البيض البطون ، الغبر الظهور ، الواسعة العيون . ورواية اللسان فى الموضعين : « إلا الحمام الورق والغطاطا » .

(٥) س : « سحج يسحج سحيجا » ، تصحيف .

(٦) يعنى الغربان . س : « مستسحجات » تصحيف . والصيابة ، بضم الصاد وتشديد الياء : الصميم والخيار . س : « صبابة النوب » وصوابه فى ل ، ط ، واللسان والمخصص (٣ : ١٥٣ ، ٤ : ٣٠ ، ٨ : ١٣٤) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٦٩) .

(أثر البادية فى رجال الروم والسند)

وأصحابُ الإبل يرغبون فى اتّخاذ النوبة والبربر والرُّوم للإبل ؛ يرون أنهم يصلُحون على معايشها ، وتصلح على قيامهم عليها .

ومن العجب أنَّ رجال[١] الرُّوم تصلح فى البدْو مع الإبل ، ودخول الإبل بلادَ الروم هو هلاكها .

فأمّا السِّندُ فإنَّ السِّندِىَّ صاحبَ الخرْبَة[٢] إذا صار إلى البدو ، وهو طفل ، خرجَ أفصحَ من أبى مَهْدِيّة[٣] ، ومن أبى مطَرِّف[٤] الغنَوىّ . ولهم طبيعةٌ فى الصَّرْفِ ؛ لاترى بالبصرة صيْرَفِيًّا إلَّا وصاحبُ كِيسه[٥] سِنْدِىٌّ .

---

(١) ط ، س : « حال » .

(٢) خربة السندى : ثقب شحمة أذنه . ط ، س : « الحربة » مصحفة . قال ذو الرمة من بائيته المشهورة :

كأنه حبشى يبتغى أثراً أو من معاشر فى آذانها الخرب

وقد سبقت هذه الكلمة فى (٢ : ٣٤٠ ، ٣٤١) ، وفى أول رسالة فخر السودان : «خرتة» وهى والخربة بمعنى .

(٣) أبو مهدية سبقت ترجمته فى (٢ : ٢١٤) . س : « أبى مهرية » ، تصحيف .

(٤) ل : « ومن مصرف » .

(٥) س : « كسبه » . تحريف ما فى ط ، ل . وجاء فى رسائل الجاحظ ٨١ ساسى : « ومن مفاخرهم أن الصيارفة لا يولون أكيستهم وبيوت صروفهم إلا السند وأولاد السند . . . ولا يكاد أحد أن يجد صاحب كيس صيرفى ومفاتيحه ابن رومى ولا ابن خراسانى » .

(نبوغ السِّند)

واشترى محمّد بن السّكن ، أبا رَوْح[1] [فَرَجاً] السِّندى ، فكسب ١٣٥ له المالَ العظيم . فقَلَّ صيدَلانىٌّ[2] عندنا إلّا وله غلامٌ سِندىٌّ . فبلغوا أيضاً فى البَرْبَهار[3] والمعرفة بالعقاقير ، وفى صحّة المعاملة ، واجتلاب الحُرفاء مبلغاً حسنا .

وللسِّندِ فى الطّبخ طبيعةَ ، ما أكثرَ ماينجبُون فيه .

وقد كان يحيى [بن خالد] أراد أن يحوِّل إجراءَ الخيل عن صبيان الحَبشان والنُّوبة ، إلى صبيان السند ، فلم يفلحوا فيه ، [وأراد تحويل رجال السّند إلى موضع الفرَّاشين من الرُّوم[4] ، فلم يفلحوا فيه] .

وفى السِّند حلوق[5] جياد ، وكذلك بنات السِّند .

---

(١) ط ، س : « أبا رواح » ، وصوابه من ل ورسائل الجاحظ ٨١ ساسى .

(٢) الصيدلانى : بائع الأدوية ، وتبدل اللام نونا فيقال « صيدنانى » أيضاً . وجاء فى ل : « صيدنانى » .

(٣) كذا ضبطها العلامة المحقق الأب أنستاس مارى الكرملى ، وقال : المراد بها توابل بر الهند . قلت : وجاءت هذه الكلمة فى رسائل الجاحظ ٨١ ساسى : « صيارفة البصرة وبنادرة البربهارات » . وانظر أنساب السمعانى ٧١ . وفى ط ، س : « البربها » ، بإسقاط الراء محرفة .

(٤) يراد بالفراش من يتعهد فراش البيت وأثاثه . انظر حول ديوان البحترى ص ٣٩ .

(٥) أراد أصحاب حلوق : جمع حلق ، أى أن لهم أصواتا حسنة . ل : « أخلاق » تحريف . وجاءت مثل هذه العبارة فى رسائل الجاحظ ٦٣ ، قال : « وليس فى الأرض أحسن حلوقا منهم » وفى ص ١١٨ : « ومن مفاخر الزنج حسن الحلق وجودة الصوت » .

(استطراد لغوى)

والغراب يسمَّى أيضاً حاتماً . وقال عَوف بن الخَرِع[١] :

ولكنَّما أهْجُو صفيَّ بنَ ثابت مُثَبَّجةً لاقت من الطَّيرِ حاتما[٢]

وقال المرقَّش ، من بنى سَدُوس[٣] :

ولقد غَدَوتُ وكنتُ لا أغــدُو على وَاقٍ وحاتِم

[فإذا الأشائمُ كالأيا مِنِ والأيامِنُ كالأشائمْ

وكذاك لا خــير ولا شرٌّ على أحــدٍ بدائمْ]

---

(١) هو عوف بن عطية بن الخرع (وزان كتف) التيمى ، نسبة إلى تيم بن عبد مناة ، شاعر جاهلى . الخزانة (٣ : ٨٢ بولاق) . فى الأصل « الجزع » تصحيف ، صوابه فى القاموس (خرع) والخزانة والمفضليات ، وقد اختار له المفضل الضبى فى ٣٢٧ ، ٣٢٨، ٤١٢ ثلاث قصائد حسان .

(٢) المثبجة : البوم ، كما فى القاموس . ط ، س : « منيحة »، وفى ل : « متيحة لاقته من الطير » ، صوابه من الأصمعيات ١٦٩ .

(٣) بدله فى ط ، س : « وقال آخر » . وتجد الشعر منسوبا إلى المرقش فى عيون الأخبار (١ : ١٤٥) وتأويل مختلف الحديث ١٢٩ . ولم يعين المراد أهو المرقش الأصغر أم الأكبر ، لكن إطلاقه يرجح أنه الأصغر فإنه « أشعرهما وأطولهما عمراً » . معجم المرزبانى ٢٠١ . وتجد الشعر فى حماسة البحترى ٢٥٥ معزوا إلى المرقم الدهلى ، وهو خزز بن لوذان كما فى المؤتلف ١٠٢ حيث توجد هذه النسبة أيضاً . والشعر بدون نسبة فى أمالى القالى (٣ : ١٠٦) وزهر الآداب (٢ : ١٦٩) .

وأنشد خُثَيم بن عَدِيّ[١] :

وليس بهيَّابٍ إذا شدَّ رحْلَه يقولُ عدانِي اليومَ واقٍ وحاتمُ[٢]
ولكنّه يَمضِي على ذاكَ مُقْدِماً إذا صَدَّ عَنْ تِلكَ الهَنَاتِ الخُثارِمُ[٣]

والخُثارم : هو المتطيِّر[٤] من الرِّجال . وأما قوله : « واقٍ وحاتمُ » فحاتم هو الغراب ، والواقِي هو الصُّرَد ؛ كأنَّه يرى أنَّ الزَّجْر بالغُراب إذا اشتقَّ مِن اسمه الغُرْبة[٥] ، والاغتراب ، والغريب ، فإنَّ ذلك حتم . ويشتق من الصُّرَد التصريد[٦] ، والصُّرَد [و] هو البرد . [ويدلك[٧]] على ذلك قوله :

دعا صرَدٌ يوماً على غصْنِ شَوْحَطٍ وصاح بذاتِ البَيْنِ منها غرابُها[٨]
فقلتُ : أتصريدٌ وشَحْطٌ وغرْبَةٌ فهذا لعمرى نأيُها واغترَابُها[٩]

---

(١) كذا على الصواب فى ل والاقتضاب ٣٥٤ واللسان (وق ، وحتم ، وخثرم) . ويعرف أيضاً بالرقاص الكلبى ، كما نقل مصحح اللسان عن التكلة . وفى ط ، س : « لحاتم بن على » ، وهو تحريف . يمدح بالشعر مسعود بن بحر الزهرى . وقبله :

وجدت أباك الخير بحراً بنجوة بناها له مجداً أشم قاقم

(٢) عدانى : منعنى عن المضى إلى ما أقصد . والواق ، كالقاضى : الصرد ، وهو طائر أبقع ضخم الرأس ضخم المنقار شديده ، فوق العصفور ويصيد العصافير ، غذاؤه من اللحم .

(٣) عن تلك الهنات : أى بسبب تلك الأمور . ط ، س : « المناة » ، صوابها فى ل واللسان والاقتضاب والمخصص (١٣ : ٢٥) وتأويل مختلف الحديث ١٢٨ . والخثارم ، بضم الخاء ويروى بفتحها . فالأول مفرد والثانى جمع ، مثله جوالق وجوالق ، وقراقر وقراقر ، وعذافر وعذافر .

(٤) ط ، س : « المتكبر » ، وصوابه فى ل واللسان والقاموس وتأويل مختلف الحديث ١٢٨ .

(٥) ط ، س : « عن اسمه الغرابة » محرفة .

(٦) التصريد : التقليل ، وفى السقى : دون الرى .

(٧) الزيادة من ل ، س .

(٨) الشوحط : شجر تتخذ منه القسى . وفى زهر الآداب (٢ : ١٦٨) : « على غصن بانة » ، ولا يستقيم هذا مع البيت الآتى . ط ، س : « فيها » ، وصوابه من ل وزهر الآداب . وضمير « منها » للحبيبة .

(٩) التصريد قسر قريباً . والشحط : البعد .

[فاشتَقَّ التَّصْرِيدَ مِنَ الصُّرَدِ ، وَالْغُرْبَةَ مِنَ الْغُرَابِ ، والشَّحْطَ مِنَ الشَّوْحَطِ] .

ويقال أُغْرِب الرّجُل : إذا اشتدَّ مرضُه ، فهُوَ مُغْرَب[1] .

قال : والعنقاء المغْرِب ، العُقاب ؛ لأنَّها تجيء من مكانٍ بعيد .

(أصل التطير فى اللغة)

قال : وأصل التطيُّر إنّما كان من الطَّير [و] من جهة الطَّير ، إذا مرَّ بارحًا [أ] وْ سانحا[2] ، أو رآه يتفلى وينتَتِف ، حتَّى صاروا إذا عاينوا الأعورَ من النَّاس أو البهائم ، أو الأعضَبَ أو الأبترَ ، زجَروا عند ذلك وتطيَّروا عندها ، كما تطيَّروا من الطير إذا رأوها على تلك الحال . فكان زجر الطَّير هو الأصـل ، ومنه اشتقوا التطيّر ؛ ثمَّ استعملوا ذلك فى كلِّ شيء .

(أسماء الغراب)

والغراب لسواده إن[3] كان أسود ، ولاختلاف لونه إن[3] كان أبقَع ، ولأنَّه غريب يقطع إليهم[4] ، ولأنّه لا يوجد فى موضع خيامهم

---

(١) ل : « أغرِب على الرجل » وليس مراداً ، فى القاموس : أغرب عليه : صنع به صنع قبيح . ط ، س : « اشتد ضحكه » ، وهو تحريف صوابه فى ل ؛ فى القاموس : « أغرب بالضم : اشتد وجعه » .

(٢) البارح : مامر من ميامنك إلى مياسرك . والسانح عكسه . وكان يتشاءم بالأول ويتيمن بالثانى عند أهل نجد ، وكان أهل الحجاز يتفاءلون بالأول ويتشاءمون من الثانى .

(٣) ل : « إذا » .

(٤) ط : « لايقطع » تحريف ، وانظر ما سبق فى ص ٤٣٢ .

يتقمَّم ، إلَّا عندَ مباينتِهم لمساكنهم ، ومزَايَلَتِهِمْ لدُورهم ؛ ولأنَّه ليس شىءٌ ١٣٦
من الطَّير أشدَّ على ذوات الدَّبَر من إبلهم من الغِربان ، ولأنَّه حديدُ البصر
فقالوا عند خوفهم من عينه « الأعور » . كما قالوا : « غراب » لاغترابه وغربته
« وغراب البَين » ؛ لأنَّه عندَ بينونتهم يوجَد فى دُورهم .

ويسمُّونه « ابنَ داية » ؛ لأنَّه ينقُب عن الدَّبَر حتَّى يبلغ إلى دايات العنق
وما اتَّصل بها من خرُزات[1] الصُّلبِ ، وفَقَار الظهر .

(مراعاة التفاؤُل فى التسمية)

وللطِّيَرة[2] سمَّت العربُ المنهوش بالسَّليم ، والبرِّيَّة بالمفازة ، وكنَوا
الأعمى أبا بصير ، والأسود أبا البيضاء ، وسمَّوا الغراب بحاتِم ؛ إذْ كان
يحتِم الزَّجر به على الأمور . فصار تطيُّرهم من القَعيدِ والنَّطيح[3] ومن جَرْد
الجراد[4] ، ومن أنْ الجرادة[5] ذاتُ ألوان ، وجميعِ ذلك — دونَ
التَّطيُّرِ بالغراب .

---

(١) الخرزات : جمع خرزة ، بالضم وتجمع أيضاً على خرز ، كغرف ، وهى مابين الفقرات . ط : « خرزان » ، وصوابه فى ل ، س . وانظر ماسبق من الكلام على ابن دأية فى ص ٤١٥ .

(٢) الطيرة : مايتشاءم به من الفأل الردىء .

(٣) القعيد : ماجاء من ورائك من ظبى ، أو طائر . والنطيح : ماجاء من أمامك من الطير والوحش .

(٤) ل : « وجرد الجرادة » .

(٥) ط ، س : « الجراد » .

(ضروب من الطِّيَرة)

ولإيمان العرب بباب الطِّيَرَة [والفأل] عقَدُوا والرَّتائم[١] ، وعشَّروا إذا دخَلوا القُرى تَعشِيرَ الحِمار[٢] ، واستعملوا فى القِداح الآمر ، والناهى ، والمتربِّص[٣] . وهنَّ غيرُ قداح الأيسار .

(قاعدة فى الطِّيَرة)

ويَدُلُّ على أنهم يشتقُّون من اسم الشيء الذى يعاينونَ ويسمَعون ، قولُ سَوَّار بن المضرَّب[٤] :

تغنَّى الطَّائِرانِ ببينِ لَيلَى   على غصنين من غَرْبٍ وبَانِ

---

(١) الرتائم : جمع رتيمة : وهى أن يعقد الرجل إذا أراد سفرا شجرتين أو غصنين ويقول: إن رجع وهما على حالهما كانت زوجته محتفظة بوفائها ، وإلا فلا . أو هى خيط يشد على الإصبع تستذكر به الحاجة . والمعنى الأول هو المراد فى الطيرة والفأل .

(٢) عشر الحمار : تابع النهيق عشر نهقات ووالى بين عشر ترجيعات فى نهيقه . وكانوا يزعمون أن من قرب أرضا وبئة فوضع يده خلف أذنه وعشر ثم دخلها أمن الوباء . قال عروة فى ديوانه من مجموع خمسة الدواوين ص ٩٩ :

لعمرى لئن عشرت من خشية الردى   نهاق الحمير إننى لجزوع

ويظهر أن أصله عادة اليهود من العرب ، كما قال عروة :

وقالوا احب وانهق لا تضيرك خيبر   وذلك من دين اليهود ولوع

(٣) تحدث ابن قتيبة فى كتاب الميسر ٣٩ — ٤٠ عن الآمر والناهى ولم يذكر « المتربص » .

(٤) قال التبريزى : « مضرب بفتح الراء ، أى ضرب مرة بعد مرة » وقد ذكره =

فكان البانُ أن بانَتْ سُلَيمَى ... وفى الغَرْب اغترابٌ غيرُ دانِ

فاشتقّ كما ترى الاغتراب من الغَرْب ، والبينُونَة من البان .

وقال جرانُ العَود :

جَرَى يوم رُحْنا بالجِمَال نُزِفُّها ... عُقابٌ وشَحَّاجٌ من البين يَبْرَحُ[1]

فأمّا العُقاب فهى منها عقوبةٌ ... وأمّا الغُراب فالغَريبُ المطوَّحُ[2]

فلم يجد فى العُقاب إلّا العقوبة . وجعل الشَّحاجَ[3] هو الغراب البارح وصاحب البين ، واشتقّ منه الغريب المطوَّح .

ورأى السَّمهرىُّ[4] غرابا عَلَى بانةٍ ينتف رِيشَه ، فلم يجد فى البان إلّا البينونة ، ووجد فى الغُراب جميعَ معانى المكروه ، فقال :

رأيتُ غراباً واقِعاً فوقَ بانَةٍ ... يُنتِّف أعلى ريشهِ ويُطايِرُهْ[5]

= صاحب المؤتلف فقال : « سوار بن المضرب السعدى أحد بنى ربيعة بن كعب ابن زيد مناة بن تميم ، الشاعر المشهور، القائل :

وإنى لا أزال أخا حروب ... إذا لم أجن كنت مجن جانى »

ط ، س : « بشار بن المضرب » صوابه فى ل . والشعر فى عيون الأخبار (١ : ١٤٩) منسوب إلى الملوط ، وفى الكامل ٨٤ ليبسك ونثار الأزهار ٧٥ إلى جحدر العكلى . وانظر أمالى القالى (١ : ٢٨١ — ٢٨٢) .

(١) ل والشعراء ٦٩٧ : « يوم جئنا » . نزفها : نحثها على السير السريع ، يقال أزفه : حمله على الزفيف . ط ، س : « يزفها » ، وأثبت ما فى ل والديوان ٣ والشعراء .

(٢) المطوح : البعيد .

(٣) ط : « السحاج » ، وصوابه فى ل ، س . شحج : نعق .

(٤) كذا فى ل وهو المطابق لما فى شرح التبريزى للحماسة ١ : ٢١١. وهو السمهرى بن بشر العكلى . وفى ط ، س : « المهمى » ، تحريف . والمعروف نسبة هذه الأبيات إلى كثير عزة فى قصة طويلة تجدها فى زهر الآداب (٢ : ١٦٩) ومحاسن البيهقى (٢ : ٢٢ — ٢٣) والمستطرف (٢ : ١٦٩) وعيون الأخبار (١ : ١٤٧) والشريشى (٢ : ٢١٥) .

(٥) الرواية فى المخصص (٨ : ١٣١) وشرح التبريزى للحماسة : « ينشنش أعلى ريشه » نشنش ريشه : نتفه فألقاه .

فقلتُ ، ولو أنى أشاء زَجَرتُه بنفسى، للنهدىِّ: هل أنتَ زاجرُه[١]

فقال : غرابٌ باغتراب من النَّوى وبالبان بينٌ من حبيب تعاشرُه[٢]

فذكر الغرابَ بأكثرَ ممَّا ذُكر [به] غيرُه، ثمَّ ذكر بعدُ شأنَ الرِّيش وتطايرَه . وقال الأعشى :

ما تَعِيف اليومَ فى الطَّيرِ الرَّوَحْ مِنْ غرابِ البَينِ أو تيسٍ بَرَحْ[٣]

فجعل التَّيس من الطَّير ، إذ تَقدَّمَ ذكر الطَّير ، وجعله من الطَّير فى معنى التطيُّر .

وقال النَّابغة :

١٣٧ زَعَمَ البوارِحُ أنَّ رِحْلَتَنَا غَدًا وبِذَاكَ خَبَّرَنا الغرابُ الأسْوَدُ

وقال عنترة :

ظَعَنَ الذين فراقَهُمْ أتوقَّعُ وَجَرَى بِبَيْنِهِمْ الغُرابُ الأبقعُ

حَرِقُ الجناحِ كأنَّ لَحْيَىْ رأسِه جَلمانِ بالأخْبارِ هَشٌّ مولَعُ[٤]

---

(١) النهدى : رجل من بنى نهد ، وهم من أزجر العرب ، كان لقى كثيرا فى الطريق وزجر اه ، أى تكهن . ط : « للهندى » تحريف .

(٢) كذا فى ل والمراجع المتقدمة ، خلا زهر الآداب ، ففيه : « تجاوره » . وفى ط ، س : « نحاذره » ، أى نحاذر البين .

(٣) ط : « نعيف » س : « يعيف » ، والرواية ما أثبت من ل واللسان (روح عيف) ، والمخصص (٩ : ٥٧) ، ومحاسن البيهقى (١ : ٩٩) وتعيف : من العيافة وهى الزجر والتطير . والروح بالتحريك : اسم جمع لرائح أو أراد الروحة مثل الكفرة فطرح الهاء ، كما فى المخصص . والبيت صدر قصيدة للأعشى فى ديوانه ١٥٩ يمدح بها إياس بن قبيصة الطائى. وانظر قصة الشعر فى محاسن البيهقى.

(٤) ط ، س : « خرق » ، تصحيف . وقد أسلفت القول على هذا البيت فى (١ : ٣٤) .

فزَجَرتُه ألاّ يُفرِّخَ بيضُـه[١] أبَدًا ويُصْبِـحَ خائفاً يتفجَّعُ
إنَّ الذين نعَبْتَ[٢] لى بفراقِهمْ هُمْ أسهرُوا ليلى التِّمامَ فأَوْجَعُوا[٣]

فقال : « وجرى ببينهم الغراب » لأنَّه غريب ، ولأنه غراب البين ، ولأنّه أبقع . ثم قال : « حَرِق[٤] الجناح » تطيرًا أيضاً من ذلك . ثمَّ جعل لَحْيَىْ رأسِهِ جِلمَين ، والجلَم يقطع . وجعله بالأخبار هَشًّا مُولَعًا ، وجعَل نعيبه [و] شحيجَه كالخبر المفهوم .

(التشاؤم بالغراب)

قال : فالغراب أكثرُ من جميعِ ما يُتَطيَّرُ بهِ فى باب الشؤم . ألا تراهم كلما ذكروا ممَّا يتطيرُون منه شيئاً ذكروا الغراب معه ؟!

وقد يذكرون الغرابَ ولا يذكرون غيره ، ثمَّ إذا ذكروا كلَّ واحدٍ من هذا الباب لايمكنهم أنْ يتطيرُوا منه إلاّ من وجهٍ واحد ، والغراب كثيرُ المعانى فى هذا الباب ، فهو المقدَّم فى الشؤم .

---

(١) ط : « طيره » . وفى الديوان ١٥٧ : « عشه » . والبيت ساقط من ل .

(٢) س : « نعيت »، تصحيف .

(٣) ليل التمـام : الشديد الطول . وهذه رواية ط ، س والديوان . وفى ل : « ليل التمـام » وكلاهما صحيح . وفى حديث عائشة : « كان يقوم الليلة التمـام » .

(٤) ط ، س : « خرق »، وصوابه فى ل . وانظر التنبيه الرابع من الصفحة السابقة .

(دفاع صاحب الغراب)

قال صاحبُ الغراب : الغرابُ وغير الغراب فى ذلك سواءٌ . والأعرابىُّ إن شاء اشتقّ من الكلمة ، وتَوَهَّمَ فيها الخيرَ ، وإن شاء اشتقّ منها الشرَّ .

وكلُّ كلمةٍ تحتمِلُ وجوهاً .

ولذلك قال الشاعر :

نظرتُ وأصحابى ببطن طويلع ضُحَيًّا وقد أفْضى إلى اللَّبَبِ الحَبْلُ [1]

إلى ظبيةٍ تَعطو سَيَالاً تَصورُه يجاذِبها الأفنانَ ذو جُدد طِفل [2]

فقلتُ وعِفت : الحبلُ حبلُ وِصالها تجذَّذ من سلماك وانصرَم الحَبْل [3]

وقلت : سيال ! قَدْ تسلَّت مودّتى. تصورُ غُصُوناً ! صارجنّانها يَعلو [4]

---

(١) ل : « وقد جاوزت بطن طويلع » . الحبل : الرمل المستطيل . واللبب : ما كان قريبا من حبل الرمل . يقول : وقدجزنا الحبل إلى اللبب . ويصح أن يراد لبب الناقة وحبلها ، وأن الحبل قطع حتى صار إلى اللبب . ط ، س : « إلى اللبب الحمل » ، ووجهه ما فى ل .

(٢) السيال ، كسحاب : ضرب من الشجر تحبه الظباء . تصوره : تميله . الجدد : الخطوط والعلامات . س : « ذو حرحر » . ل : « ذو جدل » ، تحريف ما فى ط .

(٣) عفت ، من العيافة والزجر . تجذذ : تقطع . ط ، س: « تجدّد » ، يقال جذه قطعه . سلماك : نسب سلمى الحبيبة إليه . س : « ساماك » ل : « سامال » صوابه ما أثبت من ط . ل : « وانصرم الوصل » .

(٤) ط : « سيالا » ، خطأ .

وعِفتُ الغريرَ الطُّفلَ طِفلاً أتت به ... فقلت لأصحابى: مضيُّكمُ جَهْلُ[1]

رُجوعِىَ حَزْمٌ وامترائِىَ ضِلَّةٌ ... كذلك كانَ الزَّجْرُ يَصْدُقُنى قَبْلُ[2]

وقال ابن قيس الرُّقَيَّات :

بَشَّرَ الظَّبىُ والغُـرابُ بسُعْدَى ... مَرحَبًا بالذى يَقُول الغرابُ

وقال آخر[3] :

بَدَا إذ قَصَدْنَا عَامِدِينَ لأَرضنا ... سنيحٌ فَقال القَوْم : مرَّ سنيحُ[4]

وهابَ رجالٌ أن يقولوا وَجَمْجَمُوا ... فَقلت لهم : جارٍ إلىَّ ربيحُ[5]

عُقابٌ بإعقاب من الدّار بَعْدَ مَا ... مَضَت نِيَّةٌ لاتسْتطاعُ طَرُوحُ[6] ١٣٨

وقالوا : دمٌ ! دامت مودَّة بيننا ... وعادَ لَنا غض الشبابِ قريحُ[7]

وقال : صحابى : هُدهُدٌ فوق بانَة! ... هدًى وبَيانٌ فى الطريق يَلوحُ

وقالوا : حمامات ! فحُمَّ لقاؤُها ... وطلحٌ ! فنيلت والمطىُّ طَلِيحُ[8]

---

(١) ط : « الطفل طفل » صوابه فى ل ، س . توقع أنها زوجت وولدت فانقطع أمله من ودها .

(٢) الامتراء : الشك . والضلة بالكسر : الضلال ، وبالفتح : الحيرة . س : « خلة » .

(٣) هو أبو حية النميرى . زهر الآداب (٢ : ١٦٧ — ١٦٨) والشريشى (٢ : ٢١٥) .

(٤) ط ، س : « لأهلها » ، وأثبت ما فى ل وزهر الآداب . السنيح : ما جاء من المياسر إلى الميامن .

(٥) الجمجمة : ألا يبين المرء كلامه . ل : « ورجموا » وجار ، من الجرى .

(٦) الإعقاب : التبديل . يقول : سيبدلون الدار . ط ، س : « الدار » ، وصوابه فى ل وزهر الآدب . ونية طروح : بعيدة .

(٧) س : « قريح » ل : « غض الشباب قديح » ، ولم أهتد إلى الوجه فى ذلك . وفى زهر الآداب : « ودام لنا حلو الصفاء صريح » .

(٨) حم : قدر وقضى . المطى : الإبل . طليح : أعياه السفر . ط ، س : « فزيرت » ، وأثبت ما فى ل ومحاسن البيهقى (٢ : ٢٤) .

قالوا : فهو إذا شاء جعل الحمام من الِحمام والحميم والحمى. وإن شاء قال : « وقالوا حماماتٌ فحُمَّ لقاؤها » . وإذا شاء اشتق[1] البين من البان . وإذا شاءَ اشتقَّ منه البيان[2] .

وقال آخر[3] :

وقالوا: عقابٌ ! قلتُ عُقْبَى من الهوى ... دنَتْ بعد هَجْرٍ منهمُ، ونُزوحُ[4]

وقالوا : حمامات ! فحُمَّ لِقاؤُها ... وعادَ لنا حُلوُ الشَّبابِ رَبِيحُ[5]

وقالوا : تَغَنَّى هدهدٌ فوقَ بانة ! ... فقلتُ : هُـدًى نغدُو به ونَرُوحُ

ولو شاء الأعرابيّ [أن يقول[6]] إذا رأى ســوادَ الغراب : سواد سودد ، وسواد الإنسان : شخصه ، وسواد العراق : سعَف نخله ؛ والأسودان الماء والتمر ، وأشباه ذلك — لقاله .

قال : وهؤلاء بأعيانهم الذين يصرِّفون الزَّجر كيف شاءوا ، وإذا لم يجدوا مِن وقوع شيء بعدَ الزَّجر بُدًّا — هم الذين إذا بدا لهم فى ذلك بَداء[7] أنكروا الطِّيرَةَ والزَّجْر البتّة .

---

(١) ط ، : « أشق » ، وصوابه فى ل .

(٢) يشير إلى البيت الخامس من الأبيات السابقة .

(٣) كذا جاء . والحق أنه من القصيدة الأولى ، وأنه رواية أخرى فى بعض أبياتها .

(٤) النزوح : البعد .

(٥) ل : « وقالوا حمام قلت حم لقاؤها » .

(٦) الزيادة من س .

(٧) بدا له فى الأمر بدوا ، وبداء ، وبدأً ، وبداة ، نشأ له فيه رأى . ط : « بد » محرفة . س : « بدأ » ، وأثبت ما فى ل .

(تطير النابغة وما قيل فيه من شعر)

وقد زعم الأصمعيُّ أنَّ النَّابِغَةَ خرج مع زَبَّان بنِ سيَّار[1] يريدان الغَزو ، فبينما هما يريدان الرحلة إذْ نظر النَّابغَةُ وإذا على ثوبه جرادةٌ تجرد ذاتُ ألوان ، فتطيَّر وقال : غيرى الذى خَرجَ فى هذا الوجه ! فلما رجع زَبَّان من تلك الغَزْوة سالمًا غانماً ، قال :

تخــبَّر طيْرَهُ فيهـا زيادٌ   لتخْبرَه وما فيها خَبيرُ[2]
أقام كأنَّ لقْمان بنَ عادٍ   أشار له بحكْمته مُشـيرُ
تعــلَّمْ أنَّه لا طـيْرَ إلاَّ   على متطيِّرٍ وهو الثُّبـور
بلى شىءٌ يوافِقُ بعضَ شىءٍ   أحايينا وباطله كـثيرُ[3]

فزعم كما ترى زَبَّان — وهو من دُهاة العرب وساداتهم — أنَّ الذى يجِدونه إنَّما هو شىءٌ من طريق الاتفاق ، وقال :

تعـلَّمْ أنَّه لا طـيْرَ إلاَّ   على متطيِّرٍ وهو الثُّبُور

---

(١) هو زبان بن سيار بن عمرو الفزارى ، ذكره ابن قتيبة فى المعارف ٥١ . وهو صهر للنابغة ، قال فى شعر له :

ألا من مبلغ عنى خزيما   وزبان الذى لم يرع صهرى

وكانت أخت هرم بن سنان تحت زبان . ط ، ل : « يسار » ، وصوابه فى س والحيوان (٥ : ٥٥٥) والبيان (٣ : ٣٠٤) .

(٢) تخبر طيره : سألها أن تخبره . ط : « تخبر طيره » ، س : « تخير طيره » ، والطيرة بالكسر الاسم من تطير . وزياد هو النابغة ، ابن معاوية الذبيانى .

(٣) كذا فى ل والبيان (٣ : ٣٠٥) والحيوان (٥ : ٥٥٥) والعمدة (٢ : ٢٠٢) والمستطرف (١ : ٨٤) وعيون الأخبار (١ : ١٤٦) . وفى ط : « وأحيانا » . وفى س : « وأحيانا رداك » ، وما فى س محرف .

وهذا لاينقض الأوَّلَ من قوله : أمَّا[1] واحدة فإنه إنْ جعل ذلك من طريق العِقاب للمتطير[2] لم ينقُضْ قوله فى الاتّفاق . وإن ذهب إلى أنَّ مثلَ ذلك قد يكون ولا يشعر بِهِ اللاّهى عن ذلك والذى[3] لا يؤمن بالطيرة ، ١٣٩ فإنَّ[4] المتوقِّع فهو فى بلاء مادامَ متوقعا . وإن وافق بعضُ المكروه جعَله من ذلك .

(تطير ابن الزبير)

ويقال إنَّ ابن الزبير لما خرج مع أهله من المدينة إلى مكَّة ، سمع بعضَ إخوته ينشد :

وكلُّ بنى أمٍّ سيُمْسُون ليلةً ولم يَبْقَ من أعْيانِهِمْ غيْرُ وَاحِدِ

فقال لأخيه : مادعاك إلى هذا ؟ قال : أما إنى ما أردته ! قال : ذلك أشدُّ له .

وهذا منه إيمانٌ شديد بالطيرة كما ترى .

---

(١) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « إلا » .

(٢) س : « للطير » .

(٣) ل : « وأنه » محرف .

(٤) فى الأصل : « فأما » .

(بعض من أنكر الطيرة)

وممّن كان لا يرى الطيرة شيئاً[1] المرقش ، من بنى سدوس ، حيثُ قال :

[إنى غـدوت وكنت لا أغـدو على واق وحاتمْ]
فإذا الأشائمُ كالأيامنِ والأيامنُ كالأشـائمْ
فكذاك لا خـيْرٌ ولا شرٌّ على أحـدٍ بدائمْ[2]

قال سَلامة بنُ جندل[3] :

ومَن تعرَّض للغِرْبان يزْجُرُها على سلامَتِه لا بدَّ مشئوم

وممّن كان ينكر الطِيرة ويوصى بذلك ، الحارثُ بن حلِّزة ، وهو قوله — قال أبو عبيدة : أنشدَنيها [أبو] عمْرو ، وليست إلاّ هذه الأبيات ، وسائرُ القصيدةِ مصنوع مولّد — وهو قوله :

يا أيها المزْمِعُ ثم انثَنى لا يَثْنِكَ الحازِى ولا الشاحِجُ[4]

---

(١) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « ومن كان لا يرى الطير » .

(٢) سبقت الأبيات والقول فيها ص ٤٣٦ .

(٣) كذا والصواب أن البيت لعلقمة الفحل كما فى أمالى المرتضى (٣ : ٣٧) والديوان ١٣١ من قصيدته التى مطلعها :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

(٤) الحازى : زاجر الطير ، أو الكاهن . ط ، س : « الحادى » محرف .
والشاحج : الغراب يشحج بصوته .

ولا قعيــد أعضَبُ قَرْنُهُ هاجَ له من مَرْبَعٍ هَائِـجَ[١]

بينَا الفَتَى يَسْعَى ويُسْعى له تَاحَ له من أمْرِه خَالِـجُ[٢]

يَترُكُ مارَقَّح مِن عيشِــه يعيثُ فيــه هَمَجٌ هامِجُ[٣]

[لا تـكسع الشَّول بأغبارها إنكَ لا تَدْرِى من الناتجُ[٤]

وقال الأصمعى : قال سَلْم بن قتيبة[٥] : أضللت ناقَةً لى عَشراء ، وأنَا بالبدو[٦] ، فخرجت فى طلبها ، فتلقانى رجلٌ بوجهه شَينٌ من حَرْق النار ، ثمَّ تلقَّانى رَجُلٌ آخذ بخِطام[٧] بَعيره ، [وإذا][٨] هو ينشد :

فَلئِنْ بغَيتُ لهــ البغا ةَ فما البغاة بواجِدِينا[٩]

---

(١) القعيد : ما جاء من ورائك من ظبى أو طائر . والأعضب : المكسور القرن . ل : والبيان (٣ : ٣٠٣): « من مرتع » . س : « مربع » محرفة .

(٢) تاح : قدر ، أوتهيأ . والخالج : الموت يختلج المرء وينتزعه .

(٣) رقح : أصلح . ط ، س : « يعيش فيه » وأثبت ما فى ل واللسان والبخلاء ١٣٨ . وفى البيان : « يعبث فيه » .

(٤) الكسع : ضرب الماء على الضرع ليرتفع اللبن فتسمن الناقة ، أو يسمن أولادها فى بطنها . والشول ، بالفتح : جمع شائلة ، وهى التى أتى عليها من حملها ، أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها . والغبر بالضم : بقية اللبن فى الضرع . انظر الكامل ٢١٣ ليبسك وأمثال الميدانى (١ : ٣٣٦).

(٥) سلم بن قتيبة بن مسلم ، كان واليا على خراسان أيام هشام بن عبد الملك . وأبوه قتيبة ابن مسلم كان واليا عليها زمن الحجاج . تهذيب التهذيب وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٤٦ . ط: « سلام بن قتيبة » وفى سائر النسخ : « مسلم بن قتيبة » ، تحريف . والقصة الآتية فى تأويل مختلف الحديث ١٢٩ وسندها : « أبو حاتم قال نا الأصمعى عن سعيد بن مسلم عن أبيه » ، صوابه « بن مسلم » .

(٦) فى تأويل مختلف الحديث : « وأنا بالطف ». والطف : ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق .

(٧) ط ، س : « آخر » صوابه فى ل . والرجل هو هانئ بن عبيد من بنى وائل كما فى تأويل مختلف الحديث .

(٨) من س .

(٩) البغاة : جمع باغ ، وهو هنا الذى يطلب الشىء ويبحث عنه. ل: « بعثت له » . وقد نسب البيت فى عيون الأخبار ١ : ١٤٥ إلى لبيد .

ثم من بعد هذا كلِّه ، سألت عنها بعضَ من لقِيتُه ، فقال لى : التمسْها عند تلك النار . فأتيتهم فإذا هُمْ قد نتجوها حُوارًا[1] ، وقد أوقدُوا لها نارًا فأخذْتُ بخِطامها وانصرفتُ .

(النَّظَّام وعدم إيمانه بالطيرة)

وأخبرنى أبو إسحاقَ إبراهيم بنُ سيَّارٍ النَّظَّام قال : جعْت حتَّى أكلت الطين ، وما صِرت إلى ذلك حتَّى قلبت قلبِى[2] أتذَّكر : هلْ بها رجلٌ أصيبُ عنده غَدَاءً أو عَشاء[3] ، فما قدرت عليه . وكان علىَّ جُبَّةٌ وقميصان ، فنزعتُ القميصَ الأسفلَ فبعتهُ بدريهمات ، وقصدْتُ إلى فُرْضَةِ الأهواز ، أريد قَصبةَ الأهواز ، وما أعرف بها أحدا . وما كان ذلك إلاَّ شيئًا[4] أخرجه الضَّجَرَ وبعضُ التعرُّض . فوافيتُ الفُرضةَ فلم أصِبْ فيها سفينةَ ، فتطيَّرتُ مِن ذلك . ثم إنى رأيتُ سفينةً فى صدرها خَرْقٌ وهشم فتطيرتُ من ذلك أيضًا ، وإذا فيها حمولة ، فقلت للملاح : تحملنى ؟ قال : نعم قلت : ما اسمك ؟ قال : «داوداذ[5]» ، وهو بالفارسية الشَّيطان ، فتطيرت من ١٤٠

(١) الحوار ، بالضم ويكسر : ولد الناقة حين تضعه ، أو إلى أن يفطم .

(٢) قلبت قلبى ، أى فكرت كثيرا . والقلب : العقل .

(٣) بها ، أى بالبصرة ، أو بهذه الدنيا. ط : « وعشاء » .

(٤) ط ، س : « شىء » .

(٥) ط ، س : « داود » .

ذلك . ثم ركبت معه ، تصكُّ الشَّمالَ وجْهى ، وتُثير بِالليل[1] الصَّقيعَ على رأسى . فلمَّا قرُبنا من الفرْضة صِحْت : ياحمَّال ! ومعى لحافٌ لى سَمَل ، ومضْربةُ خلق ، وبعضُ مالا بُدَّ لمثلى منه . فكان أوّل حمَّال أجابنى أعور فقلتُ لبقَّار كان واقفا : بكم تكرِى[2] ثورَك هـذا إلى الخان ؟ فلما أدناه من متاعى إذا الثَّورَ أعضبُ القرن ، فازدَدْتُ طيرة إلى طيرَة ، فقلت فى نفسى : الرُّجوعَ أسلمُ لى . ثمّ ذكرتُ حاجتى إلى أكل الطين فقلت : ومن لى بالموت ؟! فلما صرتُ فى الخان وأنا جالس فيه ، ومتاعى بينَ يَدَىَّ وأنا أقول : إنْ أنَا خَلَفته فى الخانِ وليس عنده من يحفظُه فُشّ[3] البابُ وسرق ؛ وإن جلست أحفظُه لم يكن لمجيئى[4] إلى الأهوازِ وَجْه . فبينا أنَا جالس إذ سمعتُ قرْعَ البابِ ، قلت : من هذا عافاك الله تعالى ؟ قال : رجلٌ يريدُك ، قلت[5] : ومن أنا ؟ قال : أنت إبراهيم . فقلتُ : ومَن إبراهيم ؟ قال : [إبراهيم] النَّظَّام . قلت : هذا خنَّاقٌ ، أو عدوٌّ ، أو رسولُ سلطان ! ثم إنى تحامَلتُ وفتحتُ البابَ ، فقال : أرسَلَنى إليك إبراهيمُ بن عبد العزيز ويقول :

نحنُ وإن كُنَّا اختلفْنَا فى بعضِ المقالة ، فإنَّا قد نرجِعُ بعد ذلك إلى حقوقِ الأخلاق [و] الحرِّيَّة[6] . وقد رأيتك حينَ مررتَ [بى][7]

---

(١) ط ، س : « وينثر الليل » .

(٢) س : « تكرينى » . والكراء : الأجرة . وانظر الاستدراكات .

(٣) فش القفل : فتحه بدون مفتاح . شفاء الغليل .

(٤) ط س : « لمجىء » .

(٥) ط : « قتلت » تحريف .

(٦) الحرية : كون الإنسان حراً ، وهو من أقدم المصادر الصناعية . والحر : العتيق الكريم .

(٧) من ل ، س .

على حال كرهتُها منك ، وما عرفتُك حتّى خبّرنى عنك بعضُ مَن كان معى وقال : ينبغى أنْ يكونَ قد نَزَعَتْ[١] [بك] حاجة . فإنْ شئتَ فأقِمْ بمكانك شهرًا أو شهرين ، فعسى أنْ نبعثَ إليكَ ببعضِ ما يكفيك زمنًا[٢] مِن دهرك . وإن اشتَهيت الرُّجوعَ فهذه ثلاثون مِثقالاً ، فخذْها وانصرف ، وأنتَ أحقُّ مَن عَذَرَ .

[قَال] : فهجم واللهِ علىَّ أمرٌ كاد ينقضنى[٣] . أما واحِدَةً : فأنِّى لم أكُنْ ملكتُ قبلَ ذلك ثلاثينَ دينارًا فى جميع دهرى . والثَّانية : أنَّه لم يطُلْ مقامى وغيبتى عَن وطنى ، وعن أصحابى الذين هم على حال أشكل بى وأفهَمُ عنِّى . والثَّالثة : ما بيّن لى من أنَّ الطيرَة باطل ؛ وذلك أنّه قَدْ تتابع علىَّ منها ضروبٌ ، والواحدة منها كانت عنْدَهُمْ مُعْطِبة .

قال : وعلى مثل ذلك الاشتقاقِ يعمَلُ الذين يعبِّرون الرُّؤيا .

(عجيبة للغربان بالبصرة)

وبالبصرة من شأنِ الغِرْبانِ ضروبٌ من العجَب ، لو كان ذلك بمصر أو ببَعض الشامات[٤] : لكان عنـدَهم من أجوَدِ الطِّلَّسم . وذلك أنَّ

(١) ط ، س : « نزعته » صوابه فى ل .

(٢) ل : « زمينا » تصغير زمن .

(٣) ينقضنى : أى يذهب قوتى وعزمتى . س : « ينقض » . ط : « ينغصنى » تحريف ما أثبت من ل .

(٤) الشامات هى بلاد الشام . وانظر ما سبق فى ص ٤٠٤ .

١٤١ الغِربانَ تقطع إلينا فى الخريف ، فترى النَّخْلَ وَبَعضُها مَصرومة[١] ، وعلى كلِّ نَخلةِ عدَدٌ كثيرٌ من الغربانِ ، وليس منها شىءٌ يقرُب نَخلةً واحدةً من النّخل الذى لم يُصرَم ، ولو لم يَبقَ عليها إلاّ عِذقٌ واحد . وإنّما أوكار جميع الطير المصوِّت فى أقلاب[٢] تلك النّخل ، والغراب أطيرُ وأقوى منها ثم لايجترىء أن يسقُطَ عَلَى نَخلةٍ منها ، بعْدَ أنْ يكون قَدْ بقى عليها عِذْق واحِدٌ .

(منقـار الغراب)

ومنقار الغَرَاب معْوَل ، وهو شديدُ النَّقْر . وإنّه ليَصِلُ إلى الكمأةِ المُنْدَفِنَة فى الأَرض بنَقْرَة واحِدَة حتى يشْخِصها . ولهوَ أبْصرُ بمواضع الكماة من أعْرابىٍّ يطلبها فى منبتِ[٣] الإجرِدِّ والقَصِيص[٤] ، فى يَومٍ له شمس حارَّة . وإنَّ الأعـرَابىّ ليحتاجُ إلى أن يرى ما فوقها من الأرض فيه بَعْضُ الانتفاخِ والانصدَاع ، وما يحتاجُ الغَرَاب إلى دليل[٥] . وقال أبودُوادٍ الإيادىّ:

تَنْفِى الحَصَى صُعُدًا شرقىَّ منْسِمها ... نَفْىَ الغرَابِ بأعلى أنْفِهِ الغَـرَدَا[٦]

---

(١) مصرومة : قطع ثمرها . ل : « فترى الأرض ونصفها مصرم » .

(٢) الأقلاب : جمع قلب ، وهو السعف الذى يطلع من قلب النخلة .

(٣) ط ، س : « منبعث » .

(٤) الإجرد : نبت يدل على الكمأه . والقصيص : شجر ينبت فى أصله الكمأة ، قالوا : سمى بذلك لدلالته على الكمأة كما يقتص الأثر .

(٥) ل : « إلى ذلك الدليل »

(٦) سبق الكلام فى هذا البيت ص ٤٢٥ . ل : « الغرده » .

ولو أنّ الله عزّ وجلّ أذِن للغراب أن يسقط عَلَى النّخلة وعليها الثّمرة لذهبت ، وفى ذلك الوقت لو أنّ إنساناً نقَر العِذْقَ نقرةً واحِدَةً لانتَثر عامَّةُ ما فيه ، ولهلكتْ غلاّتُ الناس . ولكنّك ترى منها على كلِّ نخلة مصرومةٍ الغِربانَ الكثيرة ، ولا ترى على التى تليها غرابا واحدا ، حتى إذا صرموا ما عليها تسابقْن إلى ما سقط من التمر فى جوف اللّيف[1] وأصولِ الكرَب[2] لتَستخرجَه كما يستخرج المِنْتَاخُ الشَّوكَ[3] .

(حوار فى نفور الغربان من النخل)

فإن قال قائل : إنما أشباح تلك الأعذاقِ المدلاَّةِ كالخِرَق السُّود التى تُفزِع الطيرَ أنْ يقعَ عَلَى البُزُور[4] ، وكالقوادمِ السُّودِ تغرَزُ فى أسنمةِ ذوات الدَّبَرِ من الإبل ؛ لكيلا تسقط عليها الغِربان . فكأنّها[5] إذا رأتْ سوادَ الأعذاقِ فزِعتْ كما يفزَع الطيرُ من الخِرَق السُّود .

---

(١) ل : « اللب » .

(٢) الكرب ، بالتحريك : أصول السعف الغلاظ العراض .

(٣) المنتاخ ، كمنفاخ : المنقاش الذى ينزع به الشوك . ط ، س : « كما يستخرج الشاك الشوكة » ، وفيها تحريف .

(٤) كذا على الصواب فى ل . وفى ط : « التى تغرز والطيران يقع على البزور » وهى عبارة مختلة . والكلام من مبدإ « تفزع » إلى : « السود » ساقط من س. وانظر لمثل هذا الكلام ص ٤١٦ .

(٥) ط : « وكأنها » .

قال الآخر : قَدْ نجدُ جميعَ الطير الذى يفزَع بالحرق السُّود فلا يسقط عَلَى البزور ، يقعُ كله عَلَى النّخل وعليهِ الحمل ، وهلْ لعامّة الطّير وُكور[1] إلّا فى أقلابِ[2] النّخلِ ذواتِ الحمل .

قال الآخر : يشبه أن تكونَ الغِربانُ قطعَتْ إلينا من مواضعَ ليس فيها نَخْلٌ ولا أعذاق ، وهذا الطير الذى يَفزَع بالحَرَقِ السُّود إنّما خُلِقتْ ونشأت فى المواضع التى لم تَزل تَرَى فيها النَّخِيلَ والأعذاق . ولا نعرف لذلك علة سوى هذا .

قال الآخر : وكيف يكون الشأنَ كذلك [و] من الغِربانِ غربانٌ أوابدُ بالعِراق فلا تبرَحُ تَعشّش فى رءوس النّخل ، وتبيضَ وتفْرخُ ، إلاّ أنّها لا تقرب النّخلة التى يكون عليها الحمل .

والدّليل عَلَى أنها تعشش فى نخل البصرة، [و] فى رءوس أشجار البادية قَولُ الأَصمعىِّ :

١٤٢ ومن زردَكٍ مثلِ مكن الضِّبابِ يُناوح عيدانَه السيمكان[3]
ومن شَكر فيه عُشُّ الغرابِ ومن جَيْسَرانٍ وبنْدَاذجان[4]

---

(١) ل : « أوكار » . ويجمع الوكر أيضاً على أوكر ، ووكر ، كغرف .

(٢) الأقلاب : جمع قلب بالضم ، وهو السعف الذى يطلع من قلبها . ط : « أقلال » وصوابه فى ل ، س .

(٣) الزردك : كلمة فارسية . ومعناها الجزر ، وهو نبات معروف تؤكل أصوله وتربى . والجزر ليس عربى اللفظ ، معرب . كما فى القاموس . ط ، س : « زرنك » محرف . والضباب : بالكسر : جمع ضب . ومكنه ، بالفتح : بيضه . و « السيمكان » هى فى ل : « التشمكان » .

(٤) شكر ، هو من شكرت النخلة شكراً — من باب تعب : كثر فراخها . وفى الأصل : « سكر » ويصح بتأول؛ فإن من النخل يصنع بعض السكر ، بالتحريك : وهو ما يسكر من النبيذ . واو « ومن » الثانية ساقطة من ل . و « جيسران » هى فى ط ، س : « خيشوان » وفى ل : « جيسوان » ، صوابه ما أثبت. والجيسران : جنس من أفخر النخل ، فارسيته « كيسران » الألفاظ الفارسية ٤٩ وعيون الأخبار (٣ : ٢٩٧) . و « بنداد جان » هى فى ط ، س : « بيذان جان » .

وقال أبو محمَّد الفقعسِيُّ ، وهو يصفُ فحلَ هَجْمة[1] :

يتبعُها عَدَبَّسٌ جُرَائِضُ[2] أكلفُ مربدٌّ هَصُورٌ هائضُ[3]

* بحيْثُ يعتَشُ الغُرابُ البائِضُ[4] *

(ما يتفاءل به من الطير والنبات)

والعامَّة تتطيَّرُ من الغراب إذا صاح صيحةً واحـدةً ، فإذا ثَنَّى تفاءلتْ به .

والبُوم عند أهل [الرَّىِّ وأهل] مَرْوٍ يُتفاءَل بهِ ، [وأهل البصرة يتطيرُون منه . والعَربىُّ يتطيَّر من الخلاف ، والفارسىّ يتفاءَل إليه] ؛ لأنَّ اسمه بالفارسيـة « باذامك » أى يَبقَى[5] ، وبالعربيـة خِلاف ، والخِلاف غيرُ الوفاق .

والريحانُ يُتفاءل به ؛ لأنَّه مشتقٌّ من الرَّوح ، ويتطيَّر منه لأنَّ طعمه مُرٌّ ، وإنْ كان فى العَينِ والأنفِ مقبولا .

---

(١) الهجمة : جماعة من الإبل أقلها أربعون .

(٢) العدبس : الشديد الموثق الخلق . والجرائض ، بالضم : الأكول الذى يحطم كل شىء بأنيابه . ورواية اللسان (جرض) :

* يتبعها ذوكدنة جرائض *

(٣) المربد : الذى لونه بين السواد والغبرة . ط ، س : « أكلف نهاض هصور ناهض » .

(٤) تكلم فى هذا البيت صاحب المخصص (٩ : ١٢٥) . وفى ط ، س : « بحيث يفتش » ل : « بحيث يعيش » وصوابهما فى اللسان والمخصص . و « البائض » هى فى ط ، س : « النابض » ، وصوابه من ل : واللسان والمخصص .

(٥) هذه العبارة جاءت فى ط ، س : « بارمال يريد تبقى » وفى ل : « بيذاى يبقى » . وقد حورتها إلى ما ترى معتمداً على معجم النبات ص ١٦٠ . والخلاف : جنس من الصفصاف . وفى تذكرة داود : « باذامك من الصفصاف » .

وقال شاعرٌ من المحدَثين[١] :

أهدَى له أحبابُهُ أُتْرُجَّةً فَبَكَى وأشْفقَ مِنْ عِيَافَةِ زَاجرِ[٢]
متطيِّرًا ممَّا أتاه ، فطعْمه لونانِ باطنَه خلافُ الظَّاهرِ[٣]

والفرْس تحبُّ الآسَ[٤] وتكره الوَرد؛لأنَّ الوردَلايدومُ ،والآسَ دائم.

قال : وإذا صاح الغرابُ مرَّتين فهو شرٌّ ، وإذا صاح ثلاثَ مرَّاتٍ فهو خير ، على قدر [عدد[٥]] الحروف[٦] .

(عداوة الحمار للغراب)

ويقال : إنَّ بينَ الغراب والحمار عداوةً . كذا قال صاحب المنطق .

وأنشدنى بَعْض النحويِّين[٧] :

عاديتنا لا زلْتَ فى تَبابِ عداوة الحمار للغراب[٨]

---

(١) هو العباس بن الأحنف ، كما فى زهر الآداب (٤ : ٨٧) .

(٢) فى العقد (١ : ٢٩٨) : « أهدى إليه حبيبه » . وانظر الاستدراكات .

(٣) فى العقد :

« خاف التبدل والتلون إنها لونان باطنها . . . »

وفى زهر الآداب :

«متطيراً منها السقام وجسمها لونان باطنها . . . »

(٤) الآس : ضرب من الريحان يسمى بمصر « مرسين » .

(٥) الزيادة من ل وحياة الحيوان .

(٦) كذا فى ل وحياة الحيوان . وفى ط : « الجزاء » وفى س : « الجزء » . والمراد عدد حروف الكلمتين : « شر » و « خير » ، فالأولى مركبةمن حرفين ، والثانية مؤلفة من ثلاثه . وقد تبدو هذه العبارة مناقضة لما سبق فى ٤٥٧ س ٥ . لكن يظهر أنهما زعمان متخالفان يحكيهما .

(٧) كذا فى ل . وفى ط : « وأنشد لبعض » وفى س : « وأنشدت لبعض » .

(٨) ط ، س: « عداوة الغراب للحمار » : ووجهه فى ل و (٢ : ٥٢) .

(أمثال فى الغراب)

[ويقال : « أصحُّ مِن غراب » . وأنشد ابن أبى كريمة لبعضهم ، وهو يهجو صريع الغوانى مسلم بنَ الوليد :

فما ريحُ السَّذاب أشدُّ بُغْضاً   إلى الحيَّاتِ منك إلى الغوانى]

وأنشد[1] .

وأصْلَب هامةً من ذى حُيُود   ودُون صداعه حُمَّى الغراب[2]

وزعم لى داهيةٌ من دَهاة العرب الحوَّائين ، أنَّ الأفاعىَ وأجناسَ الأحناش ، تأتى أصولَ الشِّيحِ والحَرْمَل ، تستظل [به] ، وتستريحُ إليه .

ويقال : « أغرَبُ من غراب » . وأنشد قول مضرِّس بن لَقيط[3] :

كأنّى وأصحابى وكَرِّى عليهمُ   على كلِّ حال من نشاط ومن سَأَمْ[4]

غرابٌ من الغِرْبانِ أيَّامَ قِرَّةٍ   رَأَيْنَ لِحَاماً بالعِراص عَلَى وَضَمْ[5]

---

(١) ل : « وأنشد فيه » .

(٢) ط : « هامة من ذى جنود » محرف . والحيود : ماشخص من نواحى الرأس . والبيت ساقط من س .

(٣) نسبه إلى جده ، وإنما هو مضرس بن ربعى بن لقيط الأسدى ، له خبر مع الفرزدق كما فى معجم المرزبانى ٣٩٠ ، فيكون إسلاميا أو مخضرما . لكن قال صاحب الخزانة (٢ : ٢٩٣ بولاق) : إنه جاهلى .

(٤) ل : « وكرى إليهم » .

(٥) القرة ، بالكسر : البرد . ط ، س : « فره » صوابه فى ل . واللحام : جمع لحم . والعراص : جمع عرصة بالفتح ، وهى البقعة الواسعة بين الدور . ط : « بالعراض » وتصحيحه من ل ، س . والوضم ، ما وقيت به اللحم عن الأرض من خشب أو حصير .

(حديث الطيرة)

وقد اعترض قومٌ علينا فى الحديث الذى جاء فى تفرقةِ ما بينَ الطيرَةِ والفأل ، وزعموا أنّه ليس لقوله : «كان يَعجبه الفألُ الحسنُ ويكره الطيرة» معنًى . وقالوا : إنْ كان ليس لقولِ القائل : يا هالك ، وأنت باغٍ ، وجهٌ ولا تحقيق ، فكذلك[1] إذا قال : يا واجد ، ليس له تحقيق ، وليس قوله يا مضلٌّ ويا مهلك ، أحقَّ بأن يكون لا يوجبُ ضلالاً ولا هلا كا من قوله يا واجد ، ويا ظافر ، من ألاّ يكون يوجبُ ظفرًا ولا وُجودا . فإمّا أنْ يكونَا جميعاً يوجبان ، وإما أن يكونَا [جميعاً] لا يوجبان . قيل لهم : ليس التأويل ما إليه ذهبتم . لو أن النّاس أمّلوا فائدة الله عزَّ وجلَّ ورجَوا عائِدَتَه ، عند كلِّ سببٍ ضعيف وقويّ ، لكانوا علَى خير . ولو غَلِطوا فى جهة الرَّجاء لكان لهم[2] بِنفس ذلك الرَّجاء خير . ولو أنَّهُمْ بدل ذلك قَطعُوا أملهُمْ ورجاءهم منَ الله تعالى[3] ، لكان ذلك من الشرّ والفأل ، أن يسمع كلِمَةً فى نفسها مستحسنة . ثمَّ [إن] أحبَّ بعدَ ذلك أو عند ذلك أنْ يحدث طمعاً فيما عند الله تعالى ، كان نفس الطمع خلافَ اليأس . وإنما خبَّر أنّه كان يعجبه . وهذا إخبارٌ عن الفطرة كيف هى ، وعن الطبيعة إلى أىِّ شىء تتقلب .

١٤٣

---

(١) س : «وكذلك» .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) كذا على الصواب فى ل ، س . وفى : ط : «ولو أنهم بدلوا ذلك فعطوا» . . الخ .

وقد قيل لبعض الفقهاء[١] : ما الفأل ؟ قال : أن تسمع وأنت مُضِلٌّ : يا واجد ، وأنت خائف : يا سالم . ولم يقل إنّ الفأل يوجب لنفسه السلامة . ولكنّهم يحبُّون له إخراجَ اليأسِ وسوءِ الظنِّ وتوقُّعِ البلاءِ من قلبه عَلَى كلِّ حال — وحال الطِّيرةِ حال من تلك الحالات — ويحبون أن يكون لله راجيا ، وأن يكون حَسَنَ الظّنِّ . فإن ظنَّ أن ذلك المرجوَّ يُوافقُ بتلك الكلمة ففرح بذلك فلا بأس[٢] .

(تطير بعض البصريين)

وقال الأصمعيُّ : هرب بَعضُ البصريين من بَعض الطَّواعين ، فركب ومضى بأهله نحو سَفَوان[٣] ، فسمع غلاماً له أسودَ يحدُو خلفه ، وهو يقول :

لن يُسْبَقَ اللهُ عَلَى حِمَارِ ... ولا عَلَى ذِى مَيْعَةٍ مَطَّارِ[٤]

أو يأتِىَ الحينُ على مِقدَارِ ... قَدْ يصَبِحُ اللهُ أمامَ السَّارِى[٥]

فلما سمع ذلك رجع بهم .

---

(١) هو ابن عون ، كما فى تأويل مختلف الحديث ١٣١ مع اختلاف فى اللفظ .

(٢) ل : « يوافق تلك الكلمة ففرح لذلك فلا بأس » .

(٣) سفوان ، بفتح أوله وثانيه : ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة .

(٤) الميعة : أنشط الجرى . والمطار ، بفتح الميم وتشديد الطاء : السريع العدو . ويصح أن تكون « مطار » بضم الميم وفتح الطاء . يقال : فرس مطار وطيار : حديد الفؤاد ماض . وانظر البيان (٣ : ٢٧٨) . وجاءت الرواية فى زهر الآداب (٤ : ١٣١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٢٥) : « ولا على ذى منعة طيار » .

(٥) الحين : الهلاك . وروى : « الحتف » كما فى زهر الآداب وأمالى المرتضى (٤ : ١١٢) وتأويل مختلف الحديث ١٢٥ . وتجد القصة فى هذه المراجع على وجوه شتى . وأنشد الثعالبى هذا الشطر فى التمثيل والمحاضره ص ٩ .

(معرفة فى الغربان)

قال : والغِربانُ تسقط فى الصَّحارى تلْتمس الطُّعْم ، ولا تزالُ كذلك ، فإذا وجَبَتِ الشمس[1] نهضت إلى أوكارها معاً . و [ما أ] قلّ ما تختلط البُقْع بالسُّود المصمتة[2] .

(الأنواع الغريبة من الغربان)

قال : ومنها أجناسٌ كثيرة عظام كأمثال الحِدَاء[3] السُّود، ومنها صغارٌ. وفى مناقيرها اختلاف فى الألوان والصُّور . ومنها غِربانٌ تحكى كلَّ شيء سمعته ، حتى إنَّها فى ذلك أعجب من الببغاء . وما أكثر ما يَتَخلَّف[4] منها عندنا بالبصرة فى الصَّيف ، فإذا جاء القيظ قلَّتْ . وأكثر المتَخلِّفات[5] منها البقع . فإذا جاء الخريف رجعتْ إلى البساتين ؛ لتنال مما يسقط من التمر فى كرَب النَّخل وفى الأَرض، ولا تقرب النَّخلة إذا كان عليها عذق واحد[6] ، وأكثر هذه الغِربانَ سود ، ولا تكاد ترى فيهنَّ أبقع .

---

(١) وجبت الشمس : سقطت للمغيب .

(٢) السود المصمتة : الخالصة السواد .

(٣) الحداء ، بكسر الحاء المهملة : جمع حدأة كعنبة . ط : «والحدء» ، ل : «الجداء» بالجيم . والوجه ما أثبت من .

(٤) ط ، س : «يختلف» .

(٥) ط ، س : «المختلفات» .

(٦) ليس يفهم من هذا أنها تقرب من النخل ما كان عليه أكثر من عذق . بل المراد أنها لا تقرب النخلة ما دام بعض التمر فى أعذاقه . وانظر ما سبق فى ص ٤٥٤ س ٥ .

(قبح فرخ الغراب)

وقال الأصمعىّ: قال خلف: لم أرَ قطُّ أقبح من فرخ الغراب! رأيته مرَّةً فإذا هو صغير الجسم[(١)] ، عظيم الرَّأس ، عظيم المنقار ، أجردُ أسودُ الجلد ، ساقط النفس ، متفاوتُ[(٢)] الأعضاء . ٤٤

(غربان البصرة)

قال : وبعضها يقيم عندنا فى القيظ . فأمَّا فى الصَّيف فكثير . وأمَّا فى الخريف فالدُّهم. وأكثر ما تراه فى [أعالى][(٣)] سطوحنا فى القيظِ والصَّيف البُقع ، وأكثر ما تراه فى الخريف [فى النخل] و [فى] الشتاء فى البيوت [السُّود] .

وفى جبل تكريت[(٤)] فى تلك الأيَّام ، غِرْبانٌ سودٌ كأمثال الحدَاءِ [السُّود] عظَماً[(٥)] .

---

(١) ل : « فإذا صغير الجسم » .

(٢) متفاوت الأعضاء : مختلفها . ط : « متقارب » ، وصوابه فى ل ، س . وانظر ما سبق من مثل هذا الكلام فى (٢ : ٣١٨) .

(٣) من ل ، س .

(٤) تكريت : بلدة بين بغداد والموصل ، أقرب إلى بغداد .

(٥) الحداء سبق شرحها فى الصفحة السابقة . ط : « الحده » تحريف . و « عظما » هى فى ، ط : « عظاء » وهو تحريف فكه ، صوابه فى ل ، س .

(تسافد الغربان)

وناس يزعمون أنَّ تسافدَها عَلَى[1] غير تسافُد الطير ، وأنَّها تَزَاقُّ[2] بالمناقير ، وتلقح من هناك .

(نوادر وأشعار مستحسنة)

نَذْكر شيئا من نوادر وأشعار[3] [وشيئا] من أحاديث ، من حارِّها وباردها .

قال ابنُ نُجيمٍ[4] : كان ابن ميّادة[5] يستحسن هذا البيت لأرطاةَ ابن سُهَيّة[6] :

فقلت لها يا أمَّ بيضاء إنّه هُريقَ شبابى واستَشَنَّ أديمى[7]

[صار شنًّا] .

---

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) أصله : تتزاق . ط : « تزاف » ، صوابه فى ل ، س .

(٣) س : « نذكر نوادر أشعار » .

(٤) ط : « قال سحيم » س : « قال ابن سحيم » وصوابه ما أثبت من ل . وابن نجيم ، هو يحيى بن نجيم الذى سبقت ترجمته فى (٢ : ٣٥١) .

(٥) « ابن ميادة » ساقط من ل .

(٦) س : « أرطاة بن سمية » ، وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة أرطاة فى ٣٩١ .

(٧) ط ، س : « استشق » ، تحريف ما أثبت من ل .

وكان الأصمعىُّ يستحسن قولَ الطِّرِمّاح بن حكيم ، فى صفة الظَّليم[1] :

مجتاب شَمْلة بُرجُدٍ لسَرَاتِه قَدْرًا وأسلَم ما سِوَاه البَرجُدُ[2]

ويستحسن قولَه فى صفة الثّور :

يبدو وتُضمِره البلادَ كأنّه سيفٌ عَلَى شرفٍ يُسلُّ ويغمد[3]

وكان أبو نُواسٍ يستحسنُ قولَ الطِّرِمّاح :

إذا قُبِضَتْ نفسُ الطِّرِمّاحِ أخلقَتْ عُرَى المجدِ واستَرخَى عنان القصائدِ[4]

وقال كثيِّر :

إذا المالُ لم يُوجِبْ عليكَ عطاؤُه صَنِيعَةَ بِرٍّ أو خليلٍ تُوامِقُه[5]

مَنَعْتَ وبعضُ المنْعِ حزْمٌ وقُوّةٌ فلم يفتلتك المالَ إلّا حقائقُه[6]

---

(١) الظليم : الذكر من النعام . « بن حكيم » ساقط من ل .

(٢) يقول : قد لبس ذلك الظليم كساء أسود مخملا من الريش فوق ظهره ، وجعل الشملة على قدر ظهره . وأسلم ماسواه البرجد : أى ترك البرجد ما سوى الظهر : من الرجلين والعنق ، فلم يستره . وساقا الظليم وعنقه عارية من الريش . ط : « فدر وسلم »، وصوابه فى ل ، س والعمدة (١ : ٢٠٣ ، ٢ : ٧٩) .

(٣) البلاد هنا : المواضع . والشرف : المكان العالى . وانظر الموازنة بين هذا البيت وأشباهه فى العمدة (١ : ١٩٨) والصناعتين ٨٣ وشرح ديوان النابغة ١٩ .

(٤) أخلقت : بليت . « عنان » هى فى ط : « عنا » وتكيلها من ل ، س .

(٥) ل : « صنيعة نعمى ، أو خليل توافقه » . وفى العقد (٦ : ١٧٥ تأليف) : « صنيعة قربى أو صديق توافقه » .

(٦) الحقائق : الحقوق . ورواية العقد : « ولم يستلبك المال » . وقد روى صاحب زهر الآداب البيتين برواية عجيبة فى (٣ : ٢٤٧) .

وقال سهل بن هارون ، يمدح يحيى بن خالد :

عدوٌّ تِلادِ المـال فيما ينوبه   منوعٌ إذا ما منعُه كان أحزَماَ[1]

قال : وكان رِبعىٌّ بن الجارود يستحسن قولَه :

فخير منكَ مَن لا خير فيه   وخير من زيارتك القُعودُ[2]

وقال الأعشى :

قد نطعُن العَيْرَ فى مكنونِ فائله   وقد يَشِيطُ على أرماحنا البَطَلُ[3]

١٤٥ لاتنتهون ولن يَنْهَى ذوى شَطَطٍ   كالطَّعْنِ يذهبُ فيه الزَّيتُ والفُتُل[4]

---

(١) التلاد ، بالكسر : المال القديم الموروث . ط ، س : « إذا مانعته » تحريف ما فى ل . والبيت مع قرين له فى البيان (٣ : ٣٥٢)، ومع بيتين فى الحيوان (٥ : ٦٠٤) .

(٢) ل : « من زيادتك » .

(٣) العير ، هنا : السيد . والفائل ، بالفاء : عرق فى الفخذ ، وهو مقتل . أراد أنهم حذاق فى الطعن . انظر المخصص (٢ : ٤٢) واللسان (فيل) والرواية فيه :

* قد نخضب العير من مكنون فائله *

ل : « نطعن الخيــل » س : « مكنون قابله » ، كلاهما محرف . ويشيط : يهلك .

(٤) كذا فى ط ، س والخزانة (٤ : ١٣٢ بولاق) وفى ل : « لا ينتهون » والرواية فى الـكامل ٤٤ ليبسك وأمالى ابن الشجرى (٢ : ٢٢٩ ، ٢٨٦) والخزانة (٤ : ٢٦٣ بولاق) والغيث المنسجم (١ : ٥٢) : « أتنتهون » وقد استشهد الجميع بالبيت على اسمية الـكاف فى « كالطعن » وأن « الطعن » مجرور بالإضافة . والفتل : جمع فتيلة ، وهى فتيلة الجراحة . يقول : لا يزجرهم غير طعن جائف .

وقال العلاء بن الجارود[١] :

أظهروا للنَّاسِ نسكا وعلى المنقوش دارُوا[٢]
وَلَهُ صامُوا وصَلَّوْا ولَهُ حَجُّوا وزارُوا
وله قاموا وقالوا وله حلّوا وساروا
لو غدا فوق الثريّا ولهم ريش لطاروا

وقال الآخر[٣] فى مثل ذلك :

شمر ثيابَكَ واستعدَّ لقابلٍ واحككْ جبينك للقضاء بثُومِ[٤]
وامشِ الدَّبيبَ إذا مشَيتَ لحاجةٍ حتَّى تصيبَ وديعةً ليتيم

وقال أبو الحسن : كان يقال : «من رقّ وجهُه رقّ عِلمُه» .

وقال عمر : «تفقّهوا قبلَ أن تسودوا» .

وقال الأصمعى : «وُصلت بالعلم ، وكسبت بالملح[٥]» .

ومن الأشعار الطيبة قول الشاعرِ فى السمك والخادم :

مقبل مدبر خفيف ذَفيف دسِم الثَّوبِ قد شوَى سَمكاتِ[٦]

---

(١) ل : «العلاء بن الحداد» . والأبيات منسوبة فى العقد (٢ : ١٤١) إلى محمود الوراق .

(٢) روى «سمتا» بدل «نسكا» فى ل والعقد (٤ : ٣٣٧) و : «دينا» فى العقد (٢ : ١٤١) . والمنقوش : الدينار . وبالأخيرة ، أى «الدينار» جاءت الرواية فى العقد (٢ : ١٤١) .

(٣) هو مساور الوراق كما فى العقد (٣ : ٢١٦) والبيان (٣ : ١٧٥) . ونسبا فى الشريشى (١ : ٢٠٦) إلى محمود الوراق .

(٤) القابل : المستقبل . والجبين إذا حك بالثوم ظهرت فيه سمة سمراء توهم الأغرار أن صاحبها عريق فى التقوى كثير السجود . ولا يزال بعض المتظاهرين بالصلاح يفعلون ذلك فى عصرنا هذا ؛ ليجعلوا أنفسهم ممن قيل فيهم : «سيماهم فى وجوههم من أثر السجود» .

(٥) ط ، س : «وصلت بالملح وكسبت بالعلم» . وأثبت ما فى ل . وفى البيان (١ : ١٩٩) : «وصلت بالعلم ونلت بالملح» .

(٦) يقال خفيف ذفيف ، وخفاف ذفاف ، إتباع . والمراد بهما السريع . ط : «جفيف» س : «دفيف» وصوابه فى ل واللسان (٩ : ١٩٩) ل : «أدسم الثوب» .

من شبابيط لجــةٍ ذاتِ غَمْرٍ حُدُبٍ من شُحومها زَهِماتٍ[1]

ففكِّر فيهما فإنَّهما سيُمْتِعَانك ساعةً[2] .

وقال الشاعر[3] :

إنْ أجزِ علقمةَ بن سَيْفٍ[4] سعيَهُ لا أجزِه ببلاءِ يومٍ واحدِ

لأحَبَّنى حُبَّ الصبىِّ ورَمَّنى رَمَّ الهَدِىِّ إلى الغنىِّ الواجد[5]

ولقَدْ شفيتُ غليلتى ونقَعتها من آل مسعودٍ بماءٍ بارد

وقال رجل من جرم :

نبئتُ أَخوالى أرادوا عمومتى بشنعاءَ فيها ثاملُ السُّمِّ مُنقَعا[6]

سأركبها فيكم وأُدعَى مفرِّقاً وإن شئتم من بعدُ كنت مجمِّعا[7]

---

(١) الشبابيط : جمع شبوط : ضرب من السمك سبق الكلام عليه فى (١ : ١٥٠ ، ١٥١ ، ٢٣٣) . ط ، س : « شبابيك » محرفة . حدب : جمع حدباء وهى الخارجة الظهر الداخلة البطن والصدر . والزهمات : السمينة الكثيرة الشحم . وفى الأصل : « زمنات » وليس لها هنا وجه .

(٢) ط : « ففكر بينهما فانهما سيمتعانك ساعة » ، تحريف وتطبيع .

(٣) هو رجل من بهراء اسمه فدكى بن أعبد ، وهو المرناق الطائى. معجم المرزبانى ٤٧٥ والصحاح (لم). كان مجاورا لعلقمة بن سيف العتابى ، وكان له إبل فسرقت ، فلما علم علقمة بذلك سعى فى استردادها من مختلسها فلم يوفق ، فأخرج من ماله مائة بعير ودفعها إلى فدكى عوضا. فقال هذا الشعر يمدحه. الحماسة (٢ : ٢٦٧ وشرحها ٤ : ٧٠ - ٧١) والصحاح واللسان (لم).

(٤) فى الأصل : « زيد » وصوابه فى البيان (٣ : ٢٣٣) والحماسة وشرحها .

(٥) رمنى ، بالراء : أصلح حالى . والهدى : العروس تزف وتهدى إلى زوجها . ط ، س : « ذمنى ذم البنى » ، ل : « زمنى زم الهدى » وصواب الرواية من الحماسة والبيان . ل : « إلى الفتى » . والفتى : الشاب .

(٦) فى ط ، س : « نبئت إخوانى » وأثبت ما فى ل ، وهو أشبه بقول العرب . ط : س : « أرادوا نقيصتى بشنعة » و « بشنعة » تحريف . والثامل : هو المنقع ، أى المعتق . ط ، س : « تابل » .

(٧) ل : « فإن شئتم » .

وقال يونس بن حبيب : ما أكلتُ فى شتاءٍ شيئاً قطُّ إلاَّ وقد برد ، ولا أكلتُ فى صيفٍ شيئاً إلاَّ وقَدْ سخن .

وقال أبو عمرو المدينى[1] : لو كانت البلايا بالحِصَص، ما نالنى كما نالنى : اختلفت الجاريةُ بالشاة إلى التَّيَّاس آختلافًا كثيرًا ، فرجعت الجاريةُ حاملاً والشاة حائلا .

وقال جعفر بن سعيد[2] الخلافُ موكَّل بكلِّ شىء [يكون] ، حتى القَذاة[3] فى الماء فى رأس الكوز ، فإن أردتَ أن تشرب الماءَ جاءتْ إلى فيك ، وإن أردتَ أن تصبَّ من رأسِ الكوزِ لتخرُجَ رَجَعت .

(حديث أبى عمران وإسماعيل بن غزوان)

وقال إسماعيل بن غـَزْوان : بكَرْتُ اليوم إلى أبى عمران ، [فلزمتُ الجادَّةَ] ، فاستقبلنى واحدٌ فلَزِمَ الجادَّةَ التى أنا عليها ، فلما غشينى[4] انحرفتُ عنه يَمْنَةً فانحرَفَ معى ، فعُدتُ إلى سَمْتى فَعاد ، فَعُدتَ فَعاد ثمَّ عُدت فَعاد . فلولا أنَّ صاحبَ برذون فرَّق بيننا لكان إلى الساعة يكدُّنِى[5] . فَدَخلت على[6] أبى عمران فَدعا بغَدَائه ، فأهويتُ بلقْمتى إلى

(١) ط ، س : « أبوعمر المدنى » . وهذا الخبر والخبر الذى قبله فى الحيوان (٥ : ٥٩١).

(٢) كذا فى ل . وفى ثمار القلوب ٤٩٤ حيث نقل القول : « جعفر بن سعد » وفى ط ، س : « جعفر بن محمد » . وجعفر بن سعيد هذا أحد البخلاء الذين ذكرهم الجاحظ فى كتابه ٨٨ ، ١٠٩ . ونعته فى البيان (١ : ١٠٦) بأنه : « رضيع أيوب بن جعفر وحاجبه » .

(٣) القذاة : مايقع فى الشراب . ط ، س : « القذا » وصوابه فى .

(٤) ل : « أغشبنى » تحريف .

(٥) يكدنى : يلح فى طلبى . ط ، س : « يدكنى » تحريف .

(٦) ط ، س : « إلى » .

الصِّباغ[1] فأهوى إليـه بعضُهم ، فنحَّيت يدى فنحَّى يده ، ثمَّ عُدْتُ فَعاد ، ثمَّ نحيتُ فنحَّى ، فقلت لأبى عمران : ألا[2] ترى ما نحن فيه ؟ قال سأحدِّثك بأعجبَ من هـذا ، أنا منذُ أكثرَ مِنْ سنة[3] أشفقُ أن يرانى [ابن أبى] عون الخيَّاط ، فلم يتَّفق لى أن يرانى مرَّةً واحدة ، فلما [أن] كانَ أمسِ ذكرتُ لأبى الحارث الصُّنع[4] فى السلامةِ من رؤيته ، فاستقبلنى أمسِ أربَعَ مَرَّات !

(نوادر وبلاغات)

وذكر محمَّد بن سلام ، عن محمَّد بن القاسم قال : قال جرير[5] : أنَا لا أبتدى ولكنِّى أعتدى[6] .

وقال أبو عبيدة : قال الحجَّاج : أنَا حدِيدٌ حَقود حسود ![7]

قال : وقال قدَيد بن مَنيع ، لُجدَيع[8] بن علىٍّ : لَكَ[9] حكم الصبىّ على أهله !

---

(١) الصباغ ، بالكسر : ما يصطبغ به من الإدام ، وصبغ اللقمة صبغا : دهنها وغمسها . ل : « الصباغ » وليس لها وجه .

(٢) ل : « أما » .

(٣) ط ، س : « أنا أكثر منذ سنة » ل : « أنا منذ سنة » وقد جعلتها كما ترى .

(٤) أى ماصنع لى من السلامة من رؤيته . ط : « الصنيع » .

(٥) هو جرير الشاعر .

(٦) ط ، س : « ولكن أعتدى » ، وأثبت ما فى ل وما سبق فى ص ٩٩ . يقول : هو لا يبتدئ بالهجاء ، ولكنه إذا ردّ على الهاجى اعتدى عليه ، وظلمه إرهابا له .

(٧) الحيوان (٥ : ٥٩٢) . وبلفظ آخر فى البيان (٣ : ٢٥٥) .

(٨) جديع هذا هو ابن خال يزيد بن المهلب . البيان (٢ : ٢٤٠ ، ٢٤٦) . ل : « الحديد » وفى ثمار القلوب ٥٣٨ ــ حيث نقل النص ــ : « لجديع » والصواب ما أثبت .

(٩) ط ، س : « لكم » ، وأثبت ما فى ل والثمار . وفى الثمار : « لك علىّ » .

وقال أبو إسحاق[١] — وذكرَ إنسانًا —: هو واللهِ أنزَقُ من رَبيب مَالِك[٢]، وأخرق من امرأة، وأظلم من صبى.

وقال لى أبو عبيدة: ما ينبغى أن يكون [كان] فى الدنيا مثل هذا النَّظام[٣]. قلت: وكيف؟ قال: مرَّ بى يوما فقلت: واللهِ لأمتحننَّه، ولأسمعَنَّ كلامه؛ فقلت له: ما عيبُ الزُّجاج — قال: يُسرِع إليه الكسر، ولا يقبل الجبْر — من غير أن يكون فكَّر أو ارتدع!

قال: وقال جَبَّار بن سُلمى بن مالك[٤] — وذكر عامر بن الطفيل[٥] فقال: كان لا يضلُّ حتَّى يضلَّ النَّجم، ولا يَعطشُ حَتَّى يَعْطَشَ البَعير[٦]، ولا يهاب حتَّى يهاب السيل؛ كان والله خيرَ ما يكُون[٧] حينَ لا تظنُّ نفسٌ بنفسٍ خيرًا.

---

(١) هو النظام. وانظر البيان (١: ٢٤٧).

(٢) أنزق: من النزق وهو الطيش والتسرع. والربيب: المربوب، وابن امرأة الرجل من غيره. وهذا المثل محرف فى ط، س: فى الأولى: «أترف من زينب بنت مالك» وفى الثانية: «أنزق من زينب بنت ملكة»، وتصحيحه من ل. وجاء فى أمثال الميدانى (١: ١٣٦): «أترف من ربيب نعمة».

(٣) ط، س: «قال لى أبو عبد الله». س: «مثل ذلك» ل: «مثل ذاك».

(٤) هو جبار بن سلمى (بضم السين، وقيل بفتحها) بن مالك بن جعفر بن كلاب، أحد الصحابة. أسلم بعد وقعة بئر معونة لسبب طريف، بعد ما كان شديد العداوة للمسلمين. انظر الإصابة ١٠٥١ والسيرة ٦٥٠، ٩٣٩ جوتنجن والبيان (١: ٥٤). فى ط، س، «حماد بن مالك بن سليمان مالك» ل: «جبار بن مالك ابن سلمى». وانظر شروح سقط الزند ص٥٠٠.

(٥) فى البيان: «حين وقف على قبر عامر بن الطفيل».

(٦) ط، س: «الجمل»، وأثبت ما فى ل والبيان.

(٧) ل: «كان».

وقال ابنُ الأعرابىّ : قال أعرابى : اللهمّ لا تُنْزِلْنى ماءَ سَوءٍ فأكونَ امرأ سَوء ! يقول : يدعونى قِلّتُهُ إلى منعه .

وقال محمَّد بن سلّام ، عن حماد بن سلمة ، عن الأزرق بن قيس : إنّ الأحنف كان يكرَه الصَّلاة فى المقصورة ، فقال له بعضُ القوم : يا أبا بحر ، لم لا تصلى فى المقصورة ؟ قال : وأنت لم لاتصلِّى فيها ؟ قال : لاأُترك[1] !

وهذا الكلامُ يدل على ضروب من الخير كثيرة[2] .

ودخل عبد الله بن الحسن عَلى هشام ٍ فى ثيابِ سفَرِه ، فقال : اذكر حوائجك . فقالَ عبد الله : ركابى مُناخةٌ ، وعَلَىَّ ثيابُ سفرى ! فقال : إنّك لا تجدنى خيرًا [منِّى] لك الساعة[3] .

١٤٧ قال أبو عبيدة : بلغ عمرَ بن عبد العزيز قدومُ عبدِ الله بن الحسن ، فأرسل إليه : إنى أخاف عليك طواعينَ الشام ، وإنّك لا تُغنِمَ أهلَك خيرًا لهم منك[4] فالحقْ بهم ، فإنّ حوائجهم ستسبقك[5] .

وكان ظاهر ما يكلِّمونَهُ بِهِ ويُرُونه إيَّاهُ جميلا مذكورًا[6] ، وكان معناهم الكراهة لمقامه بالشام ، وكانوا يرون جمالَهُ ، ويعرفون بيانَه وكمالَهُ ، فكان ذلك العَملُ من أجودِ التَّدبير فيه عندَ نفسه :

---

(١) ط : « لا ترك » .

(٢) ط : « على طرق » س : « على كنز من الخير كثير » .

(٣) ط ، س : « إنه لا تجدنى خيراً لك من الساعة » . وموقع هذه القصة فى ل بعد القصة الآتية .

(٤) ل : « لن تغنم أهلك خيرا منك » .

(٥) ل : « ستتبعك » . وانظر الحيوان (٤ : ١٣٨) .

(٦) كذا فى س . وفى ط : « مايكلمون به ويرونه جميلا مذكوراً » . وفى ل : « ما يتكلمون به ويبرونه جميلا مذكوراً » .

(شعر فى الزهد والحكمة)

وأنشـد :

تُليح من الموتِ الذى هو واقعٌ   وللموتِ بابٌ أنتَ لا بدَّ داخلُه[١]

وقال آخر :

[أكلكمُ أقام على عجوزٍ   عشنْزَرَةٍ مقلَّدةٍ سِخابَا[٢]

وقال آخر] :

الموتُ بابٌ وكل الناس داخله   فليتَ شعرىَ بعدَ الباب ما الدَّارُ[٣]

لو كنتُ أعلم مَنْ يَدرى فيخبرَنى   أجنَّةُ الخُلْدِ مأوانا أم النَّـارُ[٤]

وقال آخر :

اصبرْ لكلِّ مصيبةٍ وتجـلَّدِ   واعلمْ بأنَّ المرء غيرُ مخلَّدِ

فإذا ذكرتَ مصيبةً تشجى بها   فاذكُرْ مصابَكَ بالنبىِّ محمدِ

وقال آخر :

والشمس تَنْعَى سـاكِنَ الـ   دُّنيا ويُسعِدُها القَمَـر

---

(١) ألاح يليح : خاف وحاذر . ل : « لا شك داخله » . وانظر مجالس ثعلب ٣٤٩.

(٢) عنى بالعجوز الدنيا . والعشنزرة : السيئة الخلق ، بضم الخاء واللام . والسخاب : بالكسر : القلادة من سك وقرنفل ومحلب ، بلا جوهر .

(٣) كذا فى ل والأغانى (١٩ : ١٤) . وفى ط : « الموت باب لنا لا بد ندخله » وفى س : «ولنا لابد لنا أن ندخله » وما فى س تحريف .

(٤) ل : « مثوانا » . قالوا : لم يتمثل الحسن البصرى بشعر إلا هذا البيت . انظر الأغانى .

أين الذين عليهمُ رَكَمُ الجنادِلِ والمَدَر[١]
أفناهُمُ غَلَس العِشاَ ء يهزُّ أجْنِحَةَ السَّحَرْ[٢]
ما للقلوب رقيقــة وكأنَّ قلبَك مِن حَجَرْ
ولقلَّما تَبْقى وعو دُكَ كلَّ يومٍ يُهتَصر[٣]

وقال زهير :

ومَن يُوفِ لايُذمْ ومَنْ يُفْضِ قلبه إلى مطمئن البرِّ لا يتجمجمِ[٤]
ومن يَغترب يحسَب عدوًّا صديقه ومن لا يكرِّم نفسَه لا يكرَّمِ
ومهما تكنْ عندَ امرئٍ من خليقةٍ وإنْ خالها تَخْفَى على النَّاسِ تُعلِمِ
ومن لا يزلْ يسترحِلُ النَّاسَ نفسَه ولا يُعفِها يوماً من الذَّمِّ يندَمِ[٥]

[وقال زهير أيضاً :

يطعنهم ما ارتَمَوا حتى إذا طُعِنوا ضارب حتَّى إذا ماضارَبُوا اعتنقا[٦]]

---

(١) الركم ، بالتحريك : المتراكم .

(٢) الغلس : الظلام آخر الليل . والعشاء من زوال الشمس إلى طلوع الفجر . ل : « العشى » . وهى بمعنى العشاء المتقدم ؛ فى المصباح : « العشى من الزوال إلى الصباح » .

(٣) اهتصار الغصن : عطفه . ل : « يعتصر » . وفى ط : « ولعل ما تبق » صوابه فى ل ، س .

(٤) لا يتجمجم : لا يتردد .

(٥) يسترحل الناس نفسه : يجعل نفسه كالراحلة للناس يركبونه ويذمونه . وروى : « يستحمل الناس » ، أى يحمل الناس على عيبه .

(٦) انظر الكلام على هذا البيت فى الاستدراكات .

وقال[1] :

وجارُ البيتِ والرَّجلُ المنادِى[2] أمامَ الحىِّ عَقدُهما سـواءُ
جوارٌ شاهدٌ عدْلٌ عليـكم وسِيَّانِ الـكَفالةُ والتَّلاءُ[3]
فإن الحقَّ مَقْطعُهُ ثلاثٌ : يَمينٌ ، أو نِفارٌ ، أو جِلاءُ[4]

فتفهَّمْ هذه الأقسامَ الثَّلاثة ، كيف فصَّلها هذا الأعرابىُّ !

وقال أيضاً :

فلو كان حمدٌ يُخلِدُ النَّاسَ لم تَمُتْ ولـكنَّ حمْـدَ المرءِ ليسَ بمُـخْلِدِ ٤٨
ولـكنَّ منهُ باقياتٍ وِراثةً فأَوْرِثْ بنيك بعضَها وتَزوَّدِ
تَزوَّدْ إلى يوم المماتِ فإنَّه وإنْ كرهتْه النَّفسُ آخِرُ معْهَدِ

وقال الأسدىُّ :

فإنِّى أحبُّ الُخلدَ لو أستطيعُه وكالُخلْد عندى أن أموتَ ولم أُلَمْ[5]

وقال الحادرة :

فأَثْنُوا علينا لا أبا لأبيـكمُ بإحسانِنا إنَّ الثَّناءَ هو الُخلْد[6]

وقال الغنوىّ :

فإذا بلغتمْ أهلَـكم فتحدَّثوا ومن الحديثِ مهالك وخُلودُ[7]

---

(١) أى زهير بن أبى سلمى .

(٢) المنادى : المجالس ؛ من النادى والندى وهو المجلس . ط : « المناوى » وهو تحريف . يقول : حق الجليس كحق الجار .

(٣) التلاء ، بالفتح : الضمان وانظر اللسان (تلا) .

(٤) انظر الـكلام على هذا البيت فى الصناعتين ٣٣١ والعمدة (١ : ٣٠) والعقد (٣ : ٣٨٦) والبيان (١ : ٢٤٠) وعيون الأخبار (١ : ٦٧) .

(٥) وكذا فى البيان (٣ : ٣٢٠) . ل . « لو أموت » .

(٦) البيان (٣ : ٣٢٠) .

(٧) ما عدا ل : « بلغتم أرضكم » ، و « متألف وخلود » .

وقال آخر[1] :

فقتلاً بتقتيلٍ وعقرًا بعقرِكم جزاءُ العُطَاسِ لا يموت من اتّأرْ[2]

وقال زهير :

والإثمُ من شرٍّ ما تصولُ بِه والبرُّ كالغَيثِ نبتُه أَمِرُ[3]

أى كثير . ولو شاء أن يقول :

* والبرُّ كالماء نبتُه أمِرُ *

استقام الشعر ، ولكن كان لا يكون له معنى . وإنّما أراد أن النبات يكون على الغيثِ أجود[4] . ثمَّ قال :

قد أشهَدُ الشَّاربَ المعذَّلَ لا معروفُهُ مُنكَر ولا حصرُ[5]

فى فتيةٍ لَيِّنى المآزِرِ لا ينسَوْنَ أحلامَهم إذا سَكِرُوا[6]

يشوُون للضَّيف والعُفاةِ ويُو فون قضاءً إذا هُمُ نَذَروا[7]

---

(١) هو مهلهل كما فى البيان (٣ : ٣٢٠) .

(٢) س : « وعقدا بعقدكم » . محرف . ما عدا ل : « جزاء العطاش » تحريف . وانظر حواشى البيان ، واللسان (عقب ١١٠ جزى ١٥٩) . واتأر : أدرك ثأره . والمعروف فى المعجمات : « اثأر » بالثاء المثلثة . لكن ما أثبت من ل جائز فى العربية . انظر الاستدراكات والتذييل . وفى ط ، س : « ارتا » محرف .

(٣) ط : « امره» وصوابه فى ل ، س . والرواية عند القالى (١ : ١٠٣) والبحترى ٣٤٧ : « من شر يصال به » .

(٤) الغيث : المطر الغزير . ط ، س : « أراد أن يكون عن الغيث أجود » .

(٥) المعذل : الذى يبذل كثيرا ويلام لإسرافه . س : « المعدل » وليس بشىء . والحصر : البخيل .

(٦) المآزر : جمع مئزر ، والمراد بها هنا النفوس ، كما قال نفيلة – وأراد بالإزار النفس :

ألا أبلغ أبا حفص رسولا فدى لك من أخى ثقة إزارى

(٧) العفاة : جمع عاف : وهو كل طالب فضل أو رزق .

يمدحُ كما ترى أهلَ الجاهليّة بالوفاء بالنُّذور[1] .

أنشدنى حبّان بن عِتْبان[2] ، عن أبى عبيدة ، من الشّوارد التى لا أربابَ لها ، قوله :

إن يغْدِرُوا أو يفجُروا أو يبخَلوا لم يحفِلوا
يَغــدُوا عليكَ مرجَّلِيـنَ كأنَّهُـمْ لم يفعَلُوا
كأبى بَراقِشَ كلَّ يو مٍ لونه يتخيَّلُ[3]

وقال الصَّلَتان السعدىُّ ، وهو غير الصَّلْتان العبْدىِّ :

أشابَ الصغيرَ وأفنَى الـكبيـ رَ كَرُّ الغَداةِ ومرُّ العشِى ١٤٩
إذا ليـلةٌ هرَّمَت يومـها أتى بعـد ذلك يوم فَتِى[4]
نروح ونغـدُو لحاجاتنـا وحاجةُ مَن عاشَ لا تنقضى[5]
تموت مـعَ المرءِ حاجاتُه وتبقى له حَاجـةٌ ما بقِى[6]
إذا قلتَ يَوْماً لدى مَعْشرٍ أرُونى السَّرِىَّ أرَوْكَ الغنى

(١) ط ، س : « بالنذر » ولا تصح .

(٢) ل : « حيان بن عيين » .

(٣) أبو براقش : طائر كالعصفور حسن الصوت طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار يتلون فى كل ساعة ، يكون أحمر وأزرق وأخضر وأصفر . ولعل السبب فى ذلك ما قال الأزهرى : أنه شبيه بالقنفذ أعلى ريشه أغبر وأوسطه أحمر وأسفله أسود فاذا انتفش تغير لونه ألوانا شتى . والرواية فى اللسان : « كل لون لونه » ط ، س : « يتبدل » . وانظر الأبيات ورواياتها وما قيل فيها ، فى ديوان المعانى (١ : ١٨٢) والبيان (٣ : ٣٣٣) وأمالى القالى (٣ : ٨٣) وعيون الأخبار (٢ : ٢٩) وخزانة الأدب (٣ : ٦٦٠ بولاق) والصناعتين ١٠٣ ومحاضرات الراغب (١ : ١٥٠) .

(٤) هذا البيت ساقط من ل .

(٥) ط : « لحاجتنا » تحريف .

(٦) ط ، س : « يموت » .

ألم تَرَ لقمانَ أوصَى بنيـ ـهِ وأوصيت عمرًا فنعم الوَصى[1]
وسِرُّك ما كانَ عندَ امرئٍ وسرُّ الثَّلاثَةِ غير الخفى

أنشدنى محمَّدُ بن زياد الأعرابىّ :

ولا تَلبِثُ الأطاعُ مَن ليس عنده من الدِّين شىءٌ أن تميل به النَّفْسُ
ولا يُلْبِثُ الدَّحْس الإهاب تحوزه بجُمْعِك أن ينهاه عن غيرك الترس[2]

وأنشدنى أبو زيدٍ النحوىُّ لبعض القدماء[3] :

وَمهْمَا يكنْ رَيْب المَنُونِ فإنَّنِى أرى قمرَ اللَّيلِ المعذَّرَ كالفتَى[4]
يعودُ ضئيلاً ثم يرجعُ دائباً ويعظُم حتَّى قيل قد ثابَ واستوَى
كذلك زَيْدُ المرءِ ثمَّ انتقاصه وتكرارُه فى إثره بَعْدَ مامضَى[5]

وقال أبو النَّجم :

---

(١) ل : « ونعم الوصى » . وانظر الأبيات ورواياتها فى عيون الأخبار (٣ : ١٣٢) ومعاهد التنصيص (١ : ٢٧) والعقد (٢ : ١٢٣) والحماسة (٢ : ٥٦) والكامل ٥٤٠ ليبسك .

(٢) الدحس : الفساد . والشطر الأخير محرف . ل : « أن تنهاه كمبرة الرأس » .

(٣) هو حسان السعدى كما فى نوادر أبى زيد ١١١ — ١١٢ . ونسب الشعر فى أمالى المرتضى (٢ : ٧٦) إلى بعض شعراء طيىء . وعينه ياقوت فى (دير حنظلة) بأنه حنظلة بن أبى عفراء . وساق نسبه إلى طيىء . وقال فى شأن حنظلة هذا « كان قد نسك فى الجاهلية وتنصر وبنى هذا الدير » .

(٤) المعذر : ذو العذار ، وهو هنا الهالة التى تطيف به . وفى الجزء السادس من الحيوان ص ٥٠١ : « المقدر »، وما هنا صوابه . والرواية فى النوادر والأمالى والمعجم و ل: « المعذب » وكأن عذابه فيما يتكرر من طلوعه واختفائه ودءوبه على ذلك . وفى مثل ذلك قال أمية فى عذاب الشمس :

تأبى فلا تبدو لنا فى رسلها إلا معذبة . وإلا تجلد
لاتستطيع أن تقصر ساعة وبذاك تدأب يومها وتشرد

(٥) الزيد : الزيادة . ط : « بعد ماضى » ، وصوابه فى ل ، س .

مَيَّزَ عَنْهُ قُنْزُعاً عن قُنْزُعِ[(١)] ... مَرُّ اللَّيالِي أَبْطِئِي وأسرعي[(٢)]

أفناهُ قِيلُ اللهِ للشَّمْسِ اطلُعى ... ثمَّ إذا واراكِ أُفْقٌ فارجِعِي

وقال عمرو بن هند[(٣)] :

وإن الذى ينهاكم عن طلابِها ... يُناغِي نِسَاءَ الحيِّ فى طُرَّةِ البُرْدِ[(٤)]

يُعَلَّلُ والأيَّام تَنْقُص عُمْرَه ... كما تَنقُصُ النِّيرانُ من طَرَفِ الزَّنْد[(٥)]

وقال ابن ميَّادة :

هل ينطقُ الرَّبع بالعَلياءِ غيَّره ... سافِى الرِّياحِ ومسْتَنٌّ له طُنُبُ[(٦)]

وقال أبو العتاهية :

* أسرَعَ فى نقص امرئٍ تمامُه *

وقال :

ولمرِّ الفناءِ فى كلِّ شيءٍ ... حركاتٌ كأنَّهنَّ سكُون[(٧)]

وقال ابن ميَّادة[(٨)] : ١٥٠

---

(١) القنزع : الشعر حوالى الرأس . ل : « قزعا عن قزع » . والقزع : كل شيء يكون قطعا متفرقة . ورواية اللسان : « طير عنها » .

(٢) كذا فى ل واللسان . فى ط ، س : « جذب الليالى أبطئى أو أسرعى » .

(٣) كذا فى ط و س : وص ٤٨ من هذا الجزء . وفى ل : « عبد هند » .

(٤) يناغى : يغازل . س : « عن طلابها » .

(٥) س : « يعلل بالأيام » .

(٦) المستن : أراد به السحاب السريع الإمطار . والطنب : حبل السرادق . وقد جعل السحاب كالسرادق فكأنه قد ضرب على الأرض لإحاطته . يقول : قد أفسد ذاك الربع الرياح والأمطار . ط ، س : « ومستف » ، تحريف ما أثبت من ل ومعجم الأدباء (١١ : ١١٤) والأغانى (٢ : ١٠٢) .

(٧) س : « ولمر القناء » ط : « ولمر القناة » ، ووجهه ما أثبت من ل .

(٨) روى فى معجم البلدان برسم (قنع) نسبته إلى مزاحم العقيلى .

أشاقَكَ بالقِنْعِ الغَداةَ رُسومُ ... دَوارِسُ أدنى عهدِهِنَّ قديمُ (١)

يَلُحْنَ وقد جرَّمْنَ عشرين حِجَّةً ... كما لاح فى ظهرِ البنَانِ وشُومُ (٢)

وقال آخر :

فى مرفقَيها إذا ما عُونِقتْ حَجَمٌ ... عَلَى الضَّجيع وفى أنيابها شنَبُ (٣)

وقال ابن ميَّادة فى جعفر [ومحمد] ابنى سليمانَ (٤) ، وهو يعنى أمير المؤمنين المنصور :

وفى لكما يا ابنى سليمان قاسم ... بجَدِّ النُّهَى إذ يقسِم الخير قاسِمُهْ (٥)

فبيتكُمَا بيتٌ رفيع بناؤهُ ... متى يَلقَ شيئاً مُحْدَثاً فهو هادمُهْ (٦)

لكُمْ كبْش صِدق شذَّبَ الشَّولَ عنكُم ... وكسَّر قرْنَىْ كلِّ كبشٍ يصادمُهْ (٧)

---

(١) القنع ، بالكسر : جبل وماء باليمامة . والرسوم : آثار الديار .

(٢) جرمن عشرين حجة : قطعن عشرين سنة . ط ، س : « حرمن » ط : « عتبى حجة » وصوابهما فى س .

(٣) فى المعجم : « إذا ماعولجت » . والحجم بالحاء ثم الجيم المفتوحتين : لم أجد نصا فيه . ولعله من حجم ثدى الجارية : نهد وارتفع . أراد أنها مكسوة المرفقين باللحم . ل وكذا الأغانى : « جم » وهو كثرة اللحم ، أو عدم ظهور العظم . س : « حم » محرف . والشنب : بالتحريك : الرقة والحدة .

(٤) ط ، س : « فى جعفر بن سليمان » وتصحيحه وإكماله من ل .

(٥) يقول : ذلك القاسم حين قسم الخير وفى لكما بحظ العقل . وفى بالشىء : أعطاه كاملا . وهذا البيت شديد التحريف فى الأصل . ففى ط ، س : « وما لكم » وفى ل : « وفاء لكما » وفى ط ، س : « بجد النبى » وفى ل : « تجد النهى » . وقد عالجته بما ترى .

(٦) فى الأصل : « فبينكما » محرف . ل : «متى يلق بيتا مجدكم » .

(٧) الكبش : عنى به المنصور . شذب : طرد . والشول من الإبل : التى نقصت ألبانها . يريد : طرد عنكم الحساد من الناس . ط فقط : « شذب الشوك » وهو معنى لايصح فى المدح .

باب
فى من يهجَى ويذكر بالشؤم

قال دِعبِل بن علىّ ، فى صالح الأفقم [١] — وكان لا يصحبُ رجلاً إلّا ماتَ أو قُتِل ، أو سقطَتْ منزلته — :

قل للأمينِ أمينِ آل محمَّدٍ ... قول امرئٍ شفقٍ عليه محامِ [٢]
إيَّاكَ أن تُغترَّ عنكَ صنيعة ... فى صالح بن عطيَّة الحجَّامِ [٣]
ليس الصَّنائعُ عندَه بصنائعٍ ... لكنهنَّ طوائلُ الإسلامِ [٤]
أضربْ به نحرَ العدوِّ فإنَّه ... جيشٌ من الطَّاعونِ والبِرسامِ [٥]

وقال محمد بن عبد الله فى محمد بن عائشة [٦] :

لِلهِلالِىِّ قتيلٌ ... أبدًا فى كُلِّ عامِ
قَتَلَ الفضلَ بنَ سهلٍ ... وعلىَّ بنَ هشامِ
وعجيفاً آخر القو ... مِ بأكناف الشأمِ

(١) الأفقم : الذى تقدمت ثناياه العليا فلم تقع على السفلى . وفى الأغانى : « الأضجم » ، وهو المعوج الفم . ل : « صالح بن على الأفقم » صوابه « ابن عطية » كما فى الأغانى ، والشعر .

(٢) يريد بالأمين الخليفة المعتصم ، كما فى الأغانى (١٨ : ٦٤) وروايته :
قل للإمام إمام آل محمد ... قول امرئ حدب عليك محام
والتعبير عن الخليفة بلفظ « أمين » سبق مثله فى ص ٦٣ س ٤ .

(٣) تغتر : تؤخذ وتنال على غرة . ل : « يغتر » . وفى الأغانى (١٨ : ٤٦) : « أنكرت أن تفتر » !

(٤) طوائل : جمع طائلة ، يقال بينهم طائلة أى عداوة وترة .

(٥) البرسام ، بالكسر : علة يهذى فيها . قلت : هى بالفارسية برسام بالفتح ، بمعنى التهاب الصدر ، مركب من بر وهو الصدر ، وسام بمعنى الالتهاب ، وهو بالمعنى الدقيق : التهاب غشاء الرئة : The pleurisy .

(٦) ل : « بن محمد بن عائشة » .

وغدا يطلب مَن يقـ تَل بالسَّيفِ الُحسامِ[١]
فأعَاذَ اللهُ منـه أحمدًا خـيرَ الأنام

[يعنى أحمد بن أبى دواد] .

وقال عيسى بن زينب فى الصخرى[٢] ، وكان مشئوما :

يا قوم مَنْ كان له والدٌ يأكلُ ما جمَّعَ مِنْ وَفْرِ[٣]
فإنَّ عندى لابنِه حيلةً يموتُ إن أصْحِبَهُ الصخرى[٤]
١٥١ كأنمـا فى كفِّه مِبردٌ يبرُد ما طال من العُمْر

(شعر فى مديح وهجاء)

وقال الأعشى :

فمـا إنْ على قلبه غَمرةٌ وما إن بعظمٍ لهُ من وَهَنْ[٥]

وقال الكميت :

ولم يقلْ عِنْدَ زَلَّةٍ لهمُ كُرُّوا المعاذِرَ إنَّما حَسِبُوا[٦]

وقال آخر :

فلا تعذرانى فى الإساءةِ إنَّه شِرارُ الرِّجال مَنْ يسىءُ فيُعذرُ

---

(١) ل : « وبدا يطلب » .

(٢) ط ، س : « الصحرى » .

(٣) الوفر : المال الكثير . ط : س : « مايجمع فى الدهر » .

(٤) أصحبه : جعل صاحبا له . ط : « صحبة » . ط ، س : « الصحرى » .

(٥) س : « يعظم » ، تحريف .

(٦) الواو فى أول البيت ساقطة من ط ، س . ل : « بعد زلة » . ط : « حسوا » س : « حسنوا » وصوابه فى ل .

وقال [كلثوم بن عمرو] العتَّابى(١) :

رحــل الرَّجاءُ إليك مغتربا حُشِدَتْ عليه نوائبُ الدَّهْرِ(٢)

ردَّت عليك ندامتى أمَــلى وَثَنَى إليك عِنانَه شكْرِى(٣)

وجعلت عَتْبكَ عتْبَ موعظةٍ ورجاءَ عفوك مُنْتَهَى عُذْرِى

وقال أعشى بكر(٤) :

قَلَّدتك الشِّعرَ يا سـلامة ذا الـــإفضال والشَّىءُ حيثُ ماجُعِلا(٥)

والشِّعرُ يَستَنْزِلُ الكريمَ كما اسْـ تَنْزَلَ رعْدُ السَّحابةِ السَّبَلا(٦)

لوكنت ماءً عِدًّا جَمَمتَ إذا ما ورَدَ القوم لم تكُنْ وشلا(٧)

أنجبَ آباؤه الـكرامُ به إذْ نجلاهُ فنِعْمَ ما نَجلا

استأثرَ اللهُ بالبَقاءِ وبالحمْـ ـدِ وَوَلَّى المَلامَةَ الرَّجُلا(٨)

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) ط : « مرتغبا » س : « مرتقبا » . حشدت : جمعت . ط ، س : « حسدت »، وليس بشىء .

(٣) ل : « ردت إليه » و « ثنى إليه » .

(٤) ل : « وقال الأعشى » . وهما سيان ، فإن الأعشى المشهور يقال له أعشى بكر ، ويقال له أيضاً أعشى قيس . فهو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف ابن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل . ينسب حينا إلى قيس بن ثعلبة ، وآخر إلى بكر بن وائل . وقد أخطأ دى سامى فى جعلهما شخصين فى فهرس الأغانى .

(٥) كلمة « الشعر » ساقطة من ط . وفى الخزانة (٤ : ٣٥٨) : « ذو التفضال » ، وفى العمدة (١ : ١٠) : « ذا فائش ». وسلامة ذو فائش : أحد ملوك حمير .

(٦) السبل ، بالتحريك : المطر .

(٧) الماء العد ، بكسر العين : القليل ، بلغة بكر بن وائل . جم : كثر . س : « جمعت » تحريف . والوشل : الماء القليل .

(٨) يروى : « بالوفاء وبالعد » . وبهذا البيت يستشهد على أن الأعشى كان مذهبه مذهب أهل العدل . انظر أمالى المرتضى (١ : ١٦) .

وقال الكذَّاب[١] الحِرْمازىُّ [لقومه ، أو لغيرهم[٢]] :

لو كنتمُ شاءً لكنتمْ نَقَدَا[٣] أو كنتمُ ماءً لكنتم ثَمَدا[٤]

* أوكنتمُ قولاً لكنْتُم فَنَدَا[٥] *

وقال الأعشى فى الثياب[٦] :

فعلى مثلها أزورُ بنى قيـ ـسٍ إذا شَطَّ بالحبيبِ الفِراقُ[٧]

المهينين ما لَهـم فى زمانِ الـ ـسَّوء حتَّى إذَا أفاقَ أفاقوا

وإذا ذو الفُضول ضنَّ على المو لى وصارتْ لِخيمها الأخلاقُ[٨]

ومشَى القومُ بالعِمادِ إلى الرَّزْ حَى وأعيا المُسيمَ أيْنُ المَسَاقِ[٩]

أخذوا فضْلَهُمْ هناكَ وقد تَجـ ـرى على عِرْقِها الكِرامُ العِتاقُ[١٠]

---

(١) وكذا فى الحيوان (٥ : ٤٦٢) . ونسب فى الأزمنة والأمكنة (٢ : ٢٧٧) إلى العين المنقرى . والكذاب هو عبد الله بن الأعور ، أحد بنى الحرماز بن مالك بن تميم . ط : « الكرار » س : « الكراز » وهو على الصواب فى ل . قالوا : سمى بذلك لكذبه .

(٢) هم بنو فقيم ، كما جاء فى أول الرجز فى كل من أمثال الميدانى (١ : ٢٦٠) والأضداد ٣٥٦ :

* فقيم ياشر تميم محتداً *

(٣) النقد : جنس من الغنم قصار الأرجل ، قباح الوجوه ، يكون بالبحرين .

(٤) الثمد : الماء القليل . وهذه الرواية انفردت بها ل . وفى ط ، س وأمثال الميدانى والأضداد وثمار القلوب : « زبداً » .

(٥) الفند : الكذب . وفى الرجز زيادة فى ثمار القلوب وأمثال الميدانى (١ : ٢٦٠ ، ٤١٣) .

(٦) « فى الثياب » ساقط من ل . والحديث عن الثياب فى آخر بيت من هذه المقطوعة .

(٧) شط به : بعد . س : « شك » تحريف .

(٨) الخيم ، بالكسر : السجية والطبيعة . وفى الديوان : « لحقها » أى لحقيقتها . ل : « بحقها » .

(٩) العماد : الأخبية . والرزحى : النوق الشديدات الهزال . والمسيم : الذى يرعى الإبل . والأين : الإعياء . والمساق : السوق .

(١٠) قد ، هنا ، تحقيقية .

وإذا الغيثُ صَوبُهُ وضعَ القِدْ حَ وجُنَّ التِّلاعُ والآفاقُ[١] ١٥٢

لم يزدْهُمْ سفاهةً شُرْبُ الخمْـ رِ ولا اللَّهوُ فيهمُ والسِّباقُ[٢]

واضِعًا فى سرَاةِ نَجْرَانَ رَحْـلِى ناعماً غيرَ أنَّنِي مُشتـاقُ

فى مطايَا أربابُهُـنَّ عِجَالٌ عن ثَواءٍ وهَمُّهُنَّ العِـراقُ

دَرْمَكٌ غُـدوَةً لَنا ونشِيلٌ وصَبُوحٌ مباكِرٌ واغتِبَاقُ[٣]

وندامى بيضُ الوُجوهِ كأنَّ الـــشَّربَ مِنْهُمْ مَصَاعِبٌ أفنَاقُ[٤]

فيهمُ الخِصْبُ والسَّماحةُ والنجْـ دَةُ جَمْعاً والخاطِبُ المِسْلاقُ[٥]

وأبيُّونَ لا يُسامُون ضيْمًا ومَكِيثُون والحُلومُ وِثاقُ[٦]

وترى مجلساً يَغَصُّ به المحْـ رَابُ بالقَوْمِ والثِّيابُ رِقاقُ

---

(١) القدح ، بالكسر ، هو قدح الميسر . كانوا ينحرون ويضربون بالقداح ، فإذا أخصبوا تركوا ذلك ؛ وذلك أن الميسر إنما يكون فى الجدب . شرح ديوان الأعشى ١٤٤ فينا . جنت التلاع : كثر فيها النبت وحسن .

(٢) ليس يريد أنهم كانوا ذوى سفاهة فزادهم الشرب ، ولكن أراد أن الشرب لايجلب إليهم السفاهة ، بل يحتفظون معه بحميد خصالهم :

وإذا شربت فاننى مستهلك مالى وعرضى وافر لم يكلم

(٣) الدرمك : لباب الدقيق ، أراد الطعام المصنوع منه . و « غدوة » هى فى الأصل : « غدره » ، وتصحيحها من الديوان . والنشيل : مانشل من لحم القدر بمائه .

(٤) الشرب ، بالفتح : جماعة الشاربين . ل : « الشرب فيهم » . والمصاعب : الفحول المكرمة . والأفناق : جمع فنيق ، وهو بمعنى المصعب .

(٥) ل واللسان : « فيهم الحزم » . والخاطب المسلاق : الخطيب البليغ . ويروى : « السلاق » بمعناه ، كما فى اللسان . ورواية س : « المصلاق » بالصاد ، وهى لغة . يقال : مصلاق وصلاق أيضاً .

(٦) المكيث : الرزين . والحلوم وثاق : أى عقولهم محكمة .

وقال أيضاً فى الثِّياب[1] :

أزورُ يزيدَ وعبدَ المسيحِ وقيساً هُمُ خيرُ أربابها
وكعبةَ نَجْرَان حَتم علي لكِ حتَّى تُناخِى بأبوابها[2]
إذا الحِبَرَاتَ تلوَّتْ بِهمْ وجرُّوا أسافلَ هُدَّابِها

وفى الثِّياب يقول الآخر :

أَسَيْلِم ذا كمْ لاخفا بمكانه لعينٍ تُرَجِّى أو لأذن تَسَمَّعُ[3]
من النَّفرِ البِيضِ الذين إذا انْتَمَوْا وهابَ الرِّجال حَلْقَةَ البابِ قَعْقَعوا[4]
جلا الأذْفَر الأحوى من المسك فرقَه وطيب الدِّهانِ رأسَه فهو أنْزَع[5]
إذا النَّفر السُّود اليمانون حاوَلوا له حَوكَ بردَيْهِ أجادُوا وأوسعَوا[6]

[وقال كثيِّر :

يجرِّر سِرْبالا عليه كأنَّه سبيُّ هلالٍ لم تفتق شرانقه[7]]

وقال الجعدى :

أتَانِى نصرهمْ وَهمْ بَعِيدٌ بِلَادهُمُ بأرضِ الخيزُرَانِ

---

(١) الأبيات منسوبة إلى أعشى بنى تغلب فى معجم الأدباء (١١ : ١٣٢) .

(٢) يخاطب ناقته . تناخى : تبرك . ط ، س : « تحل » ولها وجه .

(٣) خفا : مقصور خفاء . ط ، س : « حقا » ، وصوابه فى ل والبيان (١ : ١٩٦ و ٣ : ٣٠٥) والكامل ١٠٣ والعقد (٥ : ٣٤٣) ورسائل الجاحظ ٧٩ ساسى والبخلاء ٢١٣ . « ترجى » من الرجاء وهو الأمل . ل : « تدحى » ، البيان « تدجى » الرسائل : و « تداحى » ولعلها « تراعى » .

(٤) الرواية فى المراجع المتقدمة : « من النفر الشم » وجعلهم نفرا لقلتهم . والكرام قليل .

(٥) الأذفر : الشديد سطوع الرائحة . ط : « فوقه » تحريف . والأنزع : الذى انحسر الشعر عن جانبى جبهته . ل : « فهو أفرق أنزع » .

(٦) اليمانية يوصفون بالسواد . ل والعقد : « أرقوا وأوسعوا » ، وفى خزانة الأدب (٢ : ٥٢٣ بولاق) نقلا عن البيان : « أدقوا » ، وفى البيان : « أطالوا » . وانظر ما كتب البغدادى عن الشعر فى الخزانة .

(٧) السبى : جلد الحية تسلخه . والهلال : الحية . والشرانق : ما تسلخه . وانظر ما سيأتى فى (٤ : ١٧٧) .

يريد أرضَ الخِصب والأغصانِ اللَّيِّنَة[1] .

وقال الشاعر[2] :

فى كفِّهِ خَيزُرانٌ ريحُها عَبِقٌ   بكَفِّ أروَعَ فى عِرنينه شمم[3]

لأن المَلِكَ لا يَختَصِرُ[4] إلَّا بِعُودٍ لدْنٍ ناعِمٍ . وقال آخر :

تجاوبُها أخرى على خيزُرانَةٍ   يكادُ يدنيها من الأرضِ لينُها[5]

٥٣

وقال آخر[6] :

نَبتُّم نَباتَ الخيزُرانىِّ فى الثَّرَى   حديثاً، متى ما يأتِكَ الخيرُ يَنفَعِ[7]

وقال المسيَّبُ بن علس[8] :

قِصارُ الهمِّ إلَّا فى صديقٍ   كأنَّ وطابَهُم مُوشَى الضِّباب[9]

(١) فى اللسان : « وذلك أنه كان بالبادية وقومه الذين نصروه بالأرياف والحواضر . وقيل : أراد أنهم بعيد منه كبعد بلاد الروم » .

(٢) ط ، س : « وقال أسحر الشاعر » وانظر ما أسلفت من التحقيق فى ص ١٣٣ .

(٣) كذا فى ط ، س . وفى ل : « ريحه عبق » . وانظر الاستدراكات .

(٤) الاختصار : أخذ المخصرة ، بالكسر ، وهى ما يتوكأ عليه الخطيب ويشير به من عصا ونحوها . ل : « يتخصر » وهى صحيحة أيضاً . جاء فى الحديث : « فإذا أسلموا فاسألهم قضبهم الثلاثة التى إذا تخصروا بها سجد لهم » .

(٥) انظر حواشى البيان (٣ : ٦٢) .

(٦) هو النجاشى الشاعر ، كما فى خزانة الأدب (٤ : ٥٦٤ بولاق) والعقد (٤ : ١٢) .

(٧) ط والعقد : « ثبتم ثبات » ط . ل « بنتم بتات » تحريف ما أثبت من س والخزانة وكتاب سيبويه (٢ : ١٥٢) . والخيزرانى : لغة فى الخيزران ، وهو الطرى الناعم من النبات . حديثا : أى نباتا حديثا . يقول : لستم ذوى حسب قديم ، يهجوهم بذلك . والنجاشى صاحب الشعر قحطانى من بنى الحارث بن كعب المذحجى يهجو بهذا الشعر بنى صعصعة بن معاوية العدنانيين . وقبل البيت :

يا راكبا إما عرضت فبلغن   بنى عامر منى وأبناء صعصع

« ينفع » هى فى ط : « ينفعا » . وهى رواية سيبويه استشهد بها على إلحاق نون التوكيد الخفيفة بينفع مع أنها جواب شرط ، وليس ذلك من مواضع دخولها .

(٨) س : « وقال آخر » ل : « وقال الآخر » .

(٩) ط ، س : « فصار » ل « قصاد » يقول : ليس لهم هم إلا فى رعاية صديقهم وإكرامه . والوطاب : سقاء اللبن . والضباب ، بالكسر : جمع ضب . الموشى : الذى استخرج من جحره برفق . ط ، ل : « موق » ، والأشبه ما أثبت من س .

(عين الرضا وعين السخط)

وقال المسيب بن علس :

تامتْ فؤادك إذ عَرَضتْ لهـا ... حَسَـنٌ برأى العـين ما تَمِقُ[١]

وقال ابن أبى ربيعة :

* حَسَنٌ فى كلِّ عَينٍ من تودّ[٢] *

وقال عبد الله بن معاوية[٣] :

وعَين الرِّضا عن كلِّ عَيبٍ كليلةٌ ... ولـكنَّ عَينَ السُّخطِ تُبْدِى المَساوِيَا

وقال رَوْح أبو همّام[٤] :

وعينَ السُّخْطِ تبصِرُ كلَّ عيبٍ ... وعينُ أخى الرِّضَا عن ذاكَ تَعْمى[٥]

---

(١) تامت الفؤاد : استعبدته . ط ، س : « قادت » . ومق يمق : أحب .

(٢) صدر هذا البيت كما فى الديوان ٧٦ :

* فتضاحكن وقد قلن لها *

(٣) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، ولد فى خلافة معاوية، ومعاوية هو الذى سماه . وقد خرج عبد الله فى أيام يزيد بن الوليد ، وقصد إلى خراسان وكان قد ظهر بها أبو مسلم فأخذه أبو مسلم وحبسه عنده ثم قتله . وكان شاعراً مجيداً ، أكثر البحترى من الاختيار له فى حماسته . والبيت الآتى من أبيات قالها فى الحسين ابن عبد الله بن عبيد الله بن العباس ، وكان الحسين وعبد الله يتّهمان بالزندقة ، فقال الناس : إنما تصافيا على ذلك ، ثم دخل بينهما ما تهاجرا من أجله . انظر الأغانى (١١ : ٧٢) وثمار القلوب ٢٦١ وسرح العيون (٢ : ١١٣) .

(٤) اسمه روح بن عبد الأعلى، وكنيته أبوهمام ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ١٦٤ ليبسك ٢٣٤ مصر . وديوانه خمسون ورقة . ط ، س : « بن همام » وهو على الصواب فى ل . وانظر تزيين الأسواق ص ١٤ .

(٥) ل : « تظهر كل عيب » .

(شعر وخبر)

وقال الفرزدق :

أَلَا خبِّرُونى أيُّها النَّاسُ إنَّما … سألتُ ومَنْ يَسْأَلْ عن العِلم يَعْلَمِ[1]
سؤالَ امرئٍ لم يُغْفِل العِلْمَ صدرُهُ … وما السائلُ الواعِى الأحاديثَ كالعَمِى[2]

وقيل لِدَغْفَلٍ[3] : أنّى لك هـذا العلم ؟ قال : لسانٌ سَئُولٌ ، وقلبٌ عقول[4] .

وقال النابغة :

فآبَ مُضِلُّوهُ بعين جليَّةٍ … وغُودِرَ بالجَوْلَانِ حَزْمٌ ونائلُ[5]

---

(١) ط ، س : « ومن يسأل من الناس يعلم » ، وأثبت رواية ل والديوان ٧٥٩ . وصدره فى الديوان : « ألا يا اخبرونى » .

(٢) ط ، س : « لم يعقل » ، تحريف ما أثبت من ل والديوان . وفى الديوان : « وما السالم الواعى » . والسؤال الذى عناه الفرزدق فى بيت بعد هذا . وهو :

ألا هل علمتم ميتا قبل غالب … قرى مائة ضيفاً ولم يتكلم

غالب : أبو الفرزدق . مائة ضيفاً : أى مائة ضيف .

(٣) هو دغفل بن حنظلة النسابة الذى سبق ذكره فى ص ٢٠٩ . أدرك النبى ولم يسمع منه شيئاً ، ووفد على معاوية فسأله عن مسائل فأجابه ، وكان منها هذا السؤال . انظر أمثال الميدانى (٢ : ٢٧٣) ط ، س : « لرجل » . على أن الجاحظ فى البيان (١ : ٨٤) قد نسب القول إلى عبد الله بن عباس ، وعقب على ذلك بقوله : « وقد رووا هذا الكلام عن دغفل بن حنظلة العلامة . وعبد الله أولى به » . قلت : ونسبته إلى دغفل مذكورة فى عيون الأخبار (٢ : ١١٨) .

(٤) سئول : كثير السؤال . عقول ، شديد الفهم أو الحفظ .

(٥) بعين جلية : أى بخبر صادق وأنه مات . والجولان : موضع بالشام دفن فيه النعمان ابن الحارث بن أبى شمر الغسانى . غودر الحزم والنائل : أى دفن بدفن النعمان الحزم والعطاء .

مُضِلوه: دافنوه، على حدٍّ قوله تعالى[١] : ﴿ أءذا ضلَلْنَا فى الأَرْضِ ﴾

وقال المخبّل :

أضلَّتْ بنو قيسِ بنِ سَعْدٍ عميدَهَا   وفارِسَها فى الدَّهْرِ قيسَ بنَ عاصمِ

وقال زهيرٌ — أو غيره — فى سِنانِ بن أبى حارثة :

إن الرَّزيَّةَ لا رزيَّةَ مثلها   ما تبتغى غطَفانُ يومَ أضَلَّتِ

ولذلك زعم [بعضُ النَّاس] أنّ سِنانَ بنَ أبى حارثةَ خَرِفَ فذَهبَ على وجهه ، فلم يُوجَد .

(من هام عَلَى وجهه فلم يوجد)

ويزعمون أنَّ ثلاثة نفَرٍ هامُوا على وُجوههم فلم يُوجَدُوا : طالب بن أبى طالب ، وسنان بن أبى حارثة[٢] ، ومرداس بن أبى عامر .

وقال جرير :

وإنى لأستَحْيِى أخى أنْ أرى له   علىَّ من الفضْلِ الذى لا يَرى ليا

١٥٤ وقال امرؤ القيس :

وهل يَعِمَنْ إلَّا خَلِىٌّ منَعَّمٌ   قليلُ الهمومِ ما يبيتُ بأوْجالِ[٣]

وقال الأصمعى . هو كقولهم : « استرَاحَ مَنْ لا عَقْلَ له ! » .

وقال ابن أبى ربيعة[٤] :

---

(١) ل : « على قوله » .

(٢) انظر الحيوان (٦ : ٢٠٩) والأغانى (٩ : ١٤٤) .

(٣) ل : « وهل ينعمن » . والأوجال : المخاوف .

(٤) انظر البيان (٣ : ٣١٨) .

واُعجِبَهَا مِنْ عيشها ظِلُّ غُرفةٍ   ورَيَّانُ مُلْتفٌّ الحدائق أخْضَرُ
ووالٍ كفاها كلَّ شيءٍ يَهُمُّها   فليستْ لشيءٍ آخِرَ اللَّيلِ تسهَرُ[1]

باب
فى مديح الصَّالحين والفُقَهاء

قال ابنُ الخيَّاط[2] ، يمدح مالكَ بنَ أنس :

يأبى الجوابَ فما يُرَاجَعُ هَيْبَةً   والسائلونَ نَوَاكِسُ الأذْقَانِ
هَدىُ التقىِّ وعزُّ سلطانِ التُّقى   فهو المطاعُ وليس ذا سُلْطانِ[3]

وقال ابن الخياط[2] فى بعضهم :

فتًى لم يجالس مالكاً مُنْذُ أنْ نَشا   ولم يقتبِسْ من علمه فهو جاهلُ

وقال آخر :

فأنْتَ باللَّيل ذئبٌ لا حَرِيمَ له   وبالنَّهارِ على سمْتِ ابن سيرِين[4]

وقال الخليل بن أحمد وذكروا[5] عندَه الحظَّ والجِدَّ ، فقال : أمَّا الجِدُّ

---

(١) ط ، س : « الدهر » ، صوابه من ل والديوان والخزانة (٢ : ٤٢١ بولاق) .

(٢) اسمه عبد الله بن سالم المكى ، كما فى زهر الآداب (١ : ٦٩) . ط ، س : « أنس بن الخياط » . وفى الكامل ٤٠٩ ليبسك : « ابن الخياط المدينى » . فلعله مكى مدينى . والبيتان يرويان أيضاً لعبد الله بن المبارك ، فى العقد (١ : ٢٦٨) وزهر الآداب فى رواية . وانظر عيون الأخبار (١ : ٢٩٤) .

(٣) قال المبرد : « أراد : له هدى التقى » . وفى محاسن البيهقى (٣ : ١٢١) : « هذا التقى » . وانظر للبيت السابق الاستدراكات .

(٤) السمت : الطريق وهيئه أهل الخير . وأراد أن يقول ، « على ورع ابن سيرين » فلم يستقم له . هذا ما رأى الثعالبى فى ثمار القلوب ٧٠ . وانظر البيان (٣ : ١٧٣) .

(٥) س : « وذكر » . ط : « وكان » ، وهذه تحريف عجيب .

فلا أقول فيه شيئا ، وأمّا الحظُّ فأخزَى اللهُ الحظَّ ؛ فإنّه يبلِّد الطالبَ إذا اتّكل عليه ويبعد[1] المطلوب إليه من مذمّةِ الطّالب .

وقال ابن شبرمة[2] :

لو شئت كنت ككرْز في تعبُّدِه   أو كابنِ طارق حولَ البيت والحَرم
قد حالَ دونَ لذيذِ العَيش خوفهما   وسارعَا في طلاب العزِّ والكرَمِ[3]

وقال آخر[4] يرثي الأصمعيّ :

لا دَرَّ دَرُّ خطوبِ الدّهرِ إذْ فَجَعَتْ[5]   بالأصمعيِّ لقدْ أبقتْ لنا أسَفَا
عِش ما بدا لك في الدُّنيا فلستَ ترى   في الدَّهر منهُ ولا مِن عِلْمِهِ خَلَفا

وقال الحسنُ بن هانئ ، في مرثية خَلفٍ الأحمر :

١٥٥ لو كان حَيٌّ وائلاً من التّلَف   لوألتْ شغْوَاءُ في أعلى الشَّعف[6]
أمُّ فُريخٍ أحرزَتْه في لَجَف[7]   مُزَغَّبِ الألغادِ لم يأْكَل بكفْ[8]

---

(١) ط ، س : « ويبعد » .

(٢) هو عبد الله بن شبرمة بن حسان القاضي، كان قاضياً لأبي جعفر المنصور على سواد الكوفة وكان شاعراً ، حسن الخلق ، جواداً ، ولد سنة ٧٢ وتوفي سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب.

(٣) ل : « في طلاب الفوز » .

(٤) هو أبو العالية الحسن بن مالك الشامي ، كما في وفيات الأعيان (١ : ٢٩٠) وتاريخ بغداد ٥٥٧٦ .

(٥) ط : « إذا فجعت » ، تحريف .

(٦) ط : « لو كان حي » صوابه في ل ، س . وألت : نجت . ط ، س : « لواءلت » وهي صحيحة بمعنى الأولى . والشغواء : العقاب ، سميت بذلك لتعقف منقارها . ط ، س : « شعواء » ، صوابها في ل . والشعف : جمع شعفة بالتحريك ، وهي رأس الجبل . ط « في ذرى الشعف » .

(٧) يقول : لها فرخ حفظته في صخرة مشرفة على غار . كلمة « في » ساقطة من ل .

(٨) الألغاد : جمع لغد ، وهو هنا ظاهر لحم الحلق . ط : « الأكفاو » ل ، س : « الألفاد » ، وصوابه ما أثبت موافقا لما في ديوان أبي نواس ١٣٢ .

هاتيك أم عصماءُ في أعلى الشَّرَف(١)

تظلُّ في الطُّبَّاق والنَّزْعِ الألفْ(٢)

أودى جماعُ العِلمِ مُذ أودَى خلف قَلَيْذَمٌ من العيالم الخُسُف(٣)

وقال يرثيه في كلمةٍ [له](٤) :

بتُّ أعزِّي الفؤادَ عن خَلفِ وباتَ دمْعي إلّا يَفِض يَكِفِ(٥)

أنسى الرَّزايا مَيتٌ فجعتُ به أضحَى رهينًا للتُّربِ في جَدَفِ(٦)

كان يسنِّي برِفْقه غلَقُ الـ ـأفهَامِ في لا خرق ولا عُنفِ(٧)

يجوبُ عنكَ التي عَشِيتَ لها حَيْرَانَ، حَتَّى يشفيكَ في لُطفِ(٨)

---

(١) العصماء من الوعول : ما في ذراعيها أو إحداهما بياض وسائرها أسود أو أحمر . والشرف : المكان المرتفع .

(٢) الطباق ، كرمان : شجر ينبت في جبال مكة . والنزع : نبت . س : «والمنزع» ل : «والنذع» محرفتان . والألف : الملتف . ل : «الأقف» تحريف .

(٣) القليذم : البئر الغزيرة الكثيرة المـاء . ط : «قلندم» س : «فلتدم» صوابه في ل والديوان . والعيالم : جمع عيلم ، وهي البئر الواسعة الكثيرة الماء على أنه غزير العلم . وفي الديوان ومحاضرات الراغب (١ : ٤٩ ، ٢ : ٢٣٦) : «العياليم» . والخسف : جمع خسيفة ، وهي البئر حفرت في حجارة ، فنبعت بماء غزير لاينقطع .

(٤) رثاه بها قبل موته ، وكان خلف أستاذه ، فعرضها عليه فاستجودها . وأنشدها أبا عبيدة فقال : ما أحسنها ! وطوبى لمن يرثى بمثلها ! فقال : مت راشداً وعليَّ أن أرثيك بخير منها .

(٥) وكف الدمع : قطر . ط ، س : «أن لا يفض» ، صوابه في ل والديوان .

(٦) الجدف : الجدث ، وهو القبر . ل : «رهين التراب» .

(٧) يسني : يفتح . والغلق : ما يغلق به الباب . ط : «كما ينمى برفقه خلق» كما البيت محرف بالديوان .

(٨) يجوب : من جاب الرجل المفازة : قطعها . عشي : لم يبصر . ل والديوان : «من قبل» موضع «حيران» .

لا يَهِمُ الحاء فى القراءة بالخا ء ولا لا مَها مع الألف[١]
ولا مضلًّا سُبْلَ الكلامِ ولا يكون إسناده عن الصُّحُفِ[٢]
وكان ممَّن مضى لنا خَلفا فليسَ إذْ مات عنهُ مِن خلفِ[٣]

وقال آخر فى ابن شبرُمة[٤] .

إذا سأَلتَ النَّاسَ أينَ المكرمَهْ والعزُّ والجُرثومةُ المقدَّمَهْ[٥]
وأينَ فاروقُ الأُمورِ المحكمه[٦] تتابَعَ النَّاسُ على ابن شُبرُمَهْ

(شعر مختار)

وقال ابن عرفطة :

ليَهنِيكَ بُغْضٌ للصَّدِيق وظِنَّةٌ وتحديثُك الشَّىْءَ الذى أنتَ كاذبُه[٧]
[وَأنَّكَ مشنوءٌ إلى كلِّ صاحبٍ بَلاكَ ، ومثلُ الشرِّ يكره جانبُهْ]
وإنَّك مِهْدَاءُ الخنا نَطِف النَّثَا شديدالسِّبابِ رافعُ الصَّوتِ غالبُه[٨]

(١) كذا، فى ط ، س ، والديوان ، وأخبار أبى نواس ٢٧ : « يهم » من الوهم ، وفى ل : « يهمز » .

(٢) كانوا يقولون : « لا تأخذوا العلم من صحفى » . ط ، س : « على الصحف » ورواية الديوان وأخبار أبى نواس :

ولا يعمى معنى الكلام ولا يكون إنشاده عن الصحف

(٣) ط، س : « وكان فيما مضى لنا خلف »، وصوابه فى ل والديوان والأخبار .

(٤) سبقت ترجمته فى التنبيه الثانى من ص ٤٩٢ .

(٥) الجرثومة : الأصل .

(٦) الفاروق : الذى يفرق ويفصل .

(٧) ل : « ليهنك بعض فى الصديق » . وانظر القول فى الشعر وشرحه ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٨) ط ، س : « وأنك مهدى الخنا نطف الحشا » ، تحريف صوابه فى ل . وانظر ١٠٣ .

وقال النّابغة الجعدىّ :

أبَى لِي البَلاءُ وأنّى امرؤٌ إذا ما تبيَّنتُ لَمْ أرْتب

وليس يريد أنّه فى حال تبيُّنُه[١] غيرَ مُرتاب ، وإنّما يعنى أنّ بصيرتَه لا تتغيَّر .

وقال ابنُ الجَهْم ، ذات يوم : أنا لا أشكُّ[٢] ! قال له المكىُّ : وأنا لا أكاد أوقن !

وقال طرَفة :

وكرِّى إذا نادى المُضافُ مُحَنَّبا كسيد الغَضَى فى الطَّخْية المتورِّدِ[٣]

وتقصيرُ يَومِ الدَّجنِ والدَّجنَ معجِب ببَهكنةٍ تحتَ الخِباءِ الممَدَّدِ[٤]

أرى قَبرَ نحّامٍ بخيلٍ بماله كقبْرِ غَوِىٍّ فى البَطَالةِ مُفْسِدِ ٥٦

لَعمرُك إنّ الموتَ ما أخطأ الفتى لكالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْياه باليَدِ[٥]

أرى الموتَ أعـدادَ النُّفوسِ ولا أرَى

بعيدًا غدًا ، ما أقرَبَ اليومَ من غد

---

(١) ط ، س : « بيانه » ، تحريف ما فى ل .

(٢) ل : « أنا أكاد أشك » .

(٣) المضاف : الذى أضافته الهموم . والمحنب : فرس محدودب الذراع قليلا . س : « مجنبا » تحريف . والسيد : الذئب . والغضى : شجر . والطخية : الظلمة . والمتورد : الذى يطلب أن يرد الماء . ل : « كسيد الغضا نبهته » .

(٤) البهكنة : المرأة التامة الخلق . ط ، س : « ببكهنة » محرف . ل : « الخباء المعمد » أى ذى العمد .

(٥) الطول : الحبل . وثنياه : طرفاه . س : « لكالطول المرجى » تحريف .

وظلم ذَوِى القَربى أشدُّ مضاضة ... على المرْء من وقع الحسامِ المهنَّد[١]

وفى كثرة الأيدى عن الظلم زاجرٌ ... إذا خطرَتْ أيدى الرِّجَالِ بمشهد[٢]

باب
القول فى الجعلان والخنافس[٣]

وسنقولُ فى هذه[٤] المحقرات من حشرات الأرض ، وفى المذكور من بغاث الطَّير وخشاشه ، مِمَّا يقتات العذِرَة ويُوصفَ باللؤم[٥] ، ويُتَقزَّزُ من لمسه[٦] وأكلِ لحمِه ؛ كالخنفساء والجُعَل ، والهدَاهِدِ[٧] والرَّخَم ؛ فإنَّ هذه الأجناس أطلَبُ للعذرة من الخنازير .

فأوَّل ما نَذْكُرُ من أعاجيبها صداقةُ ما بين الخنافس والعقارب ، وصداقة ما بين الحيَّات والوزَغ .

وتزعُمَ[٨] الأعرابُ أنْ بين ذكورةِ الخنافس وإناث الجعلان تسافدًا[٩] وأنهما ينتجان خلْقا ينزع إليهما جميعا .

---

(١) قيل إن هذا البيت لعدى بن زيد وليس لطرفة . التبريزى .

(٢) لم يروه التبريزى ولا الزوزنى . ووجدته فى محاضرات الراغب (١ : ١٣٣) وحماسة البحترى ١٥٤ منسوبا إلى عدى بن زيد العبادى . ط ، س : « على الظلم » . خطرت : تحركت واهتزت . ط ، س : « حضرت » وليس بشىء . والمشهد : محضر الناس .

(٣) ل : « القول فى المحقرات من حشرات الأرض » .

(٤) ط ، س : « باب » .

(٥) ط : « يقتات » و « يوصف » .

(٦) ط ، س : « يتقذر بلمسه » .

(٧) المداهد بالفتح : جمع هدهد . وبالضم : لغة فى الهدهد . ل : « الهدهد » .

(٨) ط ، س : « وزعم » .

(٩) ط ، س : « وذكورة الجعلان تسافد » ، وصوابه فى ل .

وأنشد خُشْنَامُ[1] الأعور [النحْوىُّ] عن سيبويه النَّحوىّ ، عن بعض الأعراب فى هِجَائِهِ عدوًّا له كان شديدَ السَّواد :

عاديتَنا يا خُنْفسا كامِ جَعَلْ[2] عداوةَ الأوعالِ حيَّاتِ الجَبَلْ
من كلِّ عَوْدٍ مُرهَفِ النَّابِ عُتُلْ[3] يَخْرِقُ إنْ مسَّ وإنْ شمَّ قَتَلْ[4]

ويُثبت أكلَ الأوعالِ للحيَّـات الشِّعرُ المشهور ، الذى فى أيدى أصحابنا ، وهو :

عَلَّ زيـدًا أن يُلاقى مَرَّةً فى التَّماسِ بعضَ حيَّاتِ الجَبَلْ[5]
غائِرِ العينينِ مَفْطوحِ القَفا ليس مِن حيّات حُجْرٍ والقلل[6]
يتوارَى فى صُـدوعٍ مَرَّةً رَبِذُ الخطْفةِ كالقِدْحِ المُؤَلّ[7]
وترى السمّ على أشـداقِه كشعاعِ الشَّمْسِ لاحَتْ فى طَفَلْ[8]
طرد الأرْوَى فما تقرَبُهُ ونَفَى الحيَّاتِ عن بيضِ الحَجَلْ

(١) ط ، س : « حسام » .
(٢) كامها : سفدها . ط ، س : « أم الجعل » محرف .
(٣) العود ، بالفتح ، أصله المسن من الجمال . والعتل : الشديد . وعنى به الحية .
(٤) مثله قول يحيى بن أبى حفصة فى الحية — والحية تذكر وتؤنث فتقول : هى الحية ، وهو الحية — :

أصم ما شم من خضراء أيبسها أو مس من حجر أو هاه فانصدعا

وانظر الحيوان (٢ : ١٣٧ — ١٣٨) . ل : « يحرق » بالحاء .
(٥) ط ، س : « فى التماس » ، صوابه فى ل .
(٦) مفطوح : عريض . ط ، س : « مقطوع » تحريف . ل : « والغلل » .
(٧) الربذ : السريع . ل : « وترى » ط ، س : « وبذى » ، والوجه فيهما ما أثبت . والقدح أراد به السهم . والمؤل : أصله المؤلل ، وهو المحدد .
(٨) ط : « وترى السهم » ، صوابه فى ل ، س . والطفل ، بالتحريك : الغروب .

وإنّما ذكر الأروى من بين جميع ما يسكن الجبالَ من أصناف الوحش ، لأنّ الأرْوَى من بينها تأكُلُ الحيّات ؛ للعداوة الّتي بينها وبين الحيّات .

(استطراد لغوى)

١٥٧ والأرْوَى : إناث الأوعال ، واحدتها أُرويّة . والناسُ يُسمُّون بناتِهم باسم الجماعة ، ولا يسمُّون البنتَ الواحدةَ باسم الواحدة منها : لا يسمُّون بأرويَّة ، ويسمُّون بأرْوَى . وقال شمّاخ بن ضِرَار :

فما أرْوَى وإنْ كَرُمَتْ علينا ... بأدنى من مُوَقَّفةٍ حَرُونِ[1]

وأنشد[2] أبو زَيدٍ في جماعة الأرويّة :

فمالكِ من أرْوى ، تعاديت بالعَمَى ... ولا َقيتِ كلاباً مُطِلًّا ورَاميا[3]

يقال : تعادى القومُ وتفاقَدُوا : إذا مات بعضُهم على إثْرِ بعض .

وقالت في ذلك ضُباعةُ بنتَ قُرْط[4] ، في مرثية زوجِها هشام ابن المغيرة :

---

(١) الموقفة : الأروية التي في قوائمها خطوط كأنها الخلاخيل . والوقف : الخلخال . والحرون : التي لاتبرح أعلى الجبل . يقول : ليست هذه المرأة بأقرب منالا من هذه الأروية الصعبة المنال .

(٢) ط ، س : « وقال » ، وصوابه في ل .

(٣) ل : « تداعيت » تحريف يخالف السياق . والبيت في اللسان (عدا) . والكلاب : الصائد بالكلاب . والمطل : من قولهم أطل فلان على فلان بالأذى ، إذا دام على إيذائه . س : « مظلا » .

(٤) هي ضباعة بنت عامر بن قرط ، كان تزوجها عبد الله بن جدعان في الجاهلية ، ثم طلقها وتزوجها هشام بن المغيرة ، فلما مات أسلمت وهاجرت ، وخطبها الرسول ثم بدا له فتركها . انظر الإصابة . ٦٧٠ قسم النساء .

إنَّ أبا عثمانَ لم أنْسَهُ وإنَّ صمتاً عن بُكاهُ لَحُوب[1]
تفاقَدُوا من معشرٍ ما لهمْ أىَّ ذَنوب صَوَّبُوا فى القَليب[2]

(طلب الحيَّات البيض)

وأما قوله :

* وَنَفَى الحَيَّاتِ عَنْ بَيْضِ الحجَل *

فإنَّ الحيَّات تطلبُ بيضَ كلِّ طائر وفراخَه . وبيضُ كلِّ طائرٍ ممَّا يبيض على الأرض أحبُّ إليها . فما[3] أعرفُ لذلك عِلَّةً إلَّا سهولةَ المطْلَب . والأيائِل تأكل الحيَّاتِ ، والخنازيرُ تأكل الحيَّاتِ وتعاديها .

(عداوة الحمار للغراب)

وزعم صاحبُ المنطق أنَّ بينَ الحمارِ والغراب عداوة . وأنشدنى بعضُ النحويِّين[4] :

عادَيتنَا لا زِلْتَ فى تَبابِ عَدَاوَةَ الحِمَارِ للغُرابِ

---

(١) ط : « صمتى » ، وأثبت ما فى ل ، س والعمدة (١ : ١٨٨) . والحوب ، بالضم : الإثم . وفى الكتاب : « إنه كان حوبا كبيراً » . ل : « لجوب » تحريف .

(٢) الذنوب ، بالفتح : الدلو العظيمة . والقليب : البئر . إن أطلق الروى بالتحريك كان فى الشعر إقواء ، وإن قيد بالإسكان امتنع الإقواء .

(٣) ل : « ولا » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وأنشدنى » . وانظر ما سبق فى ص ٤٥٨ .

وأنشد ابنُ ابى كريمةَ لبعض الشُّعراء فى صريع الغوانى :

فما ريحُ السَّذَابِ أشدُّ بُغْضاً إلى الحيَّاتِ مِنْكَ إلى الغَوَانِى[١]

(أمثال)

ويقال : « ألجُّ من الخنفساء » ، و «أفحَشُ من فاسية» ، وهى الخنفساء و « أفحش من فَالية الأفاعى[٢] » .

والفساء يُوصف به ضربانِ من الخَلْق : الخنفساء ، والظَّرِبان .

وفى لجاج الخنفساء يقولُ خَلفٌ الأحمر[٣] :

لَنا صاحبٌ مُولَعٌ بالخلافِ كثيرُ الخطاء قَليلُ الصَّوابِ[٤]

ألجُّ لجاجاً من الخنفَسَاء وأزْهى إذا مَامَشَى مِنْ غرابِ[٥]

(طول ذَماء الخنفساء)

وقال الرقاشى : ذكرت صبر الخنزير على نفوذ السهام فى جنبه[٦] ، فقال لى أعرابىٌّ : الخنفساء أصبر منه ، ولقد رأيت صبيًّا من صبيانكم البارحة

---

(١) ط ، س : « منه إلى الغوانى » ، وأثبت ما فى ل . وانظر ص ٤٥٩ .

(٢) فالية الأفاعى : ضرب من الخنافس رقط تألف الحيات والعقارب فى جحرة الضب.

(٣) يهجو العتبى ، كما فى السيرى . وللعتبى ترجمة فى (١ : ٥٣ — ٥٤) . وفى معجم الأدباء (١٦ : ١٦١) أنهما فى هجاء أبى العيناء . وبعدهما هناك بيتان آخران .

(٤) الخطاء : الخطأ .

(٥) أعاد إنشاده فى (٦ : ٤٦٩) .

(٦) ل : « جنبيه » .

وأخذَ شوكة وجعل فى رأسها فَتيلةً ، ثمَّ أوقد فيها ناراً[1] ، ثمَّ غرزها فى ظهر الخنفساء ، حتَّى أنفَذ[2] الشَّوْكة . فغبَرْنَا ليلتَنا[3] وإنَّها لَتجولُ فى الدَّارِ وتَصْبِح[4] لنا . و[اللهِ] إنِّى لأظنها كانتْ مُقْرِباً[5] ، لانتفاخ بطنها ١٥٨

(استطراد لغوى)

قال : وقال القَنَانىُّ[6] : العَوَاساء : الحامل من الخنافس ، وأنشد :

* بَكْرًا عواساءَ تَفاسا مُقْرِبا[7] *

---

(١) ط ، س : « أوقدها نارا » .

(٢) س : « أبعد » .

(٣) غبر : مكث . ط ، س : « فعبرنا » ، ووجهه من ل .

(٤) تصبح : تضىء . وانظر ماسيأتى فى ص ٥٠٨ .

(٥) المقرب : الحامل التى دنا ولادها .

(٦) القنانى هذا هو أستاذ الفراء ، كما فى معجم البلدان (قنان) . وله ذكر فى اللسان (نبل ١٦٣) ، وهو بفتح القاف بعدها نون مفتوحة . ط ، س : « العتابى » وهو كلثوم ابن عمرو العتابى المترجم فى (٢ : ٢٩٦) ، وصوابه ما أثبت من ل ؛ لمطابقته لما فى المخصص (٢ : ١٨) والمقصور ٧٨ والغريب المصنف ١٥٧ ، ٢٤٤ فى كل منها : « وأنشد القنانى » .

(٧) العواساء ، بالفتح : الحامل من الخنافس . تفاسا : أصلها تتفاسأ ، أى تخرج ظهرها . وروى : « تفاسى » أصلها تتفاسى ، كما فى اللسان (عوس ، فسى) والمقصور لابن ولاد ، أى تخرج هنها . وروى : « تبازى » أصلها تتبازى ، كما فى المخصص ، أى تخرج عجيزتها . ط : « تماسا » س : « نفاسا » ، صوابهما فى ل .

(أعاجيب الجعل)

قال : ومن أعاجيب الجعل[1] أنَّه يموت من ريح الوَرد ، ويعيشُ إذا أعيد إلى الرَّوث . ويضرَب بشدَّة سوادِ لونِه المثل . قال الرَّاجزُ وهو يصفُ أسودَ سالخا[2] :

مُهَرَّت الأشداق عَود قد كَمَلْ[3] كأنَّما قُمِّص من لِيطِ جُعَلْ[4]

والجُعَل يظَلُّ دهراً لا جَناحَ له ، ثم ينبت له جناحان ، كالنمل الذى يَغْبُر دهْرا لا جناح له ، ثم ينْبت له جناحان ، وذلك عند هَلَـكَتِه[5] .

(الدعاميص)

والدّعاميص[6] قد تغبُر حيناً بلا أجنِحةٍ ، ثم تصير فراشاً وبَعوضاً . وليس كذلك الجراد والذِّبَّان ، لأنَّ أجنحتَها تنبتُ على مقدار من العمر ومرورٍ من الأيام[7] .

---

(١) ط ، س : « ومن أول أعاجيب الجعل » .

(٢) الأسود : الحية العظيمة . والسالخ : الذى يسلخ جلده ، وذلك يكون فى كل عام .

(٣) مهرت الأشداق : واسعها . ط ، س : « مهرت الشدقين » ، وهى رواية البيان (٣ : ٢٢٥) .

(٤) قمص : ألبس قيصاً . والليط ، بالكسر : قشر الجعل . ط ، س : « قصص » صوابه فى ل والبيان .

(٥) ل : « علامة هلكته » . و « زمانا » مكان « دهراً » المتقدمة . والكلام من « كالنمل » إلى « جناحان » ساقط من س .

(٦) الدعموص : خلق يكون فى الماء ثم يستحيل بعوضاً وفراشا .

(٧) كلمة « من » ساقطة من ل .

وزعم ثمامة ، عن يحيى بن خالد : أنّ البرغـوث[1] قد يستحيلُ بعوضة .

(عادة الجعل)

والجعل يحرسُ النّيام ، فكلما قام منهمْ قائمٌ فمضى لحاجته تبِعه ، طمعاً فى أنّه إنّما يريد الغائط . وأنشد بعضهم قول الشاعر[2] :

يبيتُ فى مجلس الأقوامِ يرْبؤُهم   كأنّه شرطىٌّ باتَ فى حَرَسِ[3]

وأنشد بعضهم[4] لبعض الأعراب فى هجائه رجلاً بالفسولة ، وبكثرة الأكل ، وبعِظَم حَجْم النَّجو :

حتّى إذا أضْحَى تدرّى واكتَحَلْ[5]

لجارَتيـه ثمّ ولّى فنَثَلْ[6]

* رِزْقَ الأُنُوقَيْنِ القَرَنْبَى وَالْجُعَلْ[7] *

---

(١) ل : « أنه زعم أن البرغوث » .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وأنشد لبعضهم » .

(٣) يربؤهم : يرقبهم ، أو يكون لهم ربيئة أى عينا . ط ، س : « فى منزل » ، وأثبت ما فى ل وما سبق فى (١ : ٢٣٦) .

(٤) ط ، س : « وأنشدوا » .

(٥) تدرى : سرح شعره . ط : « تلدى » ، صوابه فى ل ، س . وفى ط : « ثم إذا أضحى » . وسبق الرجز فى (١ : ٢٣٥) .

(٦) نثل : أصله للفرس ، يقال نثل : راث . وفى الأصل : « نشل » ، وتصحيحه من الجزء الأول .

(٧) ل : « روق » ، صوابه فى ط ، س . وقد سبق فى الجزء الأول : « ذرق » وما هنا صوابه .

سمّى القَرَنبى والجُعل — إذ كانا يقتاتان الزِّبْل — أَنُوقَين[1] . والأنوق: الرَّخمة ، وهى [أحد ما] يقتات[2] العَذرة . وقال الأعشى :

يا رَخَماً ، قاظَ على يَنْخوب[3] يُعْجِلُ كفَّ الخارئ المُطِيبِ

المطيب : الذى يستطيب[4] بالحجارة ، أى يَتَمَسَّح[5] بها. وهم يسمُّون بالأنوق كلَّ شىء يقتات النّجْو والزِّبل ، إلّا أنّ ذلك على التشبيه لها بالرّخم فى هذا المعنى [وحدَهُ] . وقال آخر :

يا أيهذا النّابحى نَبْحَ القَبَلْ[6] يدعُو علىَّ كلما قام يُصَلّْ

رافعَ كفَّيهِ كما يفرى الجُعَلْ[7] وقد ملأتُ بطْنَهُ حتى أتل

* غيظاً فأمسى ضِغْنُه قد اعتدل *

والقَبَل : ماأقبل عَليكَ من الجبل . وقوله أتَلَ ؛ أى امتلأ [عليك] غَيْظا فقصّر فى مِشيتِه . وقال الجعدىّ :

١٥٩ منَعَ الغدرَ فلم أهمُمْ به وأخو الغَدْر إذا همَّ فعَلْ

خشيةُ اللهِ وأنّى رجلٌ إنما ذكرى كنار بقَبَلْ[8]

---

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) كذا فى ل . وفى س : « وهى مايقتات » ط : « وهى تقتات ».

(٣) قاظ بالمكان : أقام به صيفا . وينخوب : موضع ، ذكره ياقوت ، وأنشد البيت . والرواية المعروفة : « مطلوب » كما فى اللسان (طيب ، قاظ) والدميرى وأمثال الميدانى (٢ : ٢٥٠) ، وهو اسم جبل . ط ، س : « منجوب » تحريف مافى ل .

(٤) ط ، س : « يتطيب » ، صوابه فى ل .

(٥) ط : « يتطيب » ، وليست صحيحة . س : « يمسح » ، وأثبت مافى ل .

(٦) القبل : الجبل يستقبلك . أى كن ينبح الجبل . ط ، س : « النامحى نبح » صوابه فى ل ، واللسان (قبل) ونوادر أبى زيد ٤٩ .

(٧) يفرى ، بالفاء : يصنع . ط ، س : « يقرى » صوابه فى ل والنوادر .

(٨) ل : « نار بقبل » ، أراد أنه معروف مشهور .

وقال الرّاجز — وهو يهجو بعضهم بالفُسولة ، وبكثرة الأكل، وعِظَم[1] حجمِ النَّجْو — :

* باتَ يعشِّى وَحْدَه ألْفى جُعَل[2] *

وقال عنترة :

إذا لاقيتَ جمعَ بنى أبان   فإنِّى لائمٌ للجعْدِ لاحِى

كسوتُ الجَعْدَ جَعْدَ بنى أبان   رِدائى بعد عُرْيٍ وافتضاحِ[3]

ثم شبّهه بالجعل فقال :

كأنَّ مؤشَّرَ العَضدينِ جَحْلا   هدُوجا بينَ أقلبةٍ مِلاحِ[4]

تضمنَ نعمتى فغدا عليها   بُكورًا أو تهجّر فى الرّواحِ

وقال الشمّاخ :

وإن يُلقِيَا شأوًا بأرضٍ هَوَى له   مُفرَّضُ أطراف الذِّراعَينِ أفلجُ[5]

---

(١) س : « ويعظم » .

(٢) قبله كما سبق فى (١ : ٢٣٦) :

* إذا أتوه بطعام وأكل *

(٣) الرداء : هنا السيف ، وكان الرجل إذا قتل رجلا مشهوراً وضع سيفه عليه ليعرف قاتله . فمن ذلك ماسمى السيف رداء ، وفى ذلك يقول متمم :

لقد كفن المنهال تحت ردائه   فتى غير مبطان العشيات ، أروعا

والرواية فى ديوان عنترة : « سلاحى » . وكان عنترة أعار الجعد سلاحا فأمسكه الجعد ولم يرده إليه : ط : « بعد عراى وافتضاحى » . وصوابه فى ل ، س والديوان ٥٤ . والمراد : بعد عرى الجعد وافتضاحه .

(٤) مؤشر : مرقق . والجحل بتقديم الجيم : العظيم من الجعلان . ط ، س : والديوان ، واللسان (أشر) : « حجلا » صوابه فى ل واللسان (جحل، قلب) والمخصص (١٧ : ٣٥) . والهدوج : الذى يمشى رويدا فى ضعف . ط ، س : « عروجا » صوابه ما أثبت من جميع المصادر السابقة . والأقلبة : الآبار ، جمع قليب . ملاح : جمع ملح : ذى ملوحة .

(٥) يلقيا : من الإلقاء . والضمير عائد إلى عير وأتانه . انظر ديوان الشماخ =

(استطراد لغوى)

والشأو هاهنا : الرَّوث ، كأنّه كثر [ه] حتّى ألحقَه بالشأوِ الذى يخرج من البئر ؛ كما يقول أحدهم إذا أراد أن يُنقّى البئر : أخرِجْ من تلك البئر شأْوًا أو شأْوين ، يعنى من التّراب الذى قد سقَط فيها ، وهو شئٌ كهيئة الزَّبِيل[١] الصَّغير .

والشأو : الطَّلْق[٢] . والشأو : الفَوْت[٣] .

والمفرَّض الأفلج[٤] الذى عنى ، هو الجعل ؛ لأنَّ الجعلَ فى قوائمه تحزيز ، وفيها تَفْريج[٥] .

= (١٢ — ١٦) . ط ، س : « تلفيا » صوابه فى ل والديوان . والمفرض : المحزز . س : « معرض » ط : « معرف » ، صوابه فى ل والديوان واللسان (فرض) . والأفلج : البعيد مابين القوائم . ط ، س : « أفلح » بالحاء ، وهو تحريف مافى ل والديوان . والبيت من قصيدة جيمية مطلعها :

ألا ناديا أظعان ليلى تعرج فقد هجن شوقاً ليته لم يهيج

وفى البيت كما ترى إقواء ، إذ رويها الجيم المكسورة .

(١) كذا فى ل ، س . وفى ط : « الزنبيل » وهما صحيحتان ، يقال زبيل ، وزبيل كسكين ، وزنبيل وزنبيل بكسر الزاى أو فتحها ، وهى القفة أو الجراب .

(٢) الطلق ، بالكسر وبالتحريك : الشوط ، تقول : عدا طلقا أو طلقين .

(٣) الفوت ، بالفتح : السبق . شآه : سبقه . ط ، س : « القوت » صوابه فى ل .

(٤) ط ، س : « المعرض الأفلح » ، صوابه فى ل . وانظر أوائل الشرح من هذه الصفحة .

(٥) ط ، س : « تعريج » ، تصحيحه من ل .

(معرفة فى الجعل)

وللجعل جناحان لايكادان يُرَيانِ إلّا عند الطَّيران ؛ لشدَّةِ سوادهما ، وشبَهِهما بجلده ، ولشِدَّة[1] تمكُّنهما فى ظهره .

قال الشاعر ، حيثُ عدَّدَ الخَوَنَة ، وحثَّ الأميرَ[2] على محاسبتهم :

واشدُدْ يديكَ بزيْدٍ إن ظفِرْتَ به

واشْفِ الأراملَ من دُحروجة الجُعلِ

والجعل لايدحرج إلاّ جعرًا[3] يابساً ، أو بعرة .

وقال سعد بن طريف[4] ، يهجو بلالَ بنَ رَباح مولى أبى بكر[5] :

وذاك أســودُ نوبىٌّ له ذَفَرٌ كأنَّه جُعَلٌ يمشى بِقِرْواحِ[6]

وسنذكر شأنَه وشأن بلالٍ فى موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

---

(١) ط ، س : « وشدة » .

(٢) ط ، س : « الأمين » .

(٣) الجعر ، بالفتح : النجو . ط ، س : « بعرا » .

(٤) سعد بن طريف : صحابى ، ترجم له فى الإصابة ٣١٦٣ . ل : « سعد بن مطر » ، صوابه فى ط ، س .

(٥) هو بلال بن رباح الحبشى ، المؤذن ، كان أبو بكر اشتراه إنقاذاً له من عذاب سيده المشرك ، ثم أعتقه فلزم الرسول وأذن له وشهد معه جميع المشاهد . مات سنة عشرين . ط ، س : « بنى بكر » ، صوابه فى ل .

(٦) الذفر ، بالتحريك : خبث رائحة الإبط . ط : « زفر » س : « ظفر » صوابه فى ل . والقرواح ، بالكسر : الفضاء من الأرض .

(أبو الخنافس وأبو العقارب)

وكان بالكوفة رجلٌ من ولد عبد الجبَّار بن وائل بن حُجْر الحضرميّ[١] يكنى أبا الخنافس راضياً بذلك[٢] ، ولم تكن الكنية لقبا ولا نَبَزًا ، وكان من الفُقَهاء ، وله هيئة ورُواءٌ . وسألتُه[٣] : هل كان فى آبائه من يكنى أبا الخنافس؟ ١٦٠ فإنَّ أبا العقارب[٤] فى آل سلم مولى[٥] بنى العباس كثيرٌ على اتّباع أثر . وكان أبو الخنافس هذا اكتنى به ابتداءً .

(طول ذَماء الخنفساء)

وقال لى [أبو] الفضل العنبرىّ : يقولون : الضَّبُّ[٦] أطول شىء ذَماء ، والخنفساء[٧] أطولُ منه ذَماء ؛ وذلك أنّه يُغرَز فى ظهرها شوكةٌ ثاقِبة[٨] ، وفيها ذبالةٌ تستوقدُ وتُصْبِحُ[٩] لأهل الدّار ، وهى تدِبُّ بها

(١) عبد الجبار ، ذكره ابن حجر فى الإصابة فى أثناء ترجمته لوالده : (وائل بن حجر بضم الحاء — الحضرمى المتوفى فى خلافة معاوية) ، ولم يذكره بشىء سوى أنه روى هو وأخوه علقمة عن أبيهما وائل . الإصابة ٩١٠١ .

(٢) ل : « وهو راض بكنيته » .

(٣) ل : « وسألت » .

(٤) ل : « أبا العقاب » ، تحريف .

(٥) س : « موالى » .

(٦) ط ، س : « الضب » .

(٧) ط ، س : « والخنافس » .

(٨) ل : « نافذة » .

(٩) تصبح : تنير . وانظر ص ٥٠١ .

وتجول ! وربّما كانت فى تضاعيف حمل قَتٍّ ، أو فى بعض الحشيش والعُشب والخَلا ، فتصيرُ فى فم الجمل فيبتلعها من غير أن يَضْغَمَ الخنفساء[١] ، فإذا وصلت إلى جوفه وهى حيَّةٌ جالت فيه ، فلا تموت حتّى تقتلَه .

فأصحاب الإبل يتعاورون تلك الأوارىَّ[٢] والعُلوفاتِ ؛ خوفاً من الخنافس .

(هجاء جواس لحسّان بن بحدل)

وقال جَوّاس بن القَعْطل[٣] فى حسّان بن بَحْدَل[٤] :

هل يُهلكنّى لا أبالكم دَنِسُ الثّيابِ كطابخ القِدْرِ[٥]

جُعَلٌ تمطّى فى عَمَايتِه زَمِرُ المروءةِ ناقصُ الشِّبْرِ[٦]

لزَبابَةٍ سوداء حَنظلةٍ والعاجزِ التّدبيرِ كالوَبْرِ[٧]

---

(١) ضغم يضغم ، من باب منع : عض .

(٢) الأوارى : جمع آرى ، وهو محبس الدابة . ل : « الأوانى » تحريف . وفيها : « يتعهدون » مكان « يتعاورون » .

(٣) هو جواس بن القعطل بن سويد بن الحارث الكلبى ، وله شعر فى وقعة مرج راهط سبق بعضه فى ص ٤٢٢ . ط ، س : « حواس » ط : « ابن المتعطل » ل ، س : « المقعطل » صوابه ما أثبت من المؤتلف ٧٤ والأغانى (١٧ : ١١٢) والقاموس فى مادتى (جوس ، قعطل) . وانظر اشتقاق الاسم فى شرح التبريزى للحماسة (٤ : ٣٣) .

(٤) ط : « بجدل » س : « نحدل » وصوابه فى ل . وكان حسان بن بحدل أحد ولاة بنى أمية على فلسطين والأردن . ولما جاءت بيعة مروان بن الحكم سنة ٦٤ ، امتنع عنها وأراد عقدها لخالد بن يزيد بن معاوية . وكان هوى كلب مع مروان بن الحكم .

(٥) ل : « لا أبا لأبيكم » ، تحريف يفسد الوزن . وانظر (٦ : ٣٦٩) .

(٦) العماية ، بالفتح : الضلال والجهالة . ل : « عبايته » . زمر المروءة : ضعيفها . والشبر ، بالفتح : القد ، والعطاء .

(٧) الزبابة : ضرب من الفأر ، يشبه بها الجاهل ، كما فى اللسان والدميرى . يقول : =

فأمّا الهجاءُ والمدح ، ومفاخرة السُّودان [و] الحمران ، فإنَّ ذلك كلَّه مجموعٌ (فى كتاب الهجَناء والصُّرَحاء) .

و [قد] قدَّمنا فى صدر هذا الكتاب جملةً فى القول فى الجِعْلانِ وغير ذلك من الأجناس اللئيمة والمستقْذَرة ، فى باب النَّتن والطِّيب ، فكرهنا إعادته فى هذا الموضع[1] .

باب

القول فى الهدهد

وأما القول فى الهدهد ، فإنَّ العربَ والأعرابَ كانوا يزعمون أنَّ القَنزعةَ التى على رأسه ثوابٌ من الله تعالى على ما كان من بِرِّه لأُمِّه ! لأنَّ أمَّه لما ماتتْ جَعل قبرَها على رأسه ، فهذه القنزعة عوضٌ عن تلك الوَهْدة .

والهدهد طائرٌ مُنتِن الرِّيحِ والبدَن ، من جوهره وذاته ؛ فربَّ شىء يكونُ مُنتِنا من نفسه ، من غيرِ عرَض يعرِضُ له[2] ، كالتيوس والحيَّاتِ وغير ذلك من أجناس الحيوان .

فأمَّا الأعراب فيجعلون ذلك النَّتْنَ شيئاً خامرَه بسبب[3] تلك الجيفةِ

= أمه كأنها زبابة : دويبة على قدر السنور غبراء حسنة للعينين شديدة الحياء . وقد جعل أباه كالوبر تحقيراً له . ومنه قول أبان بن سعيد بن العاص : « واعجبا لوبر تدلى علينا من قدوم ضأن ! » . قدوم ضأن : موضع . ط : « الوبر » وصوابه من ل ، س .

(١) بعد هذا فى ط ، س : « والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب » .

(٢) ل : « من عرض » ، صوابه فى ط ، س .

(٣) ط ، س . « لسبب » .

التى كانت مدفونةً فى رأسه . وقد قال فى ذلك أميَّة أو غيرُه[١] من شعرائهم .

فأمَّا أميَّة فهو الذى يقول :

تَعَلَّمْ بِأَنَّ الله ليس كصُنْعِهِ ... صَنيعٌ ولا يَخْفَى على الله مُلحِدُ[٢] ٦١

وبكلِّ منكرةٍ لهُ مَعْرُوفةً ... أخرى عَلَى عينٍ بما يتعمَّدُ[٣]

جُدَدٌ وتوشيم ورسمُ علامــةٍ ... وخزائنٌ مفتوحةٌ لا تنفدُ[٤]

عمن أراد بهــا وجاب عيانَه ... لا يستقيم لخالق يتزيَّد[٥]

غيم وظلماء وغيث سَحابةٍ ... أزْمانَ كفَّنَ واستَرَادَ الهدهُدُ[٦]

يبغى القَرَارَ لأمِّــهِ ليُجِنَّها ... فبنى عليها فى قفاهُ يُمَــهدُ[٧]

مَهْدًا وَطيئاً فاستقلَّ بحَمْلِهِ ... فى الطَّيرِ يحملها ولا يتأَوَّدُ[٨]

من أمِّهِ فجُزى بصالحِ حملها ... ولدًا ، وكلف ظهره ما تفقد[٩]

فتراه يَدْلَحُ ما مشى بجنازةٍ ... فيها وما اختلف الجَديد المسند[١٠]

---

(١) ط ، س : « أو » ، والوجه الواو كما فى ل .

(٢) ل : « عليه ملحد » ولعل فى البيت تحريفا ، فإنه مخالف لما بعده فى الوزن .

(٣) فى الديوان : « فى كل منكرة » ، ل : « بها يتعمد » .

(٤) ط ، س : « وتوسيم » . س : « لاتفلد » ، ل : « لاتقلد » صوابه من ط ، والديوان .

(٥) ل : « وحاد غياية » . الديوان : « وجاب عنانها » .

(٦) ط ، س : « وغيم سحابة » . ط : « أن مان » ، صوابه فى س ، ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٤٧) . ط ، س : « كفر واستزاد » ل : « كفن واستزار » ، وأثبت ما فى نهاية الأرب والديوان . استراد : أصل معناها الخروج لطلب الكلأ .

(٧) ط ، س : « يبق » ، صوابه فى ل والديوان ونهاية الأرب . يجنها : يضعها فى الجنن ، بالتحريك ، وهو القبر . ط والديوان : « فى قفاها » صوابه فى ل ، س ونهاية الأرب .

(٨) يتأود : يتعطف ويتلوى . يقول : هى خفيفة المحل .

(٩) الديوان : « فجرى لصالح حملها » . ط : « لاتعقد » : نهاية الأرب : « ما يعقد » .

(١٠) يدلح ، بالحاء : يمشى بحمله مثقلا . ط : « يضبح » أصله من ضبح الخيل . ل ، =

(معرفة الهدهد بمواضع المياه)

ويزعمون أنّ الهدهد هو الذى كان يدلُّ سليمان عليه السلام على مواضع المياه فى قعور الأرَضين[1] إذا أرادَ استنباط شىء منها .

(سؤال ومثل فى الهدهد)

ويروُونَ أنّ نَجْدَةَ الحَرُورىَّ أو نافعَ بن الأزرق قالَ[2] لابن عباس : إنّكَ تقول إنّ الهدهُدَ إذا نقَرَ الأرضَ عَرَفَ مسافةَ ما بينَهُ وبين الماء ، والهدهُدُ لا يُبْصِر الفخَّ دُوَينَ التراب ، حتى إذا نقر التّمْرَة[3] انضمّ عليه

= س ونهاية الأرب : « يدلج » ولا تصح ، صوابها من الديوان . المسند : الدهر . والجديد : الدائم الجـدة لايبلى أبداً . وجاءت مثل هذه العبارة فى قول الهذلى :

وقالت : لن ترى أبداً تليدا بعينك آخر الدهر الجديد

ومنه الجديدان : الليل والنهار ؛ لأنهما لايبليان أبداً . ط : « الجديد المنشد » صوابه فى جميع المصادر المتقدمة .

(١) ط ، س : « الماء » . ل : « قعود الأرضين » ، وما فى ل تحريف .

(٢) ط ، س : « ونافع بن الأزرق قالا » . ونجدة هو ابن عامر الحرورى الحنفى ، كان من الخوارج الحرورية ، وإليه تنسب الفرقة النجدية . خرج باليمامة سنة ٦٦ فى جماعة كبيرة ، فأتى البحرين وقاتل أهلها ، وقتل شابا . ولد سنة ٣٦ وتوفى سنة ٦٨ . وأما نافع فهو ابن الأزرق الحنفى ، أحد الشجعان الأبطال ، كان أمير قومه وفقيههم . وإليه تنسب فرقة الأزارقة التى اشتبكت مع المهلب بن أبى صفرة فى حروب قاسية . قتل يوم دولاب على مقربة من الأهواز سنة ٦٥ .

(٣) فى ثمار القلوب ٣٨٤ : « نقر الحبة » .

الفخُّ ! فقال[1] ابنُ عبَّاس : « إذا جاء القدرُ عمِيَ[2] البَصرُ » .

ومن أمثالهم : « إذا جاءَ الحَيْنُ غطَّى العين[3] » .

وابن عباسٍ إن كان قال ذلك فإنَّما عنى هُدهُدَ سليمانَ عليه السلام بعينه ؛ فإنَّ القولَ فيه خلافُ القولِ في سائر الهداهد .

وسنأتى على ذكر هذا الباب من شأنه فى موضعه إن شاء الله تعالى[4] .

وقد قال الناس فى هُدهُدِ سُليمانَ ، وغرابِ نوح ، وحِمَار عُزَير ، وذئبِ أُهبان بن أوس[5] ، وغير ذلك من هذا الفنّ ، أقاويلَ[6] ، وسنقول فى ذلك بجملةٍ من القول فى موضعه [إن شاء الله] .

(بيت الهدهد)

وقد قال صاحبُ المنطق وزعَمَ فى كتاب الحيوان ، أنَّ لكلِّ طائرٍ يعشِّش شكلاً يتَّخذ عشَّه منه ، فيختلف ذلك على قدر[7] اختلاف المواضع

---

(١) ط ، س : « فقال لها » .

(٢) كذا فى ط ، س وثمار القلوب . ل : « عشى » .

(٣) الحين ، بالفتح : الهلاك . ط : « إذ جاء » صوابه فى ل ، س .

(٤) انظر الحيوان (٤ : ٧٧ — ٨٠) .

(٥) أهبان هذا ، هو أحد الصحابة . زعموا أن الذئب كلمه ثم بشره بالرسول . قالوا : كان فى غنم له ، فعدا الذئب على شاة منها ، فصاح فيه أهبان ، فأقعى الذئب وقال له : أتنزع منى رزقا رزقنيه الله ! ! . وانظر بقية الخبر فى ثمار القلوب ٣٠٩ . مات أهبان بن أوس فى ولاية المغيرة بن شعبة حيث كان واليا عليها لمعاوية . وذكر ابن الكلبى وأبو عبيد والبلاذرى والطبرى ، أن مكلم الذئب صحابى آخر اسمه أهبان ابن الأكوع . الإصابة ٣٠٥ .

(٦) ل : « بأقاويل » .

(٧) ل : « حسب » .

وعلى [قدر] اختلاف صور تلك القراميص والأفاحيص . وزعم أنَّ الهدهُدَ من بينها يطلب الزِّبل ، حتَّى إذا وجده نَقَلَ منه ، كما تنقل الأَرَضَةُ من التُّراب ، ويبنى منه بيتاً ، كما تبنى الأَرَضَة ، ويضع جُزْءاً على جُزْء[1] ، فإذا طال مُكثه فى ذلك البيت ، وفيه أيضاً ولد ، أو فى مثله[2] ، وتربَّى ريشه وبدنه[3] بتلك الرائحة ، فأخلِقْ به[4] أيضاً أن يُورِث ابنَه[5] النَّتْنَ الذى عَلِقَه ، كما أورث جدُّهُ أباه ، وكما أوْرَثَه[6] أبوه . قال : ولذلك يكون منتِناً .

١٦٢

وهذا وجهُ أنْ كان معلوماً أنَّه لا يتَّخِذ عشَّه إلَّا من الزِّبل .

فأمَّا ناسٌ كثير ، فيزعمون أن رُبَّ بدنٍ يكونُ طيِّبَ الرَّائحة ؛ كفأرة المسك التى ربَّما كانت فى البيوت . ومن ذلك ما يكونُ مُنْتِنَ البَدَنِ[7] ، كالذى يحكى عن الحيَّاتِ والأفاعى والثَّعابين[8] ، ويُوجَدُ عليه التَّيوس .

---

(١) كذا فى ل . وفى س : « خرءا على خرء » ط : « خرء على خرء » .

(٢) ط ، س : « وفى مثله » ، صوابه فى ل .

(٣) ط ، س : « تربى وبدنه ينمو » ، صوابه فى ل .

(٤) ط ، س : « وأخلق » ؛ والوجه ما أثبت من ل . إذ هو جواب « إذا » .

(٥) ل : « يرث أباه » ؛ صوابه فى ط ، س .

(٦) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٧) « ما يكون » سقط من ل .

(٨) ل : كالذى يحكى عن الحيات » فقط .

(اغتيواس)

وذكر صاحب المنطق أنَّ الطير الكبير ، الذى يسمى باليونانية اغتيولس[١] ، يحكم عُشَّه ويُتقنُه ، ويجعله مستديراً مُداخَلاً كأنَّهُ كرَة معمولة[٢] . وروى[٣] أنَّهم يزعمون أنَّ هذا الطائرَ يجلِبُ الدَّارَصِينِيَّ من موضعه ، فيفرُشُ به عشَّه ، ولا يعشِّش إلَّا فى أعالى الشَّجَرِ[٤] المرتفعةِ المواضع .

قال : وربَّما عَمَد الناسُ إلى سهامٍ يشدُّونَ عليها[٥] رَصاصاً ، ثمَّ يرمون بها أعشّها ، فيسقط عليهم الدَّارصينيُّ ، فيلتقطونَه[٦] ويأخذونَه .

(من زعم البحريين فى الطير)

ويزعَمُ البحْرِيُّونَ أنَّ طائرَين يكونان ببلاد السُّفَالة[٧] ، أحدُهما يظهر قبلَ قُدوم السفن إليهم ، وقبل أن يُمكِنَ البحرَ من نفسه ، لخروجهم فى متاجِرِهم[٨] فيقول الطائر : قَرب آمَدْ[٩] ، فيعلمون بذلك أنَّ الوقت قَدْ دنَا ، وأنَّ الإمكان قد قرب .

---

(١) ط ، س « : اعتيولس » .
(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل .
(٣) ط ، س : « ورووا » وصوابه فى ل .
(٤) ل : « الشجرة » .
(٥) ط ، س : « فيشدون بها » .
(٦) ل : « فليقطونه » .
(٧) السفالة ، بالضم : آخر مدينة تعرف بأرض الزنج . ياقوت . ط ، س : « الصقالبة » ل : « السقالة » . والصواب ما أثبت .
(٨) ط ، س : « ومتاجرهم » صوابه فى ل .
(٩) قرب : بالفارسية ، هى كلفظها العربى وبمعناها العربى. وآمد بالفارسية : بفتح الميم بمعنى الوصول والقدوم . ل : « أرت آمد » . وانظر مثيل هذا فى كامل ابن الأثير (٩ : ١٧) فى حوادث ٣٧٥ .

قالوا : ويجيء بِهِ طائرٌ آخر ، وشكل آخر ، فيقول: سمارو[١]. وذلك في وقت رجوع من قد غابَ منهم ، فيسمُّون هذين الجنسين من الطَّير : قرب[٢] ، وسمارو ، كأنَّهم سمَّوهما بقولها ، وتقطيع أصواتهما ، كما سمَّت العرَبُ ضرباً من الطَّير القطا ؛ لأن القَطاَ كذلك تصيح[٣] ، وتقطيع أصواتها[٤] قَطاَ ، وكما سمَّوا الببغاء بتقطيع الصَّوتِ الذى ظهر منه[٥] .

فيزعمُ أهلُ البحر أنَّ ذينك الطائرين لا يطير أحدهما أبداً[٦] إلَّا في إناث ، وأنَّ الآخَر لا يطير أبداً إلَّا في ذكورة .

(وفاء الشفنين)

وزعم لى بعضُ الأطبَّاء مِمَّن أصدِّق خبره ، أنَّ الشِّفنينَ إذا هلكت أنثاه[٧] لم يتزوَّج وإن طال عليه التعزُّب . وإن هاج سَفد[٨] ولم يطلب الزِّوَاج .

---

(١) ط ، س : « سماروا » .

(٢) ل : فسموا هذين الجنسين من الطير بأرت » .

(٣) ل : « لأن ذاك الطائر كذلك يصيح » .

(٤) ل : « صوته » .

(٥) كذا جاءت بضمير المذكر . والببغاء مؤنثة .

(٦) ل : « أن أحد ذينك الطائرين لا يطير أبداً » .

(٧) ط ، س : « امرأته » .

(٨) ط : « تسفد » تحريف مافى ل ، س .

(من عجائب الطير)

وحكوا أنَّ عندهم طائرين ، أحدهما وافى الجناحين وهو لم يطِرْ قطّ ، والآخر وافى الجناحين ، ولكنه من لدُنْ ينهض للطَّيرانِ فلا يزالُ يطيرُ ويقتات [من(١)] الفراش وأشباه الفراش ، وأنّه لا يسقط إلاّ ميّتاً . إلّا أنَّهم ذكروا أنّه قَصير العمر .

(كلام فى قول أرسطو)

ولست أدفع خبرَ صاحب المنطق عن صاحب الدارصينى(٢) ، وإن كنتُ لا أعرف الوجهَ فى أنَّ طائرا ينهَض مِن وكره فى الجبال(٣) ، أو بفارِسَ أو باليمن ، فيؤمُّ ويعمَد نحوَ بلاد الدارصينى(٤) ، وهو لم يجاوز موضعه ولا قرُبَ منه . وليس يخلو هذا الطائرُ من أن يكون من الأَوابد [أو من القواطع(٥)] . وإنْ كان من القواطع فكيف يقطع الصَّحصحانَ الأملس(٦)

---

(١) من ل ، س . وانظر ما سبق من الكلام على هذا الطير ص ٢٣٤ .
(٢) ط ، س : « عن خبر صاحب الدراصينى » ، وكلمة « خبر » مقحمة .
(٣) الجبال : اسم للإقليم الذى يمتد ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والرى . عن ياقوت .
(٤) هو شجر هندى يكون بتخوم الصين ينتفع بقشره ذى الرائحة العطرية . ولفظه معرب من « دارجينى » الفارسية .
(٥) ليست بالأصل .
(٦) الصحصحان : البرية الواسعة .

١٦٣ وبطونَ الأوْدِيَةِ ، وأهضامَ الجبال(١) بالتَّدويم فى الأجواء ، وبالمضىِّ على السَّمت، لطلب مالم يرَهُ ولم يشمَّه ولم يذقْه . وأخرى فإنّه لايجلب منه بمنقاره ورجليه(٢) ، ما يصير فِراشاً له ومِهاداً ، إلاّ بالاختلاف الطويل(٣) . و [بعد فإنّه] ليس بالوطىء الوثير(٤) ، ولا هو له بطعام .

فأنا وإن كنت لا أعرفُ العلَّة [بعينها] فلست أنكر الأمورَ من هذه الجهة . فاذكرْ هذا(٥) .

(قول أبى الشيص فى الهدهد)

وقال أبو الشِّيص فى الهدهد(٦) :

لا تأمننَّ على سِرِّى وسِرِّكمُ   غَيرى وغَيْرَك أوطىَّ القَرَاطِيسِ(٧)

أو طائرِ سأحَلِّيـهِ وأنعتـه   ما زال صاحبَ تنقير وتدسيسِ(٨)

---

(١) أهضام الجبال : ما دنا إلى السهل من أصلها . فى الأصل : « أهضاب » ، ولا تصح . والكلام من « ولا قرب » إلى هنا ساقط من ل .

(٢) ل : « وبعده فهو لا يجلب بمنقاره ورجليه » .

(٣) ل : « باختلاف طويل » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٥) ط ، س: « فأنكر هذا » صوابه فى ل .

(٦) الأبيات فى نهاية الأرب (١٠ : ٢٤٨) والدميرى وعيون الأخبار (١ : ٤١) والمختار من شعر بشار ١٥٧ .

(٧) أى وغير طى القراطيس .

(٨) فى الأصل وعيون الأخبار : « أو طائراً »؛ وبها يفسد إعراب البيت الآتى . وأثبت ما فى نهاية الأرب والدميرى . سأحليه ، بالحاء : سأنعته . وهذه الرواية أوفق من رواية ل والدميرى ونهاية الأرب : « سأجليه » . والتدسيس : الدس والإدخال ، يدخل منقاره فى الأرض بحثا عن قوته . فى الأصل : « تأسيس » ، وصوابه فى النهاية . وفى الدميرى : « تدريس » !

سودٍ براثِنه ، مِيلٍ ذَوائبُه صُفرٍ حمالِقه ، فى الحسنِ مَغمُوس[١]
قد كانَ هَمَّ سليمانٌ ليذبَحَه لولا سِعايته فى ملك بلقيس[٢]

وقد قدَّمنا فى هذا الكتاب فى تضاعيفه[٣] ، عدَّة مقطَّعات فى أخبار الهدهُد[٤] .

باب

القول فى الرخم

[و] يقال : إنّ لئامَ الطير ثلاثة : الغِربانُ ، والبُوم ، والرَّخَم .

(أسطورة الرخم)

ويقال : إنّه قيل للرَّخمة : ما أحمقك ! قالت : وما حُمْقى ، وأنا أقطَعُ فى أوّلِ القواطع ، وأرْجِع فى أوّلِ الرَّواجِع ، ولا أطير فى التَّحسير[٥] ،

(١) براثنه : أظفاره . ذوائبه : ريش تاجه . حمالقه : جفونه .

(٢) ل : « لولا سياسته » .

(٣) فى ط ، س : « تضاعفه » .

(٤) الكلام من « وقد قدمنا » ساقط من ل . وانظر ما سبق فى (١ : ٢٤٨) .

(٥) س : « ولا أطير إلا فى التخيير » ، وصوابه فى ط والجزء السابع ١٩ وأمثال الميدانى . والتحسير : سقوط ريش الطائر .

ولا أغتر بالشَّكير[١] ، ولا أسقط على الجفير[٢] .

وقد ذكرْنا تفسير هذا[٣] . وقال الكميت :

إذْ قيل يا رَخَمَ انطقى فى الطَّير ، إنّك شرُّ طائرْ[٤]

(بعض ملوك العجم والجُلَنْدى الأزدى)

وقال أبو الحسن المدائنى : أمَر بعضُ ملوك العجمِ الجُلَنْدَى بنَ عبدِ العزيز الأزديَّ ، وكان يقال له فى الجاهلية عرجدة[٥] ، فقال له : صِد لى شرَّ الطير ، واشوِه بشرِّ الحطب ، وأطعِمْه شرَّ الناس . فصادَ رخمةً وشوَاهَا ببَعْر ، وقرَّبها إلى خوزيٍّ[٦] . فقال له الخوزيُّ[٧] : أخطأت

---

(١) الشكير : أول ما ينبت من الريش . أى لايغرها الشكير فتطير حين ظهوره ، بل تنتظر حتى يصير قصبا . ط : « بالتبكير » س : « بالتكبر » صوابه فى الجزء السابع ونهاية الأرب (١٠ : ٣٠٨) وأمثال الميدانى (١ : ٢٠٦) .

(٢) الجفير : جعبة السهام . ط : « الحقير » صوابه فى ل ، والجزء السابع وأمثال الميدانى . وهى لا تسقط على الجعبة لعلمها أن فيها سهاما .

(٣) انظر الجزء السابع ١٩ — ٢٠ . والكلام من أول الفقرة إلى هنا ساقط من ل .

(٤) ط ، س : « إن قيل » . والبيت يشير إلى المثل : « انطقى يارخم فإنك من طير الله » ، يضرب للرجل الذى لا يلتفت إليه ولا يسمع منه . أصله أن الطير صاحت فصاحت الرخمة ، فقيل لها يهزأ بها : إنك من طير الله فانطقى ! انظر الدميرى .

(٥) ل : « عجردة » . وفى الإصابة ١٢٩٢ : « عبد جمل » . والجلندى بفتح أوله وفتح اللام وسكون النون وفتح الدال ، كان ملك عمان . وأرسل إليه الرسول عمرو بن العاص ليدعوه إلى الدين فأسلم .

(٦) الخوزى : نسبة إلى خوزستان ، وهى بلاد بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصبهان ، كما فى معجم البلدان . قال ياقوت : « والخوز ألأم الناس وأسقطهم نفسا » . ط ، س : « خوزى » ل : « حوذى » وصوابه ما أثبت .

(٧) ط ، س : « الخوزى » ، ل : « الحوذى » . وانظر التنبيه السابق وصفحة ١٦٤ .

فى كلِّ شىء أمرك بهِ الملك : ليس الرَّخمةُ شرَّ الطير ، وليس البعرةُ شرَّ الحطَب ، وليس الخوزىُّ شرَّ الناس . ولكن اذهب فصِد بومة[1] ، واشوها بدفلَى[2] ، وأطعمْها نبطيًّا ولدَ زِنى . ففعل ، وأتى الملكَ فأخبره ، فقال : ليس يُحْتَاجَ إلى ولد زِنًى ! يكفيه أن يكون نبطيًّا[3] !

(الغراب والرخمة)

والغراب يقوَى على الرَّخمة ، والرخمة أعظم من الغراب وأشدُّ . والرَّخمة تلتمس لبيضها المواضعَ البعيدة ، والأماكنَ الوحشيَّة ، والجبالَ الشامخة ، وصُدوعَ الصَّخر . فلذلك يقالُ فى بيضِ الأنوقِ مايقال .

(ما قيل فى بيض الأنوقِ)

وقال عُتبة بن شَمَّاس[4] :

إنَّ أولَى بالحقِّ فى كلِّ حَقٍّ ثُمَّ أولَى بأنْ يكونَ حَقِيقَا[5] ١٦٤

(١) ط ، س : « ولكن صد له بومة » .
(٢) الدفلى ـ كذكرى : نبت مر قتال .
(٣) جاءت هذه القصة على الوضع الآتى فى معجم البلدان : « روى أن كسرى كتب إلى بعض عماله : ابعث لى بشر طعام على شر الدواب مع شر الناس . فبعث إليه برأس سمكة مالحة على حمار مع خوزى » .
(٤) كذا فى س والكامل ٣٩٩ ليبسك والعقد (٣ : ٣٩٣) . وفى ل : « عيينة بن أسماء » وكتب بعدها بخط صغير « أخرى : عتيبة بن شماس » . ط : « عتيبة بن شماس » .
(٥) وكذا فى سيرة عمر بن عبد العزيز ٨ . ورواية الكامل والعقد : « ثم أحرى » .

مَنْ أبوهُ عبد العزيزِ بنُ مروا نَ وَمَنْ كانَ جَدُّهُ الفارُوقا[1]

ردَّ أموالَنا عَلَيْنَا وكانَتْ فى ذُرى شاهقٍ تفُوتُ الأَنُوقا[2]

وطلبَ رجلٌ من أهل الشام الفريضةَ من معاوية فجادَ له بها[3] ، فسأل[4] لولَدِه ، فأبى ، فسأل لعشيرته ، فقال معاوية :

طلَبَ الأبْلَقَ العَقوقَ ، فلمَّا لَمْ يَجِدْهُ أرادَ بَيضَ الأَنُوق[5]

وليس يكونَ العَقُوق إلّا من الإناث ، فإذا كانت من البُلْق كانت بلقاء . و [إنَّما[6]] هذا كقولهم : « زَلَّ فى سَلَى جمل[7] » ، والجمل لا يكون له سلًى[8] .

---

(١) يقول هذا الشعر فى عمر بن عبد العزيز بن مروان . ووالدة عمر هى أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . وهذا البيت مع أبيات أخرى من القصيدة وبدون نسبة فى كتاب البغال ٢٨٦ من رسائل الجاحظ .

(٢) ط ، س : « رد أموالنا إلينا » . وفى ل ، س : « تفوق الأنوقا » . ويروى : « يفوت » التأنيث للذرى ، والتذكير للشاهق .

(٣) « فجاد له بها » ساقط من ل . والخبر برواية أخرى فى الإصابة ١٠٩٨ .

(٤) ط : « فقال » تحريف . س : « فسأله » ، وأثبت ما فى ل .

(٥) ط ، والكامل والشريشى (٢ : ٢٠٤) : « لم ينله » . وقد وضع البيت فى ط وضع النثر خطأ . والأبلق من صفات ذكور الخيل ، وهو ما ارتفع التحجيل فيه إلى فخذيه والعقوق : من صفات إناثها ، وهى الحامل التى امتلأ بطنها . والأنوق : هى الرخمة . وانظر ما سبق من الكلام على الأنوق فى (١ : ٢٣٥) .

(٦) من ل ، س .

(٧) السلى : ما تلقيه الناقة إذا وضعت : وهى جليدة رقيقة يكون فيها الولد . والمثل يضرب فى بلوغ الشدة منتهى غايتها ، أى وقع فى شر لا مثيل له . زل : زلق ولفظ المثل فى الميدانى واللسان : « وقع القوم فى سلى جمل » . ويقال : « وقعوا فى سلى جمل » . وفى القاموس : « وقعوا فى سلى جمل » .

(٨) كتبت هذه الكلمة فى الأصل فى الموضعين بالألف . وصواب كتابتها بالياء .

وقد يرون بَيض الأنوق ، ولكنَّ ذلك قليلاً[1] ما يكون ، وأقلُّ من القليل ؛ لأنَّ بيضها فى المواضع الممتنعة ، وليست فيها منافع فيتعرض فى طلبها[2] للمكروه .

وأنا أظنُّ أنَّ معاوية لم يقل كما قالوا ، ولكنَّه قدم فى اللَّفظ بيض الأَنوق ، فقال : « طلب بيضَ الأَنُوقِ ، فلما لم يجدْه طلبَ الأَبْلَقَ العقوق » .

(ما يسمَّى بالهدهد)

وأمَّا قول ابن أحمر :

يمشى بأَوظفَةٍ شديدٍ أسْرُها شمِّ السنابك لا تَقِى بالجدجَد[3]

إذ صبَّحتَه طاوياً ذا شِرَّةٍ وفؤادُه زجِلٌ كَعَزْفِ الهُدْهُد[4]

---

(١) ط : « قليل » .

(٢) ط ، س : « طلبه » ، صوابه فى ل .

(٣) ط ، س واللسان (وقى) : « تمشى » صوابه فى ل . الأوظفة : جمع وظيف ، وهو ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق . شم : عاليات . والسنبك : طرف الحافر وجانباه من قدام . ويقال : وقى الحافر يقى وقيا ، من باب رمى : حفى ورق من غلظ الأرض . وقيل : لاتقى بالجدجد : لا تتوقاه ولا تهيبه . والجدجد ، بفتح الجيمين : الأرض الصلبة . ط : « رثم السنابك » صوابه فى ل ، س واللسان (وقى) . وروى : « صم » كما فى اللسان (جدد) . ط : « لا يقى » س : « لا تقى » ، صوابه فى ل واللسان فى موضعيه .

(٤) ط : « قد أصحبته طائراً » س : « قد صبحته طائراً » ، وأثبت ما فى ل . وفى اللسان : « ثم اقتحمت مناجدا ولزمته » . زجل : له صوت . ط : « رجل » محرف . والعزف : الصوت . ط ، س : « كعرف » ل : « كعرق » محرفتان عما أثبت من الحيوان (٧ : ٢٦٠) واللسان (هدد) .

فقد يكون ألاّ يكون غَنِى بهذا الهدهدَ[١] ، لأنّ ذكورةَ الحمامِ وكلّ شىء غنّى[٢] من الطير وهدَر ودعا ، فهو هُدهُد. ومَنْ رَوَى « كَعَزْفِ الهَدْهَدِ » فليس من هذا فى شىء[٣] .

وقد قال الشاعر فى صفة الحمام :

وإذا استَشَرنَ أرَنَّ فيها هدهدٌ مِثْلُ المَدَاكِ خضبتَه بجِسَادِ[٤]

(قصة فى ميل بعض النساء إلى المال)

وخطب رجلٌ جميلٌ امرأةً ، وخطبها [معه] رجل دَميم[٥] فتزوّجت الدّميم[٦] لماله ، وتركته ، فقال[٧] :

---

(١) كذا على الصواب فى ل . ط : « فقد يكون ألا أن يكون عنا هذا الهدهد » ، س : « فقد يكون إلا غنا إلا يكون غنا هذا الهدهد » .

(٢) ط ، س : « غنا » ، صوابه فى ل .

(٣) الكلام من مبدإ « ومن روى » ساقط من ل . والعبارة فى أصلها : « ومن أراد كعرف » . . الخ . والصواب فيها ما أثبت . وهذه الرواية مثبتة فى اللسان (هدد) . قال فى تفسيرها : « والهدهد قيل فى تفسيره : أصوات الجن . ولا واحد له » وفى القاموس عند الكلام على الهدهد : « وبفتحتين : أصوات الجن ، بلا واحد » .

(٤) استشارت : لبست حسنا وسمنا . والمداك ، بالفتح : حجر يسحق به الطيب . ط ، س : « المداد » صوابه فى ل . والجساد ، بالكسر : الزعفران . جعله كالمداك فى ملاسته وصلابته .

(٥) الدميم : القبيح . ط : « ذميم » صوابه فى ل ، س .

(٦) ط : « الذميم » صوابه فى ل ، س .

(٧) الشعر منسوب فى حياة الحيوان ، إلى الأخطل يصف جارية وبعلها . والبيتان فى الكامل ٢٧٢ ليبسك .

ألاَ يا عبادَ اللهِ ما تأمُرُونَنِي بأحسنِ مَنْ صَلّى وأقبَحِهِمْ بَعلاَ
يدِبُّ على أحشائها كلَّ ليلة دَبِيبَ القَرَنْبى بات يقرو نقاً سَهْلاَ[1]

(ما يطلب العذرة)

والأجناس التى تريد العذِرَةَ وتطلبُها كثيرة ، كالخنازير ، والدَّجاج والكلاب ، والجراد ، وغير ذلك . ولكنها لا تبلغ مبلغ[2] الجُعَل والرَّخمة .

(بعض ما يأكل الأعرابُ من الحيوان)

وقال ابن أبى كريمة : كنتُ عند أبى مالك عمرِو بن كِرْكِرَة[3] ، وعنده أعرابىٌّ ، فجرى ذكر القَرَنْبَى . قال : فقلت له : أتعرف القرنْبَى ؟

(١) القرنبى : دويبة على هيئة الخنفس منقطة الظهر ، وفى قوائمها طول على الخنفس . وهو مذكر ، ألفه للإلحاق لا للتأنيث . يقرو : يسير متتبعاً . ط ، س ، والدميرى : « يعلو » .

(٢) ل : « بلغ » ، صوابه فى ط ، س .

(٣) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « عمر » . وقد ترجم له ياقوت فى معجم الأدباء (١٦ : ١٣١ ، ١٣٢) ونقل عنه السيوطى فى بغية الوعاة قال : كان يعلم فى البادية ، ويورق فى الحضرة . ويقال : إنه كان يحفظ لغة العرب قال أبو الطيب اللغوى : كان ابن مناذر يقول : كان الأصمعى يجيب فى ثلث اللغة ، وأبو عبيدة فى نصفها ، وأبو زيد فى ثلثيها ، وأبو مالك فيها كلها . وإنما عنى توسعهم فى الرواية والفتيا ؛ لأن الأصمعى كان يضيق ولا يجوز إلا أصح اللغات . وقد جلس إليه الجاحظ كما فى البيان (٤ : ٢٣) . ط ، س : « عمر ابن كركرة » ، صوابه فى ل والقاموس والمراجع المتقدمة .

قال : ومالى لا أعرف القرنْبَى ؟ ! فوالله لربّما لم يكنْ غَدائى[1] إلّا القرنْبَى يُحَسْحَسُ لى[2] . قال : فقلت [له] : إنّها دويبّة تأكل العذرة . قال : ودجاجكم تأكل[3] العذرة !

١٦٥ [وقال] : قال بعض المدنيِّين لبعض الأعراب : [أ] تأكلون الحيّاتِ والعقاربَ والجِعْلانَ والخنافس[4] ؟ فقال : نأكل كُلَّ شىء إلّا أمَّ حُبين . [قال] : فقال المدنىّ : « لتَهْنِ أمَّ الحُبَينِ العافيَةُ[5] » .

قال : وحدثنا ابن جُريجٍ[6] ، عن ابن شهاب[7] ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة ، عن ابن عباس ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مِن الدوابِّ أربعٌ لا يُقتَلن : النملة ، والنّحلة ، والصُّرَد ، والهدهُد » .

القول فى الخفاش

فأوّل ذلك أنّ الخفّاش طائر ، وهو مع أنّه طائرٌ من عَرَضِ الطير فإنّه شديدُ الطَّيَران ، كثير التكفّى فى الهواء ، سريع التقلُّب فيه ، ولا

---

(١) الغداء ، بالفتح : الأكل أول النهار . ط ، ل : « غذائى » وأثبت ما فى س .

(٢) يحسحس : يوضع على الجمر . ط : « يخشخش » محرف يحشحش التى هى بمعنى : « يحسحس » . س : « تخشخش فى فى » ، وله وجه .

(٣) ط : « يأكل » ، وهما صحيحتان .

(٤) كذا على الوجه فى ل . وفى ط ، س : « الخنفساء » .

(٥) أم حبين : دويبة على قدر الكف تشبه الضب . وانظر (٥ : ١٤٣) .

(٦) ط : « وأخبرنا ابن جريج » . وابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشى ، قالوا : أول من صنف الكتب فى الإسلام . ولد سنة ٨٠ وتوفى سنة ١٥٠ . فى قول الجاحظ نظر .

(٧) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى ، المتوفى سنة ١٢٥ .

يجوز أن يكون طُعمه إلا من البعوض ، وقوتُه إلا من الفَراشِ[1] [وأشباه الفَراش] ، ثُمَّ لا يصيده إلّا فى وقت طيرانه فى الهواء ، وفى وقت سلطانه ؛ لأنَّ البعوضَ إنَّما يتسلَّط بالليل . ولا[2] يجوز أن يبلغ ذلك إلاَّ بسرعة اختطافٍ واختلاس ، وشدَّةِ طيَرَان ، ولينِ أعطاف وشدَّة متْن ، وحُسْن تأتٍّ ، ورفقٍ فى الصَّيد[3] . وهو مع ذلك كلِّه[4] ليس بذى ريش ، [و] إنما هو لحم وجلد . فَطيَرانُه بلا ريش عَجَب ، وكلما كان أشدَّ كان أعجب .

(من أعاجيب الخفاش)

ومن أعاجيبه أنّه لا يطير فى ضوءٍ ولا فى ظلمة . وهو طائرٌ ضعيفُ قُوَى البصرِ ، قليلُ شعاعِ العين الفاصِلِ[5] من النَّاظِر . ولذلك لا يظهر فى الظُّلمة ؛ لأنَّها تكون غامرة لضياء بصره ، غالبةً لمقدار [قوى] شعاعِ ناظره . ولا يظهر نهاراً؛ لأنَّ بَصرَه لِضَعفِ ناظِرِهِ يلتمع فى شدة بياض النهار[6] . ولأنَّ الشىءَ المتلألئَ ضارٌّ لِعيونِ[7] الموصوفين بحدَّة البصر ،

---

(١) ل : « وطعمه من البعوض وقوته من الفراش » .

(٢) ل : « فلا » .

(٣) التأتى : الترفق . س : « تأتى » ط : « تأنى » ل : « التأنى » ، ووجهه ما أثبت . ل : « إلا بسرعة الاختطاف والاختلاس ، وشدة الطيران ، ولين الأعطاف ، وشدة المتن ، وحسن التأنى والرفق فى الصيد » .

(٤) ل : « وهو فى ذلك » .

(٥) ل : « الفاضل » ، تحريف .

(٦) ط ، س : « يضعف ناظره ويلتمع فى شدة ضوء النهار » ، وصوابه من ل .

(٧) ط ، س : « بعيون » ، وما أثبت من ل أوجه ؛ تفاديا من تكرار الباء .

ولأنَّ شعاعَ الشمس بمخالفة[1] مخرج أصوله وذهابه ، يكون رادعاً لشُعاع ناظره ، ومفرِّقاً[2] له . فهو لا يبصر ليلاً ولا نهاراً . فلما علم ذلك واحتاج إلى الكسْب والطُّعم ، التمس الوقتَ الذى لا يكون فيه من الظلام ما يكون غامراً قاهراً ، وعالياً غالباً . ولا من الضِّياء ما يكون مُعْشيا[3] رادعاً ، ومفرِّقا قامِعاً[4] . فالتمسَ ذلك فى وقت غروب القُرص ، وبقيّةِ الشّفق ؛ لأنَّه وقت[5] هيْج البعوض وأشباهِ البعوض ، وارتفاعها[6] فى الهواء ، ووقت انتشارها فى طلبِ أرزاقها[7] . فالبَعوض يخرج للطَّعم ، وطعْمُه دماء الحيوان ؛ وتخرج الخفافيش[8] لطلب الطّعم ، فيقعُ طالبُ رزق على طالب رزق ؛ فيصير ذلك هو رزقه[9] . وهذا أيضاً ممّــا جعل اللهَ فى الخفافيش[10] من الأعاجيب .

---

(١) ل : « مخالفة » .

(٢) ط : « ومغرقا » س : « ومفرقة » ، صوابه من ل .

(٣) ل : « ولأن من الضياء » ، محرف . ط : « ما يكون مغشيا » ، صوابه فى ل ، س .

(٤) ط : « ومغرقا » ، صوابه فى ل ، س . و « قامعا » هى فى ط ، س : « مانعا » ، والأشبه ما أثبت من ل .

(٥) ط ، س : « لأنه فى وقت » ، صوابه فى ل .

(٦) ط ، س ، « وهو وقت ارتفاعها » .

(٧) ط ، س : « وطلب أرزاقها » .

(٨) ط ، س : « الخنافيس » ، صوابه فى ل .

(٩) ل : « مرزقه » .

(١٠) ط ، س : « الخفاش » .

(علاقة الأذن بنتاج الحيوان)

ويزعمون أن السُّكَّ (1) الآذان والممسوحة ، من جميع الحيوان ، ١٦٦ أنَّها تبيضُ بيضاً ، وأنّ كلَّ أشرفِ [الآذان] فهو يلد ولا يبيض . ولا نَدْرِى لِمَ [كان] الحيوان إذا كان أشرفُ الآذان(2) [وَلَد] ، وإذا كان ممسوحاً باض .

ولآذان الخفافيش حَجْمٌ ظاهر ، وشخُوص(3) بيِّن . و [هى و] إنْ كانتْ من الطَّير فإنَّ هذا لها ، وهى(4) تحبل وتلِد ، وتحيض ، وترضع .

(ما يحيض من الحيوان)

والناس يتقزّزون(5) من الأرانب والضِّباع ؛ لمكانِ الحيض .

وقد زعم صاحبُ المنطق أنَّ ذواتِ الأربع كلَّها تحيضُ ، على اختلافٍ فى القلَّة والكثرة(6) .

---

(1) السك : جمع أسك : وهو الذى صغرت أذنه ولصقت برأسه .

(2) الأشرف الآذان : الطويلها . ل : « الأذن » .

(3) شخوص : ارتفاع . ط ، س : « شخص » .

(4) ط : « فهى » ، صوابه فى ل ، س .

(5) ط : « يتقذرون » . والتقذر : أن يرى الشىء قذراً ، يقال تقذره لا تقذر منه . فالصواب « يتقززون » . كما أثبت من ل ، س .

(6) ط ، س : « على اختلاف أجناسها » .

[والزَّمان] ، والحمرة والصفرة ، والرقَّة والغلظ . قال : ويبلغ من ضنِّ أنثى الخفافيش بولدها ومن خوفها عليه ، أنَّها تحمله تحتَ جناحها ، وربَّما قبضت عليه بفيها ، وربَّما أرضعته وهى تطير ، وتقوى من ذلك ، ويقوى ولدُها على مالا يقوى عليه الحمام والشَّاهْمُرْك[1] ، وسباع الطير .

(معارف فى الخفاش)

وقال معمرٌ أبو الأشعث : ربَّما أتأمتِ الخفافيشُ[2] فتحمل معها الولدَين جميعاً ، فإنْ عظُمَا عاقبَتْ بينهما .

والخفّاش من الطَّير ، وليس له مِنقار مخروط[3] ، وله فمٌ فيما بين مناسر السِّباع[4] وأفواه البوم . وفيه أسنانٌ حِداد صِلاب [مرصوفة[5]] من أطراف الحنكِ ، إلى أصول الفك ، إلاَّ ما كان فى نفس الخطم[6] .

وإذا قبضَتْ على الفرخ وَعضَّتْ عليه لتطير به ، عرفت ذَرَب[7] أسنانها ، فعرَفت أىّ نوعٍ ينبغى أن يكون ذلك العضّ ، فتجعله أَزْمًا ،

---

(١) الشاهمرك سبق تفسيره فى ص ٣٣٦ .

(٢) أتأمت : ولدت اثنين فى بطن واحد . ط ، س : « أرتمأت » ، صوابه فى ل .

(٣) ط : « مخروطة » ، تصحيحه من ل ، س .

(٤) المراد : سباع الطير . والمناسر : جمع منسر ، كمجلس ومنبر ، وهو المنقار .

(٥) فى الأصل ، وهو هنا ل : « موصوفة » ، ولعل صوابه ما أثبت .

(٦) ط ، س : « إلا ما كان من نفس الفك الخطم » .

(٧) الذرب : الحدة . ط ، س : « درب » ، صوابه فى ل .

ولا تجعله عضًّا ولا تنْييباً ولا ضَغْماً[1] ، كما تفعل الهرَّة بولدها ؛ فإنَّها مع ذَرَبِ أنيابها ، وحدَّة أظْفارِها ودِقَّتِها[2] ، لا تخدش[3] لها جلداً ؛ إلا أنها تُمْسِكُها ضربا من الإمساك ، وتأزم عليها[4] ضربا من الأَزْم قد عرَفته .

ولكلِّ شيءٍ حدٌّ به يصلح ، وبمجاوزته والتقصير دُونَه يفسُد .

وقد نرى الطَّائر يغوصُ في الماء نهارَه ، ثم يخرج منه كالشَّعرَة سَلَلْتَها من العجين ، غيرَ مبتلِّ الرِّيش ، ولا لثِقِ الجناحَين . ولو أنَّ أرفقَ الناس رِفقاً ، راهَنَ على أن يغمس طائراً منها في الماء غمسةً واحدة ثمَّ خلَّى سِربه[5] ليكون هو الخارج منه ، لخرج وهو متعجِّن[6] الريش ، مُفْسَد النظم[7] ، منقوضُ[8] التأليف . ولكان أجودَ ما يكون طيراناً أن يكون كالجادفِ[9] . فهذا أيضاً من أعاجيب الخفاش .

---

(١) الأزم : القبض بجميع الفم . والتنييب : العض بالناب . والضغم : العض الشديد . ط ، س : « ولا نشباً ضغطيا » س : « ولا نشباً ضغطا » ، ووجهه ما أثبت من ل .

(٢) ل : « وحدة أطرافها » ، صوابه في ط ، س . ط ، س : « ورقتها » صوابه في ل .

(٣) ط : « تنلش » ، صوابه في ل ، س .

(٤) عليها : أي على ولدها . والمراد بالولد هنا الجمع . في المصباح : « والولد بفتحتين كل ما ولده شيء . ويطلق على الذكر والأنثى ، والمثنى والمجموع » . ط ، س : « عليه » ، صوابه في ل . ط ، س : « لأنها تمسكها » الخ ، صوابه في ل .

(٥) السرب : الطريق . ط : « حلى سرتها » س : « خلى سربها » ، صوابه في ل .

(٦) ط ، س : « منعجن » .

(٧) ط ، س : « النظر » ، صوابه في ل .

(٨) ط : « منقوص » محرف .

(٩) الجادف : الذي يطير وهو مقصوص الجناحين . ط ، س : « كالجاذف » ، محرف .

(من أعاجيب الخفافيش)

ومن أعاجيبها تركُها ذرى الجبال وبسيط الفيافى[١] ، وأقلابَ النخل ، وأعالى الأغصان ، ودَغَل[٢] [الغياض و] الرياض ، وصُدوعَ[٣] الصّخر ، وجزائر البحر ، ومجيئها تطلب مساكن الناس وقربهم ، ثم إذا صارت[٤] إلى بيوتهم وقربهم ، قصدت إلى أرفع مكان وأحصَنه ، وإلى أبعد المواضع من مواضع الاجْتِياز[٥] ، وأعراض الحوائِج .

(طول عمر الخفاش)

ثمّ الخفّاشُ بعد ذلك من الحيوان الموصوف بطول العمر ، حتى يجوز فى ذلك[٦] العُقابَ والوَرَشان إلى النسر ، ويجوز[٧] حد الفِيَلة والأُسْد وحَمير الوحش ، إلى أعمار الحيّات . ١٦٧

---

(١) ط ، س : « ومن أعاجيبها تركه ذروة الجبال » ، ل : « ومن أعاجيبه تركه ذرى الجبال » ، كلاهما محرف ، ووجهته بما ترى . والبسيط : المنبسط الفسيح . ط : « وتبسط » صوابه فى ل ، س .

(٢) الدغل ، بالتحريك : الشجر الملتف . س : « ودخل » ، وهى صحيحة بضبط الأولى ومعناها .

(٣) ط : « وصدع » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « أصات » ، صوابه فى ل ، س .

(٥) ط ، س : « الاختيار » ، صوابه فى ل .

(٦) ل : « حتى تجوز حد » .

(٧) ل : « وتجوز » .

ومن أعاجيب الخفافيش[1] أنّ أبصارها تصلُح على طول العمر ، ولها صبرٌ[2] على [طول] فقْد الطُّعم . فيقال[3] إنّ اللواتى يظهرن فى القَمَر[4] من الخفافيش المسنَّاتُ المعمَّرات ، وإنّ أولادَهن إذا بلغن لم تقو أبصارُهنَّ على ضياء القمر .

ومن أعاجيبها أنّها تضخُم وتجسُم وتقبلُ الشَّحم[5] على الكبر وعلى السنّ .

(القدرة التناسلية لدى بعض الحيوان)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنَّ الكلابَ السلوقيَّةَ كلما دخلتْ فى السنِّ كان أقوى لها عَلَى المعاظلة .

وهذا غريبٌ جدا ، وقد علمنا أنّ الغلام أحدُّ ما يكون وأشبَقُ وأنكحُ وأحرصُ ، عندَ أوّل بلوغه . ثم لا يزالُ كذلك حتى يقطعه الكبر [أو إصفاء] أو تعرض له آفة[6] .

ولا تزال الجاريةُ من لدُنْ إدراكها وبلوغِها وحركة[7] شهوتها عَلَى شبيه بمقدارٍ واحد من ضعف الإرادة . وكذلك عامَّتهنَّ[8] . فإذا اكتهلن

---

(١) ط ، س : « الخفاش » .

(٢) ط ، س : « ونصبر » .

(٣) ط : « فتقول » س : « فنقول » ، صوابه فى ل .

(٤) ل : « العمر » ، صوابه فى ط ، س .

(٥) ل : « اللحم » .

(٦) ل : « حتى يعطفه الكبر » . والإصفاء : نفاد الماء . وكلمة « له » ساقطة من ل .

(٧) ط ، س : « وحدة » صوابه فى ل .

(٨) ل : « وعلامتهن » ، وتصحيحه من ط ، س .

وبلغت المرأة حدّ النَّصَف[1] فعند ذلك يقوى عليها سلطانُ الشَّهوةِ والحرصِ على الباهِ ؛ فإنّما تهيج الكهلة عندَ سُكونِ هيْج الكهل[2] وعند إدبار شهوته ، وكلالِ حدِّه .

(قول النساء وأشباههنَّ فى الخفافيش)

وأما قول النساء وأشباه النساء فى الخفافيش ، فإنهم يزعُمون أنّ الخفاش إذا عضَّ الصبىَّ لم ينزِعْ سِنّه من لحمه حتى يسمعَ نهيقَ حِمارٍ وحشىٍّ[3] . فما أنسَى فزَعى مِن سِنِّ[4] الخفّاش ، ووَحشَتى من قربه ! إيماناً بذلك القول ، إلى أن بلغت .

وللنساء وأشباه النساء فى هذا وشبهه خرافات ، عسى أن نذكر منها شيئا إذا بلغنا إلى موضعه [إن شاء الله] .

(ضعف البصر لدى بعض الحيوان)

ومن الطير [و] ذواتِ الأربع ما يكون فاقد[5] البصر بالليل ، ومنها ما يكون سَيِّئَ البصر . فأمَّا [قولهم] : إنَّ الفأرة والسنّورَ وأشياءَ أُخَرَ أبصرُ باللَّيل ، فهذا باطل[6] .

---

(١) النصف ، بالتحريك : ما بين الشابة والكهلة ، ويقدر عمرها بخمس وأربعين سنة .

(٢) الكهلة ، هى فى ط ، س : « الشهوة » ، والوجه ما أثبت من ل . « هيج » هى فى ط : « تهيج » .

(٣) ل : « حمار وحش » ، وهما وجهان صحيحان .

(٤) ل : « من مس » ، وأثبت مافى ط ، س .

(٥) كذا على الصواب فى س . وفى ط : « ناقد » وفى ل : « نافذ » . وانظر سياق الكلام .

(٦) ليس يناقض هذا القول ما سبق فى ٢٣٧ س ١٣ .

والإنسان رديء البصر باللَّيل ، والذى لا يبصر منهم[1] باللَّيل تسمِّيهِ الفرْس شَبْ كُور[2] وَتأويلُهُ أنَّهُ أعْمى لَيْلٍ[3] ، وَلَيْسَ لَهُ فِى لُغَةِ العَرَبِ اسم أكْثَرُ مِنْ أنَّه يُقالُ لَمَنْ لاَ يُبْصِرُ باللَّيل [بعينيه] : هُدَبِد[4] . ما سمعتُ إلاَّ بهذا ؛ فأمَّا الأغطش[5] فإنَّه السَّيِّئُ البصر بالليل والنهار جميعاً .

وإذا كانت المرأة مُغْرَبَةَ الْعَيْنِ[6] فكانت رديَّة البصر ، قيل لها : جَهْرَاء .

وأنشد الأصمعيُّ فى الشاء[7] :

جهراء لا تألو إذا هى أظهَرَتْ   بَصَرًا ولا مِنْ عَيْلَةٍ تُغنينى[8]

---

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) هذه الكلمة مكونة من مقطعين ، اولهما « شب » بفتح الشين ومعناه الليل . والآخر : « كور » بضم الكاف ، ومعناه الأعمى . عن معجم Palmer ، والألفاظ الفارسية ٩٨ . ط : « بشكور » س : « سيكون » محرفتان صوابهما فى ل وقد زيد فى ل ألف بعد الراء ، مع أن المراد حكاية قول الفرس . وكتبت كذلك متصلة « شبكورا » والوجه فصلها كما ذكرت ، وكما فى القاموس المحيط والمعجم السابق . وقد اشتق العرب منها مصدراً فقالوا : « الشبكرة » أرادوا بها العشاء . وفى اللسان : « المفضل : الهدبد : الشبكرة . وهو العشاء يكون فى العين » .

(٣) ط ، س : « أعمى بالليل » .

(٤) ط ، س : « هديد » صوابه فى ل . وهم يسمون الداء نفسه أيضاً « الهدبد » وكانوا إذا أصاب أحدهم ذلك عمد إلى سنام فقطع منه قطعة ، ومن الكبد قطعة وقلاهما ، وقال عند كل لقمة يأكلها ، بعد أن يمسح جفنه الأعلى بسبابته :

فياسناما وكبِد   ألا اذهبْ بالهدبد

ليس شفاء الهدبد   إلا السنام والكبد

ويزعمون أنه يذهب العشاء بذلك . انظر بلوغ الأرب (٢ : ٣٤٠) .

(٥) س : « الأعكش » ، صوابه فى ل ، ط .

(٦) مغربة ، بفتح الراء : بيضاء . ط ، س : « مقربة » ، وصوابه فى ل . و « العين » هى فى ط : « العنق » محرفة .

(٧) ط ، س : « فى غير النساء » وأثبت ما فى ل . والبيت الآتى قاله أبو العيال الهذلى ، يصف منيحة منحه إياها بدر بن عمار الهذلى . انظر بقية أشعار الهذليين ١٣٠ .

(٨) كلمة « هى » ساقطة من ط ، س . « بصرا » هى فى ط ، س : « نظراً » .

وذكروا أنَّ الأجهر الذى لا يبصر فى الشمس[١] . وقوله لا تألُو أى لا تستطيع . وقوله أظهرت : صارت فى الظهيرة . والعَيْلة : الفقر . قال : يعنى به شاة[٢] .

وقال يحيى بن منصور ، فى هجاء بعض [آل] الصَّعِق :

يا ليتنى ، والمنى ليستْ بمغْنيةٍ ، كيف اقتصاصك من ثأْر الأحابيش[٣]

١٦٨ أتنكحون مواليهم كما فَعلوا أمْ تَغْمِضُون كإغماضِ الخفافيش[٤]

وقال أبو الشمقمق ، وهو مرْوان بن محمد[٥] :

أنا بالأهواز محزونٌ وبالبَصْرَة دارِى[٦]

فى بنى سعدٍ وسعد حيثُ أهلى وقَرارى

صرتُ كالخفاش لا أُبْصِرُ فى ضوء النهار[٧]

وقال الأخطل التغلبىّ :

وَقد غبَّرَ العَجْلان حيناً إذَا بكى عَلَى الزّادِ ألقته الوليدة فى الكِسرِ[٨]

---

(١) ل : « أن الجهراء التى لاتبصر فى الشمس » .
(٢) ط ، س : « نساه » ، صوابه فى ل .
(٣) ط ، س : « من نار » ، صوابه فى ل . والأحابيش : طائفة من قريش ، هم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة .
(٤) ل : « تنحضون كإنحاض » ، صوابه فى ط ، س .
(٥) تقدمت ترجمته فى (١ : ٢٢٥) . ل : « وقال مروان بن محمد هذا أبو الشمقمق الغث البارد » .
(٦) ل : « مخزون » .
(٧) كذا على الصواب فى ل . ط : « إلا فى النهار » ، س : « إلا فى نهارى »
(٨) ألقته : أى الزاد . والكسر ، بالكسر : جانب البيت . وفى شرح الديوان ١٢٩ : « الهاء فى ألقته عائدة إلى العجلان » ، ولعل وجه التفسير ما ذكرت .

فيصبح كالخُفَّاش يدلك عينَه ... فقبِّحَ من وجهٍ لئيمٍ ومن حَجْرِ[1]

وقالوا : السحاة مقصورة : اسم الخفاش[2] ، والجمع سحاً[3] كما ترى .

(لغز فى الخفاش)

وقالوا فى اللُّغز ، وهم يعنون الخفّاش :

أَبَى شعَرَاءُ النَّاسِ لا يُخبرونَنِى ... وقد ذَهَبُوا فى الشِّعر فى كلِّ مذهبِ[4]

بجلدةِ إنسانٍ وصُورَةِ طائرٍ ... وأظْفَارِ يَرْبُوعٍ وأنيابِ ثعلب[5]

(النّهى عن قتل الضفادع والخفافيش)

هشامٌ الدَّسْتَوائِىُّ[6] قال : حدَّثنا قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن عبد الله بن عمر أنّه قال : « لاتقتلوا الضَّفادِعَ فإنَّ نقيقَهُنَّ تسبيح . ولاتقتلوا الخُفَّاش فإنّه إذا خرب بيت المقْدِس قال : يارَبِّ سلِّطْنى على البحرِ حتّى أغرِقَهم » .

---

(١) الحجر بالفتح ، قال ابن الأعرابى : « أراد محجر العين » . ومحجر العين : مادار بها من العظم . ط : « من وجهه » محرفة . ل : « لعين » بدل « لئيم » وما أثبت من ط ، س واللسان (مادة حجر) .

(٢) ط ، س : « اسم الخفافيش » صوابه فى ل . ل : « وقال : السحاة » الخ .

(٣) سحا ، بفتح السين ، ويقال سحاء بكسرها مع المد . اللسان ، والمقصور والممدود .

(٤) ط ، س : « أيا » ل : « أبا » ، صوابه فى نهاية الأرب (١٠ : ٢٨٤) . وفيها أيضاً : « علماء » مكان « شعراء » ط ، س : « تخبروننى » ، صوابه فى ل . وفى نهاية الأرب : « أن يخبروننى » وما هنا أجود . وفيها أيضاً : « وقد ذهبوا فى العلم » .

(٥) اليربوع : حيوان طويل الرجلين قصير اليدين ، على العكس من الزرافة ، له ذنب كذنب الجرذ يرفعه صعدا ، فى طرفه شبه النوارة ، لونه كلون الغزال .

(٦) هو أبو بكر هشام بن أبى عبد الله سنبر — كجعفر — الدستوائى البصرى البكرى . وكان يرمى بالقدر . روى عن قتادة ، وروى عنه يحيى القطان . ونسبته إلى بيع =

حماد بن سلمة[١] قال : حدَّثنا قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، قال : قال عبد الله بن عمر : « لا تقتلوا الخُفَّاش ؛ فإنّه استأذَنَ فى البحر[٢] : أنْ يأخذ من مائه فيطفئ نار بيت المقدسِ حيثُ حرق . ولا تقتلوا الضَّفادعَ فإنَّ نقيقها تسبيح » .

[قال] : و [حدثنا] عثمان بن سعيد القرشى[٣] قال : سَمعت الحسن يقول : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الوَطْوَاطِ ، وأمر بقتل الأوزاغ » .

قال : والخفاش يأتى الرُّمّانة وهى على شجرتها ، فينقب عنها[٤] ، فيأكل كلَّ شىءٍ فيها حتى[٥] لا يدع إلاّ القشر وحده . وهم يحفظون الرُّمّان من الخفافيش بكلِّ حيلة .

= الثياب الدستوائية ، التى كانت تجلب من دستوا ، بفتح الدال والتاء بينهما سين ساكنة ، وهى من بلاد فارس . مات سنة ١٥٢ أو ١٥٤ وله ثمان وسبعون سنة . ط : « صاحب الدستواى » . والكلمة الأولى صحيحة ، يقال : الدستوائى ، وصاحب الدستوائى ، كما فى تذكرة الحفاظ للذهبى (١ : ١٥٥) . وأما الكلمة الثانية فهى تحريف ما أثبت من ل ، س والمعجم والمعارف ٢٢٣ والتهذيب وتذكرة الحفاظ . وانظر الخبر فى (٥ : ٥٣٦) .

(١) حماد ، هذا ، هو ابن سلمة بن دينار البصرى ، كان من ثقات رواة الحديث . ويقال : إنه كان عالما بالنحو والعربية ، وإن سيبويه استملى عليه . توفى سنة ١٦٤ أو ١٦٧ . ط ، ش : « حماد عن سلمة » صوابه فى ل وتقريب التهذيب والمعارف ٢٢٠ . ل : « قال وحدثنا حماد بن سلمة » . وفى العبارة نظر .

(٢) ل : « استأذن البحر » .

(٣) ط : « عثمان بن سعد القرشى » ، صوابه فى ل ، س وتقريب التهذيب .

(٤) ل : « فيثقب عليها » .

(٥) إلى هنا ينتهى الجزء الثالث من نسخة كوبريلى ، المشار إليها برمز « ل » .

قال : ولحوم الخفافيش موافقة للشواهين والصُّقورة والبوازى[1] ، ولكثير من جوارح الطير ، وهى تسمن عنها ، وتصحّ أبدانُها عليها . ولها فى ذلك عملٌ محمودٌ نافعٌ عظيمٌ النَّفْع ، بيِّنُ الأثر . والله سبحانه وتعالى أعلم .

تمَّ المصحف الثالث من كتاب الحيوان

ويليه المصحف الرابع

[وأوله[2]] فى الذَّرّ

---

(١) ط ، س : « قال والبازى » . وصوابه من نهاية الأرب (١٠ : ٢٨٤) .

(٢) ليست بالأصل .

تذييل واستدراك

صفحة	سطر	
٢٠	٤	« كَسير وعوَير » . هو مثل عربىّ قديم . وهو بتمامه : « كُسَير وعُوَير وكلٌّ غيرِ خير » . أصله أن امرأة منهم تزوجها أعور فولدت منه خمسة ، ثمَّ طلَّقها فتزوّجت آخرَ ظهر أنّه أعرج . فقالت المثل المذكور . يُضرَب فى الشىء يكره ويذمٌّ من وجهين . كذا فى أمثال الميدانى ، ولكن المناسب هنا ما قال العسكرىُّ فى جمهرة الأَمثال ١٦٥ : « يُضرَب مثلا فى الخلَّتين المكروهتين ، والرَّجُلين الرَّدِيَّيْنِ » . ونصُّ المثل عنده كما عند الميدانى. وصاحب معجم البلدان رواه: « كُسَير وعوير وثالثٌ ليس فيه خيْرٌ » ، ورأى أنّ كُسيراً وعويراً جبلان فى البحر ، بين البصرة وعُمَان يشفقون علَى المراكِبِ منهما . انظر فيه « كسير » و « عوير »
٩١	٤	معنى هذا البيت مأخوذ من قول أحد الحكماء اليونانيين ، حين وقف يؤبن الاسكندر ، أو الموبذ حين كان يرثى قباذ الملك : « كان أمس أنطقَ منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس » انظر المراجع التى أشرنا إليها فى التعليق ، وكذا مروج الذهب (٢ : ٣٦٨) والمستطرف (٢ : ٢٩٤)
١٠١	٢	« بجوع » هى كذلك فى ط، س . وفى ل : « بجَوخَى » ، وهما موضعان ، أحدهما « جوخاء » بالفتح والمدّ : موضع بالبادية فى ديار بنى عجل كان يسلكه حاجّ واسط ، وقد قصره بعض الشعراء.

صفحة	سطر	
		والثانى جُوخَى بالضم والقصر : اسم نهر عليه كورة واسعة فى سواد بغداد . انظر معجم البلدان
١٧٠	١	سألت حضرة المحقق الكبير الأب أنَستاس مارى الكرملى عن « أبى ريانوس » فكتبَ إلى : « هو على الحقيقة : (أبيرْيُونِيـــدِس) أى منســوب إلى : Hyperion المسمّى أيضاً : Helios ، أى الشمس ، وتلفظ « عاليوس » . وما « عاليوس » إلا « عالى » أو « عالٍ » كسعت بعلامة الإعراب فى كلام اليونان . ويطلق هذا اللفظ على كل ما يراد وصفه بالعلو أو الطول أو الارتفاع. فالدجاج « أبى ريونوس » أو « أبيريونوس » هو ما يسمّيه اليوم العراقيون بالدجاج الهَرَاتى بمعنى الهَرَوىّ ؛ لأن ديكتها جلبت من هراة ، المشهورة بحسن دجاجها وعلوها وكبرها . فالكلمة إذن يونانية وقد صحفها النساخ لجهلهم إياها .
١٨٧	٩	« الطبرزين » قال العلامة الأب أنستاس : ليس فى العربية طائر باسم طبرزين . والاسم الصحيح هو « طبرادران » وأصح منها بالدال ، أى « دُبْرَادران » أو « دُبرادَران » ومعناهما الأخَوَان ؛ لأن « دو » بـالفارسية معناها اثنان ، و « بَرَادر » الأخ ، و « ان » للجمع أو للتثنية ؛ إذ لا فرق عند الفرس بين المثنى والجمع . والحمام لا يخاف الدبراذران ولا الكركىّ ، كما هو مقرر فى علم الطير . واسم الدبرادران العربىّ هو الزُّمَّج ، وسمّاه الفرس ما معناه الأخوان ؛ لأنه إذا عجز عن صيده أعانه أخوه على أخذه ، واسمه

صفحة سطر

بلسان الغربيين من الإنجليز: Goshawk وبالفرنسية : Autour ؛

٣٧٠ ٣، ٤ كنت قد كتبت إلى المحقق الأب أنستاس مارى الكرملى لتحقيق هذه الكلمات الواردة فى عوالم المجوس ، فكتب إلى فى ٣٩/٨/٢٧ ما نصه : « وعندى أن هذا المجوسىّ استعمل ألفاظاً يونانية فى كلامه ، تعميةً للأبصار ، وغشاوة للأفكار ، وتبياناً للباحثين ، أنه على صلة دائمة بعلوم اليونانيين ، ووقوفِه وقوفاً تاماً على مصطلحاتهم وأوضاعهم ، مع أنك لو تدبَّرتَ أحسنَ تدبُّر هذه الأوضاعَ التى نفثها صدره ، أو سمعها سماعاً من أحد أبناء مذهبه من أهل التلفيق والتمويه ، لشَفَّت لك عن كذبها وزورها وزيفها ، وبانت لك الحقيقة بثوبها الذى ألبسَتْه .

ونحن نؤيد لك صدق كلامنا هذا ، بنقل تلك الحروف على ما هى فى اليونانية ، مع دقة ضبطها العَرَبى والغرْبى وشرح معانيها ، فنقول :

١ — أبُو سَالُس : hyposalos أى تحت البحر ، وهو أقرب عالم إلى أرضنا .

٢ — أبَرْمَا كِس : hyhermakèc أى العالم الممتد امتداداً فاحشاً .

٣ — أَبَرِيدُس : hyperèdus أى الطيب فى النهاية ، أو الطيِّب غاية الطيب .

صفحة سطر

٤ ـ كارِس : kherès أى السيء الممقوت .

٥ ـ حَرِيرهْ آمِنِس : arèra amenès أى المناسب الخوار .

وزاد بعض علمائهم من فرقة أخرى أَسَرِس asyrès أى النجس.

ومنهم من زاد على هذه العوالم الستة عالما سابعاً ليقابل بهذه العوالم السبعة سبعة عوالم السماء المعروفة بالسيارات السبعة أو الأفلاك السبعة ، وسمَّوه : أَبُوجَايُوس : hypogaios أى العالم الذى تحت الأرض .

الأب أنستاس مارى الكرملى

القاهرة فى ٣٩/٨/٢٧.

٣٧٤ ٩ قال البيرونى فى كتاب (الجماهر) عند الكلام على الألماس : « وشبهه الكندى بالزجاج الفرعونى » انظره ص ٩٣ . وكلمة « الألماس » هى الوجه فى « الماس » . وللمحقق الكبير الأب أنستاس بحث ممتع فى تحقيق هذه الكلمة . انظر نخب الذخائر ص ٢٠ . ويظهر لى أن المراد بالزجاج الفرعونى هو الألماس الصناعى . وانظر التبصر بالتجارة للجاحظ ص ١٦.

٤١٤ ٤ كلمة « ميسر » جاءت فى الأصل هكذا ، والمعنى مستقيم بها . ومثلها فى (٤ : ٨٥س٩) . وهى تنظر إلى الحديث المشهور : « اعملوا فكلٌّ ميسَّر لما خلق له » . انظر الجامع الصغير ١٢٠٢. ولا موجب للقول بأنها « مسيَّر » .

صفحة سطر

٤٥٢ ٤ « فقلت لبقّـار » كلمة « بقار » ذات مغزًى خاصٌّ فى التشاؤم وتجد فى نهاية الأرب (٣: ١٣٦) هذه العبارة : « وإن خرج فلقى بقرا فليرجع »، يريد أن البقر مما يتشاءم به ، وهذا النصّ نقله النويريُّ عن الجاحظ . انظر باب الزجر فى نهاية الأرب (٣ : ١٣٤-١٤٣) .

٤٥٨ ٢ الأُتْرُجُّ : ضرب من الفاكهة يكثر بأرض العرب ، وهو مما يغرس غرسا ولا يكون بريًّا ، وقد تبقى شجرته عشرين سنة ، وهو صنفان : تفه وحامض ، وهو أبيض الجوف أصفر القشرة ، فيه يقول أبو القاسم الزاهى :

وذات جسم من الكافور فى ذهب
دارت عليه حواشيه بمقدار
كأنها وهى قُدَّامى ممثلة
فى رأس دوحتها تاج من النار

ويقول آخر :

يا حبذا أترجّة تحدِثُ للنفس الطرب
كأنها كافورة لها غشاءٌ من ذهب

ويسمَّى أيضاً « تفاح ماهى » وتفاح مائى . واسمه العلمى : Citrus medica Risso . ورواية البيت الثانى فى حلبة الكميت ٢٦٤ ونهاية الأرب (١١ : ١٨٣) تشبه رواية العقد :

خاف التلوُّن إذ أتته لأنها
لونان باطنها خلاف الظاهر

صفحة سطر

ويشبه هذين البيتين ما قيل فى التطير من السفرجل (حلبة الكميت ٢٥٨) :

أهدى إليه سفرجلا فتطيَّرا منــه فظلَّ نهارَه متحيِّرَا

خاف الفراق لأن شطر هجائه سَفَرٌ وحُقَّ له بأن يتطيَّرا

٤٧٤ ١١ « حتَّى إذا طعنوا » هكذا جاءت الرواية فى ط، ش، ل ، وكذا العمدة (٢ : ٢٠) والوساطة ٤٤ . والأجود من هذه الرواية رواية الديوان ص ٤١ وعيون الأخبار (١ : ١٩٠) والعمدة (٢ : ٢٢٠) ونقد النثر ص ٩٠ : « حتى إذا طعنوا » . قال الشنتمرىُّ فى تأويل البيت : « يقول : إذا ارتمى الناس فى الحرب بالنبل دخل هو تحت الرمى فجعل يطاعنهم ، فإذا تطاعنوا ضارب بالسيف، فإذا تضاربوا بالسيوف اعتنق قِرنَه والتزمه » .

٤٧٦ ٤ ش تاء الافتعال إذا وردت بعد الثاء المثلثة ، كان لك فيها أوجه ثلاثة : أولها البيان ، وهو الأصل . وثانيها تحويلها مع الثاء إلى تاء مثناة مدغمة . وثالثها تحويلهما إلى ثاء مثلثة مدغمة . فتقول فى الافتعال من « ثأر » : اثتأر ، واتأر ، واثأر . وفى مفتعل من « ثرد » مثترد ، ومترد ، ومثرد . انظر شرح المفصل لابن يعيش (١٠ : ١٨٤ س ٢٦–٣٠) .

٤٨٧ ٣ « خيزران ريحها عبق » هذه رواية ط، ش وكذا ديوان الفرزدق من خمسة دواوين العرب ١٩٩ وعيون الأخبار (١ : ٢٩٤) .

صفحة سطر

وأنث الخيزران لتقدير : « عصا خيزران » . والرواية المعروفة « ريحه عبق » وهى رواية ل . وانظر ص ١٣٣ .

٤٩١ ٦ « نواكس » : جمع ناكس ، وهو من الجمع الشاذّ . وقد أسهب البغدادى فى الحديث عن نحو هذا الجمع فى الخزانة (١ : ١٩٠ — ١٩٥ سلفية) . وفى مجلة الرسالة العدد ٣١٥ ص ١٣٩٤ بحث قيم ، واستدراك طيِّب لهذا الشذوذ الصرفى .

٤٩٣ ١٠ ش « فاستجودها » كذا جاءت العبارة فى كلام حمزة بن الحسن الأصبهانى فى ديوان أبى نواس ١٣٢ ، والقياس والمعروف : « استجادها » ، كما أن المسموع من الشاذ « أجوده » أى وجده جيداً . انظر شرح الشافية للرضى ١٩١ .

٥٣٧ ٤ ش وجاء أيضاً فى تهذيب الكمال ج ١١ من مخطوطة دار الكتب المصرية (٢٥ مصطلح) فى ترجمة هشام الدستوائى : « ودستوا : كورة من كور الأهواز ، كان يبيع الثياب التى تجلب منها فنسب إليها . ويقال له صاحب الدستوائى أيضاً » .

كتبه

مصر الجديدة فى { ٢٠ من رمضان من سنة ١٣٨٥
١٢ من يناير من سنة ١٩٦٦ } عبد السلام محمد هارون

أبواب الكتاب

مكتبة الجاحظ

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الكتاب الأول

الحيوان

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمى فى المسابقات الأدبية التى نظمها المجمع اللغوى ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء الرابع

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

عباس ومحمد محمود الحلبى وشركاهم - خلفاء



كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الرابع

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م

تنبيه :

كل تكملة موضوعة بين معقفين فى هذا الجزء خاصة ، متروكة بدون تعليق وتنبيه ، فهى من النسخة الشنقيطية المرموز لها بالرمز (س) .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى اللهُ على سيّدِنا محمّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبه وسلّم

٢ نَبدأ فى هذا الجزء ، بعَوْنِ اللهِ وتأييدِه ، بالقول فى جُمْلة الذَّرّة والنملة ، كما شرَطنا به آخرَ المصحَفِ[١] الثَّالث . ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بِاللهِ العليِّ العظيم[٢] .

(خصائص النملة)

قد علمْنا أنْ ليس عندَ الذَّرَّةِ غَنَاءُ الفرَسِ فى الحرب ، والدَّفْع عن الحريم . ولكنّا إذا أردْنا موضِعَ العجَبِ والتّعجيب ، والتّنْبِيهَ على التدبير ، ذكرنا الحسيسَ القليلَ ، والسَّخِيفَ المَهِين ؛ فأرَيْنَاكَ ما عنده من الحِسِّ اللطيفِ والتَّقْديرِ الغريب ؛ ومِنَ النَّظر فى العواقب ، ومشاكلةِ الإنسان ومزاحَمَتِه .

والإنسانُ هو الذى سُخِّر له هذا الفَلَك بما يشْتمل عليه .

وقد علِمْنا أنَّ الذَّرَّةَ تدّخرُ للشتاء فى الصَّيف ، وتتقدَّمُ فى حال المُهلةِ ، ولا تُضِيعُ أَوقاتَ إمكانِ الحزم . ثم يبلغ [من][٣] تفقُّدها وحُسْنِ خُبرِها ، والنَّظر فى عواقبِ أمْرِها ، أنَّها تخافُ على الحبوب التى ادَّخَرَتْها للشِّتاء

(١) س ، هـ : « الجزء » . وما أثبت من ط هو ما اختاره الجاحظ فى تسمية أجزاء هذا الكتاب . انظر تقديم الكتاب ص ٢٨ فى صدر الجزء الأول .

(٢) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٣) الزيادة من س ، هـ وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد (٣ : ١٩٩) .

فى الصيف ، أنْ تعفَنَ وتُسَوِّسَ[1] ، ويقبّلَها بطنُ الأرض ؛ فتخرِجُها إلى ظهرها ؛ لتُيبِّسها وتُعيدَ إليها جفوفها[2] ، وليضربَها النَّسيمَ وَينفىَ عنها اللَّخَنَ والفَساد .

ثمَّ ربّما كان - بل يكون[3] أكثرَ مَكانُها نَديًّا . و [إنْ[4]] خافتْ أن تنبت نَقَرتْ موضع القِطْمِير[5] من وسط الحبّة ، وتعلم أنّها من ذلك الموضع تبتدئُ وتنبتُ وتنقلب ، فهى تفلق الحبَّ كلَّه أنصافاً . فأمّا إذا كان الحب من حبِّ الكزْبُرة[6] ، فلقته أرباعاً ؛ لأنَّ أنْصافَ حبِّ الكزبرة ينبت مِنْ بين جميع الحبوب . فهى على هذا الوجه مجاوزةٌ لفِطنةِ جميع الحيوان ، حتّى ربَّمَا كانت فى ذلك أحزمَ مِن كثيرٍ من الناس .

ولهـا مع لطافة شخْصها وخِفَّة وزنها ، فى الشمِّ والاسترواح[7] ما ليس لشىء .

٣ وربَّما أكلَ الإنسانَ الجرادَ أو بعضَ ما يشبه الجرادَ ، فتسقط[8] من يدِه الواحدةُ أو صدرُ الواحدة ، وليس يرى بقُربهِ ذَرَّةً ولا له بالذَّرِّ عَهْدٌ

---

(١) يقال : ساس الطعام يساس سوسا ، بالفتح ؛ وسوس كسمع ، وسيس كقيل ، وسوس بفتح السين وتشديد الواو المفتوحة .

(٢) كذا على الصـواب فى س . وفى ط ، هـ : « ليبسها ويعيد إليها جفوفها » .

(٣) س : « لكون » .

(٤) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ١٧٥) .

(٥) القطمير : شق النواة ، وهو يريد هنا شق كل حبة . ط ، هـ : « أن ينبت بقرب » وأثبت ما فى س .

(٦) الكزبرة والكسبرة ، بضم الكاف والباء فى كل منهما - وقد تفتح الباء - : ضرب من الأبازير معروف .

(٧) الاسترواح : التشمم .

(٨) س : « فيسقط » .

فى ذلك المنزل ، فلا يلبثُ أن تقبل ذَرَّةٌ قاصدةٌ إلى تلك الجرادة ، فتروِمَها وتحاولَ قَلْبها ونقلها ، وسحبها وجرَّها ، فإذا أعجزَتْها بَعْدَ أنْ بَلَغَتْ عُذرًا ، مَضَتْ إلى جُحرِها راجعةً ، فلا يلبَث ذلك الإنسانُ أنْ يراها قد أقبلَتْ ، وخَلفَها صُوَيْحِباتها كالخيطِ الأسْوَدِ الممدُود ، حتى يتعاوَنَّ عليها ، فيحملنها .

فأوّلُ ذلك صِدْقُ الشّمّ لما لا يشَمُّه الإنسانُ الجائع . ثمّ بُعْدُ الهِمّةِ ، والجراءةُ على محاولةِ نقل شيءٍ فى وزْنِ جسمِها مائةَ مرَّة ، وأكثَرَ من مائةِ مرّة .

وليسَ شيءٌ من الحيوان يقْوَى على حمْلِ ما يكونُ ضعف وزنه[1] مراراً غيرَها . وعلَى أنّها لا ترضى بأضْعافِ الأضعافِ ، إلّا بَعدَ انقطاعِ الأنفاس .

(كلام النمل)

فإنْ قلت : وما علَّم الرَّجُلَ أنَّ الّتى حاولتْ نَقْل الجرادَةِ فعجزَت ، هى التى أخبرَتْ صُوَيْحِباتِها من الذَّرّ ، وأنها كانت على مقدَّمتهن ؟ قلنا : لِطُول التَّجربة ، ولأنّا لم نرَ ذرَّةً قط حاولَتْ نقْلَ جـرادةٍ فعَجزتْ عنها ، ثم رأيناها راجعةً ، إلّا رأينا معها مِثْلَ ذلك ، وإنْ كنّا لا نَفْصِلُ فى العين بَيْنَها وبَيْنَ أخَواتِها ؛ فإنّه ليس يقَعُ فى القلبِ غيرُ الذى قلْنا . وَعَلَى أنّنا لم نرَ ذرَّةً قَطُ حملت شيئاً أو مَضت إلى جُحرِها فارغةً ، فتلقاها

(١) ط ، ه : « ضعفه » .

ذَرّةً ، إلّا واقفَتْها ساعة وخبَّرَتْها بشيء . فدَلَّ ذلك على أنَّها فى رجوعِها عن الجرادة ، إنَّما كانت لأشباهِها كالرَّائدِ لا يكذِبُ أهْلَهُ[1] .

ومن العجَب أنَّكَ تُنْكِرُ أنَّها تَوحى إلى أختِها بشيء ، والقرآنُ قد نطقَ بما هو أكثرُ من ذلك أضعافا . وقال رُؤْبة بن العجّاج[2] :

لو كُنْتُ عُلِّمْتَ كلامَ الحُكْلِ[3] عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلامَ النَّمْلِ

وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ حَتَّى إذا[4] أتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ[5] سُلَيمانُ وَجُنُودُهُ

---

(١) الرائد : من يرود الكلأ والمنزل : أى ينظره ويطلبه ويختار أفضله . والعبارة إشارة إلى المثل المعروف : « الرائد لا يكذب أهله »، يضرب للذى لايكذب إذا حدث . وإنما قيل ذلك للرائد لأنه إن لم يصدقهم فقد غرر بهم .

(٢) كذا جاءت النسبة فى الصحاح وثمار القلوب ٣٤٩ ، ٥١٥ وأمثال الميدانى (١ : ٤٥٤ ، ٢ : ٨٥) وبلوغ الأرب (٣ : ٢٢٠) وستأتى أيضاً فى ص ٢٣ . لكن قال ابن برى : « الرجز للعجاج » . انظر اللسان (حكل) . ومثل هذه النسبة عند الدميرى (حسل) .

(٣) ابن برى : « صوابه : أو كنت ». وقبله :

تسألنى من السِّنِينَ كَمْ لِى فقلتُ : لو عُمِّرْتُ عُمرَ الحِسْلِ

وقد أتاه زمن الفِطحْلِ والصَّخْرُ مبتلٌّ كطينِ الوحلِ

أوكنت قد أوتيت علم الحكل كنتُ رهينَ هَرمٍ أو قتلِ

والحكل من الحيوان، بالضم : مالايسمع له صوت، كالذر والنمل . والحسل ، بالكسر : ولد الضب ، زعم الأصمعى أنه يبلغ مائة سنة ثم يسقط سنه ، فعند ذلك يسمى ضبا. انظر ثمار القلوب ٣٣٢ .

(٤) فى الأصل : « فلما أتوا » . وهو تحريف من الناسخين، وستأتى صحيحة فى ص١٥ ، ٢٠ وقد اتفق السبعة على القراءة المثبتة .

(٥) تحتمل أن تكون جوابا للأمر ، وأن يكون نهيا بدلا من الأمر . والمعنى لاتكونوا حيث أنتم فيحطمنكم ، على طريقة : لا أرينك هنا .

وهُمْ لا يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ . فقد أخبر القرآنُ أنها قدْ عرَفتْ سليمانَ وَأَثْبَتَتْ عينَـهُ[1] ، وأنَّ علْمَ منطقها عندَه ، وأنها أمرتْ صُويحِباتها[2] بما هو أحزَمَ وأسلم . ثمَّ أخبَرَ أنها تعرفُ الجنودَ من غير الجنود ، وقد قالت : ﴿ وهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ . ونَخَالُكَ أيها المنكِرُ تبسُّمَهُ بحالهنَّ[3] ، أنَّكَ لم تعرفْ قبْلَ ذلك [الوقتِ وبَعْدَهُ ، شيئاً مِنْ هذا الشكل من الكلام ، ولا تدْبيراً فى هذا المقدار . وأمَّا ما فوقَ ذلك فليس لك أن تدَّعِيَه . ولكن ، ما تنكرُ من أمثاله وأشباهه وما دُونَ ذلك ، والقرآنَ يدلُّ على] أنَّ لَهَا بياناً ، وقولاً ، ومنطقا يَفصِلُ بينَ المعانى التى هى بسَبيلها ؟ ! فلعلها مكلَّفة ، ومأمورةٌ منهيَّة ، ومُطِيعة عاصية . فأوَّل ذلك أنّ المسألةَ من[4] مسائلِ الجهالاَت ، وإنَّ مَنَ دَخلَتْ عليه الشُّبهة من هذا المكانِ لَنَاقِصُ الرَّوِيَّة[5] رَدِئُ الفِكْرة[6] . وقد علمنا ، وهم ناس ولهم [بذلك] فضيلةٌ فى الغريزةِ وفى الجنسِ والطَّبيعة . وهم ناسٌ إلى أن ينتهوا إلى وقت البلوغِ ونزولِ الفرْض[7] حتَّى لو وَرَدَتْ ذرَّة لشربتْ مِنْ أعلاه .

٤

---

(١) أى ذاته . ط ، هـ : « فأثبت » .

(٢) س : « صواحباتها » على طريقة جمع الجمع .

(٣) كذا فى س . أى تبسم سليمان بما رأى من حال النمل . ط ، هـ : « تشبه بحالهن » .

(٤) هـ ، ط : « عن » . وأثبت ما فى س .

(٥) الروية : النظر والتفكير . ط ، هـ : « الناقص الرؤية » صوابه فى س .

(٦) فى الأصل : « ودنى الفكرة » ، ولعل صوابه ما أثبت .

(٧) ط ، هـ : « الفرض » محرف . وفى العبارة وسابقتها ولاحقتها اضطراب .

(شعر فيه ذكر النمل)

وقال أبو دهْبَلٍ (١) :

آبَ هــذا اللَّيلُ فاكتَنَعا ... وأمَرَّ النَّــومُ فامتَنَعَا (٢)
فى قِبابٍ وَسْــطَ دَسْكَرَةٍ ... حَوْلَهَا الزَّيْتون قد يَنَعَا (٣)
[ولهــــا بالماطرون إذا ... أكلَ النملَ الذى جَمَعَا (٤)]
خــــرْفةً ، حتى إذا ارتَبَعَتْ ... سَكنتْ مِنْ جِلَّقٍ بِيَعَا (٥)

---

(١) اسمه وهب بن زمعة الجمحى ، وفى الأغانى (٦ : ١٥٠) أنه قال الشعر فى آخر خلافة على . ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير . وقد كان ابن الزبير ولاه بعض أعمال اليمن . وأنه كان سيداً شريفاً ، يحمل الحمالات ، ويعطى الفقراء ، ويقرى الضيف . . . وقد انفرد الجاحظ بنسبة الأبيات الآتية إلى أبى دهبل . والصحيح أنها ليزيد بن معاوية ، يتغزل بها فى نصرانية كانت قد ترهبت فى دير خراب ، عند الماطرون . انظر الكامل ٢١٧ ليبسك وخزانة البغدادى (٣ : ٢٧٩ بولاق) ومعجم ياقوت (الماطرون) واللسان (كنع) . وفى الكامل أيضاً أن بعضهم ينسبه إلى الأحوص .

(٢) ط : « أرب هذا »، وصوابه فى س ، هـ والمعجم واللسان ورواية الأخفش فى حواشى الكامل : « طال هذا الهم » ورواية ياقوت : « آب هذا الهم » . واكتنع : حضر ودنا . وأمر : صار مرا . وضبطه البغدادى بالبناء للمفعول ، ولست أذهب مذهبه .

(٣) الدسكرة ، بفتح الدال : بناء يشبه قصراً حوله بيوت ، وجمعها دساكر ، تكون للملوك . والوجه فى ترتيب هذا البيت أن يكون بعد الرابع ، كما ورد فى الخزانة والمعجم .

(٤) الماطرون ، بكسر الطاء ، ويروى بفتحها ؛ وبفتح النون ، ويروى بكسرها . ويروى أيضاً : « بالماطرين » وهى رواية المبرد . الذى جمعا : أى الذى جمعه . والنمل يأكل فى وقت الشتاء ما جمعه فى زمن الصيف .

(٥) الخرفة ، بالضم : مايجتنى . ورواية العباب والمقاييس والمخصص (١١ : ٩) : « خلفة » بكسر الخاء وباللام بعدها . والخلفة : الثمر يظهر بعد الثمر الكثير . وهذا اللفظ لايزال مستعملا عند زراع مصر . وارتبعت : دخلت فى الربيع . وجلق بكسر الجيم واللام المشددة المكسورة ، قال ياقوت : اسم لكورة الغوطة كلها ، وقيل بل هى دمشق نفسها ، وقيل موضع بقرية من قرى دمشق .

عِنْدَ غيرِى فالتمس رَجلاً يأكلُ التَّنُّوم والسَّلَعَا[١]

ذاكَ شيءٌ لستُ آكِله وأُرَاهُ مَأْكَلاً فَظِعا[٢]

وقال أبو النَّجم فى مثل ذلك[٣] :

وكانَ نُشَّابَ الرِّياحِ سُنبُلُهْ[٤] واخضَرَّ نَبتاً سِدْرُهُ وحَرْمَلُهْ[٥]

وابيضَّ إلاَّ قاعه وجَدْوَلُهْ[٦] وأصبحَ الرَّوضَ لَوِيّا حَوْصَلُه[٧]

واصفَرَّ من تَلْعٍ فليجٍ بَقَلُه[٨] وانحتَّ من حَرشَاءِ فَلْجٍ خَرْدَلُه[٩]

---

(١) التنوم ، بفتح التاء وتشديد النونا لمضمومة : شجر له حمل صغار كمثل حب الخروع ، ويتفلق عن حب يأكله أهل البادية ، وكذا النعام ، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق . قلت : كأنه ما يسمى اليوم بعباد الشمس . والسلع ، بالتحريك : شجر يرتقى حبالا خضرا لا ورق لها ، وقضبانه تلتف على الغصون وتتشبك ، وله ثمر مثل عناقيد العنب صغار ، فإذا أينع اسود ، فتأكله القرود .

(٢) الفظع ، ككتف : الفظيع .

(٣) انظر بعض أشطار هذا الرجز فى جمهرة ابن دريد (٢ : ١٣٣) والاشتقاق ١٨٢ والمزهر (٢ : ٣٥٨) .

(٤) جعل سنابل الزرع كأنها رماح للرياح تشرعها فى كل جهة . س : « نشات » وهو محرف .

(٥) السدر ، بالكسر : شجر النبق . والحرمل ، كجعفر : نبت يرتفع ثلث ذراع وله ورق كورق الصفصاف .

(٦) ابيض الروض : صوح نباته . وإنما سلم نبت القاع والجدول من ذلك لما بقى من الماء فيهما . وقد اضطره الشعر فرفع ما بعد إلا . وحقه النصب .

(٧) حوصل الروض : قراره ، وهو أبطأ هيجا . واللوى : ما بين الرطب واليابس .

(٨) التلع ، بالفتح : جمع تلعة ، وهى مجرى الماء من أعلى الوادى . والفليج ، بالجيم : عنى به المتسع . ط : « فليح » وقد حرك قاف « بقله » لوزن الشعر .

(٩) ط ، هـ : « فلح » ، صوابه فى س واللسان (حرش ، قطر) . والفلج : النهر الصغير . والحرشاء بفتح الحاء وبالشين : خردل البر . وهى فى الأصل ، « خرساء » ، صوابها من اللسان فى موضعيه .

وانشقّ عن فصح سواء عنطله[١] وانتفض البَرْوَقُ سُوداً فُلفُلهْ[٢]
واختلَفَ النَّمْلُ قِطارًا يَنقُله[٣] طارَ عَنِ المُهْر نَسيلٌ يُنْسِلُهْ[٤]

(استطراد لغوى)

قال أبو زيد : الحمكة القمْلة ، وجمعه حَمَك . وقد ينقاسُ ذلك فى الذَّرّةِ .

قال أبو عبيدة : قرية النمل من التُّراب[٥] ، وهى أيضاً جُرثومة النمل .

وقال غيره : قرية النمل ذلك التّراب والجُحرُ[٦] بما فيه من الذرّ والحبّ والمازِنِ . والمازِنُ هو البيض ، وبه سمَّوا مازن .

---

(١) كذا فى الأصل . ولعل صواب : « عنطلة » : « عنصله » ، والعنصل ، كقنفذ : البصل البرى .

(٢) البروق ، بفتح الباء والواو بينهما راء ساكنة : شجر ضعيف له ثمر حب أسود صغار . وهو الذى يقال فيه المثل : « أشكر من بروقة » ؛ لأنها تعيش بأدنى ندى يقع من السماء . ط ، هـ : « البرذون » صوابه فى س . وانظر لهذا الشطر الاشتقاق والمزهر .

(٣) اختلف : أقبل وأدبر . والقطار : أصله للإبل أن يتلو بعضها بعضاً على نسق . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « فطار » وفى س ، هـ : « فطاراً » ، وصواب روايته من اللسان . ولفظ « ينقله » هى فى ط ، هـ : « نيقله » بتقديم النون . صوابه فى س . وفى اللسان : « تنقله » .

(٤) النسيل ، بفتح النون : مايسقط من الصوف والشعر والريش . وأنسل الحيوان الصوف والشعر والريش : أسقطه . وكلمه « طار » أراها جوابا لشرط فى أبيات قبل هذه . وفى الأصل : « يسيل سنبله » ولعل الوجه فيه ما أثبت .

(٥) ط ، هـ : « الزاب » ولا وجه له . وصوابه فى س . وفى اللسان : « وقرية النمل : ما تجمعه من التراب » . وفى المخصص (٨ : ١٢٠) : « أبو عبيد : قرية النمل وجرثومته : ما يجمع من التراب » .

(٦) فى الأصل : « الحجر » ووجهه ما أثبت .

قال أبو عَمْرو[١] : الزِّبال ما حملت النملة بفِيها ، وهو قول ابنِ مُقبل :

كريم النِّجارِ حَمَى ظَهرَه   فلم يُرتَزَأ برُكوب زِبالا[٢]

(شعر فى التعذيب بالنمل)

وأنشد ابن نُجَيم[٣] .

هَلَكُوا بالرُّعافِ والنمل طَوْرًا   ثمَّ بالنَّحس والضِّبابِ الذُّكورِ[٤]

وقال الأصمعىُّ فى تسليط اللهِ الذَّرَّ على بعضِ الأمم :

لحقوا بالزهْوَيَينِ فأمسَوْا   لا ترى عُقْرَ دارهم بالمبِينِ[٥]

سلَّط الله فازِرا وعُقَيفَا   نَ فجازاهُمُ بدارِ شَطون[٦]

---

(١) هو أبو عمرو بن العلاء . س : « أبو عمر » .

(٢) البيت فى صفة فحل من فحول الإبل . والنجار ، بالكسر : الأصل . حمى ظهره : أى منع ظهره من الركوب . ويرتزأ ، بالبناء للمفعول : ينتقص . وفى ط ، هـ : « يرنو » و س : « يوتوا » تحريف ما أثبت من اللسان (زبل) المخصص (٨ : ١٢٠) . و « كريم » هى فى الأصل « كرم » وصوابها فى المرجعين السابقين .

(٣) فى ط ، هـ : « نخيم » . وفى س : « لخيم » . وصوابه ما أثبت . واسمه يحيى بن نجيم . وأسلفت ترجمته فى (٢ : ٣٥١) .

(٤) الرعاف ، بالراء المضمومة : سيلان الدم : وقد تحدث الجاحظ عن الإهلاك بالرعاف فى (٦ : ١٥٠) . س : « بالعرف » تصحيف . والضباب : جمع ضب ، ذلك الحيوان .

(٥) لعل « الزهويين » اسم مكان . س : « بالزهوتين » . هـ : « بالزهوبين » وعقر الدار : أصلها . وقيل : وسطها . ط : « عقد » صوابه فى س ، هـ .

(٦) يقال عقفان ، كعثمان ، وعقيفان بهيئة التصغير ، وسيأتى شرحه . وفى الأصل : « عقيقان » بقافين ، وهو تصحيف صوابه فى اللسان . والرواية فيه :

سُلِّطَ الذَّرُّ ، فازرٌ أو عُقيفا   نُ فأجلاهم لدارِ شَطون

ط : «فجازاهم به إشطون» صوابه فى س ، هـ .

٥ يَتبَعُ القارَّ والمسافرَ مِنْهُمْ تحتَ ظلِّ الهدى بذات الغُصون[1]

فازر ، وعقَيفَان[2] : صِنفان من الذَّرّ ، وكذلك ذكروه عن دغفل [بن حنظلة] الناسب[3] . ويقال : إنّ أهل تِهامَة هلَكوا بالرُّعافِ مرّتَين . قال : [وكان آخِرُ من مات بالرُّعاف من سادة قريش ، [4]] هِشامَ ابنَ المغيرة .

قال أميّةُ بن أبي الصَّلت في ذلك :

نزِعَ الذِّكْرَ في الحياةِ وغنا وأراهُ العذاب والتَّدميرا[5]

أرسَلَ الذَّرَّ والجرادَ عليهم وسنِيناً فأهلكَتْهُمْ ومُورَا[6]

ذكَرُ الذَّرِّ إنَّه يفعل الشَّـرَّ وإن الجرادَ كان ثُبُورا[7]

---

(١) القار ، تقرأ باختلاس الألف ليستقيم الوزن . وهو مقابل المسافر . وفي الأصل : « الفار » بالفاء . و « الهدى » هي في ط ، ه : « الندى » .

(٢) عقيفان بقاف تليها ياء ثم فاء ، وبهيئة التصغير .

(٣) النص في لسان العرب : « قال دغفل النسابة : ينسب النمل إلى عقفان والفازر . فعقفان جد السود ، والفازر جد الشقر » .

(٤) هذه الزيادة الضرورية أثبتها اعتماداً على ما ورد في الحيوان (٦ : ١٥٠) حيث يتحدث الجاحظ عن الرعاف .

(٥) أي سلبه الله حسن الذكر في حياته . و « غنا » هي كذلك في ط ، ه . وفي س : « غنى » وأراها محرفتين . ورواية الديوان ٣٤ : «سلب الذكر في الحياة جزاء» . والضمير عائد إلى فرعون ، إذ يقول أمية قبل هذا البيت :

وبفرعون إذ تشاق له المـا ء فهلا لله كان شـكورا

قال إني أنا المجير على النا س ولا رب لي على مجيرا

فمحاه الإله من درجات ناميات ، ولم يكن مقهورا

وأما البيت الآتي ، فهو من أمية حديث عن العذاب الذي ألحقه الله ببعض الأمم ، انظر الديوان .

(٦) السنين : جمع السنة ، وهي القحط و الأزمة . والمور ، بالضم : الغبار بالريح . س : « دموراً » ولها وجه ؛ فالدمور بالضم . أصله أن يهجم الرجل على القوم ، أو يدخل عليهم بغير إذن ، وأثبت ما في ط ، ه والديوان ، والحيوان ، (٦ : ١٥٠) .

(٧) الثبور : الهلاك .

(نملة سليمان)

وقرأ أبو إسحاق[١] قولَه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنودُهُ مِن الجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إذا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ ﴾ فقال : كان ذلك الوادِى معروفاً بِوادِى النملِ ، فكأنَّهُ كانَ حِمى . وكيف نُنْكِرُ[٢] أن يكونَ حمى ؟ ! [و][٣] النَّمْلُ ربَّما أَجْلَتْ أمَّةً من الأُمَمِ عن بلادهم .

ولقد سألْتُ أهل كسكر[٤] فقلت : شَعِيرُكُمْ عَجَبٌ ، وأرْزُكُمْ عَجبٌ ، وسمكُكم[٥] عجب ، وجِداؤُكمْ عجب ، وبطُكم عجَبٌ ، ودَجَاجُكم عجب ، فلو كانَتْ لَكم أعناب ! فقالوا : كلُّ أرْض كثيرةِ النَّمْلِ لا تصلُح فيها الأعناب . ثمَّ قرأ : ﴿ قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ ، فجعل تلك الجِحَرَة[٦] مَسَاكِن . والعربُ تسميها كذلك . ثمَّ قالَ : ﴿ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ﴾ فجمعَتْ من اسمه وعينه ،

---

(١) هو إبراهيم بن سيار النظام .

(٢) ط ، هـ : « فكيف ينكر » .

(٣) الزيادة من ثمار القلوب ٣٤٥ .

(٤) كسكر ، بوزن جعفر : كورة من كور فارس . عن معجم ياقوت .

(٥) هذا هو الموافق لما سبق فى ج ٣ ص ٢٩٥ س ٢ . وفى ط ، هـ : « سمنكم » وفى س : « صحتكم » وربما كانت هذه الأخيرة محرفة عن : « صحناكم » وقد سبق تفسيرها فى حواشى (٣ : ٢٩٥) .

(٦) الجحرة ، بجيم مكسورة تليها حاء مفتوحة : جمع جحر . وفى الأصل : « الحجرة » محرف .

وعرَفتِ الُجندَ من قائد الجند ، ثم قالت : ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ فكانوا معذورينَ وكنتم ملومينَ ، وكان أشدَّ عليكم . فلذلك قال : ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَولِهَا﴾ لِمَا رَأَى مِنْ [بُعْدِ[1]] غورِها وتسديدِها ، ومعرفَتِها . فعند ذلك قال : ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَى وَالِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ .

(أمثال فى النمل)

قال : ويقال : « ألطف[2] من ذَرَّةٍ » و : « أضْبطَ مِنْ نملة[3] » .

قال : والنَّملة أيضاً : قرحَةٌ تعرضُ للسَّاق ، وهى معروفةٌ فى جزيرة العرب[4] .

قال : ويقال : « أنْشبُ مِنْ ذَرَّة[5] » .

(قول فى بيت من الشعر)

فأمَّا قوْله[6] :

لَوْ يَدِبُّ الحَوْلِىُّ مِنْ وَلَدِ الذَّ رِّ عَلَيْهَا لأنْدَبَتْهَا الكلومُ[7]

---

(١) الزيادة من س ، ﻫ .

(٢) ألطف ، من اللطافة ، وهى الدقة . س : « ألحف » من الإلحاف ، وهو الإلحاح ؛ لأنها تلح فى طلب قوتها .

(٣) أضبط ، من الضبط ، وهو شدة اللزوم . ويقال أيضاً « أضبط من ذرة ، ومن الأعمى ، ومن صبى » انظر أمثال الميدانى (١ : ٣٩١) .

(٤) فسرها صاحب القاموس بقوله : « قروح فى الجنب .... وبثرة تخرج فى الجسد بالتهاب واحتراق ، ويرم مكانها يسيراً ، ويدب إلى موضع آخر كالنملة » .

(٥) فى الأصل : « أنسب » .

(٦) هو حسان ، كما فى الموشح ٦٣ ، من قصيدة فى ديوانه ٣٧٦ — ٣٨٠

(٧) أندبتها : أثرت فيها . والكلوم : جمع كلم ، بالفتح وهو الجرح . قالوا : وأفضل من قول حسان هذا ، قول امرئ القيس (انظر الموازنة ١٣٦) :

من القاصرات الطرف لودب محول من الذر فوق الإتب منها لأثرا

فإنَّ الحوليَّ منها لا يُعْرَفُ مِنْ مَسَانِّهَا[١] ، وإنما هو كما قال الشاعر :

تلقَّط حَوْلِيَّ الحصى فى منازلٍ مِن الحىِّ أمْسَتْ بالحَبِيبَين بلْقعا[٢]

قال : وحوليُّ الحصى : صغارها . فشبَّهه بالحوليِّ من ذوات الأربع .

(أحاديث وآثار فى النمل)

ابن جُريجٍ ، عن ابن شهاب ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلَّم قال : « مِنَ الدَّوابِّ أربعٌ لا يُقتَلْنَ : النَّملة ، والنَّحْلة ، والصُّرَد ، والهُدهُد » .

وحدَّثنا عبدُ الرحمن بنُ عبدِ الله المسعوديّ ، قال : حدَّثنا الحسن ابن سعد ، مولى على بن عبد الرحمن بن عبد الله[٣] قال : « نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلاً فانطلق لحاجته ، فجاء وقد أوقَدَ رجلٌ على قريَةِ نَمْلٍ ، إمَّا فى شجرةٍ وإمَّا فى أرض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ فعَلَ هذا ؟ ! أطفِئْها أطفِئْها ! » .

ويحيى بن أيوب ، عن أبى زُرعة بنِ جرير[٤] ، قال : أنبأنا أبو زرعة

---

(١) المسان : الكبار السن . ط ، هـ : « مسكنها » ، وصوابه فى س .

(٢) ط : « بالجبيبين » . وفى الموازنة ١٣٧ : « بالحيين » .

(٣) س : « مولى عبد الرحمن بن عبد الله » .

(٤) هو أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلى الكوفى ، اختلف فى اسمه ، فقيل هرم ، وقيل عمرو ، وقيل عبد الله ، وقيل عبد الرحمن ، وقيل جرير . من الرواة الثقات . تقريب التهذيب .

عن أبي هريرة قال : « نزل نَبِيٌّ من الأنبياء تحتَ شَجَرةٍ ، فعضَّتْه نملةٌ ، فقام إلى نَمْلٍ كثير تحتَ شجرةٍ فقَتَلَهُنَّ ، فقيل له : أفلا نملةً واحدة ؟ ! » .

وعبد الله بنُ زيادٍ المدنيُّ ، قال : أخبرني ابنُ شهابٍ ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : « سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نزَلَ نبيٌّ من الأنبياء تحتَ شجَرةٍ ، فقرَصَتْهُ نملةٌ ، فأمَرَ بجَهَازِه[1] فأُخرجَ مِنْ تحتها ثمَّ أمَرَ بقَرْيةِ النَّمْلِ فأُحرِقتْ ، فأوْحَى اللهُ إليه : أفي أنْ قَرَصَتْكَ نملةٌ أهلَكْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ يسبِّحونَ الله تعالى ؟ ! فهلاَّ نملةً واحدة ! » .

يحيى بن كثير ، قال : حدّثنا عُمر بن المغيرة بن الحارث الزِّمَّانيّ[2] ، عن هشامٍ الدَّسْتَوَائيّ[3] قال : إنَّ النَّمْلَ والذَّرَّ إذا كانا في الصَّيفِ كلِّه ينقُلْن الحبَّ ، فإذا كان الشتاءُ وخِفْنَ أن ينبت فلقْنَه .

هشام بن حسَّان ، أنّ أهلَ الأحنفِ بن قيس لَقُوا منَ النَّمْلِ أذًى ، فأمرَ الأحنف بكرْسِيٍّ [فوُضِع عند جُحْرهنَّ ، فجلَسَ عليه ثمَّ تشهَّد] فقال : لَتَنْتَهُنَّ أَوْ لَنُحَرِّقَنّ عليْكُنَّ ، أَوْ لَنَفْعَلَنَّ أَوْ لنفعَلَنَّ[4] ! قال : فذهبن .

---

(١) الجهاز ، بالفتح : المتاع . والكسر لغة رديئة . وانظر إسناد هذا الحديث والقول فيه عند الدميري .

(٢) ط ، هـ : « الزناق » . وأثبت ما في س ، وكتب في جانب منها : « خ : الزناقي » .

(٣) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ . « ابن الدستوائي » . وانظر ما أسلفت من تحقيق في هذا الراوي (٣ : ٥٣٧ — ٥٣٨) وكذا تذييل الجزء الثالث .

(٤) ط ، هـ : « أو لتفعلن » بالتاء ، وليس بشيء . والتكرار لتأكيد الوعيد

وعوف بن أبي جميلة[١] عن قسامةَ بن زُهير[٢] قال : قال أبو موسى الأشعَرِيّ : إنَّ لكلِّ شيء سادةً، حتَّى إنَّ للنمل سادة .

عبد الله بن زيادٍ المدنيُّ ، قال : أنبأنا ابن شهابٍ ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقول : خرج نبيٌّ من الأنبياء بالناسِ يستَسقون ، فإذا هُمْ بِنَملة رافعةٍ رأسها إلى السماء ، فقال ذلك النبيُّ : ارجعُوا فقد استَجِيبَ لكم مِن أَجْلِ هذا النَّمْلِ ! » .

مِسْعَر بن كِدَام[٣] ، قال . حدّثنا زيد القمِّيُّ[٤] عن أبي الصِّدِّيق النَّاجِي[٥] قال « خرج سليمانُ بنُ داوُدَ — عليهما الصلاة والسلام — يستسقي فرأى نملةً مستلقِيةً على ظهرها ، رافعةً قوائمَها إلى السماء وهي تقول :

---

(١) عوف بن أبي جميلة ، بفتح الجيم : الأعرابي العبدي البصري ، ثقة رمي بالقدر وبالتشيع . مات سنة ست ، أو سبع وأربعين بعد المائة ، وله ست وثمانون . تقريب التهذيب .

(٢) قسامة ، بفتح القاف ، ابن زهير المازني البصري ، راو من التابعين البصريين ، وكان ممن افتتح الأبلة مع عتبة بن غزوان . الإصابة ٧٢٨٠ .

(٣) مسعر ، بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح المهملة ، ابن كدام ، ككتاب ، ابن ظهير الهلالي ، أبو سلمة الكوفي . ثقة ثبت فاضل مات سنة اثنتين ، أوثلاث أو خمس وخمسين بعد المائة . تقريب التهذيب ، والمعارف ٢١١ . قال ابن قتيبة : « وكان يقول : من أبغضني فجعله الله محدثا ! » . لعله يريد ما يعانون من مشقة التثبت . وفي الأصل : « مسعود »، وهو تحريف .

(٤) كذا ورد في الأصل بالقاف ، ولعله « العمى » البصري قاضي هراة ، الذي ترجم له ابن حجر في التقريب ١٧٣ . قالوا : إنما قيل له العمى لأنه إذا سئل عن شيء قال : لا حتى أسأل عمي .

(٥) أبو الصديق بتشديد الدال المكسورة : هو بكر بن عمرو — وقيل ابن قيس — الناجي بالنون والجيم المكسورة ، وهو لقب له ، بصري ثقة مات سنة ثلاث ومائة . وفي الأصل : « الباجي » وصوابه في القاموس والتقريب .

اللهمَّ إنَّا خلقٌ من خلقِك ، ليس بنا غنًى عن سقيِك ؛ فإمَّا أنْ تسقِينا وترزقَنا ، وإمَّا أنْ تُميتَنا وتُهلكنا ! فقال : ارجعوا فقد سُقِيتمْ بدعوةِ غيركم ! » .

(تأويل آية)

وحدثنى أبو الجهجاه قال : سأل أبو عمرو المكفوف[1] عن قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا ﴾ . فقلت له : إنَّ نذيراً يعجب[2] منه نبيٌّ من الأنبياء ثمَّ يعظُمُ خطرُهُ حتى يُضحِكه لَعَجيب ! قال : فقال : ليس التأويل ماذهبتَ إليه . قال : فإنَّه قد يضْحَكُ النبيُّ ، عليه السلام ، من الأنبياء مِنْ كلامِ الصبيِّ ، ومِنْ نادرةٍ غريبة . وكلُّ شيءٍ يظهَرُ من غير معدِنه ، كالنَّادرة تُسمع من المجنون ، فهو يُضْحِك . فتبسُّمُ سُليمانَ عندى على أنَّه استظرف ذلك المقدارَ من النَّملة ، فهذا هو التأويل .

٧

(سادة النمل)

وقال أبو الجهجاه : سألتُه عن قول أبي موسى[3] : إنَّ لكلِّ شيءٍ سادةً حتى الذَّرِّ . قال : يقولون : إنَّ سادَتَها اللَّواتى يخرُجْنَ من الجُحْر ، يرتَدْنَ بجماعتها ، ويستبقْنَ إلى شمٍّ الذى هُو مِنْ طعامهنَّ .

---

(١) المعروف : أبو عمر ، وهم جماعة فى تقريب التهذيب . س : « المكفولى » .

(٢) س : « إن تدبيراً يتعجب » .

(٣) هو أبو موسى الأشعرى ، كما سبق فى الصفحة التى مضت .

(تأويل شعر لزهير)

وقال زهَير :

وقَالَ سأقضى حاجَتى ثمَّ أتَّقى عَدُوِّى بألْفٍ مِنْ وَرَائى مُلَجَّمِ
فشَدَّ ولم تَفْزَع بُيُوتٌ كثيرةٌ لَدَى حيثُ ألقتْ رَحْلَهَا أمُّ قشْعَمِ [1]

قال بعض العلماء : قرية النمل .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال فى لسانه حُبْسة : إذا كان فى لسانه ثِقَلٌ يمنَعُه من البيان . فإذا كان الثِّقَلُ الذى فى لسانه من قِبَلِ العُجْمةِ [2] قيل : فى لسانه حُكْلة . والحُكلُ من الحيوان كلّه ما لم يكن له صوتٌ يُستَبَان باختلاف مخارجه ، عند حَرَجِهِ ، وضجَره ، وطلبِهِ ما يغذُوه ، أو عندَ هِيَاجِه إذا أراد السِّفاد ، أو عند وعيدٍ لقتالٍ ، وغيرِ ذلك من أمره .

(رأى الهند فى سبب اختلاف كلام الناس)

وتزعم الهندُ أنّ سبَبَ مالَه كثُرَ كلامُ الناس واختلفَتْ صُوَرُ ألفاظِهِم [3] ، ومخارجُ كلامهم ، ومقاديرُ أصواتهم فى اللِّينِ والشِّدّةِ ،

---

(١) يقول : شد على عدوه وحده فقتله ، ولم تفزع بيوت كثيرة ، أراد أنه لم يستعن عليه بأحد . س : « يفزع » هـ : « يقرع » ، وهذه الأخيرة محرفة . وأم قشعم : الحرب ، أو المنية ، أو الضبع ، أو العنكبوت ، أو الذلة . وبكل فسر قول زهير .

(٢) فى الأصل : « العجمية » .

(٣) بعد هذه فى كل من ط ، هـ : « واتسعت على قدر اتساع معرفتهم » . وهو =

وفى المدِّ والقَطْع – كثرةُ[1] حاجاتهم . ولِكثرِ[2] حاجاتهم كثرتْ خواطرُهم وتصاريفُ ألفاظِهم ، واتّسعت على قدْرِ اتِّساع معرفتهم .

قالوا : فحوائِج السَّنانير لاتعدُو خمسةَ أوجه : منها صياحُها إذا ضربت ، ولذلك صورة . وصياحُها إذا دعت أخَواتها وآلافها[3] ، ولذلك صورة[4] . وصياحُها إذا دعَتْ أولادَها للطُّعْم ، ولذلك صورة . وصياحُها إذا جاعَتْ ، ولذلك صورة[5] . فلما قلَّتْ وجوهُ المعرفةِ ووجوهُ الحاجات ، قلَّتْ وجوهُ مخارج الأصواتِ . وأصواتها تلك فيما بينها هو كلامها .

وقالوا : ثمَّ من الأشياء ما يكونُ صوتها خفيًّا فلا يفهمهُ عنها إلا ما كان مِن شكلها . ومنها[6] ما يُفهم صاحبَه بضروبِ الحركاتِ والإشاراتِ والشمائل . وحاجاتها ظاهرةٌ جليَّة ، وقليلةُ العددِ يسيرة . ومعها من المعرفة مالا يقصِّر عن ذلك المقدار ، ولا يجوزه .   ٨

[و] رَاضَةُ الإبلِ ، والرِّعاءُ ، وَرُوَّاضُ الدَّوَابِّ فى المُروجِ ، والسُّوَّاسُ ، وأصحابُ القنْص بالكلابِ والفهود ، يعرِفون باختلاف الأصواتِ والهيئات والتشوُّف ، واستحالةِ البصرِ ، والاضطرابِ ، ضروباً من هذه الأصناف ، مَا لا يعرف مِثلَه من هو أعقلُ منهم[7] ، إذا لم يكن له مِنْ مُعَايَنَةِ أصنافِ

= تكرار لعبارة ستأتى بعد سطرين . وإثباتها هنا يفسد الكلام . فالوجه حذفها كما فى س .

(١) ط ، هـ : « كثرت » ، ووجهه ما أثبت من س .

(٢) ط ، هـ : « ولكثرت » ، صوابه ما كتبت من س .

(٣) الآلاف بمد الهمزة فى أوله : جمع إلف بالكسر وهو الأليف . ط : « آلافهات » صوابه فى س ، هـ .

(٤) ط : « وجه » . وسياق القول يقتضى ما أثبت من س ، هـ .

(٥) ذكر الجاحظ ، كما رأيت ، أربعة أوجه ، لا خمسة . فهو سهو منه .

(٦) فى الأصل : « ومنهى » .

(٧) فى الأصل : « منه » .

الحيوان ما لهُمْ[١] . فالحُكْلُ من الحيوان [من [٢]] هذا الشكل . وقد ذكرناه مرّة. قال رُؤبة[٣] :

لَوْ أَنَّنِي عُمِّرْتُ عُمْرَ الحِسْلِ أَوْ أَنَّنِي أُوتيتُ علمَ الحُكْلِ
عِلْمَ سُلَيمانَ كَلاَمَ النَّمْلِ

(تأويل بيت للعُمَانى)

وقال أبو العباس محمَّد بن ذؤيب الفُقَيمىُّ وهو الذى يقال له العُمانىُّ[٤] فى بعض قصائده فى عبد الملك بن صالح . والعُمانىُّ ممن يُعَدُّ ممن جمَع الرَّجزَ والقصيد ، كعُمَرَ بنِ لجإ[٥] ، وجرير بن الخَطَفى ، وأبى النَّجم وغيرهم . قال العُمانىّ :

وَيَعْلَمُ قَوْلَ الحُكْلِ لو أَنَّ ذَرَّةً تسَاوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفُتْهُ سِوادُها[٦]

يقول : الذَّرُّ الذى لا يُسمَع[٧] لمناجاته صوت ، لو كان بينها سِوَادٌ[٨] لفهمَه . والسِّواد هو السِّرار[٩] . [قال النبىُّ صلى الله عليه وسلم لابن مسعود :

---

(١) فى الأصل : « لغيرهم » .
(٢) ليست بالأصل .
(٣) انظر ماسبق من التنبيه فى ص ٨ .
(٤) سبقت ترجمته فى (٢ : ١٦٦)
(٥) فى الأصل : « كعمرو » وصوابه ماأثبت ، وقد سبقت ترجمته فى (١ : ٣٤٩). و « لجأ » هو والد عمر ، وأصل اللجإ المعقل ، والملاذ . فهو اسم معروف ، وليس مما أتى على وزن الفعل ، وانفرد صاحب القاموس بقوله إنه جد عمر ، وأن والده يسمى الأشعث .
(٦) ط : « تساور أخرى » وصوابه فى س ، هـ والبيان (١ : ٤٠ ، ٣٢٥) .
(٧) ط ، هـ : « لم يسمع » . والأوجه ما أثبت من س .
(٨) ط : « سواء » صوابه فى س ، هـ .
(٩) ط ، هـ : « السواد » والماء لا يفسر بالماء ! صوابه فى س . والسرار ، بالكسر : التحادث سراً .

« أُذُنَكَ حتى أساوِدَك» أى تسمع سِوادِى . وقالت ابنةُ الُخسِّ: «قربُ الوسادِ] وطولُ السِّواد[1] » .

قال أبو كبير الهذلىُّ :

ساودت عنْها الطّالِبِينَ فلمْ أنَمْ ... حَتّى نَظَرْت إلى السِّماكِ الأعْزَلِ[2]

وقال النمرُ بنَ توْلَب :

ولقَد شهِدْتُ إذا القِدَاحُ تَوَحَّدَتْ ... وشَهدْتُ عندَ اللّيل مُوقِدَ نَارِها[3]

عَنْ ذاتِ أَوْلِيَــةٍ أساوِدُ رَبَّهَا ... وكَأَنَّ لَوْنَ المِلْحِ تحتَ شِفَارِها[4]

وقد فسَّرْنا شأنَ الحـكل[5] :

وقال التيمىُّ الشاعرُ[6] المتـكلم ــ وأنشد لنفسه وهو يهجو ناساً من بنى تَغْلِبَ معروفين ــ :

عُجْم وحُـكْلٌ لاتَبِينُ ، ودِينُها ... عِبادَةُ أعلاجٍ عليها البرانسُ[7]

(١) قالت هـذا حين سئلت : « ما حلك على أن زنيت بعبدك ؟ » . انظر البيان (١ : ٣٢٤) ، والحيوان (١ : ١٦٩) ، والصناعتين ٣٢٠ .

(٢) ط ، هـ : «ساورت»، صوابه فى س . والسماك الأعزل : منزلة من منازل القمر ، وهو نجم يظهر مع الفجر .

(٣) القداح هنا قداح الميسر . توحدت : أى أخذ كل رجل قدحا ولم يقدر على غيره ؛ لشدة الزمان وغلاء اللحم .

(٤) عن ذات أولية : أى من أجل ناقة ذات أولية ، رعت وليا بعد ولى من المطر فسمنت . أساود ربها : يقول : أساره وأناجيه لأختدعه عنها فيسمح بها ليجرى عليها الميسر . وكأن لون الملح فوق شفارها : أى أن الشفار التى تذبح بها وتقطع يعلق بها شحم هذه الناقة السمينة فيحكى ذلك لون الملح . ط : « أساور » صوابه فى س ، هـ ، والميسر والقداح ص ١١٨ والمعانى الـكبير ١١٦٠ .

(٥) انظر ص ٢٣ وكذا ص ٢١ .

(٦) ذكره الصولى فى الأوراق ٧٦ باسم « التيمى بن محمد » .

(٧) الأعلاج : جمع علج ، بالـكسر ، وهو الرجل من كفار العجم . والبرانس : جمع برنس ، وهو القلنسوة الطويلة ، وكان النساك يلبسونها فى صدر الإسلام . والبرنس أيضاً : كل ثوب رأسه منه ملتزق به ، دراعة كان أو ممطراً أو جبة . وفى حديث عمر : « سقط البرنس عن رأسى » هو من هذا . والرواية فى البيان (١ : ٤٠) : « ولـكن حكلا لا تبين » .

ففصَلَ بينَ الشَّكْل والعُجْم ، فجعل العُجْمَ[1] مثلَ ذواتِ الحافر والظِّلْف والخفّ ، وجعل الشَّكْلَ كالذَّرّ والنَّمل والخنافس ، والأشكال التي ليست تصيحُ من أفواهها . فقال لى يومئذ حفصُ الفَرْدُ[2] : [أشهَدُ] أنَّ الذى يقال فيه حقٌّ[3] ، كان والله نصرانيًّا ، ثمَّ صار يخبر عن النصارى كما يخبر عن الأعراب !

(بين الأصمعى والمفضَّل)

[و] قال الأصمعىُّ للمفضَّل ، لما أنشد المفضَّلُ جعفرَ بنَ سليمانَ[4] 	٩

قولَ أوسِ بن حجر :

وذاتَ هِدمٍ عارٍ نواشِرُها 	تُصْمِتَ بالماء تَوْلَباً جَدِعا[5]

---

(١) ط ، هـ : « ذوات العجم » وكلمة « ذوات » مقحمة .

(٢) من المجبرة ، وكان من أهل مصر ، قدم البصرة فسمع بأبى الهذيل واجتمع معه وناظره ، فقطعه أبو الهذيل . وله عدة تصانيف سردها ابن النديم فى الفهرست ٢٥٥ مصر ١٨٠ ليبسك .

(٣) ط ، هـ : « حق » ، وهو على الصواب فى س .

(٤) كذا أيضاً فى التنبيهات على أغاليط الرواة فى نسختنا الخطية . وفى اللسان أنه سليمان ابن على الهاشمى .

(٥) الهدم ، بالكسر : الثوب الخلق المرقع . هـ ، س : « عدم » والعدم ، بالضم الفقر وفقدان المال ، ولم أجد هذه الرواية فيما عندى . والنواشر : عصب الذراع من داخل وخارج . وعريت نواشره : فقدت ما يكسوها من لحم ، وهو علامة المجاعة . تصمت بالماء تولبا : أى تسكت ولدها الذى يبكى من الجوع بشىء من الماء . وأصل التولب : ولد الحمار ؛ لكن أوساً أساء الاستعارة لجعله الطفل تولباً انظر العمدة (٢ : ٢٠٤) . وهذا البيت قد وهم فيه قدامة فظن أن سوء الاستعارة هذا يسمى معاظلة وقال : لا أعرف المعاظلة إلا فاحش الاستعارة . وانظر الرد عليه فى كل من الصناعتين ١٥٥ وسر الفصاحة ١٥١ . والبيت من قصيدة جيدة يرثى بها فضالة بن كلدة مطلعها :

أيتها النفس أجملى جزعا 	إن الذى تحذرين قد وقعا

وقبل البيت :

ليبكك الشرب والمدامة والـ 	ـفتيان طرا وطامع طمعا

وانظر ما قيل فى مجالس العلماء للزجاجى وحواشيه ص ١٤ والمقاييس (جدع) .

فجعل الذّال معجمة ، وفتحها ، وصحّف ، وذهب إلى الأجذاع[1] .

قال الأصمعيّ : إنما هى : « تَوْلَباً جَدِعا » الدَّال مكسورة . وفى الجَدِع يَقُول أبو زبيد :

ثمَّ استقاها فـلم يقطعْ نظائمها عن التضبُّبِ لا عَبْلٌ ولا جَدِعُ[2]

وإنّما ذلك كقول ابن حَبْنَاء الأشجعىّ[3] :

وأرْسَلَ مُهْمَلا جَدِعاً وخَفًّا ولا جَدِعُ النَّباتِ ولا جَدِيبُ[4]

فنفخ المفضَّلُ ، ورفع بها صوتَه ، وتكلَّم وهو يصيح . فقال الأصمعىّ : لو نفخْتَ بالشَّبُّور لَمْ ينفعك ! تكلَّمْ بكلامِ النَّمل وَأَصِبْ[5] !

---

(١) الأجذاع : جمع جذع بالتحريك ، وهو من الحافر ما كان فى الثالثة .

(٢) التضبب : السمن وكثرة اللحم . ه فقط : « التضيب » . والجدع ، كـكتف : فعل بمعنى مفعول ، ولا يعرف مثله . وهو السيىء الغذاء .

(٣) ابن حبناء ، يطلق على (خمسة من الشعراء) ثلاثة منهم إخوة ، وحبناء ، اسم أمهم كما فى القاموس ومعجم المرزبانى ٣٦٩ والمؤتلف والمختلف ١٠٥ ، أو هو لقب لأبيهم لقب به لحبن أصابه . والحبن : داء فى البطن يعظم منه ويرم. الأغانى (١١: ١٥٦). وأعرف هؤلاء الإخوة الثلاثة هو المغيرة بن حبناء ، وكان بينه وبين أخيه صخر مناقضات شعرية روى بعضها أبو الفرج -(١١ : ١٦٢ — ١٦٣) . وثالث هذين الأخوين هو يزيد بن حبناء وكان من الخوارج ، وكان أخوه المغيرة من رجال المهلب ابن أبى صفرة . ويعرف بهذا الاسم أيضاً أخوان آخران ،أحدهما بلعاء بن قيس الكنانى وأخوه جثامة . وأمهما الحبناء بنت وائلة . وقد تقدمت ترجمة بلعاء فى (٣ : ٦٠) . جاء فى ط : « حنباء » صوابه فى ه ، س . على أنى أستبعد صحة العبارة هنا إذ ليس أحد من هؤلاء الشعراء الخمسة من تصح له نسبة « الأشجعى » . والمعروف بهذه النسبة من الشعراء هو جبهاء (ويقال أيضاً جبيهاء بالتصغير) وهو شاعر بدوى من مخاليف الحجاز ينتهى نسبه إلى بكر بن أشجع . نشأ وتوفى فى أيام بنى أمية ، وهو من المقلين ، وله حديث مع الفرزدق فى الأغانى . (١٦ : ١٤١) .

(٤) المراد بالخف هنا الإبل .

(٥) تجد هذه القصة مع بسط وتفصيل ، فى اللسان (جدع) .

والشَّبُّور : شيء مثل البُوق ، والكلمة بالفارسيّة[١] . وهو شيءٌ يكون لليهود ، إذا أراد رأسُ الجالوت[٢] أن يحرِّم كلامَ رجلٍ منهم نفَخُوا عليه بالشَّبُّور .

(تحريم الكلام لدى اليهود والنصارى)

وليسَ تحريمُ الكلام مِن الحدود القائمةِ فى كتبهم ، ولكنَّ الجاثَلِيقَ[٣] ورأسَ الجالوتِ ، لا يُمكنُهُما فى دار الإسلام حبسٌ ولاضرْب ؛ فليس عندهما إلَّا أنْ يغرِّما المالَ ، ويُحرِّما الكلام . على أنَّ الجاثليق كثيراً ما يتغافل عن الرَّجلِ العظيمِ القدْر ، الذى له من السُّلطان ناحيةٌ .

وكان طيمانو[٤] رئيس الجاثليق ، قدْ همَّ بتحريم كلام عَون العباديِّ[٥] ، عند ما بلغه من اتِّخاذ السَّرارىّ[٦] ، فتوعَّده وحلف : لئن فعل ليُسْلِمَنَّ ! وكما ترك الأشقيل[٧] وميخاييل[٨] وتوفيل[٩] ،

(١) الصحيح أنها مأخوذة من العبرية. انظر الاستدراكات .

(٢) انظر لتفسير هذه الكلمة تذييل هذا الجزء .

(٣) الجاثليق ، بفتح الثاء : رئيس من رؤساء النصارى يكون تحت يده المطران ، ثم الأسقف ، ثم القسيس ، ثم الشماس .

(٤) كذا . ولعله : « طيمائوس » كما أفادنيه حضرة المحقق القدير الأب أنستاس .

(٥) العبادى : نسبة إلى العباد ، بكسر العين ، وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة .

(٦) السرارى : جمع سرية ، وهى الأمة المملوكة التى بوئت بيتا . ونظام التسرى ، أى اتخاذ السرارى ، نظام إسلامى يقصد به تكثير نسل المسلمين . والتسرى محظور على النصارى. انظر رسائل الجاحظ بهامشة الكامل (٢ : ١٧٦) .

(٧) كذا فى س ، هـ . وفى ط : « الأشفيل » .

(٨) س : « متخاييل » .

(٩) وجه الصواب فيه : « ثيوفيل » أو « تيوفيل » .

سَمَلَ عَيْنِ مَنْويل[1] — وفى حكمهم أنَّ من أعان المسلمين على الرُّوم يقتل ؛ وإن كان ذا رأى سَمَلوا عينَيه ولم يقتلوه — فتركوا سُنَّتهم فيه .

وقد ذكرنا شأنَهم فى غير ذلك ، فى كتابنا على النَّصَارى[2] . فإن أردتَه فاطلبْه هنالك .

(تأويل بيت لابن أبى ربيعة)

وقال عُمر بن أبى ربيعة :

لَوْ دَبَّ ذَرٌّ فوقَ ضاحِى جِلْدِها لَأَبَانَ مِنْ آثارِهنَّ حُدُورُ[3]

والحَدْر : الورَم والأثرُ[4] يكون عن الضَّرْب .

---

(١) سمل عينه : فقأها . وبدل هذه العبرة فى ط : « وسموعين ومنويل » وفى هـ : « سمل عين ومنويل » ، وصوابه فى س .

(٢) فى الأصل : « النصرى » ، وهو تحريف . وكتابة الجاحظ عن النصارى وثيقة تاريخية هامة ، تظهرنا على حقائق غريبة ، وتبين لنا مدى اتصال النصارى بالمسلمين فى عصره . وقبل عصره . وتجد فقراً منها بهامشة الكامل (٢ : ١٤٨ — ١٩٨) .

(٣) ضاحى جلدها : أى جلدها الضاحى المشرق . وأبان هنا فعل لازم بمعنى بان وظهر . و « حدور » فاعل أبان ، ومنه فى الكتاب : « حم والكتاب المبين » أى البين الظاهر ، فى أحد وجهى تأويله . وفى ط ، وكذا اللسان (مادة حدر) والمخصص (٢ : ٨٠) « حدورا » بالنصب ، وهو خطأ صوابه فى هـ ، س ؛ إذ أن البيت من قصيدة مضمومة الروى ، كما فى ديوان عمر ص ١٢ ، مطلعها :

لمن الديار كأنهن سطور تسدى معالمها الصبا وتنير

وقبل البيت :

تلك التى سبت الفؤاد فأصبحت والقلب رهن عندها مأسور

(٤) فى الأصل : « والحدر والورم الأثر » ، وصوابه ما أثبت .

(التسمية بالنمل)

وقد يسمَّى بِنملة ونَمَيْلة ، ويكتنون بها . وتسمَّوا بذَرٍّ ، واكتنوا بأبى ذرّ . ويقال : سيفٌ فى مَتْنِه ذرٌّ ، وَهُوَ ذرِّىُّ السَّيف[1] .

(شعر فى صفة السيف)

وقال ابن ضبَّة[2] :

وقد أغـــدُو مع الفتيـــا نِ بالمنجـــردِ الـتَّرِّ[3]
وذى البِرْكةِ كالتَّـــابو تِ والمَحْـــزمِ كالقَرِّ[4]

---

(١) فى الأصل : « ذر السيف » وأصلحته معتمداً على لسان العرب ، وفيه : « وذرى السيف : فرنده وماؤه ، يشبهان فى الصفاء بمدب النمل والذر . قال عبد الله ابن سبرة :

كل ينوء بماضى الحد ذى شطب جلى الصياقل عن ذريه الطبعا

(٢) ذكره الجاحظ فى البيان (٣ : ٧٦) مع الشعراء العرجان . وهو القائل :

وكنت أمشى على رجلين معتدلا فصرت أمشى على أخرى من الشجر

(٣) المنجرد من الخيل : القصير الشعر ، وذلك من علامات العتق والكرم . ط ، هـ : « بالمنجر » س : « بالمتجرد » ، وصوابه ما أثبت كما فى اللسان (ترر) . والتر من الخيل : المعتدل الأعضاء ، الخفيف ، الدرير . ط ، هـ : « والبتر » وأثبت الصواب من س واللسان . وقد روى ابن الشجرى هذا البيت فى أماليه (١ : ٨٢) :

وقد أغدو إلى الهيجا ء بالمحتنك الـثر

روى الكلمة الأخيرة بالثاء المثلثة قال : « يقال سحاب ثر ، الكثير الماء . واستعاروه للفرس الكثير الجرى » .

(٤) البركة ، بالكسر : الصدر . والتابوت : الصندوق يحرز فيه المتاع ، وهى كلمة عبرية الأصل . والمحزم ، كمجلس : موضع الحزام . والقر ، بالفتح : الهودج :

معِى قاضبــــة كالمِلْـ ــحِ فى مَتْنَيْـــــهِ كالذَّرِّ(١)

١٠ وقـــد أعْتَسِرُ الضَّرْبَـ ـةَ تَشْـــنى شـــنْ الشَّتْرِ(٢)

وقال الآخر :

تَكادُ الرِّيحِ ترمِيهَا صرارا وتُرْجَفُ إن يُلثِّمها خِمارُ(٣)

وتحسَبُ كلَّ شيءٍ قيلَ حَقًّا ويُرْعِبُ قلبَها الذَّرُّ الصِّغارُ

وقال أوسُ بنُ حجَر ، فى صفة السَّيْفِ :

كأَنَّ مدَبَّ النَّمْلِ يَتْبِعُ الرُّبَا وَمَدْرَجَ ذَرّ خافَ بَرْدًا فأسْهَلاَ(٤)

على صفحتيه بعد حِينِ جِلائه كَفَى بالَّذِى أبلى وأنعَتَ مُنْصُلاَ(٥)

---

(١) القاضبة ، أراد به السيف القاضب ، فالتاء فيه للمبالغة ، كراوية . ولم أر هذه اللفظ لهذا المعنى فى كتاب . وجعله كالملح فى بياضه . والعرب يشبهون الشىء الأبيض بالملح كما سبق تشبيه الشحم به فى ص ٢٤ س ٧ . وجاء هذا البيت مخروما فى اللسان (مادة ترر) . ويمكن تصحيحه وإكماله مما هنا .

(٢) أعتسر الضربة ، أصله من اعتسر الرجل الكلام : إذا اقتضبه قبل أن يزوره ويهيئه . يقول : يفاجىء عدوه بالضربة السريعة . ط ، س : « أعسر » صوابه فى هـ . والشتر ، بالفتح : الجرح . وفى الأصل : « الشبر » ولا وجه له وأما « شتن » فهى فى ط : « شنن » والكلمتان غير واضحتين .

(٣) س : « تلثمها » ، والوجه ما أثبت من ط ، هـ .

(٤) الربا : جمع ربوة ، وهو المكان المرتفع . وفى الأصل : « الدبا » ولا وجه له وصوابه فى ديوان أوس وعيون الأخبار (٢ : ١٨٧) ومعاهد التنصيص (١ : ٤٨) والشعراء ١٥٧ . وأسهل : صار فى السهل من الأرض .

(٥) ط : « على صفحة من » ، والوجه « صفحتيه » مع حذف « من » كما فى س ، هـ والديوان . ورواية الديوان : « على صفحتيه من متون جلائه » .

(انتقام عَقيل بن عُلَّفة ممَّا خطب إحدى بناته)

قال : وخطب إلى عَقيل بن علّفة بعضَ بناتِه رجلٌ من الحُرَقة[١] من جُهينة ، فأخذَه فشَدَّهُ قِماطاً ، ودهن أسته بِرُبٍّ وقَمَطهُ[٢] وقرَّبه من قريةِ النَّمل ، فأكل النملُ حُشْوَةَ بطنِه[٣] .

(شِعرٌ فيه ذِكر النمل)

وقال ذو الرُّمّة :

وقَرْيَةٍ لاجِنٍّ وَلاَ أَنَسِيَّةٍ مُدَاخَلَةٍ أبوابُها بُنِيَتْ شَزْرَا[٤]

نَزَلْناَ بهـا مانبتغى عندَها القِرَى ولـكنَّها كانت لمنزلنا قَدْرا[٥]

وقال أبو العتاهية :

أَخْبِثْ بدارٍ هَمُّهَا أَشِــبٌ جَثْل الفُرُوعِ كثيرةٌ شعَبُــه[٦]

إنَّ استِهانَتَها بِمَنْ صرَعَتْ لَبِقَــدْرِ مَا تَعْلو بِهِ رُتَبُه[٧]

---

(١) كذا على الصواب فى ط ، هـ وهى قبيلة . وفى س : « الحدقة » محرف . وفى الأغانى (١١ : ٨٢) أنه من بنى سلامان بن سعد .

(٢) قمطه : جمع بين يديه ورجليه . والرب بضم الراء ، هو الدبس ، أو هو ثفل السمن والزيت . وفى الأغانى : « ودهن استه بشحم » .

(٣) القصة فى الأغانى برواية تختلف كثيراً عن هذه .

(٤) أراد بالقرية قرية النمل . مداخلة : مخالفة فى بعضها بعضاً . شزرا : على غير استقامة فهى معوجة .

(٥) رواية الديوان ١٧٧ : « لا نبتغى عندها » .

(٦) أشب : كثير ، من قولهم شجر أشب : ملتف . جثل : كثير الورق . ط ، هـ : « جبل » صوابه فى س .

(٧) فى الأصل : « أزرا سياستها بمن صرعت » وهو تحريف صوابه من ديوان =

وإذا استوَتْ للنَّمل أجنِحَةٌ حتى يَطيرَ فقدْ دنَا عَطبُه[1]

وقال البَعيث :

وَمَوْلى كَبَيْتِ النمل لاخيْرَ عندَه لمولاه إلَّا سَعْيِه بنَميمِ

(بعض ما قيل فى النمل)

قال : وقد سمعت بعضَ الأعراب[2] يقول : إنهُ لنمامٌ نَمِلٌ . على قولهم : « كذبَ عليَّ نَمِلٌ[3] » إذا أرادُوا أنْ يخبرُوا أنهُ نمام . وقال حميد بن ثَوْر ، فى تهوين[4] قوّة الذّرّ :

منعَّمَة ، لو يُصْبِحُ الذَّرُّ سارياً على جِلْدِها بضَّتْ مدارِجُهُ دما[5]

وقال الله عز وجل : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خيْرًا يرَهُ . وَمَنْ يعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شرًّا يرَهُ ﴾ .

قال : وقيل لعائشة — رضى الله تعالى عنها ، وقد تصدَّقتْ بحبَّةِ عنب — : أتَصَدّقينَ[6] بحبَّةِ عنب ؟ ! قالت : إن فيها لَمثَاقِيلَ ذرّ[7]

= أبى العتاهية ص ٣٥ وثمار القلوب ٣٤٦ . « لبقدر » هى فى الأصل : « فبقدر » وأثبت ما فى الديوان والثمار ومروج الذهب (٣ : ٣٩٢) . و« تعلو » هى فى ط : « نقلوا » ، وتصحيحه من س ، ﻫ والثمار والمروج . وبدلها فى الديوان : « تسمو » .

(١) فى الديوان : « وإن استوت » وانظر الكلام على البيت عند الدميرى .

(٢) س : « قال : وسمعت أعرابيا » .

(٣) النمل ككتف والنامل والمنمل — كمحسن — والمنمل — كمنبر — والنمال ، كل أولئك بمعنى النمام .

(٤) س : « توهين » والتهوين : التقليل . والتوهين : الإضعاف . وهما متقاربان .

(٥) مدارج الذر : موضع دروجه . بضت : خرج منها الدم .

(٦) تصدقين بمعنى تتصدقين ، حذفت إحدى التاءين تخفيفاً . ط فقط : « أتتصدقين » .

(٧) مثاقيل : جمع مثقال ، بمعنى مقدار . س : « مثاقيل ذرة » صوابه فى ط ، ﻫ . وعائشة رضى الله عنها ، تنظر إلى الآية السابقة .

(لغز فى النّمْل)

وممّا قيل فى الشِّعر من اللُّغز[١] :

فما ذو جَناحٍ له حافرٌ   وليس يضَرٌّ ولا ينفعُ

يعنى النَّمل . فزعم أنَّ للنَّمل حافرًا ، وإنَّما يَحْفِرُ جُحره ، وليس ١١ يَحْفِرُه بفمه[٢] .

(التعذيب بالنمل)

وعذَّب عُمَرُ بن هُبيرة[٣] سعيدَ بن عَمْرو الحَرَشىَّ[٤] بأنواع العذاب فقيل له : إن أردت ألاّ يُفْلِحَ أبدًا فمُرْهُمْ أن ينفُخوا فى دُبُرِه النّمل . ففعلوا فلم يفلِحْ بعدها .

---

(١) البيت الآتى فى محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) .

(٢) وإنما يحفره بقوائمه الست . انظر الدميرى .

(٣) فى الأصل : « عمرو بن هبيرة » ، وصوابه ما أثبت . وعمر هذا ، أمير من الدهاة الشجعان ، ولى الجزيرة فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، ثم ولاه يزيد بن عبد الملك إمارة العراق وخراسان ، ثم عزله هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ فلم يعرف له خبر بعد ذلك ، وكان قائد أسطول المسلمين فى غزوة القسطنطينية سنة سبع وتسعين . انظر التنبيه والإشراف ١٤١ . وكان عمر يكنى أبا المثنى ، وفيه يقول الفرزدق ليزيد (المعارف ١٧٩) :

أوليت العراق ورافديه   فزاريا أحذ يد القميص

تفنق بالعراق أبو المثنى   وعلم قومه أكل الخبيص

(٤) سعيد بن عمرو الحرشى ، أحد قواد العرب ، وهو الذى قتل شوذبا الخارجى وفتك بمن معه ، وولاه ابن هبيرة خراسان سنة ١٠٣ ، ثم بلغه أنه يكاتب الخليفة مباشرة ولا يعترف بإمارته فعزله وعاقبه . والحرشى ، بفتح الحاء والراء ، نسبة إلى الحريش بن كعب بن ربيعة . وفى الأصل : « بن عمر » وصوابه من البيان (١ : ٣٨٩) وكتاب الوزراء (٦١) . و « الحرشى » هى فى الأصل : « الجرشى » بالجيم ، وصوابه فى البيان والطبرى (٨ : ١٧٥) ، وقد أورد الطبرى القصة .

(ما يدّخر قوته من الحيوان)

قالوا : وأجناسٌ من الحيوان تَدَّخرُ، وَتُشَبَّهُ فى ذلك بالإنسان ذى العقل والرَّوِيَّة[١] وصاحبِ النَّظَرِ فى العواقب ، والتفكير فى الأمور : مثلُ الذَّرّ ، والنّمل ، والفأر ، والجرذان ، والعنكبوت، والنّحل . إلّا أنَّ النحل لا يدَّخر من الطعام إلّا جنساً واحداً ، وهو العسل .

(أكل الذَّرّ للنمل)

وزعم اليقطرىّ[٢] أنّك لو أدخَلْتَ نملةً فى جُحر ذرٍّ لأكلتها ، حتى تأتىَ على عامّتها . وذكر أنّه جرَّب ذلك .

(أكل الضِّباع للنمل)

وقال صاحب المنطق : إنَّ الضِّباع تأكل النمل أكلًا ذريعا ؛ وذلك أنَّ الضِّباعَ تأتى قريَةَ النَّمْلِ فى وقتِ اجتماعِ النّمل، فتلحَس ذلك النَّملَ بلسانِها ، بشهوةٍ شديدةٍ ، وإرادة قويّة .

(أكل النمل للأَرضة)

قالوا : وربّما أفسدت الأَرَضة على أهل القرى منازلَهم ، وأكلتْ كلَّ شىءٍ لهم . ولا تَزالُ كذلك حتى يَنْشو[٣] فى تلك القرى النَّمل ،

---

(١) الروية: النظر والتفكير . ط ، هـ : « الرؤية » صوابه من س .

(٢) يروى عنه الجاحظ فى البيان ، وكنيته أبو عثمان .

(٣) كذا فى س . وفى هـ : « ولا يزال » . وفى ط « ولا يزالوا » وهذه الأخيرة محرفة . و « ينشو » هى « ينشؤ » سهل همزها ، وهى بمعنى ينشأ ، فهذا =

فيسلط الله ذلك النّملَ على تلك الأَرَضة ، حتى تأتىَ على آخرها . وعلى أنّ النَّمْلَ بعد ذلك سيكونَ له أذى ، إلاّ أنّه دونَ الأرضةِ تعدِّيا . وما أكثَرَ ما يذهَبُ النَّمل أيضاً من تلك القُرى ، حتى تتمَّ لأهلها السّلامــةَ من النّوعين جميعاً .

وزعم بعضهم أنَّ تلك الأَرَضَة بأعيانها تستحيل نَمْلاً ، وليسَ فَناؤُها لأكلِ النَّمْلِ لها ، ولكنَّ الأرضةَ نفسَها تستحيلُ نملًا . فعلى قدْرِ ما يَستحيل منها يُرَى النقص[1] فى عددِها ومضرَّتِها على الأيام .

(مثل فى النمل)

قال : وبالنَّمْلِ يُضرب المَثل ؛ يقال : « جاءوا مِثْلَ النَّمْل » .

والزِّنج نوعان ، أحدهما يفخَر بالعدد ، وهم يسمّون النَّمل ، والآخَر يفخَر بالصَّبرِ وعِظَمِ الأبدان ، وهم يسمّون الكلاب . وأحدهما يكبو والآخرُ ينبو . فالكلابُ تكْبو ، والنَّمل تنبو[2] .

(أجنحة النمل)

قال : ومن أســبابِ هلاك النَّمْلِ نباتُ الأجنحة له . وقد قال الشاعرُ[3] :

= الفعل يقال من باب منع ومن باب كرم ، كما فى القاموس . ط ، س : « ينشبوا » ولا تصح إلا بتكلف . وأثبت ما فى هـ .

(١) س : « النقصان » .

(٢) انظر البيان (٣ : ٥١) . وليس « تكبو » و «تنبو» لفظين عربيين ، بل هما من ألفاظ الزنج فيما يظهر ، فقول الجاحظ : « فالكلاب تكبو » لعل معناه تسمى « تكبو » بالزنجية . وتجد اضطرابا فى رسم هاتين الكلمتين ، فمرة بدئتا بالياء ، ومرة بدئتا بالتاء وعسى أن يهدينا إلى صوابهما أحد الصوماليين .

(٣) هو أبو العتاهية كما سبق ص ٣٢ .

وإذا استَوَتْ للنَّمْلِ أجنحةٌ حتى يَطِيرَ فقَدْ دَنا عَطبُه[١]

وإذا صارَ النَّمل كذلك أخصبَتِ العصافير ؛ لأنها تصطادها فى حال طـيرَانها .

(وسيلة لقتل النمل)

[قالوا[٢]] : وتُقْتَلُ بأنْ يصبَّ فى أفواه بيوتها القَطِران والكِبريتُ الأصفر ، ويُدَسَّ فى أفواهها[٣] الشَّعر . وقد جرَّبنا ذلك فوجـدناه باطلا . انتهى .

١٢ بـاب

جملة القول فى القِرْدِ والخِنزير

وفى تأويل المَسْخ ، وكيف كان ، وكيف مُسخ الناس على خلقتهما[٤] دونَ كلِّ شىء ، وما فيهما من العِبرة والمحنة ؛ وفى خصالها المذمُومة ، وما فيهما من الأُمورِ المحمودة ؛ وما الفصْل[٥] الذى بينهما فى النَّقص ، وفى الفَضْل ، وفى الذمِّ وفى الحمد .

---

(١) س ، هـ : « دنا أجله » وهو خطأ . انظر ص ٣٢ .

(٢) بمثل هذه الزيادة يستقيم الكلام ، وينسجم أوله مع آخره .

(٣) أى أفواه بيوتها .

(٤) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٥) فى الأصل : « الفضل » بالضاد المعجمة ، ووجهه ما أثبت .

(ما ذكر فى القرآن من الحيوان)

وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ فى القرآن العنكبوتَ ، والذَّرَّ والنَّمْل ، والكلبَ ، والحِمار ، والنَّحلَ ، والهُدهدَ ، والغرابَ ، والذئب[١] ، والفِيلَ والخيل ، والبغال ، والحمير ، والبقَرَ ، والبعوضَ ، والمعز ، والضأن ، والبقرة ، والنعجة ، والحوت ، والنُّون[٢] . فذكر منها أجناساً فجعلها مثلًا فى الذِّلَّة والضَّعف ، وفى الوهْن ، وفى الْبَذاء ، والجهل .

(هَوانُ شأن القرد والخنزير)

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِى أنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾، فقلَّلها كما ترَى وحقّرها ، وضرب بها المثل. وهو مع ذلك جلَّ وعلا ، لم يمسخ أحداً من حَشْو أعدائه وعظائهم بعوضة .

وقال تعالى : ﴿ يَا أيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شيئاً لَا يَسْتَنْقِذوهُ مِنْه ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمَطْلُوبُ ﴾ . إنَّما قرَّع الطالب فى هذا الموضعِ[٣] بإنكاره وضعفه ، إذ عجز ضعفه عن ضَعْفِ

---

(١) س : « الدب » صوابه فى ط ، هـ . وليس فى القرآن الكريم ذكر الدب ، وإنما هو « الذئب » ورد فى قصة يوسف .

(٢) النون : الحوت العظيم ، وقد سمى يونس عليه السلام : ذا النون فى قوله تعالى : « وذا النون إذ ذهب مغاضبا » لأن النون كان قد التقمه فى اليم ، انظر مفردات الراغب . والجاحظ لم يستوعب ماورد فى القرآن من الحيوان ، وإلا فقد أغفل ذكر الإبل ، والثعبان ، والجراد ، والحية ، والسلوى ، والضفادع ، والغنم ، والفراش ، والقمل .

(٣) ط فقط : « الموضوع » .

مطلوبٍ لا شيء أضعَفُ منه ، وهو الذباب . ثمّ مع ذلك لم نجدْه جلَّ وعلا . ذَكَرَ أنَّهُ مسخ أحدًا ذُبابا .

وقال : ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ ، فَدَلَّ بوهْن بيتِه على وهْن خلْقه ، فكان هذا القولُ دليلًا على التّصغيرِ والتّقليل . وإنما لم يقل : إنِّى مسخْتُ أحدًا من أعدائى عنكبوتاً .

وقال تعالى : ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ ، فكان فى ذلك دليلٌ على ذمِّ طباعه ، والإخْبار عن تسرُّعِهِ وبذائِه . وعن جهله فى تدبيره ، وترْكِهِ وأخْذه . ولم يقل إنى مسخْتُ أحدًا من أعدائِى كلباً .

وذكر الذّرّة فقال : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ، فكان ذلك دليلاً على أنّه من الغايات فى الصِّغَر والقِلّة ، وفى خِفّة الوزْن وقلة الرجحان . ولم يذكرْ أنّه مسَخَ أحدًا من أعدائِه ذرَّة .

وذكر الحِمار فقال : ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ ، فجعله مثلًا فى الجهل والغفلة ، وفى قلّةِ المعرفةِ وغِلَظِ الطَّبيعة . ولم يقلْ إنِّى مسخْتُ أحدًا من أعدائى حمارًا .

وكذلك جميع ما خَلق وذَكَر من أصناف الحيوان بالذمِّ والحمد . فأمَّا ١٣ غير ذلك مِمَّا ذكر من أصناف الحيوان[١] ، فإنّه لم يذكرْهُ[٢] بذمٍّ ولا نقص ، بل قد ذكر أكثرَهنّ[٣] بالأمور المحمودة ، حتّى صار إلى ذكر

(١) الكلام من مبدإ : « بالذم والحمد » ساقط من س .
(٢) س : « يذكر » .
(٣) س : « أكثرها » .

القرد فقال : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴾ فلمْ يكنْ لهما فى قلوبِ النَّاس حال . و [لو](١) لم يكن جعل لهما فى صُدور(٢) العامَّة والخاصَّة من القُبْح والتَّشويه ، ونذالةِ النَّفس ، ما لم يَجعلْهُ لشىءٍ غيرهما من الحيوان ، لما خصَّهما الله تعالى بذلك .

وقد علمْنا أنَّ العقربَ أشدُّ عداوةً وأذًى ، وأفسَدَ ، وأنَّ الأفعى والثُّعْبانَ وعامَّةَ الأحناش(٣) ، أبغَضُ إليهم وأقتَلَ لهم ، وأنَّ الأسَدَ أشَدُّ صَوْلةً ، وأنَّهم عن دفعهم له أعجز ، وبغضَهم له على حسب قوّته عليهم ، وعجزِهم عنه ، وعلى حَسبِ سوءِ أثره فيهم . ولم نَرَهُ تعالى مسَخَ أحداً من أعدائه على صورة شىءٍ من هذه الأصناف . ولو كان الاستنذالَ والاستثقالَ والاستسقاطَ أراد ، لـكان المسخ على صورة بناتِ وَرْدانَ أولى وأحقَّ(٤) . ولو كان التَّحقيرَ والتَّصغيرَ أرَادَ ، لـكانت الصُّوابة والجِرْجِسَة(٥) أولى بذلك . ولو كان إلى الاستصغار ذهَبَ لـكان الذَّرُّ والقمْل والذُّبابُ أولى بذلك . والدَّليل على قولنا قوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ ، ولَيْسَ أن النَّاسَ رأوْا شيطاناً قطُّ على صورة ، ولـكنْ لمـا كان الله [تعالى] قد جعل(٦) فى طِباع جميع الأمم استقباحَ جميعِ صُورِ الشَّياطين ، واستسماجَه وكراهتَهُ ، وأجرى على ألسنة جميعهم ضرْبَ المثـل فى ذلك — رجـع بالإيحاش والتّنفـير ، وبالإخافة

---

(١) ليست بالأصل .

(٢) س : « قلوب » .

(٣) الأحناش : الحيات ، جمع حنش بالتحريك . وفى الأصل : « الأجناس » محرف .

(٤) « على صورة » ساقط من س . و « أراد ، لـكان » هى فى س : « إذا كان » ، محرف .

(٥) الجرجس ، بكسر الجيمين : البعوض الصغار . فى الأصـل : « الخرجسة » صوابه ما أثبت .

(٦) فى الأصل : « جعل لها » وكلمة : « لها » مقحمة .

والتفزيع[١] ، إلى ما قد جعله اللهُ فى طباع الأوّلين والآخِرين وعندَ جميعِ الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم[٢] .

وهذا التأويل أشبهُ مِن قولِ مَنْ زعَمَ مِن المفسِّرين ، أنّ رءوسَ الشّياطين نبات ينبت باليمن[٣] .

وقال الله عزّ وجلّ لنبيّه : ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ، أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ ، فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَاعَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فذكر أنه رِجْس ، وذكر الخنزير ، وهو أحد المسوخ[٤] ، ولم يذكر فى هذه الآية التى أحصى فيها أصنافَ الحرام ، وأباح ما وراء ذلك — القردَ .

وصار بعضهم إلى تحريمه من جهة الحديث . وهو عند كثيرٍ منهم يحتمل المعارَضة .

(مساوى الخنزير)

فلولا أنّ فى الخنزير معنًى متقَدِّماً[٥] سوى المسخ ، وسِوى ما فيهِ من قبح المنظر وسَماجة التمثيل، وقبحِ الصوت، وأكل العَذِرة ، مع الخلاف الشديد

(١) فى الأصل : « والتقريع » .

(٢) الخلاف بمعنى الاختلاف .

(٣) ممن ذكر هذا التأويل ، فخر الدين الرازى فى تفسير سورة الصافات ، ولكنه مع ذلك استظهر تأويل الجاحظ ، وهو الذى مال إليه أكثر المفسرين .. ومما أولوا به الآية أيضاً أن تكون « الشياطين » ضربا من ضروب الحيات .

(٤) المسوخ : جمع مسخ ، ط : « الممسوخ » . والأوجه ما أثبت من س ، ه .

(٥) ط ، ه : « متقدأ ما » تصحيحه من س .

واللِّواط المفْرط[1] والأخلاقِ السمجة ، ما ليس فى القرد الذى هو شريكه فى المسخ — لَمَا ذَكَرَه دونه . ١٤

(علة النص على تحريم الخنزير فى القرآن ، دون القرد)

وقد زعم نَاسٌ أنَّ العربَ لم تَكنْ تأكلُ القرودَ . وكان من تنصَّرَ[2] مِن كبار القبائِل وملوكِها يأكلُ الخِنزير ، فأظهر لذلك تحريمَهُ ؛ إذ كان هناكَ عالَمٌ من الناس ، وكثير من الأشراف والوضعاء ، والملوكِ والسُّوقة ، يأكلونهُ أشدَّ الأكْل ، ويرغبون فى لحمه أشدّ الرغبة . قالوا : ولأنَّ لحم القرد يَنْهَى عن نفسِهِ . ويكفى الطبائعَ فى[3] الزّجرِ عنهُ غَنَثُه[4] . ولحم الخنزير ممّا يُسْتَطابُ ويُتواصَف ، وسَبيلُ لحم القردِ كسَبيل لحمِ الكلب بل هو شرٌّ منهُ وأخبَث . وقد قال الشاعر[5] للأسدىِّ الذى لِيمَ بِأكل لحمِ الكلب[6] :

يا فقعسىُّ لِمْ أكلْتَه لِمهْ   لو خافكَ اللهُ عليهِ حَرَّمَهْ

فما أكلْتَ لحمَهُ ولاَ دَمَهْ

وليس يريد بقوله : « لو خافك الله عليهِ » أنّ الله يخافُهُ على شىءٍ أو يخافه[7] من شىء . ولكنَّهُ لمّا كانَ الكلبُ عندَهُ مما لا يأكله أحد

(١) ط ، ه « واللواطة المفرطة » : وإنما هو « اللواط المفرط » كما فى س .

(٢) ط : « تنصر » ، وتصحيحه من س ، ه .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٤) الغنث بالتحريك : ثقل الطعام على النفس ، وفى الأصل : « غثه » .

(٥) الشاعر هو سالم بن دارة كما سبق فى (١ : ٢٦٧ ، ٢ : ١٥٩) .

(٦) أى لامه الناس بأكله لحم الكلب ، وفى الأصل : « لم يأكل لحم الكلب » وهو عكس المراد .

(٧) ط ، ه : « يخاف » فى الموضعين . وأثبت ما فى س .

وَلا يُخافُ عَلَى أَكْلِهِ إلاّ المضطرُّ ، جعل بدل قوله : أمِنَ الكلبَ على أكْل لحمه ، أنَّ الله هو الذى لم يَخَفْ ذلك فيحرِّمه . وهذا ممّا لا تقف الأعرابُ عليه ، ولا تَتَبَّعَ الوهمُ مواضِعَه ؛ لأنَّ هذا بابٌ[1] يدخل فى باب الدِّين ، فيما يُعرَف بالنَّظر .

(ما قيل فى جودة لحوم الكلاب)

وقد يأكل أجْراءَ[2] الكلاب ناسٌ ، ويستطيبونها فيما يزعمون . ويقولون : إنّ جرو الكلب أسمنُ شىءٍ صغيراً ، فإذا شبَّ استحال لحمه ، كأنّه يشبّه بفرخ الحمام ما دام فرخا وناهضا ، إلى أن يستحكم ويشتدّ .

(ذكر من يأكل السنانير)

وما أكثر من يأكل السَّنانير . والذين يأكلونها صِنفان من الناس : أحدهما الفتى المغرور ، الذى يقال له أنت مسحور ، ويقال له : من أكل سِنَّوراً أسودَ بهيما لم يعمَلْ فيه السِّحر ، فيأكله لذلك . فإذا أكله لهذه العلَّة ، وقد غسل ذلِكَ وعصره ، أذهب الماءُ زُهُومَته ، ولم يكن ذلك المخدوعُ بمستقذِرٍ ما استطابه . ولعلّهُ أيضاً أن يكون عليه ضربٌ من الطّعام[3] فوق الذى هو فيه ، فإذا أكله على هذا الشّرط ، ودبّر هذا التدبير ، ولم ينكره ، عاوده . فإذا عاوده صار ذلك ضراوة له .

---

(١) ط : « فى باب » ، والوجه حذف « فى » كما فى س ، هـ .

(٢) أجراء ، بفتح الهمزة وسكون الجيم : جمع جرو ، وهو هنا ولد الكلب .

(٣) س : « من حيث الطعام » ! .

والصِّنف الآخر أصحاب الحمام ، فما أكثر ماينصِبُون المصائدَ[1] للسَّنانير ، التى يُلقُّون منها فى حمامهم[2] . وربَّما صادف غيظُ أحدهم وحَنَقَه وَغَضَبُهُ عليه ، أن [يكون] السِّنَّور مُفرِطَ السِّمن ، فيدعُ قتْله ويذبحُهُ . فإذا فعل ذلك مرَّةً أو مرتين ، صار ضراوةً عليها . وقد يتقزَّز[3] الرَّجلُ من أكل الضَّبِّ والوَرَل والأرنب ، فما هو إلاَّ أنْ يأكُله مرَّةً لبعض التَّجرِبة ، أو لبعض الحاجة ، حتى[4] صار ذلك سبباً إلى أكلها ، حتى يصير بهم الحال[5] إلى ١٥ أن يصيروا أرغبَ فيها من أهلها .

(طيب لحم الجراد)

وهاهنا قومٌ لا يأكلون الجرادَ الأعرابىَّ السمين ، ونحن لانعرف طعاماً أطيبَ منه . والأعراب إنَّما[6] يأكلون الحيَّاتِ على شبيهٍ بهذا الترتيب ولهذه العوارض .

(أكل الأفاعى والحيات)

وزعم بعضُ الأطبَّاء والفلاسفة ، أنَّ الحيَّاتِ والأفاعىَ تؤكل نِيئةً[7] ومطبوخة ، ومشويَّة ، وأنها[8] تغذو غِذاءً حسَنا .

---

(١) كذا بالأصل . والوجه : « المصايد » بلا همزة ، مثل معايش .

(٢) أى يصيبهم الشر من السنانير .

(٣) ط ، هـ : « يتقذر » وهذا الفعل لا يحتاج إلى « من » ، فيقال « تقذر الشيء » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٥) س : « تصير بهم الحال » ، والحال تذكر وتؤنث .

(٦) ساقطة من س .

(٧) ط ، هـ : « نية » ، وهى صحيحة أيضا . انظر الاستدراكات.

(٨) ط ، هـ : « فإنها » .

(رؤبة وأكله الجرذان)

وزعم أبو زيد ، أنّه دخل على رؤبةَ ، وعنده جِرذَانٌ قد شَوَاهُنّ ، فإذا هو يأكلهنّ ، فأنكر ذلك عليه ، فقال رؤبة : هُنّ خيرٌ من اليرابيعِ والضِّباب وأطيَبُ ؛ لأنها عندكم تأكُلُ الخبزَ والتمرَ وأشباهَ ذلك . وكفاك بأكل الجرذان !

ولولا هولَ الحيَّاتِ[1] فى الصُّدور من جهة السُّموم ، لكانت من جهة التقذُّر[2] أسهلَ أمرًا من الجرذان .

(أكل الذِّبان والزنابير)

وناسٌ من السُّفالة[3] يأكلون الذِّبَّان . وأهلُ خُراسانَ يُعجَبون باتّخاذ البَزْماوَردِ[4] من فِراخ الزّنابير ، ويعافون أذنابَ الجرادِ الأعرابىِّ السمين . وليسَ بين رِيح الجَرادِ إذا كانت مشويّةً وبينَ رِيح العقارِبِ مشْويّةً فرق . والطَّعْمُ تبعٌ للرائحة[5] : خبيثُها لخبيثها ، وطيِّبها لطيِّبها .

وقد زعم ناسٌ ، ممن يأكلون العقاربَ مشويَّة ونيئةً ، أنها كالجراد[6] السِّمان .

---

(١) ط : « أن الحيات » وتصحيحه من س ، هـ .

(٢) س : « التقزز » .

(٣) السفالة ، بالضم : من بلاد الزنج فى شرق إفريقية . وفى الأصل : « الصقالبة » . وهو تحريف ، صوابه ما سبق فى (٣ : ٣٢٣ س ٧) .

(٤) انظر ما أسلفت من شرح هذه الكلمة فى (٢ : ٢٤٩ التنبيه الرابع) .

(٥) س : « الرائحة » .

(٦) فى الأصل : « كالفراخ » ، وصوابه ما أثبت ، كما سيأتى واضحاً فى (٥ : ٣٥٦) حيث يقول الجاحظ « وريح العقارب إذا شويت مثل ريح الجراد . وما زلت أظن أن الطعم أبداً يتبع الرائحة ، حتى حقق ذلك عند بعض من يأكلها مشوية ونية أنه ليس بينهما وبين الجراد الأعرابى السمين فرق » .

وكان الفضلُ بنُ يحيى يوجِّه خدمَهَ فى طلب فراخِ الزَّنابير ليأكها . وفراخُها ضربٌ من الذِّبَّان .

(أكل لحوم البراذين)

فأمَّا لحوم البراذين فقد كثر علينا وفينا ، حتى أنِسْنا به . وزعم بعضهم أنَّه لم يأكلْ أطيبَ من رأس بِرْذَونٍ وسُرَّتِه . فأمَّا السُّرَّةُ والمَعْرَفة[1] فإنهم يزاحِمون بها الجدَاء والدَّجاج ؛ ويقدِّمون الأسرامَ المحشوَّة .

(أكل السراطين ونحوها)

ومِن أصحابنا مَن يأكل السَّراطين أكلاً ذريعاً . فأما الرَّقُّ[2] والكوسج[3] فهو من أعجب طعام البحريِّين . وأهل البَحر يأكلون البلبل[4] وهو اللَّحم الذى فى جوف الأصداف .

والأعرابىُّ إذا وجد أسودَ سالخاً[5] ، رأى فيه مالا يرى صاحب الكسمير فى كسميره[6] .

---

(١) المعرفة ، كرحلة : موضع العرف من الفرس .

(٢) الرق : سلحفاة المياه .

(٣) الكوسج : جنس من الأسماك الغضروفية كبير يخشى شره ، وهو فى الماء شر من الأسد فى البر ، يقطع الحيوان فى الماء بأسنانه ، كما يقطع السيف الماضى . ويسمى بالقرش فى سواحل البحر الأحمر . وكلب البحر Dogfish نوع صغير منه . وذكر الأب أنستاس فى مجلة المشرق أن القرش معرب : Karcharias اليونانية . انظر معجم المعلوف ٢٢٥ — ٢٢٦ .

(٤) ط : « الليل » ، وأثبت ما فى س ، هـ .

(٥) الأسود السالخ : ضرب من الحيات .

(٦) كذا بالأصل ، وانظر ما سيأتى فى حواشى (٦ : ٨٤) .

(أكل ديدان الجبن)

وخَبَّرنى كم شِئْتَ[1] من الناس ، أنَّه رأى أصحابَ الجبْن الرَّطبِ[2] بالأهوازِ وقراها ، يأخــذون[3] القِطعةَ الضَّخمة من الجبْن الرَّطب[4] ، وفيها ككواء الزنابير[5] ، وقد تولَّدَ فيها الدِّيدان ، فينفضها وسْطَ رَاحتِه ، ثمَّ يقمَحُها[6] فى فيهِ ، كما يقمَحُ السَّويق والسُّكَّر ، أو ماهو أطيبُ منهُ .

(ذكر بعض أنواع العذاب)

وقد خبَّر الله تعالى عن أصحاب النِّقم ، وما أنزل الله من العذاب ، وما أخذ من الشكل والمقابلات ، فقال : ﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ﴾ ، وقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ

---

(١) وردت هذه العبارة أيضاً فى ص ١٤٠ من هذا الجزء . كما ورد مثلها فى ص ٢٤ : « وقد خبرنا من لايحصى من الناس » . واستعمال « كم » فاعلا ، هو لغة رديئة حكاها ابن عصفور ، وخرج عليها هو قوله تعالى : « أو لم يهد لهم كم أهلكنا » . انظر مغنى اللبيب .

(٢) فى الأصل : « الجبن والرطب » ، وأثبت الصواب موافقاً ما سبق فى (٣ : ٣٢٣ س ٩) . والمراد به ذلك النوع المعتق من الجبن ، الذى يسميه عامة مصر : « المش » بكسر الميم . وجاء فى القاموس : « والأرنة بالضم : الجبن الرطب » . وهناك الجبن اليابس كانوا يملحونه ويجففونه . انظر تذكرة داود .

(٣) س : « يأخذ أحدهم » .

(٤) ط ، هـ : « والرطب » ، والصواب من س . وانظر التنبيه الثانى من هذه الصفحة .

(٥) الكواء ، بالكسر : جمع كوة بالفتح ، وهى الخرق فى الحائط ، أو الثقب فى البيت .

(٦) قمح السويق ونحوه ، من باب سمع : استفه .

بِأَصْحَابِ الفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا ١٦
أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴾ .

وليس من هذه الأصنافِ شيءٌ أبلغُ فى المُثْلة والشُّنْعةِ ، مِمَّن[1] جَعَلَ منهم القِرَدَةَ والخنازير .

(ما يقبل الأدب من الحيوان)

فالخنزير يكون أهليا ووحشيا ، كالحمير[2] والسَّنانير مما يعايش النَّاس . وكلها لاتقبل الآداب . وإنَّ الفُهُودَ وهى وحشيَّةٌ تقبل كلها ، كما تقبَلُ البوازِى ، والشَّواهين ، والصقورة[3] ، والزُّرَّق ، واليُؤيؤ ، والعُقَاب ، وعَنَاق الأرض[4] ، وجميعُ الجوارحِ الوحشيَّات . ثمَّ يفضلها الفهدُ بخَصْلةٍ غريبة وذلك أنَّ كبارَها ومَسانَّها أقبَلُ للآدابِ ، وإن تقادَمَتْ فى الوحْش[5] ، مِنْ أولادها الصغار ، وإن كانت تقبل الآداب ؛ لأنَّ الصغير إذ أُدِّبَ

(١) فى الأصل : « من أن » .

(٢) ويجمع الحمار أيضاً على أحمرة ، وحمر — بضمتين وبضمة — وحمور ، وحمرات ، ومحموراء . جاء فى ط : « كالحمامير » وهو تحريف ، صوابه ما أثبت من هـ ، س .

(٣) الصقر يجمع على أصقر وصقور وصقورة ، وصقار وصقارة بكسر صاديهما ، وصقر بالضم . ط ، هـ : « والصقور » . وأثبت ما فى س . والجاحظ يميل إلى هذا الجمع كما سبق فى (٣ : ١٨٢ ، ٥٣٩) .

(٤) عناق الأرض ، بفتح العين : دويبة أصغ من الفهد حسن الصورة ، لونه أحمر ، وفى أعلى كل من أذنيه شعرات سود ، يصيد كل شىء حتى الطير ، ويسمى أيضاً التفة ، وهو بالفارسية سياه كوش ، وبالإفرنجية : Caracal . وفى الأصل : « عتاق الأرض » بالتاء . صوابه ما أثبت .

(٥) فى مباهج الفكر ، نسختى الخطية : « التوحش » والعبارة تتجه بكل منهما .

فبلغ ، خرج خِبًّا مُوَاكِلا[1] ، والمسنُّ الوحشىُّ يخلُص لك كُله ، حتى يصير أصيدَ وأنفعَ . وصغارُ سباعِ الطَّير وكبارُها على خلاف ذلك ، وإن كان الجميع يقبل الأدب . والخنزيرُ وإن كان أهليًّا فإنهُ لايقبل الأدبَ على حال ، حتى كأنَّهُ ـ وإن كان بهيمةً ـ فى طباع ذئب .

وذلك أنَّ أعرابيًّا أخذَ جروَ ذئب وكان التقطه التقاطا ، فقال : أخذْتهُ وهو لا يعرف أبويَهِ ولا عملَهُما ، وهو غِرٌّ لم يصدْ شيئاً ، فهو إذا ربَّيناه وألَّفناه ، أنفعُ لنا مِن الكلب . فلمّا شبَّ عدا على شاة لهُ فقتلَها وأكل لحمها ، فقال الأعرابىُّ :

أكلْتَ شوَيهتى وَرَبيتَ فِينَا   فَمَنْ أَدْرَاكَ أنَّ أباكَ ذِيبُ[2]

فالذئب وجرو الذئب إذا كانا سبعين وَحْشِيَّيْنِ [كانا[3]] ثمَّ من أشدِّ الوحْش توحُّشا ، وألزمِها للقِفار ، وأبعَدِها من العمران .

والذِّئب أغدَر من الخنزير والخِنَّوص[4] ، وهما بهيمتان .

---

(١) الخب ، بالفتح ويكسر : الخداع الخبيث . ط : « حبيبا » ، هـ : « جبنا » ، صوابه فى س . وانظر ما سيأتى فى (٦ : ٤٧١) .

(٢) س : « فن أنباك » ومثل هذه الرواية فى (٦ : ٢٤ ، ٧ : ١٨٧ ، ٢٥٣) حيث تعاد القصة . وانظر محاضرات الراغب (١ : ١٢٢) ومثل هذه القصة عن عجوز أعرابية عند الدميرى . والشعر فيه :

بقرت شويهتى وفجعت قلبى   وأنت لشاتنا ولد ربيب
غذيت بدرها وربيت فينا   فن أنباك أن أباك ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء   فلا أدب يفيد ولا أديب

(٣) مثل هذه الزيادة ضرورى ليستقيم الكلام .

(٤) الخنوص ، كسنور : ولد الخنزير .

(ضرر الخنزير)

وأمَّا ضرره وإفساده ، فَمَا ظنّك بشيءٍ يُتَمَنَّى له الأسَد ؟ ! وذلك أن الخنازير[١] إذا كانت بقرب ضِيَاعِ قومٍ هلَكتْ تلك الضِّياع ، وفسَدتْ تلك الغَلاَّت . وربَّما طلب الخنزير[٢] بعضَ العروقِ المدفونَةِ فى الأرض فيخرِّب مائةَ جريبٍ[٣] ، ونابه ليس يغلبه مِعْول . فإذا اشتدَّ عليهم البلاء تمنَّوا أن يصير فى جَنْبتِهم[٤] أسد . ولربَّما صار فى ضياعهم الأسد فلا يَهيجونَه ، ولا يؤذونَه ، ولو ذهب إنسانٌ ليحفر له زُبيةً[٥] منعوه أشدَّ المنع ؛ إذ كان ربَّما حَمَى جانبَهم من الخنازير فقط . فما ظنّك بإفسادها ، وما ظنّك ببهيمةٍ يُتَمَنَّى أن يكون بدلها[٦] أسد ؟ ! ثمَّ مع ذلك إذا اجتمعوا للخنازير بالسِّلاح ، وبالآلاتِ والأدوات الّتى تقتل بها ، فربَّما قتل الرَّجُلَ منهم ، أو عقرَهُ العقرَ الذى لا يندمِل ؛ لأنَّه لا يضرب بنابه شيئاً إلاَّ قطعَه ، كائناً ما كان . فلو قَتلوا فى كلِّ يوم منها مائَةً وقتلتْ فى كلِّ يومٍ إنساناً واحداً ، لما كان فى ذلك عِوض .

---

(١) ط ، هـ : « الخنزير » بالإفراد . والوجه الجمع كما أثبت من س .

(٢) ط ، هـ : « الخنازير » بالجمع . والوجه الإفراد كما أثبت من س .

(٣) الجريب ، يقال فى الأرض كما هنا ، ومقداره عشرة آلاف ذراع ، أو ثلاثة آلاف وستمائة ذراع ، يختلف ذلك باختلاف البلدان . وأما جريب الطعام ، فهو أربعة أقفزة .

(٤) الجنبة ، بالفتح : الناحية . س ، هـ : « جنتهم » وليست مرادة فيما أرى . وأثبت المراد من ط .

(٥) الزبية ، بالضم : حفرة يصاد بها الأسد .

(٦) س : « مكانها » .

١٧ والخنازير تطلب العَذِرَة ، وليست كالجلاَّلة[١] ؛ لأنها تطلب أحَرَّها وأرطبَها وأنتنَها ، وأقربها عهداً بالخروج . فهى فى القرى تعرِف أوقاتَ الصُّبحِ والفجْر ، وَقبلَ[٢] ذلك وبعدَه ؛ لبُروزِ[٣] النَّاس للغائط . فيعرف من كان فى بيته نائماً فى الأسحار ومع الصُّبح ، أنَّه قد أسْحَر[٤] وأصبح ، بأصواتها ومرورِها ، ووقْعِ أرجلها فى[٥] تلك الغِيطان ، وتلك المتبرِّزات . ولذلك ضربُوا المثلَ ببكور الخنزير ، كما ضربوا المثل بحذَرِ الغراب ورَوَغان الثَّعلب .

على أنَّ الثَّعلبَ ليس بأرْوَغَ من الخنْزِير ، ولا أكَدَّ للفارس ، ولا أشدَّ إتعاباً لصاحبه .

(بعض أسباب المسخ)

فأمَّا قُبْحُ وجهِه فلو أنَّ القبح والإفلاس، والغَدْر والكذب ، تجسَّدت ثمَّ تصوَّرتْ[٦] لَمَا زادتْ على قبح الخنزير . وكلُّ ذلك بعضُ الأسباب التى مُسِخ لها الإنسان خنْزيراً .

وأنَّ القرد لَسَمِجُ الوجْه ، قبيحُ كلِّ شىء[٧] . وكفاك به أنَّه للمثل المضروب — ولكنَّهُ فى وجهٍ آخَرَ مليحٌ . فمِلْحهُ[٨] يعترض على قُبْحه

---

(١) الجلالة من الحيوان : التى تأكل الجلة والعذرة .
(٢) الواو ليست بالأصل، وأثبتها من مباهج الفكر، وفيها أيضاً : « قبيل » مكان : « قبل » .
(٣) كذا فى ط ، هـ ومباهج الفكر . وفى س : « لخروج » .
(٤) أسحر ، بالسين : صار فى السحر ، والسحر : الوقت قبيل الصبح . ط ، هـ : « أصحر » بالصاد ، ولا تليق هنا . وأثبت الصواب من س ومباهج الفكر .
(٥) فى الأصل : « إلى » ، وصوابه فى مباهج الفكر .
(٦) كذا فى ثمار القلوب ٣٢١ نقلا عن الجاحظ . ط ، هـ : « تجسم وتصور » س : « تحشد ثم تصور » ، وصوابهما ما أثبت . وانظر سائر القول .
(٧) فى ثمار القلوب : « قبيح فى كل شىء » .
(٨) الملح ، بالكسر ، بمعنى الملاحة ، يقال : ملح ملحاً وملاحة .

فيمازجُه ويُصلِح منه . والخِنزيرُ أقبح منه ؛ لأنّه ضربٌ مُصمَتٌ بهيم ، فصار أسمجَ ببعيدٍ .

(وثب الذكورة على الذكورة)

وحدّثنى بعضُ أهل العلم ، ممّن طال ثَواؤه فى أرض الجزيرة ، وكان صاحبَ أخبارٍ وتجربة ، وكان كلفاً بحبِّ التبيّن[1] ، معترضاً للأمور ، يحبُّ أنْ يُفْضِيَ إلى حقائقها ، وتثبيت أعيانها بعللها ، وتمييز[2] أجناسها ، وتعرّف مقاديرِ قواها ، وتصرُّف أعمالها ، وتنقّل حالاتها ؛ وكان يعرِفُ للعلم قَدْرَهُ ، وللبيان فضلهُ .

قال : ربّما رأيت الخنزير الذّكر وقد ألجأه أكثرُ مِن عِشرينَ خنزيرا إلى مَضِيق ، وإلى زاوية ، فينزُون عليه واحداً واحداً[3] ، حتى يبلغ آخرُهم .

وخبّرنى هذا الرّجل وغيرُه من أهل النّظر وأصحابِ الفكر ، أنّهم رأوا مثلَ ذلك من[4] الحمير . وذكروا أنّ ذلك إما تأنيثٌ فى طبعه ، وإمّا أنْ يكون له فى أعينها من الاستحسان شبيــهٌ بالذى يعترى عيونَ بعضِ الرجال فى الغلمان ، والأحداثِ الشّبّاب .

وقد يكون هــذا بين الغَرانِق والكَرَاكىّ . والتّسافُد بين الذّكر والأنثى . والسافد والمسفود إذا كانا من جميع الذكورة ، كثيرٌ فى جميع أصناف

---

(١) فى الأصل : « التبيين » ، وهو تحريف يتكرر كثيراً . وإنما هو « التبين » بمعنى التفهم والاكتناه .

(٢) فى الأصل : « وتميز » .

(٣) بدله فى مباهج الفكر ، وكذا نهاية الأرب (٩ : ٣٠٠) : « « ثم ينزو عليه الأمثل فالأمثل » .

(٤) س : « فى » .

الحيوان ، إلّا أنّه فى جميع الخنازير والحمير أفشى . وأمّا[1] تسافُد الحمام الذّكر والأنثى للذّكر[2] ، فأكثرُ من أن يكون فيه تنازع .

(معارف فى الخنزير)

وباب آخر ممّا ذكر صاحب المنطق ، فزعم أنّ من الخنازير ماله ظِلف واحد[3] ، وليس لشىء من ذوات الأنياب فى نابه من القوّة والذَّرَب ما للخنزير الذكر ، وللجملِ ، والفهد ، والكلب .

قال : والإنسان يلقى أسنانه[4] ، وكذلك الحافر والخفّ .

قال : والخنزير لايلقى أسنانَه ألبتّة .

(من لم يثغر)

١٨ ويقال : إنّ عبد الصَّمد بنَ علىٍّ[5] لم يُثغر قط[6] : وأنّه دخل قبره بأسنان الصِّبا .

---

(١) ط ، هـ : « فأما » .

(٢) كذا فى س . وفى ط ، هـ : « الذكر للأنثى والأنثى للذكر » .

(٣) يعنى ظلفا غير مشقوق كأنه الحافر . وجاء فى (٧ : ٢٤٠) : « وفى الخنازير ماليس ظلفه بمنشق » .

(٤) كذا على الصواب فى س . وفى ط ، هـ : « والإنسان لايلقى أسنانه » .

(٥) هو عبد الصمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ويكنى أبا محمد ، ولى الجزيرة لأبى جعفر المنصور ، وكان أقعد بنى هاشم فى عصره . المعارف ١٦٣ .

(٦) يقال ثغر ، بالبناء للمجهول ، وأثغر ، بالبناء للفاعل : سقطت أسنانه . وانظر العقد (٦ : ٢٣١) .

(أسنان الذئب والحية والضبع)

وزعم بعضهم أنَّ أسنان الذِّئبِ مخلوقةٌ فى الفكّ ، ممطولةٌ[1] فى نفس العظم . وذلك ممَّا توصف به أسنان الحيَّة . قال الشَّاعرُ :

مُطِلْنَ فى اللَّحْيَيْنِ مَطْلاً إلى الـــرَّأسِ وَأَشْدَاقٍ رَحِيبَاتِ[2]

والشَّاعِرُ يمدحُ الشىءَ فيشدِّدُ أمرَه ، ويقوِّى شأنهُ ، وربَّما زاد فيه ، ولعلَّ الذى قال فى الذِّئب ما قال ، هذا أراد .

ولا يشكُّون أنَّ الضبع كذلك .

(مرق لحم الحيوان)

قال : وليس يجمُدُ[3] مرق لحم الحيوان السَّمين ، مثل الخنزير والفرس ، وأمَّا ما كان كثير الثرب[4] فمرقته تجمد[5] ، مثل مرق لحم المِعْزَى .

(١) المطل : أصله السبك والطبع . ط ، هـ : « مطوطة » وصوابها من س وما سبق فى (٢ : ٢١٤ س ٢) .

(٢) سبق البيت فى (٢ : ٢١٤) ، وسيعاد فى هذا الجزء ص ١٨٠ ، ٢٨٢ .

(٣) يجمد ، بالجيم : أى يصير جامداً ، والمراد يجمد ما يكون فوقه من الإهالة ، أى الدسم . وسيأتى مثل هذا المعنى بصورة أخرى فى ص ٩٤ . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط ، س « يجمل » وفى هـ : « يحمد » . وكتب فى هامشة س : « خ يحمد خ تحمد » وكل أولئك محرف .

(٤) الثرب : شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء .

(٥) فى الأصل : « تحمل » . وانظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

(طباع الخنزير)

قال : والخنزير الذَّكر يقاتِل فى زمن الهَيْج ، فلا يدَعُ خنزيراً إلاَّ قتله ، ويدنُو من الشَّجرة ويدلكَ جلدَه ، ثمَّ يذهب إلى الطين والحمأة فيتلطخ به ، فإذا تساقط عاد فيه .

قال : وذكورة الخنازير تطرد الذُّكورة عن الإناث ، وربَّما قتل أحدُهما صاحبه وربّما هلكا جميعا ، وكذلك الثِّيرانُ والكِبَاشُ والتُّيوس فى أقاطيعها ، وهى قبل ذلك الزَّمان[1] متسالمة .

(ما يعرض لبعض الحيوان عند الهيج)

والجمل فى تلك الحالة[2] لا يدَعُ جملاً ولا إنساناً يدنُو من هَجْمَتِه[3] . والجمل خاصَّةً يكره قَربَ الفَرَس ، ويقاتله أبدا .

ومثل هذا يعرِض للذِّئبة والذِّئب . والأَسد ليس ذلك من صفاتها ؛ لأنَّ بعضَها لا يأوى إلى بعض ، بل ينفرد كلٌّ واحدٍ بلبؤته . وإذا كان للذِّئبة الأنثى جِرَاء[4] ساءت أخلاقُها وصَعُبت ، وكذلك إناث الخيل والفيل : يسوءُ خلَقها فى ذلك الزَّمان ، والفيَّالون يحمونها النَّزْو ؛ لأنها إذا نزت جهِلت جهلاً شديداً ، واعتراها هَيْجٌ لا يُقام له . وإذا كان ذلك الزَّمانُ أجادوا عَقْله ، وأرسلوه فى الفيَلة الوحشيّة . فأمَّا الخنزير والكلبُ فإنهما لا يجهلان على النَّاس ؛ لمكان الألفة .

---

(١) أى زمان الهيج .

(٢) ط ، ه : « الحالات » .

(٣) الهجمة ، بالفتح : جماعة الإبل من الأربعين إلى المائة .

(٤) جراء : جمع جرو ، وهو ولدها . س : « جرى » ، مصغر جرو .

قال : وزعم بعضُ النَّاس أنَّ إناثَ الخيلِ تمتلئُ ريحاً فى زمان هيْجها ، فلا يباعدون الذُّكورة عنها ، وإذا اعتراها ذلك ركضَتْ ركضاً شديدا ، ثمَّ لا تأخذ غرباً ولا شرقاً ، بل تأخذ فى الشَّمالِ والجنوب .

ويعرض مثل هذا العَرَضِ لإناث الخنازير . فإذا[1] كان زمَنُ هَياج الخنازير ، تطأطئُ رءوسها ، وتحرِّك أذنابهاَ تحريكاً متتابعا ، وتتغيّر أصواتُها إذا طَلبت السِّفاد . وإذا طلبت الخنزيرةُ السِّفادَ بالت بولاً متتابِعا .

(تناسل الخنازير)

قال : وإناث الخنازير تحمل أربعة أشهر . وأكثرُ ما تحمل عشرون خِنَّوصا[2] . وإذا وضعت أجراءً كثيرَةً لم تَقْوَ على رَضاعها وتربيتها .

قال : وإناث الخنازير تحمل مِنْ نزوةٍ واحدة ، وربما كان من أكثر . وإذا طلبت الذكرَ لم تبزع حتى تطاوع وتسامحَ ، وترخىَ أذنابها . فإذا فعلت ذلك[3] تكتفى بنزْوةٍ واحدة .

ويُعلَفُ الذَّكرُ الشَّعيرَ فى أوان النَّزْو ، ويصلَح للأُنثى .　　١٩

(مدد الحمل للحيوان)

والخنزيرة تضع فى أربعةِ أشهر ، والشَّاة فى خمسة ، والمرأة والبقرة فى تسعة أشهر ، والحافر كله فى سنة .

---

(١) س : « وإذا » .

(٢) الخنوص ، كسنور : ولد الخنزير .

(٣) س : « فعند ذلك » .

(خصائص الخنزير)

قال : ومتى قلعت العينَ الواحدة من الخنزير هلك . وكثيرٌ من الخنازير تبقى خمسة عشر عاما . والخنزير ينزو إذا تمّ له ثمانية أشهر ، والأنثى تريد الذكر إذا تمّت لها ستّة أشهر . وفى بعض البلدان ينزو إذا تمّ له أربعة أشهر ، والخنزيرة إذا تمّت لها ستّة أشهر ، ولكنَّ أولادهما لا تجيء كما يريدون . وأجود النَّزْو أن يكون ذلك منه وهو ابن عشرة أشهر إلى ثلاث سنين . وإذا كانت الخنزيرة[1] بكرًا ولدت جِراءً ضعافا ، وكذلك [البكر] من كل شيء .

وقالَ اللهُ تبارك وتعالى : ﴿ كُلوا مِنْ طيِّبَاتِ مَارَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لله إنْ كُنْتُمْ إيَّاهُ تَعْبدُونَ ﴾ ثمَّ ذكر [غيرَ[2]] الطيِّبات فقال : ﴿ حرِّمَت عَلَيْكمُ الميْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الخنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالمُنخَنِقَة وَالموْقوذة وَالمُترَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ، وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلَامِ ، ذَلِكُمْ فِسْقٌ[3] ﴾ .

---

(١) ط : « الخنيزرة » بالتصغير .

(٢) ليست بالأصل : وبها يصح الكلام .

(٣) الدم : أى الدم المسفوح ، وكان أهل الجاهلية يصبونه فى الأمعاء ويشوونها . وانظر ص ٩٦ . وما أهل به لغير الله : أى مارفع الصوت لغير الله به ، كقولهم : باسم اللات والعزى عند ذبحه . والموقوذة : المضروبة بنحو خشب ، أو حجر ، حتى تموت . والمتردية : التى تردت من علو أو فى بئر فاتت . والنطيحة : التى نطحتها غيرها فاتت . وما أكل السبع : أى ما أكل منه سباع الحيوان الصائد . والنصب : واحد الأنصاب ، وهى أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويتقربون بذلك . والاستقسام بالأزلام : ما كانوا يفعلونه من التياسر بالأقداح على الجزور .

ثمّ قال : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ (١) أُولٰئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ ، وقال : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ .

(استطراد لغوى)

وقوله تعالى : ﴿ طيِّبَاتِ ﴾ تحتمل وجوهاً كثيرة ، يقولون : هذا ماءٌ طيِّب ، يريدون العُذوبة . وإذا قالوا للبُرِّ والشَّعيرِ والأرز طيِّب ، فإنما يريدون أنَّه وسَطٌ ، وأنّه فوقَ الدُّون . ويقولون : فمٌ طيِّب الرِّيح ، وكذلك البُرّ ، يريدون أنّه سليم من النَّتْن ، ليس أنَّ هناك ريحاً طيبة ولا ريحاً منتنة . ويقولون : حلالٌ طيِّب ، وهذا لا يحل [لك(٢)] ، ولا يَطيب لك ، وقد طاب لك : أى حلَّ لك ، كقوله : ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ ﴾ .

---

(١) عطف على : « من لعنه الله » أى « ومن عبد الطاغوت » . وقرئ : « عابد الطاغوت » ، و « عبد الطاغوت » نعت كفطن ويقظ ، و « عبدة الطاغوت » ، و « عبد الطاغوت » جمع كخدم . والطاغوت منصوبة فى قراءة حفص ، مجرورة فى القراءات الأربع التى سردتها . والمراد به الكهنة ، أو من أطاعوه فى معصية الله .

(٢) الزيادة من هـ ، س .

(٣) س : « انكحوا » ، وهو وجه جائز فى الاستشهاد حيث يصح ترك الواو والفاء ونحوهما ، فى أول الاستشهاد ، وقد سبق مثله فى (٣ : ١٥) ، وسيأتى نظيره فى ٢٧٦ . وقد كتب إلى حضرة المحدث الكبير الأستاذ أحمد محمد شاكر ، أن الشافعى جرى على هذا النحو فى ثلاثة مواضع من « الرسالة » وهى : رقم ٦٤٣ قول الشافعى : « لقول الله : يحل لهم الطيبات » والتلاوة « ويحل » . ورقم ٩٧٤ قول الشافعى : « وقال : قاتلوا المشركين كافة » والتلاوة : « وقاتلوا » . ورقم ٩٧٥ قوله : « وقال : اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » والتلاوة : « فاقتلوا » .

قال طُوَيْسٌ المغنِّى لبعضِ[1] ولد عثمانَ بنِ عفَّان[2] : لقدْ شَهِدْتُ زِفاف أمِّك المبارَكةِ إلى أبيك الطيِّب . يريد الطَّهارَة . ولو قال : شهدت زِفاف أمِّك الطيِّبة إلى أبيك المبارك ، لم يحْسُنْ ذلك ؛ لأنَّ قولك طيِّب إنَّما يدلّ على قدر ما اتَّصلَ به من الكلام . وقد قال الشَّاعِرُ[3] :

والطيِّبون مَعاقِدَ الأُزرِ[4]

وقد يخلو الرَّجلُ بالمرأة فيقول : وجدتها طيِّبة . يريد طَيِّبة الكَوْم[5] لذيذة نفس الوطء . وإذا قالوا : فلان طيِّب الخُلُق ، فإنما يريدون الظَّرْفَ والمِلْح[6] .

وقال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ حَتَّى إذا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طيِّبَةٍ ﴾ ، يريد ريحاً ليستْ بالضعيفة ولا القويّة .

---

(١) طويس هذا ، هو الذى يقال فيه : « أشأم من طويس » وذلك أنه — كما يقولون — ولد يوم قبض الرسول ، وفطم يوم وفاة أبى بكر ، وختن يوم مقتل عمر ، وزوج يوم مصرع عثمان ، وولد له ولد يوم قتل على . وهو أول من تغنى بالمدينة غناء يدخل فى الإيقاع . وعمر حتى مات فى ولاية الوليد بن عبد الملك .

(٢) هو سعيد بن عثمان بن عفان ، وكان سأل طويساً : أينا أسن ، أنا أو أنت ياطويس ؟ فأجابه طويس بالجواب الآتى . انظر البيان (١ : ٢٦٣) . وأول الجواب فى البيان : « بأبى أنت وأمى ، لقد . . . » إلخ .

(٣) هو الخرنق بنت هفان ، من مرثية لها ترثى بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد الضبعى ، وابنها علقمة ، وأخويه حسان وشرحبيل ، ومن قتل معهم من قومهم . الخزانة (٢ : ٣٠٦ بولاق) .

(٤) صدر البيت :

* النازلين بكل معترك *

والأزر : جمع إزار ، وسكن الزاى للشعر . وهو ما ستر النصف الأسفل من الإنسان . والمعنى أنهم أعفاء . ط : « الأرز » ، صوابه فى س ، هـ .

(٥) الكوم ، بالفتح ، بمعنى الوطء .

(٦) الملح ، بالكسر ، بمعنى الملاحة .

ويقال : لا يحلُّ مال امرئٍ مسلمٍ إلّا عن طِيبِ نفْسٍ منه . وقال الله ٢٠
عزّ وجلّ : ﴿ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً ﴾
وقال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا
مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ ، وذلك إذْ[1]
كانت طيّبة الهواء والفواكه ، خصيبة .

وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ثمّ قال : ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ
وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ
مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

وفى هذا دليلٌ على أنّ التأويلَ فى امرأةِ نوحٍ وامْرأة لوط ، عليهما السلام ،
على غير ما ذهب إليه كثيرٌ من أصحاب التفسير : وذلك أنهم حينَ سمِعوا
قوله عزّ وجلّ : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ
لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا ﴾
فدلّ ذلك على أنّه لم يَعْنِ الخيانةَ فى الفرْج .

وقد يقع اسمُ الخيانة على ضروب : أوّلها المالُ ، ثمّ يشتقّ من الخيانة
فى المال الغشُّ فى النصيحةِ والمشاورةِ . وليس لأحدٍ أنْ يوجِّه الخبرَ إذا
نزل فى أزواج النبى صلّى الله عليه وسلّم وحَرَم الرُّسُل ، على أسمَجِ الوجوه ،
إذا كان للخبر مذهبٌ فى السّلامة ، أو فى القُصُور على أدنى العيوب[2] . وقد
علمْنا أنّ الخيانةَ لا تتخطّى إلى الفرج حتّى[3] تبتدئ بالمال . وقد

(١) فى الأصل : « إذا » .
(٢) القصور ، بمعنى الانتهاء . وفى الأصل : « المقصود » ، وليس لها وجه .
(٣) ط ، هـ : « وقد » .

يستقيم أن يكونا من المنافقين فيكون ذلك منهما خيانة عظيمة . ولا تكون نساؤهم زوانىَ ، فيلزمهم أسماءٌ قبيحة . وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدَ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ وقال : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالاً طَيِّباً ﴾ وقال : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ وقال : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ و : ﴿ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ وقال : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ فقوله : طيِّب ، يقع فى مواضعَ كثيرةٍ ، وقدْ فصَّلنا بعض ذلك[1] فى هذا الباب .

ثم رجع بنا القولَ إلى موضعنا من ذِكر الخنزير

ثمَّ قال : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . ٢١

ألا تراه قد ذكر أصنافَ ما حرَّم ولم يذكرْها بأكثرَ من التَّحريم ، فلمَّا ذكر الخنزير قال : ﴿ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ﴾ ؟ ! فجعل الخنزير وإن كان غير ميتة أو ذكَر الذَّابح عليه اسم الله ، أنَّه رِجسٌ[2] . ولا نعلم لهذا الوجه إلَّا الذى خصَّهُ الله به من ذكر المسخ ، فأراد تعظيمَ شأنِ العِقاب ونزولِ الغضَب ، وكان ذلك القول ليس ممَّا يضرّ الخنزير ، وفيه الزَّجر عن محارمه ، والتَّخويفُ

---

(١) ط ، ھ : « بعضها » .

(٢) ط : « رجسا » موضع : « أنه رجس » .

من مواضع عذابه . و [إنْ قِيلَ[1]] : ينبغي أن يكون مسَخَ صورة القرد ، فهلّا ذكره في التحريم مع أصناف ما حرَّم ، ثمّ خصَّهُ أيضاً أنّه من بينها رجس ، وهو يريد مذهبه وصفته ؟ قلنا : إنّ العربَ لم تكن تأكلُ القرودَ ، ولا تلتمسُ صيدَها للأكل . وكلُّ مَن تنصَّرَ من ملوك الرُّومِ والحبشةِ والصِّين ، وكلُّ مَن تمجَّس من مَلِكٍ أو سُوقة ، فإنّهُمْ كانوا يرون لِلَحْمِ الخنزير[2] فضيلة ، وأنّ لحومَها ممّـا تقوم إليهِ النفوسُ ، وتنازِع إليـه الشّهوات . وكان في طباع الناس من التكرُّه للحوم القِرَدةِ ، والتقذُّر[3] منها ما يُغني عن ذكرها . فذكر الخنزير إذْ كان بينهما هذا الفرق ، ولو ذكر ذلك وألحقَ القردَ بالخنزير لموضع التحريم ، لكان ذلك إنما كان على وجه التوكيد لمـا جعله الله تعالى في طبائعهم من التكرُّه والتقذّر ، ولا[4] غير ذلك .

وقال الله عزَّ وجَلَّ : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ[5] ﴾ .

---

(١) زيادة يقتضيها الكلام . وجواب الاعتراض في السطر الثالث .

(٢) ط ، هـ : « لحم الخنزير » وصوابه في س .

(٣) خير منه : « التقزز » .

(٤) س : « لا » بحذف الواو .

(٥) الذين هادوا : اليهود . والمراد بالظفر المخلب والحافر أيضاً . والمراد بالشحوم شحوم الثروب وشحوم الكلى . حملت ظهورهما : أي ما علق بظهورهما من الشحم . والحوايا : الأمعاء ، واحدها حاوية . والشحم الذي اختلط بالعظم هو شحم الألية . لاتصاله بالعصعص . ط بعد : « . . . عليهم شحومهما » : كلمة « الآية » . وجاءت مسرودة في س ، هـ إلى « وإنا لصادقون » .

(وجوه التحريم)

وقد أنبأك[1] كما ترى عن التّحريم أنّهُ يكون مِنْ وجوه : فمنها مايكون كالكذب والظلم والغَشم[2] والغدْر ؛ وهذه أمورٌ لا تحلُّ على وجهٍ من الوجوه. ومنها ما يحرم فى العقْل مِن ذبح الإنسانِ الطِّفلَ . وجعَلَ فى العقول التبيُّنَ[3] بِأَنّ خالق الحيوانِ أو المالكَ له ، والقادرَ على تعويضه ، يقبح[4] ذلك فى السماع على ألسنة رسله .

وهذا مِمّا يحرم بعَينِهِ وبذاتِهِ ،لَأنهُ[5] حرِّم لعلة قد يجوز دفعها . والظلم نفسُهُ هو الحرام ، ولم يحرَّم لعلة غير نفسهِ .

وباب آخر ، هو ما جاء من طريق التعبُّد ، وما يعرف بالجملة ، ويعرف بالتفسير .

ومنهُ ما يكون عقاباً ، ويكون مع أنهُ عِقابٌ امتحاناً واختباراً ، كنحو ما ذكر من قوله : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ ﴾ وكنحو أصحاب البقرة الذين قيلَ لَهُمْ : اذْبَحوا بَقَرَةً ؛ فإنِّى أريد أن أضرِبَ بها القتيل ثم أُحْيِهما جميعا . ولو اعترضوا مِن جميع البقر بقرة فذبحوها ، كانوا غير مخالفين ؛ فلمّا ذهبوا مذهب التلكّؤ والتعلّل[6] ، ثم التعرُّض ، والتعنُّت[7] فى طريق التعنّت ، صار ذلك سبب تغليظ الفرض[8] .

---

(١) كذا على الصواب فى س ، هـ . وفى ط : « أنبأناك » .

(٢) الغشم : الظلم .

(٣) فى الأصل : « التبيينَ » وانظر التنبيه ١ ص ٥١ .

(٤) س ، هـ : « أن يقبح » وكلمة « أن » مقحمة .

(٥) فى الأصل : « وأنه » ، والوجه ما أثبت .

(٦) التلكؤ : الإبطاء والاعتلال . ط ، س : « التلكى » هـ : « التلظى » صوابه ما أثبت . والتعلل : بمعنى التماس العلل . ط : « التعليل » ؛ صوابه ما أثبت من س ، هـ.

(٧) كذا . ولعلها : « التعلل » .

(٨) وذلك أنهم سألوا موسى أسئلة ثلاثة ، فكلما سألوا سؤالا زاد عليهم التكليف = .

وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ، وقال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾. ومثله : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا ﴾ ، يجوز أن يكونَ إنَّمَا يريدون صَرْف العذاب ، ويجوز أن يكون إنما يريدون تخفيف الفرائض . وقد يجوز أن يكونَ[1] على قول من قال : لا أستطيع النظرَ إلى فلانٍ ، على معنى الاستثقال[2] . ٢٢

وبابٌ آخرُ من التّحريم ، وهو قَوْله : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ[3] ﴾ .

(شعر في الخنزير)

وقال مروان بن محمد[4] :

يَمْشِي رُوَيْدًا يُرِيدُ ختلكم[5] كمشي خِنزيرةٍ إلى عَذِرَةْ[6]

= انظر الآيات ٦٧ – ٧١ من سورة البقرة . ولو أنهم أطاعوا الأمر باديءَ بدء لما عرض لهم هذا التشديد .

(١) في الأصل : « يجوز إذا » وانظر ماسبق .

(٢) في الأصل : « الاستقبال » .

(٣) إسرائيل هو يعقوب عليه السلام . وكان حرم على نفسه بعض الطعام ، كلحوم الإبل وألبانها .

(٤) هو أبو الشمقمق الذي سبقت ترجمته في (١ : ٢٢٥) .

(٥) كذا في ط . وفي س ، ه : « خلعكم » ، وصوابه « حلقتكم » كما سبق في (١ : ٢٣٩) .

(٦) ط : « غذرة » ، وتصحيحه من س ، ه .

وقال آخر [١] :

نِعْمَ جَارُ الخنزيرةِ المرضِعُ الغَرْ ثَى إذا ما غــدا ، أبُو كلثوم [٢]
طاوياً قد أصاب عند صـديق من ثريد مُلَبَّـدٍ مَأْدُوم [٣]
ثمّ أنحَى بِجَعْرِهِ حاجبَ الشَّمْ سِ فَأَلْقى كالمِغْلَفِ المهْدُوم

(جرير والحضرمي)

وقال أبو الحسن [٤] : وفد جريرٌ على هشامٍ ، فقال الحضرمى : أيُّكُمْ يشتمهُ ؟ فقالوا : ما أحدٌ يقْدِمُ عليهِ ! قال : فأنا أشتمهُ ويرضَى وَيَضْحَك ! قال : فقام إليهِ فقال : أنت جرير ؟ قال : نعم . قال : فلا قرّبَ الله دارَك ولا حيًّا مَزَارك ! يا كَلْب ! فجعل جريرٌ ينتفخ ، ثمَّ قال لهُ : رَضيتَ فى شرفك وَفضْلكَ وَعَفافك أنْ تهاجِي القردَ العاجز [٥] ؟ ! يعنى الفرزدق . فضحك.

فحدَّث صديقٌ لى أبا الصَّلع السِّندىَّ [٦] بهذا الحديث ، قال : فشِعرى أعجبُ من هذا ؛ لأنى شتمت البُخَلاء ، فشتمت نفسى بأشدَّ ممَّا شتمتهم . فقال : وَما هو ؟ قال قولى :

لا ترَى بيتَ هجاءٍ أبداً يُسْمَعُ مِنِّى
الهِجَا أرْفَعُ مِمّنْ قَدْرُهُ يصغرُ عنِّى [٧]

(١) هو الحكم بن عبدل ، كما سبق فى (١ : ٢٣٦) .
(٢) الغرثى ، بالغين : جمع غرثان ، وهو الجائع . هـ : « الفرثى » صوابه فى ط ، س والبيان (٣ : ٣١١) .
(٣) فى الجزء الأول : « من ثريد ملبق » . والمأدوم : المخلوط بالأدم بالفم ، وهو ما يخلط به الخبز .
(٤) هو أبو الحسن المدائنى الأخبارى الراوية .
(٥) ط : « الفاجر العاجز » وأثبت ما فى س ، هـ .
(٦) ذكره ابن النديم فى الشعراء المقلين ١٦٤ ليبسك ٢٢٣ مصر ، وذكره المرزبانى فى المعجم ٣١١ باسم « أبو الضلع » فى حرف الضاد المعجمة . هـ : « الهندى » .
(٧) س : « ينقص غنى » .

(طريفة)

قال أبو الحسن : كان واحدٌ يسخَر بالنَّاس ، ويدَّعى أنه يَرقِى من الضِّرس إذا ضربَ على صاحبه . فكان إذا أتاه مَن يشتكى ضِرسه قال له إذا رقاه : إيَّاك أنْ تذكر إذا صِرتَ إلى فِراشك القِردَ ؛ فإنَّك إنْ ذكرته بَطلَتِ الرُّقية ! فكان — إذا أوَى إلى فراشه — أوَّلَ شىء يخطر على باله ذِكرُ القرد ، ويبيت على حاله من ذلك الوَجَع ، فيغدو إلى الذى رقَاه فيقول له : كيف كنت البارحة ؟ فيقول : بِتُّ وَجِعًا ! فيقول : لعلَّك ذكرْت القرد ! فيقول : نعم ! فيقول : مِنْ ثَمَّ لم تنتفع بالرُّقية ! ٢٣

(شعر لبعض ظرفاء الكوفيين)

وقال بعضُ ظُرَفاءِ الكوفيِّين :

فإنْ يشْرَبْ أبو فَرُّوخَ أشْرَبْ   وإنْ كانت معتَّقَـةً عُقَارَا[1]

وإن يأكلْ أبو فـرُّوخَ آكُلْ   وإن كانت خَنانِيصاً صِغـارَا[2]

---

(١) انظر الكلام على صرف «فروخ» اللسان (فرخ) حيث أنشد البيت الثانى برواية أخرى . والعقار ، بالضم : الخمر ؛ لمعاقرتها ، أى ملازمتها الدن ، أو لعقرها شاربها عن المشى .

(٢) الخنانيص : جمع خنوص ، كسنور ، وهو ولد الخنزير . والبيتان فى عيون الأخبار (٣ : ١٦) . والثانى منهما فى اللسان (فرخ) .

(قرد يزيد بن معاوية)

وقال يزيد بن معاوية[1] :

فَمَنْ مبلِغُ القِردِ الذى سَبَقتْ به　　جيَادَ أميرِ المؤمنين أتَانُ

تَعَلَّقْ أبا قَيْس بها إنْ أطعتَنى　　فليس عليها إن هلَكْتَ ضَمَانُ[2]

(جزع بشار من شعر حماد)

وزعم الجردانى أنَّ بشَّاراً الأعمى ، لم يجزَعْ من هجاءٍ قطُّ كجزَعِهِ من بيتِ حمَّادِ عَجْرِدٍ ، حيث يقول :

ويا أقبحَ مِن قِردٍ　　إذا ما عَمِىَ القِرْدُ

(١) س : « أبو يزيد بن معاوية » ، وصوابه ما أثبت من ط ، هـ وأمالى الزجاجى ٤٦ والمخصص (١٣ : ١٧٧) . ونهاية الأرب (٩ : ٣٣٧) وفى مروج الذهب (٣ : ٧٧) أن القائل بعض شعراء الشام ، وكذا فى مباهج الفكر ١٢٢ . وللبيتين قصة طريفة فقد ذكروا أن يزيد بن معاوية كان له قرد يلعب به ، فلامه الناس على اتخاذه ، فأمر به فشد على أتان وحشية ، ثم أطلقت ، وأمر أن تطلبه الخيل ، فركض الخيل ، وتنادت الفرسان فى طلبه فنجا ولم يدرك . وأنشد يزيد البيتين الآتيين (برواية أخرى) :

تمسك أبا قيس على أرحبية　　فليس علينا إن هلكت ضمان

فقلت من الشخص الذى سبقت به　　جياد أمير المؤمنين أتان

قلت : ومعنى اللعب بالقرد هو السباق به . ويتضح ذلك من النص الآتى عن نهاية الأرب : « وفى القرد من قبول التأديب والتعليم مالاخفاء به عن أحد ؛ حتى إنه درب قرد ليزيد بن معاوية على ركوب الحمير والمسابقة عليها » .

(٢) أبو قيس : كنية القرد ، كما فى المخصص . بها : أى بالأتان .

(شعر فى الهجاء)

وقال بُشَير بن أبى جَذِيمة العَبسىّ(١) :

أتَخْطِرُ لِلأشرافِ حِذْيَمُ كبرة وهل يستعدُّ القِرْدُ للخَطَرانِ(٢)

أبى قِصرُ الأذْنابِ أن يَخطِرُوا بها ولُؤْمُ قُرودٍ وَسْطَ كلِّ مكانِ

لقد سمِنَتْ قِرْدانُكم آلَ حِذْيَمٍ وأحسابُكم فى الحىِّ غيرُ سِمانِ(٣)

الأصمعىُّ(٤) عن أبى الأشهب(٥) عن أبى السليل قال : ما أبالى أخنزيراً رأيتُ يَجُرُّ برجله(٦) ، أو مثل(٧) عبيد ينادى : يالَ فُلان !

---

(١) هو بشير ، بهيئة التصغير ، ابن أبى جذيمة بن الحكم بن مروان بن زنباع بن جذيمة العبسى ، ذكره الآمدى فى المؤتلف والمختلف ٦١ . وروى له أبو تمام الأبيات الآتية فى حماسته (٢ : ١٨٢) . وفى الأصل : « بشر بن المنذى » ، وهو تحريف غير صالح .

(٢) تخطر : من خطر البعير : ضرب بذنبه يمينا وشمالا . والكبرة ، بالكسر : العظمة ، أو التجبر . يقول لقبيل حذيم : أتحدثون أنفسكم بمباراة الأشراف ؟ ! وجعلهم قرودا لخستهم . والقرد لاذنب له يخطر به . ورواية الحماسة : « أتخطر للأشراف يا قرد حذيم .

(٣) سئل أبو الندى عن معنى هذا البيت فقال : كنى بالقردان هنا عن القمل . أى سمنت أجسامكم وعظمت ، ودقت أحسابكم ولؤمت . وأصل القردان ، بالكسر : جمع قراد بالضم ، وهو دويبة تلزم الإبل ومعاطنها . ورواه أبو تمام : « قعدانكم » جمع قعود ، وهو الذكر الشاب من الإبل . جعل قعدانهم سمينة لأنهم يؤثرونها باللبن على الضيف والجار ، فأحسابهم غير سمان . وقد رد أبو محمد الأعرابى رواية أبى تمام . التبريزى (٤ : ٩) .

(٤) ط : « وقال الأصمعى » ، صوابه ما أثبت من س ، هـ .

(٥) س : « ابن الأشهب » .

(٦) س : « برجليه » .

(٧) س : « قتيل » .

(استطراد لغوى)

الأصمعىُّ عن أبى ظبيان[1] قال · الخُوز[2] هم البُناة [3] الذين بنوا الصرح[4] واسمُهم مشتقٌّ من الخنزير . ذهب إلى اسمه بالفارسية [خوك[5]] ، فجعلت العرب خُوك[6] خُوزاً[7] . إلى هذا ذهب .

(تناسل المِسخ)

و [قد] قال النَّاسُ فى المِسْخ بأقاويلَ مختلفة : فمنهم من زعم أنّ المِسْخ لا يتناسل ولا يبقى إلاَّ بقدر ما يكون موعظةً وعِبْرة ، فقطعوا على ذلك[8] الشهادةَ . ومنهم مَن زعم أنَّه يبقَى ويتناسل ، حتى جعل الضَّبَّ والجِرِّىَّ[9] ، والأرانب ، والكلاب وغيرَ ذلك ، من أولادِ تلك الأمم التى مُسِخت فى هذه الصُّور . وكذلك قولُهم فى الحيَّات .

وقالوا فى الوزَغ : إن أباها[10] ، لمَّا صنع فى نَار إبراهيمَ وبيت المقْدِس ماصنع[11] ، أسَمَّه الله وأبرصَه ، فقيل : « سامّ أبرص » . فهذا الذى

(١) لم أعثر له على تعريف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من س . وبدلها فى ط : « الخزر » صوابه ما أثبت من ه ومن معجم البلدان . والخوز بالضم : أهل خوزستان .

(٣) البناة ، بالضم : جمع بان . وبدله فى المعجم : «الفعلة» . ط ، ه : « البنات » محرفة .

(٤) الصرح ، بالفتح : بناء عظيم قرب بابل ، يقال إنه قصر بختنصر . عن المعجم .

(٥) فى الأصل ، وهو هنا س : « هزر » وتصحيحه من معجمى استينجاس وريتشاردسن ، والمعارف لابن قتيبة ص ٢٧٠ . وانظر معجم البلدان (خوز) .

(٦) فى الأصل : « خزر » وصوابه ما أثبت . انظر التنبيه السابق .

(٧) فى الأصل : « خنزيرا » . والوجه ما كتبت .

(٨) ط ، ه : « تلك » . والشهادة معمول قطعوا .

(٩) الجرى : ضرب من السمك . زعم أصحاب الخرافة أنه كان أمة من الأمم مسخها الله انظر الحيوان (١ : ٢٩٧ س ٥) .

(١٠) س ، ه : «أباهم» . وقديستعمل ضمير العاقلين لغيرهم. وقد عقد الثعالبى فى سر العربية فصلا لذلك ، عنوانه : (فصل فى إجراء غير بنى آدم مجراهم فى الإخبار عنه) .

(١١) فى سنن ابن ماجه ، عن عائشة رضى الله عنها ، أنه كان فى بيتها رمح موضوع ، فقيل =

نرى[1] هو من ولده ، حتّى صار فى قتله الأجرُ العظيم ، ليس على أنّ الذى يقتُله كالذى يقتل الأُسْدَ والذِّئاب ، إذا خافها على المسلمين .

وقالوا فى سهيل[2] ، وفى الزُّهَرة[3] ، وفى هارُوت وماروت[4] ، وفى قيرى وعِبرى أبَوَى ذِى القرنين[5] ، وجُرْهم[6] ، ماقالوا .

= لها : ما تصنعين بهذا ؟ فقالت : أقتل به الوزغ فإن النبى صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقى فى النار لم يكن فى الأرض دابة إلا أطفأت عنه ، غير الوزغ فإنه كان ينفخ عليه النار ، فأمر صلى الله عليه وسلم بقتله . وكذا رواه الإمام أحمد فى مسنده . وكذا رووا أنه لما أحرق بيت المقدس كانت الأوزاغ تنفخه . الدميرى .

(١) س : « برى » .

(٢) سهيل ، ذاك النجم . زعموا أنه كان عشاراً باليمن . الحيوان (١ : ٢٩٧) وتأويل مختلف الحديث ١٠ . ومما يشبه هذه الخرافة مازعموا أن ذئباً دخل الجنة لأنه أكل عشاراً .

(٣) الزهرة : ذاك الكوكب . زعموا أنها كانت بغيا عرجت إلى السماء باسم الله الأعظم فسخها الله شهابا . تأويل مختلف الحديث ١٠ .

(٤) زعم العوام ، متبعين حكاية اليهود ، أنهما ماكان مثلا بشرين ، وركب فيهما الشهوة ، فتعرضا لامرأة يقال لها الزهرة ، فحملتهما على المعاصى والشرك ، ثم صعدت إلى السماء بما تعلمت منهما من السحر — انظر التنبيه السابق وتفسير البيضاوى — وقال الجاحظ فى شأنهما : « وكان الملك من الملائكة إذا عصى ربه فى السماء ، أهبطه إلى الأرض فى صورة رجل وفى طبيعته ، كما صنع بهاروت وماروت ، حين كان من شأنهما وشأن الزهرة — وهى أناهيد — ما كان » . انظر الحيوان (١ : ١٨٧ س ٤) . والمذهب القرآنى فيهما أنهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ، ابتلاء من الله للناس ، وتمييزاً بين السحر والمعجزة ، وكانا يقولان لمن يعلمانه : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » ، أى نحن نعلم للعلم لا للعمل ؛ فعلم السحر لا بأس به ، وأما العمل به فحظور ممنوع .

(٥) وكذا جاءا بالباء الموحدة فى فقه اللغة بدون اختلاف فى النسخ ، وثمار القلوب ٢٢٦ وكذا فى الجزء الأول من نسخة كوبريلى . راجع هذه الطبعة (١ : ١٨٨) وفى رسائل الجاحظ ٩٧ ساسى : « قيرى وعيرى » بالمثناة التحتية . وفى ط : « فزى وعبرى » و هـ : « فزى وعزى » و س (مرى — مهملة — وعبرى) أما أولها فزعموا أنها أم ذى القرنين ، وأنها كانت آدمية ، وأما الآخر فهو أبو ذى القرنين ، وكان من الملائكة فيما زعموا . انظر الحيوان (١ : ١٨٨) وثمار القلوب . جاء فى الأصل بعده : « وفى أبوى » . وكلمة : « فى » مقحمة كما ظهر لك . وجاء فى ط ، هـ : « ذوى القرنين » تحريف صوابه فى س .

(٦) جرهم هذا هو ابن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام ، فيما يرى نساب =

(القول فى المَسْخ)

٢٤ فأمّا القول فى نفس المَسْخ فإنّ النّاس اختلفوا فى ذلك : فأمّا الدُّهريّة فهم فى ذلك صِنفان : فمنهم مَن جَحَد المسْخَ وأقرَّ بالخسْف [1] والرِّيح والطُّوفان ، وجعل الخسْف كالزّلازل ، وزعم أنّه يُقِرُّ منَ القذْف بما كان من البَرَد الكِبَار [2] ؛ فأمّا الحجارة فإنّها لا تجىء من جهة السَّماء . وقال : لستُ أجوِّز إلّا ما اجتمعت عليهِ الأمّة أنّه قد يحدث فى العالم . فأنكر المسْخَ البتّة .

(أثر البيئة)

وقال الصِّنف الآخَر لا ننكر أنْ يفسُدَ الهواءُ فى ناحيةٍ من النواحى فيفسدَ ماؤهم [3] وتفسُدَ تُربتهم ، فيعملَ ذلك فى طباعهم [4] على الأيّام ،

= العرب . قالوا : ولما ترك إبراهيم ولده إسماعيل وأمه بمكة ، جاءت رفقة من جرهم فنزلوا شعاب مكة ، فنشأ إسماعيل مع أولادهم وتعلم الرمى ونطق بلسانهم ثم خطب إليهم فزوجوه امرأة منهم ، قال ابن إسحاق : هى بنت مضاض بن عمرو الجرهمى . والزعم الذى أشار إليه الجاحظ هو قولهم : إن بعض الملائكة عصى الله فأهبط إلى الأرض فى صورة رجل تزوج أم جرهم فولدت له جرهما . انظر الحيوان (١ : ١٨٧ س ٧) . والعرب يسمون ما تولد بين الملك والآدمى — فى زعمهم — « العلبان » بالعين . فقه اللغة ٨٢ الحلبى .

(١) يقال خسف الله به الأرض : جعلها تسوخ به . قال تعالى فى شأن قارون : « فخسفنا به وبداره الأرض » .

(٢) أى أنه يجوز عنده أن تقذف السماء على الناس برداً كبارا . فأما سقوط الحجارة من السماء للتعذيب فهو ينكره . والانتقام بمطر الحجارة جاء فى القرآن الكريم على أنه عقاب لقوم لوط : « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود » . هود ٨٢ . « فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل » . الحجر ٧٤ . « لنرسل عليهم حجارة من طين » . الذاريات ٣٣ . فى الأصل : « أنه يقرب من القذف » ، وصوابه ما أثبت .

(٣) ط ، ه : « مائهم » ، صوابه فى س .

(٤) س : « طبائعهم » .

كما عمل ذلك فى طباع الزِّنج ، وطباع الصَّقالبة[١] ، وطباع بِلَادِ يأجوج ومأجوج[٢] . وقد رأينا العَرب وكانوا أعراباً حينَ نزلوا خراسانَ ، كيف انسلخوا من جميع تلك المعانى ، وترى طباعَ بلاد الترك كيفَ تطبَعُ الإبلَ والدَّوابَّ وجميعَ ماشيتهم : من سبُعٍ وبهيمةٍ ، على طبائعهم . وترَى جرادَ البقولِ والرَّياحِين ودِيدانها خُضْراً ، وتراها[٣] فى غير الخُضرة على غير ذلك . وترى القمْلة فى رأس الشابِّ الأسودِ الشَّعر سوداء ، وتراها فى رأس الشَّيخ الأبيضِ الشَّعر بيضاء ، وتراها فى رأس الأشْمط شمطاء ، وفى لون الجملِ الأورق[٤] . فإذا كانت فى رأس الخَضِيب بالحمرةِ تراها حمراء . فإنْ نَصَلَ خضابه صار فيها شُكْلَةٌ من بين بيضٍ وحُمْرٍ[٥] .

وقد نرى حَرَّة بنى سُلَيم[٦] ، وما اشتملت عليه من إنسانٍ وسبع ، وبهيمةٍ وطائر ، وحشرة فتراها كلَّها سوداء .

---

(١) الصقالبة : جنس يسكن بين بلاد بلغار وقسطنطينية . معجم البلدان . وقد بين خصائصهم المسعودى فى التنبيه والإشراف ٢٢ .

(٢) جنس من الآسيويين ، بنى من أجلهم سد الصين الذى بناه الإسكندر ، وبين المسعودى طباعهم بأنهم فى عداد البهائم .

(٣) ط ، هـ : « أو تراها » س : « وتراها » .

(٤) الشمط محركة : بياض الرأس يخالط سواده ، ويستعمل أيضاً فى غير الرأس . وكلمة « شمطاء » والواو بعدها ليستا فى س ، هـ . وفى التنبيه والإشراف ص ٢٧ حيث تجد مثل هذا الكلام : « شهباء » . والشهبة نحو الشمط . والأورق من الإبل : ما فى لونه بياض إلى سواد . وانظر رسائل الجاحظ (٢ : ٢١٩ - ٢٢٠) .

(٥) الشكلة ، بالضم : اختلاط البياض بالحمرة . وفى الأصل : « شكله » محرف .

(٦) الحرة ، بالفتح : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار . وسليم ، هو بهيئة التصغير — ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ، وهذه الحرة فى عالية نجد . وانظر الكلام بتفصيل فيما اشتملت عليه هذه الحرة ، فى رسائل الجاحظ ٧٨ ساسى وثمار القلوب ٩٦ .

وقد خبَّرَنا من لا يُحصَى من النَّاس أنّهم قد أدركوا رجالاً من نبَط بَيسان[1] ، ولهم أذنَابٌ إلاَّ تكنْ كأذنَاب التماسيح والأسد والبقر والخيل وإلَّا كأذنَاب السّلاحف والجِرْذان ، فقد كان لهم عُجوبٌ[2] طِوالٌ كالأذنَاب .

وربّما رأينا الملاّح النَّبَطِى فى بعض الجعفريّات[3] على وجههِ شبهُ القِرْد . وربّما رأينا الرَّجلَ من المغرِب فلا نجد بينــهُ وبين المِسخ ، إلاّ القليل .

وقد يجوز أن يصادف ذلك الهواء الفاسدُ ، والماءُ الخبيث ، والتربةُ الرديَّةُ ، ناساً فى صفةِ هؤلاء المغربيِّين[4] والأنباط ، ويكونون جُهّالا ، فلا[5] يرتحلون ؛ ضَنانَةً[6] بمساكنهم وأوطانهم ، ولاينتقلون . فإذا طال ذلك عليهم زادَ فى تلك الشعور ، وفى تلك الأذناب ، وفى تلك الألوان الشُّقْر ، وفى تلك الصُّوَر المناسبةِ للقرود .

قالوا : ولم نعرفْ ، ولم يثبُتْ عندنا بالخبر الذى لايعارَض ، أنّ الموضع الذى قلب صُوَرقوم إلى صور الخنازير ، هو الموضع الذى نقل صُوَر قَوْمٍ إلى صُوَرِ القرود . وقد يجوز أن تكون هذه الصُّورُ انقلبت فى مهبِّ الريح الشمالى ، والأخرى

---

(١) بيسان ، هذه قرية من قرى الموصل . وانظر الخبر فى معجم ما استعجم ١٢٨٣ فى رسم (ميسان) بالميم .

(٢) العجوب : جمع عجب ، بالفتح ، وهو أصل الذنب .

(٣) كذا . والمعروف « الجعفر » وهو النهر الصغير ، أو الكبير ، أو الملآن ، أو فوق الجدول .

(٤) ط ، هـ : « المشوهين » . وأثبت ما فى س .

(٥) س : « ولا » .

(٦) الضنانة بالفتح : مصدر ضن يضن ، بالفتح والكسر : بخل .

في مهبِّ الجنوب[١] . ويجوز أن يكون ذلك كان في دهرٍ واحد ؛ ويجوز أن يكون بينهما دهرٌ ودهور . ٢٥

قالوا : فلسْنا ننكر المِسْخ إن كان على هذا الترتيب ؛ لأنَّه إن كان على مجرى الطَّبائع ، وماتدور به الأدوار ، فليس ذلك بناقضٍ لقولِنا ، ولا مثْبتٍ لقولكُمْ .

قال أبو إسحاق[٢] : الذى قلتم ليسَ بمُحالٍ ، ولا يُنْكَر أن يحدُثَ في العالَم برهاناتٌ ، وذلك المِسخ كان على مجرى ماأُعطُوا من سائر الأعاجيب ، والدَّلائل والآيات . ونحن إنَّما عرفنا ذلك من قِبَلهم . ولولا ذلك لكان الذى قلتمْ غيرَ ممتنِع . ولو كان ذلك المِسْخَ في هذا الموضع على ما ذكرتم ، ثمَّ خبر بذلك نبيٌّ ، أو دَعا بِهِ نبيٌّ ، لَكان ذلك أعظَمَ الحُجَّة .

فأما أبو بكر الأصمّ[٣] ، وهشام بن الحكم[٤] ، فإنَّهُما [كانا[٥]] يقولان بالقلْب ، ويقولان : إنَّه إذا جاز أنْ يقلب اللهُ خَرْدلةً من غير أن يزيد فيها جسماً وطولا[٦] [أو عرضا[٧]] جاز أن يقلب ابنَ آدمَ قِرداً من غير أن ينقص من جسمه طولا أو عرضاً[٨] .

---

(١) انظر لتوضيح هذا الكلام ما سبق في (٣ : ١٧٢ — ١٧٣) . وانظر أيضاً الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٦٩) .

(٢) هو النظام .

(٣) اسمه عبد الرحمن بن كيسان ، كان من أئمة المعتزلة ؛ ذكره عبد الجبار الهمداني في طبقات المعتزلة وقال : كان من أفصح الناس وأورعهم وأفقههم ، وله تفسير عجيب . قال ابن حجر : وهو من طبقة أبي الهذيل العلاف وأقدم منه . لسان الميزان (٣ : ٤٢٧) .

(٤) سبقت ترجمته في (٣ : ١١) .

(٥) ﻫ : « فكانا » .

(٦) س : « طولا » بحذف الواو .

(٧) الزيادة من س ، ﻫ .

(٨) كذا في ط . وفي س : « منه طولا جسما أو عرضا » ﻫ : « من جسم طولا أو عرضاً » .

وأمّا أبو إسحاق فقد كان — لولا ماصَحَّ عنده من قول الأنبياء وإجماع المسلمين على أنّه[1] قد كان ، وأنّه قد كان حُجّةً وبرهاناً فى وقته — لكان لا ينكر مذهبهم فى هذا الموضع .

وقوله هذا قولُ جميعِ من قال بالطّبائع ولم يذهَبْ مذهب جهمٍ[2] ، وحفص الفَرْدِ[3] .

وقال ابن العنسىّ[4] يذكر القرد :

فهَلاَّ غَدَاةَ الرَّمْلِ يَا قِرْدَ حِذْيَمٍ تُؤَامِرُهَا فى نَفْسِها تَسْتَشِيرُها

(القول فى تحريم الخنزير)

قال : وسأل سائلون[5] فى تحريم الخنزير عن مسألةٍ ؛ فنهم من أراد الطّعن ، ومنهم من أراد الاستفهام ، ومنهم مَنْ أحبَّ أن يعرف ذلك من جهة الفُتيا ؛ إذ[6] كان قولُه خلافَ قولنا .

قالوا : إنّما قال الله : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ فذكر اللّحمَ دونَ الشّحم ، ودونَ الرّأس ، ودونَ المخّ ، ودونَ العصَب ،

---

(١) أى القلب والمسخ .

(٢) هو جهم بن صفوان السمرقندى ، رأس الجهمية . وكان يتولى القضاء فى عسكر الحارث بن شريح ، الخارج على أمراء خراسان : فقبض عليه نصر بن سيار فقتله .

(٣) الفرد ، بفتح الفاء ، لقب له . وفى الأصل : « القردى » ، وفى لسان الميزان ٢ : ٣٣٠ وكذا الفرق بين الفرق ٢٠٢ : « القرد » وصوابه ما أثبت من القاموس وفهرست ابن النديم فى غير ماموضع . قال ابن النديم : « من المجبرة ومن أكابرهم . . . وكان من أهل مصر ثم قدم البصرة ، فسمع بأبى الهذيل واجتمع معه فناظره ، فقطعه أبو الهذيل » .

(٤) كذا فى س . وفى ط ، ه : « ابن العيسى » بالياء بعد العين .

(٥) فى الأصل : « سائل » والوجه الجمع ، كما يتطلب التفريع الآتى .

(٦) فى الأصل : « إذا » .

ودون سائرِ أجزائه ؛ ولم يذكره كما ذكر المَيْتة بأسرها ، وكذلك[1] الدَّم ؛ لأنَّ القول وقع على جملتهما ، فاشتمل على جميع خصالها بلفظٍ واحد ، وهو العموم . وليس ذلك فى الخنزير ؛ لأنّه ذكر اللّحم من بين جميع أجزائه وليس بين ذِكْر اللَّحْم والعظْم فرق ، ولا بينَ اللَّحْمِ والشَّحم فرق . وقد كان ينبغى فى قياسكُمْ هذا لو قال : حرِّمت عَلَيكُمُ الميتَة والدَّم وشَحْم الخنزير ، أن تحرِّموا الشحم ، وإنَّما ذكر[2] اللّحم ، فلِمَ حرّمتم الشحم ؛ وما بالُكمْ تحرِّمونَ الشَّحم عند ذكْر غيرِ الشّحم ! فهلاّ حرَّمتم اللّحم بالكتاب ، وحرّمتم ما سِواه بالخبر الذى لا يُدْفَع ! ؟ فإن بقيَتْ خصلةٌ أو خَصلتانِ ممَّا لم تُصيبوا ذِكْره فى كتابٍ منزَّل ، وفى أثرٍ لا يدفع ، رددتموه إلى جهة العقل . ٢٦

قلنا : إنّ للنّاس عاداتٍ ، وكلاماً[3] يعرِّف كلَّ شىءٍ بموضعه ، وإنما ذلك على قدر استعمالهم له وانتفاعهم به .

وقد يقول الرجل لوكيله اشتر لى بهذا الدِّينارِ لحماً ، أو بهذه الدراهم ، فيأتيهِ باللّحم فيهِ الشّحم والعظْم ، والعِرق والعصب والغُضروف ، والفؤاد والطِّحال ، والرِّئة ، وببعض أسقاط الشاة وحشو البطن . والرأس لحمٌ ، والسَّمك أيضاً لحم . وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى سَخَّرَ لَكمُ الْبَحْرَ لِتَأْكُلوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها ﴾ . فَإِنْ كانَ الرَّسول ذهب إلى المستعمَل من ذلك ، وترَكَ بَعضَ مايقع عليهِ اسمُ لحم فقد أخذتما عليه صاحبه. فإذا قال حرمت عليكم لحما فكأنه قال: لحم الشّاةوالبقرة

(١) فى الأصل : « فكذلك » .
(٢) س : « حرم » .
(٣) ط : « وكل ما » هو : « وكلاما ما » ، وأثبت الصواب من س .

والجزور . ولو أنّ رجُلاً قال : أكلت لحما – وإنما أكل رأساً أوكبداً أو سمكاً – لم يكنْ كاذباً . وللنّاس أن يضعُوا كلامَهم حيثُ أحبُّوا ، إذا كان لهم مجازٌ ؛ إلاّ فى المعامَلات .

فإنْ قُلت : فما تقول فى الجِلد ؟ فلَيس للخنزير جلد ، كما أنّه ليس للإنسان جلدٌ إلاّ بقطع ما ظهر لك منه بما تحتَه ، وإنّما الجلْد ما يُسْلَخُ ويُدْحَس[1] فيتبرأ ممّا كان بِه مُلتزقا[2] ولم يكن مُلتحما ، كفرق ما بين جلد الحوْصَلة والعِرْقين[3] .

فإنْ سألتَ عن الشَّعر ، وعن جلد المُنخَنِقة والمَوقُوذةِ والمتردِّيَة والنَّطِيحة وما أكل السَّبُع[4] ، فإنّى أزعم أنّ جلدهُ لا يُدْبَغ وَلاَ يَنْتَفِعُ بِه إلاّ الأساكفة ، والقول فى ذلك أنّه كلَّهُ محرّم . وإنما ذلك كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ ﴾ ، وكقَوْله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إنّى فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَدًا إلاّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ ﴾ .

والعربُ تقُول للرَّجُل الصانع نجّاراً ، وإن كان لايعمل بالمِنْقَبِ والمنشار ونحوه ولاَ يضرب بالمضلع ونحو ذلك . وتسمِّيه خبّازا إذاكان يطبخ ويعجن . وتسمِّى العِيرَ لطيمة[5] ، وإن لم يكن فيها ما يحمل العِطْر إلاّ واحد . وتقول : هذه ظُعُنُ فلاَنٍ ؛ للهوادج إذا كانت فيها امرأةٌ واحدة . ويقال : هؤلاء بنو فلان ؛ وإن كانت نساؤهم أكثرَ من الرجال .

---

(١) دحس الرجل الشاة : أدخل يده بين جلدها وصفاقها للسلخ .

(٢) ه : « ملتصقا » ، وهما سيان .

(٣) ه : « والمرفين » ، محرف .

(٤) سبق تفسير هذه الكلمات فى ص٥٦ .

(٥) العير ، بالكسر : القافلة . أو الإبل تحمل الميرة ، لا واحد لها من لفظها : واللطيمة : العير تحمل المسك والعطر .

فلما كان اللحم هو العمود الذى إليه يُقْصَد ، وصار فى أعظم الأجزاء قَدْرًا ، دَخَل سائرُ تلك الأجزاءِ فى اسمه . ولو كان الشَّحمُ معتزلاً من اللَّحم ومفْرَدًا فى جميع الشِّحام ، كشحوم الكلى[1] والثُّروب ، لم يجزْ ذلك . وإذا تكلمتَ على المفردات لم يكن المخُّ لحما ، ولا الدِّماغ ، ولا العظم ، ولا الشَّحم ، ولا الغضروف ، ولا الكروش ، ولا مَا أشبه ذلك . فلما قال : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾ ، وكانت هذه الأشياء المشبَّهة باللَّحم تدخل فى باب العموم فى اسم اللحم ، كان القَوْلَ واقعًا على الجميع . ٢٧

وقال الشاعر :

مَنْ يَأْتِنَا صُبحاً يُرِيدُ غَدَاءَنَا ... فالهَامُ مُنْضَجَةٌ لَدَى الشَّحَّامِ[2]

لحمٌ نَضِيجٌ لَا يُعَنَّى طابخا ... يُؤْتَى به مِنْ قَبْلِ كلِّ طعامِ[3]

(مسألة الهدهد)

وإذْ قد ذكرْنا بَعض الكلامِ ، والمسائلَ فى بعْض الكلام ، فسنذكر شأْنَ الهدهُد والمسأَلة فى ذلك. قال الله عزَ وجَلَّ : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ . لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ[4] ﴾ ، ثم قال : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ يعنى الهدهُد . فقال لسليمان المتوعد له بالذَّبح عقوبة له ــ والعقوبة لا تكون

---

(١) فى الأصل : « الكلا » وصواب كتابتها بالياء ، وهى جمع كلية ، بالضم .

(٢) الغداء ، بفتح الغين بعدها دال مهملة : طعام الغدوة ، بالضم ، وهى أول النهار . والهام : الرءوس ، واحدها هامة . والشحام : مطعم الشحم .

(٣) لا يعنى ، بالنون ، من العناء . وفى ه ، س : « لا يعيى » بالياء .

(٤) فى الأصل : « أولا يأتينى » .

إلاّ على المعصية لبشرىٍّ آدمىّ لم تكن عقوبته الذَّبح ، فدلّ ذلك على أنّ المعصية إنما كانت له ، ولا تكون المعصيةُ لله إلاّ ممّن يعرف الله ، أو ممّن كان يمكنه أن يعرفَ الله تعالى فَتركَ ما يجبُ عليه من المعرفة — وفى قولِه لسليمان : ﴿ أَحَطْتَ بِمَا لَمْ تحطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ . إِنِّى وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ . ثمّ قال بعد أنْ عرفَ فصْل[1] ما بين الملوك والسُّوقة ، وما بين النِّساء والرجال ، وعرف عِظم[2] عرشِها ، وكثرةَ ما أوتيت[3] فى ملكها ، قال : ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾، فعَرَف[4] السُّجود للشمس وأنكرَ المعاصى . ثمّ قال : ﴿ أَلاَّ يَسْجدُوا لِلهِ الَّذِى يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ[5] ﴾ ، ويتعجَّب من سجودهم لغير الله . ثمَّ علمَ أنَّ الله يعلم غيبَ السَّموات والأرض ، ويَعلم السِّرَّ والعلانية . ثمَّ قال : ﴿ اللهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾، وهذا يدلُّ على أنَّهُ أعلمُ مِن ناسٍ كثيرٍ من المميِّزين المستدلِّين الناظرين .

قال سليمان : ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ثمَّ قال : ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِى هٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ . قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّى أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ . إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ

(١) فى الأصل : « فضل » بالضاد المعجمة ، وإنما هو بالصاد المهملة ، بمعنى الفرق .
(٢) فى ط : « عظيم » . والوجه ما أثبت من هـ ، س .
(٣) س : « أعطيت » .
(٤) أى الهدهد .
(٥) قرأ حفص وعلى و الكسائى بالتاء الفوقية على الخطاب ، والباقون بالتحتية على الغيبة غيث النفع ٢٤٥ وابن القاصح ٣٠١ .

وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِي[١] بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ وذلك أنها قالت : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ . وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ ، [ثم[٢]] قال سليمان للهدهد : ﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [و] قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ . فطعن في جميع ذلك طاعنون ، فقال بعضهم : قد ثبتَ أنَّ الهدهد يحتمل العقاب والعتاب ، والتّكليف والثّواب ، والوَلاية[٣] ، ودخولَ الجنّة بالطّاعة ، ودخولَ النّار بالمعصية ؛ لأنَّ المعرفةَ تُوجِب الأمرَ والنّهيَ ، والأمرَ والنّهيَ يوجبان الطاعةَ والمعصية ، والطاعةَ والمعصيةَ يوجبان الوَلاية والعَداوة ، فينبغي للهداهد أنْ يكون فيها العدوُّ والوليُّ ، والكافر والمسلم ، والزِّنديق والدَّهريّ[٤] . وإذا

٢٨

---

(١) قرأ نافع والبصري بإثبات ياء بعد النون الثانية وصلا لا وقفا ، والمكي وحمزة بإثباتها وصلا ووقفا ؛ إلا أن حمزة يدغم النون الأولى في الثانية . والباقون بحذفها وصلا ووقفا . غيث النفع ٢٤٥ .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) الولاية ، بالفتح وتكسر : مقابل العداوة .

(٤) الدهري ، بفتح الدال : الذي يقول بقدم الدهر ، ولا يؤمن بالبعث . وهناك الدهري =

كان حُكمُ الجنس حُكما واحداً لزم[1] الجميعَ ذلك . وإن كان الهدهدُ لا يبلغ عندَ جميع الناس فى المعرفة مبلغَ الذرّة ، والنملة ، والقملة ، والفيل ، والقرد ، والخنزير ، والحمام — وجميع هذه الأممِ ، تُقَدِّمُهَا عليه فى المعرفة — فينبغى أن تكونَ هذه الأصنافُ المتقدِّمَةَ عليه ، فى عقول هذه الأمّة والأنبياء.

وقد رأينا العلماء يتعجَّبون من خُرافات العَرَب والأعراب فى الجاهليَّة ومن قولهم فى الدِّيك والغراب[2] ، ويتعجَّبون من الرِّواية فى طوق الحمام ؛ فإنّ الحمام كان رائِدَ نوح على نبينا وعليه السلام[3] .

وهذا القول الذى تؤمنون به فى الهدهد ، من هذا النوع[4] .

قلنا : إنّ الله تعالى لم يقل : وتَفَقَّدَ الطّير فقال ما لى لا أرى هدهدًا من عُرْض الهداهد[5] ، فلم يوقع قولَه على الهداهد جُملة ، ولا على واحدٍ منها غير مقصودٍ إليه ، ولم يذهب إلى الجنس عامَّة ، ولكِنَّهُ قالَ : ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ فأدخلَ فى الاسم الألفَ واللام ، فجعله معرفة فدلَّ بذلك القصدعلى أنّه ذلك الهدهدُ بعينه . وكذلك غرابُ[6] نوح ، [وكذلك] حمارُ عُزَير ، وكذلك ذِئب أُهبانَ بنِ أوس[7] ؛ فقد كانَ لِلهِ فيه وفيها تدبيرٌ ، وليجعَل ذلك آيةً لأنبيائه ، وبرهاناً لرسله .

= بضم الدال ، وهو الرجل المسن منسوب إلى الدهر أيضاً ، فخالفوا بينهما ، رفعا للالتباس . شرح الشافية ٨٩ . وفى القاموس : « الدهرى ويضم : القائل ببقاء الدهر » .

(١) ط : « ألزم » .

(٢) انظر ص ٣١٨ من الجزء الثانى ، و ص ٤١٠ من الجزء الثالث .

(٣) انظر ص ٣٢١ من الجزء الثانى .

(٤) س : « الشكل » .

(٥) من عرض الطير : بضم العين ، أى من عامة الطير .

(٦) ط ، ھ : « وكان كغراب نوح » . وانظر لغراب نوح ص ٣٢١ من الجزء الثانى .

(٧) انظر ما أسلفت من الكلام فى (٣ : ٥١٣) .

ولا يستطيع أعقلُ الناس أن يعملَ عمل أجرإ النَّاس ، كما لا يستطيع أجرأُ النَّاس أن يعملَ أعمالَ أعقلِ الناس . فبأعمال المجانين والعُقلاء عرَفنا مقدارهما من صحّة أذهانهما وفسادها[١] ، وباختلاف أعمالِ الأطفالِ والكهول عرفْنا مقدارَهما في الضعْف[٢] والقوَّة ، وفي الجهل والمعرفة . وبمثل ذلك فصَلنا[٣] بين الجماد والحيوان ، والعَالِمِ وأعلمَ منه ، والجاهلِ وأجْهلَ منهُ[٤] .

٢٩ ولو كان عند السِّباعِ والبهائمِ ما عند الحكماء والأدباء ، والوزَراء والخلَفاء والأمَمِ[٥] والأنبياء ، لأثمرت تلك العقول ، باضطرار ، إثمارَ تلك العقول . وهذا بابٌ لا يخطئ فيه إلاَّ المـانِيَّةُ[٦] وأصحابُ الجهالات فقط . فأمَّا عوامُّ

(١) في الأصل : « وفسادهما » . والضمير عائد إلى الأذهان . وفي س : « عرفنا ماغاب من صحة أذهانهم » .

(٢) ط ، هـ : « في الضعيف » ووجهه ما أثبت من س .

(٣) فصلنا ، بالصاد المهملة ، بمعنى ميزنا . وفي الأصل : « فضلنا » بالضاد المعجمة ، محرف .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٥) الأمم : جمع أمة بالضم ، والأمة : الإمام ، ومنه قول الله : «إن إبراهيم كان أمة» في تفسير أبي عبيدة . س : «والأمة» ، وهذه محرفة عن « الأئمة » .

(٦) المـانية : أتباع مانى ، متنبئ زعم أنه الفارقليط الذى بشر به عيسى عليه السلام واستخرج مذهبه من المجوسية والنصرانية ، وكان يقول : إن مبدأ العالم من كونين أحدهما نور والآخر ظلمة ، وأنهما في صراع مستمر لا ينتهى إلا بانتهاء الدنيا . وفرض على أتباعه صلوات معينة وصوما رسمه لهم . وقتل مانى في مملكة بهرام بن سابور ، وأتباعه يزعمون أنه ارتفع إلى جنان النور . وكان ملوك الفرس يطاردون أتباعه ، فلما انتشر أمر الفرس وقوى أمر العرب ، وجدوا لديهم سعة صدر ، فنزحوا إليهم في أيام بنى أمية ؛ فإن خالد بن عبد الله القسرى كان يعنى بهم ، وكان يرمى بالزندقة . حتى كانت أيام المقتدر فانهم جلوا إلى خراسان . انظر ابن النديم ٤٥٦ - ٤٧٤ . وقد جعل ابن النديم النسبة إليه (منانى) وهى نسبة شاذة ، و (مانوى) وهى نسبة جائزة . ومثل الأولى في الشذوذ : « حرنانى » نسبة إلى مدينة حران . و « عنانى » نسبة إلى عانى من اليهود . وانظر مفاتيح العلوم ٢٥ .

الأمم ، فضلا عن خواصهم ، فهم يعلمون مِن ذلك مثلَ مانعلم . وإنّما يُتفاضَل بالبيان والحِفظ ، وبنسق المحفوظ[١] . فأمَّا المعرفة فنحن فيها ســواء . ولم نعرف العقلَ وعدمه ونقصانه ، وإفادته ، وأقدارَ معارفِ الحيوان إلاَّ بِمَا يظهر منها[٢] . وبتلك الأدلَّة عرفنا فرقَ مابين الحيِّ والميت ، وبين الجماد والحيوان .

فإن قال الخصم : مانعرف كلامَ الذِّئب ، ولا معرفة الغُراب ، ولاعلم الهدهد . قلنا : نحن ناسٌ نؤمن بأَنَّ عيسى عليه السلام خَلِق من غير ذكرٍ وإنّما خُلِق من أُنثى ؛ وأنَّ آدمَ وَحَوَّاء خُلقا من غير ذكرٍ وأنثى ، وأنَّ عيسى تكلَّم فى المهد ، وأنَّ يحيى بن زكريَّا نطق بالحكمةِ فى الصِّبا ، وأنَّ عقيماً أَلقحَ ، وأنَّ عاقرًا ولدت[٣] ؛ وبأشياء كثيرةٍ خرجت خارجيةً من نَسَقِ العادة[٤] . فالسَّبب الذى به عرَفنا أنّه قد كان لذلك الهدهد مقدارٌ من المعرفة ، دونَ ماتوهَّمتم وفوق مامع الهدهد . ومتى سألتمونا عن الحجَّة فالسبيل واحدة . ونحن نقرُّ بأَنَّ مَن دخــل الجَنة من المجانين والأطفال يدخلون عقلاءَ كاملين ، من غير تجارِبَ وتمرينٍ وترتيب . فسألتكُمْ عما ألهم الهدهد ، هى المسألة عمَّا أُلهم الطفل فى الجنة .

---

(١) كذا فى هـ . وفى ط ، س : « المحفوظة » .

(٢) أى من المعرفة . وفى الأصل : « وأقدار معارف أسباب الحيوان وما يظهر منها » .

(٣) إشارة إلى زكرياء عليه السلام وزوجه ، فإنه كان كبيراً حين ولد له يحيى ، وكانت امرأته عاقراً : « قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر » . وإلى إبراهيم عليه السلام وزوجه أيضاً : « قالت ياويلتى ءألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا » .

(٤) كذا فى س . وفى ط : « وبأشياء كثيرة خارجة عن نسق العادة » و هـ : « وبأشياء كثيرة خارجة من . . » الخ .

فإن قال قائل : فإنْ [كانَ(١)] ذلك القولُ كلُّه ، الذى كان من الهدهد ، إنما كان على الإلهام والتّسْخير ، ولم يكن ذلك عن معرفةٍ منه ، فلم قال ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ ؟ قلنا : فإنه قد يتوعّد الرَّجُلُ ابنَه ـ وَهو بَعْدُ لم يَجرِ عَلَيْهِ الأحكامُ ـ بالضَّرب الوجيع ، إن هو لم يأْتِ السُّوق أو يحفظْ سورَةَ كَذَا وَكَذا ؛ فلا يعنِّفُهُ أحدٌ على ذلك الوعيد . ويكذبُ فيضربه على الكذب . ويضرب صبيًّا فيضربه لأَنه ضربه . وهو فى ذلك قد حَسُنَ خطّه ، وجاد حسابُه ، وشدَا من النَّحو [والعروض(٢)] والفرائض(٣) شدْوًا حسنا ، ونفع أهلَه ، وتَعلم أعمالاً ، وتكَلَّم بكلام ، [و(٤)] أجاب فى الفتيا بكلامٍ فَوْقَ معانى الهدهد فى اللّطافة وَالغموض . وَهُوَ فى ذلك لم يكمل لاحتمال الفرض(٥) وَالْوِلاية وَالعَدَاوَة .

فإن قال : فهل يجوز لأحدٍ أن يقول لابنهِ : إنْ أنت لم تأتِ السُّوق ذبحتك ؛ وهُوَ جادّ ؟ قُلنا : لا يجوز ذلك . وَإِنَّما جاز ذلك فى الهدهد لأن سليمان ـ وَمَنْ هو دونَ سليمان من جميع العالم ـ له أن يذبح الهدهدَ والحمامَ والدِّيك ، والعَناق(٦) والجدْى . والذَّبحُ سبيلٌ من سُبُل مناياهم . فلو ذبحهُ سليمانُ لم يكن فى ذلك إلاَّ بقدر التَّقديم والتأخير ، وإلاَّ بقدْر صَرفِ(٧) مابين أن يموت حتْفَ أنفِهِ ، أو يموتَ بالذَّبح . ولَعَلَّ صَرْفَ مابينهما ٣٠

---

(١) ليست بالأصل . وبها يستقيم الكلام .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من هـ . وفى ط : « العرائض » ، صوابه فى س .

(٤) ليست بالأصل . وهى ضرورية .

(٥) ط : « الفرص » ، صوابه فى س ، هـ .

(٦) العناق ، كسحاب : الأنثى من ولد المعز .

(٧) الصرف : الزيادة . ط ، هـ : « ضرب » ، صوابه فى س .

لايكون إلاَّ بمقـدار ألم عِشرين دِرَّة[١] . ولعـلَّ نتْف جناحِه يَفِى بذلك الضرب . وإذا قلنا ذلك فقد أعطينا ذلك الهـدهدَ بعينه حقَّ ما دلَّت عليه الآية ، ولم نجزْ ذلك فى جميع الهداهد ، ولم نَكُنْ[٢] كَمَنْ ينكر قدرة الله على أن يُرَكِّبَ[٣] عصفورًا من العصافـير ضربًا من التّراكيب يكون أدهى من قيس بن زهير[٤] . ولو كان الله تعالى قد فعـل ذلك بالعصافير لظهرت كذلك دلائل .

على أنّا لو تأوّلنا الذَّبحَ على مثالِ تأويلِ قولنا فى ذَبْح إبراهيم إسماعيلَ[٥] عليهما السلام — وإنما كان ذلك ذبحاً فى المعنى لغيره[٦] — أو على معنى قول

---

(١) أى عشرين ضربة بالدرة . والدرة ، بالكسر : السوط ، ويغلب استعمالها فى سياط السلاطين . وكلمة « إلا » ساقطة من س .

(٢) فى الأصل : « ولم يجز ذلك فى جميع الهداهد ولم يكن » .

(٣) ط ، ھ : « تركب » ، ولا تصح إلا بتقديم « على » على كلمة : « قدرة » وصوابها من س .

(٤) الدهاء : جودة الرأى وكمال العقل . وقيس بن زهير هو سيد عبس ، وكان له ضلع كبيرة فى حرب داحس والغبراء ، وهو صاحب داحس . ذكروا من دهائه أنه مر ببلاد غطفان ، فرأى ثروة وعديدا ، فكره ذلك ، فقال له الربيع بن زياد العبسى : إنه يسوءك ما يسر الناس ! فقال : ياابن أخى ، إنك لاتدرى . إن مع الثروة والنعمة التحاسد والتباغض والتخاذل ، وإن مع القلة التعاضد والتوازر والتناصر . وكان يقول : « أربعة لايطاقون : عبد ملك ، ونذل شبع ، وأمة ورثت ، وقبيحة تزوجت ! » . انظر أمثال الميدانى (١ : ٢٥٠) . وحرب داحس والغبراء ، الأغانى (٧ : ١٤٣ ، ١٦ : ٢٣) والعقد (٣ : ٣١٣) والـكامل لابن الأثير (١ : ٣٤٣) والميدانى (١ : ٣٥٩ ، ٢ : ٥١) . ھ : « أدى » وهو تحريف .

(٥) س : « إسحاق » . وقد اختلف المؤرخون المسلمون ، وكذلك أصحاب التفاسير فى الذبيح منهما ، والأعرف عندهم أنه « إسماعيل » بأدلة سردها البيضاوى فى تفسيره . انظر سورة الصافات ، وليس فى القرآن الكريم نص على أحد منهما . وفى سفر التكوين ، الأصحاح الثانى والعشرين ، ماينص صراحة على أن الذبيح إسحاق . وإلى هذا الرأى مال معظم الصحابة . انظر المعارف ١٧ وآكام المرجان ٢٠٩ وابن سلام ١٥٨ .

(٦) وهو الـكبش ، فإن إسماعيل ، أو إسحاق ، لم يذبح ، وإنما هم أبوه بذبحه ، ووقع الذبح فعلا على الـكبش . س : « ذبحا فى العين » ، صوابه فى ط ، ھ .

القائل : أمّا أنا فقد ذبحتــه وضربت عنقَه ، ولـكن السيف خاننى . أو على قولهم : المِسْك الذّبيـح[1] ، أو على قولهم : فجئت وقدْ ذَبَحَنِي العطش — لـكان ذلك مجازًا .

ولو أنّ صَبِيًّا مِن صبياننا سُئل ، قبل أن يبلُغَ فرضَ البلوغ بساعة ، [وكان[2]] رأى مَلِـكة سبإ[3] فى جميـع حالاتها ، لما كان بعيدًا ولا ممتنعا أن يقولَ : رأيتُ امرأةً مَلِكَة ، ورأيتها تسجُد للشّمس من دون الله ، ورأيتُها تُطِيعُ الشّيطانَ وتَعْصِى الرّحمن . ولا سيما إنْ كانَ من صبيان الخلَفاء والوُزراء ، أو مِنْ صبيان الأعراب .

والدّليل على أنّ ذلك الهدهدَ كان مسخّرا وميَسّرًا ، مُضِيُّه إلى اليمن ، ورجوعُه من ساعته .

ولم يكن من الطّير القواطعِ فرجع إلى وكره . والدّليل على ذلك أنّ سليمان عليه السلام لم يقل : نعم قد رأيت كلّ ما ذكرتَ ، وأنت لم تعلم حين مضَيت بطّالاً هاربا من العمل ، أتُـكْدِى أم تنجح ، أو ترى أعجــوبةً أو لا تراها . ولـكنَّهُ توعّدهُ على ظاهر الرّأى ، ونافره القول ؛ ليُظهِرَ الآيةَ والأعجوبة .

(طعن الدهرية فى ملك سليمان)

ثمّ طعَن فى مُلك سُليمانَ ومَلِـكةِ سبإ ، ناسٌ من الدُّهريّة ، وقالُوا[4] : زعمتم أنّ سُليمان سأل ربّه [فقال] : ﴿رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾

---

(١) أى الذى شقت فأرته . وفأرة المسك : نافجته ، أى وعاؤه .

(٢) ليست بالأصل ، وبها يصلح الـكلام .

(٣) ليست فى س . وبدلها فى هـ : « سبياً » ، محرفة عما أثبت من ط .

(٤) فى الأصل : « وقال » .

وأنَّ الله تعالى أعطاه ذلك ، فلَّكه على الجنِّ فضلاً عن الإنْس ، وعلَّمه منطِق الطَّير ، وسخَّر له الرِّيح ، فكانت الجنُّ له خَوَلاً ، والرِّياحُ له مسخرة ثمَّ زعمتم — وهو إمّا بالشَّام وإمَّا بسَوَادِ العِراق — أنَّه لا يعرف باليمن مَلِكَةً هذه صفتُها . وملوكُنا اليومَ دونَ سليمانَ فى القدْرة ، لا يخفى عليهم صاحب الخزَر ، ولا صاحبُ الروم ، ولاصاحبُ الترك ، ولاصاحب النُّوبة . وكيف يجهل سليمانُ موضِعَ هذه المِلِكة ، مع قرْبِ دارِها واتِّصَالِ بلادها ! وليس دونَها بحارٌ ولا أوعارٌ ؛ والطريق نهجٌ للخُفِّ والحافر والقدَم[1] . فكيف ٣١ والجنُّ والإنسُ طوعُ يمينه . ولو كان ، حين خبَّره الهدهدُ بمكانها ، أضربَ عنها صفحًا ، لكان لقائلٍ أن يقول : ما أتاه الهدهدُ إلَّا بأمرٍ يعرفه . فهذا وما أشبهَهُ دليلٌ على فساد أخبارِكم .

قُلنا : إنَّ الدُّنيا إذا خلاَّها الله وتدبيرَ أهلها ، ومجارىَ أمورِها وعاداتها كان لعمرى كما تقولون . ونحن نزعمُ أنَّ يَعْقوبَ بنَ إسحاق بنِ إبراهيمَ كانَ أنبهَ أهْلِ زمانِه ؛ لأنَّه نبىٌّ ابنُ نبىٍّ . وكان يوسُف وزيرَ مَلِكِ مصر من النَّباهة بِالموضع الذى لا يُدفَع[2] ، وله البُرُدُ[3] ، وإليهِ يرجع جوابُ الأخبار ، ثمَّ لم يعرفْ يَعقوبُ مكانَ يوسُفَ ، ولا يوسفُ مكانَ يَعقوبَ عليهما السلام — دهرًا من الدُّهور ، مع النَّباهةِ ، والقُدْرةِ ، واتِّصال الدار .

وكذلك القولُ فى موسى بنِ عمرانَ ومَنْ كَانَ معه فى التِّيه[4] ، فقد

---

(١) طريق نهج : واضح . والخف : أى الإبل . ط ، هـ : « الخف » صوابه فى س .

(٢) النباهة : الشهرة . ط ، هـ : « ومن » والوجه حذف الواو ، والنص فى س « والملك النباهة فى الموضع الذى لايدفع » . وليس بشىء .

(٣) البرد : جمع بريد .

(٤) التيه ، هو الموضع الذى ضل فيه موسى عليه السلام وقومه . قال ياقوت : « وهى أرض بين أيلة ومصر وبحر القلزم جبال والسراة من أرض الشام » .

كانوا أمّةً من الأمم يتَسكَّعُونَ [1] أربعين عاماً ، فى مقدارِ فراسخَ يسيرةٍ ولا يهتدون إلى المخرج . وماكانت بِلادُ التّيه إلاّ من ملاعبهم ومُنْتَزَهاتهم [2] : ولا يعدم مثلُ [ذلك [3]] العسكرِ [4] الأدلاَّء والجَمَّالين [5] ، والمُكارِينَ [6] ، والفُيُوجَ [7] ، والرُّسلَ ، والتّجار : ولكنَّ الله صَرَفَ أوهامَهم ، ورفع ذلك الفَصْلَ [8] مِن صدورهم .

وكذلك القول فى الشّياطين الذين يسترقون السّمْعَ فى كلِّ ليلة ، فَنقُولُ [9] : إنّهم لو كان كلما أراد مُريدٌ [10] منهم أن يصعَدَ ذكَرَ أنّه قد رُجم صاحبه [11] ، وأنّه كذلك منذ كان لم يصل معه أحدٌ إلى استراقِ السّمْع [12] ، كان محالاً أن يرومَ ذلك أحَدٌ منهم مع الذِّكر والعِيان .

---

(١) تسكع : ذهب فى ضلاله . ومثله تسكع بتقديم السين . ط ، هـ : « يكسعون » والوجه ماأثبت من س .

(٢) كذا بتقديم النون فى الأصل .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) كان بنو إسرائيل قد خرجوا ليملكوا الأرض المقدسة بالقتال . انظر تفسير سورة المائدة للآيات ٢٠ — ٢٦ وسفر العدد ، الأصحاح ٣٢ ، ٣٣ .

(٥) الجمالين ، بالجيم . وفى (٦ : ٢٦٨) : « الحمارين » .

(٦) المكارين : جمع مكار . والمكارى : من يكترى الناس منه دابته ، أى يستأجرونها .

(٧) الفيوج ، بالضم وفى آخره جيم : جمع فيج بالفتح ، وهو رسول السلطان المسرع فى مشيه ، يحمل الأخبار من بلد إلى بلد ، معرب من « پيك » بالفارسية . ط ، س : « الفيوح » ، صوابه فى هـ .

(٨) الفصل هنا بمعنى التمييز . ط ، هـ : « القصد » وأثبت مافى س .

(٩) ط ، هـ : « فتقول » بالتاء ، صوابه فى س .

(١٠) إن قرئت بالضم ، كانت من أراد بمعنى شاء . وإن قرئت بالفتح كانت من التمرد .

(١١) ط ، هـ : « قد رجم أو رجم صاحبه » ، والوجه ما أثبت من س .

(١٢) س : « سمع » .

ومثل ذلك [أنَّا] قد علمْنا أنّ إبْليسَ لا يزالُ عاصياً إلى يوم البَعث .
ولو كان إبْليسُ في حال المَعْصيَة ذَاكِراً لإخبار الله تَعالى[1] أنَّه لا يزالُ عاصياً وهو يَعلم أنّ خَبرَه صِدقٌ ، كان محالاً أنْ تدعُوَه نفسُه إلى الإيمانِ ، ويطمَعُ في ذلك ، مع تصدِيقِهِ بأنّه لا يختار الإيمانَ أبداً .

ومن المحـال أن يجمَع بين وجود[1] الاستطاعة وعـدم الدَّواعى وجواز الفعل .

ولو أنّ رجلاً عَلِم يقيناً أنّه لا يخرُج من بيتِه يومَه ذلك ، كان محالاً أن تدعُوَه نفسه إلى الخروج ، مع علمه بأنّه لا يفعل . ولـكِنَّ إبْليس لمـا كانَ مصروفَ القَلب عن ذِكْر ذلك الخبر[3] ، دخل في حَدِّ المستطيعين .

ومثل ذلك أنّ النبى صلى الله عَليه وسلم لَمّا بشره الله بالظّفرِ وتَمام الأمر[4] بشَّر أصحابَه بالنّصر ، ونزولِ الملائكة . ولو كانوا لذلك ذاكرين في كلِّ حالٍ ، لم يكن عليهم مِنَ المحاربة مؤونة . وإذا لم يتـكلفوا المؤونة[5] لم يؤجَروا . ولـكِنّ الله تَعالى بنظره إليهم رفَع[6] ذلك في كثيرٍ من الحالاتَ

---

(١) كذا في س . وفي ط : « ذكر إخبار الله تعالى » وفي هـ : « ذاكرا لأخبار الله تعالى » . وما في هـ محرف .

(٢) في الأصل : « وجوب » بالباء .

(٣) أى عن تذكر ذلك الخبر .

(٤) الـكلام من أول الفقرة إلى هنا ساقط من س . والجاحظ يشير بكلامه هذا إلى ما كان في وقعة أحـد ، مما تشير إليه الآيات ١٢٢ — ١٢٦ من سـورة آل عمران .

(٥) س ، هـ : « المؤن » .

(٦) س : « دفع » بالدال .

عن أوهامهم ؛ ليحتملوا(1) مشقّة القِتال ، وهم لايعلمون : أيغلِبُون أم يُغْلَبون أو يَقْتلُونَ أم يُقتلون .

٣٢ ومثل ذلك ما رفع من أوهام العَرب ، وصرف نفوسهم عن المعارَضَة للقرآن ، بَعْدَ أنْ تحدَّاهم الرَّسولُ بنظْمه . ولذلك لم نجِدْ أحَداً طمِع فيه . ولو طمِعَ فيه لتَكلفه ، ولو تكلف بَعضهُمْ ذلك فجاء بأمر(2) فيه أدنى شُبهة لعظمت القضيَّةُ(3) على الأعراب وأشباهِ الأعْراب ، والنِّساءِ وأشباه النساء ، ولألْقَى ذلك للمسلمين عملاً ، ولطَلبوا المحاكمةَ والتراضى ببعض العرب ، ولكثُرُ القيلُ والقال .

فقد رأيتَ أصحابَ مُسيْلِمة(4) ، وأصحاب ابن النوَّاحة(5) إنما تَعلَّقُوا بما ألَّفَ لهُمْ مُسَيلمة من ذلك الكلام ، الذى يَعلمُ كلُّ مَن سمِعه أنَّه إنمَا عَدا على القرآن فسلَبه ، وأخَذَ بَعضَه ، وتَعاطى أن يُقَارِنَه . فكان لله ذلك التَّدبيرُ ، الذى لا يبلغه العِبادُ ولو اجتَمَعُوا له .

فإنْ كان الدَّهرىُّ يريدُ من أصحابِ العِبادَاتِ والرُّسُلِ ، ما يريد من

(1) س : « ليتحملوا » .

(2) هذه ساقطة من س .

(3) فى الأصل : « القصة » .

(4) هو أبو ثمامة ، مسيلمة بن حبيب الحنفى من أهل اليمامة ، ادعى النبوة بمكة قبل الهجرة ، وصنع أسجاعا ، عارض فيها بزعمه القرآن ، منها قوله : « والشمس وضحاها . فى ضوئها وجلاها . والليل إذا عداها . يطلبها ليغشاها . فأدركها حتى أتاها . وأطفأ نورها ومحاها » ، وقوله : « ياضفدع نقى نقى . كم تنقين . لاالماء تكدرين . ولا الشرب تمنعين » . وكان قد قوى أمره فى اليمامة ، وظهر جدا بعد وفاة الرسول ، فأرسل أبو بكر خالد بن الوليد فى جيش لمقارعته ، فكان له النصر على بنى حنيفة فى يوم اليمامة ، وقتل مسيلمة وكثير من أتباعه ، واستشهد من المسلمين ألف ومائتا رجل .

(5) فى الأصل : « بنى النواحة » . وانظر الاستدراكات .

الدَّهريّ الصِّرفِ ، الذى لا يُقِرُّ إلا بما أوجَدَه العِيان ، وما يَجرى مَجرَى العِيان — فَقَدْ ظَلَمَ .

وقَد علم الدَّهريُّ [أنّنا نعتقِد[1]] أنّ لنا ربًّا يخترع الأجسامَ اختراعا وأنّهُ حَيٌّ لا بحياة ، وعالمٌ لابعلم[2] ، وأنّه شيءٌ لا ينقسم ، وليس بِذِى طُول ولا عرْض ولا عُمق ، وأنّ الأنبياء تحيى[3] الموتى . وهذا كلُّه عنْدَ الدهرىِّ مستنكَر ، وإنما كان يكون له عَلَيْنَا سبيل[4] لو لم يكن الذى ذكرنا جائزا فى القِياس ، واحتجْنا إلَى تثبيت الرُّبوبيَّةِ وتصديقِ الرِّسالة ، فإذا كان ذلك جائزاً ، وكانَ كونُه غيرَ مستنكَرٍ ، ولا محالٍ ، ولا ظلم ، ولاعيب ، فلم يبقَ له إلاَّ أن يسألَنَا عن الأصْلِ الذى دعا إلى التَّوحِيدِ ، وإلَى تثبيت الرسل :

وفى كتابِنا المنزل الذى يدلُّنا على أنّه صِدْقٌ ، نَظْمُه البديع الذى لا يقدِر على مثله العباد ، مَعَ ما سِوَى ذلك من الدّلائِلِ التى جَاء بها مَنْ جَاء به .

وفيه مسطور أنّ سليمانَ بنَ داودَ غبرَ حِيناً — وهو ميِّت — معتمِداً على عصاه ، فى الموضع الذى لا يُحْجَب عنه إنْسِىٌّ ولا جِنِّىٌّ ، والشَّياطينُ منهُمُ المَكْدُودُ بالعَمَل الشديد[5] ، ومِنهُمَ المحبوسُ والمستعبد ، وكانوا كما قال

---

(١) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إلى مثلها .

(٢) هذا مذهب المعتزلة ؛ إذ ينفون عن الله عز وجل صفاته الأزلية ، فيقولون : ليس لله علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا أى صفة أزلية .

(٣) ط ، هـ : « تحى » صوابه فى س .

(٤) بدله فى س : « وإنما كان يكون له علة » .

(٥) المكدود : المرهق المتعب . ط ، هـ : « بالغل الشديد » ، والأوجه ماأثبت من س .

الله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَايَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِي[1] وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ وقال : ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ . وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ وَأَنَّهُ غَبَرَ كذلك حيناً وهو تُجاهَ أعيُنِهِم[2] ، فلاهُمْ عرَفُوا سجيَّةَ وُجوهِ الموتَى ، ولا هو إذْ كان ميِّتاً سقَط سُقوطَ الموتى . وثبتَ قائما معتمداً[3] على عصاه ، وعصاه ثابتةٌ قائمةٌ في يده ، وهو قابضٌ عليها . وليستْ هذه الصِّفَةَ صفةَ مَوتانا .

وقال : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَالَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ . ونحنُ دونَ الشَّياطينِ والجنِّ في صِدْق الحسِّ ، ونُفوذِ البصر ، ولوْ كُنَّا مِن بعضِ الموتى بهذا المكان ، لما خَفِيَ علينا أمرُه وكان أدنى ذلك أنْ نظنَّ ونرتاب . ومتى ارتابَ قومٌ وظَنُّوا وماجُوا[4] وتكلموا وشاوروا ، لَقِنُوا وثَبَّتُوا[5] . ولا سيَّما إذا كانوا في العذاب ورأوْا تَباشِيرَ الفرَج .

٣٣

---

(١) الجوابي : جمع جابية ، وهو الحوض الجامع . وإثبات الياء في آخر الكلمة وصلا ووقفا قراءة ابن كثير ومجاهد ، وإثباتها وصلا فقط قراءة ورش وعاصم . وحذفها وصلا ووقفا قراءة الباقين . وهذه القراءة الأخيرة هي مافي س ، هـ . وما أثبت من ط هو القراءة الأولى .

(٢) تجاه ، يصح ضبطها بالضم والكسر والفتح . عن القاموس .

(٣) ط : « معتمد » ، وهو خطأ ظاهر .

(٤) هـ : « وناجوا » ، أي ناجى بعضهم بعضا .

(٥) لقنوا : عرفوا وفهموا . في الأصل : « ولقنوا » وإنما هو جواب الشرط . و « ثبتوا » أي سكنت قلوبهم بقوة البرهان والدلالة . وفي الكتاب : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك » .

ولولا الصَّرْفة(١) التي يُلقيها الله تعالى على قَلْبِ مَنْ أحَبَّ ، و [لولا(٢)] أنّ الله يقدِرُ على أنْ يشغَلَ الأوهامَ كيف شاء ، ويذكِّر بما يشاء ، ويُنَسِّيَ مايشاء ، لما اجتمع أهلُ داره وقصْره ، وسُورِه ورَبَضِه(٣) ، وخاصَّته ، ومن يخدُمه من الجنّ والإنْس والشَّياطين ، على الإطباق بأنّه حَيٌّ . كذلك كان عندهم . فحدث ما حَدَث من موته ، فلمَّا لم يشعُروا به كانوا على ما لم يزالوا عليه . فعلِمْنا أنّ الجنّ والشَّياطينَ كانت تُوهِم الأغبياء والعَوَامَّ ، والحَشْوَة(٤) والسَّفلة ، أنّ عندهما شيئاً من عِلْمِ الغيب – والشياطين لا تعلم ذلك – فأراد الله أنْ يكشِف من أمْرهم للجُهَّال ما كان كَشَفَه للعلماء . فبهذا وأشباهه من الأمور نحنُ إلى الإقرار به مضطرُّون(٥) بالحجَج الاضطراريَّة فليس لخصومنا حيلةٌ إلاَّ أن يواقِفونَا(٦) ، وينظروا فى العلَّة التى اضطرتنا إلى هذا القول ؛ فإن كانت صحيحةً فالصَّحيحُ لا يُوجِب إلا الصحيح . وإن كانت سقيمة علِمْنا أنَّما أُتينَا من تأويلنا(٧) .

وأما قوله : ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ ﴾ فإنَّ التَّعذيبَ يكون بالحبس ، كما قال الله

---

(١) الصرفة ، بالفتح : أن يصرف الله عبده عن أمر . ط : « المعرفة » س : « الصدقة » صوابهما فى هـ .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) الربض ، بالتحريك : سور المدينة .

(٤) الحشوة ، بالضم والكسر : أصله الدغل فى الأرض . أراد به الدون من الناس .

(٥) س : « مضطرين » .

(٦) يواقفونا ، بتقديم القاف ، من المواقفة ، وهى أن يقف المرء مع غيره فى خصومة ومجادلة . وفى الأصل : « يوافقونا » بتقديم الفاء ، وليس بشىء .

(٧) أتينا : أى قهرنا وغلبنا . وفى الأصل : « أوتينا » ولا يصح بها الكلام . ط ، هـ : « أن ما » والوجه ما أثبت من س . وفى س أيضاً « علم » مكان « علمنا » و « أقاويلنا » موضع « تأويلنا » .

عزَّ وجلَّ : ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ . وإنَّما كانوا مُخَيَّسِينَ[1] .

وقد يقول العاشق لمعشوقتِه : يا معذِّبتى ! وقد عذَّبتنى[2] !

ومن العذَاب مايكُونُ طويلاً ، ومِنْه مايكُونُ قصيرَ الوقْت . ولوخسفَ الله تَعالى بقومٍ فى أقلَّ من عُشْر ساعة[3] لجاز لقائل أن يقول : كان ذلك يوم أحلَّ الله عذابَه ونِقمتَه ببلاد كذا وكذا .

(قوة الخنزير وشدة احتماله)

وقال أبو ناصرة : الخنزير ربَّما قتل الأسد ، وما أكْثَرَ ما يَلْحَقُ بصاحب[4] السَّيفِ والرُّمح ، فيضربُه بِنابِهِ ، فيقطَعُ كلَّ ما لقِيه من جسَده : من عظمٍ وعصبٍ ، حتى يقتلَه . وربَّما احتال أن ينبَطح[5] على وجهِه على الأرض ، فلا يغنى ذلك عنْه شيئاً .

وليس لشىءٍ من الحيوان كاحتمال بدنِه لوَقْع السهام ، ونفوذِها فِيهِ .

(بعض طباع الخنزير)

وهو مع ذلك أرْوَغُ من ثعلب ، إذا أراده الفارس . وإذا[6] عدا أطمَعَ فى نفْسه كلَّ شىء ، وإذا طولب أعيا الخيْلَ العِتاق . والخنزيرُ مع ذلك أنْسَلُ

---

(١) المخيس ، هو من قولهم : إبل مخيسة : لا تسرح . ط : « محبوسين » وهى صحيحة بمعنى « مخيسين » . س ، هـ : « محبسين » ، تحريف ما أثبت .

(٢) ط ، هـ : « عذبتينى » . وانظر الاستدراكات .

(٣) ط ، س : « ساعات » ، والوجه فيه ما أثبت من هـ .

(٤) س : « صاحب » .

(٥) كذا على الصواب فى س . وفى ط ، هـ : « ينتطح » .

(٦) س : « فإذا » .

الخلق ؛ لأنّ الخنزيرةَ تَضَعُ عِشرين خِنَّوْصاً ، وهو مع كثْرة إنساله — مِنْ أقوَى الفحُول على السِّفاد ، ومعَ القُوَّة على السِّفاد هو أطولها مُكثاً فى سفادِه ، فهْوَ بذلك أجمَعَ للفحُولة[1] .

٣٤ وإذا كانَ الكلبَ والذِّئبُ موصوفَين بشدّة القَلْبِ؛ لطُول الخطْم[2] ، فالخنْزِيرُ أولى بذلك .

وللفِيل نابٌ عجيب ، ولكِنَّهُ لقصر عنقه لا يبلغ النّابُ مبلغا[3] ، وإنَّما يستعينُ بخُرطومِهِ ، وخرطومُهُ هو أنفه ، والخطْمُ غير الخرطوم .

(ما قيل فى طيب لحمه وإهالته)

قال أبو ناصرة : وله طيب ، وهُو طِيبُ لحمِهِ ولحمُ أولاده[4] . وإذا أرادُوا وصفَ اختلاط[5] ودَك الكُرْكِيِّ[6] فى مَرَق طبيخ ، قالُوا : كأنَّ إهالتَه إهالة خنزير[7] ؛ لأنّه لا يسرع إليها[8] الجمود . وسرعةُ جمودِ إهالة

(١) فى الأصل : « أجمع الفحولة » ولا تصح . وفى ط ، هـ زيادة : « بهذا » فى آخر الجملة ولا وجه لها كما فى س .

(٢) سبق مثل هذا الكلام فى (٢ : ٢١٣ س ١) .

(٣) ط : « لقصر عنقه لايبلغ الباب يقصر عنه ولا يبلغ » الخ . وأثبت صوابه من س ، هـ .

(٤) بدل هذه العبارة فى هـ : « وله طيب لحمه » فقط . وجملة « وله طيب » ساقطة من س .

(٥) كذا على الصواب فى هـ . وفى ط ، س : « اختلاف » .

(٦) الكركى ، بالضم : طائر كبير أغبر اللون أبتر الذنب طويل العنق والرجلين : Crane . قال الدميرى : « وللملوك مصر وأمرائها فى صيده تغال لايدرك حده ، وإنفاق مال لايستطاع حصره وعده » . ط : « الكركى » ، صوابه فى س ، هـ .

(٧) الإهالة ، بالكسر : الشحم . والودك : الدسم . هـ : « أهاله إهال خنزير » ، محرف .

(٨) س : « إليه » محرف .

الماعز فى الشِّتاء عيب . وللضَّأن فى ذلك بعضُ الفضيلة على الماعز ؛ ولا يلحق بالخنزير .

(قبول عظم الخنزير للالتحام بعظم الإنسان)

وإذا نقص من الإنسان عَظْمٌ واحْتِيجَ إلى صِلتِهِ فى بعض الأمراض لم يلتحِمْ بِهِ إلاّ عَظْمُ الخنْزِير .

(صوت الخنزير)

وإذا ضُرِب فصاح لم يكن السَّامِعُ يفصِلُ بينَ صوتِه وبينَ صوت صبىٍّ مضروب[1] .

(طيب لحمه)

وفى إطباقِ جميع الأمم على شهوةِ أكله واستطابَةِ لحمِهِ ، دليلٌ على أنَّ له فى ذلِكَ ما ليس لغيْره .

(زعم المجوس فى المنخنقة ونحوها)

والمجوس تزعم أنَّ الُمنخنقَة والموقوذَة والمتردِّية[2] ، وكلَّ ما اعتُبط ولم يمت حَتْفَ أنفِه[3] ، فهو أطيب لَحْماً وأحلى ؛ لأَنَّ دَمَه فِيهِ ، والدم حُلوٌ

---

(١) وقد تهيأ لابن آوى مثل هذا الصوت كما سيأتى فى (٥ : ٢٨٨) .

(٢) س : « المنخنق والموقوذ والمتردى » . وانظر ماسبق ص ٥٦ .

(٣) اعتبط ، بالبناء المفعول : مات من غير علة . ويقال مات حتف أنفه : أى بلا ضرب ولا قتل . ط ، هـ : « وكلما اعتبط » الخ ، وصواب كتابته ماأثبت . وبدلها فى س : « إذا اعتبط » الخ .

دَسِم . وإنما عافَه مَن عافَه من طَرِيق العادة والدِّيانة ، لا من طريق الاستقذار والزُّهْدِ الذى يكُون فِى أصل الطبيعة .

(اختلاف ميل الناس إلى الطعام)

وقد عافَ قومٌ الجِرِّىَّ والضِّبابَ[١] على مثل ذلك ، وشُغِف بهِ آخرون .

وقد كانت العربُ فى الجاهليَّة[٢] تأكل دمَ الفصْد[٣] ، وتفضِّل طَعمه ، وتُخبر عمَّا يورثُ من القوَّة .

قال : وأىُّ شىءٍ أحسَنُ من الدّم ، وهل اللَّحمُ إلا دَمٌ استحالَ كما يستحيل اللَّحمُ شحما ؟ ! ولكنَّ الناس إذا ذكروا معناه ، ومن أين يخرج وكيف يخرج ، كانَ ذٰلِكَ كاسِرا لَهُمْ ، ومانعاً من شهوتِه .

(بعض مايغير نظر الإنسان إلى الأشياء)

وكيف حال النَّار فى حسنها[٤] ، فإنّه ليس فى الأرض جسمٌ لم يصبغ أحسن منْه[٥] . ولَوْلَا معرفتهُمْ بقتْلها وإحْراقِها وإتلافها ، والألم والُحرْقةِ المولدين[٦] عنها ، لتضاعف ذلك الُحسْن[٧] عِنْدَهُمْ . وإنّهم ليَرَوْنَها

---

(١) الجرى ، بالجيم المكسورة بعدها راء مشددة مكسورة : ضرب من السمك سبق الكلام عليه فى (١ : ٢٣٤) . والضباب ، بالكسر : جمع ضب .

(٢) ط : « فالجاهلية » ، صوابه فى س ، هـ .

(٣) وذلك بأن يضعوا الدم ، بعد فصده فى الأمعاء ويشوونها . انظر ص ٥٦ .

(٤) س : « جنسها » ، وأراه تحريفاً .

(٥) كذا فى ط ، س . وفى . هـ : « لم يصنع أحسن منه » .

(٦) ط : « المولودين » صوابه فى س ، هـ .

(٧) س : « الحس » ، محرف .

فى الشِّتاء بغير العُيونِ التى يرونَها بها فى الصَّيف . ليس ذلك إلَّا بقدْر ما حدَثَ من الاستغناء عنها .

وكذلك جِلاءُ السَّيف ؛ فإنَّ الإنسانَ يَستحسِنُ قَدَّ السَّيفِ وخَرْطَه ، وَطبْعَهُ وبريقه . وإذا ذكر صنيعَهوالذى هُيِّئ له ، بدَا لهُ فى أكثرِ ذلك[1] ، وتبدَّل فى عينه ، وشغَلَه ذلك عن تأمُّل محاسنه .

ولولا علْم النَّاس بعداوة الحيَّاتِ[2] لهم ، وأنَّها وحشيَّة لا تَأْنَس ولاتقبل أَدَباً ، ولا تَرْعَى حقَّ تربية ، ثمَّ رأَوا شيئاً من هذه الحيَّاتِ[2] البيض ، المنقَّشَةِ الظُّهور — لَمَا بَيَّتُوها ونوَّمُوها إلَّا فى المهد ، مع صبيانهم .

(ردٌّ على من طعن فى تحريم الخنزير)

فيقال لصاحب هذه المقالة[3] : تحريم الأغذيَةِ إنَّمَا يكونُ من طريق العبادة والمحْنة ، وليس أنَّ جوهَرَ شىء من المأكول[4] يوجِبُ ذلك . ٣٥ وإنَّمَا قلنا : إنا وجدْنا الله تعالى قد مسَخَ عباداً من عباده فى صُوَر الخنزير [دونَ بقيَّة[5] الأجْناس ، فعلمنا أنَّه لم يَفْعَلْ ذلك إلَّا لِأُمُورٍ اجتمعتْ فى الخنزير[6]] . فكان المسخ على صورته أبلَغ من التَّنكيل . لم نقُلْ إلاَّ هذا

(١) بدا له : أى نشأ له رأى آخر .
(٢) ط : « الحياة » ، وإنما هو جمع حية كما فى س ، ه .
(٣) هذا البحث الآتى متعلق بما سبق فى ص ٧٤ — ٧٧ ساسى وليس له ارتباط بما مر قريباً .
(٤) إلى هذه الكلمة ينتهى المجلد الأول من النسخة الخطية المرموز إليها برمز « س » وتبتدئ المعارضة بعدها من أول المجلد الثانى منها .
(٥) ه : « جميع » .
(٦) الزيادة من س ، ه .

(طباع القرد)

والقرد يَضْحَكُ ويَطْرَب ، ويُقْعِي ويَحكى ، ويتناولُ الطَّعامَ بيديه ويضعه فى فيه ، ولَهُ أصابعُ وأظفار ، وينقى[1] الجوز ، ويأنس الأُنْسَ الشَّديد ، وَيَلْقَنُ بالتَّلقين الكثير ، وإذا سقَط فى الماء غرِق ولم يسبَحْ ؛ كالإنسانِ قبل أنْ يتعلَّمَ السِّباحة . فلم تجد النَّاسُ للذى اعترى القِرْد من ذلك — دونَ جميعِ الحيوان عِلّةً — إلَّا هذه المعانى التى ذكرتها[2] ، من مناسبَة الإنسانِ مِن قِبَلِها .

ويُحكى عنه من شدَّة الزَّواج ، والغَيرةِ على الأزواج ، ما لا يحكى مثلُه إلَّا عن الإنسان ؛ لأنَّ الخنزيرَ يَغَارُ ، وكذلك الجملُ والفرَسُ ، إلاَّ أنهما لا تزاوج . والحِمارُ يَغارُ ويحمى عانَتَهُ الدَّهر كُلَّهُ[3] ، ويضرِبُ فيها كضربه لو أصابَ أتاناً من غيرها . وأجناس الحمام تزاوج ولا تَغار .

واجتمَع فى القرد الزَّواج والغَيرة ، وهما خَصلتانِ كريمتان ، واجتماعهما من مفاخرِ الإنسانِ على سائر الحيوان . ونحن لم نرَ وجْهَ شىءٍ غيرِ الإنسان أشبَهَ صورةً وشبها ، على ما فيه من الاختلاف ، ولا أشبَهَ فماً ووجْهاً بالإنسان ، من القِرْد . ورُبّما[4] رأينا وجهَ بَعْضِ الحمر[5] إذا كان ذا خطْمٍ ، فلا نَجِدُ بَيْنَهُ وبين القِرْدِ إلَّا اليسيرَ .

---

(١) أصله من قولهم : نقى العظم نقيا : استخرج نقيه . والنقى بالكسر : مخ العظام وشحمها . فالمعنى يستخرج لب الجوز .

(٢) س : « ذكرناها » .

(٣) العانة : جماعة الحمر الوحشية .

(٤) ط : « وبما » ، تصحيحه من س ، ه .

(٥) لعل المراد بالحمر هنا الروس . وجاء فى التنبيه والإشراف ١٢٢ : « والروم تسميهم روسيا . معنى ذلك : الحمر » . فى الأصل : « بعض وجه الحمر » .

(أمثال فى القرد)

وتقول[1] الناس : « أكْيَسُ من قِشَّة[2] » ، و « أمْلَحُ مِنْ رُبَّاح[3] » ولم يقل أحد : أكيس من خِنزير ، وأملَحُ من خِنّوص . وهو قول العامّة : « القرد قبِيحٌ ولـكنّه مليح » .

(كفّ القرد وأصابعه)

وقال النَّاس فى الضبِّ : إنه مِسخٌ . وقالوا : انْظُر إلى كفِّه وأصابعه . فـكَفّ القرد وأصابعهُ[4] أشْبَهُ وأصنَعُ . فقدَّمَتِ القردَ على الخنزير من هذا الوجه .

(علة تحريم لحم الخنزير)

وأمّا القولُ فى لحمه ، فإنّا لم نزعمْ أنّ الخنزيرَ هو ذلك الإنسان الذى مُسخ ، ولا هو من نَسله ، ولم ندَعْ لحمهُ من جهة الاستقذارِ لشهْوته فى العَذِرة ، ونحن نجد الشَّبُّوط والجرِّىَّ[5] ، والدّجاج ، والجَرادَ ، يشاركْنهُ فى ذلك ، ولـكن للخصال الّتى عدّدنا من أسباب العبادات . وكيف صار أحقَّ بأنْ تمسخ الأعداء[6] على صورته فى خلقتِه .

---

(١) س : «ويقول» .

(٢) القشة ، بالكسر : القردة ، أو ولدها الأنثى .

(٣) الرباح ، كرمان : القرد الذكر .

(٤) ط : « فـكيف والقرد أصابعه »، وهو — لاجرم — تحريف .

(٥) الشبوط والجرى : ضربان من ضروب السمك . وانظر مثل هـذا الـكلام فى (١ : ٢٣٥) .

(٦) أى أعداء الله .

(حديث عبيد الكلابى)

قال : وقلت مَرّةً لعبيد الكلابىّ – وأظهرَ مِن حُبِّ الإبل والشَّغَفِ بها ما دَعانى إلى أن قلت لَهُ – : أبينها وبينكم قرابة[١] ؟ قال : نعم ، لها فينا خُؤولة . إنِّى والله ما أعنى البَخاتىّ ، ولكنى أعنى العِرَاب، التى هى أعرب! قلت لَهُ : مَسَخَكَ الله تعالى بعيرًا ! قال : الله لا يمسخُ الإنسانَ على صُورةِ كريمٍ ، وإنما يمسخه على صورةِ لئيم ، مثل الخنزير ثم القرد[٢] .

فهذا قولُ أعرابىٍّ جِلْفٍ[٣] تكلم على فِطرتِه .

(قول فى آية)

٣٦ وقد تكلم المخالِفون فى قولِهِ تعالى: ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ[٤] ﴾ .

وقد طعَنَ ناسٌ فى تأويل هذه الآيَةِ ، بغيرِ علمٍ ولا بيانٍ ، فقالوا : وكيف يكون ذلك وليس بين أن تجىء[٥] فى كلِّ هلال فرقٌ ، ولا بينها إذا جاءت فى رأس الهلال فرقٌ ، ولا بينَها إذا جاءتْ فى رأس السَّنَةِ فرق .

---

(١) س : « أبينكم وبينها قرابة » .

(٢) ط ، هـ : « الخنزير والقرد » .

(٣) الجلف ، بالكسر : الرجل الجافى .

(٤) هذه القرية هى أيلة ، أو مدين ، أو طبرية : وكل منها حاضرة البحر، أى قريبة منه . « يعدون فى السبت » : يتجاوزون حدود الله بالصوم يوم السبت . « يوم سبتهم » أى يوم تعظيمهم أمر السبت ، سبتت اليهود : عظمت سبتها . « شرعا » : ظاهرة على وجه الماء .

(٥) كذا الصواب فى س . وفى ط ، هـ : « يجىء » .

(هجرة السمك)

وهذا بحرُ البَصرةِ والأُبلَّة ، يأتيهم ثلاثةَ أشهرٍ معلومة معروفة [من السنة] السَّمكُ الأسْبور [١] ، فيعرفون وقتَ مجيئهِ وينتَظِرُونه ، ويَعرِفون وقتَ انقِطاعِه ومجيءُ غيره ، فلاَ يمكث بهم الحالُ إلاَّ قليلاً حتَّى يُقْبِلَ السَّمك من ذلك البحر ، فى ذلِكَ الأوان ، فلاَ يَزالونَ فى صَيْدِ ثلاَثَةَ أشهر معلومةٍ من السَّنَةِ ، وذلكَ فى كلِّ سنةٍ مرَّتين لكل جنس . ومعلومٌ عندهم أنه يكون فى أحد الزمانين أسْمَنَ ، وهو الجَوَاف [٢] ، ثمَّ يأتيهم الأسْبور [٣] ، على حساب مجيء الأسبور [٤] والجُوَافِ . فأمّا الأسْبور فهو يقطع إليهم من بلادِ الزَّنج . وذلِكَ مَعْرُوفٌ عند البحْرِيِّينَ . وأنَّ الأسْبور فى الوقت الذى يقطع إلى دِجلةِ البصرة لا يوجَد فى الزَّنج ، وفى الوقت الذى يُوجَدُ فى الزنج لا يوجد فى دِجلة [٥] . وربَّما اصطادوا منها شيئا فى الطريق فى وقت قطعِهَا المَعْروفِ [٦] ، وفى وقت رجوعها . ومَع ذلكَ أصنافٌ من

---

(١) سبق الكلام عليه فى (٣ : ٢٥٩) . وفى الأصل : « الأشبور » محرف .

(٢) فى الأصل : « الجراف » . وانظر ما أسلفت من التحقيق فى (٣ : ٢٥٩) .

(٣) فى الأصل : « الأشبول » . وهو تحريف . انظر له (٣ : ٢٥٩) .

(٤) ط ، هـ : « الأشبول » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) س : « الدجلة » ، وإدخال « أل » على « دجلة » خطأ ، فإن المعرفة لا تعرف . وانظر لأشباه هذا الوهم درة الغواص ٢٥ .

(٦) يقال قطع الطائر والسمك : إذا انتقل من بلد إلى بلد .

السمك كالإرْبِيان[١] ، والرَّقّ[٢] ، والكَوْسَج[٣] ، والبرد[٤] ، والبَرَسْتُوج[٥] . وكلٌّ ذلك معْروفُ الزَّمانِ ، متوقعُ المخرَج .

وفى السَّمكِ أوابدَ وقواطعُ ، وفيها سيّارةٌ لا تقيم . وذلك الشبَهُ يُصابُ . ولذلك صارُوا يتكلمَونَ بخَمْسةِ السنة[٦] ، يهذُونها[٧] ، سوى ما تَعَلَّقُوا به من غيرها .

ثمَّ القواطع من الطير قد تأتينا إلى العِراق منهم[٨] فى ذلك الإبَّان جماعاتٌ كثيرةٌ ، تَقْطعُ إلينا ثمَّ تَعُودُ فى وقتها .

---

(١) الأربيان ، بالكسر : ضرب من السمك ، يعرف فى مصر باسم « الجنبرى » ، كما فى معجم المعلوف . وقد سبق للجاحظ كلام فيه ، انظر (١ : ٢٩٧ س ٦) وفى الأصل : « الأرسان » ، محرف عما أثبت .

(٢) الرق : السلحفاة المائية .

(٣) الكوسج : سمك بحرى كبير عظيم الضرر تخافه دواب البحر ، ويعرف باسم « القرش » أيضا فى سواحل البحر الأحمر .

(٤) كذا . ولعله : « البز » أو « البزون » ، وهو نوع من السمك معروف بالعراق .

(٥) البرستوج : سمك قدمت تحقيقا فيه بالجزء الثالث ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ، وهو من السمك الذى يقطع إلى البصرة كما فى (٣ : ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٣) . وهذه الكلمة مضطربة فى الأصل : فهى فى ط : « السكرنوح » و س : « السكونوح » و هـ : « الكرموح » وهى تحريفات عجيبة لما أثبت .

(٦) لعله إشارة إلى الأصناف الخمسة المتقدمة .

(٧) هذ الحديث يهذه : سرده . وفى الأصل : « يهدونها » بالدال المهملة ، ولا وجه له .

(٨) جعل لغير العاقل ضمير العاقل ، وهو جائز . فى القرآن : « يأيها النمل ادخلوا مساكنكم » ، « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه » ، « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » ، « إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » .

(رد على المعترض)

قُلْنا لهؤلاء القوْم : لَقَدْ أصبتم فى بَعض ماوصفتم ، وأخْطأتم فى بَعض . قال الله تعالى : ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ ﴾ ،ويومُ السبتِ يدورُ مَعَ الأَسابيعِ ، والأَسابيعُ تدور مع شهورِ القَمَرِ [1] . وهذا لا يكونُ مَعَ استواءٍ من الزمان . وقد يكون السبتُ فى الشتاء والصَّيف والخريف ، وفيما بين ذلك . ولَيسَ هذا من باب أزمان قواطع السَّمكِ [2] وهَيْجِ الحَيَوان وطلب السِّفاد ، وأزمان الفلاحَةِ ، وأوقاتِ الجزْر والَمدّ ؛ وفى سبيل الأَنواء ، والشجر كيْفَ يَنْفَضُ [3] الوَرَق والثمار ؛ والحيّاتِ كَيف تَسلُخُ [4] ، والأيائِلِ كَيف تلقى قرونَها [5] والطيرِ كيف تَنطق ومتى تسكت .

ولو قال لَنَا قائل : إنى نَبِيٌّ [و [6]] قُلْنَا لَهُ : وما آيتك ؟ وماعلامتك ؟ ٣٧ فقال : إذا كان فى آخر تَشرِينَ الآخِرِ أقبل إليكم الأسْبُور [7] ، من جهة البحر — ضحكوا منــه وسخِروا بهِ . ولو قال : إذا كانَ يَوْمُ الجمعَة أو يومُ الأحَد أقبل إليكم الأسْبُور [7] ، حَتَّى لا يزالُ يصنع ذلك فى كلِّ

(١) ط : « القمرية » ، صوابه فى س ، ه .
(٢) س : « وليس هذا مرتين كأزمان قواطع السمك » .
(٣) ينفض ، بالفاء : يسقط الورق أو الثمر . ط ، ه : « ينقض » ، صوابه فى س . وقد سبق مثله فى (٣ : ٢٣٢ س ١٤) .
(٤) يقال سلخت الحية تسلخ من بابى نصر ومنع ، وانسلخت تنسلخ : إذا انسرت من جلدتها . جاء فى س : « تنسلخ » وكلمة « الحيات » ســاقطة من س وموضعها فى ط ، ه بعد كلمة « تسلخ » ، وقد رددتها إلى موضعها الطبيعى الملائم .
(٥) الأيل ينصل قرنه فى كل سنة كما سبق فى (٣ : ٢٣٢ س ١٣ ، ١٤) .
(٦) ليست بالأصل ، والكلام فى حاجة إليها .
(٧) فى الأصل : « الأشبور » . وانظر التنبيه الأول من الصفحة ١٠١ .

جمعة ــ علِمْنا اضطراراً إذَا عايَنَّا الذى ذَكَرَ على نَسَقه أنّه صادق ، وأنَّه لم يعلمْ ذلك إلاَّ من قِبَلِ خالِق ذلك[١] . تعالى الله عن ذلك .

وقد أقرَرْنا بعجيب ما نرى من مطالع النُّجوم ، ومن تناهى المدِّ والجزْر على قدر امتلاء القمر ونُقصانه ، وزيادته ومحاقه[٢] ، واستسراره[٣] . وكلُّ شىءٍ يأتى على هـــذا النَّسقِ من المجارِى ، فإنَّمَا الآيةَ فيه لِلهِ وحدَه على وحدانيَّته .

فإذا قال قائلٌ لأهل شريعةٍ[٤] ولأهل مُرسًى ، من أصحابِ بحرٍ أو نهر أو وادٍ ، أو عينٍ ، أو جدول : تأتيكم الحِيتانَ فى كلِّ سبت . أو قال : فى كلِّ رمضان . ورمضانُ متحوِّلُ الأزمانِ فى الشِّتاء والصيف ، والرَّبيعِ والخريفِ . والسَّبت يتحوّل فى جميع الأزمان . فإذا كان ذلك كانتْ تلك الأعجوبةُ[٥] فيــه دالةً على توحيد الله تعالى ، وعلى صِدقِ صاحب الخبَر ، وأنّه رسولُ ذلك المسخَّر لذلك الصِّنف . وكان[٦] ذلك المجىءُ خارجاً من النَّسق القائم ، والعادةِ المعروفة . وهذا الفرقُ بذلك بَيِّنٌ . والحمدُ لله .

---

(١) بدله فى ط ، هـ : « السمك » .

(٢) المحاق ، مثلثة : آخر الشهر ، أو ثلاث ليال من آخره ، أو أن يستسر القمر فلا يرى غدوة ولا عشية .

(٣) استسرار القمر : أن يختفى ، وذلك ليلة ثمان وعشرين ، وإذا كان الشهر ثلاثين فسراره ليلة تسع وعشرين . فى ط ، هـ : « إسراره » س : « استراره » ، والوجه ماأثبت . انظر اللسان (سرر ٢١) . وبعد هذه الكلمة فى ط : « واستدارته » .

(٤) الشريعة ، هنا مورد الماء .

(٥) س : « فإن كان ذلك كانت أعجوبة » .

(٦) ط ، هـ : « فكان » .

(شنعة الخنزير والقرد)

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ . وفى الموضع الذى ذكَرَ أنَّه مسَخَ ناساً خنازير قد ذكر القُرُود[١] . ولم يذكُرْ أنَّهُ مَسَخَ قوماً خنازير ، ولم يمسَخْ منهم قروداً[٢] . وإذا كان الأمر كذلك فالمسخ على صورة القِرَدة[٣] أشنع ؛ إذْ كان المسخَ على صورتِها[٤] أعظمَ[٥] ، وكان العقابُ به أكبر . وإنّ الوقت الذى قد ذكر أنّه قد مسخ ناساً قروداً فقد كان مسخَ ناساً خنازير . فلم يدَعْ ذِكْرَ الخنازير وذكَرَ القرودَ[٦] إلاَّ والقرودُ فى هذا الباب أوجَعُ وأشنَع وأعظمُ فى العُقوبة ، وأدلُّ على شدَّة السَّخْطة[٧] . هذا قول بعضهم .

---

(١) س : « قرودا » ، وفى ط ، ھ زيادة واو قبل « قد » ، وهو تحريف .

(٢) أى أنه عند ذكره مسخ قوم خنازير قرنه أيضاً بالمسخ بالقرود ، وذلك قوله تعالى فى الآية الستين من سورة المائدة : « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير » . وفى الأصل : « ولم يذكر أنه مسخ قوما قرودا ولم يمسخ منهم خنازير » . وأصلحته بما ترى .

(٣) فى الأصل : « القرد » بالإفراد . ووجهه الجمع كما سترى .

(٤) فى الأصل : « على صورتهما » ، وإنما الضمير عائد إلى جماعة القردة .

(٥) فى الأصل : « أعم » ، ولا وجه له . وانظر ما سيأتى .

(٦) أى وحدها ؛ إذا قال فى سورة البقرة ، الآية الخامسة والستين : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ، ولم يذكر الخنزير . وقال فى سورة الأعراف ١١٦ : « فلما عتوا عن مانهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين » . ولم يذكر الخنزير .

(٧) السخطة ، بالفتح : الكراهة ، يقال سخطه سخطا ، بالضم ، والتحريك ، وبضمتين ، وسخطة . وفى حديث هرقل : « فهل يرجع أحد منهم سخطة لدينه »

(استطراد لغوى)

قال : ويقال لموضع الأنف من السِّباع الخَطم ، والخرطوم — وقد يقال ذلك للخنزير — والفِنْطِيسة[١] ، والجمع الفناطيس . وقال الأعرابىّ : «كأنّ فناطيسها كراكِرُ الإبل[٢] » .

(خصائص بعض البلدان)

وقال صاحب المنطق : لا يكونَ خِنزيرٌ ولا أيِّلٌ بحريًّا . وذكر أنّ خَنازِيرَ بعض البُلدانِ يكون لها ظلفٌ واحد ، ولا يكون بأرضِ نهاوَنْدَ حِمارٌ ؛ لشدّة بردِ الموضع ، ولأنَّ الحِمار صَرِدٌ .

وقال : فى أرضِ كذا وكذا لا يكون بها شىءٌ من الخُلْدِ[٣] ، وإن نقله إنسانٌ إليها لم يحفر ، ولم يتَّخذ بها بيتا . وفى الجزيرة التى تسمَّى صِقِلِّية[٤] لا يكُونُ بها صنفٌ من النمل ، الذى يسمَّى أفرشان[٥] . ٣٨

---

(١) الفنطيسة ، بالكسر : خطم الخنزير . وفى اللسان : «وروى عن الأصمعى : إنه لمنيع الفنطيسة والفرطيسة والأرنبة ، أى هو منيع الحوزة حمى الأنف . أبو سعيد : فنطيسته وفرطيسته : أنفه» ، فهى قد تستعمل لغير الخنزير .

(٢) كذا على الصواب فى ط . وفى هـ : «قناطيسها» ، وفى س : «فناطيسه» . والكراكر : جمع كركرة ، بالكسر ، وهى صدر كل ذى خف .

(٣) الخلد ، بالضم : ضرب من الفأر .

(٤) صقلية ، بكسرات ولام مشددة : تلك الجزيرة الأوربية الإيطالية . س ، هـ : «أصقلية» ، ولعلها لغة فى تعريبها .

(٥) س : «أفرشان» بالفاء .

(قول أهل الكتابين فى المسخ)

وأهل الكتابَين[١] يُنكرون أنْ يكونَ الله تعالى مسخَ النَّاس قروداً وخنازير ، وإنما مسخ امرأة لوط حَجَراً[٢] . كذلك يقولون .

القول فى الحيات

اللهمَّ جنِّبنا التكلفَ ، وأعِذْنَا من الخطَل ، واحمِنا من العُجْبِ بمَا يكونُ منَّا ، والثقةِ بمَا عندنا ، واجعلْنا من المحسنين .

(احتيال الحيات للصيد)

حدثنا أبو جعفرٍ المكفوفُ النحويُّ العنبريُّ ، وأخوه روحٌ الكاتب ورجالٌ من بنى العنبر ، أن عندهم فى رمال بلْعنبرِ حيَّةً تصيد العصَافير وصِغَارَ الطيرِ بأعجبِ صيدٍ. زعموا أنها إذا انتصَفَ النهارُ واشتدَّ الحرُّ فى رمالِ بلعنبر ، وامتنَعت الأرض على الحافى والمنتعل ، ورَمِض الجندب[٣] ،

---

(١) التوراة والإنجيل .

(٢) التى فى سفر التكوين من التوراة ، الأصحاح ١٩ : ٢٤ — ٢٦ : « فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا من عند الرب من السماء ، وقلب تلك المدن ، وكل الدائرة ، وجميع سكان المدن ونبات الأرض ، ونظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح » .

(٣) الجندب ، وزان برقع ودرهم ، وبضم الجيم وبفتح الدال : ضرب من الجراد صغير : Grasshopper . ورمض : آلمه الرمض وأحرقه ، وهو بالتحريك شدة وقع الشمس على الرمل ونحوه .

غمست هذه الحيّةُ ذنبَها فى الرّمل ، ثم انتصبَتْ كأنها رمحٌ مركوزٌ ، أو عودٌ ثابت[١] ، فيجىء الطائرُ الصغيرُ أو الجرادَةُ ، فإذا رأى عوداً قائماً وكره الوُقُوعَ على الرَّمل لشدَّة حرِّه ، وقَعَ على رأس الحيَّة ، على أنّها عُود . فإذا وقَعَ على رأسها قبضَتْ عليه . فإن كان جرادةً أو جُعَلاً أو بَعْضَ مالا يُشْبعها مثلُه ، ابتلعته[٢] وبقيت على انتصابها . وإن كان الواقعُ على رأسها طائراً يُشبِعها مثلُه أكلتْهُ وانصرفت . وأنَّ ذلك دأبُها ما مَنَعَ الرَّملُ جانِبَه[٣] فى الصَّيفِ والقَيْظ ، فى انتصاب النّهار والهاجرة . وذلك أنَّ الطائرَ لا يشكُّ أنَّ الحيَّةَ عودٌ ، وأنهُ سيقُوم له مقام الجِذْل للحِرْباء[٤] ، إلى أنْ يسكن الحرُّ ووَهَجُ الرّمْلِ .

وفى هذا الحديثِ من العَجَبِ أنْ تكون هذه الحيَّةُ تهتَدِى لمثل هذه الحيلة . وفيه جَهلُ الطائرِ بفرقِ ما بين الحيوانِ والعُود . وفيه قلةُ اكترِاثِ الحيَّة بالرَّمْلِ الذى عادَ كالجمر[٥] ، وصلحَ أن يكون مَلةً وموضِعا للخبزة[٦] ، ثمَّ [أن[٧]] يشتمل ذلك الرَّمل على ثلث الحيَّة ساعاتٍ من النَّهار ، والرملُ على هذه الصفة . فهذه أعجوبةٌ من أعاجيب مافى الحيّات .

---

(١) فى نهاية الأرب (١٠ : ١٣٩) : « نابت » بالنون .

(٢) س : « أكلته » .

(٣) س : « جانبها » ، محرف .

(٤) الجذل ، بالكسر ويفتح : ما عظم من أصول الشجر ، وما على مثال شماريخ النخل من العيدان . والحرباء : بالكسر : دويبة من العظاء بطيئة الحركة تتلون ألوانا : Chameleon . وهى إذا احتمت بجذل شجرة لم يميزها الرائى ؛ لأنها تتلون سريعاً بلون الجذل ، فيحسبها نتوءا فيه لا أنها شىء غريب عنه ، فتحفظ نفسها بذلك .

(٥) عاد هنا ، بمعنى صار .

(٦) الملة ، بالفتح : الرماد الحار . والخبزة ، بالضم : عجين يوضع فى الملة حتى ينضج .

(٧) ليست بالأصل .

(رضاع الحية وإعجابها باللبن)

وزعم لى رِجَالٌ من الصّقالبةِ ، خصيانٌ وفحول ، أنَّ الحيَّة فى بلادهم تأتى البقرةَ[١] [المحفَّلةَ[٢]] فتنطوى على فخِذيْها[٣] ورُكبتيها إلى عراقيبها ، ثمّ تُشْخص صدرها نحو أخلافِ ضَرْعِها ، حتّى تلْتقم الحِلف ؛ فلا تستطيع البقَرَةُ [مع قوّتها[٤]] أن تَترَمْرَمَ[٥] . فلا تزالُ تمصُّ اللبن ، وكلما مصّت استرخت . فإذا كادت تتلفُ أرسلتها .

وزعموا أن تلك البقَرةَ إمّا أن تموتَ[٦] ، وإمّا أنْ يصيبَها فى ضرعها فسادٌ شديدٌ تَعْسُرُ مداواته[٧] .

والحيَّةُ تُعْجَبُ باللبن . وإذا وجدت الأفاعى[٨] الإناء غير مخَمَّر[٩]

---

(١) ط : « البقر » ، وأثبت ما فى س ، ه ونهاية الأرب (٩ : ١٣٩) .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب . والمحفلة ، بفتح الفاء المشددة : الناقة أو البقرة أو الشاة لا يحلبها صاحبها أياما حتى يجتمع لبنها فى ضرعها ، فإذا احتلبها المشترى وجدها غزيرة اللبن فزاد فى ثمنها . وفى الحديث : « من اشترى شاة محفلة فلم يرضها ردها ورد معها صاعا من تمر » . وبدلها فى س ، ه : « المحتفلة » تحريف ما أسلفت .

(٣) ط : « فخذى البقرة » .

(٤) الزيادة من نهاية الأرب .

(٥) ترمرم : تتحرك .

(٦) بدلها فى نهاية الأرب : « تتلف » .

(٧) س ونهاية الأرب : « يعسر دواؤه » .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٩) خمر الإناء : غطاه .

٣٩ كرعت فيه[١] ، وربَّمَا مجَّت فيه ما صار فى جوفها ، فيصيبُ شاربَ ذلك اللَّبَنِ أذًى ومكروهٌ كثير .

ويقال إنَّ اللبن محتَضر[٢] . وقد ذهب ناسٌ إلى العمَّار ، على قولهم إنَّ الثوبَ المعصْفَر محْتَضَر[٣] . فظنَّ كثيرٌ من العلماء أنَّ المعنى فى اللبن إنمَا رَجَعَ إلى الحيَّات .

(ما تعجب به الحيات)

والحيَّةُ تَعْجَبُ باللُّفَّاح[٤] والبِطِّيخ[٥] ، وبالحُرْف[٦] ، والخردل المرْخُوف[٧] ؛ وتكره ريحَ السَّذاب[٨] والشِّيح ، كما تكره الوَزَغُ ريحَ الزَّعفَران .

---

(١) كرع فى الماء أو فى الإناء ، كنع وسمع ، كرعا وكروعا : تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء .

(٢) محتضر ، بالضاد المعجمة المفتوحة : تحضره الجن فيما يزعمون ؛ قالوا : ولذلك يسرع إليه الفساد . وفى الأصل : « محتصر » بالمهملة . وليس صوابا .

(٣) ط : « مختصر » س : « محتصر » . وصوابه ما أثبت من ه . وانظر التنبيه السابق .

(٤) اللفاح بالضم وتشديد الفاء : نبت عريض الورق ؛ وله ثمر فى حجم التفاح إلا أنه أصفر شديد العفوصة والقبض ، فإذا نضج مال إلى حلاوة ما . ويسمى بالشام تفاح الجن . وأصله يتكون كصورة الإنسان بيديه ورجليه ، ولذلك يسمى بالسريانية : « يبروحا » أى ينقصه الروح : ويسمى بالفارسية : « هزار كشاى » أى يحل ألف عقدة .

(٥) لا يزال هذا الزعم باقيا فى مصر ، والعامة عندنا إذا أرادوا أن يحفظوا البطيخ المشقوق من أذى الحيات والهوام ، غيبوا نصل السكين فى جوفه ، فيعصمه ذلك من شر الهوام فيما يرون .

(٦) الحرف ، بالضم : هو المعروف بحب الرشاد .

(٧) المرخوف ، بالخاء المعجمة : الذى وضع عليه المـاء فاسترخى . وهذه الكلمة محرفة فى أصلها ، فهى فى ط ، ه : « المزخرف » وفى س : « المرحوف » بالحاء المهملة .

(٨) ه : « السداب » بالمهملة ، تصحيف . وانظر العقد (٦ : ٢٤٣) .

(قوة بدن الحية)

وليس فى الأرض شىءٌ جسمه مثلُ جسم الحيَّةِ ، إلا والحيَّةُ أقوى بدناً مِنه أضعافا . ومن قوَّتها أنها إذا أدخَلَتْ رأسها فى جُحْرِها ، أو فى صَدْعٍ إلى صدرها ، لم يستطعْ أقوى النّاس وهو قابضٌ على ذنبها بكلتَا[1] يديه أنْ يخرجها ؛ لشدَّةِ اعتمادها ، وتَعاونِ أجزائها . وليست بذاتِ[2] قوائم لَهَا أظفارٌ أو مخالبُ أو أظلاف[3] ، تُنْشِبُهَا فى الأرض ، [و[4]] تنشبث بها[5] ، وتعتمد عليها . وربما انقطَعَتْ فى يدى[6] الجاذِب لها ، مَعَ أنها لذَنَةٌ ملساءُ عَلِكَة[7] فيحتاج الرفيق[8] فى أمرها عند ذلك ، أنْ يُرسلها من يديهِ بعضَ الإرسال ، ثم ينشطُها[9] كالمختطف والمختلس ، وربما انقطع ذنبها فى يد الجاذب لها . فأمّا أذنابُ الأفاعى فإنها تنبُت .

---

(١) كذا على الصواب فى س ؛ إذ أن كلا وكلتا إذ أضيفتا إلى اسم ظاهر ألزمتا الألف . وفى ط ، هـ : « بكلتى » ، وهو خطأ .

(٢) فى الأصل : « بذى » ، ووجهه ما أثبت .

(٣) ط ، هـ : « لها أظلاف » ، صوابه فى س .

(٤) الزيادة من س ، هـ .

(٥) س : « تثبت فيها » .

(٦) ط : « يد » . وانظر السطر الرابع من هذه الصفحة .

(٧) علكة ، كفرحة : من قولهم طعام عالك وعلك ، ككتف : متين الممضغة . ط ، هـ : « من أنها » ، وذا عكس المراد ، إذ المعنى أن ملاستها تقتضى انزلاقها من يد الجاذب ، وكونها علكة يستلزم أن تكون متينة تعز على القطع .

(٨) س : « فتحتاج إلى الرفق » ، وهى عبارة لاتساير باقى الكلام .

(٩) نشط الشىء ، من باب نصر : اختلسه .

ومن عجيب [١] ما فيها من هذا الباب ، أنّ نابَها يُقطَع بالكاز [٢] ، فينبت حتى يتمّ نباته فى أقلّ من ثلاث ليال .

(نزع عين الخطاف)

والخُطَّاف فى هذا الباب خلافُ الخنزير ، لأنّ الخطاف [٣] إذا قُلعتْ إحدى عينيه رجَعت . وعينُ البرْذَوْنِ يركبها البَياضُ ، فيذهب فى أيَّامٍ يسيرة .

(الاحتيال لناب الأفعى)

وناب الأفعى يحتالُ له بأن يُدخلَ فى فيها حُمَّاض أُتْرُجّ [٤] ، ويطبق لحيُها [٥] الأعلى عَلَى الأسفل ، فلا تقتل بِعَضّها أياماً صالحة .

والمِغْناطيس الجَاذب [٦] للحديد ، إذا حُكَّ عليـــه الثُّوم [٧] ، لم يجذب الحديد .

---

(١) س : « أعاجيب » .

(٢) الـكاز ، بالزاى : هو المقص بالفارسية . ط : « بالـكار » صوابه فى س ، هـ ومعاجم بالمر ، واستينجاس ، وريتشاردسن .

(٣) س : « الخنزير » صوابه فى ط ، هـ . وسيأتى فى ص ١٤٣ : « فإن نازعا لو نزع عيون فراخ الخطاطيف وفراخ الحيات لعادت بصيرة » .

(٤) الأترج ، سبق الحديث عنه فى (٣ : ٥٨١) . وحماضه : شحمه .

(٥) اللحى ، بالفتح : العظم الذى فيه الأسنان من داخل الفم . ط ، هـ : « لحييها » بالتثنية ، صوابه الإفراد كما فى س .

(٦) المغنطيس والمغناطيس ، بكسر الميم من كل منهما ، وكذا المغنيطس بفتح الميم وكسر النون وفتح الطاء : حجر يجذب الحديد ، معرب . وفى الأصل أيضا : « الجاذبة » صوابه ما أثبت .

(٧) الثوم ، بالضم ، ذاك النبت المعروف . س : « عليها » وهى على الصواب فى ط ، هـ . وجه مناسبة هذه الفقرة لما قبلها ، هو أن بعض المواد إذا اقترنت بمادة أخرى فقدت بعض خواصها .

(خصائص الأفعى)

والأفعى لا تدورُ عينها فى رأسها ، وهى تلد وتبيض ، وذلك أنها إذا طرَّقت ببيضها[١] تحطَّمَ فى جوفها ، فترمى بفراخِها أولادًا ، حتى كأنها من الحيوان الذى يلد حيواناً مثلَه .

وفى الأفاعى من العجَب أنَّها تُذبح حتى يُفرَى منها كلُّ ودَج ، فتبقى كذلك أيَّاماً لا تموت . وأمرتُ[٢] الحاوىَ فقبض على خرَزَة[٣] عنقها ، فقلت له : اقبضها من الخرَزَة التى تليها قبضاً رفيقا[٤] . فما فَتَحَ بينها بقدر سَمِّ الإبرة حتَّى بَرَدَتْ ميِّتة[٥] . وزعم أنَّه[٦] قد ذبحَ غيرَها من الحيَّات فعاشَتْ على شبيهٍ بذلك ، ثمَّ إنَّه فَصَلَ تلك الخرَزة علَى مثالِ ما صنع بالأفعى ، فماتت بأسرعَ من الطَّرْف .

---

(١) طرقت ببيضها ، بتشديد الراء : حان لها أن يخرج بيضها . ط : « طرقت بيضها » صوابه فى س ، هـ .

(٢) ط ، هـ : « فأمرت » بالفاء .

(٣) الخرزة ، بالتحريك : الفقرة من فقرات الظهر أو العنق .

(٤) س : « من الفقرة » والفقرة والخرزة سيان . هـ : « فصلا رقيقا » محرف .

(٥) سم الإبرة : ثقبها . بردت : ماتت .

(٦) الضمير المستكن ، الحاوى الذى سبق ذكره .

(قوة بدن الممسوح)

وكلُّ شيءٍ ممسوحِ البَدن[١] ، ليس بذِى أيدٍ ولا أرْجُل[٢] ، فإنّه يكون شديدَ البدن ، كالسَّمكة[٣] والحيَّة .

(حديث فى سم الأفعى)

وزعم أحمد بن غالب[٤] قال : باعنى حَوّاءٌ ثلاثين أفعى بدينارين ، ٤٠ وأهدى إلىَّ خمساً اصطادها من قُبالة القلب[٥] ، فى تلك الصحارى على شاطئ دجلة . قال : وأرَدْتها للتِّرياق . [قال] : فقال لى حين جاءنى بها : قل لى : مَن يعالجها ؟ [قال] : فقلت له : فلان الصيدلانىّ . فقال : ليس عن هذا سألتك ، قل لى : من يذبحها ويسلُخها ؟ قال : قلت : هذا الصيدلانىُّ بعينه . قال : أخاف أن يكون مغرورًا من نفسه ؛ إنّه والله إن أخطأَ موضع المفصِل من قفاهُ[٦] ، وحركته أسرعُ من البرق ، فإن كان لا يحسن[٧]

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ه . و « ممسوح » بالحاء المهملة ، وقد فسره بما سيأتى . وفى الأصل : « ممسوخ » بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف .

(٢) ط : « رجل » والوجه الجمع كما فى س ، ه .

(٣) ط ، ه : « كالسمك » .

(٤) س : « أحمد بن غالب » . والصواب ماأثبت من ط ، ه . ويؤيده اتفاق النسخ على إثبات « ابن غالب » فى الصفحة ١١٦ .

(٥) موضع أو ماء ، لم أهتد بعد إلى ضبطه أو تعيينه .

(٦) ط : « قفاها » صوابه فى س ، ه .

(٧) س : « يحس » .

ولايدرى كيف يتغفله ، فينقُرُه نَقْرَةً(١) لَمْ يُفْلِحْ بَعْدَهَا أَبَدًا . ولكنى سَأَتَطَوَّعُ لك بِأَنْ أعمل ذلك بين يديه . قال : فبعثت إليه . وكان رأسه [إلى(٢)] الجُونة(٣) ، فَيُغْفِلُ(٤) الواحدةَ فيقبِض على قفاها بأسرع من الطَّرْفِ(٥) ، ثمَّ يذبحها . فإذا ذبحها سال من أفواهها لُعابٌ أبيض ، فيقول : هذا هو السم الذى يقتُل ! قال : فجالت يدُه جَوْلة . وقطرت من ذلك اللُّعاب قطرةٌ عَلَى طرَف قميصِ الصيدلانىِّ . قال : فَتَفَشَّى(٦) ذلك القاطرُ حتَّى صار فى قدر الدِّرهم العظيم . ثم إنَّ الحوّاء امتَحَن ذلك الموضعَ فتهافت

(١) النقر ، بالقاف : أصله للطير ، واستعماله فى الحيات غريب ، لم أر مثله إلا فيما ورد فى ص ١٠٩ ، وكذا فى أثناء قصة رواها الجهشيارى (فى كتاب الوزراء والكتاب) بشأن حية مر بها رجل فقالت له : أدخلنى فى كمك حتى أدفأ ثم أخرج . فأدخلها فلما دفئت قال لها : اخرجى ! فقالت : إنى ما دخلت فى هذا المدخل قط فخرجت حتى أنقر نقرة . وبعدها : « ووالله لئن دخل أسامة لينقرنك نقرة » . كل أولئك بالقاف . انظر الجهشيارى ٥٦ س ١٤ ، ١٥ . والمعروف فى الأفاعى : نكز ينكز ، بالنون ثم الكاف بعدها زاى معجمة ، كما سيأتى فى ص ٢٥٣ .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) الجونة ، بضم الجيم : سليلة (تصغير سلة) مغشاة أدما (أى جلدا مدبوغا) تكون مع العطارين . ذاك أصلها . ط ، هـ : « الحونة » بالحاء ، صوابه فى س .

(٤) يقال أغفلت الرجل : أصبته ووجدته غافلا ، وعلى ذلك فسر بعضهم قوله عز وجل « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا » : اللسان . س ، هـ : « فيتغفل » . يقال تغفلته واستغفلته : تحينت غفلته . والرواية المثبتة من ط .

(٥) الطرف : مصدر طرف بصره : أطبق أحد جفنيه على الآخر . والطرف أيضاً : العين . س : « فى أسرع من الطرف » .

(٦) تفشى بالفاء : انتشر واتسع . وفى اللسان : « تفشى الحبر : إذا كتب على كاغد رقيق فتمشى فيه » . ط ، س : « فتغشى » بالغين بدل الفاء ، ووجهه ما أثبت من هـ .

فى يده ، وبقيت الأفاعى مُذَبَّحة[١] [تجول] فى الطست ويكدم[٢] بعضها بعضاً ، حتى أمسينا .

قال : وبكرت على أبى رجاء إلى باب الجسر ، أحَدِّثه بالحديث ، فقال لى : ودِدْت أنِّى رأيت موضع القطْرة من[٣] قميص الصَّيدلانى ! قال : فو الله ما رِمْتُ[٤] حَتَّى مرَّ مَعى إلى الصَّيدَلانىِّ ، فأرَيْتُه موضعَه .

وأصحابُنا يزعمون أنَّ لعابَ الأفاعى لا يَعمَلُ فى الدَّم . إلَّا أنَّ أحْمَدَ ابنَ المثَنَّى زعم أنَّ من الأفاعى جنساً لا يضُرُّ الفراريج من بينِ الأشياء ، ولا أدرى أىُّ الخبرين أبعد : أخبَرُ ابن غالب فى تفسيخ الثَّوب ، أو خبر ابن المثنى فى سلامة الفَرُّوجِ علَى الأفعى ؟

(ما تضىء عينه من الحيوان)

وزعم محمد بن الجهم أنَّ العيون التى تضىء بالليل كأنها مَصابيحُ ، عيون الأُسْد والنمور ، والسَّنانيرِ والأفاعى ، فبينا نحنُ عنده إذْ دخل عليه بعضُ من يجلب الأفاعىَ من سِجِسْتان ، ويَعْمَلُ التِّرياقات ، ويبيعها أحياءً ومَقْتُولة[٥] ، فقال له : حَدِّثْهم بالذى حَدَّثتنى به من عين الأفعَى . قال : نَعَم ، كنتُ فى مَنْزِلى نائما فى ظلمة . وقد كنتَ جمعتُ رءوس أفَاعٍ[٦]

(١) ط : « مذبوحة » وأثبت ما فى س ، ه .
(٢) يكدم : يعض . ط : « يكدم » بدون واو قبلهما .
(٣) س ، ه : « فى » .
(٤) مارمت ، بكسر الراء من « رمت » : أى مابرحت .
(٥) فى الأصل : « معمولة » .
(٦) فى الأصل : « أفاعى » بإثبات الياء . والوجه حذفها .

كنٌّ عندى ، لأرمىَ بها ، وأغفلتُ تحت السَّرير رأساً واحداً ، ففتحتُ عينى تجاهَ السَّريرِ فى الظلمةِ فرأيت ضياءً إلاَّ أنَّه ضئيلٌ ضعيفٌ رقيق ، فقات : عينُ غولٍ أو بعضِ أولادِ السَّعالى ، وذهبتْ نفسى فى ألوانٍ من المعانى ، فقمت فقدَحْت ناراً ، وأخذتُ المصباح معى ، ومضيت نحوَ السرير فلم أجِدْ تَحْتَهُ إلاّ رأسَ أفعى[1] ، فأطفأتُ السِّراج ونمتُ[2] وفتحْتُ عينى ، فإذا ذلك الضوء على حاله ، فنهضْتُ فصنعتُ كصنيعى الأوَّل ، حتّى فعلتُ ذلك مِرارا . قال : فقلت آخر مرَّة : ما أرى[3] شيئاً إلَّا رأسَ أفعى ، فلو نحَّيتُــه ! فنحَّيتُه وأطفأتُ السِّراج ، ثمَّ رجعْتُ إلى منامى ، ففتحْتُ عينى فلم أرَ الضَّوء، فعلمت أنّه من عين الأفعى ، ثمَّ سألتُ عن ذلك ، فإذا الأمرُ حَقٌّ ، وإذا هو مشهورٌ فى أهل هذه الصِّناعة . ٤١

(قوة بدن الحية وعلة ذلك)

قال : وربَّمَا قبضَ الرَّجلُ الشديدُ الأسْرِ والقوَّةِ القبضةَ على قفا الحيَّة فتلتفُّ عليه فتصرعُهُ . وفى صُعودِها وفى سعيها خلفَ الرَّجلِ الشــديدِ الحُضْر ، أو عند هربها حتّى تفوتَ وتسبق ، وليستْ بذاتِ قوائم ، وإنّما

---

(١) الأفعى مؤنثة ، وقد استعملت اسما ووصفا . فن جعلها وصفا لم يصرف كما لا يصرف أحمر ، ومن جعلها اسما صرف ، كما صرف أرنبا وأفكلا . المخصص (١٦ : ١٠٦) . هذا قول الفارسى . وقال غيره : « الأفعى تقع على المذكر والمؤنث » . المخصص (١٦ : ١٠٥) .

(٢) س : « ونمنا » ، ونام هنا بمعنى رقد .

(٣) ط ، ﻫ : « لا أرى » .

تنسابُ عَلى بطنها . وفى تدافُعِ أجزائها وتَعاونها ، وفى حرَكَةِ الكلّ[١] من ذاتِ نفسها ، دليلٌ على إفراطِ قُوَّةِ بدنها .

ومن ذلك أنها لا تمضغ ، وإنما تبتلع ، فربَّما كان فى البَضْعة أو فى الشىء الذى ابتلعَتْه عَظْمٌ ، فتأتى جِذْمَ شجرةٍ ، أو حَجرًا شاخصا[٢] فتنطوى عليه انطواءً شديدا فيتحطّم[٣] ذلك العَظْمُ حَتَّى يَصِير رُفَاتاً .

ثمَّ يُقطعُ ذنبُها فينبت . ثمَّ تعيشُ فى الماء ، إن صارت فى الماء ، بَعد أنْ كانَتْ برّيّة ، وتعيشُ فى البرِّ بَعْدَ أن طال مُكْثُها فى الماء وصارتْ مائيَّة .

قال : وإنَّمَا أتتْها هذه القُوَّة ، واشتدَّت فِقَرُ ظهرِها هذه الشِّدَّةَ ؛ لكثْرةِ أضلاعِها ، وذلك أنّ لها من الأضلاع عددَ أيَّامِ الشَّهر. وهى مع ذلك أطولُ الحيوان عمرًا .

(موت الحية)

ويزعمون أنَّ الحيَّة لا تموتُ حَتْفَ أنفها ، وإنَّمَا تموتُ بِعَرَض يَعْرِضُ لَها . ومع ذلك فإنه ليس فى الحيوان شىءٌ هُوَ أصبرُ عَلَى جوعٍ من حَيَّةٍ ، لأنَّها إن كانتْ شابَّةً فَدَخلتْ فى حائط صخر ، فتتبَّعُوا موضعَ مَدْخَلها بوتِدٍ أو بحجر[٤] ، ثمّ هدمُوا هذا الحائط ، وجدُوها هنَاك منطوية

---

(١) أى كل أجزائها . ط ، هـ : « حركتها الكل » صوابه فى س . والواو التى قبل « فى » ساقطة من ط .

(٢) شاخصا : مرتفعا . س : « حجر شاخص » صوابه فى ط ، هـ .

(٣) س : « فيحطم » .

(٤) س : « حجر » .

وهى حَيَّةٌ . فالشَّابةُ تُذكر بِالصَّبْر عند هذه العلَّة(١) . فإن هَرِمَتْ صغرَت فى بدنها ، وأقنَعَهَا النَّسيم ، ولم تشتَهِ الطعم . وقد قَالَ الشاعرُ : — وهوَ جَاهلىٌّ(٢) — :

فابْعَثْ له من بعض أعراض اللَّمَمْ(٣) ... لُمَيْمَةً من حَنَشٍ أعْمَى أصمّ

قدْ عاشَ حتى هُوَ لا يَمشى بدمْ ... فكُلَّما أقْصَدَ مِنْهُ الْجوعُ شَمّْ(٤)

وهذا(٥) القولُ لهذا المعْنى . وفى هذا الوجه يقُول الشاعرُ(٦) :

داهية قدْ صغُرَتْ من(٧) الكِبَرْ ... صِلّ صفاً ماينطوى من القِصَر(٨)

---

(١) أى تذكر بالصبر على الجوع . والعبارة ساقطة من هـ . وفى ط ، س : « تذكر الضمر » . وصوابه ما أثبت .

(٢) مثله فى ص ٢٨٣ . وبعض هذا الرجز سيأتى فى (٦ : ١٢٩ ، ٤٠٢) .

(٣) اللمم ، بالتحريك : مايلم بالإنسان من شدة ، ومثله « الملمة » بالفتح . وقد صغرها فيما سيأتى .

(٤) أى شم الهواء ، يطعمه بدل الطعام ، كما سبق . ط ، هـ : « سم » بالمهملة ، صوابه فى س وفى ص ٢٨٣ . وأقصده : أصابه إصابة محققة .

(٥) س : « فهذا » .

(٦) هو خلف الأحمر كما سيأتى فى ص ٢٨٥ — ٢٨٦ ، أو هو النابغة كما فى ديوان المعانى (٢ : ١٤٥) وأصل نهاية الأرب (١٠ : ١٤٥) وحماسة ابن الشجرى ٢٧٣ — ٢٧٤ . وفى مجموعة المعانى ، لمؤلف مجهول ١٩٥ : « وقال النابغة » ، ونسبت إلى خلف الأحمر » .

(٧) ضبطت : « داهية » بالنصب فى المخصص (٨ : ١٠٩) . وروى صاحب المخصص أيضاً « حارية » بالنصب كذلك .

(٨) الصفا : الحجر الصلد الضخم لاينبت شيئاً . ط : « صفا » صوابه فى س ، هـ . يقول : قد قصر حتى مايمكن انطواؤه . فى نهاية الأرب : « لاتنطوى » ، وفى ديوان المعانى : « لاينطوى » ، وفى حماسة ابن الشجرى : « ماينثنى » ؛ وهذه مصحفة .

طويلة الإطراقِ من غير خَفَرْ[1] كأنما قد ذهبت بها الفِكر[2]
جاء بها الطوفان أيَّامَ زَخَرْ[3]

(صَبْرُها على فَقْدِ الطُّعْم)

ومن أعاجيبها أنها وإن كانتْ مَوْصُوفَةً بالشَّرَهِ والنَّهم ، وسُرعَةِ الابتلاع ، فلها فى الصَّبرِ فى أيَّامِ الشِّتاء ما ليس للزَّهِيدِ[4] . ثمَّ هى بعْدُ [ممَّا[5]] يصير بها الحالُ إلى أن تستغنِيَ عن الطُّعم[6] . ٤٢

(النمس والثعابين)

ثمَّ قدْ يزعمون أنَّ بمصرَ دويْبَّةً يقال لها النِّمس[7] يتخذها الناطور[8] إذا اشتــدّ خوفه مِنَ الثَّعَابين ؛ لأنَّ هــذه الدَّابَّةَ تنقبضُ وتنضمُّ ،

---

(١) الإطراق ، بالقاف : إرخاء العينين والنظر بهما إلى الأرض . ط ، هـ : « الأطراف » بالفاء . ومثله فى ديوان المعانى ، ونهاية الأرب . وهو تصحيف لاوجه له ، والصواب المثبت من س وحماسة ابن الشجرى . والخفر : شدة الحياء ، وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « تفر » وفى س ، هـ : « نفر » وفى أصل نهاية الأرب « حفر » ، وصوابها فى ديوان المعانى وحماسة ابن الشجرى . والرواية فى ص ٢٨٦ : « حسر » . وقد أنث « طويلة » لأن الصل بمعنى الحية ، وهى مؤنثة .

(٢) كذا فى ط ، هـ . ورواية س : « كطرق قد ذهبت به الفكر » .

(٣) زخر ، بالزاى المعجمة : كثر ماؤه وعظمت أمواجه . هـ : « ذخر » محرف .

(٤) فى التهذيب : « رجل زهيد وامرأة زهيدة ، وهما القليلا الطعم » . والطعم ، بالضم : الطعام .

(٥) من س ، هـ .

(٦) ط : « الطم » صوابه فى س ، هـ .

(٧) النمس ، بالكسر : حيوان أكدر اللون أحمر العينين قصير القوائم طويل الجسم والذنب ، ولا يزال معروفا فى مصر ، يراه الفلاحون فى بعض المزارع ، ويستأنسه بعض التجار فى حوانيتهم . والعامة يضربون بعينه المثل ، فيقولون : « عينه كعين النمس » ، وفلان نمس ، يعنون بالأول أنه حديد البصر سريعه ، وبالثانى أنه ألمعى حاذق لاتفوته الفرصة .

(٨) الناطور : حافظ النخل والشجر ، قيل إنه دخيل . وقال الأصمعى : هو الناظور =

وتتَضاءلُ[١] وتستدقّ ، حتّى كأنّها قُدَيْدَة[٢] أو قطعةُ حبْل ، فإذا عضَّها الثُّعبان وانطوى عليها زَفَرتْ ، وأخذتْ بنفَسها وزَخَرت[٣] جوفَها فانتفخ . فتفعل ذلك وقد انطوى عليها ، فتقطعه قِطَعاً من شِدّةِ الزَّخْرة[٤] .

وهذا من أعجب الأحاديث .

(القواتل من الحيات)

والثّعابينَ إحدَى القواتِل . ويزعُمون أنّها ثلاثةُ أجناسٍ لا ينجعُ فيها رُقيةٌ ولا حِيلة ، كالثعبان ، والأفعى ، والهنديَّة[٥] . ويقال : إنَّ ما سِواها فإنّما يقتُلُ مع ما يُمِدُّها من الفزَع ؛ فقد يفعل الفزَع وحْدَه ؛ فكيف إذا قارنَ سُمَّها[٦] ؟ ! [وسُمُّها][٧] إن لم يقتُلْ أمرضَ .

= والنبط يجعلون الظاء طاء ، ألا تراهم يقولون « برطلة » وإنما هو ابن الظل . قلت : ذاك معناها التفصيلى الاشتقاقى ، وكلمة « بر » بمعنى الابن بالنبطية ، فهو يريد أن النبط ألفوا الكلمة من لفظهم ومن كلام العرب . ومعنى الكلمة : المظلة الضيقة . انظر المعرب ص ١٤٧ ثم ص ٢٩ .

(١) تتضاءل : تنقبض وينضم بعضها إلى بعض . وهذه الكلمة ساقطة من س ، ومحرفة فى ط ، ﻫ برسم « تنصال » .

(٢) قديدة : مصغر القدة بالكسر ، وهى واحدة القد ، كما فى القاموس . والقد : سيور تقد من جلد فطير غير مدبوغ ، فتشد بها الأقتاب والمحامل ، كما فى اللسان . ط ، ﻫ : « فريدة » صوابه فى س . وانظر أواخر مفاخرة الجوارى والغلمان من رسائل الجاحظ .

(٣) زخر الشىء : ملأه ، كما فى القاموس . س : « زخْرت » ، وكتبت النقطة العليا بالمداد الأحمر ، والسفلى بالأسود ، ولم أستطع توجيه : « زجرت » بالجيم .

(٤) ﻫ : « الزجرة » وانظر التنبيه السابق . س : « الزحرة » مصحفة .

(٥) فى العبارة نقص وتشويه . وانظر ما نقل الدميرى عن الجاحظ (١ : ٤١١) .

(٦) ط ، ﻫ : « قارنه » .

(٧) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

(ما يفعل الفزع فى المسموم)

ويزعمون أنَّ رجلاً قال[١] تحتَ شجرةٍ ، فتدلَّت عليه حيَّةٌ منها فعضَّت رأسَه ، فانتبه محمرَّ الوَجْهِ ، فحكَّ رأسَه ، وتَلَفَّتَ[٢] ، فلم يرَ شيئاً ، فوضع رأسَه ينامُ ، وأقام مدَّةً طويلةً لا يرى بأساً ، فقال له[٣] بَعْضُ مَنْ كان رأى تدلِّيَهَا عليه ثمَّ تقلُّصَها عنه وهروبَها منه[٤] : هل علمتَ مِنْ أيِّ شىءٍ كان انتباهك تحتَ الشَّجرة ؟ قال : لا والله ، ما علمت . قال : بلى ، فإنَّ الحيّةَ الفُلانيَّة نزلت عليك حتّى عضَّتْ رأسَك ، فلما جلست [فزعا] تقلَّصتْ عنك وتراجعَت . فَفَزِع فَزْعَةً وصَرَخ صرخةً كانَتْ فيها نَفْسُهُ . وكأنهُمْ توهَّموا أنَّه لما فزِع واضطربَ ، وقد كان ذلك السُّمُّ مغمورًا ممنوعا فزال مانِعُهُ ، وأوغله ذلك الفَزَعُ ، حِينَ[٥] تفتَّحت منافسُه ، إلى موضع الصَّميم والدِّماغِ وعُمْقِ البدَن ، فانحلَّ موضعُ العَقْد الذى انعقدَت عليه أجزاؤه وأخلاطُه .

وأنشد الأصمعىُّ :

نَكِيثة تنهشه بمنبذ[٦]

(١) قال ، هنا ، بمعنى نام فى القائلة ، وهى نصف النهار .

(٢) ط ، هـ : « ويلتفت » ، وأثبت ما فى س والدميرى .

(٣) بدل هذه العبارة فى س : « فلما كان ذلك قال » .

(٤) « وهروبها منه » ساقط من س . وفى ط ، هـ : « من كان رأى حاله » الخ .

(٥) فى الأصل : « حتى » .

(٦) ط ، هـ : « ونكشة » .

وأنشدَ لأبي دُوادٍ الإياديِّ :

فأَتاني تَقْحِيمُ كَعْبٍ لِيَ المَنْ طِقَ إنّ النَّكِيثةَ الإقْحَامُ[١]

(أثر الفزع في فعل السم)

قال : فالفزَعُ إمّا أنْ يكونَ يُوصِلُ السمَّ إلى المَقاتِل ، وإمّا أن يكون معيناً له ، كتعاون الرَّجُلين على نزع وتِد . فهم[٢] لا يجزمون على أنّ الحيَّة من القواتل البتّة[٣] ، إلّا أنْ تقتلَ إذا عضّت النائمَ والمغشيَّ عليه ، والطفلَ الغريرَ ، والمجنونَ الذي لا يَعْقِل ، وحتّى تجرَّبَ عليهِ الأدوية .

(الترياق وانقلاب الأفعى)

وكنت يوماً عند أبي عبد الله أحمد بن أبي دُواد ، وكان عنده سلْمويه[٤] وابن ماسويه ، وبختيشوع بن جبريل ، فقال : هل ينفع التِّرياق من نهشة

---

(١) التقحيم : أن يجعله يقحم أي يدخل في الأمر فجأة بلا روية . في الأصل : « تفخيم » صوابه في الشعراء ١٨٩ . وكعب ، هو كعب بن مامة ، الرجل الجواد ، وكان قد بلغ أبا دواد شيء عنه . الشعراء ١٨٩ . وفي الأصل : « إلى المنطق » تصحيحه من الشعراء . والنكيثة : الخطة الصعبة ، ط ، ﻫ : « النكيشة » صوابه في س والشعراء . والإقحام بمعنى التقحيم ، ط ، ﻫ : « الافحام » تصحيحه من س والشعراء ، وقد روى ابن قتيبة أربعة عشر بيتا من هذه القصيدة .

(٢) بدل هذه الكلمة والتي قبلها في ط : « وتراهم » ، تحريف صوابه في س ، ﻫ .

(٣) يقال : حزم على الأمر ، بفتح الزاي مخففة ، أو مشددة : أي سكت . س : « لايجزمون أن الحية » الخ ، ومؤدى العبارتين واحد عند التأمل .

(٤) في الأصل : « وكان أخذ داود عنده سلمويه » ، والكلمة الثانية والثالثة يفسدان الكلام .

أفعى ؟ فقال بعضهم : إذا عَضَّتِ الأفعى فأُدرِكَتْ قبل أن تنقلب[١] نفع
٤٣ الترياق ، وإن لَمْ تُدْرَك لَمْ يَنْفَعْ ، لأنهم إنْ قلُّوا مِنَ التِّرياقِ قتلَهُ السُّمُّ ،
وإن كثَّروا مِنْهُ قتَله الفاضلُ عن مقدار الحاجة .

قلت : فإنَّ ابنَ العجوزِ[٢] خبَّرَنى بأنها[٣] ليست تنقلب لِمَجِّ السمِّ
وإفراغهِ ، ولكنَّ الأفعى فى نابها عَصَل[٤] ، وإذا عضّت استفرغت إدخالَ
النَّابِ كلِّه ، وهو أحْجَنُ أعْصَل[٥] ، فيهِ مشابه من الشِّصِّ[٦] ، فإذا انقلبَتْ
كان أسهلَ لنزْعه وسلِّه . فأمّا لصبِّ السّمِّ وإفراغه فلا . قَالَ : والله لعلّه
ما قلت ! [قلتُ] : مَا أسْرَعَ ما شككْتَ ! !

ثمّ قلت له : فكأنما[٧] وضعوا الترياق واجتلَبُوا الأَفاعىَ وضنُّوا[٨]
وعزمُوا على أنه لاينفع إلاّ بدرْك الأفْعَى قبلَ أنْ تَنقلب ! وكيف صار التِّرياقُ
بعد الانقلاب لا يكونُ إلّا فى إحْدَى منزلتين : إمّا أن يقتل بكثرته ، وإمَّا
ألاّ يَنْفَعَ بقلّته ! فكأنَّ الترياقَ ليس نفعُه إلَّا [فى[٩]] المنزلةِ الوسطى
التى لا تكون فاضلةً ولا ناقصة ! ولكنى أقولُ لك : كيف يكون نفعه إذا
كان التِّرياقُ جَيِّدًا قويًّا ، وعُوجِل فسُقِى المِقْدَارَ الأوسط ، قَبْلَ أنْ يَبْلُغَ
الصَّميمَ ، ويغوصَ فى العُمْقِ[١٠] . وعلى هذا وُضع ، وهم كانوا أحْزَم

(١) س : « تقلب » .
(٢) فى ص ٤١٩ : « ابن أبى العجوز » . وهو أحد الحوائين .
(٣) س : « بأن الأفعى » .
(٤) العصل ، بالصاد المهملة والتحريك : الاعوجاج . س ، هـ : « عضل » مصحف .
(٥) س : « أعضل » ، بالصاد المهملة كما فى هـ ، ط .
(٦) هذه العبارة ليست فى هـ ، وفى ط ، س : « النقص » . ووجهه ما أثبت .
(٧) فى الأصل : « فإنما » .
(٨) كذا .
(٩) ليست بالأصل .
(١٠) أى عمق البدن ، كما مر فى ١٢٢ س ١١ . وفى الأصل : « العميق » .

وأحْذَقَ مِنْ أن يتكلفوا شيئاً ، ومقدارُه من النَّفـــعِ لا يُوصَل إلى معرفته .

ويقول بعضُ الحذاق : إنَّ سقيَ التِّرياقِ بعدَ النهش بساعةٍ أو ساعتَين مَوْت المنهوش .

ثم قلتُ له : وما عَلَّمك ؟ وبأيِّ سببٍ أيقنتَ[1] أنها تمجُّ من جوفِ نابها شيئاً ؟ ! ولعله ليس هنالك إلاَّ مخالطة جوهَرِ ذلك النَّابِ لدم الإنسان ! أوَلَسْنَا قد نَجِدُ من الإنسان مَنْ يَعَضُّ صاحِبَه فيقتُلُه ، ويكونُ معروفاً بذلك ؟! وقد تقِرُّون أنَّ الهنديَّة والثعبانَ يقتلان ، إمَّا بمخالطة[2] الرِّيق والدم ، وإمَّا بمخالطة السِّنِّ والدَّم ، من غير أن تدَّعُوا أنَّ أسنانَهما مجوَّفة[3] . وقد أجمع جميعُ أصحابِ التَّجارب أنَّ الحيَّة تضْرَبُ بقَصَبَةٍ[4] فتكون أشدَّ عليها من العصا وقد يضرَبُ الرجلُ على جسَده بقضبان اللَّوْز وقضبَان الرُّمان ، وقضبانُ اللَّوْزِ أعلك[5] وألْدن ، ولكنَّها أسلَمُ[6] ، وقُضبان الرُّمَّان أخفُّ وأسخَفُ ولكنها أعطب .

وقد يطأ الإنسان على عَظْمِ حَيَّةٍ أو إبْرَةِ عَقْرَبِ ، وهما مَيْتَتان ، فيلقى الجهد . وقد يُخْرَجُ السِّكِّينُ من الكيرِ وهو مُحمًى ، فيُغْمَسَ في اللبن

---

(١) كذا في س . وفي ط ، هـ : « علمت » .

(٢) ط ، هـ : « لمخالطة » .

(٣) س : « جوف » : جمع جوفاء .

(٤) س : « بعصية » : تصغير عصا ، صوابه في ط ، هـ .

(٥) أعلك بمعنى أشد وأمتن . ويقال : طعام عالك وعلك — ككتف : متين الممضغة . وألدن . من اللدونة ، وهي اللين . واللدن : اللين .

(٦) ط ، س : « اسم » صوابهما في هـ .

فتى خالطَ الدّم قامَ مقامَ السمّ ، من غير أن يكون مَجَّ فى الدّم رطوبةً غليظةً أو رقيقَةً .

وبعض الحجارة يُكْوَى بها — وهو رِخْوٌ — الأوْرَامُ حتى يفرّقها ويُخمِصها [١] من غير أن يكونَ نفذَ إليْهَا شىءٌ مِنْهُ ، وليس إلاّ الملاقاة .

قلت : [٢] ولعلَّ قوًى قد انفصلت من أنيابِ الأفاعى إلى دماء النّاس .

وقد رَوَوْا أنّه قيل لجالينوس : إنّ هاهُنا رجلاً يَرقى العقاربَ فتموتُ ، أو تنحلّ فلا تعمل ، فرآه يرقيها ويتفل عليها ، فدعا به بحضرةِ جماعةٍ وهو على الرِّيق ، ودعا بغَدائه فتغَدّى مَعَه ، ثمّ دَعِيَ له بالعقاربِ فتَفَل عليها ، فلم يَجِدْ لعابه يصنَعُ شيئاً إلاّ أنْ يكون ريقاً . وهُوَ حَدِيثٌ يدورُ بينَ أهل الطبِّ ، وأنت طبيب . فلم أَرَهُ فى يومه ذلك قال شيَئاً إلاّ مِن طريق الحَزْر والحَدْس ، والبلاغات . ٤٤

(السُّموم)

وسمومُ الحيَّاتِ ذواتِ الأنياب ، والعقاربِ ذواتِ الإبر ، إنمَا تَعْمَلُ فى الدّمِ بالإجمادِ والإذابة . وكذا سمومَ ذواتِ الشعر والقُرُونِ والجُمّ ، إنمَا تَعْمَلُ فى العصب ، ومنها ما يعمل فى الدم .

---

(١) ط : « حتى يغرقها » س : « حتى يمرقها » صوابه فى ﻫ . ويخمصها : يجعلها تنخمص أى تنقبض وتتضاءل وتسكن . ﻫ : « يخمصها » بالخاء المعجمة ، وهى صحيحة بمعنى الأولى .

(٢) فى الأصل : « فإن قلت » . وصوابه حذف « فإن » . وقراءة الفعل بضمير المتكلم ، وهو الجاحظ . وانظر انتصار الجاحظ للقول بالقوى الفاصلة من بعض الأشياء ، فى الجزء الثانى من الحيوان ص ١٣٥ — ١٤٠ .

(شرب المسموم لِلَّبَن)

وحدثني بعضُ أصحابنا قال : كنتُ إمَّا برماى[١] وإما بباري[٢] وهما بلادُ حيّاتٍ وأفاعٍ[٣] ، ونحن في عُرْس ، إذ أدخلوا الخِدْرَ العروسَ[٤] فأبطئوا عليه شيئاً ، فأغفى وتلوّتْ على ذراعه أفعى[٥] ، فذهبَ ينفضها وحَجَمَتْ على ذراعه ــ وقد يقال ذلك إذا كانت العضّة في صورةِ شَرْطِ الحجّام ــ فصَرَخَ وجاءُوا يتعادَوْن[٦] فوجدُوها فقتلوها ، وسقَوه في تلك اللَّيلةِ لبَنَ أربعينَ عنزاً ، كُلَّمَا استقرّ في جوفه قَعْبٌ من ذلك اللَّبَن قاءَ فَيَخْرُجُ مِنْهُ كأمثال طَلْعِ[٧] الفُحال الأبيض[٨] ، فيه طرائق من دَسَمٍ تعلوه خضرة ، حتى استوْفى ذلك اللَّبَن كله . قال : فعندها قال شيخٌ من أهل القرية : إن كنتم أخرَجْتم ذلك السمَّ فقد أخرجتم نَفْسَهُ معَه ! قال : فغبَرَا أيّاماً بأسوإِ حالٍ ثمَّ مات . قال : وكنتُ أعجَبُ من سُرعة استحالة اللَّبَنِ وجُموده .

---

(١) هـ : « برمار » .

(٢) س : « بهارى » .

(٣) في الأصل : « أفاعى » بإثبات الياء ، وصوابه ما أثبت .

(٤) العروس ، يقال للرجل والمرأة ، والمراد هنا : الرجل .

(٥) انظر ما كتبت عن هذا اللفظ في ص ١١٧ .

(٦) يتعادون : يتبارون في العدو .

(٧) هذه الكلمة ليست في الأصل ، وهي ضرورية . والطلع : نور النخل مادام في الكافور ، أي الغلاف .

(٨) الفحال ، كرمان : الذكر من النخل . والأبيض صفة للطلع لا للفحال .

(اكتفاء الحيات والضباب بالنسيم)

قلتُ : والحياتَ البرّيَّة إذا هرِمَت تنسَّمت النَّسيمَ فاكتفَتْ به[١] ، وكذلك الضِّبابُ إذا هرِمت .

قال : ولا يكون ذلك للمائيّة من حيَّاتِ الغياضِ[٢] وشُطوط الأنهار ، ومناقع[٣] المياه .

(الحيات المائية)

قال : والحيَّات المائيَّة ، إمَّا أن تكون برِّيَّةً أو جبليّةً ، فاكتَسحتها السُّيولُ واحتملَتْها فى كثيرٍ مِنْ أصناف الحشَرَاتِ والدَّوابِّ والسِّباع ، فتوالدت تلك الحيّاتُ وتلاقحَتْ هناك . وإمَّا أنْ تكون كانت أمهاتُها وآباؤُها فى حيَّاتِ الماء . وكيف دارت الأمور فإنَّ الحيَّاتِ فى أصل الطَّبع مائيّة . وهى تعيشُ فى النَّدَى ، وفى الماء ، وفى البرِّ وفى البحر ، وفى الصَّخر والرَّمل . ومن طباعها أن ترقّ وتلطف على شكلين : أحدهما لطول العمر ، والآخر للبُعد من الرِّيف . وعلى حسب ذلك تعظم فى المياه والغياض .

---

(١) س : « واكتفت بذلك » .

(٢) الغياض : جمع غيضة بالفتح ، وهى مجتمع الصخر فى مغيض ماء . ه : « الغيات » محرف .

(٣) مناقع ، بالقاف : جمع منقع بالفتح ، وهو الموضع يستنقع فيه الماء . ط : « منافع » ، صوابه فى س ، ه .

(ما أشبه الحيات من السمك)

قال : وكلُّ شيء فى الماء ممّا يعايش السمك ، مما أشبه الحيّـات كالمارماهى[١] والأنـكليس[٢] فإنها[٣] كلها على ضربين : فأحدهما من أولاد الحيات ، انقلبت بما عرض لها من طباع البلد والماء . والآخر من نسل سمك وحيات تلاقَحَت[٤] ؛ إذ[٥] كان [طِبَاعُ[٦]] السمك قريباً من طباع تلك الحيّات . والحيّاتُ فى الأصل مائيّة ،وكلّها كانت حيّات . ٤٥

---

(١) المـارماهى : ضرب من السمك الشبيه بالحيات ، وليس بحيات . واللفظ فارسى وضبطت راؤه بالـكسر فى معجم Palmer . ط ، هـ : « كالماء ما هى » صوابه فى س .

(٢) الأنـكليس : ضرب من حيات الماء . وقد جعل الجاحظ هذا وما قبله نوعين . وقد وجدت الدميرى يقول إنهما نوع واحد . انظر رسمى (الأنكليس ، والجرى) فيه . وقال داود فى التذكرة : « مارماهى هو حـيات المـاء المعروف عندنا بالأنـكليس ، سمك شبيه بالحيات » . ولفظه يونانى معرب كما فى معجم المعلوف ١١ . وضبطه صاحب القاموس ، وكذا الدميرى ، بفتح الهمزة واللام وبـكسرهما ، ويقال فيه أيضا « أنقليس » بالقاف .

(٣) فى الأصل : « وإنها » .

(٤) ط ، هـ : « وتلاقحت » والصواب حذف الواو كما فى س .

(٥) س : « إذا » ، صوابه ما أثبت من ط ، هـ .

(٦) ليست بالأصل . وبها يلتئم الـكلام .

(قرابة بعض النبات لبعض)

وقد زعم أهلُ البصرة أنّ مُشَان(١) الكوفة قريبٌ(٢) من بَرْنىّ(٣) البصْرَة ، قلبته البلدة .

ويزعمُ أهلُ الحجاز أنَّ نخلَ النارجيل(٤) هو نخل المُقْل(٥) ، ولكنّه انقلب لطباعِ البلدة . وأشباهُ ذلك كثير .

ويزعمون أنَّ الفيَلة مائيّة الطِّباع بالجاموسيَّة والخِنزيرية التى فيها .

---

(١) المشان كغراب وكتاب : نوع من أطيب الرطب ، واللفظ معرب « موشان » الفارسية معناه أم الجرذان ، وقد ترجم الفرس هذا اللفظ العربى إلى لغتهم . وكلمة « موش » معناها الفأر بالفارسية . والألف والنون علامة الجمع عندهم . وأم جرذان : نوع من التمر كبار ، قيل إن نخله يجتمع تحته الفأر ، وروى صاحب اللسان عن أبى حنيفة أن أم جرذان آخر نخلة بالحجاز إدراكا ، قال الساجع : « إذا طلعت الخراتان ، أكلت أم جرذان » . وروى عنه — أى عن أبى حنيفة — صاحب المخصص أنها نخلة تحبها الجرذان فتصعدها فتأكل منها .

(٢) فى الأصل : « قريبا » .

(٣) البرنى ، بالضم وبالفتح : ضرب من التمر ، جاء فى المخصص (١١ : ١٢٣): « وأم جرذان بالمدينة مثل البرنى بالبصرة ، تلقط أبدا حتى لا يبقى عليها شىء » وهو معرب من « برنيك » الفارسية ، « بر » بمعنى حمل ، و « نيك » بمعنى جيد ، فمعناه الحمل الجيد . وهذه الكلمة محرفه فى الأصل ، فهى فى ط ، هـ : « مسان » وفى س : « قرنبا » والوجه فيه ما ذكرت ، انظر التنبيه الأول من هذه الصفحة .

(٤) النارجيل : الجوز الهندى ، تعريب « نارگيل » . وضبط بفتح الراء ضبط قلم فى القاموس واللسان . ط : « النارجيلى »، صوابه فى س ، هـ .

(٥) المقل ، بالضم : حمل شجرة الدوم .

(الذئب والنسيم)

قال : والذِّئبُ أيضاً ، وإن كان عندهم[١] مِمَّا لا يجتزى بالنَّسيم[٢] ، فإنَّه من الحيوان الذى يفتح فاه للنَّسيم ؛ ليبرد جوفه من اللهيب[٣] الذى يعتَرِى السِّباع ؛ ولأنَّ ذلك يمدّ قوّته ، ويقطع عنه ببرودته[٤] ولطافته الرِّيق . فإن كان ذا سُعْر[٥] [إذا عدا[٦]] احتشى ريحاً .

(اختلاف صبر الذئب والأسد على الطعام)

وربّما جاعَ الأسد ففعل فِعْلَ الذِّئب ، فالأسد والذِّئب يختلفان فى الجوع والصبر ؛ لأنَّ الأسدَ شديدُ النَّهَمِ ، رغيبٌ حريص شَرِهٌ ؛ وهو مع ذلك يحتمِلُ أنْ يبقى أيّاماً لا يأكلُ شيئاً . والذِّئبُ وإن كان أقفر[٧] منزلاً ، وأقلَّ خِصْبا ، وأكثرَ كَدًّا[٨] وإخفاقا ، فلا بدَّ له من شىء يُلقِيه فى جوفه ، فإذا لم يجدْ شيئاً استعار النسيم .

---

(١) ط ، س : « عنده » صوابه فى هـ .

(٢) فى الأصل : « الهرم منها لا يجتّزى بالنسيم » ، وكلمة « الهرم » مقحمة . وكلمة « منها » محرفة عما أثبت .

(٣) س : « اللهث » .

(٤) س : « ببرده » .

(٥) السعر ، بالضم : الجوع والحر . وفى الأصل : « سحر » . ولا وجه له .

(٦) الزيادة من س ، هـ .

(٧) كذا على الصواب فى ط ، هـ ومباهج الفكر والدميرى وثمار القلوب ٣١٠ وفى س : « أقعد » ولا وجه له .

(٨) كذا فى الأصل ومباهج الفكر والدميرى . والكد : الشدة فى العمل ، والإلحاح فى محاولة الشىء . وربما كانت هذه الكلمة : « إكداء » ، والإكداء بمعنى الإخفاق .

(حيلة بعض الجائعين)

والنَّاس إذا جاعُوا واشتدَّ جوعُهم شدُّوا على بطونهم العمائم . فإن استقلوا ، وإلاَّ شَدُّوا الحجَر[١] .

(شعر فى الذئب)

وأنشَد[٢] :

كَسِيدِ الغَضَى العَادِى أضلَّ جِراءَهُ[٣]

على شَرَفٍ مُسْتَقْبِلَ الرِّيحِ يَلْحَبُ[٤]

كأنَّه يجمع استِدْخالَ الرِّيحِ والنَّسيم ، فلعلَّه أن يجِدَ ريحَ جِرائه .

وقالَ الرَّاجز[٥] :

يَسْتَخْبِرُ[٦] الرِّيحَ إذا لم يَسْمَعِ ‍ ‍ ‍ ‍ بِمِثْلِ مِقْرَاعِ الصَّفَا المُوقَّعِ[٧]

---

(١) روى ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث ٣١٨ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما دعا على مضر بقوله : « اللهم اشدد وطأتك على مضر . . . » الخ — نال الجدب رسول الله وأصحابه حتى شد هو وشد المسلمون على بطونهم الحجارة من الجوع . ط : « الحجز » صوابه فى س ، هـ .

(٢) ط ، : « وأنشدوا » ،

(٣) السيد : الذئب ، والغضى : الخمر بالتحريك ، وهو ما واراك من شجر وغيره ، وذئب الغضى أخبث الذئاب . العادى ، بالدال : الذى يعدو . أضل جراءه : فقد أولاده ، والجراء ، بالكسر : جمع جرو . ط ، هـ : « أصل » ، ط ، هـ ، س : « جراءة » ، وذانك تصحيفان .

(٤) الشرف : ما علا من الأرض ، وإنما يستقبل الريح ليتشمم ريح أولاده . يلحب : يسرع .

(٥) هو أبو الرد يى المكلى ، كما أسلفت فى الجزء الأول ص ٣٤ نقلا عن البيان .

(٦) ط : « يستبخر » صوابه فى س ، هـ والبيان (١ : ٨٢) . وفى اللسان : (مخر، قرع) « يستمخر » وقال : « استمخرها : قابلها بأنفه ليكون أروح لنفسه » .

(٧) المقراع : الفأس يكسر بها الصخر . الموقع : المحدد . وقع الحديدة : حددها .

(شمّ الظليم)

والظَّليم يكون على بيضه فيشمُّ ريح القانص من أكثَرَ من غَلْوَةٍ ، ويبعُد عَنْ رِئالِهِ[١] فيشمُّ رِيحَها من مكان بعيد.

وأنشدنى يحيى بن نُجيم[٢] بن زَمَعة قال :

أشمُّ من هَيَقٍ وأهْدَى من جَمَلْ[٣]

وأنشدنى عَمْرُو بن كِركِرة[٤] :

مَا زالَ يشتمُّ اشتمامَ الهَيْقِ

قال وإنَّمَا جعله ذئبَ غَضَى لأنهم يقولون : ذئبُ الخَمر[٥] أخبث .

ويقولون : شَيْطان الحَماطة[٦] . يريدون الحيّة .

(بعض ضروب الحيّات)

وكلُّ حيّةٍ خفيفةِ الجسم فهى شَيطان[٧] . والثِّقالُ لا تنْشط من أرضٍ إلى أرض ، وتثقل عمّا تبلُغه المستطيلاتُ الخِفاف . وقال طرَفة :

تلاعِبُ مَثْنَى حَضْرَمِيٍّ كأنَّهُ تَعَمُّجُ شَيْطانٍ بذى خِرْوعٍ قَفْرِ[٨]

---

(١) الرئال : جمع رأل ، وهو فرخ النعام .

(٢) فى الأصل : « لجيم » باللام ، وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة يحيى بن نجيم فى (٢ : ٣٥١) .

(٣) الهيق ، بالفتح : ذكر النعام . وأهدى : من الهداية .

(٤) سبقت ترجمته فى (٣ : ٥٢٥) . ط : « عمر » صوابه فى س ، ه .

(٥) الخمر ، بالتحريك : ما واراك من شجر وغيره .

(٦) الحماطة ، بالفتح : واحدة الحماط ، وهو شجر التين الجبلى ، والحيات تألفه .

(٧) قال الجاحظ فى (١ : ١٥٣) : « ويسمون الحية إذا كانت داهية منها شيطانا » .

(٨) ط : « خضرى » ، صوابه فى س ، ه . تعمج : تلو . ط ، ه : « تقمح » صوابه فى س . وقد سبق البيت فى (١ : ١٥٣) وسيعاد فى (٦ : ١٩٢) .

الكِرْمانى عن أنَس — ولا أدرى مَنْ أنسٌ هذا — فى صفة ناقة :

شَنَاحِيَةٌ فيها شناحٌ كأنّها
حَبَابٌ بكفّ الشّأْوِ من أسطعٍ حَشْرِ [١]

والحَباب : الحيّة الذّكر .

(بعض المضاف إلى النبات من الحيوان)

وكما يقولون : ذئب الخَمر ، يقولون : أرنب الخلّة [٢] ، وتيس الرَّبْل [٣]

٤٦ وضبٌّ السَّحا [٤] . والسَّحا [٤] بقلةٌ تحسُنُ حاله [٥] مَنْ أكلها .

وكذلك يقولون : « ماهو إلاّ قُنْفُذُ بُرْقة [٦] » لأنه يكون أخبثَ له :

وذلك كلّه على قَدْر طبائع البُلدانِ والأغْذِيَةِ العاملةِ فى طبائع الحيوان .

(١) الشناحية : الطويلة الجسيمة . والشأو : الزمام . ط : « الشاء » صوابه فى س ، هـ والجزء الأول ص ١٥٣ . والأسطع : العنق الطويل . والحشر : المستوى .

(٢) الخلة ، بالضم : شجرة شاكة ، وفى ثمار القلوب ٣٣٠ : « الحلة » بالحاء المهملة وهى بالكسر : شجرة شاكة أيضا .

(٣) المراد بالتيس هنا : الذكر من الظباء أو الوعول . والربل بالفتح : ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطرت بورق أخضر من غير مطر . وفى الأصل : « الرمل » ، وهو تحريف صوابه فى (٦ : ١٢٣) ، وجاء فى شعر امرئ القيس :

وراح كتيس الربل ينفض رأسه أذاة به من صائك متحلب

(٤) السحا ، بالفتح : جمع سحاة ، وهى شجرة شاكة . س : « السحاء » وهى بالكسر نبت شائك يرعاه النحل ، عسله غاية .

(٥) س : « حالة » .

(٦) البرقة ، بالضم : غلظ من الأرض فيه حجارة و رمل وطين مختلطة .

(بعض طبائع البلدان)

ألا تَرى أنَّهم يزعمُون أنَّ مَن دخَلَ أرضَ تُبَّتَ(١) لم يزَلْ ضاحكا مسروراً ، من غير عَجَب(٢) حتّى يخرجَ منها .

ومن أقام بالموصِل حولاً ثم تفقَّد قوَّته وجد فيها فضلاً . ومن أقام بالأهواز حَوْلاً فتفقَّد عقلَه(٣) ذُو فِراسةٍ وجد النُّقصانَ فيه بيِّنا . كما يقال فى حُمَّى خَيبر(٤) ، وطِحال البحرين(٥) ، ودماميل الجزيرة(٦) ، [وجَرَب الزِّنج(٧)] . وقال الشمَّاخ(٨) .

(١) تبت ، بضم التاء وتشديد الباء المفتوحة : ذاك الإقليم الصينى .

(٢) العجب : مايتعجب منه . وتجد مثل هذا الكلام فى معجم البلدان وثمار القلوب ٣١٠ وعيون الأخبار ١ : ٢١٩ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٦٤ . قال ياقوت فى نعت أهلها : « والتبسم فيهم عام حتى إنه ليظهر فى وجوه بهائمهم » !.

(٣) ط ، ه : « قوته » ، صوابه فى س وعيون الأخبار ومحاضرات الراغب . قال ياقوت : « ومن أقام بها سنة نقص عقله » .

(٤) خيبر ، هى الولاية التى كانت عندها الغزوة المشهورة ، وكانت ذات سبعة حصون ولذلك تسمى « خيابر » أيضاً ، كما ورد فى شعر لابن قيس الرقيات . ومعنى « خيبر » الحصن باللغة العبرية كما فى معجم البلدان . ويقال لها أيضاً « خيبرى » كما ورد فى الأمثال : « به الورى . وحمى خيبرى » . أمثال الميدانى (١ : ٩٥) وفى العقد (٤ : ٣٠١) ما يفهم منه أن يهود خيبر كانوا يتبعون نظاما صحيا كفل لهم قلة التعرض لحماها : « سئل يهود خيبر : بم صححتم على وباء خيبر ؟ قالوا : بأكل الثوم ، وشرب الخمر ، وسكون اليفاع ، وتجنب بطون الأودية ، والخروج من خيبر عند طلوع النجم وعند سقوطه » .

(٥) قالوا : من سكن بالبحرين عظم طحاله ، وقال شاعرهم :

ومن يسكن البحرين يعظم طحاله ويغبط بما فى بطنه وهو جائع

(٦) هذه الجزيرة هى المسماه « جزيرة أقور » ، وهى التى بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار بكر وديار مضر ، ومن أمهات مدنها حران والرها والرقة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور ، وماردين وآمد وميافارقين والموصل . انظر معجم البلدان .

(٧) هذه الزيادة من ه . وفى ثمار القلوب ٤٣٥ : « طرب الزنج » حيث تحدث فى ذلك حديثا طويلا . وكل منهما خاصة من خواص الزنج . وسيأتى فى ١٣٩ فى الكلام على بلاد الزنج : « ألا يزال جربا ما أقام بها » .

(٨) س : « شماخ » .

كأنَّ نَطــاة خَيْبَرٌ زَوَّدَتْه بَــكُورَ الوِرْدِ رَيِّثَةَ القُلُوعِ [١]

وقال أوسُ بن حجَر :

كأنَّ به إذْ جئتَهُ [٢] خَيْبَرِيَّةً يَعُودُ عَلَيْهِ وِرْدُهاَ وقلاَلُهَا [٣]

وقال آخر :

كأنّ حمَّى خيبر تَمُلُّهُ [٤]

وكذلك القول فى وادى جَحفة [٥] ، وفى مَهْيَعَةَ [٦] ، وفى أصول النخل حيث كان .

وقال عبد الله بن همام السَّلولىُّ فى دماميل الجزيرة :

---

(١) نطاة ، بالنون المفتوحة : عين ماء بقرية من قرى خيبر . وفى الأصل : « قطاة » صوابه فى معجم البلدان حيث روى البيت ، وديوان الشماخ ٥٧ . زودته : أعطته زادا . بكور الورد : يعنى حمى تباكر بوردها جسمه . ريثة القلوع : بطيئة الانـكشاف والبرد . فى الأصل : « رنقه » مكان « ريثه »، صوابه فى المعجم والديوان . وقبل البيت :

ألا تلك ابنة الأموى قالت أراك اليوم جسمك كالرجيع

والرجيع : الحبل الذى نقض ثم فتل مرة ثانية .

(٢) فى الأصل : « كأن به أدحية » . وفى ديوان أوس ٢٤ : « أرخية » صوابهما ما أثبت من معجم البلدان (نطاة) وثمار القلوب ٤٣٦. وعنى بالخيبرية الحمى.

(٣) الورد ، بكسر الواو : اسم من أسماء الحمى ، أو هو يوم ورودها . « قلالها » : كذا جاءت بالأصل : وفى المعجم والثمار : « ملالها » . والملال ، بالضم : حرارة الحمى ، أو التقلب من المرض . وما فى الأصل هو الموافق ما فى الديوان .

(٤) تمله : كأنها تضعه فى الملة ، وهى بالضم : الرماد الحار .

(٥) الجحفة بين مكة والمدينة . روى أنه لما قدم الرسول المدينة استوبأها ، وحم أصحابه فقال : « اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة ، أو أشد ، وصححها ، وبارك لنا فى صاعها ومدها ، وانقل حماها إلى الجحفة » .

(٦) مهيعة : موضع قريب من الجحفة .

أُتِيحَ له مِنْ شُرْطَةِ الحَيِّ جَانَبٌ غَلِيظُ الْقُصَيْرَى لحمُهُ مُتَكَاوِسُ[١]

تَرَاهُ إذا يَمْضِي يحكُّ كَأَنَّمَا به من دَماميل الجَزيرةِ ناخسُ[٢]

فحدَّثني أبو زُفَرَ الضِّراري[٣] قال : مات ضِرار بن عمرو وهو ابن تسعين سنةً بالدَّماميل . قلت : والله إنّ هذا لعجب ! قال : كلاّ إنَّما احتملها من الجزيرة .

وكذلك القولُ في طواعِين الشّام . قال أحدُ بني المغيرة[٤] ، فيمن مات منهم بِطَوَاعِين الشام ، ومن مات منهم بطَعْن الرِّماح أيَّامَ تلك المغازي :

مَنْ يَنْزِلِ الشَّأمَ وَيَعْرَسْ بِهِ[٥] فالشَّامُ إنْ لَمْ يُفْنِهِ كَاذِبُ

أفْنَى بني رَيْطَـةَ فُرسانَهمْ عِشرينَ لم يُقْصَصْ لهم شارِبُ[٦]

ومن بني أعمامِهِمْ مِثْلَهم لِمِثْلِ هـذا عجبَ العاجِبُ[٧]

طعْنٌ وطاعُونٌ منـاياهُمُ ذلك ما خَطَّ لنـا الكاتبُ

---

(١) شرطة كل شيء : خياره ، ومنه شرط السلطان ، وهم خيار جنده . في الأصل : « سوطة » وتوجيهه من معجم البلدان . والجانب : القصير . والقصيري بضم القاف وفتح الصاد مع القصر : أعلى الأضلاع . ط : « القيصرى » س : « القصير » صوابه في هـ ومعجم البلدان ، والرواية فيه : « عريض القصيرى » . متكاوس : متراكب متراكم . ط ، هـ : « متفاوس » س . « متقاوس » تصحيحه من معجم البلدان .

(٢) الحكك : مشية فيها شبه بمشية المرأة القصيرة إذا تحركت وهزت منكبيها . ورواية المعجم : « أبد إذا يمشي يحيك » . الأبد : السمين . يحيك : يتبختر ويختال . ط : « كا نما » صوابه في س ، هـ والمعجم .

(٣) ط : « الضارى » صوابه في س ، هـ . وبدله في ثمار القلوب ٤٣٨ : «أبو زرعة» فقط .

(٤) هو المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي . الإصابة ٨٣٢٩ .

(٥) عرس به ، كفرح : لزمه .

(٦) فرسانهم ، بدل من بني ريطة . لم يقصص لهم شارب : أي إنهم في مقتبل الشباب . وريطة هي زوج المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. انظر الاستدراكات .

(٧) العاجب : المتعجب . وفي ثمار القلوب ٤٣٥ : « يعجب العاجب » وفي س : « عجب عاجب » ، وهو مثل من أمثلة المبالغة ، كقولهم يوم أيوم ، وليل أليل ، وروض أريض ، وظل ظليل ، وحرز حريز ، وداء دوى .

(قدوم عبد الله بن الحسن على عمر بن عبد العزيز وهشام)

قال : ولمّا قَدِمَ عبدُ الله بن الحسن بن الحسين رضى الله عنهم ، على عمَرَ بنِ عبد العزيز رضى الله عنه — فى حَوَائجَ له ، فلمّا رأى مكانَه بالشام ، وعَرَفَ سِنَّه وسَمْتَه وعقلَه ، ولسانَه ، وصلاته وصيامه ، فلم يكنْ شىءٌ أحبَّ إليه من ألاّ يراه أحــدٌ من أهل الشام ، فقال له : إنّى أخافُ عَلَيكَ طَواعينَ الشأم ؛ فإنَّكَ لن تُغْـنِمَ أهلَكَ أكثَرَ منك[١] ، فالحَقْ بهم ؛ فإنَّ حوائجك ستسبِقُك إليهم[٢] . ثمّ قدم على هشامٍ ، فكره عبدُ الله أن يدخل منزلا له[٣] حتّى يأتيَه فى ثيابِ سفَره ؛ مخافة سوء ظنِّه[٤] . فلما أعلمه الحاجبُ مكانَه ، ودخل عليه وعايَنه ، كره أن يقيم بها طرْفَة عين . قال : اذكر حوائجك . قال : أحطُّ رَحْلى وأضعُ ثيابَ سفرى ، وأتذ كّرُ حوائجى . قال : إنّك لنْ تجِدَنى فى حالٍ خيراً لك منِّى الساعة ! يريد أنّ القُلوبَ أرقُّ ماتـكونُ إذا تلاقت العيونُ عن بُعْدِ عَهد . وليس ذلك أراد[٥] .

٤٧

---

(١) فى ثمار القلوب : « وإنك لم يغنم أهلك خيراً منك » . وسبق مثل هذه الرواية فى (٣ : ٤٧٢) .

(٢) ثمار القلوب : « فإن حوائجك ستتبعك » ، وفى الحيوان (٣ : ٤٧٢) : « فإن حوائجهم ستسبقك » .

(٣) ط ، هـ : « منزله » .

(٤) أى لئلا يظن به العداء . وفى ط ، هـ : « شرطته » ، وما أثبت من س أوجه .

(٥) انظر لتوضيح هذا ما سبق فى (٣ : ٤٧٢ س ١٣ ، ١٤) .

(طحال البحرين)

والعامّة تنشد :

مَنْ يَسْكنِ البَحْرَينِ يعظُمْ طِحالُهُ ... ويُغْبَطْ بما فى بَطْنِهِ وَهْو جَائِعُ[١]

ونظر دُكينٌ الرّاجزُ ، إلى أبى العباس[٢] محمَّدِ بنِ ذُوَيبٍ الفُقيميّ الرّاجز ، وهو غُلَيِّمٌ مصفرٌّ مَطحُول[٣] ، وهو يمتَحُ على بَكَرةٍ[٤] ويرتجز . فقال : من هذا العُمانىّ[٥] ؟ فلزمته هذه النِّسبة .

(جرب الزنج)

وحدَّثنى يوسفُ الزّنجى أنّه لا بدَّ لكلِّ مَن قدِم من شِقِّ العراق إلى بلادِ الزِّنج ألاّ يزالَ جَرِباً ، ما أقام بها . وإنْ أكثرَ من شُرْب نبيذِها ، أو شَراب النّارَجِيل ، طمَسَ الُخمَارُ على عقله ، حتّى لا يكونَ بينه وبين المعتُوه إلاّ الشّىء اليسير .

---

(١) انظر أمثال الميدانى (١ : ٢٥٥) فى قولهم : « الذئب مغبوط بما فى بطنه » . الشعر والشعراء ٧٣١ .

(٢) ط ، س : « ابن العباس » صوابه فى س ، وقد تقدمت ترجمته فى (٢ : ١٦٦) : وفى الأغانى (١٧ : ٨١) : « ويكنى أبا عبد الله » ، فهما كنيتان له . ومثل ذلك فى العرب كثير . وفى المعارف ٢٥٩ فصل خاص بمن له كنيتان أو ثلاث .

(٣) المطحول : الذى يشكو مرض طحاله .

(٤) البكرة ، بالفتح وتحرك : خشبة مستديرة فى وسطها محز يستقى عليها .

(٥) العمانى نسبة إلى عمان ، بضم العين بعدها ميم مفتوحة مخففة ، وهى بلاد عربية فى جنوب خليج فارس . وضبطت بتشديد الميم فى (خريطة) الممالك الإسلامية ، خطأ . وكانت البحرين وعمان منفصلتين قبل الدولة العباسية . قال ياقوت : « فلما ولى بنو العباس صيروا عمان والبحرين واليمامة عملا واحداً » . ومما يجدر ذكره أن أصل نسبة أبى العباس إلى البصرة ، أى هو بصرى ، كما فى الأغانى . وقد عقد ابن قتيبة فصلا لمثل هذه النسب فى المعارف ٢٥٧ – ٢٥٨ .

(طبيعة المصيصة)

وخبَّرنى كم شئتَ من الغُزاة ، أن مَن أطالَ الصَّومَ بالمصيصة[1] فى أيَّام الصَّيف ، هاج به المِرار . وأنَّ كثيراً منهم قد جُنُّوا عن[2] ذلك الاحتراق .

(طبيعة قصبة الأهواز)

فأمَّا قصَبَة[3] الأهواز ، فإنَّها قلبَتْ كلَّ مَن نزَلها من بنى هاشم إلى كثيرٍ من طِباعهم وشمائلهم[4] ، ولابدَّ للهاشميِّ ، قبيحَ الوجهِ كان أو حسناً ، أو[5] دميا كان أو بارعاً رائعا ، مِنْ أن يكون لوجْهه وشمائله طبائعُ يَبِينُ بها من جميعِ قريشٍ وجميعِ العرب . فلقد كادَتِ البلْدة أن تنقل ذلك فتبدِّله[6] ، ولقد تَخَيَّفَتْه[7] وأدخلَت الضَّيمَ عليه ، وبيَّنَتْ أثرَها فيه ؛ فما ظَنُّك بصنيعها فى سائر الأجناس[8] ؟ !

ولفسادِ عُقولِهم ، ولؤمِ طبْع بلادِهم ، لاتراهم مع تلك الأموالِ الكثيرةِ ،

---

(١) يقال مصيصة ، بالفتح والصاد المشددة المكسورة ، ومصيصة بالتخفيف ، والأول أصح ، وهى بين أنطاكية وبلاد الروم .

(٢) ط ، هـ : « من » .

(٣) ط ، هـ : « قضية » ، صوابه فى س . وقصبة الأهواز ، أى أكبر مدنها . قال صاحب العين : « الأهواز : سبع كور بين البصرة وفارس » .

(٤) أى طبائع الأهوازيين وشمائلهم . وفى معجم البلدان : « فانقلبوا إلى طباع أهلها » .

(٥) الأفضل إسقاط هذا الحرف كما فى ثمار القلوب ٤٣٧ .

(٦) هذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من س .

(٧) تخيفته وتخوفته : تنقصته . ط : « تخفيه » صوابه فى س ، هـ .

(٨) فى ثمار القلوب ٤٣٥ نقلا عن الجاحظ : « ولقد تخفيه وتدخل الضنى عليه وتبين أثرها فيه » . الخ .

والضِّياع الفاشية ، يخبُّون من البنينَ والبناتِ ما يحبُّه أوساطُ أهلِ الأمصار على الثَّروة والْيَسار ، وإن طال ذلك . والمال مَنْبَهةٌ كما تعلمون .

وقد يكتسبُ الرَّجُل ، من غيرهم ، الُمَوَيل[1] اليسير ، فلا يرضى لولده حتَّى يفرضَ له المؤدِّبين[2] ، ولا يرضى لنسائه مثل الذى كان يرضاه قبل ذلك[3] . وليس فى الأرض صناعةٌ مذكورةٌ ، ولا أدبٌ شريفٌ ، ولا مذهبٌ محمودٌ ، لهم فى شيءٍ منه نصيبٌ وإن خَسّ[4] . ولم أرَ بِهاَ وَجْنةَ حمراءَ لصبىٍّ ولا صبيّةٍ ، ولا دماً ظاهراً ولا قريباً من ذلك . وهى قتَّالَةٌ للغُرَباء .

٤٨ وعلى أنَّ حُمَّاها خاصَّـةً ليست للغريب بأسرَعَ منها إلى القريب . ووباؤها[5] وحُمَّاها ، فى وقت انكشاف الوَباءِ ونُزوعِ الحمَّى عن جميع البُلدان.

وكلُّ محمومٍ فى الأرض فإنَّ حُمَّاه لا تنْزِع عنه ، ولا تفارقه ، وفى بدنه منها بقيَّة ؛ فإذا نزَعَتْ عنه فقد أخَذَ منها عند نفسه البراءةَ : إلى أنْ يعود إلى الخلْط ، وأنْ يجمعَ فى جوفه الفسادَ[6] . وليست كذلك الأهواز

---

(١) مويل : تصغير مال .

(٢) المؤدبون ، جمع مؤدب ، بكسر الدال . والجاحظ ومن نحا نحوه يجعل المؤدب فوق المعلم . قال فى رسالة المعلمين (هامشة الكامل ١ : ٢) : « لو استقصيت عدد النحويين والعروضيين والفرضيين والحساب والخطاطين ، لوجدت أكثرهم مؤدب كبار ومعلم صغار » س : « المودين » محرف .

(٣) كذا فى س . وفى ط ، هـ : « ولا يرضى للسانه بمثل الذى كان يرضاه قبل ذلك » ، وتصح مع إعادة الضمير إلى ولده ، أى هو يختار لولده الممتازين من المؤدبين .

(٤) خس : قل . وفى الأصل وكذا فى معجم البلدان : « حسن » . وبعدها فى المعجم « وأودق أوجل » ، وياقوت بدون ريب ينقل كلام بالجاحظ :

(٥) ط ، هـ : « ووباها » ،

(٦) بدله فى معجم البلدان : « إلا أن تعود لما يجتمع فى بطنه من الأخلاط الرديئة » .

لأنها تَعاوِد من نزَعتْ عنه من غير حدَث ، كما تعاود أصحابَ الحدَث ؛ لأنَّهم ليسوا يُؤْتَوْن من قبل النَّهَمِ[١] ، ومن قِبَل الخلْط والإكْثار ، وإنَّما يُؤْتَوْن من عينِ البلدة .

وكذلك جمعَت سوقُ الأهوازِ الأفاعيَ فى جبلِها الطَّاعِنِ فى منازلها ، المطِلِّ عليها ؛ والجَرَّاراتِ[٢] فى بيوتِها ومقابرها ومنابرها . ولو كان فى العالَم شيءٌ هو شرٌّ من الأفعَى والجرَّارة ، لما قَصَّرَتْ قصَبة الأهواز عن توليدِهِ وتلقيحه . وبَليتُها[٣] أنَّها من ورائها سِبَاخٌ[٤] ومناقعُ مياهٍ غليظةٍ وفيها أنهارٌ تشُقُّها مَسَايِلُ كُنَفِهم[٥] ، ومياهُ أمطارهم ومُتَوَضَّآتِهِمْ[٦] فإذا طلَعت الشَّمسُ فَطالَ مُقامُها ، وطالت مقابلتُها لذلك الجبل ، قبل

(١) الأولى : « التخم » جمع تخمة . كما جاء فى معجم البلدان .

(٢) الجرارات : ضرب من العقارب .

(٣) كذا على الصواب فى س . وفى ط : « تليينه » وفى هـ : « تليينها » . وفى معجم البلدان زيادة : « من » قبل : « بليتها » .

(٤) سباخ ، بالكسر : جمع سبخة بالتحريك ، وهى الأرض تعلوها ملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر . هـ : « سباحة » س : « سباخة » محرفتان عما أثبت من س .

(٥) كذا فى س ومعجم البلدان . ونحوه فى ثمار القلوب ٢٣٧ . وفى ط : « لسقيها مسائل كنفهم » و هـ : « تسبقها مسائل كنفهم » ، والكلمة الأولى فى ط لها وجه وفى هـ محرفة . أما الكلمة الثانية : « مسائل » فهمزها خطأ ، لأن ياء مفرده مسيل ياء أصلية . ولم يرد الهمز إلا فى كلمتين ، إحداهما : « مصائب » وهذه لا يعترف بها الأصمعى ويقول : إنها من لغة أهل الأمصار ، والمعروف : « مصيبات » . والثانية لم ترد إلا فى بعض القراءات غير السبع ، من قول الله : « وجعلنا لكم فيها معايش » . انظر المصباح . وقال السفاقسى : « وشذ خارجة فرواه عن نافع ، وهو ضعيف جداً ، بل جعله بعضهم لحناً » . غيث النفع ١٣٠ .

(٦) كذا فى معجم البلدان . وفى الأصل : « ومتوضئهم » بالإفراد . وفى ثمار القلوب « ميضآتهم » .

بالصَّخْرِية التى فِيــه(١) تلكَ الجرّارات . فإذا امتلأت يُبساً وحرارةً ، وعادتْ جمرةً واحدةً ، قذفت ما قَبلت من ذلك عليهم .

وقد تُحدِث [تلك] السِّباخ(٢) وتلك الأنهار(٣) بُخَاراً فاسداً ، فإذا التقى عليهم ما تُحدِث السِّباخَ وما قذفه ذلك الجبلُ ، فسَدَ الهواء . وبفساد الهواء يفسُد(٤) كلُّ شيءٍ يشتملُ عليه ذلك الهواء .

وحدَّثنى إبراهيمُ بن عبَّاسٍ بن محمدِ بن منصورٍ ، عن مَشْيخةٍ(٥) من أهل الأهواز ، عن القوابل ، أنهنَّ ربّما قَبِلْنَ(٦) الطِّفلَ المولودَ ، فيجدْنَهُ فى تلك السَّاعةِ محموماً . يعرِفْنَ ذلك ويتحدَّثْن به .

(عيون الحيات والخطاطيف)

[قال(٧)] : ويعرِض لفراخِ الحيَّــات مثلُ الذى يعرِض لفِراخِ الخطاطِيف ؛ فإنَّ نازعاً لو نزَع عيونَ فراخ الخطاطيفِ ، وفراخِ الحيّاتِ ، لعادتْ بصيرةً(٨) .

---

(١) ط ، هـ : « بالصخرة » صوابه فى س . ط : « فيها » صوابه فى س ، هـ .

(٢) مضى تفسير هذه الكلمة فى الصفحة السابقة .

(٣) س فقط : « الأمطار » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س ، هـ .

(٥) مشيخة ، كرحلة ، وأيضا بفتح الميم وكسر الشين : جمع شيخ . ط فقط : « شيخة » وهى صحيحة أيضاً ، وضبطها كعنبة وسدرة .

(٦) قبلت القابلة الولد : تلقته عند خروجه .

(٧) الزيادة من س ، هـ .

(٨) ذاك زعم .

(مفارقة السلحفاة والرق والضفدع للماء)

وزعم[١] أنَّ السُّلحفاةَ والرّقّ ، والضّفدع ، ممّا لا بدَّ له من التنفُّس ، ولا بدَّ لها من مفارقةِ الماء ، وأنّها تبيض وتكتسب الطعم وهى خارجة[٢] من الماء ؛ وذلك لِلنَّسب الذى بينها وبين الضّبّ[٣] ، وإن كان هذا بَرِّيًّا وهذا بحريًّا .

(شبه بعض الحيوان البرى بنظيره من البحرى)

ويزعُمون أنّ ما[٤] كان فى البرّ من الضبّ والورَل والحِرباء ، والحلكاء[٥] ، وشحْمة الأرض ، والوزَغ ، والعَظاء[٦] مثلُ الذى فى البحر من السُّلَحفاة والرَّقّ ، والتِّمساح ، والضِّفدع ؛ وأنَّ تلك الأجناسَ البرّيّةَ وإن اختلفَتْ فى أُمورها ، فإنّها قد تتشابه فى أمور ؛ وأنّ هذه الأجناسَ البحرية من تلك ، ككلب الماء من كلب الأرض .

---

(١) نسى الجاحظ أن يذكر صاحب الزعم ، أو سقط من الناسخين . وقد يكون الزاعم صاحب المنطق .

(٢) ط : « خراجة » ، تحريف ما فى س ، هـ .

(٣) س : « وذاك النسب » الخ . ط ، هـ : « التى » صوابها فى س .

(٤) ط : « أنما » صوابه فى س ، هـ .

(٥) الحلكاء ، بالضم ، وبالفتح ، وبالتحريك : ضرب من العظاء . ط فقط : « الحلكى » ، وهى صحيحة فى ذاتها ، وضبطها بضم الحاء واللام ، وتشديد الكاف المفتوحة . ولكنى لا أحسب الجاحظ استعمل هذه اللغة ، وإنما هو تحريف من الناسخ .

(٦) العظاء ، بالفتح : جمع عظاءة ، وهى دويبة كسام أبرص . س : « والقطاة » هـ : « والقطا » صوابه فى ط .

(صوم بعض الحيوان)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنّ الحيَّة وسامّ أبْرَص[١] من العَظَاء ، والتِّمساح ، تسكنُ فى أعشّتها[٢] الأربعةَ الأشهر الشديدةَ البرد[٣] ، لا تطعم شيئاً ؛ وأنّ سائر الحيّاتِ تسكنُ بطنَ الأرض . فأمَّا الأفاعى فإنّهَا تسكُن فى صُدوعِ الصَّخر . ٤٩

وليس لشىءٍ من الحيوانِ من الصَّبر عن الطُّعمِ ما لهذه الأجناس . وإنّ الفيل ليناسبُها من وجهين : أحدهما من طول العمر ، فإنّ منها ما قد عاش أربعَمائةِ سنة . والوجه الآخر : أنّ الفيلة مائيَّة [وهذه الأجناس مائيَّة[٤]] وإن كان بعضها لا يسكن الماء .

(داهية الغَبَر)

قال : وسَمِعتُ يونس بنَ حَبيبٍ[٥] يقول : « داهية الغَبَر[٦] » . قال : وقيل

---

(١) ط : « تلك الحية » والوجه حذف الكلمة الأولى كما فى س ، ه‍ . ط ، ه‍ : « من سام أبرص » صوابه فى س .

(٢) كذا ، وأصل العش للطائر . وانظر حواشى ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٣) ط : « أربعة أشهر شديدة البرد » . س : « الأربع الأشهر الشديدة البرد » وأثبت ما فى ه‍ لكن فيها « الأربعة أشهر » .

(٤) هذه الزيادة من ه‍ .

(٥) فى الأصل : « حرب » ، والصواب ما أثبت . وقد تقدمت ترجمته فى (١ : ٣٢٩) .

(٦) الغبر بالتحريك وبغين معجمة فى أولها : الماء يغبر حينا فى المستنقع ، كما يفهم من التعليل الآتى . وفى أمثال الميدانى (١ : ٤٠) : « وسمعت أن الغبر عين ماء بعينه تألفه الحيات » . وفى معجم البلدان : « الغبر آخر محال سلمى بجانب جبل طيئ ، وبه نخل ، ومياه تجرى أبداً » . ط : « القبر » صوابه فى س ، ه‍ .

ذلك لأنها ربّما سكنَتْ بقُرب ماءٍ ، إمّا غديرٍ وإمّا عينٍ ، فتَحْمِى[١] ذلك الموضعَ . وربما غبر ذلك الماءُ فى المَنْقَع حيناً وقد حمتْــه .

وقال الكذّابُ الحِرمازىّ[٢] :

يا ابنَ المعلّى نزَلَتْ إحدَى الكُبَرْ[٣]   دَاهيةُ الدَّهرِ وصَمَّاءُ الغُبَرْ[٤]

قال : وسأل[٥] الحكم بنُ مروانَ بنِ زنباعٍ ، عن بنى عبد الله ابن غطَفان ، قال : [أفعى[٦]] إنْ أيقظْتها لسعَتْك ، وإن تركْتَها لم تَضِرْك .

(نادرة تتعلق بالحيات)

وذكر عن سعيد بن صخر[٧] قال : نُهِش رجلٌ من أهل البادية كثيرُ المال ، فأشفى على الموت ، فأتاهم رجلٌ فقال : أنا أَرْقيه ، فما تَعطونى[٨] ؟

---

(١) كذا على الصواب فى س . وفى ط : « فتحس » وفى هـ : « فتنحى » محرفتان .

(٢) سبقت ترجمته فى (٣ : ٤٨٤) .

(٣) كذا الرواية أيضاً فى ثمار القلوب ٣٣٦ . والرواية فى اللسان (غبر) وكذا فى أمثال الميدانى : « أنت لها منذر من بين البشر » ، أى يامنذر . وفى اللسان أنه يمدح بهذا الشعر بن المنذر الجارود .

(٤) ط : « العبر » بالعين المهملة ، صوابه فى س ، هـ .

(٥) كذا . ولعلها : « وسئل » .

(٦) الزيادة من س ، هـ . وانظر ما سبق من الكلام على « أفعى » فى ص ١١٧ .

(٧) سبقت ترجمته فى (٢ : ٣٦٣) .

(٨) ط : « فان تعطونى » صوابه ، فى س ، هـ . وقد حذف إحدى نونى : « تعطوننى » وهو جائز . وفى المغنى : « ونحو تأمرونى يجوز فيه الفك والإدغام والنطق بنون واحدة » .

فشارطوه عَلَى ثلاثين درهما[١] ، فرقاه وسقاه أشياءَ ببعض الأخلاط ، فلمّا أفاقَ قال : الرَّاقى والمداوى: حقى ! قال الملدوغ : وما حقه ، قالوا : ثلاثون درهما . قال أُعطيه من مالى ثلاثينَ درهما فى نَفَثَاتٍ نَفَثَهَا، وَحَمْضٍ سَقاه[٢] ! لا تُعطوه شيئاً !

(حديث سكر الشطرنجى)

وحدَّثنى بعضُ أصحابِنا عن سُكَّرٍ الشِّطرنجىّ ، وكان أحمقَ القاصِّين[٣] ، وأحذقهم بلعب الشِّطرنج ، وسألته عن خرق كان فى خَرَمَةِ أنفه[٤] فقلت له : ماكان هذا الخرق ؟ فذكر أنَّه خرج إلى جَبُّلَ[٥] يتكسَّب بالشِّطْرنج ، فقدم البلدةَ وليس معه إلاّ درهمٌ واحد ، وليس يَدرِى أينجَح أم يُخْفِق ، ويَجِدُ صاحبَه الذى اعتمَدَه أمْ لاَ يجده[٦] ؟ فورد على حَوَّاءٍ وبين يديه جُوَنٌ عِظامٌ[٧] فيها حياتٌ جليلة .

والحيّة إذا عضَّت لم تكنْ غايتَها النَّهش أوالعضّ[٨] ، وأن ترضى بالنَّهش ،

---

(١) ط : « فارقوه عن ثلاثين درهما » ، تصحيحه من س ، هـ .
(٢) الحمض ، بالفتح ، أصله كل نبت مالح أو حامض ، وجعله هنا للدواء الذى فيه حموضة . هـ : « وحرس سق » والكلمة الأولى فى هـ محرفة .
(٣) جمع قاص للقصص . س ، هـ : « العالمين » .
(٤) الخرمة ، بالتحريك : موضع الخرم من الأنف . وفى الأصل : « الخزامة » ، وهى كـكتابة : البرة تجعل فى الأنف . ولا وجه لها .
(٥) جبل ، بفتح الجيم وتشديد الباء المضمومة : بليدة بشاطىء دجلة . وفى الأصل : « الجبل » ولا تصح ؛ فإن الجبل اسم لبلاد كثيرة تمتد ما بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم . القاموس ومعجم البلدان .
(٦) ط : « ويجدو صاحبه الذى اعتمده أيجده أم لا » ، س : « ويجده أجبه » الخ صوابهما فى هـ .
(٧) جون ، بضم الجيم وفتح الواو : جمع جونة ، بالضم . وقد سبق تفسيرها فى ١١٥ .
(٨) ط : « والعض » .

ولكنَّها لا تعضُّ إلاَّ للأكل والابتلاع . وربَّماَ كانت الحيَّات عِظاماً جدًّا ولا سمومَ لها ، ولا تَعْقِر[١] بالعضّ ؛ كحيات الجَوْلاَنِ[٢] .

وفى البادية حيَّة يقال لها الُحفَّاث[٣] والُحفَّاث من الحيَّات تأكل الفأر وأشباهَ الفأر ، ولها وعيدٌ مُنكَرٌ ، ونفْخٌ وإظهارٌ للصَّولة ؛ وليس وراء ذلك شَىْء[٤] . والجاهل ربَّما ماتَ من الفزَع منها . وربَّما جمعت الحيَّة السَّمَّ وشدَّةَ الجَرْح ، والعضَّ والابتلاعَ ، وحَطْمَ[٥] العظْم .

فوقف سُكَّرٌ على الحوّاءِ وقد أخرج من جُونتِه أعظمَ حَيَّاتٍ فى الأرض ، وادَّعى نُفوذَ الرُّقيةِ وجودةَ التِّرياق ، فقال له سُكَّرٌ[٦] : خذ منِّى هذا الدِّرهمَ وارقنى رُقْيةً لاتضرُّنى مَعَها حيَّةٌ أبداً ! قال : فإنِّى أفعل . قال : فأرْسِلْ قبل ذلك حَيَّةً ، حتّى ترقِيَنى بعدَ أن تعضَّنى ؛ فإنْ أفقْتُ علمتُ أنَّ رُقْيتَك صحيحة . قال : فإنِّى أفعل ، فاخترْ أيَّتَهنَّ شئت . فأشار إلى واحدةٍ ممَّا تعضُّ للأكلِ دونَ السَّمّ ، فقال : دعْ هذه ؛ فإنَّ هذه إن قبضَتْ على لحمك لم تفارقكَ حتى تقطعك[٧] ! قال : فإنِّى لا أريد غيرَها . وظنَّ أنَّه إنَّما زَوَاها عنه لفضيلةٍ فيها . قال : أمَّا إذْ أبيت إلاَّ هذه فاخترْ موضعاً من جَسَدِكَ حَتَّى أرسلها عليه . فاختارَ أنفه ، فناشده وخوَّفه ، فأبى إلا ذلك

---

(١) تعقر : تجرح . وفى ط : « تنفر » ، تحريف ما فى س ، هـ .

(٢) الجولان ، بالفتح : جبل من نواحى دمشق . معجم البلدان .

(٣) الحفاث ، بحاء مضمومة بعدها فاء مشددة مفتوحة . ط : « الخناث » س ، هـ : « الحفاث » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) ط : « سيما » ، صوابه فى س ، هـ .

(٥) محرفة فى الأصل ، فهى فى ط ، هـ : « حطم » وفى س : « حكم » .

(٦) ط : « سكن » صوابه فى س ، هـ .

(٧) س : « لم تفارقه » فقط .

أو يردَّ عليه دِرْهَمَهُ . فأخذها الحوّاءُ وطواها على يده ؛ كى لايدعَها تنكُزُ[١] فتقطع أنفَه من أصله . ثمّ أرسلها عليه . فلما أنشبت أحَدَ نَابَيْهَا فى شِقِّ أنفه صرَخ عليه صَرخةً جمعتْ عليه أهلَ تِلك البَلْدة ، ثُمَّ غُشِى عليه ، فأُخِذَ الحَوَّاءُ فوُضع فى السِّجن ، وقتلوا تلك الحيَّات ، وتركوه حتّى أفاقَ كأنّه أجنُّ الخلْق ، فتطوَّعوا بحمله فحملوه مع المُكَارِى[٢] ، وردُّوه إلى البصرة ، وبَقِىَ أثَرُنَا بِهاَ فى أنفه إلى أن مات .

(ما يغتصب بيت غيره من الحيوان)

قال : وأشياءُ من الحشراتِ لا تتخذ لنفسها ولا لبيضها ولا أولادها[٣] بيوتاً ، بل تظلم كلَّ ذى جُحر جُحرَه ، فتخرجُه منه ، أو تأ كُلَه إنْ[٤] ثبتَ لها .

والعربُ تقول للمُسىء : « أظْلَمُ مِنْ حَيّةٍ » ؛ لأنَّ الحيَّة لا تتَّخذ لنفسها بيتاً . وَكلُّ بيتٍ قصدَت نحوَه هرب أهلُه منه ، وأخْلَوْه لها .

(عداوة الورل للحيات)

والورَل يقْوَى[٥] على الحيَّات ويأكلُها أكلاً ذريعاً . وكلُّ شِدَّةٍ يلقاها

(١) تنكز ، آخره زاى ، كما فى س . وفى ط ، هـ : « تنكر » محرفة . وانظر ٢ : ١٣٨ .

(٢) المكارى : من يكرى الناس دابته . والكراء : الأجرة . س : « مكارى » صوابه : « مكار » بحذف الياء .

(٣) س : « ولبيضها ولأولادها » .

(٤) ط : « إذ » .

(٥) ط : « يقول » صوابه فى س ، هـ .

ذو جُحْر منها فهى تَلقَى مِثلَ ذلك من الورَل . والورَلُ أَلْطَفُ جِرْماً من الضّبّ .

وزعم أَنَّهُمْ يقولون : « أَظلَمُ مِنْ وَرَل » كما يقولون : « أَظْلَمُ مِن حَيّةٍ » ، وكما يقولون : « أَظْلَمُ مِنْ ذِئْبٍ » ويقولون : « مَنْ اسْتَرْعَى الذِّئْبَ ظلَمَ[1] » .

(الورل والضبّ)

وبراثن الوَرَل أقوى مِن براثِنِ الضّبّ . والضِّبابُ تَحفِر جِحَرَتَها فى الكُدَى[2] . والوَرَل لا يحفِرُ لنفسه بل يُخْرِجُ[3] الضّبّ من بيته . فتزعم الأعرابُ أنَّه إنَّماَ صار[4] لا يحفر [لنفسه إبقاءً على براثنه . ويمنع الحَيَّةَ أن تَحفِر بيتَها] أنّ[5] أسنانَها أَكَلُّ من أسنان الفأر [ومن التى تحفر بالأفواه والأيدى ؛ كالنمل والذّرّ وما أشبه ذلك] . والحيّة[6] لا ترى أن تعانىَ ذلك ، وَحَفْرُ غيرِها ومعاناتُه يكفيها .

---

(١) استرعاه : جعله راعيا . وظلم : أى ظلم الغنم ، أو ظلم الذئب حيث كلفه ما ليس فى طبعه . وأصل المثل فى الميدانى (٢ : ٢٣٠) .

(٢) جحرة ، كعنبة : جمع جحر . وفى الأصل : « أجحرتها » ، وليس قياسا ولا مسموعا . والصواب ما أثبت . والكدى : جمع كدية ، بالضم : وهى الأرض الصلبة . وكتبت فى الأصل بالألف خطأ ؛ إذ أصلها الياء .

(٣) ط ، هـ : « تخرج » ، صوابه فى س .

(٤) ط : « أنها إنما صارت » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٥) ط ، هـ : « لأن » صوابه فى س .

(٦) ط ، هـ : « فهى » .

(شعر فى ظلم الحية)

وفى ضَرْبِ المثل بظلم الحيّة ، يقول مضرِّس بن لقيط[1] :

لَعَمْرُكَ إنِّى لَوْ أُخاصِمُ حَيّـةً   إلى فَقْعَسٍ مَا أنْصَفَتْنِى فَقْعَسُ[2]

إذا قلتُ ماتَ الدّاءُ بينى وبينَهُمْ   سَعَى حَاطِبٌ منهم لآخَرَ يقْبِسُ[3]

فمـا لَـكُمْ طُلْساً إلىَّ كأنَّـكُمْ   ذِئَابُ الغَضَى والذِّئْبُ باللَّيْلِ أطْلَسُ[4]

وجعله أطلس ، لأنّه حين تشتدُّ ظلمة اللّيل فهو أخفى له ، ويكونُ حينئذٍ أخبثَ له وأضْرَى .

٥١ وقال حَرِيزُ بن نَشْبَةَ العَدَوىّ[5] ، لبنى جعفر بنِ كلاب ، وضَرَبَ جَوْرَ الحيَّةِ والذِّئْبِ فى الْحكْمِ مثلاً ، فقال :

---

(١) سبقت ترجمته فى (٣ : ٤٥٩) . وقد نسب البحترى الشعر فى حماسته ٣٨٠ إلى عامر بن لقيط الأسدى . وهذه النسبة الأخيرة أيضاً فى محاضرات الراغب (١ : ١٧٤) . وفى البيان (٢ : ١٦٠) : « قال الأسدى » .

(٢) قال الجاحظ فى البيان : « يقول : بلغ من ظلم قومنا لنا أننا لو خاصمنا الذئاب والحيات وبها يضربون المثل فى الظلم — لقضوا لها علينا » . وفقعس ، هو ابن طريف ، أبو حى من قبيلة أسد .

(٣) الحاطب : الذى يجمع الحطب . فى البيان : « أتى حاطب » .

(٤) طلسا : جمع أطلس ، وهو الذى فى لونه غبرة إلى سواد . ط : « طلسى » صوابه فى س ، هـ والمراجع المتقدمة . وقد روى البحترى أبياتا بعد هذا فى حماسته .

(٥) هو حريز ، بحاء مهملة وزاى ، ابن عبدة ، أحد بنى زيد بن نشبة بن عدى بن أسامة ابن مالك بن بكر بن حبيب ، كما فى المؤتلف ٧٢ . وفى الأصـل : « جرير » مصحف . ونشبة ، بضم النون بعدها شين معجمة ، هو جده لا أبوه . س : « نسة » محرفة .

كأنَّنِي حينَ أحبُو جَعْفَرًا مِدَحَى ... أسقِيهِم طَرْقَ مَاءٍ غيرَ مَشْروبِ (١)

ولو أخاصِمُ أفعَى نَابُهَا لَثِقٌ ... أو الأساوِدَ من صُمٍّ الأهاضيبِ (٢)

لـكنتمُ معها إِلْباً ، وكان لهَا ... نَابٌ بأسفل ساقٍ أو بِعُرْقُوبِ (٣)

ولو أخاصمُ ذِئباً في أكِيلته ... لجاءني جمعُكمْ يسعَى مع الذِّيبِ (٤)

(فم الأفعى)

قال : والحيَّةُ واسعةُ الشَّحْوِ والفم ، لها خطم (٥) ، ولذلك ينفُذ نابُها . وكذلك كلُّ [ذِي (٦)] فمٍ واسعِ الشَّحو ؛ كفم الأسد . فإذا اجْتَمَعَ له سعَةُ الشَّحو وطولُ اللَّحيين ، وكان ذا خَطمٍ وخُرطومٍ فهو أشدُّ له كالخنزير ، والذِّئب والكلب . ولو كان لرأس الحيَّة عَظْمٌ كان أشدَّ لعضَّتها (٧) ، ولـكنَّه جلدٌ قد أطبقَ (٨) على عظمين رَقِيقَين مستطيلين بفـكَّيها الأعلَى والأسفل . ولِذَلِكَ (٩) إذا أهوَى الرَّجُلُ بحَجرٍ أو عصًا ، رأيتَها تلوِّى رأسها

(١) ماء طرق ، بالفتح : بالت فيه الإبل وبعرت ، وقد طرقته . غير مشروب : غير صالح لذلك .

(٢) أفعى : سبق الكلام في تنوينها ص ١١٧ . لثق : مبتل بما ينطف من السم .

(٣) هم ألب عليه ، بالفتح والكسر : مجتمعون عليه بالظلم والعداوة . ط ، هـ : « إلبا معها » وبذا يختل الوزن . والوجه ما أثبت من س . و « ناب » هي بالنون في س . وفي ط ، هـ : « باب » ، ولهذه وجه .

(٤) الأكيلة : شاة تنصب ليصاد بها الذئب ونحوه ، كالأكيل ، والأكولة بالضم .

(٥) ط ، هـ . « له خطم » صوابه في س .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) عظم : المراد عظم شـديد . هـ ، ط : « خطم » ولا تصح . وانظر ما سبق قريبا .

(٨) كذا في س ، هـ . وفي ط : « انطبق » .

(٩) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ : « وكذلك » .

وتحتال فى ذلك ، وتمنعه بكلِّ حيلة ؛ لأنَّها تعلم وتحسُّ بِضَعْفِ ذلك الموضع منها ، وهو مَقْتَلٌ . وما أكثَرَ ما يكون فى أعناقها تخصيرٌ[١] ولصدورها أغباب[٢] ، وذلك فى الأفاعى أعمُّ . وذلك الموضعُ المستدقّ إنَّما هو شىءٌ كهيئة الخريطة ، وكهيئة فم الجِراب ، مُنضَمُّ الأثْناء[٣] ، مُثَنَّى[٤] الغضُون . فإذا شئتَ أن تفتَح انفتح لك فمٌ واسع .

ولذلك قال إبراهيم بن هانئ : كان فتْحُ فمِ الجرابِ يحتـاجُ إلى ثلاثة أيدٍ[٥] ، ولولا أنَّ الحمالين قد جعلوا أفواهَهم بدل اليد الثَّالثةِ لقد كان ذلك ممتنعاً حتى يستعينوا[٦] بيدِ إنسان .

وهذا ممَّا يعدُّ فى مُجون ابن هانئ .

وكذلك حُلوقُ الحيَّاتِ وأعناقها وصدورُها ، قد تراها فتَراها فى العَين دقيقةً ، ولا سيَّما إذا أفرطَتْ فى الطُّول .

(شراهة الحية والأسد)

وهى تبتلعُ فراخ الحمام . والحيَّةُ أنهَمُ وأشره من الأسد . والأسدُ يبلَعُ البَضْعَةَ العظيمةَ من غير مضْغٍ ؛ وذلك لما فيه من فَضْل الشرَه . وكذلك الحيّة . وهما واثقان بسهولةِ وسَعَةِ المخرج .

---

(١) تخصير : أى دقة فى وسطها .
(٢) جمع غبب ، وهو اللحم المتدلى تحت الحنك .
(٣) الأثناء : التغضنات . ط : « ضم » ، صوابه فى س ، ﻫ . وفى ط : « الأنستاء » وفى س ، ﻫ : « الانثناء » صوابهما ما أثبت .
(٤) س ، ﻫ : « منثنى » .
(٥) س ، ﻫ : « أيدى » صوابه فى ط
(٦) ط : « يستعين » صوابه فى س ، ﻫ .

(تِنِّينُ أنطاكية)

[و] مِمَّا عظَّمها وزادَ فى فَزَع النَّاس منها ، الذى يرويه أهلُ الشام ، وأهْلَ الْبَحْرَيْن ، وأهل أنطاكِيَةَ[1] ؛ وذلك أنِّى رأيتُ الثلثَ الأعلى من منارةِ مسجد أنطاكِيَة أظهَرَ جِدَّةً من الثلثين الأسفلين ، فقلت لهم : ما بالُ هذا الثلثِ الأعلَى أجدَّ وأطْرَى[2] ؟ قالوا : لأنَّ تِنِّينا[3] ترَفَّعَ مِنْ بَحْرِنَا هذا ، فكان ، لا يمرُّ بشىء إلاَّ أهلكه ، فمرَّ على المدينة فى الهواء ، محاذياً لرأس هذهِ المنارة ، وكانَ أعلى ممَّا هى عليه ، فضربَه بذنَبِهِ ضَرْبَةً ، ٥٢ حَذفت[4] من الجميع أكثَرَ من هذا[5] المقدار ، فأعادوه بعد ذلك ، ولذلك اختَلَفَ فى المَنْظَر .

---

(١) أنطاكية ، بالفتح ثم السكون ، والياء مخففة . قال ياقوت : وليس فى قول زهير :

علون بأنطاكية فوق عقمة ... وراد الحواشى لونها لون عندم

وقول امرئ القيس :

علون بأنطاكية فوق عقمة ... كجرمة نخل أو كجنة يثرب

دليل على تشديد الياء ؛ لأنها للنسبة . وكانت العرب إذا أعجبها شىء نسبته إلى أنطاكية .

(٢) أطرى : من الطراوة ، وهى الغضاضة والحداثة . هـ ، س : « أطوى » صوابه فى س . والكلام بعد هذه الكلمة إلى : « هذه المنارة » ساقط من س .

(٣) التنين ، كسجيل : حية عظيمة . ط : «تسميتنا» صوابه فى هـ .

(٤) ط : « خرقت » صوابه فى س ، هـ .

(٥) ط : « هذه » صوابه فى س ، هـ .

(الخلاف فى التنين)

ولم يزل أهلُ البِقاع[١] يتدافعون أمْرَ التِّنِّين . ومن العجب أنّكَ تكون فى مجلسٍ وفيه عشرون رجُلاً ، فيجرى ذكرُ التِّنِّين فينكرُه بعضهم . وأصحاب التثبت[٢] يدَّعون العِيان . والموضع قريب ، ومَنْ يعاينُه كثير . وهذا اختلافٌ شديد .

(قول الأعراب فى الأَصَلة)

والأعرابُ تقول فى الأصلة[٣] قولاً عجيباً : تزعمُ أنّ الحيَّة التى يقال لها الأَصَلة لاتمرّ بشىء إلا احترق . مع تهاويلَ كثيرةٍ ، وأحاديث شنيعةٍ .

(الأجدهانى)

وتزعم الفُرْس أنّ الأجدِهانى[٤] أعظم من البعير ، وأنّ لها سبعةَ رءوس ، وربما لَقِيَتْ ناساً فتبتلع من كلِّ جهةٍ فمٍ ورأسٍ إنسانا . وهو من أحاديث الباعة والعجائز[٥] .

---

(١) البقاع : موضع يقال له بقاع كلب ، قريب من دمشق ، وهى أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق . ياقوت .

(٢) ط ، هـ : « التثبيت » ، ووجهه ما فى س .

(٣) الأصلة : حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم . واللغويون يختلفون فى تحليتها ، أى نعتها .

(٤) انظر الاستدراكات .

(٥) ط : « أو العجائز » وتصحيحه من س ، هـ .

(الحية ذات الرأسين)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنه قد ظهَرَتْ حيَّةٌ لها رأسان. فسألتُ[1] أعرَابِيًّا عن ذلك فزعَمَ أنّ ذلك حَقٌّ. فقلت له: فمن أىِّ جهة الرَّأسين تسعى؟ ومن أيِّهما تأكلُ وتَعَضّ؟ فقال: فأمّا السَّعْىُ فلا تَسْعَى، ولكنّها تَسْعى إلى حاجتها بالتقلب، كما يتقلَّب الصِّبيان على الرَّمْل. وأمّا الأكْل فإنها تتعشى بفمٍ وتتغدَّى بفم. وأمّا العضُّ فإنها تعضُّ برأسيها معاً!! فإذا به أكذبُ البَرِيَّة.

وهذه الأحاديثَ كلها، ممَّا يزيد فى الرعب منها، وفى تَهْويل أمرها[2].

(فُرانق الأسد)

ومِثلُ شأنِ التِّنِّين مثلُ أمرِ فرَانِقِ الأسد[3]؛ فإنّ ذكرَه يجرى فى المجلس، فيقول بعضهم: أنا رأيتُه وسَمِعْتُه!

---

(١) ط، هـ: «فسئلت» صوابه فى س.

(٢) س: «والاستهالة لمنظرها». والكلام من بعد هذه الكلمة، إلى «لمنظرها» الآتية، ساقط من س.

(٣) الفرانق، بضم الفاء. وفى الأصل «غرانق» صوابه ما أثبت. ولفظه معرب من «پَرْوَانَكْ» الفارسية. القاموس المحيط، ومعجم استينجاس. وهو ضرب من الوحش، يتقدم الأسد ويرشده إلى فريسته.

(فزع الناس من الحية)

وربما زاد فى الرعب منها والاستهالة لمنظرها قول جميعِ المحدِّثين : إنَّ من أعظم ماخلَق الله الحَية والسَّرطانَ والسَّمك .

(طول عمر الحية)

وتقول الأعراب : إنَّ الحَية أطولُ عمراً من النَّسر ، وإن الناس لم يجِدُوا حَيةً قطُّ ماتت حتْفَ أنفِها ، وإنما تموت بالأمر يعرض لها[1] . وذلك لأمور : منها قولهم إنَّ فيها شياطينَ ، وإنَّ فيها مِنْ مِسخ ، وإنَّ إبليسَ إنما وسوس إلى آدم وإلى حوَّاء من جَوْفها .

(زعم الفضل بن إسحاق)

وزعم لى الفضلُ بن إسحاق ، أنهُ كان لأبيه [نُخّان [2]] ، وأنّ طولَ كُلِّ نخٍّ تسعة عشرَ ذراعا[3] .

---

(١) ط : « بالأمر الذى يعرض لها » .

(٢) موضع هذه الكلمة بياض فى الأصل . وقد أثبتها اعتمادا على سياق الكلام . والنخ ، بالضم : بساط طوله أكثر من عرضه ، فارسى معرب . اللسان ، والألفاظ الفارسية . وضبطه صاحب القاموس بالفتح .

(٣) ط : « وأن طول كليهما » ، وأثبت ما فى س ، هـ . وفى س : « كليما » بدل « ذراعا » وهو خطأ . وقد أتى الجاحظ بهذا الخبر شاهدا على المبالغة والتهويل ، فيما يظهر . انظر ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(ضروب الحيات)

ومن الحيَّات الجُرد والزغْر ، وذلك فيها من [الغالب[١]] .

ومنها ذواتُ شعر ، ومنها ذواتُ قرون . [وأرسطو ينْـكِرُ ذلك[٢]]
وإنما يتخلق لها فى كلِّ عام قشرٌ وغِلاف ، فأمَّا[٣] مقادير أجسامها فقط .

(انسلاخ جلد الإنسان)

وأما الجلودُ فإنَّ الأرمنِيَّ زعم أنه كان عندهم رجلٌ ينقَشِر من جلده وينسلخُ فى كلِّ شهرٍ مرَّةً . قال : فجمع ذلك فوُجد فيه مِلْءُ جراب أو قال : أكثرُ .

(علة الفزع من الحية)

٥٣ وأما الذى لا أشك فى أنه قد زاد فى أقدارها فى النفوس ، وعظَّم من أخطارها ، وهوَّل من أمْرها ، ونبَّه على ما فيها من الآيةِ العجيبةِ والبرهان النـيِّر ، والحجَّةِ الظاهرة ، [فمَا[٤]] فى قلب العصا حَيَّةً ،

(١) موضع هذه الـكلمة بياض فى الأصل . وجاء فى حياة الحيوان : « ومن أنواعها الأزعر ، وهو الغالب فيها » .

(٢) هذه الزيادة عن الدميرى . ومكانها بياض بقدر نصف سطر فى س . ولم يبيض لها فى ط ، هـ .

(٣) بعد هذه الـكلمة بياض نحو نصف سطر فى س فقط .

(٤) ليست بالأصل ، وبها يتم الـكلام .

وفى ابتلاعها ماهوَّلَ به القومُ وسحَروا منْ أعْيُنِ الناس، وجاءوا به من الإفك قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿وَقَالَ مُوسَى يَافِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَاأَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ [قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ[١]] فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِى إِسْرَائِيلَ . قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾، إلى قوله : ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ[٢]﴾ .

فإن قلت : إنه إنما حَوَّل العصا ثُعباناً لأنهم جاءوا بحبال وعِصِىٍّ فحوَّلوها فى أعين الناس كلهاَ[٣] حيَّات ، فلذلك قلبَ اللهُ العصَا حَيةً[٤] على هذه المعارضة . ولو كانوا حين سحرُوا أعيُن الناس جَعَلوا حبالهم وعصيَّهُمْ ذِئَاباً فى أعْيُنِ الناس ونمُورا ، لجَعَل الله عصا موسى ذئباً أو نَمِراً ، فلم يكن ذلك لخاصَّةٍ فى بدَن الحَية .

قلنا : الدّليل على باطل ماقلتم ، قوْلُ الله تعالى : ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى . قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى . قَالَ أَلْقِهَا يَامُوسَى . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ وقال الله عزّ وجلّ[٥] : ﴿إِذْ قَالَ موسى لِأَهْلِهِ إِنِّى آنَسْت نَارًا[٦]﴾

---

(١) هذه التكلة ليست فى س : هـ . وإسقاطها تحريف شنيع . وبدلها فى ط كلمة : « إلى » . وهذه الآية وسابقتها ولاحقتاها ، هى الآيات ١٠٤ — ١٠٧ من سورة الأعراف .

(٢) هذا سهو من الجاحظ ، فإن هذه الآية من سورة أخرى هى سورة الشعراء ، وهى الآية الرابعة والأربعون .

(٣) ط ، هـ : « كأنها » وأثبت ما فى س .

(٤) س ، « قلت إن العصاحية » وهو تحريف ما فى ط ، هـ .

(٥) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من هـ .

(٦) هذه هى الآية السابعة من سورة النمل . وتمامها : « سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون » .

إلى قوله : ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ، يامُوسَى لَاتَخَفْ إِنِّى لَايَخَافُ لدَىَّ الْمُرْسَلُونَ[١]﴾ فقلبت[٢] العصا جانًّا ، وليس هناك حبالٌ ولا عِصىٌّ . وقال الله[٣] : ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلٰهاً غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ . قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُبِينٍ . قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ فقلْبُ[٤] العصا حيّة كان فى حالات شَتَّى[٥] . فكان هذا مِمّا زاد فى قدْر الحية .

وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال فى دعائه أن لايميته اللهُ لَديغا . وتأويل ذلك : أنّه صلى الله عليه وسلم ما استَعاذَ بالله من أن يموت لديغاً[٦] وأنْ تكونَ مِيتته بأكْل هذا العدوِّ ، إلا وهو من أعداء الله ، بل مِنْ أشدّهم عداوة .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم ، « أَشَدُّ الناس عذاباً يوم القيامةِ مَنْ قتلَ نَبِيًّا أو قتَلَهُ نبىٌّ »، كأنَّهُ كان فى المعلوم[٧] أنَّ النبىّ لايقتُل أحداً ،

---

(١) سها الجاحظ مرة أخرى فجعل عقب الآية هكذا : « يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين » ، فخلط بين هذه الآية وبين الآية ٣١ من سورة القصص : « وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ياموسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين » . ومن العجب أن يمر على هذا السهو والذى قبله نحو أحد عشر قرنا فلا يتهيأ أحد لإصلاحه ورده إلى نصابه . والحمد لله .

(٢) هـ : « فقلب » ولها وجه .

(٣) سقطت هذه الكلمة من س . وسقطت الكلمة الأولى فى الآية من ط . وهما مثبتتان فى هـ . والآيات هى ٢٩ — ٣٢ من سورة الشعراء .

(٤) س : « فقلبت » ، ولا تصح .

(٥) رسمت هذه الكلمة بالألف فى ط . وهى بقية من بقايا الرسم الأول .

(٦) ط : « مستعاذ بالله أن يموت لديغا » ، وتصحيحه وإكماله من س ، هـ .

(٧) كذا فى ط . وفى س ، هـ : « العلوم » وهى ركيكة .

ولا يَتَّفِق ذلك إلاّ فى أشْرَار[١] الخلْق . ويدلُّ على ذلك الذى اتّفق من قتل أُبَىٍّ بن خلفٍ بيدِه[٢] ، والنَّضر بن الحارث[٣] ، وعَقبة بن أبى مُعيط[٤] ، ومعاوية بن المغيرة بن أبى العاصى[٥] — صبراً[٦] .

(١) أشرار : جمع شرير ، كشريف ، وهو ذو الشر . أو هو جمع شر ، مثل زند وأزناد . اللسان والقاموس . ط ، هـ : « شرار » ولم أجدها فيهما فى مادة (شرر) ورأيتها فى شعر صخر أخى الخنساء (الخزانة ١ : ٣٩٣ سلفية) :

* والله لا أمنحها شرارها *

(٢) هو أبى بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، كان أدرك الرسول فى الشعب يوم أحد ، وهو يقول : أى محمد ! لا نجوت إن نجوت ! فقال القوم : يارسول الله أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال : دعوه : فلما دنا منه تناول رسول الله الحربة من الحارث بن الصمة ، وطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مراراً — أى تقلب فجعل يتدحرج . سيرة ابن هشام (يوم أحد) .

(٣) هو النضر بن الحارث بن كلدة ، أحد بنى عبد الدار . أسر يوم بدر كافراً فضرب الرسول عنقه صبراً . حماسة البحترى ٤٣٤ . أو قتله على وهو قافل مع الرسول من غزوة بدر إلى المدينة . السيرة ٥٠٨ . ورثته أخته قتيلة بأبيات ، هى من أروع آيات البيان العربى ، رواها ابن هشام فى السيرة ٥٣٩ وأبو تمام فى الحماسة (١ : ٤٠١) والبحترى فى حماسته ٤٣٤ والجاحظ فى البيان (٤ : ٤٤) . وقيل إن الرسول لما بلغه الشعر قال : « لو بلغنى هذا قبل قتله لمننت عليه ! » . فيقال إن قتيلة بنته ، كما فى حماسة البحترى والإصابة ٨٨٤ من قسم للنساء .

(٤) عقبة بن أبى معيط — بهيئة التصغير — كان ممن أسر يوم بدر من المشركين ، قتل فى أثناء قفول الرسول من غزوة بدر ، قتله عاصم بن أبى الأقلح الأنصارى . وكان عقبة قد احتج قبل قتله فقال : « أأقتل من بين قريش صبراً ؟ » فقال عمر ابن الخطاب : « حن قدح ليس منها ! » يعرض بنسبه . الروض الأنف (٢ : ٧٧) .

(٥) هو معاوية بن المغيرة بن أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس ، وهو جد عبد الملك ابن مروان ، أبو أمه : عائشة بنت معاوية ، كان أسره الرسول بعد غزوة حمراء الأسد ، عند رجوعه إلى المدينة ، فلجأ إلى عثمان بن عفان ، فاستأمن له الرسول فأمنه على أنه إن وجد بعد ثلاث قتل ، فأقام بعد ثلاث وتوارى ، فبعث الرسول زيد بن حارثة وعمار بن ياسر إليه ، وقال : إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا . فوجداه فقتلاه . السيرة ٥٩١ . ط : « معاوية بن أبى المغيرة » ، صوابه فى س ، هـ كما فى السيرة .

(٦) قتله صبراً : حبسه ورماه حتى مات . صبره : نصبه وحبسه ليقتل . ومما ينبغى =

وحدثت[١] عن عبد الله بن أبي هند ، قال : حدّثني صيفي بن أبي أيُّوب ، أنه سمع أبا بَشِيرٍ الأنصاريّ[٢] يقول : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوّذ من هؤلاء السَّبْع : كان يقول : اللهمَّ إني أعوذ بك من الهَدْم[٣] وأعوذُ بك من التردِّي[٤] ، وأعوذ بك من الغَمِّ والغَرَق[٥] ، وأعوذ بك من الحَرقِ والهَرَم[٦] ، وأعوذ بك أن يتخبَّطني الشَّيطانُ عند الموت[٧] وأعوذ بك من أن أموتَ في سبيلك مُدْبراً ، وأعوذ بك من أن أموت لديغاً » .

٥٤

وطلحة بن عمرو قال : حدثني عطاء أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من الأسَد [و[٨]] الأسْوَدِ ، وأعوذ بك من الهَدْم » .

= ذكره هنا ، أن الجاحظ قد صرح في كتاب العثمانية ص ٤٦ بأن الرسول « لم يقتل بيده إلا رجلا واحداً » . فهؤلاء الثلاثة قد أمر الرسول بقتلهم ، ولم يقتلهم بيده .

(١) في الأصل : « حدث » . والوجه ما أثبت .

(٢) أبو بشير الأنصاري ، ذكره ابن حجر في الإصابة ١٣٠ (قسم الكنى) . وقيل اسمه قيس بن عبيد بن الحرير بمهملتين مصغراً ، أورده ابن سعد فيمن شهد الخندق . وقيل مات سنة أربعين .

(٣) في رواية أخرى : « اللهم إني أعوذ بك من الأهدمين » قيل في تفسيره : هو أن ينهدم على الرجل بناء ، أو يقع في بئر ، حكاه الهروي في الغريبين . اللسان (هدم) .

(٤) تردى : سقط في بئر أو نهر أو هوة .

(٥) كذا في هـ واللسان (غرق) ، والجامع الصغير ١٥٤١ رواية عن النسائي والحاكم . وفي ط ، س : « الفرق » بمعنى الخوف .

(٦) الحرق ، بالتحريك : النار أو لهبها . والهرم ، بالتحريك : أقصى الكبر . ط ، س : « الهدم » صوابه في هـ .

(٧) تخبطه الشيطان : صرعه ولعب به .

(٨) هذه الزيادة الضرورية من الدميري (رسم الأسود السالخ) . وفيه : روى أبو داود =

(استطراد لغوى)

قال : ويقال للحيَّة : صَفَرَتْ تَصْفِرُ صفيراً ، والرجل يصفِر بالطير للتنفير ، وبالدوابِّ وببعض الطير للتعليم . وتتخذ الصَّفّارة [يُصْفَرُ بِها[١]] للحمام وللطير فى المزارع . قال أعشى هَمْدان يهجُو رَجُلاً :

وإذا جَئْــــا للزَّرع يوم حَصادِه   قَطَعَ النَّهارَ تأوُّهاً وصَفِيرَا

(لسان الحية)

والحيَّة مشقوقة اللسان سوداؤه . وزعم بعضهم أن لبعض الحيَّات لسانين وهذا عندى غلطٌ ، وأظنُّ أنَّهُ لما رأى افتراق طرف اللسان[٢] قضى بأنَّ له لسانين .

(عجيبة الضب)

ويقال : إن[٣] للضَّبِّ أَيْرَيْن ، ويسمَّى أَير الضَّبِّ نِزْكًا[٤] . قال الشاعر[٥] :

= والنسائى والحاكم وصححه ، عن عبد الله بن عمر قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل قال : يا أرض ، ربى وربك الله ، أعوذ بالله من شرك ، وشر ما فيك ، وشر ماخلق فيك ، وشر مايدب عليك ! أعوذ بالله من أسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ، ومن والد وما ولد ! » . الأسود : نوع من الأفاعى شديد السواد ، يقال له أسود سالخ ؛ لأنه يسلخ جلده كل عام .

(١) الزيادة من ه فقط .

(٢) ط : « طرف اللسان » . وأثبت ما فى س ، ه .

(٣) ط : « بأن » .

(٤) النزك ، بكسر النون وتفتح . ط : « طرك » ه : « ترك » س : « نزك » صوابه ما أثبت وانظر الجزء السادس ص ٧٤ حيث صرح الجاحظ بضبطه .

(٥) هو أبو الحجاج . وقال ابن برى : « هو لحمران ذى الغصة ، وكان قد أهدى =

كَضَبٍّ له نِزْكانِ كانا فَضِيلةً على كلِّ حافٍ فى الأنام ونَاعِلِ(١)

قال أبو خَلفٍ النمرىّ : سئل أبو حيّة النميرى عن أيرِ الضَّبِّ ، فزعم أنّ أيرَ الضّب كلسان الحيّة : الأصل واحدٌ ، والفرع اثنان .

(زعم بعض المفسرين فى عقاب الحية)

وبعض أصحاب التفسير يَزْعُمُ أنّ الله عاقبَ الحيّةَ حين أدخلت إبليس فى جوفها ، حتى كَلَّمَ آدم وَحَوَّاء وخدعهما على لسانها ، بعشرِ خِصال : منها شقُّ اللسان(٢) . قالوا : فلذلك ترى الحيّةَ إذا ضُرِبَتْ للقتْل كيف تخرج لسانها لتُرِىَ الضّاربَ عقوبةَ الله ، كأنها تَسْترحم . وصاحب هذا التفسير لم يقلْ ذلك إلّا لحيَّةٍ كانت عنْدَه تتكَلّمُ ، ولولا ذلك لأنكر آدمُ كلامها ، وإن كان إبليسَ لايحتال إلّا من جهة الحيَّة ، ولا يحتال بشىءٍ غير مموّه ولا مشبَّه .

= ضبابا لخالد بن عبد الله القسرى » . انظر اللسان (مادة نزك) حيث تجد أبيات الشاهد . وقال ابن السيد فى الاقتضاب ٣٥٥ : « كان خالد ولاه بعض البوادى فلما جاء المهرجان أهدى كل عامل إليه ماجرت عادة العمال بإهدائه ، وأهدى إليه حمران قفصاً مملوءا ضبابا وكتب إليه » . وأنشد الأبيات التى رواها الجاحظ أيضاً فى الجزء السادس .

(١) الرواية : « سبحل له نزكان » انظر الحيوان (٦ : ٧٣) واللسان (نزك ، سبحل) والمخصص (٨ : ٩٧) وعيون الأخبار (٢ : ٩٨) وأدب الكاتب ١٥٤ ومعجم الأدباء (٩ : ١٦١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٣) . وفى ط « طركان » و هـ : « تركان » صوابه فى س والمراجع . والناعل : من يلبس نعلا . س : « وفاعل » محرف .

(٢) انظر ماسيأتى فى ص ٢٠٠ .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال أرضٌ مَحْوَاةٌ وَمَحْيَاة من الحيَّات[1] كما يقال أرض مَضَبَّة وَضَبِبَة من الضِّباب[2] ، وفَئِرة من الفأر[3] .

(قولهم : هذا أجل من الحرش !)

وقال الأصمعيُّ فى تفسير قولهم فى المثل : « هذا أَجَلُّ مِنَ الحَرْش[4] » : إنّ الضّبّ قال لابنه : إذا سمعتَ صَوتَ الحَرْش فلا تَخرُجَنّ ! قال : وذلك أنّهمْ يزعمونَ أن الحَرْش تحريك[5] اليدِ عندَ جُحْر الضَّبِّ ؛ ليخرج إذا ظَنّ أنه حية ــ قال : وسمع ابنُه صوت الحفْر فقال : يَا أَبَهْ هذا الحرش ؟ قال : يابنىّ ، هذا أجلُّ من الحرْش ! فأرسَلها مثلاً .

أسماء ما يأكل الحيات

بين الحياتِ وبين الخنازير عداوة ، والخنازير تأكُلها أكلا ذريعاً . ٥٥

---

(١) وذلك إذا كانت كثيرة الحيات .

(٢) أرض مضبة ، بفتح الميم والضاد وتشديد الباء . وفى ط ، س : « مضببة » و ﮬ : « مضبعه » صوابهما ما أثبت . وضببة ، كفرحة ، وهو من شواذ المضعف . ط ، ﮬ : « ضبية » صوابه فى س . والضباب ، بالكسر : جمع ضب .

(٣) فى الأصل : « فائرة » تحريف . وانظر (٦ : ١٣٤) ، واللسان (فأر) .

(٤) انظر هذا المثل وما قيل فيه ، عند المرتضى فى أماليه (١ : ١٧٠) والميدانى (١ : ١٧٠) والبغدادى فى الخزانة (٤ : ٥٩٤ ــ ٥٩٥ بولاق) .

(٥) ﮬ : « تحريد » بالدال . والتحريد : التعويج .

وسمومُ ذواتِ الأنيابِ من الحيَّات ، وذوات الإبر[1] ، سريعةٌ فى الخنازير ، وهى تَهْلِكُ عند ذلك هلاكاً وشيكا ؛ فلذلك لاترضى بقتلها حتى تأكلها . وتأكلُ الحيَّاتِ العِقْبانَ ، والأيايِلُ ، والأراوىُّ[2] ، والأوعالُ ، والسَّنانير والشَّاهَمْرْك[3] ، والقنفذُ . إلَّا أن القُنْفُذَ أكثرُ مايقصدُ إلى الأفاعى ، وإنما يظهر بالليل . قال الرّاجز :

* قنفد ليــل دائم التَّجْآبِ[4] *

وهذا الراجز هو أبو محمد الفقعسىُّ .

(التشبيه بالقنفذ)

وكذلك يُشبَّه النَّمَّامُ ، والمُـدَاخِلُ ، والدَّسِيس[5] ، بالقنفذ ؛ لخروجه بالليل دون النهار ، ولاحتياله للأفاعى . قال عَبْدة بن الطبيب :

اعْصُوا الذى يُلقِى القَنافِذَ بَيْنَـكُمْ ... مُتَنَصِّحاً وهُوَ السِّمامُ الأَنقَعُ[6]

يُزْجِى عَقَـارِبَهُ ليبعَثَ بينـكم ... حَرْباً كما بَعَثَ الْعُرُوقَ الأَخْدَعُ[7]

---

(١) أى وسموم ذوات الإبر . وفى الأصل : « ومن ذوات الإبر » .

(٢) الأراوى : جمع أروية ؛ وهى أنثى الوعول .

(٣) سبق الـكلام عليه فى (٣ : ٣٣٦) .

(٤) التجآب : تفعال من جاب يجوب ، وأصله « التجواب » . ولم أجد من نبه عليه إلا مايفهم من عبارة صاحب اللسان : « وفلان جواب جأب : أى يجوب البلاد ويكسب المال » . ط : « التجأب » هـ : « التجارب » صوابه فى س .

(٥) الدسيس ، بسينين بينهما ياء : من تدسه ليأتيك بالأخبار . ط : « الدبيس» صوابه فى س ، هـ .

(٦) س ، هـ : « أعصى » .

(٧) يزجى : يسوق ويدفع . ط : « يرخى » س ، هـ : « ترخى » صوابهما =

حرَّانَ لايَشْفِى غَلِيلَ فؤادِهِ عَسَلٌ بماءٍ فى الإناءِ مُشَعْشَعُ[١]

لا تأمَنُوا قوماً يشبُّ صبيهم بَيْنَ القوَابِلِ بالعَداوَةِ يُنْشَعُ[٢]

وهذا البيت الآخِر يضم إلى [قول[٣]] مجنونِ بنى عامر :

أتانى هوَاهَا قَبْلَ أنْ أَعْرِفَ الهوَى فَصَادَفَ قَلْباً خَالِياً فتَمكَّنا

ويضم إليه قول ابْنِ أوْدٍ[٤] : « الطينة تَقْبَلُ[٥] الطبائع ما كانت لَيِّنَــةً » .

ثم قال عبْدة بنُ الطَّيِب ، فى صلة الأبيات التى ذكر فيها القُنفذَ والنَّمِيمَةَ :

إنَّ الذين تُرَوْنَهُمْ خُلَّانَكُمْ يَشْفِى صداعَ رُءُوسِهِمْ أَنْ تُصرَعُوا

قومٌ إذا دَمَسَ الظَّلَامُ عَلَيهمُ جَدَعُوا قَنَافِذَ بالنَّمِيمة تمزَعُ[٦]

= ما أثبت ، والرواية فى حماسة البحترى ٢٤٠ : « يهلى » . والأخدع : واحد الأخدعــين ، وهما عرقا الرقبة . س ، هـ : « الفروق » صوابه فى ط والحماسة .

(١) شعشع العسل بالماء : مزجه به وخلطه .

(٢) القوابل : جمع قابلة ، وهى التى تتلقى الولد عند ظهوره . س ، هـ : « القرامل » وهى الإبل ذوات السنامين . وليس يتجه بها المعنى . ينشع بالعداوة : كأنه يوجر بها ، أى توضع فى فه ليشربها .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « ابن أمر » .

(٥) فى الأصــل : « تقتل » ، ووجهه ما أثبت . وفى س زيادة واو ، قبل : « الطينة » .

(٦) دمس : اختلطت ظلمته . الحماسة : « فهم إذا دمس » . وجدعوا : هو من =

وهذا الشعر من غُرر الأشعار . وهو مِمَّا يحفظ .

وقال الأوديُّ[١] :

كقنفذ القُنِّ لاتَخفى مَدَارجُهُ خبٌّ إذا نامَ عَنْهُ الناس لم ينمِ [٢]

(عهد آل سجستان على العرب)

وفى عهد آل سجستان على العرب حين افتتحوها[٣] : لاتقتلوا قُنْفُذًا

= جلع بين البعيرين : قرنهما فى قرن ، أى حبل . ورواية الحماسة ، واللسان « مادة مزع » وديوان المعانى (٢ : ١٤٤) والأزمنة والأمكنة (١ : ٣٤٠ ، ٢ : ٣٠) : « حدجوا » . وهو من حدج البعير والناقة : شد عليهما الحدج ، بالكسر ، وهو نحو الهودج والمحفة . والمعنى أعدوا تلك القنافذ . وتمزع ، من المزع ، وهو شدة السير . وفى اللسان : « ابن الأعرابى : القنفذ يقال لها : المزاع » بتشديد الزاى . س ، ه : « تمرع » بالراء صوابه فى ط ، والحماسة ، واللسان (مادة مزع) .

(١) اسمه صلاءة بن عمرو . والأودى : نسبة إلى أود بن الصعب بن سعد العشيرة . كان من كبار الشعراء القدماء فى الجاهلية ، وله شعر حكمى سائر . انظر الشعراء والأغانى (١١ : ٤١ — ٤٢) . والبيت فى ديوان المعانى (٢ : ١٤٤) منسوب إلى أيمن بن خريم .

(٢) القن ، بالضم : موضع ، وفى ديوان المعانى : « الرمل » . والخب ، بالفتح ويكسر : الخداع . « عنه » هى فى الأصل : « عند » محرفة . وفى ديوان المعانى : « ليل » .

(٣) كان ذلك سنة إحدى وثمانين ، حين أرسل الحجاج ، عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فى جيش كثيف حسن العدة ، وكان يسمى « جيش الطواويس » ، إلى سجستان لغزو رتبيل ، ملك زابلستان ، ففتح كثيراً من بلادهم .

ولا وَرَلاً وَلاَ تَصِيدُوا[١] ، لأنها بلادُ أفاع[٢] . وأكثرُ ما يجتلبُ أصحاب صنعة الترياق والحواءون الأفاعيَ من سِجِستان . وذلك كَسْبٌ لهم وحِرْفةٌ ومَتجرٌ . ولولا كثْرَةُ قنافِذِها لما كان لهم بها قرارٌ .

(أكل القنفذ للحية)

والقنفذُ لا يبالى أىّ موضع قبضَ من الأفعى . وذلك أنه إن قبض على رأسها أو على قفاها فهى مأكولةٌ على أسهل الوُجوه ، وإن قَبَضَ على وسَطها أو على ذنَبها ، جذَبَ ماقبض عليه ، فاستدار وتجمَّع ، ومنحه سائرَ بدَنهِ ، فمتى فَتَحَتْ فاها لتقبضَ على شىء منه ، لم تصلْ إلى جلده مع شوكِهِ النَّابت فيه . والأفعى تهرُب منه ، وطلبُه لها وجراءتُه عليها ، على حَسَب هربِها منه وضعْفها عنه . ٥٦

(أمثال فى الحية والورَل والضَّبّ)

وأمَّا قولهم : « أضَلُّ من حَيَّةٍ » ، و « أضَلُّ من وَرَلٍ » ، و « أضَلُّ من ضبٍّ » ـــ فأمَّا الحيّة فإنّها لاتتّخذ لنفسها بيتاً ، والذَّكرُ لايقيم فى الموضع ، وإنما يقيم على بيضها بقدر ما تخرج فراخها وتقوى على الكَسْب والتماس الطعم ، ثمَّ تصير الأنثى سَيَّارَةً ، فمتى وَجَدَتْ جُحْراً دخلتْ واثقةً بأنَّ

---

(١) أى ولا تصيدوا شيئاً منها . ط : « ولا ورلا تصيدونه » س : « ولا ورلا تصيدوه » . وصوابه ما أثبت من ه . وعند ياقوت : « ألا يقتل فى بلدهم قنفذ ولا يصطاد » .

(٢) فى الأصل : « أفاعى » ووجهه ما أثبت . قال ياقوت فى سجستان : « فما من بيت إلا وفيه قنفذ » .

السَّاكِنَ فيه بين أمرَين : إمّا أقام فصار طُعْماً لها ، وإمّا هرَب فصار البيتُ لها ما أقامت فيه ساعةً ، كان ذلك من ليلٍ أو نهار .

(بيض الحيات)

وقد رأيتُ بيض الحيَّاتِ[1] وكسرتها لأتعرَّفَ مافيها ، فإذا هو بيضٌ مستطيلٌ أكدرُ اللون أخضر ، وفى بعضه نَمَشٌ ولُمَع[2] . فأمّا[3] داخلَه فلم أرَ قَيْحًا قطّ ، ولا صديداً خَرَجَ من جُرحٍ فاسدٍ ، إلاَّ والَّذِى فى بيضها أسمجُ منه وأقذر . ويزعمون أنها كثيرةُ البيض جِدًّا ، وأنَّ السلامة فى بيضها [على[4]] دونِ ذلك ، وأنَّ بيضها يكون منضَّداً فى جوفها طُولاً على غِرار[5] واحد ، وعلى خيط واحد .

(جسم الحية)

وهى طويلة البطن والأرْحامِ . وعددُ أضلاعِها عددُ أيام الشهر . وكان ذلك بعضَ ما زاد فى شدَّة بدنها[6] .

---

(١) ط : « الحياة » صوابه فى س ، هـ .

(٢) النمش ، بالتحريك : نقط بيض وسود . وفى الأصل : « هش » وليس بشىء . وأثبت الصواب موافقا ما فى الدميرى (١ : ٤١٠) . واللمع : جمع لمعة ، بالضم ، وهى كل لون خالف لونا .

(٣) ط ، هـ : « فإذا » صوابه فى س .

(٤) الزيادة من س ، هـ .

(٥) على غرار : أى على قالب . ط ، هـ : « عرار » س : « عرام » صوابهما ما أثبت .

(٦) بعد هذا فى كل من ط ، هـ عبارة دخيلة على الكتاب ، أثبتها هنا إثباتا تاريخيا : « كنت بعجت بطن عقرب إذ كنت بمصر فوجدت فيه أكثر من سبعين عقارب صغار كل واحدة نحو أرزة . حرره أبو بكر السروكى » . وقد سلمت س من إثبات هذا التشويه الدخيل .

(أكثر الحيوان نسلا)

والخلْق الكثير الذّرء[1] الدَّجاجُ . والضَّبُّ أكثرُ بيضاً من الدَّجاجة . والخنزيرة تضعُ عشرين خِنَّوْصاً .

ويخرج من أجوافِ العقاربِ عقاربُ صغارٌ ، كثيرةُ العدد جدًّا . وعامَّة العقارب إذا حَبِلتْ كان حَتْفُها فى وِلادها[2] ؛ لأنَّ أولادها إذا استَوَى خَلقُهَا أكلَتْ بطونَ الأمَّهاتِ حتّى تثقبها[3] . وتكونُ الولادةُ من ذلك الثّقب ، فتخرجُ والأمهاتُ ميِّتة .

وأكثرُ من ذلك كله ذَرْءُ السَّمك ؛ لأنَّ الإنسان لو زَعَمَ أنّ بيضة[4] واحدة من بَعْضِ الأسْبور[5] عشرة آلاف بيضة ، لكان ذلك لعظَمِ ما تحمِلُ ، ولدِقَّة حَبّه[6] وصِغره . ولكن يعتريها أمران : أحدهما الفساد ، والآخر أنَّ الذكورةَ فى أوانِ ولادة الإناث تَتْبَعُ أذْنابَهَا ، فكلَّما زَحَرَتْ بشيء التقمته والتهمتْه .

ثمَّ السَّمك بعد ذلك فى الجملة إنما طبعها أن يأكل بعضُها بعضاً .

---

(١) الذرء : النسل . ط ، س : « الذر » صوابه ما أثبت من هـ .

(٢) الولاد ، بالكسر : الولادة . ط ، هـ : « أولادها » صوابه فى س . وفى نهاية الأرب (١٠ : ١٤٧) نقلا عن الجاحظ : « ولادتها » .

(٣) كذا على الصواب فى س . وفى ط : « تثقفها » و هـ : « يثقفها » محرفتان . وفى نهاية الأرب : « تنقبها » .

(٤) البيضة هنا : اسم المرة من باض يبيض.

(٥) الأسبور ، سبق الكلام عليه فى (٣ : ٢٥٩) . وفى الأصل : « الأشبور » مصحف .

(٦) أى حب البيض . ط ، هـ « جثته » تحريف ما أثبت من س .

(علة كثرة الأولاد)

ويزعمون أن الكَثْرَةَ فى الأولادِ إنَّمَا تكون من العفَنِ واللَّخَن ، وعلى قدْر كثرةِ المائيَّة وقِلّتِهَا . فذهبوا إلى أنَّ أرحامَ الرُّوميّاتِ والنَّصرانيَّاتِ أكثرُ لخناً ورُطوبة ؛ لأنَّ غَسْلَ الفُرُوجِ بالماء البارِدِ مراراً فى اليوم ، مِمَّا يطيِّب الأرحامَ ، وَينفى اللَّخنَ والعفَن . ويزعمون أنَّ المرأةَ إذا كان فرجُها نظيفاً ، وكانت مُعَطَّرَة قويّةَ المُنَّةِ قلَّ حملُها ، فإنْ أفرطتْ فى السِّمَنِ عادتْ عاقراً . وسِمَانُ الرِّجال لا يكاد يعتريهم ذلك .

٥٧

وكذلك العاقر من إناث الإبل والبقر والغنم والنَّخْل . إذا قويت النَّخلة وكانت شابّةً ، وسَمِنَ جُمَّارُها ، صارت عاقِراً لا تحمل ، فيحتالون عند ذلك بإدخال الوَهَن عليها .

(اعتراض على التعليل السابق)

وقد طعن فى ذلك ناسٌ فقالوا : إنّ فى الضّبِّ على خلاف ماذكرتم : قد تبيضُ الأنثى سبعين بيضة فيها سبعون حِسْلا[1] . ولولا أنّ الضّبَّ يأكلُ ولدَه لانتفشت الصحارى ضِباباً . والضبُّ لا يحفر إلاّ فى كُدْيَة[2] وفى بلادِ العَرَاد[3] . وإذا هرمت تبلّغتْ بالنّسيم . وهذا كله مِمَّا يستدلُّ

(١) الحسل ، بالكسر : ولد الضب .

(٢) الكدية ، بالضم : الأرض الصلبة الغليظة .

(٣) العراد : حشيش طيب الرائحة . ط ، هـ : « العرار » محرفة ، صوابه بالدال =

به على بُعْدِ طبعها من اللَّخَن والعفن[١] .

قيل لهم : قد يمكنُ أن يكون ذلك كذلك[٢] فى جميع صفاتها إلاّ فى أرحامها فقط .

(سفاد الحيات)

وليس للحيَّات سِفادٌ معروف يَنْتَهِى إليه علمٌ ، ويقف عليه عِيان ، وليس عند الناس فى ذلك إلاّ الذى يَرَوْنَ من ملاقاة الحيّة [للحية[٣]] والتواءِ كلٍّ منهما على صاحبه ، حتى كأنهما زوجُ خيزرانٍ مفتولٌ ، أو خَلخَالٌ مفتولٌ . فأمَّا أن يقفوا على عضوٍ يدخل أو فرج يدخل فيه فلاَ .

(ذكر الأيم والجرادة الذكر فى الشعر)

والعرب تذكُرُ الحيّاتِ بأسمائها وأجناسها . فإذا قالوا : أَيْم ، فإنما يريدون الذَّكرَ دونَ الأنثى . ويذكرونه عِنْدَ جودةِ الانسياب ،

= كما أثبت من س . وانظر « اللسان » (صرد) . ومن تكاذيب الأعراب قولهم على لسان الضب :

أصبح قلبى صردا لايشتهى أن يردا
إلا عرادا عردا أو صليانا بردا
* أو عنكثا ملتبدا *

(١) أى أن سكنى الضباب فى الكدى وهى بعيدة عن الرطوبات ، وفى تلك البلاد التى تنبت الحشيش الطيب الرائحة — من شأنه أن يبعد طباعها من اللخن والعفن . وفى الأصل : « على بعض طبعها » الخ . وقد ظهر لك صوابه مما بينت .

(٢) كذا فى ط . وفى س : « قد يكون أن كون ذلك » فقط . وفى هـ : « قد يكون أن يكون ذلك كذلك » .

(٣) هذه الزيادة الضرورية من س ، هـ .

وخِفةِ البدن ، كما تذكر الشُّعراءُ فى صفة الخيل الجرادةَ الذَّكَرَ(١) دُونَ الأنثى . فهم وإن ألحقُوا الهاء فإنهم يريدون الذَّكَرَ . قال بِشْرُ ابنُ أبى خازم :

جَرَادَةَ هَبْوَةٍ فيها اصفرارُ(٢)

لأنَّ الأنثى لاتكون صفراء ، وإنما الموصوفُ بالصُّفْرة الذَّكر(٣) ؛ لأنَّ الأنثى تكون بين حالتين(٤) : إمَّا أنْ تكون حُبْلى بِبَيْضِها(٥) فهى مُثْقَلَة وإمَّا أن تكون [قد(٦)] سرأت وقذفت بيضها(٧) ، فهى أضعفُ ما تكون .

قال الشاعر :

أَتذهَبُ سَلْمَى فى اللِّمَامِ وَلاَ تُرَى وفى اللَّيلِ أَيْمٌ حيثُ شاءَ يسيبُ(٨)

(١) ط : « والجرادة الذكر » . وإثبات الواو يفسد المعنى . وإنما يعنون الذكر دون الأنثى ؛ لأن الجرادة الذكر أسرع من الأنثى ، وأخف ، كما فى الموازنة للآمدى ٧٥ .

(٢) الهبوة : الغبرة . وصدر هذا البيت كما فى المفضليات ٣٤٣ والأساس (هرش) :

مهارِشة العنان كأن فيها

وانظر الاستدراكات .

(٣) أى كون الشاعر ذكر الصفرة ، قرينة لأنه عنى الذكر . ومثل الشعر المتقدم قول علقمة ابن هبيرة الأسدى (الموازنة ٧٥ والمخصص ١٦ : ١١٥) ، أو قد بن مالك . (معجم المرزبانى ٣٣٩) :

كأن جرادة صفراء طارت بألباب الغواضر أجمعينا

(٤) هذا تعليل من الجاحظ لاختيار الشعراء فى كلامهم الجرادة الذكر ، دون الأنثى .

(٥) ط : « إن جل بيضها » س ، هـ : « إن حبل ببيضها » ، وأصلحت الكلام وأكملته بما ترى .

(٦) الزيادة من هـ .

(٧) سرأت الجرادة والسمكة ، من باب منع : باضت .

(٨) اللمام ، بالكسر : اللقاء اليسير .

(آثار الحيات والعظاء فى الرّمال)

وإذا انسابت فى الكُثْبانِ والرّملِ ، يبينُ مواضعُ مَزَاحِفِها ، وعُرِفت آثارُهَا .

وقال آخر[١] :

كأنّ مَزَاحِفَ الحيَّاتِ فيها قُبيلَ الصُّبْحِ آثارُ السِّيَاطِ[٢]

وكذلك يعرفون آثار العَظاء . وأنشدَ ابن الأعرابىّ :

بها ضربُ أذناب العَظاء كأنّها مَلاعِبُ وِلْدَانٍ تخطّ وتمصع[٣]

وقال الآخر ، وهو يصف حيّات :

كأنّ مَزَاحِفهَا أنسعٌ جُرِرْنَ فرادَى ومَثْناتِها[٤]

٥٨

وقال ثُمَامة الكلبىّ :

كأنّ مَزَاحِفَ الهَزْلَى[٥] صباحاً خدُودُ رَصَائع جُدِلتْ تؤاما[٦]

---

(١) هو المتنخل الهذلى ، ديوان الهذليين ٢ : ٢٥ و جمهرة أشعار العرب ص ١٢٠ . وقبله :

كأن وغى الخموش أميم فيها وغى ركب أميم أولى زياط

(٢) رواية المخصص (١٦ : ١٠١) والمؤتلف ١٧٩ : «كأن مزاحف الحيات فيه»، ونهاية الأرب (١٠ : ١٤٦) : « وهنا » مكان : « فيها » .

(٣) تمصع : تسرع .

(٤) ط : « مراحفها » . هـ : « مراجفها » صوابه فى س . والأنسع : جمع نسع بالكسر ، وهو سير يضفر ويجعل زماما البعير وغيره . وانظر رواية البيت فى نهاية الأرب (١٠ : ١٤٦) ، ومثيله فى أمالى القالى (٢ : ٢٣٧) .

(٥) الهزلى ، بالزاى : الحيات . ولا يعرف لها واحد . جاءت فى الأصل بالذال فى هذا السطر والسطرين بعده ، وهو تحريف .

(٦) الخدود هنا بمعنى : آثار الجر والسحب . والرصائع ، بالصاد المهملة : جمع رصيعة =

والهزْلى من الحيَّات . قال جرير أو غيره :

ومِن ذات أصْفَاءٍ سُهُوب كَأَنها مَزَاحِفُ هَزْلَى بينها متباعدُ[1]

وقال بعضُ المحدثين ، وذكر حال البرامكةِ كيفَ كانتْ ، وإلى أيٍّ شيءٍ صارت :

وإذا نَظرْتَ إلى الثَّرَى بِعِرَاصهم

قلتَ : الشجاعُ ثوى بها والأرقمُ[2]

وقال البَعيث :

لَقَىً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وهي ضَيْفَةٌ فجاءتْ بيَتْنٍ للضيافةِ أرشَما[3]

مُدامِنُ جَوْعَاتٍ كأنَّ عروقَهُ مَسَارِبُ حَيَّاتٍ تَسَرَّبْنَ سَمْسَمَا[4]

= وهى سير مضفور فى أسفل حالة السيف . ط ، هـ : « وضائع » س . « صانع » كذا . وهما تحريف ما أثبت . جدلت : أحكم فتلها . ط : « خذلت » هـ : « خزلت » س : « حذلت » والوجه ما كتبت . تؤاما : جمع توأم . والمراد : أزواجا . وانظر (٦ : ٢٥٩) .

(١) ذات أصفاء : أى أرض ذات صخور ملساء . والأصفاء : جمع صفا . والصفا : جمع صفاة . ط ، هـ : « إصفاء » صوابه فى س . وفى اللسان (صوى) : « أصواء » مع تفصيل فى الشرح . والسهوب : المستوية الواسعة . والبين : البعد ، إن جعل « بينها » مبتدأ مرفوعا . ويصح أن تكون ظرفا منصوبا ، أى مزاحف متباعد بينها . ط ، هـ : « بيّنها » صوابه فى س .

(٢) الشجاع : الحية الذكر . والأرقم : حية فيها بياض وسواد ، وهى أخبث الحيات وأطلبها للناس . ط : « الشجاع بها ثوى » .

(٣) اللقى ، بالفتح : الذى لا يدرى لمن هو ، وابن من هو . ط ، هـ : « فتى » س : « لقد » ، وصواب الرواية ما أثبت من الجزء الأول ص ٢٥٨ والاقتضاب ٣٤٦ واللسان (ضيف ، رشم ، يتن ، لقى) . ضيفة : أراد أن أمه حملت به وقد دعيت إلى ضيافة ، فجاء حريصاً على الدعوات محبا للضيافات . وكنى عن زنى أمه . واليتن : الذى يخرج رجلاه عند الولادة قبل رأســه ، وكان يتشاءمون به ، لخروجه مقلوبا . والأرشم : الذى يتشمم الطعام ويحرص عليه . ط : « أرثما » ، س ، هـ : « أرسما » محرفان عما أثبت من المراجع المتقدمة وأدب الكاتب ١٢٧ .

(٤) مدامن جوعات : أى هو يدمن الجوع . وفى الأصل : « مدافع جرعات =

(روعة جلد الحية)

ولا ثوبَ ولا جَناحَ ، ولا سِتْرَ عنكبوتٍ[١] ، إلا وَقشْرُ الحيَّةِ أَحْسَنُ منه وأرقُّ ، وأخفُّ وَأَنْعَمُ ، وأعجبُ صنعةً وتركيباً . ولذلك وصفَ كثيِّرٌ قميصَ ملِكٍ ، فشبَّهه بِسَلخ الحيَّة ، حيث يقول :

إذ ما أفادَ المَالَ أودَى بِفَضْلِهِ   حقوقٌ ، فكرْهَ العاذلاتِ يوافقه

يجرِّر سِرْبالاً عليـــه كأنّه   سَبِيءُ لهِزْلَى لم تَقَطَّعْ شَرَانِقُهْ[٢]

والسَّبِيء : السَّلْخُ والجلد . قال الشاعر :

* وقد نصَلَ الأظْفارُ وانسَبَأَ الجِلْدُ[٣] *

= كأن عروقها » ، وصوابه من الاقتضاب ٣٤٧ واللسان (سمسم) ، ومعجم البلدان (سمسم) . جعل عروقه كأنها مسارب الحيات ، أى آثارها فى الرمال ، وهى ملتوية دقيقة . و « سمسم » بفتح السينين : اسم موضع . وتسربنه : مشين فيه . وفى الأصل : « يسر بن » ، وصوابه من المراجع المتقدمة . ويروى : « تشربن سمسما » بالشين المعجمة . والسمسم ، بفتح السينين أيضاً : السم . أى كثر فيهن السم فدقت أجسامهن ، لأن الحية إذا كثر سمها دق خلقها .

(١) المراد بستر العنكبوت : بيته الذى ينسجه . وقد نقل هذا الكلام فى ثمار القلوب ٣٤٠ . وانظر (٥ : ٤١١) .

(٢) السبيء : جلد الحية تسلخه . وجاءت هنا مهموزة ، يؤيد همزها الشعر بعدها . والهزلى بالزاى : الحيات . وجاءت فى الأصل بالذال ، وهو تحريف . والشرانق : سلخ الحية إذا ألقته . ط : « سرادقه » س ، هـ : « سرائفه » ، صوابه من اللسان (سبى) وما فى (٣ : ٤٨٦) . وانظر المخصص (١ : ٢٤) .

(٣) نصلت أظفاره : خرجت . وانسبأ الجلد : انسلخ .

(صمم النعام والأفعى)

ونزعمُ العربُ أنَّ النَّعامَ والأفعى صُمٌّ لا تسمَع ، وكذلك هما من بينِ جميعِ الخَلْقِ . وسنذكرُ من ذلك فى هذا الموضع طرَفاً ، ونؤخر الباقِيَ إلى الموضعِ الذى نذكر فيه جملة القَوْل فى النَّعام .

(أصحاب الدعاوى الكبيرة)

وقد ابتَلِينا بضَرْبين من الناس ، ودعواهما كبيرة[١] ، أحدهما يبلغ من حبه للغرائب[٢] أن يجعل سَمْعه هدَفاً لتوليد[٣] الكذَّابين ، وقلبَه قراراً لغرائب الزُّور . ولكَلَفِهِ بالغريب ، وشَغَفِهِ بالطُّرَف ، لا يقفُ على التَّصحيح والتمييز ، فهو يدخل الغثَّ فى السمين ، والممكنَ فى الممتنع ، ويَتَعَلَّقَ بأدنى سببٍ ثمَّ يدفع عنه كلَّ الدَّفعِ .

والصِّنف الآخَر ، وهو أنَّ بعضهم يرى أنَّ ذلك لا يكون منه عنْدَ من يسمعه يتكلَّم إلا من خاف التقزُّزَ[٤] من الكذب .

(قول فى صمم الأفعى وعماه)

فزعم ناسٌ أنَّ الدَّليلَ على أنَّ الأفاعيَ صُمٌّ ، قولُ الشاعر :

---

(١) س ، هـ : « وعودهما كثير » ، صوابه فى ط .

(٢) ط : « للغريب » .

(٣) هـ : « لتوكيد » ، وجهه ما أثبت من ط ، س .

(٤) ط ، س : « التقذر » هـ : « التقزر » صوابهما ما أثبت . وفى العبارة قبله اضطراب .

أنْعَتُ نضناضا من الحيَّاتِ أصمَّ لا يَسْمَعُ للرُّقَاة(١)

وقد ذكروا بالصَّممِ أجناساً من خبيثات الحيَّات ، وذهبوا إلى امتناعها من الخروج عند رُقيةِ الرَّاقى عند رأس الجحْر ، فقال بعضهم : ٥٩

وذاتِ قَرْنَيْنِ من الأفاعى صَمَّاء لاَ تَسْمَعُ صَوْتَ الدَّاعِى

ويزعمونَ أنّ كلّ نَضْنَاضٍ أفعًى . وقال آخَر :

ومِنْ حَنَشٍ لاَ يُجِيبُ الرُّقا ةَ أَرْقَشَ ذِى حُمَةٍ كالرِّشا(٢)

أصمَّ سَمِيعٍ طويلِ السُّبَا تِ مُنْهَرِتِ الشِّدقِ عارِى النسَا(٣)

فزعم أنّه أصمُّ سميع ، فجاز له أن يجعله أصمّ بقوله : « ومِنْ حَنَشٍ لا يُجِيبُ الرُّقاة » . وقال الآخر :

أَصمَّ أَعْمَى لاَ يُجِيبُ الرُّقَى يَفْتَرُّ عَنْ عُصْلٍ حَدِيداتِ(٤)

والأفعى ليس بأعمى ، وعينه لا تنطبق ، وإنْ قُلِعَتْ عينه عادت . وهو قائمُ العَيْنِ كَعَيْنِ الجرادة ، كأنها مِسمارٌ مضروب . ولها بالليل شُعاع خفىٌّ . قال الرَّاعى يصفُ الأفعى :

---

(١) الرقاة : جمع راق . ورسمت فى الأصل بالتاء المفتوحة خطأ .

(٢) الحمة : إبرة الحية. والرشاء : الحبل . جعل الحمة كالرشاء فى الطول ؛ وهى مبالغة ظاهرة . وروىّ البيتين هو الألف .

(٣) منهرت الشدق : واسعه . والنسا ، بالفتح : عرق .

(٤) عصل : جمع أعصل بمعنى الملتوى . س ، هـ : « عضل » صوابه فى ط . وقبله كما سيأتى فى ٢٨٢ :

وكم طوت من حنش راصد للسفر فى أعلى الثنيات

ويُدنى ذِرَاعَيهِ إذا ما تبادَرَا إلى رأسِ صِلٍّ قائمِ العَيْنِ أسفع [١]

وهذه صفةُ سَليمِ الأفعى [٢] فيجوز أنْ يكون الشاعِرُ وصفها بالتمنع من الخروج بالصَّمَم ، كما وصفَها بالعمَى ؛ لمكان السُّباتِ وطُولِ الإطراق . قال الشاعِرُ :

أصمَّ سميــع طويل السُّبات مُنهرت الشِّدْقِ عَارِى القَرَا [٣]

وقال آخر :

منهرتِ الشِّدقِ رَقودِ الضُّحى سارٍ طمُــورٍ بالدُّجُنَّاتِ [٤]

وَتَارَةً تَحْسَبُــــهُ مَيِّتاً مِنْ طُولِ إطْرَاقٍ وإخباتِ [٥]

يُسْبِتُهُ الصُّبْــحُ وَطَــوْرًا لَهُ نَفخٌ وَنَفثٌ فى المغارات [٦]

وَيُعْلَمُ أَنَّهُ وَصفَ أفعى بقوله :

أصمَّ أعمَى لا يُجيبُ الرُّقَى يَفْتَرُّ عن عُصْلٍ حَدِيداتِ [٧]

مُنْهَرِتِ الشِّدْقِ رَقُودِ الضَّحَى « إلخ »

ثم ذكر أنيابَهُ ، فقال :

قُدِّمْنَ عَنْ ضِرْسِيْهِ وَاسْتَأْخَرا إلى صِمَاخَيْنِ وَلهَوَاتِ

---

(١) الأسفع : الأسود . هـ : « أسقع » صوابه فى ط ، هـ .

(٢) السليم : الملدوغ .

(٣) القرا : الظهر . وقد سبق نظير هذا البيت فى ١٧٩ س ٧ .

(٤) الطمور : الوثاب . طمر : وثب . والدجنات : الظلمات .

(٥) الإخبات : الاطمئنان والسكون .

(٦) يسبته الصبح : ينيمه . ط : « يثبته » صوابه فى س ، هـ . والنفث : النفخ وفى الأصل : « نقب » . وهو تحريف صوابه مما سيأتى ص ٢٨٣ . ولا تنقب الحيات بل تنفث . والمغارات : جمع مغارة ، وهى الجحر . س : « المفارات » ولا وجه له .

(٧) مضى هذا البيت فى الصفحة السابقة .

فجعله أعصل(١) الأنيابِ ، منهرتَ الأشْداق ، ثمَّ وصفَها بالسُّباتِ وطولِ الإطراق ، وبِسُرْعَةِ النَّشْطَةِ(٢) ، وخفّة الحركة ، إذا همَّت بذلك وكانت تعظم(٣) .

(شعر امرأة جمع صِفَةَ الحية)

وقد وصفتها امرأةٌ جاهليَّةٌ بجميع هذه الصِّفةِ(٤) ، إلاَّ أنها زادت شيئاً . والشِّعرُ صحيح . وليس فى أيدى أصحابِنَا مِنْ صِفَةِ الأفاعِى مثلها : ٦٠

وقد رأيتُ عندَ داودَ بن محمَّدٍ الهاشمىِّ كتاباً فى الحيَّات ، أكثرَ من عشرةِ أجلادٍ ، ما يصحُّ منها مقدارُ جلدٍ ونصف .

ولقدْ ولَّدُوا على لسانِ خلفٍ الأحْمَرِ ، والأصمعىِّ ، أرجازاً كثيرة . فما ظَنُّكَ بتوليدِهم على ألسِنَةِ القدَماء !

ولقدْ ولَّدُوا على لسانِ جَحْشوَيْهِ فى الحُلاَق أشعاراً ما قالها جَحْشَوَيه قط . فلو تَقَذَّرُوا من شىءٍ تقذروا من هذا الباب .

والشِّعر الذى فى الأفعَى(٥) :

قَدْ كاد يقتلنى أصمُّ مَرَقَّشٌ   من حُبِّكُمْ ، والخطبُ غيرُ كبير(٦)

خُلِقَتْ لَهَــازِمُهُ عِزِينَ ورأسُهُ   كالقُرْصِ فُلْطِحَ مِنْ دقيقِ شَعيرِ(٧)

---

(١) أعصل : أعوج . هـ : « أعضل » مصحف .

(٢) نشطت الحية تنشط وتنشط : عضت بنابها .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) هذا المثبت فى س ، هـ أجزل من : « الصفات » المثبتة فى ط .

(٥) انظر نسبة الشعر فيما أسلفت فى (٢ : ٢١٤) .

(٦) رواية المؤتلف والأصمعيات : « من حب كلثم والخطوب كثير » .

(٧) ط : « أفطح » س : « فصلح » ، تحريف ما أثبت من هـ . وانظر شرح البيت فى (٢ : ٢١٤) .

وَيُدِيرُ عَيْناً لِلْوِقاعِ كأَنَّهَا سَمْرَاءُ طاحَتْ مِنْ نَفِيضِ بَرِيرِ [١]
وكأَنَّ ملقـــاه بكلِّ تَنوفةٍ مَلْقَاكَ كفَّةَ مُنْخُلٍ مأْطورِ [٢]
وكأَنَّ شِدْقَيْهِ إذا اسْتَعْرَضْتَهُ شِدْقَا عَجُوزٍ مَضْمَضَتْ لِطُهُورِ [٣]

فقد زعمتْ [٤] كما ترى أنها تدير عينا [٥] ، وزعم الأوَّلُ [٦] أنها قائمة العين . إلأ أنْ تزعُمَ أنها لم تَرِدْ بالإدارة أنْ مقلتَها تزولُ عن موضعها ، ولكنَّها أرادتْ أنَّها جَوَّالةٌ فى إدراك الأشخاص ، البعيدةِ والقَريبة ، والمتيامِنَة والمتياسِرَة .

وقد يجوزُ أنْ يكونَ إنَّمَا جَعَلَهَا سميعةً [٧] لدقَّةِ الحِسِّ ، وكثرةِ الاكتراث وجودةِ الشمِّ ، لا جَوْدَةِ السَّمْعِ ؛ فإنَّ الذين زعموا أنَّ النعامة صمَّاءُ زَعَمُوا أنَّها تَدْرِك مِن جهة الشمِّ والعَيْنِ ، جميعَ الأمورِ التى كانت تعرِفها [من [٨]] قِبَلِ السَّمْعِ لو كانتْ سَميعَة . وقد قال الشاعرُ [٩] فى صفة الحيَّة :

(١) فى الأصل : « للوقاح » ، صوابه من (٢ : ٢١٥) والمؤتلف والأصمعيات وعيون الأخبار (٢ : ١٠٢) . وسبق شرح البيت فى (٢ : ٢١٥) .
(٢) التنوفة : الأرض الفسيحة المتباعدة الأطراف . كفة المنخل : إطاره المستدير . والمأطور : ذو الإطار . وفى الأصل : « منجل » ، والأوفق ما أثبت من المؤتلف ومن الأصل المصور لعيون الأخبار ؛ إذ أن إطار المنجل أصدق تصويراً للاستدارة والتحوى ، وهما مما توصف به الحيات . انظر لذلك ص ٢٠٠ س ١٢ - ١٤ ساسى . ورواية صدر البيت فى المؤتلف :
« وكأن مرصده بكل ثنية تلقاك . . . »
(٣) انظر ما سبق فى (٢ : ٢١٥) . والطهور ، بالضم : التطهر .
(٤) أى الشاعرة . وفى ط : « زعم » .
(٥) عنى الحية هنا. والحية تذكر وتؤنث .
(٦) هو الراعى . انظر ١٧٩ – ١٨٠ .
(٧) ط : « سميعاً » ، وهما وجهان جائزان . وفى القاموس : وأذن سمعة ويحرك وكفرحة ، وشريفة وشريف » .
(٨) ليست بالأصل.
(٩) هو الزيادى كما سيأتى فى ص ٢٨١ .

تهْوِى إلى الصّوْتِ والظلماءُ عاكِفَةٌ تَقوُّرَ السَّيْلِ لاقَى الحَيْدَ فاطّلَعَا[١]

هذا بعد أن قال :

إنى وما تَبْتَغِى منى كملتمس صيداً وما نالَ مِنْهُ الرِّىَّ والشِّبَعا

أهْوَى إلى بابِ جُحْرٍ فى مقدّمِه مِثْلُ العَسيب تَرَى فى رَأسِهِ نَزَعَا[٢]

اللَّوْنُ أربَدُ والأنيابُ شابكةٌ

عُصْلٌ تَرَى السمَّ يجرى بيْنَها قِطَعَا[٣]

أصم ماشمَّ مِنْ خَضراءَ أيبَسها أو شمّ من حَجَرٍ أوْهَاهُ فانْصَدَعَا[٤]

فقد جَعَلَ[٥] لها أنياباً عُصْلا ، ووصَفها بغاية الخُبْثِ وزعَمَ أنها لا تسمعَ .

فهؤلاء ثلاثة شعراء .

(الثقة بالعلماء)

فإن قلت : إنَّ المولَّدَ لا يؤمن عليه الخطأ إذْ كان دخيلاً فى ذلك الأمر ، وليس كالأعرابىِّ الذى إنمَا يحكى الموجودَ الظاهرَ له ، الذى عليه ٦١

---

(١) التقور : التثنى . وفى الأصل : « قعود » ، ولم أجد له وجها ، وصوابه فى اللسان (قور) : والحيد بفتح الحاء : ما شخص من الجبل . وفى الأصل : « الجيد » وصوابه مما سيأتى ص ٢٨١ واللسان. واطلع : أشرف . جعل انسياب الحية فى مسرعتها وتلويها كانسياب السيل إذا لاقاه حيد تثنى وأشرف على طريق آخر .

(٢) فى مقدمه : فى مقدم الجحر . والعسيب : السعف لم ينبت عليه خوص .

(٣) ط ، س : « شائكة » والأوجه ما أثبت من هـ . وشابكة : مشتبكة . وعصل : معوجات . هـ : « عضل » مصحف .

(٤) سبق الكلام على هذا البيت فى (٢ : ١٣٧ - ١٣٨) . ط : « ثم » موضع « شم » فى الموضعين ، وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : « جعلوا » .

نَشَأ ، وبِمَعْرِفَتِهِ غُذى . فالعلماء الذِينَ اتَّسَعَوا فى علم العرب ، حتى صاروا إذا أخبروا عنهم بخبر كانوا الثقاتِ فيما بيننا وبَينَهم ، هم الذين نقَلُوا إلينا . وسواءٌ علينا جعلوهُ كلاماً وحديثاً منثوراً[1] ، أو جعلوه رجزاً وقصيداً موزوناً[2] .

ومَتَى أخبرنى بعضُ هؤلاء بخبر لم أسْتَظْهِرْ عليه بمسألة[3] الأعراب . ولكنهُ إنْ تكَلَمَ وتحدَّثَ ، فأنكرتُ فى كلامِهِ بعضَ الإعراب ، لم أجْعَلْ ذلك قُدوَةً حتى أُوقِفه عليه ، لأنه ممَّنْ لا يُؤْمَنُ عَلَيْهِ اللَّحْنُ الخفىّ قبْلَ التفكر . فهذا وما أشبههُ حكمه خلافُ الأوَّل .

(الرُّقْيَة)

والرُّقْيَةُ تكون على ضروب : فمنها الذى يدّعيه الحَوَّاءُ والرَّقَّاء ؛ وذلك يُشْبِه بالذى يدَّعى[4] ناسٌ [من[5]] العزائم على الشياطين والجن ؛ وذلك أنهم يزعمون أن فى تلك الرُّقْيَةِ عزيمةً لا يمتنع منها الشيطانُ ، فكيف العامر[6] ؟ ! وأن العامِرَ إذا سُئل بها أجَاب ، فيكونُ هو الذى يتولى إخراجَ الحياتِ من الصَّخْر . فإن كان الأمْرُ على ما قالوا فما ينبغى أن يكون بين خُروجِ الأفاعى الصمِّ وغيرها فرقٌ ، إذا كانت العزائم والرُّقى

(١) ط : « أو حديثاً منثوراً » .

(٢) ط : « أو قصيدا موزونا » . وانظر الاستدراكات .

(٣) كذا فى ط ، هـ . والمسألة : مصدر ميمى من سأل . وفى س : « بمساءلة » .

(٤) ط فقط : « يدعيه » .

(٥) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٦) العامر : ما يسكن بيوت الناس من الجن ، فيما يزعمون .

والنَّفْثُ ليس شيئاً[١] يعمل فى نفس الحيَّة ، وإنَّما هو شيءٌ يَعْملُ فى الّذِى يُخْرِجُ الحيَّة . وإذا كان ذلك [كذلك[٢]] فالسَّميعُ والأصمُّ فيه سواءٌ .

وكذلك يقولون فى التَّحبيب والتَّبغيض ، وفى النُّشرة[٣] وحلِّ العُقَدة وفى التَّعقيد والتحليل .

(العزيمة)

ويزعمونَ أنَّ الجنَّ لا تُجيبُ صاحبَ العزيمةِ حتى يَتوحَّشَ ويأتىَ الخراباتِ والبَرَارِىَّ ، ولا يأنَسَ بالناس ، ويَتَشَبَّهَ[٤] بالجنِّ ، ويغسل بالماء القَرَاح[٥] ، ويتبخَّر باللُّبان الذَّكر ، ويراعى المشترِىَ[٦] . فإذا دقَّ ولطُفَ ، وتوحَّش وعزم ، أجابتْهَ الجنُّ ، وذلك بَعْدَ أنْ يكون بدنه يصلُح هيكلاً لها ، [و[٧]] حتَّى يَلَذَّ دُخوله وَادِىَ[٨] منازلها ، وألاَّ يكرَهَ ملابستَه والكَوْنَ فيه . فإنْ هو ألحَّ عليها بالعزائم ، ولم يأخُذْ لذلك أهبتَه خبَلَتْه ، وربَّمَا قتلتْه ؛ لأنها تَظُنَّ أنَّهَ متَى توحَّش لها ، واحتمى ، وتَنَظف[٩]

---

(١) هـ ، س : « شىء » بالرفع ، صوابه فى ط .

(٢) زدتها مطاوعة لأسلوب الجاحظ .

(٣) النشرة ، بالضم : رقية يعالج بها المجنون والمريض .

(٤) فى الأصل : « ويشبه » .

(٥) ماء قراح ، كسحاب : خالص لا يخالطه شىء .

(٦) هو ذاك الكوكب : سماه المنجمون السعد الأكبر ؛ لأنه فوق الزهرة فى السعادة وأضافوا إليه الخيرات الكثيرة ، والسعادة العظيمة . عجائب المخلوقات .

(٧) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٨) كذا على الصواب فى س ، هـ . وفى ط : « وأرى » .

(٩) ط : « وتنطق » ، صوابه فى س ، هـ .

فقد فرغ . وهى لا تُجيب بذلك فَقَطْ[١] ، حتى يكونَ المعزِّمُ مشاكلاً لها فى الطِّباع .

فيزعمون أنّ الحيَّاتِ إنما تُخْرَجُ إخراجاً ، وأنَّ الذى يخرجُها هو الذى يخرِج سمومَها مِنْ أجسادِ النّاس ، إذا عَزَمَ عليها[٢] .

(التعويذ)

والرُّقْيَةُ الأخرى مِمَا يُعْرَفُ من التعويذ[٣] . قال أبُو عُبَيْدَةَ : سَمِعْتَ أَعْرَابِيًّا يقول[٤] : قد جاءكم أحَدُكُم يسترْقِيكمْ فارْقوه . قال : فَعَوَّذُوهُ ببعض العوائذ[٥] .

والوجه الآخر مشتقٌ من هذا ومحمولٌ عَلَيْهِ ، كالرّجُلِ يقول : مازال فلانٌ يرقى فلاناً حتّى لانَ وأجابَ .

(قول الشعراء والمتكلمين فى رقى الحيات)

وقد قالت الشعراء فى الجاهِلِيَّةِ والإسلامِ فى رُقى الحيات ، وكانوا

٦٢ يؤمنون بذلك ويصدقون به ، وسنخبر بأقاويلِ المتكلمين فى ذلك ، وبالله التوفيق .

---

(١) أى أن الجن لا تجيب بالعزيمة فقط ، بل لا بد لها مع ذلك من أن يشاركها المعزم فى طباعها . وفى الأصل : « وهو لا يجيب » ، والوجه ما أثبت .

(٢) كذا على الصواب فى ط . وفى ﻫ ، س : « عليه » .

(٣) س ، « التعويذة » .

(٤) ط ، « وقال سمعت أبا عبيدة يقول » ﻫ : « وقال أبو عبيدة : سمعت يقول » وصوابهما ما أثبت من س .

(٥) كذا جاءت هذه الكلمة ، ولم أرها فى غير هذا الموضع ، والمعروف : « التعاويذ » جمع تعويذة ، و « العوذ » : جمع عوذة بالضم . و « المعاذات » بالفتح : جمع معاذة .

و [منهم[١]] مَنْ زعم أنَّ إخراجَ الحيّةِ من جُحْرها إلى الرَّاقى ، إنما كان للعزيمة والإقْسام عليها ، ولأنها إذا فهمَتْ ذلك أجابَتْ ولم تمتنع .

وكان أميَّةَ بنُ أبى الصَّلت ، لايعرف قولَهم فى أنَّ العُمَّارَ هم الذين يُجيبون العزائم بإخراج الحيّاتِ من بُيوتها ، وفى ذلك يقول :

والحيّة الذَّكر الرَّقشاءُ أخْرَجَهَا مِنْ جُحْرِها أَمَنَاتُ اللهِ والقَسَمُ[٢]
إذا دعا باسمها الإنسانُ أَوْ سَمِعَتْ ذات الإلٰهِ بدا فى مشيها رَزَمُ[٣]
منْ خَلْفها حُمَّةٌ لولا الَّذِى سَمِعَتْ قد كانَ ثبتها فى جُحرها الحمَمُ[٤]
نابٌ حديدٌ وكفٌّ غيرُ وَادِعَةٍ والخلقُ مختلفٌ فى القَوْلِ والشِّيَمِ[٥]
إذا دُعِينَ بأسماءٍ أَجَبْنَ لها لنَافثٍ يعتديه اللهُ والكَلِمُ
لولا مخافةَ رَبٍّ كان عذَّبَها عرجاء تظْلَعُ ، فى أنيابها عَسَمُ[٦]

---

(١) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام

(٢) فى اللسان : « ووصف أمية الحية بالحتفة فقال :

والحية الحتفة الرقشاء أخرجها من بيتها أمنات الله والكلم » .

وهى رواية الخصائص (١ : ١٥٤) ، قال : « أنثوا المصدر لما جرى وصفا على المؤنث » ، يعنى الحتفة .

(٣) فى اللسان : « رزم البعير والرجل وغيرهما يرزم رزوما ورزاما : إذا كان لا يقدر على النهوض رزاحا وهزالا » . ورواية الديوان ٥٧ : « يرى فى سعيها رزم » .

(٤) كذا فى ط ، هـ والديوان ، وقد استعمل المجاز فى « خلفها » كما يقول القائل : « من خلفه الشر والأذى » ، أى هو صاحب شر وأذى . والحمة ، بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة : السم ، وتجمع على حمم ، انظر اللسان . وفى س : « من خلفها حية » ولا توافق ما سيأتى من تعقيب الجاحظ فى الصفحة التالية س ٤ .

(٥) ناب حديد : حاد . وليس للحية كفّ ، وإنما أراد كثرة ما يصيب الناس من شرها .

(٦) تظلع : تعرج وتغمز فى سيرها . وفى الأصل : « تطلع » ، صوابه فى الديوان . والعسم . بالتحريك : أصل معناه يبس فى المرفق تعوج منه اليد ، فهو أراد به هنا الاعوجاج والانعقاف ، وهو من صفة ناب الحية . وفى الأصل والديوان أيضاً : « غشم » ، وأراها تحريفاً .

وقد بَلَتْهُ فذاقَتْ بَعْضَ مَصْدَقِهِ فليس في سَمْعها ، من رَهْبَةٍ صَمَمُ[١]
فكيفَ يأمنها أَمْ كيف تألَفُهُ وليس بينهما قُربَى ولا رَحِمُ !

يقول : لو أنَّها أخرجت[٢] حين استُحْلِفَتْ بالله لما خرجت ؛ إذ ليس بينهما قُربَى ولا رَحِم . ثمَّ ذكر الحُمَةَ[٣] والنّاب .

وقال آخرون : إنما الحيَّة مثل الضّبّ والضّبع ، إذا سمع بالله والهدْم والصَّوت خرج ينظر . والحوّاء إذا دنا من الجحْر رفع صوتَه وصفَّقَ بيديه ، وأكثَرَ من ذلك ، حتى يخرج الحيّة ، كما يُخرجُ الضبَّ والضَّبع .

وقال كثيِّر :

وسَوداءَ مِطراق إليَّ مِنَ الصَّفَا[٤] أَنِيٍّ[٥] إذا الحاوى دنا فَصَدَا لها[٦]

والتَّصدية : التَّصفيق ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ الآية . فالمُكاء : صوتٌ بين النَّفخ والصَّفير . والتَّصْدِيَة : تصفيق اليد باليد .

فكان الحوَّاء يحتالُ بذلك للحيَّة ، ويُوهم مَنْ حضَرَ أنَّهُ بالرُّقية

---

(١) بلا الشيء يبلوه : اختبره . والمراد هنا عرفته بعد الاختبار . والضمير عائد إلى « نافث » في البيت الذى قبل السابق . س ، هـ : « قد أبلته » ، وفى الديوان : « وقد بكته » ، صوابهما ما أثبت من ط .

(٢) س : « خرجت » .

(٣) الحمة ، بالضم الحاء وفتح الميم ، ويقال الحمة ، بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة أيضاً ، بمعنى السم .

(٤) الصفا : جمع صفاة ، وهى الصخرة الملساء الصلبة . ط ، س : « الصفا » صوابه فى هـ .

(٥) أنى ، من الأناة بمعنى البطء . ط ، هـ : « أنى » صوابه فى س .

(٦) ط : « إذا الحانوت » تصحيحه من س ، هـ . ورسمت « فصدا » بالألف وهى من الصدو ، بمعنى التصفيق . وفى ط : « فضدا » ، مصحفة .

أخرجها ، وهو فى ذلك يتكلَّمُ ويعرِّض ، إلَّا أنَّ ذلك صوتٌ رفيع . وهو لو رَفَعَ صوتَه ببيتِ شِعْرٍ أو بخرافةٍ ، لَكان ذلك والذى يظهر من العزيمة عندَ الحيَّة سَواءً . وإنَّما يُنْكر الصَّوتَ ، كما يُنكره الضّبُّ وغيرُ ذلك من الوحش .

ثمَّ قال :

كفَفْتُ يَداً عنها وأرضَيْتُ سَمْعَهَا — من القَوْل حتَّى صدَّقَتْ ما وعى لها

وأشْعَرتها نَفْثاً بليغاً ، فلو ترى — وقد جعلت أن ترعنى النَّفْثَ بالها[1]

تسلَّلتُها من حيث أدرَكها الرّقى — إلى الكَفّ لمـا سالمت ، وانسلالها ٦٣

فقال كما ترى :

* كففت يداً عنها وأرضيتُ سمْعَها * (البيت)

ثم قال :

* وأشعرتها نَفْثاً بليغاً فلو تَرَى *

وقال الأعشى[2] :

أبا مِسْمَعٍ إنى امرؤ مِن قَبِيلةٍ — بَنَى لِيَ عِـزًّا مَوْتُها وحياتُهـا

فلا تُلْمِس الأفعَى يديك تريدها — إذا ما سعت يوما إليها سَفَاتُها[3]

---

(١) ه : « يالها » .

(٢) النسبة فى المخصص (١٠ : ١٢٥) إلى أبى ذؤيب الهذلى . وفى معجم المرزبانى ٣٧١ ومجموعة المعانى ١٥٨ إلى خالد بن زهير الهذلى - وهو ابن أخت أبى ذؤيب الهذلى يخاطب معقل بن خويلد الهذلى ، فى قصة دخل فيها أبو ذؤيب الهذلى . وهذا هو الصواب فى النسبة .

(٣) السفاة « بالفتح ، سيفسرها الجاحظ بعد . وفى ط ، ه ، س : « سعى لها » وهو تحريف عجيب يفسد به الكلام ، ولا يستقيم به الشعر ، صوابه فى المرجعين المتقدمين وكذا المقصور والممدود ٥٣ والمخصص (١٠ : ٦٣) أيضاً . والرواية فى الجميع ماعدا معجم المرزبانى : =

وقال آخر :

يَدْعُو بِهِ الحيَّةَ فى أقطارِهِ(١) فإنْ أَبَى شَمَّ سَفَا وِجَارِهِ(٢)

والسَّفا : التراب اليابس بين الترين. يقال سَفاً وسَفاة .

(تمويه الحواء والراقى)

والحوَّاء [و(٣)] الرَّاقى يُرِى(٤) النَّـاس أنَّهُ إذا رأى جحراً(٥) لم يخْفَ عليه : أجحر حيَّةٍ هو أمْ جُحر شىء غيره ، فإن كان جُحر حيَّةٍ لم يخف عليه أهى فيــه أم لا . ثمَّ إذا رَقى وعزَّم فامتنعت من الخُرَوجِ ، وخاف أنْ تكون(٦) أفْعى صَمَّاءَ لا تسمَعُ ، وإذا أرَاغَها(٧) ليأخذَها فأخطأ لم يأمن من أن تنقره نَقْرَةً(٨) لايُفْلِـحُ بعدها أبدا ، فهو عند ذلك يستبرى(٩) بأن يشمَّ من تراب الجحر ، فلا يخفى عَلَيْهِ : أهى أفْعى أم حَيَّةٌ من سائر الحيات . فلذلك قال :

= فلا تلمس الأفعى يداك تريدها ودعها إذا ماغيبتها سفاتها

لكن فى مجموعة المعانى : « صفاتها » . وانفرد المرزبانى بروايته :

ولا تبعث الأفعى تداور رأسها ودعها إذا ماغيبتها سفاتها

(١) ضمير أقطاره عائد إلى الحية ، والحية تذكر وتؤنث . وأقطار الحية : النواحى التى يسكن فيها . وضمير يدعو ، هو للراقى أو الحاوى .

(٢) أى إن أبى الحية أن يخرج ، شم الحاوى تراب جحره ، ليعلم : أهو فيه أم لا ؟ .

(٣) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(٤) كذا على الصواب فى ط . وفى س ، ه : « يرق » محرفة .

(٥) ط ، س : « جحر حية » . والوجه حذف : « حية » للتعميم ، كما فى ه .

(٦) ط ، س : « يكون » أى مافى داخل الجحر . فله وجه . وأثبت مافى ه .

(٧) أراغها : طلبها . وفى الأصل : « راعها » والوجه ماأثبت .

(٨) انظر ماسبق فى تحقيق هذه الكلمة ص ١١٥ .

(٩) مخففة من يستبرئ بمعنى يختبر . ومعناها الدقيق : يطلب براءة الجحر مما قد يكون به من الأفاعى الصم والمؤذية .

* يدعو به الحَية فى أقطاره * (البيت)

والوجار : الجحر .

(ريح الأفعى)

وزعم لى بَعْضُ الحوَّائين أنَّ للحيَّات نتْناً وسَهَكاً ، وأن ريحَ الأفعى معروفَةٌ . وليس شيءٌ أعلقَ ، ولا أعْنقَ (١) ، ولا أسرعَ أخذاً لرائحةٍ من طينٍ أو تراب ، وَأَنَّهُ (٢) إذا شمّ من طينة الجحْر لم يخْفَ عليه . وقال : اعتبِرْ ذلك بهذا الطين السدانى (٣) والرَّاهطى (٤) إذا أُلقِىَ فى الزَّعفران والكافور ، أو غير ذلك من الطِّيب ، فإنّه متى وُضع إلى جنب رَوْثَةٍ أو عَذِرَة ، قبِلَ ذلك الجسم .

والرَّقاء يوهم النَّاسَ إذا دَخَل دورهم لاستخراج الحيَّاتِ أنَّهُ يعرف أماكنَها برائحتها ، فلذلك يأخُذ قصبة ويَشْعَب رَأسَها ، ثم يطْعن بها فى سقف البيت والزَّوايا ، ثمّ يشمها ويقول مرة : فيها حيَّات ؛ ويقول مَرَّةً : بلى ، فيها حيّات ، على قدْر الطمع فى القوم ، وفى عقولهم .

(تأثير الأصوات)

وأَمْرُ الصَّوتِ عجيبٌ ، وتصرُّفه فى الوجوه عجب . فمن ذلك أنَّ منه

(١) أى أسرع . ط : « أعق » س ، هـ : « اعتق » ولعل صوابهما ما أثبت .

(٢) ط ، هـ : « فإنه » والصواب فى س .

(٣) كذا بالأصل . ولعله : « السيرافى » نسبة إلى سيراف . وقد ذكره صاحب المعتمد فى الكلام على (طين قيموليا) .

(٤) الراهطى : نسبة إلى راهط ، وهو موضع فى غوطة دمشق ، كانت عنده الوقعة المشهورة : « مرج راهط » .

مايقتل ، كصوت الصاعقة . ومنها ما يسرُّ النفوس حتى يُفْرِط عليها[١] السُّرُورُ فتقلَقُ حتى ترقُص ، وحتّى رُبماَ رمى الرَّجل بنفْسه مِن حالق[٢] . وذلك مثلُ هذه الأغانى المطرِبة . ومن ذلك ما يُسكِمد . ومن ذلك ما يزيل العقْل حتى يُغْشَى على صاحبه ، كنحو هذه الأصواتِ الشجيةِ ، والقراءات الملحَّنة[٣] . وليس يعتريهم ذلك مِنْ قِبَلِ المعانى ؛ لأنهم فى كثير من ذلك لا يفهمون معانىَ كَلاَمهم . وقد بَكىَ ما سرجويه[٤] من قراءة أبى الخوخ ، فقيل له : كيفَ بكيتَ من كتاب الله ولا تصدِّق به ؟ قال : إنما أبكانى الشجا !

٦٤

وبالأصوات ينوِّمون الصِّبيانَ والأطفالَ .

---

(١) ط : « عليه » صوابه فى س ، هـ .

(٢) الحالق : الجبل المرتفع . والمراد : مكان مرتفع .

(٣) من التلحين . ولابن قتيبة فى المعارف ٢٣٢ بحث جيد فى تلحين القرآن ، منه : « وكان القراء كلهم: الهيثم، وأبان، وابن أعين ، يدخلون فى القراءة من ألحان الغناء ، والحداء والرهبانية . فنهم من كان يدس الشىء من ذلك دساً رقيقا ، ومنهم من كان يجهر بذلك حتى يسلخه . فن ذلك قراءة الهيثم : أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر . سلخه من صوت الغناء كهيئة :

أما القطاة فإنى سوف أنعتها نعتا يوافق نعتى بعض ما فيها

(٤) ما سرجويه : طبيب بصرى يهودى ، وكان أحد المترجمين من السريانية إلى العربية وهو الذى فسر كناش القس أهرن بن أعين ، وزاد عليه مقالتين .

وكلمة : « بكى » هى فى ط ، س : « بكاى » . وفى هـ : « بكا » وقد صححته .

(أثر الأصوات فى الحيوان)

والدَّوابُّ تَصُرُّ آذانها[1] إذا غنّى المكارِى . والإبل تصرُّ آذانها إذا حدا فى آثارها الحادى ، وتزداد نشاطاً ، وتزيد فى مشيها[2] . وَيجمع[3] بها الصَّيَّادُونَ السَّمك فى حظائرهم التى يتَّخذونها له . وذلك أنَّهم يضربون بعصىٍّ معهم ، ويُعَطْعِطُونَ[4] ، فتُقبِل أجناسُ السَّمكِ شاخصةَ الأبصار مصغيةً إلى تلك الأصوات ، حتَّى تدخُلَ فى الحظيرة . ويُضْرَب بالطِّساس للطَّير ، وتُصاد بها . ويضرَبُ بالطِّساس للأُسْدِ وقد أقبلتْ ، فتروعُها تلك الأصوات .

وقال صاحب المنطق : الأيائِلُ تُصَادُ بالصَّفيرِ والغناء . وهى لا تنامُ مادامت تسمَعُ ذلك من حاذق الصوت . فيشغلونها بذلك ويأتون من خلفِها فإنْ رأوْها مسترخيةَ الآذانِ وثَبُوا عليها ، وإن كانت قائمة الأذنين فليس إليها سَبيل .

والصَّفير تُسْقى به الدوابُّ الماءَ ، وتنفَّرُ به الطير عن البذور .

وزعم صاحبُ المنطق أنَّ الرَّعدَ الشَّدِيدَ إذا وافق سِبَاحَةَ السَّمك

---

(١) صرت الدابة أذنها : نصبتها للاستماع .

(٢) س : « مشيتها » .

(٣) ط ، هـ : « وتجمع » . وتأنيث الفعل مع جمع المذكر المكسر جائز ، ولكن جمع التصحيح المذكر كما هنا ، لايجوز فى فعله إلا التذكير ، خلافا للكوفيين الذين احتجوا بقوله تعالى : « إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل » ، ورد عليهم احتجاجهم بأن « بنو » ليس جمع تصحيح .

(٤) العطعطة : تتابع الأصوات واختلاطها .

فى أعلى الماء رمَتْ ببيضها[١] قبلَ انتهاء الأجَل . [وربما تمّ الأجل[٢]] فتَسمعُ[٣] الرّعدَ الشّدِيدَ ، فيتعضّل[٤] عليها أيّاما بعدَ الوقت .

(قول لأبى الوجيه العكلى)

وقال أبو الوجيه العُكْلِيُّ : أحِبُّ السّحابةَ الخَرْسَاءَ وَلا أُحِبها ! فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال : لأنها لا تخرَسُ حتى تمتلئَ ماءً وتصبّ صَبًّا كثيراً ، ويكونَ غيثاً طَبَقاً[٥] . وفى ذلك الحَيَا[٦] . إلاّ أنّ الكماةَ لا تكون على قدْرِ الغيث . ذهب إلى أنّ للرَّعدِ فى الكمأة عملا .

(دعابة لجعفر بن سعيد)

وقال جعفر بن سعيد[٧] : سأل كسرى عن الكَمْأة فقيل له : لا تكونُ بالمطر دونَ الرَّعد ، ولا بالرّعْد دونَ المطر . قال : فقال كسرى : رشّوا بالماء واضربوا بالطبول ! وكان من جعفر على التّمليح[٨] . وقد علم جعفرٌ أنّ كسرَى لا يجهل هذا المقدار .

(أثر الصوت فى الحية)

فالحيّة واحدةٌ من جميع أجناس الحيوان الذى للصّوتِ فى طبعه عمل .

---

(١) ط . هـ : « ببعضها » صوابه ، فى س .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) فى الأصل : « فيسمع » .

(٤) يتعضل : يعسر خروجه . وفى الأصل : « فيتعطل » ، تحريف .

(٥) طبقاً : أى مالئا للأرض مغشيا لها .

(٦) الحيا ، بالقصر ، ويمد أيضاً : الخصب .

(٧) تقدمت ترجمته فى (٣ : ٤٦٩) .

(٨) التمليح : أن يأتى بشىء مليح . وأصل ذلك فى الشاعر ، وقد جعله هنا المتحدث ط : « التملح » وهو التزود بالملح ، أو التجارة به ، وليس يليق بهذ الموضع ، وصوابه فى س ، هـ .

فاذا دنا الحوّاء وصفق بيديه ، وتكلم رافعا صوتَه حتى يزَيَّد[1] ، خرج إليه كلُّ شيء كان فى الجُحْر ، فلا يشكُّ من لا علم له أنَّ الحيَّةَ خرجت من جهة الطاعةِ وخوْف المعصيَةِ ، وأنّ العامرَ أخرجها تعظيماً للعزيمة ، ولأنَّ المعتزم مُطاعٌ فى العُمَّار . والعامّة أسرعُ شيءٍ إلى التَّصديق .

(شعر فى الروح وهيكلها)

وفى [الرُّوح ، وفى[2]] أنّ البدنَ هيكلٌ لها ، يقول سليمانُ الأعمى[3] وكان أخا مسلم بن الوليد الأنصاريّ . وكانوا لا يشكون بأنَّ سليمانَ هذا الأعمى ، كان من مُسْتَجِيبى[4] بشارٍ الأعَى ، وأنّه كان يختلف إليه وهوغلام فقبل عنه ذلك الدِّين . وهو الذى يقول :

إنّ فى ذَا الجِسمِ[5] مُعْتَبَرًا لِطَلُوبِ العِلمِ مُقْتَبِسِهْ ٦٥

(١) يقال زيده ، بالتشديد ، فزاد وازداد .

(٢) زيادة تقتضيها صحة الكلام وسياق الحديث . وليست بالأصل . انظر الشعر الآتى .

(٣) سليمان الأعمى ، أو الضرير ، جعله الجاحظ أخا لمسلم بن الوليد ، كما هنا وكما فى البيان (٣ : ٢٠٢) حيث يقول : « وقال سليمان بن الوليد » . أما ياقوت وكذا الصفدى فى نكت الهميان ١٦٠ فقد جعلا مسلم بن الوليد أباه . قال ياقوت فى ترجمته : « وهو ابن مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغوانى ، الشاعر المعروف كان كأبيه شاعراً مجيداً . وكان ملازما لبشار بن برد يأخذ عنه ، ولذا كان متهما بدينه . مات سنة تسع وسبعين ومائة » . وأنشد له الشعر الآتى . انظر معجم الأدباء (١١ : ٢٥٥) . وفى عيون الأخبار (٣ : ٦١) : « سليمان الأعجمى » صوابه ما هنا .

(٤) من مستجيبى بشار : أى ممن قبلوا دعوته . ط ، هـ : « محبى » س : « مستحى » صوابهما ما أثبت .

(٥) كلمة « فى » ساقطة من ط ، هـ . وكلمة : « الجسم » هى فى الأصل : « العلم » ولا يتجه بها الشعر ، ولا المعنى الذى سيق من أجله الشعر . وأثبت الصواب من معجم الأدباء ونكت الهميان ص ١٦٠ . وكلمة « معتبرا » هى فى ط فقط « معتبر » محرفة .

هَيْكلٌ للرُّوح ينطقه عِرْقُهُ والصَّوْتُ من نَفَسِهْ[1]
لا تَعِظْ إلاّ اللَّبِيبَ فما يُعْدَلُ الضِّلعُ عَلَى قَوَسِهْ
رُبَّ مَغْرُوسٍ يُعَاشُ بِهِ فقَدَتْهُ[2] كَفُّ مُغْتَرِسِهْ
وكذَاكَ الدّهْرُ مأتَمُهُ أقربُ الأشياءِ مِنْ عُرُسِهْ

(قول فى شعر لأمية بن أبى الصلت)

وكانت العربُ تقول : كان ذلك إذ كان كلُّ شىء ينطق ، وكان ذلك والحجارةُ رَطبةً .

قال أُمَيّة :

وإذ هم لا لَبُوسَ لهم تَقِيهم وإذْ صمٌّ السِّلامِ لهم رِطابُ[3]
بآيةِ قامَ ينطِقُ كلُّ شىءٍ وخانَ أمَانَةَ الدِّيك الغُرَابُ
وأُرْسِلَتِ الحمامَةُ بَعْدَ سَبْعٍ تدلُّ على المهالك لا تَهابُ
تَلمَّسُ هَلْ ترى فى الأرض عيناً وعاينة بها الماء العبابُ[4]
فجاءتْ بَعْدَمَا رَكَضَتْ بِقِطفٍ عليها الثَّأْطُ والطِّينُ الكُبابُ[5]

---

(١) عرقه : يشير إلى أوتار الصوت . ط ، هـ ونكت الهميان : « عرفه » صوابه فى س والمعجم .

(٢) فى البيان والمعجم ونكت الهميان وعيون الأخبار : « عدمته » . ورواية الكامل ٧٧٣ موافقة لرواية الحيوان .

(٣) اللبوس ، بالفتح : الثياب والسلاح ، مذكر . فإن ذهبت به إلى الدرع أنثت . ويظهر من تأنيث الفعل بعده أن المراد بها هنا الدرع . والسلام ، بالكسر : جمع سلمة بكسر اللام ، وهى الحجارة .

(٤) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « وعانية بها أبناء العباب » . وانظر ما سبق من التحقيق فى (٢ : ٣٢١) .

(٥) فى الأصل : « عليها الناط » . وانظر ما أسلفت من التحقيق والشرح فى (٢ : =

فلما فرَّسوا الآيات صَاغُوا ... لها طَوْقاً كما عُقِدَ السِّخابُ [١]

إذا ماتَتْ تُوَرِّثُهُ بنيها ... وإنْ تُقْتَلْ فليس له انسِلابُ

فذكر رُطوبة الحجارة ، وأنَّ كلَّ شيء قد كان ينطِق . ثمَّ خبَّرَ عن منادمةِ الدِّيك الغرابَ ، واشتراطِ الحمامة على نوح ، وغيرِ ذلك مِمَّا يدلُّ على ما قُلْنَا . ثمَّ ذكر الحيَّةَ ، وشأنَ إبليسَ وشأنَها ، فقال :

كذى الأَفْعَى تربَّبَها لَدَيْهِ ... وذى الجِنِّيِّ أَرْسَلَهَا تَسَابُ [٢]

فلا رَبٌّ البريَّة يأمَنُنْهَا ... ولا الجنيُّ أصبح يُسْتَتَابُ

فإن قُلْتَ : إنَّ أُميَّة كانَ أعرابيًّا ، وكان بَدَوِيًّا [٣] ، وهذا من خرافاتِ أَعرَاب الجاهليَّة ، وزعمتَ أنَّ أُمَيَّةَ [٤] لم يأخذ ذلك عن أَهل الكتاب — فإنى سأنْشِدُك لعدِيٍّ بنِ زيدٍ ، وكان نصرانيًّا دِيَانيًّا [٥] ، وتَرْجُمَاناً ، وصاحبَ كتب ، وكان من دُهاةِ أهل ذلك الدَّهر .

قال عدىٌّ بن زيدٍ ، يذكرُ شأنَ آدم ومعصيتِه ، وكيف أغواه ، وكيف دخل فى الحية ، وأنَّ الحية كانت فى صورة جَمَل فمسخها الله عقوبة لها ، حين طاوعت عَدُوَّه على وليِّه . فقال :

= ٣٢١) . وقد سبقت رواية « عليه الناط » أى على القطف . وأما ضمير « عليها » هنا فعائد إلى الحمامة .

(١) طوق الحمامة ، سبق القول فيه فى (٢ : ٣٢١) .

(٢) تربيها : رباها . والتربيب : التربية . وفى الأصل : « تربيها » محرف . وانظر لرواية الشطر الثانى ما سبق فى (٢ : ٣٢٢) .

(٣) فى الأصل : « مدربا » .

(٤) الكلام من مبدأ كلمة « كان » إلى هنا ساقط من س .

(٥) نسبة إلى الديانة . وفى الأصل : « ديانا » . والديان بمعنى الحاكم ، ولا وجه له هنا .

قضى لِستَّةِ أيَّامٍ خليقَتَهُ[١] وكان آخرَها أنْ صوّرَ الرَّجُلا

٦٦ دعاه آدمَ صوْتاً فاستَجَاب له
بِنَفْخَةَ الرُّوحِ فى الجسم الذى جَبَلَا[٢]

ثُمَّتَ أوْرَثَهُ الفِرْدَوْسَ يَعْمُرُهَا وزوجه صنعةً مِنْ ضِلْعِهِ جعَلَا

لم يَنْهَهُ رَبُّهُ عن غيرِ واحدةٍ من شَجَرٍ طَيِّبٍ: أنْ شَمَّ أوْ أَكَلَا[٣]

فكانت الحَيَّةُ الرَّقْشَاء إذْ خُلِقت كما تَرى نَاقَةً فى الخلقِ أوْ جَمَلا

فعَمَدَا للتى عن أكلِهَا نُهِيَا بأمْرِ حَوَّاء لم تأخُذْ لَهُ الدَّغَلا

كلاهما خاط إذ بُزَّا لَبُوسَهما مِنْ ورَقِ التِّينِ ثوباً لم يكن غَزِلا[٤]

فلاطَهَا الله إذ أغْوَتْ خَلِيفَتَهُ طولَ اللَّيالى ولم يجعَل لها أجلَا[٥]

تَمشى على بطنها فى الدَّهر ما عَمِرَتْ والتُّرب تأكُلُهُ حزناً وإنْ سهُلَا[٦]

فأُتعِبا أبوانَا فى حياتِهما
وأوْجَدَا الجُوعَ والأوصابَ والعِلَلَا[٧]

---

(١) ط ، س : « خليقة » صوابه فى هـ .

(٢) ط : « فاسجاب له » ، تصحيحه من س ، هـ . وجبل : خلق .

(٣) أى عن شمها وأكلها .

(٤) بزا لبوسهما : أى سلبا ثيابهما . وفى الكتاب الكريم : « فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما » و : « لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما » . وفى ط ، هـ : « برا » وفى س : « بر » والوجه ما أثبت .

(٥) لاطها : ألصقها . وخليفة الله : آدم : « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة » . وقول عدى : « ولم يجعل لها أجلا » إشارة إلى ما يزعمون من أن الحية لا تموت إلا بعرض يعرض لها من قتل ونحوه .

(٦) عمر ، كفرح ونصر وضرب : بقى زمانا .

(٧) جرى الشاعر على نحو مذهب « أكلونى البراغيث » فى « فأتعبا أبوانا » . ط فقط : « فأبقيا » محرفة . وفى س ، هـ : « ووجد الجوع » .

وأوتيا الملك والإنجيلَ نقرؤه نَشْفِى بحكمته أحْلَامَنَا عِلَلَا[١]
مِنْ غيرِ ما حاجةٍ إلّا لِيَجْعَلَنَا فوقَ البريَّةِ أرْبَاباً كما فَعَلَا[٢]

(عقاب حواء وآدم والحية)

فرَوَوْا أنَّ كعبَ الأحبارِ قال : مكتوبٌ فى التوراة أنَّ حَوَّاءَ عِنْدَ ذلك عُوقبت بعشر خصالٍ ، وأنَّ آدم لَّما أطاع حَوَّاء وعصى رَبَّه عُوقب بعشر خصال ، وأنَّ الحيَّة التى دخل فيها إبليس عُوقبت أيضاً بعشر خِصال[٣] .

وأوَّلُ خِصال حَوّاء التى عُوقبتْ بها وجَع الافتضاض ، ثم الطلق ، ثمَّ النَّزْع[٤] ثمّ بقناع الرَّأس[٥] ، وما يصيبُ الوَحَمى[٦] والنفساء من المكروه ، والقَصْرُ فى البيوت[٧] ، والحيض ، وأنَّ الرِّجال هم القوَّامون عليهنَّ ، وأن تكونَ عنْدَ الجماع هى الأسفل .

---

(١) الأحلام ، العقول . وعللا ، بدل من أحلامنا ، والضمير فيها مقدر ، أى : عالا فيها .

(٢) البرية : الخلق . وأربابا : جمع رب ، جاء فى اللسان : « الرب يطلق فى اللغة على المالك والسيد والمربى والقيم والمنعم . قال : ولا يطلق غير مضاف إلا على الله عزّ وجلّ . وإذا أطلق على غـيره أضيف فقيل رب كذا . قال : وقد جاء فى الشعر مطلقا على غير الله تعالى ، وليس بالكثير ، ولم يذكر فى غير الشعر » .

(٣) هذا القول غير مطابق لما فى التوراة ، وبينه وبين ما فيها تفاوت . انظر سفر التكوين ، الأصحاح الثالث الآيات ١٤ — ١٩ . وانظر تنبيه الجاحظ على مرويات كعب فى ص ٢٠٢ .

(٤) أى نزع الولد .

(٥) أى لبس غطاء الرأس ، وحق هذه الخصلة أن تكون بعد تاليتها .

(٦) وحمت المرأة : حبلت واشتهت الطعام ، فهى وحمى من وحام ووحامى . ط ، س : « الوحم » ه : « وما يصب الرحم » صوابه ما أثبت .

(٧) أى حبسهن فى البيوت . هذا . ومن عد هذه الخصال وجدها تسعا ، فلعله جعل الخامسة منهن اثنتين .

وأمّا خصال آدم صلى الله عليه وسلم : فالذى انتقص من ضُلوعه[1] ، وبما جعله الله يخافُ من الهوامّ والسِّباع ، ونكَد العَيش ، وبتوقع الموت ، وبسكنى الأرض ، وبالعُرْى من ثياب الجنَّة ، وبأوجاع أهل الدنيا ، وبمقاساة التحفظ من إبليس ، وبالمحاسبة بالطَّرف[2] ، وبما شاع عليه من اسم العصاة .

وأمّا الحيَّة فإنها عوقبت بنقص جَناحها ، وقطْع أرجلها ، والمشى على بطنها ، وبإعراء جلدها — حتى يقال : « أعْرَى مِنْ حَيَّة » وبشقِّ لسانها — ولذلك كلما خافَتْ من القتل أخرجَتْ لسانها لتريَهم العُقوبة — وبما ألقِى عليها من عَداوةِ النَّاس ، وبمخافة الناس ، وبجعله لها أوَّلَ ملعون من اللَّحم والدَّم ، وبالذى يُنسب إليها من الكذب والظلم .

(ظلم الحية وكذبها)

فأمّا الظلم فقولهم : « أظلم من حَيَّةٍ » . وأما الكذب فأنها تنطوى فى الرَّمْلِ على الطَّريق وتدْخِلُ بعض جسدِها فى الرَّمل ، فتظهر كأنها طَبقُ خيزُران ، ٦٧ ومنها حَيَّاتٌ بيضٌ قِصَارٌ تجمعُ بين أطرافها على طُرُقِ الناس ، وتستديرُ كأنها طَوْقٌ [أوْ[3]] خلخالٌ ، أو سوارُ ذهب أو فضةٍ — ولما تلقى على نفسها من السُّبات[4] ، ولما تُظهر من الهَرَب من الناس . وكلّ ذلك إنما تغرُّهُمْ وتصطادُهَمْ بتلك الحيلة ، فذلك هو كِذبُها .

---

(١) فى الأصل : « من طوله » .

(٢) لعل المراد المحاسبة على ما تجنيه العين من جنايات النظر . وفى س : « وبالمحاسبة الطرف » .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) السبات ، بالضم : النوم .

(عقاب الأرض)

قال : وعُوقبت الأرضُ حين شَربَتْ دم ابن آدم[١] بعشرِ خِصال : أنبَتَ فيها الشّوك ، وصيَّر فيها الفيافىَ ، وخرق فيها البحار ، وملّح أكثرَ مائها ، وخَلقَ فيها الهوامَّ والسِّباع ، وجَعَلَهَا قرَارًا لإبْلِيسَ والعاصين ، وجعل جهنَّمَ فيها ، وجعَلها لا ترْبِى ثمرتَها إلّا فى الحرِّ ، وهى تعذَّب بهم إلَى يوم القيامة ، وجعلها توطأ بالأخْفافِ ، والحوافِر ، والأظلافِ والأقدام[٢] ، وجعَلها مالحةَ الطَّعم .

(شرب الأرض للدم)

ثم لم تشرب بعد دمِ ابنِ آدَمَ دَمَ أحدٍ من ولده ، ولا من غير ولده .

قَالَ : وَلِذٰلك قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لأبى مريم الحنفىِّ[٣] : « لأنا أَشَدُّ لك بُغْضاً مِنَ الأرْضِ للدم ! » .

وزعم صاحبُ المنطق أنَّ الأرض لا تشرب الدَّم ، إلَّا يسيرًا من دماء الإبل خاصَّة .

(اختبار العسل)

وإذا أرادُوا أن يمتحنُوا جَوْدَة العسل من رداءته ، قَطَرُوا على الأرض

(١) هو الذى تسميه التوراة : « هابيل » . الأصحاح الرابع من سفر التكوين ، وقصته فى سورة المائدة ٢٧ - ٣١.

(٢) فى الأصل : « القوادم » .

(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ١٣٦) ، حيث تجد كلمة عمر الآتية . وتجدها كذلك فى عيون الأخبار (٣ : ١٣) والبيان (٢ : ٨٩) وبقية الحديث فيه : « قال : أفتمنعنى لذلك حقا ؟ قال لا ! قال : لاضير ؛ إنما يأسف على الحب النساء ! » .

منه قَطْرَةً . فإذا استدارت(١) كأنها قطعةُ زِئبقٍ ، ولم تأْخُذْ مِنَ الأَرْضِ ولم تُعْطِهَا(٢) فهو الماذيُّ الخالصُ الذَّهبيُّ . فإنْ كان فيه غشوشةٌ(٣) نفشت القَطْرة على [قدر] ما فيها ، وأخَذَتْ من الأرض وأعطتها . وإن لم يقدِرُوا على اللَّحم الغَرِيض(٤) دَفَنُوهُ وغرّقوه فى العسل ، فإنهم متى رجعوا فغسلوه عنه وجَدُوهُ غضًّا طريًّا ؛ لأنَّهُ ذهبيُّ الطِّباع ، ليس بينه وبين سائر الأجرام شىء . فهو لا يعطيه شيئاً ولا يأخذ منه ، وكذلك الذَّهَبُ إذا كان مدفونا .

(زمن الفطحل)

وهذه الأحاديثُ ، وهذه الأشعارُ ، تدلُّ على أنَّهُمْ قد كانوا يقولون : إنَّ الصُّخورَ كانت رَطْبَةً ليِّنة ، وإنَّ كلَّ شىءٍ قد كانَ يعرِفُ وينطق ، وإنَّ الأشْجَارَ و النَّخلَ لم يكن عليها شوكٌ . وقد قال العجَّاج ، أو رُؤبه(٥) :

أَوْ عُمْرَ نُوحٍ زَمَنَ الْفِطَحْلِ   وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كَطِينِ الوَحْلِ

(مرويات كعب الأحبار)

وأنا أظنُّ أنَّ كثيرًا مِمَّا يُحكى عن كعبٍ أنَّهُ قال : مكتوبٌ فى التوراة أنَّهُ إنَّمَا قال : «نجدُ فى الكتب» ، وهو إنَّما يعنى كتب الأنبياء، والذى يتوارثونه من كتب سليمان ؛ وما فى كتبهم من [مثل(٦)] كتب إشَعْياء(٧) [وغيره(٨)] .

---

(١) ط ، هـ : « فإن استدارت » .

(٢) س ، هـ : « يعطه » ط : « تعطه » وصوابه ما أثبت .

(٣) كذا فى الأصل . والمعروف : غشه غشا .

(٤) اللحم الغريض : الطرى .

(٥) انظر ما سبق من التحقيق فى ص ٨ .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) هو إشعياء ، بكسر أوله وفتح ثانيه وإسكان ثالثه كما ضبط فى العهد القديم . كان أحد أنبياء بنى إسرائيل . وقد تحدث عنه ابن الأثير فى الكامل (١ : ١٤٣ - ١٤٥) حديثاً طويلا ، وكتابه يشتمل على ستة وستين أصحاحا .

(٨) بمثل هذه الكلمة يصلح الكلام . وإلا فإن لإشعياء كتابا واحداً كما مر =

والذين يروون عنه فى صفة عُمَرَ بن الخطاب رضى الله عنه ، وأشباهِ ذلك ، فإن كانوا صدَقوا عليه ، وكان الشيخ لا يضعُ الأخبارَ[١] فما كان وجهُ كلامه عندنا إلاّ على ما قلتُ لك .

٦٧

(نطق الحيّة)

وفى أنّ الحيّةَ قد كانت تسمعُ وتنطق ، يقول النّابِغَةُ[٢] فى المَثَل الذى ضَرَبَهُ[٣] ، وهو قوله :

أليس لنا مولى يحبُّ سَرَاحَنا ... فيعذِرَنا من مُرَّةَ المتناصِرَه[٤]

لِيَهْنِكُمُ[٥] أنْ قَدْ نَفَيْتُمْ[٦] بيُوتَنا ... مَحَلَّ عُبَيْدَانَ المحلِّإ باقِرُه[٧]

= فى التنبيه السابق . فمن هذه الكتب كتب إرميا ، وحزقيال ، ودانيال ، ويوشع وعاموس ، وغيرهم .

(١) س : « وكان الشيخ يصنع الأخبار » .

(٢) من قصيدة له يعاتب بها بنى مرة . انظر الخزانة (٣ : ٥٥٦ بولاق) وخمسة دواوين العرب ٤٧ . ووهم الدميرى فى نسبة الشعر إلى النابغة الجعدى .

(٣) انظر قصة الشعر فى المصدرين المتقدمين ، والشعراء ١١٢ - ١١٣ والمحاسن والمساوى (٢ : ١٣٤) والدميرى (١ : ٤١٦) وأمثال الميدانى (١ : ٨٢) ومروج الذهب (٢ : ١٢٩) . وهى مما وضعه العرب على ألسنة الحيوان .

(٤) س : « يجيب سراحنا » .

(٥) كذا فى هـ . وفى س : « ليهنكو » وهما كتابتان جائزتان ، وفى ط : « ليهنأكم » ، وفى خمسة دواوين العرب واللسان (مادة عبد) : « ليهنأ لكم » وهذه لغة غريبة .

(٦) فى الأصل : « لقيتم » . وتصحيحه من الديوان واللسان (عبد) .

(٧) فى البيت إقواء . وقال ابن برى : صواب إنشاده : « المحلِّئ باقره » بكسر اللام من المحلِّئ ، وفتح الراء من باقره . وعبيدان : ماء منقطع بأرض اليمن لا يقربه أنيس ولا وحش . أو هو بمعنى الفلاة . أو هو رجل له قصة ، ذكرها صاحب اللسان . والباقر : البقر . س ، هـ : « المحلات » محرف . وانظر الاستدراكات .

وإنى للاقٍ من ذوِى الضِّغْنِ نَكْبَةً ... بلا عثْرَةٍ والنفس لابدَّ عاثِرَه(١)

كما لَقِيَتْ ذاتَ الصَّفَا مِنْ حَلِيفها ... وما انفَكَّتِ الأمْثَالُ فى الناسِ سَائِرَهْ(٢)

فقالت له : أدْعُوك للعقْل وافرًا ... ولا تَغْشَيَنِّى منك للظُّلْمِ بادِرَهْ(٣)

فواثَقَهَا باللهِ حتَّى تَرَاضَيَا ... فكانَتْ تديهِ الجَزْعَ خَفْياً وظَاهِرَه(٤)

فلما تَوَفَّى العَقْلَ إلّا أقَلَّه ... وجارَتْ بِهِ نَفْسٌ عن الخير جائِره(٥)

تفكَّرَ أنّى يَجْمَعُ اللهُ شَمْلَهُ(٦) ... فيصبِحَ ذا مالٍ ويقْتُلَ واتِرَه

فَظَلَّ على فأْسٍ يُحِدُّ غرابها(٧) ... ليقتُلَها، والنَّفْسُ للقَتْلِ حَاذِرَهْ(٨)

فلما وقاها اللهُ ضربةَ فأْسِهِ ... ولِلهِ عَيْنٌ لا تَغَمَّضُ ساهره(٩)

فقَالَ : تعالَىْ نجعلِ اللهَ بيننا ... على العَقْلِ حتى تُنْجِزِى لِىَ آخِرَه(١٠)

---

(١) الخزانة : « فإنى لألقى من ذوى الضغن منهم » .

(٢) ذات الصفا : الحية التى كان لها هذا المثل : وسميت بذلك لأنها تسكن فى الصفا ، وهى الحجارة الملس الصلاب .

(٣) العقل هنا بمعنى الدية . زعموا أن الحية قتلت أخا ذلك الحليف .

(٤) تديه الجزع : أى تعطيه دية أخيه من الجزع ، بالفتح ، وهو ضرب من الخرز فيه بياض وسواد . هـ : « تديه الجرح » محرف . ورواية الخزانة والديوان : « وكانت تديه المال غبا » . والغب بالكسر : أن تعطيه فى يوم ولا تعطيه فى الثانى . والظاهرة أصله من ظمء الإبل ، وهى أن تشرب كل يوم نصف النهار .

(٥) توفى العقل : أى أخذ الدية وافية كاملة .

(٦) رواية الديوان والخزانة : « تذكر أنى يجعل الله جنة » . والجنة بالضم : الوقاية . ورواية الشعراء : « تذكر أنى يجعل الله فرصة » .

(٧) غراب الفأس : طرفها . ورواية الميدانى والخزانة والشعراء : « أكب على فأس »

(٨) والنفس : أى ونفسه . ورواية العجز فى الخزانة والميدانى والديوان : « مذكرة من المعاول باتره » .

(٩) ط : « ناظره » . ورواية الميدانى : « وللشر عين لا تغمض ناظره » .

(١٠) قال الحية : تعالى نجعل الله شاهداً بيننا على دية أخى حتى تنجزيها . س ، هـ : —

فقالت : يمينُ اللهِ ، أفعَلُ ؛ إنَّنى   رأيتُك خَتَّارًا يَمِينُكَ فاجِره[1]
أبَى لكَ قبرٌ لا يزال مُواجِهاً   وضربة فأسٍ فوقَ رأسِى َفاقِرَه[2]

فذهَبَ النَّابِغَةُ فى الحيَّاتِ مذهَبَ أميَّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ ، وعدىِّ ابنِ زيدٍ ، وغيْرِهما من الشعراء .

(الصخور والأشجار فى ماضى الزمان)

وأنشدنى عبدُ الرحمن بن كيسان :

فكانَ رَطيباً يومَ ذلك صخرُها   وكانَ خَضِيدًا[3] طَلْحُهَاوَسَيَالُهَا

فزعمَ كما ترى أنَّ الصُّخورَ كانت ليِّنَةً ، وأنَّ الأشجارَ : الطَّلْحَ والسَّيالَ كانت خَضِيدًا[4] لا شوكَ عليها .

وزعم بعضُ المفسِّرين وأصحاب الأخبار ، أنَّ الشَّوك إنما اعتراها فى صبيحة اليوم الذى زعمَتِ النَّصَارَى فيه أنَّ المسيح ابنَ الله .

= « فقالت لعلى يجعل » صوابه ، فى ط والديوان والخزانة والميدانى . ويروى : « على المال » و « على مالنا » .

(١) يمين الله : قسم من الأيمان . و « أفعل » أى : لا أفعل . وحذف « لا » بعد القسم كثير فى كلامهم . وفى الكتاب : « تالله تفتؤ تذكر يوسف » أى لا تفتأ . وانظر لهذا البحث أمالى المرتضى (٣ : ١٣٧) والمخصص (١٣ : ١١٥) والأضداد ١٤٨ . والختار : الغدار .

(٢) تقول : أبى لك أن تكون وفيا ما أسلف إلى أخوك الذى قبره مواجه لنا وكان أخوه فيما زعموا — ضربها بفأس ، فانتقمت منه بأن قتلته . ورواية الديوان والخزانة والشعراء : « أبى لى » أى أبى لى أن أخدع أو أن أضمن وفاءك وصدق التعاهد والتواثق . والضربة الفاقرة : القاطعة ، كأنها تقطع الفقار .

(٣) فى الأصل : « نضيدا » ، صوابه ما أثبت . وانظر تعقيب الجاحظ .

(٤) خضيد : فعيل بمعنى مفعول من خضد الشوك : أى قطعه . وفى الأصل . « خضيدة » وفعيل إذا كان بمعنى مفعول وذكر معه الموصوف استوى فيه المذكر والمؤنث .

(أثر قدم إبراهيم عليه السلام)

وكان مقاتلٌ يقولُ — حَدَّثَنَا بذلك [عنه[١]] أبو عقيل السّواق، وكان أحدَ رواتِه والحاملين عنه — إنَّ الصُّخورَ كانَتْ لَيِّنَةً ، وإنَّ قدمَ إبراهيم عليه السلام أثرت[٢] فى تلك الصخرة ، كتأثير أقدامِ الناس فى ذلك الزّمان .

٦٩ إلَّا أنَّ الله تعالى توفّى تلك الآثارَ ، وعفّى عليها ، ومسَحَها ومحاها ، وترك أثرَ مقامِ إبراهيمَ صلى الله عليْهِ وسلم . والحجَّةُ إنما هى فى إفراده بذلك ونَحْوِ ما سواهُ من آثار أقدام الناس . ليس أنّ إبراهيم صلى الله عليه وسلم كان وطئ على صخرةٍ خلقاءَ[٣] يابسةٍ فأثَّرَ فيها .

(فضل المتكلمين والمعتزلة)

وأنا أقول على تثبيت ذلك بالحجة[٤] . ونعوذ بالله من الهَذْر والتكلف وانتحالِ ما لا أقوم به . أقول : إنَّهُ لولا مكانُ المتكلمين لهلكت العوامُّ من جميع الأمم ، ولولا مكانُ المعتزلة لهلكت العَوَامُّ من جميع النِّحل . فإن لم أقل : ولولا أصحابُ إبراهيمَ وإبراهيمُ لهلكت العوامُّ من المعتزلة ، فإنى أقول: إنهُ قد أنهج لَهُمْ سُبُلاً ، وفَتَقَ لهم أمورًا ، واختصر لهم أبوابا ظهرتْ فيها المنفعة ، وشملتْهم بها النعمة .

---

(١) الزيادة من س ، هـ .

(٢) ط : « وإن قدما إبراهيم عليه السلام أثرتا » ، ويكون صواب ما فى ط : « وإن قدمى » الخ .

(٣) صخرة خلقاء : ملساء .

(٤) س : « الحجة » .

(ما يحتاج إليه الناس)

وأنا أزعُمُ أن الناس يحتاجون بَدِيًّا[1] إلى طبيعةٍ ثم إلى معرفة ، ثم إلى إنصاف . وأوَّل ماينبغى أنْ يبتدئ به صاحبُ الإنصافِ أمرَه ألاَّ يعطىَ نفسه فوقَ حقها ، وألاَّ يضعها دونَ مكانها ، وأن يتحفظَ من شيئين ، فإن نجاته لا تتمّ إلاّ بالتحفظ منهما : أحدهما تهمة الإلف ، والآخر تُهمة السَّابِقِ إلى القلب — والله الموفق .

(حديث عن تأليف هذا الكتاب)

وما أكثرَ ما يعرض فى وقت إكبابى[2] على هذا الكتاب ، وإطالتى الكلام ، وإطنابى فى القول ، بيتُ ابن هَرْمة ، حيث يقول :

إنَّ الحديثَ تغر القَوْمَ خَلوتُه   حَتى يَلجَّ بهم عِىٌّ وإكثارُ[3]

وقولهم فى المثل : « كل مُجْر فى الخَلاءِ يُسَرُّ »[4] .

---

(١) بديا : أى بدءا . وفى الأصل : « نديا » .

(٢) أكب على الشيء : أقبل عليه ولزمه . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « الباب » و س : « باب » و هـ : « أكبانى » .

(٣) خلوته : أى أن يختلى بعضهم ببعض لمداورته وتبادله . وفى الأصل : « حلوته » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف صوابه فى الجزء الأول ص ٨٨ حيث تجد موضع الاستشهاد بهذا البيت .

(٤) كذا الرواية الجيدة للمثل كما سبق فى الجزء الأول ص ٨٨ وأمثال الميدانى (٢ : ٧٣) وأمالى القالى (٢ : ٨٩) . وأصله أن الرجل يجرى فرسه فى المكان الخالى لا مسابق له فيه ، فهو مسرور بما يرى من فرسه . يضرب مثلا للرجل تكون فيه الخلة يحمدها من نفسه ، ولا يشعر بما فى الناس من الفضائل . وقد روى المثل أيضاً : « كل مجر فى الخلاء مسر » ، بجعل « مسر » اسم مفعول من « أسره » أى أفرحه . وهو فعل لم تنطق به العرب ، وإنما توهمه القائل ، كما أنشد الآخر فى عكسه : =

وأنا أعوذ بالله أنْ أغَرَّ من نفسى ، عند غَيبةِ خَصمى ، وتصفحِ العلماء لكلامى ، فإنى أعلم أن فِتنةَ اللسانِ والقلمِ ، أشدّ من فِتنة النساء ، والحرص على المال .

وقد صادف هذا الكتابُ منى حالاتٍ تمنعُ من بلوغِ الإرادة فيهِ ، أوّلُ ذلك العِلة الشديدة ، والثانية قلة الأعوان ، والثالثة طول الكتاب ، والرابعة أنى لو تكلفت كتاباً فى طوله ، وعدَدِ ألْفاظِهِ ومعانيهِ ، ثمَّ كان من كَتب العَرَض والجوهر ، والطَّفرة[1] ، والتولد[2] ، والمداخَلة[3] ، والغرائز[4]

= وبلدة يغضى على النعوت يغضى كإغضاء الروى المثبوت

أراد : المثبت ، فتوهم : ثبته . انظر اللسان (سرر) وما أسلفت من التحقيق فى (١ : ٨٨) .

(١) الطفرة : مسألة كلامية تنسب إلى إبراهيم النظام ، كما فى الفصل (٥ : ٦٤) ، وهى قوله : إن المار على سطح الجسم يسير من مكان إلى مكان بينهما أماكن لم يقطعها هذا المار ، ولا مر عليها ، ولا حاذاها ، ولا حل فيها . وانظر لذلك أيضاً الفرق بين الفرق ١٢٤ س ٦ – ٧ ، ١٥ وتأويل مختلف الحديث ١٦ س ٢ . وفى الأصل : « الصفرة » تحريف ظاهر .

(٢) التولد : مبحث كلامى ، وذلك أنهم اختلفوا فيمن رمى سهما فجرح به إنسانا ، أو غيره ، وفى حرق النار ، وتبريد الثلج ، وسائر الآثار الظاهرة من الجمادات ، فقالت طائفة : ماتولد من ذلك عن فعل إنسان أو حىّ ، فهو فعل الإنسان والحى . واختلفوا فيما تولد من غير حى ، فقالت طائفة : هو فعل الله . وقالت طائفة : هو فعل الطبيعة . وقال آخرون : كل ذلك فعل الله . وقد فصل ابن حزم الكلام فيه فى كتابه (٥ : ٥٩ – ٦٠) . وانظر مذهب الجبائى والنظام فى الفرق ١١٥ وبشر ، فى الفرق ١٤٣ . وفى الأصل : « التوليد » وصوابه مما سبق ومن تأويل مختلف الحديث ١٦ س ٣ .

(٣) المداخلة : مقالة كلامية لقوم زعموا أن الألوان ، والطعوم ، والروائح ، والأصوات والخواطر ، أجسام ، وأن تلك الأجسام بزعمهم تتداخل فى حيز واحد . الفصل (٥ : ٦٠ – ٦١) . وقد ذهب النظام إلى ذلك . الفرق ١٢٢ .

(٤) الغرائز ، أى الطبائع الموجودة فى الأشياء ، كالحر للنار ، والبرد للثلج ، والإسكار =

والتّماسّ[1] ــ لكان أسهَلَ وأقصَرَ أياماً ، وأسْرَعَ فراغاً ؛ لأنى كنت لاأفزَعُ فيه إلى تلقُّط الأشعار[2] ، وتتبُّعِ الأمثال ، واستخراج الآىِ من القرآنِ ، والحجَجِ من الرِّواية ، مع تفرُّقِ هذه الأمورِ فى الكتب ، وتباعُدِ ما بين الأشكال . فإنْ وجَدْتَ فيه خالاً من اضطرابِ لفظٍ ، ومن سوءِ تأليف ، أو من تقطيعِ نظامٍ[3] ، ومن وقوع الشىء فى غير موضعه[4] ــ فلا تنكِرْ ، بعدَ أنْ صوَّرتُ عندك حالى التى ابتدأتُ عليها كتابى . ٧٠

ولولا ما أرجو من عَوْنِ الله على إتمامه ؛ إذْ كنتُ لم ألتمسْ به إلاَّ إفهامَك مواقعَ الحجَجِ لله ، وتصاريفَ تدبيره ، والذى أَوْدَعَ أصنافَ خلْقه من أصناف حكمته ــ لمَا تعرَّضْتُ لهذا المكروه .

فإنْ نَظَرْتَ فى هذا الكتاب فانظُرْ فيه نظَرَ مَنْ يلتمس لصاحبه المخارجَ ، ولا يَذهَبُ مذهبَ التعنُّتِ ، وَمَذْهَبَ مَنْ إذا رأى خيراً كتَمَهُ ، وإذا رأى شَرًّا أذاعه .

وليعْلم منْ فَعَلَ ذلك أنَّه قد تعرَّض لباب إن أُخِذَ بمثله ، وتعَرَّض له

= للخمر . أثبت ذلك قوم ، ونفاه آخرون منهم الأشاعرة . الفصل (٥ : ١٤ – ١٥) . وللجاحظ كلام طويل فيها فى هذا الجزء ٣١٣ – ٣١٩ ساسى .

(١) التماس ، ويقال أيضاً : المجاورة . باب من الكلام ، يبحث فى اتصال الأجسام بعضها ببعض ، كالماء باللبن ، والدقيق بالماء ، والزيت بالخل . وتجد أقسامه موضحة فى الفصل (٥ : ٦١) وانظر تماس العرش ومالكه فى الفرق بين الفرق ٢٠٤ . ط ، هـ : « النحاس » س : « النخاس » وهما تحريف ما أثبت .

(٢) أفزع إليه : أى ألجأ . وفى الأصل : « أفرع » محرفة . والتلقط : التقاط الشىء من هنا وهناك . وفى الأصل : « التلفظ » ، وليس صوابا .

(٣) ط ، س : « ومن تقطيع نظام » ، وأثبت ما فى هـ .

(٤) هـ : « أو من وقوع » . . الخ ، وأثبت ما فى ط ، س .

فى قوله وكتبه ، أنْ ليس ذلك إلاّ من سبيل العُقوبة ، والأخْذ منه بالظلامة .
فلينظرْ فيه على مثال ما أدَّب الله به ، وعرَّف كيف يكون النظر والتفكير والاعتبار والتعليم ؛ فإنَّ الله عزَّ وجلّ يقول : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ .

(الحكم الجليلة فى دقيق الأشياء)

فينبغى أنْ تكون إذا مررْتَ بذكر الآية والأعجوبة ، فى الفراشة والجِرجسَة[1] ، ألاَّ تحقِرَ تلك الآية ، وتصغِّر تلك الأعجوبة ؛ لصغر قدرهما عندك ، ولقلَّة معرفتهما عِنْدَ معرفتك[2] ، ولصِغَر أجسامهما عند جسمك . ولكن كنْ عند الذى يظهَرُ لك من تلك الحكم ، [و[3]] من ذلك التَّدبير ، كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِى الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَىْءٍ ﴾ قال ثمَّ قال : ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ ثمَّ قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ .
وقد قال عامرُ بن عبد قيس[4] : « الكلمة إذا خرجتْ من القَلْبِ وقعتْ فى القَلب ، وإذا خَرجَتْ من اللسانِ لم تجاوز الآذان » .

---

(١) الجرجس ، بالكسر : البعوض الصغار . ط : « الحرجسة » ، صوابه فى س ، هـ .

(٢) فى الأصل : « عندك معرفتك » ، والوجه ما أثبت .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) س : « عبد القيس » بإثبات « أل » وهو جائز فى العربية ، كما أسلفت فى (٣ : ٣٨٢) .
وهو عامر بن عبد قيس بن ثابت التميمى العنبرى . تابعى ثقة من كبار التابعين =

(حث على الإخلاص والتنبُّه عند النظر)

وأنا أعيذ نفسى بالله أنْ أقول إلاّ لهُ ، وأعيذك بالله أن تسمع إلاّ لهُ . وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَإنْ تَدْعُهُمْ إلى الْهُدَى لَا يَهْتَدُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ . فَاحْذَرْ من أنْ تكونَ منهم ، ومِمَّن يَنْظرُ إلى حكمة الله وهو لا يبصرها ، وَمِمَّنْ[1] يبصرها بفَتْحِ العَيْنِ واستماعِ الآذان ؛ ولكن بالتوقف من القلْب ، والتثبت من العقْل ، وبتحفيظه وتمكينه من اليقين ، والحجَّة الظاهرة . ولا يراها من يُعرِضُ عنها . وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَلَا تَكونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ . وقال : ﴿إنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلونَ﴾ ولو كانوا صمًّا بُكماً وكانوا هم لايعقلون، لَمَا عيَّرهم بذلك ، كما لم يعيِّر مَنْ خَلَقهُ معتوهاً كيف لم يعقل ، وَمَنْ خَلَقهُ أعمى كيف لم يبصر ، وكما لم يَلُمْ[2] الدوابَّ ، ولم يعاقب السِّباع . ولكنَّهُ سمَّى البصير المتعامىَ أعمى ، والسميعَ المتصامِمَ[3] أصمَّ ، والعاقلَ المتجاهلَ جاهلاً . ٧١

وقد قال الله عزَّ وَجَلَّ : ﴿فَانْظُرْ إلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِى الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إنَّ ذٰلكَ لَمُحْيِى المَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

= وعبادهم . وكان غاية فى الزهد ، روى عنه فى ذلك روايات تدخل فى حدود المبالغة . انظر الإصابة ٦٢٨٠ . وكان من الأبيناء الفصحاء ، كما ترى ذلك فى مواضع كثيرة ، من بيان الجاحظ . ومات عامر فى خلافة معاوية . والخبر فى البيان ١ : ٨٣ .

(١) فى الأصل : « وأن » ، ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) ط ، هـ : « يكرم » صوابه فى س .

(٣) كذا جاءت بالفك .

فَانْظُرْ كما أمرك الله ، وانظرْ من الجهة التى دلّك مِنْهَا ، وخذْ ذلك بقوّة .
قال تعالى : ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَافِيهِ[1]﴾ .

(عود إلى الحيات)

ثمَّ رَجَعَ بنا القولُ إلى مافى الحيَّات من العِلم والعِبرة ، والفائدةِ والحِكمة ؛ ولذلك قال أبو ذَرٍّ الغِفاريُّ : « لقد تركَنَا رسولُ الله صلى الله عليهِ وسلم ، وما يمرُّ بنا طائرٌ إلا وعِنْدَنا من شأنه عِلْمٌ » . وهذا القولُ صحيح عن أبى ذر ، ولم يخصَّ أبو ذرٍّ خَشاش الطّيرِ من بُغاثها وأحرارها ؛ ولا مايدخل فى بابةِ[2] الهمَج . وقد أرينْاك من تحقيق قولهِ طرَفا . ولعلك إن جمعْتَ نظرك إلى نظرنا ، أنْ[3] تستتمَّ هذا الباب ، فقد قال الشاعر :

خليليَّ ليس الرأىُ فى رأى واحدٍ[4] أشِيرَا عَلَيَّ الْيَوْمَ مَا تَرَيَانِ

وقال الأحنَف : « مامِنَ الناس أحدٌ إلاَّ وقد تعلَّمْتُ منه شيئاً ، حتَّى من الأَمَةِ الوَرْهاءِ والعبْدِ الأَوْرَهِ[5] » .

(أنواع الحيات)

والحيَّات مختلفاتُ الجهاتِ جدّا ، وهى من الأمم التى يكثُرُ اختلافُ أجناسِها فى الضَّررِ والسمّ ، وفى الصِّغرِ والعِظَم ، وفى التعرُّضِ للنَّاسِ

(١) ما آتيناكم : أى الكتاب . وأصل الخطاب لبنى إسرائيل . بقوة : بجد وعزيمة . اذكروا مافيه : ادرسوه ولا تنسوه ، أوتفكروا فيه .
(٢) س ، هـ : « باب » ط : « بابه » ، وأثبت تصحيح مافى ط .
(٣) فى الأصل : « لم » .
(٤) رواية الراغب فى المحاضرات (١ : ١٢) : « فى صدر واحد » .
(٥) الأوره : الأحمق ، والأنثى ورهاء .

وفى الهرب منهم . فنها مالا يؤذى إلّا أنْ يكونَ النـاس قد آذَوْهَا مَرَّة .
وأمَّا الأسوَدُ فإنَّهُ يحقِدُ ويُطالب ، ويكمُـن[1] فى المتاع حتى يُدْرِك بطائلته .
وله زمانٌ يقتلُ فيه كلَّ شىءٍ نهشَه .

وأمَّا الأفعى فليس ذلك عندَها ، ولكنها تَظهر فى الصَّيفِ مع أوَّل الليل ، إذا سكَنَ وهَجُ الرَّمْل وظاهِرُ الأرض ؛ فتأتى قارِعَةَ الطَّريق حتى تستدِيرَ وَتطْحَنَ[2] كأنَّها رَحًى ، ثمَّ تُلصِقُ بَدَنَهاَ[3] بالأرض وتُشْخِصُ رأسها ، لئلاَّ يدركَها السُّبات ، معترِضة ، لِئلاً يطأها إنسانٌ أو دابَّةٌ فتنهشَه . كأنَّها تريد ألاَّ تنهشَ إلّا بأن يُتَعَرَّضَ[4] لها ، وهى قد تعرَّضت لنَهْشه باعتراضها فى الطَّريقِ وتناوُمها عليه ! وهى من الحيَّات التى ترصد[5] وتوصف بذلك . قال مَعْقِل بن خُويلد[6] :

أبا مَعْقِـلٍ لا تُوطِئنْـكمْ بَغَاضَتى
رُءُوسَ الأفاعِى فى مَرَاصِدِهَا العُرْمِ[7]

---

(١) كمن يكمن ، من بابى نصر وسمع : استخفى . س : « ويكن » محرفة .

(٢) فى الأصل : « تنطحن » وصوابه ما أثبت . الجوهرى : طحنت الأفعى : ترحت واستدارت ، فهى مطحان . قال الشاعر :

بخرشاء مطحان كأن فحيحها إذا فزعت ماء هريق على جمر

(٣) ط : « بذنبها » ، والوجه ما أثبت من س ، هـ .

(٤) ط : « يعترض » ، والأشبه ما كتبت من س ، هـ .

(٥) ترصد : أى تكمن . والمراصد : المكامن .

(٦) معقل بن خويلد بن واثلة بن عمرو بن عبد ياليل الهذلى ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان أبوه رفيق عبد المطلب إلى أبرهة . معجم المرزبانى ٣٧١ والإصابة ٨١٣٠ .

(٧) يخاطب أبا معقل عبد الله بن عتيبة ، كما فى شرح أشعار الهذليين للسكرى ٣٨٣ تحقيق فراج . والبغاضة ، بالفتح : البغض . ورواية اللسان (رصد ، بغض ، عرم) والمخصص (٧ : ١٩٤) : « لاتوطننك » .

يريد : الأفاعى فى مراصدها[1] . وكلُّ منقَّطَة[2] فهى عَرْماء ، مِنْ شاةٍ أو غير ذلك .

وقال آخر :

وكم طوَتْ من حَنَشٍ وراصِدِ   للسَّفْرِ فى أعلى البيات قاصِدِ

والأفعى تقتلُ فى كلِّ حالٍ وفى كلِّ زمان . والشُّجاع[3] يواثِبُ ويقوم على ذَنَبه ، وربَّمـا بَلَغَ رأسُه رأسَ الفارس . ٧٢

(ما يقتل الحية والعقرب من الحيوان)

وليس يقتلها — إذا تطوّقت على الطّريق وفى المناهج ، أو اعترَضتْها لتقطعها عابرةً إلى الجانب الآخر — شىءٌ كأقاطيع الشِّياهِ إذا مرَّت بها ، وكذلك الإبلُ الكثيرة إذا مرَّت ، فإن الحيَّةَ إذا وَقَعَتْ بين أرجلها كان همتَها نفسَها ، ولم يكن لها همةٌ إلّا التَّخلصَ بنفسها ؛ لئلاّ تعجلها بالوطء . فإن نجَتْ من وطء أيديها ، لم تنجُ من وطء أرجلها . وإنْ سلمَتْ مِن واحدةٍ لم تسلم من التى تليها ، إلى آخرها .

وقال عمر بن لَجَأ ، وهو يصف إبله :

* تَعَرُّضَ الحيَّاتِ فى خِرشائها[4] *

---

(١) ط : « بافالاعى » س ، هـ : « بالأفاعى » صوابه ما أثبت من الجزء الخامس من الحيوان ص ٥٧٤ إذ لاداعى للباء . ويعنى الجاحظ أن العرم صفة للأفاعى ، لا للمراصد . ومراصدها : مكامنها .

(٢) فى الأصل : « منقطعة » ، تحريف . وفى المخصص (٨ : ١١١) : « الحية العرماء التى فيها نقط سود وبيض . وأنشد :

* رءوس الأفاعى فى مرابضها العرم * »

(٣) الشجاع : حية عظيمة .

(٤) فى اللسان (عفر ٢٦٤) : « تفرش » ، وفى الأغانى (٧ : ٦٤) : « تفرس » ، لعل صوابهما « تقرش » . والتقرش : التجمع . والخرشاء : جلد الحية وسلخها . وفى الأصل : « عساسها » ، صوابه من اللسان والأغانى .

وقال ذو الأهدام[1] :

* تُعْجِلها عن نهشها والنَّكْزِ[2] *

ومن ذلك أنَّ العقربَ تَقَعُ فى يد السِّنَّور ، فيلعب بها ساعةً من اللَّيل وهى فى ذلك مسترخيةٌ مستخذِيةٌ لا تضربه . والسَّنانير من الخلْق الذى لا تسرع[3] السُّموم فيه .

(مسالمة الأفعى للقانص والراعى)

وربَّما باتت الأفعى عندَ رأسِ الرَّجل وعلى فراشه فلا تنهشُه . وأكثرُ مايُوجَدُ ذلك من القانِص[4] والرَّاعى . قال الشاعرُ[5] :

تبيتُ الحيَّةُ النَّضْنَاضُ مِنهُ مكانَ الحِبِّ مستَمِعَ السِّرارِ[6]

قال : الحِبُّ : الحبيب[7] . والنضناض من الحيَّات : الذى يحرِّك

---

(١) ذو الأهدام ، هو متوكل بن عياض بن حكم بن طفيل ، ويسمى المتوكل الكلابى . وهو كذلك لقب لنويفع ، أو نافع بن سوادة الضبابى ، وقد هجا كل منهما الفرزدق بشعر ، فرد عليهما الفرزدق بنقيضة طويلة ، فى النقائض . وانظر المؤتلف ١٧٩ ومعجم المرزبانى ٤١٠ والقاموس المحيط .

(٢) نكزته الحية : لسعته بأنفها . والنكاز : ضرب من الحيات ينكز بأنفه ولا يعض بفيه . فى الأصل : « والمنكر » .

(٣) س : « تسرح » . وليست هناك .

(٤) القانص : الصائد . ط : « القاص » ، صوابه فى س ، هـ .

(٥) هو الراعى الشاعر ، كما فى اللسان (حبب ، نضض) وأمالى القالى (٢ : ٢٣) والاشتقاق ٣٠٨ من تحقيقى .

(٦) كذا . وصواب الرواية : « يستمع السرارا » . انظر المصدرين المتقدمين والمخصص (٤ : ٤٣ ، ٨ : ١١٠) .

(٧) وقيل الحب ، هنا : القرط . عن الأصمعى أنه سأل جندل بن عبيد الراعى ، عن معنى قول أبيه الراعى :

تبيت الحية النضناض منه مكان الحب يستمع السرارا

ما الحب ؟ فقال : القرط . فقال : خذوا عن الشيخ فإنه عالم . وقال صاحب العين : « الحب والحباب : القرط من حبة » .

لسانَه . وعن عيسى بن عمر قال : قلتُ لذى الرُّمّة : ما النضناض ؟ فأخرَجَ لسانَه يحرِّكه[١] .

وإنما يصف القانصَ وأنَّه يبيت بالقفْر . ومثلَه قولُ أبى النجم[٢] :

تحكى لَنَا الْقَرْنَاءُ فى عِرْزالها جَرْىَ الرَّحَى تجْرى على ثِفالها[٣]

العِرْزال[٤] : المكان .

وفى ذلك يقول أبو وَجْزَة[٥] :

تبيت جارتَه الأفعَى وسامرَه رُمْدٌ به عاذرٌ منهنّ كالجَرَب[٦]

وقوله : رُمْد[٦] ، يريد البعوض . وعاذر : أثر[٧] .

(قصة فى مسالمة الأفعى)

قال : وبات يحيى بن منقاش مع دارم الدارمىّ ، فلما أصبح يحيى

---

(١) فى المخصص : « أبو حاتم : قيل لذى الرمة : وما الحية النضناض ؟ فحرك لسانه فى فيه ، يديره إدارة خفيفة : يحكيه » .

(٢) ويروى للأعشى ، كما فى اللسان .

(٣) الحية القرناء : التى لها لحمتان فى رأسها كأنهما قرنان ، وأكثر مايكون ذلك فى الأفاعى . هـ : « القرماء » س : « الغرماء » ط : « الغروال » ، وهو تصحيف ما أثبت من اللسان (عرزل ، قرن) . و « لنا » هى فى ط : « بها » وفى اللسان : « له » . و « عرزالها » بكسر العين بعدها راء ساكنة وزاى . وفى الأصل : « غروالها » تصحيحه من اللسان . و « جرى » مفعول « تحكى » . وثفال الرحى : الجلد يبسط تحتها ليقى الطحين من التراب .

(٤) فى الأصل : « الغروال » تحريف . وفى اللسان : « عرزال الحية : جحرها » .

(٥) فى الأصل : « أبو وجرة » بالراء ، وإنما هو بالزاى المعجمة . وقد تقدمت ترجمته فى (١ : ٩٦) . وانظر أيضاً المعارف ٢١٥ والأغانى (١١ : ٧٥) .

(٦) فى الأصل : « ربد » بالباء ، صوابه من (٥ : ٤٠٥) .

(٧) العاذر : أثر الجرح . كما فى اللسان) .

رأى بينهما أفعَى مستويةً ، فوثب يحيى ليقتلها ، فقال له دارم . قد أعتقتُها وحرَّرتها ! ولمَ تقتُلُها وهى ضجيعتى من أول الليل ؟ فقال يحيى :

أعوذُ بربِّى أن تُرَى لى صحْبَتِى   يُطِيفُ بنا ليلًا مُحَرَّرُ دارمِ
من الخرْسِ لاينجو صحيحاً سَليمُها   وإن كان معقوداً بحلْى التمائم[1]

(مسالمة العقارب للناس)

والعقاربُ فى ذلك دون الحيَّات ، إلا الجرَّارات ، فإنها ربَّما باتت فى لحافِ الرَّجُل الليلةَ بأسرها ، وتكونُ فى قميصه عامَّة يومها ، فلا تلسعه . فهى بالأفعى أشبَه .

٧٣ فأمَّا سائرُ العقارب فإنها تقصدُ إلى الضَّرر[2] ، فإذا ضربَتْ إنساناً فرَّتْ كما يصنع المسىءُ الخائف لِلعقابِ[3] .

والعقرب لاتضرب الميتَ ولا المغشىَّ عليه ، ولا النائم إلَّا أن يحرك شيئاً من جسَدِه ، فإنها عند ذلك تضربُه .

(مسالمة العقارب للخنافس والحيات)

ويقال إنها تأوى مع الخنافس وتسالمُها ، ولا تصادق من الحيَّات إلا كلَّ أسودَ سالِخٍ .

(عقارب نصر بن الحجاج)

وحدَّثَ أبو إسحاق المكى قال : كان فى دار نَصْر بن الحجاج السُّلمى

---

(١) السليم : اللديغ . وأراد معقودا به حلى التمائم ، فقلب .

(٢) فى الأصل : « الصوت » .

(٣) ط : « العقارب » ، صوابه فى س ، هـ .

عقاربُ إذا لسعَتْ قتَلَتْ ، فدبَّ ضيفٌ لهم على بعضِ أهلِ الدَّار فضربَتْه عقربٌ على مذاكيره ، فقال نصرٌ يعرِّض به :

وَدَارِى إذا نَام سكَّانُها أقامَ الحُدُودَ بهاَ العَقْرَبُ
إذا غَفَلَ الناسُ عن دينهم فإن عقاربها تضرب[1]

قال : فأدخَلَ النَّاسُ بها حَوَّاءً ، وحَكَوْا لهُ شأنَ تلك العقاربِ ، فقال: إن هذه العقاربَ تستَقِى منْ أسوَدَ سالِخٍ . ونظر إلى موضعٍ فى الدار فقال: احفِرُوا هاهنا . فحفَرُوا عن أسودَيْنِ: ذكرٍ وأنثى ، وللذَّكر خُصيتان ورَأَوْا حولَ الذَّكر عقاربَ كثيرةً فقتلوها .

(حديث عقرب والفضل بن العباس)

قال : وقال الفضلُ بن عبَّاس حين راهنه عقرب بالشِّعر[2] ، وقيل لكلٍّ واحدٍ منهما : لسْتَ فى شىءٍ حَتَّى تغلِبَ صاحبك . فقال الفضل :

قَدْ تَجَرَ العقربُ فى سوقِنا[3] لامَرْحَباً بالعقْربِ التَّاجِرَه

---

(١) فى المحاسن والأضداد ١٧١ : « فإن عقاربنا تغضب » . والقصة فيه وفى محاضرات الراغب (٢ : ١١٥) مخالفة لما هنا . ونقل الدميرى ما أثبت الجاحظ هنا . وزاد بعد هذا البيت :

فلا تأمنن سرى عقرب بليل إذا أذنب المذنب

(٢) عقرب هذا ، كان تاجراً من تجار المدينة ، ضرب به المثل فى المطل والتسويف ، فقالوا . « أمطل من عقرب » و : « أتجر من عقرب » . وكان الفضل بن عباس ابن عتبة بن أبى لهب ، من أشد الناس اقتضاء ، فاتفق أن عقربا عامل الفضل ، وماطله ، ولم يستطع الفضل مغالبته ، حتى اضطر إلى هجاء عرضه بالشعر الآتى . هـ : « راهنته عقرب »، وإنما هو رجل كما أسلفت . انظر اللسان (عقرب) وأمثال الميدانى (١ : ١٣٣) وعيون الأخبار (١ : ٢٥٦) والمحاسن والمساوى (١ : ٢٢٨) . و « عقرب » إذا سمى به رجل جاز صرفه ومنعه . وانظر الاستدراكات .

(٣) فى اللسان وأمثال الميدانى وشرح شواهد الشافية ٦٥ : « قد تجرت فى سوقنا عقرب » .

كل عَدُوٍّ يُتَّقى مُقْبِلاً وعَقْرَبٌ تُخْشَى من الدَّابِره[1]
كلُّ عدوٍّ كيدُه فى استِه فغيرُ ذى أيْدٍ ولا ضائرَه[2]
قَدْ ضاقت العقْرَبُ واستيقَنَت بأنَّ لادُنْيا ولا آخِرَه
إنْ عادت العقْرَبُ عُدْنا لها وكانتِ النَّعْلُ لها حاضِرَه

(من سمى بعقرب)

واسم أم حارثة بن بدر[3]، عقرب . وآل أبى موسى يكتنُون بأبى العقارب ومن هؤلاء الذين يكتنون بالعقرب : ابن أبى العقرب الليثىُّ الخطيب الفصيح ، الراوِية .

(حديث وخبر فى العقرب)

ورَوَوْا أنّ عقرباً لسعت النبىَّ صلى الله عليه وسلم فقال : « لَعَنَهَا اللهُ ، فإنَّها لاتُبَالى مَنْ ضربت ! » .

وقال الضّبىّ : أنا عقربٌ ، أضرُّ ولا أنفع .

(الجرارات)

وكان الرَّجُلُ تلسعه الجرَّارة[5] بعسكر مُكْرَم[6] ، أو بجنديسابور ،

---

(١) وكذا الرواية فى عيون الأخبار . ورواية اللسان والأمثال : « وعقرب يخشى » .

(٢) الأيد : القوة . و : « ضائرة » أى غير ذى ضائرة . والضائرة : ماتضير ، أى تضر . ورواية عيون الأخبار : « لغير ذى كيد ولانائره » . والنائرة : الحقد والعداوة ، والكائنة تقع بين القوم .

(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ٧٧) .

(٤) فى (٥ : ٣٥٣) : « القينى » .

(٥) الجرارة : ضرب من العقارب الصغار تجرر بأذنابها . ط : « الجرادة » ، صوابه فى س ، هـ .

(٦) بضم الميم وفتح الراء ، بلد من بلاد خوزستان . منها أبو هلال العسكرى .

فتقتله ؛ وربما تناثر لحمه ، وربما تعفَّنَ وأنتن ، حتى لايدنُوَ منه أحدٌ إلا وهو مُخَـمِّرٌ أنفه[1] ، مخافة إعْدائه ، ولا سيما إن كان قد نال من اللحم وهو لايعلم أنَّ الوخْزَة التى وُخِزها كانت من جَرَّارة .

٧٤ وكانوا إذا شعَرُوا بها دَعَوا حجاماً ، يحجُم ذلك الموضعَ ويمصُّه ، قبلَ أن يتفشى فيه السّمُّ ويدخلَ تلك المداخل . فكان الحجَّام لايجيئهم حتى يقبضَ دنانيرَ كثيرةً . وإنما كانوا يجودون له بذلك ؛ لِمَا كانَ لصاحبهم فى ذلك من الفَرَج ، وما على الحجام فى ذلك من الضَّرَر . وذلك أنّ وجهه ربما اسمارَّ واربَدَّ ، وربما عطّلت مقاديم أسنانه وتوجّعت عليه ، فيلقى من ذلك الجهد ، وذلك لما كان يتّصل إلى فيه من بُخار الدَّم ، ومن ذلك السمّ المخالط لذلك الدّم . ثمَّ إنَّهم بعد ذلك حشَوْا أذناب [2] المحاجِم بالقُطْن ، فصار القُطْنُ لايمنع قُوَّةَ المصْ والجذْب ، ولم يدَعْه يصلُ إلى فم الحجام . ثمَّ إنهم بَعْدَ مدَّة سُنَيَّات[3] أصابوا نَبْتةً فى بعض الشُّعب[4] ، فإذا عالجوا الملسوعَ بها حَسُنت حالُه .

والجرَّارات تألف الأخواء[5] التى تـكون بحضرة الأتاتين[6] ، وتألف الحشوش[7] والمواضع الناريّة . وسمُّها نار .

---

(١) خمر أنفه : غطاه .

(٢) ط : « أذباب » ، صوابه فى س ، هـ .

(٣) جمع سنية : تصغير سنة .

(٤) الشعب : جمع شعبة بالضم ، وهى المسيل فى الرمل ، أو التلعة الصغيرة .

(٥) الأخواء : جمع خوى ، بالتحريك والقصر ، وهو اللين من الأرض . وفى الأصل : « الأحواء » بالمهملة !

(٦) الأتاتين : جمع أتون ، بالفتح وتشديد التاء المضمومة ، وهو أخدود النار ، أو موقدها . وفى الأصل : « الأتانين » بنونين بينهما ياء ، محرف .

(٧) الحشوش : مواضع قضاء الحاجة ، جمع حش بالضم .

(قول ماسرجويه فى العقرب)

وقيل لماسرجويه : قد نجِدُ العقربَ تلسَعُ رجُلينِ فتقتلُ أحدَهما ويقتُلها الآخرُ[١] ، وربما نَجَتْ ولم تمُتْ ، كما أنّهُ ربما عُقِرت ولم تفُتْ ، ونجدُها تضربُ رجُلين فى ساعةٍ واحدة ، فيختلفان فى سوء الحال . ونجدَها تختلف مواضعُ ضررِها على قدْر الأغذية ، وعلى قدر الأزمان ، وعلى قدْر مواضعِ الجسَد. ونجدُ واحداً يتعالج بالَمسُوس[٢] فيحمَدُه،ونجد آخرَ يُدخِلَ يده [فى[٣]] مدخلٍ حارٍّ من غير أنْ يكون فيهِ ماءٌ فيحمده ، ونجدُ آخر يعالجه بالنّخالة الحارّة فيحمدها ، ونجد آخرَ يحجم ذلك الموضعَ فيحمَده ، ونجد كلَّ واحدٍ من هؤلاء يشكو خلافَ مايوافقه ، ثم إنّا نجدُه يعاود ذلك العلاج عند لسعةٍ أخرى فلا يحمده !

قال ماسرجويه : لما اختلفت السُّمومُ فى أنفسها بالجنس والقدر ، وفى الزّمان ، وباختلاف ما لاقاهُ[٤] اختلفَ الذى وافقه على حسب اختلافه .

وكان يقول : إنّ قولَ القائل فى العقرب : شرٌّ ماتكون حين تخرج من جُحرها ، ليس يعنون من ليلَتها ـ إذْ[٥] كان لابدَّ من أن يكون لها

---

(١) انظر الاستدراكات .

(٢) المسوس ، كصبور : الترياق الذى يعالج به الملسوع والملدوغ . ومنه قول كثير :
فقد أصبح الراضون إذ أنتم بها مسوس البلاد يشتكون وبالها
ولفظ الترياق مأخوذ من اليونانية : Thériaké . وهذه مشتقة من : Thérion وهو اسم لما ينهش من الحيوان كالأفاعى ونحوها . انظر مفاتيح العلوم ١٠٣ وقاموس القرن العشرين ١٠٠٦ . وفى الأصل : « بالأمسوس » تحريف .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) ط ، هـ : « مالقاه » ، صوابه من س .

(٥) فى الأصل : « وإذا » .

نصيبٌ من الشدة — ولكنَّهُمْ إنما يَعْنُونَ : فى أوَّل ماتخرج من جُحرها عند استقبال الصَّيف ، بَعْدَ طولِ مُكْثِها فى غير عالَمِنا وغذائِنا وأنفاسنا ومعايشنا .

(زعم العامة فى العقرب)

والعامّة تزعم أنها شرُّ ما تكون إذا ضربت الإنسانَ وقد خرج من الحمام؛ لتفتح المسامِّ[1] ، وسعَة المجارى، وسخونة البدن. ولذلك صار سمها فى الصيف أشدَّ . هذا قولُ أبى إسحاق . كأنَّهُ كان يَرَى[2] أنَّ الهواءَ كلما كان أحرَّ ، وكان البدنُ أسخنَ كان شرًّا .

ونحن نجدهم يصرُخون مِنْ لسعتها اللَّيْلَ كلَّه ، وإذا طلعت الشمسُ سكن مابهم . فإذا بقيت فضْلةٌ من تلك الجارحة فى الشمس فما أكثر ما يسكن. وسمومها بالليل أشدُّ ، إلَّا أن يزعم أنَّ أجوافَ الناس فى برد الليل أسخن وفى حرِّ النهار أفتر . ٧٥

(الدّساس)

وزعم لى بعضُ العلماء[3] ممّن قدْ روَى الكُتب ، وهو فى إرثٍ منها ، أنّ الحية التى يقال لها : الدسّاس[4] ، تلد ولا تبيض ؛ وأنَّ أنثى النمور لم تضعْ نمراً قط إلاّ ومعه أفعَى .

---

(١) س : « فى تفتح المسام » وهى عبارة جيدة .

(٢) ط : « يروى »، صوابه فى س ، هـ .

(٣) ط : « وزعم لى فى بعض العلماء » ، والوجه حذف « فى » كما جاء فى س ، هـ .

(٤) الدساس : حية خبيثة . وفى الدميرى : « الدساسة بفتح الدال : حية صماء تندس =

(زعم استحالة الكمأة إلى أفاعٍ)

والأعرابُ تزعم أنّ الكمْأة تبقَى فى الأرض فتُمْطر مَطْرَةً صَيفيّة ، فيستحيل بعضها أفاعىَ . فسمِعَ هذا الحديثَ منّى بعضُ الرُّؤساءِ الطّائيِّين[1] ، فزعم لى أنّه عايَنَ كمأةً ضخْمة فتأمَّلها ، فإذا هى تتحرَّك ، فنهض إليها فقَلَعها ، فإذا هى أفعًى . هذا ما حُدِّثته عن الأعراب ، حتّى برئت إلى الله من عيب الحديث .

(معارف فى الحيات عن صاحب المنطق)

وزعم صاحب المنطق أنّ الوزَغة والحيَّاتِ تأكُلُ اللّحمَ وَالعُشب . وزعَمَ أنَّ الحيَّاتِ أظهَرُ كلَباً من جميع الحيوان ، مع قلّة شربِ الماء . وأنَّ الأسدَ مع نَهمه قليلُ شرب الماء . قال : ولا تضبِطُ الحيَّاتُ أنفسَها إذا شمَّت ريحَ السَّذاب ، وربَّما اصطِيدَتْ به . وإذا أصابوها كذلك وجدُوها وقدْ سكِرَتْ .

قال : والحيات تبتلع البيض ، والفراخَ ، والعُشب .

وزعم أنَّ الحياتِ تسلخُ جلودَها فى أوَّل الرَّبيع ، عند خروجها من أعشّتها[2] وفى أوّل الخريف .

= تحت التراب اندساساً ، أى تندفن » . وفى اللسان : « أبو عمرو : الدساس من الحيات الذى لا يدرى أى طرفيه رأسه ، وهو أخبث الحيات ، يندس فى التراب فلا يظهر للشمس . وهو على لون القلب من الذهب المحلى » وانظر لولادة الدساس ، ما فى الاستدراكات . ط : « أن حية يقال لها الدساس » ، وأثبت ما فى س ، هـ .

(١) جمع طائى ، نسبة إلى قبيلة طيىء على الشذوذ . س : « الكمابيين » هـ : « الكمايين » . وكنت حسبتها : « الكميائيين » لكن وجدت تعقيب الجاحظ لايسعف بهذا .

(٢) المعروف فى جمع العش : عشاش وأعشاش وعششة — كعنبة — فهذا جمع رابع . =

وزعم أن السَّلْخ يبتدئ من ناحية عيونها أوّلاً . قال : ولذلك يظنُّ بعض من يُعانِيها[1] أنها عمياء .

وهى تسلَخُ من جلودها فى يوم وليلةٍ من الرَّأس إلى الذَّنَب ، ويصير داخل الجِلْد هو الخارج ، كما يُسلخ الجَنينُ من المَشيمَة ؛ وكذلك[2] جميع الحيوان المحزَّز[3] الجسَد ، وكلُّ طائرٍ لجناحه غِلافٌ مثل الجُعَل والدَّبْر[4] وكذلك السَّرطان ، يسلخ أيضا ، فيضعف عند ذلك عن المشى .

وتسلخ جلودها مِرارًا .

(سلخ الحيوان)

والسَّلخ يصيب عامّة الحيوان : أمَّا الطير فتحْسيرها[5] ، وأمَّا ذوات الحوافر فسلخُها عقائقها[6] ، [وسلخ الإبل طرحُ أوْبارها ، وسلخُ الجراد انسلاخ جلودها[7]] ، وسلخ الأيائِل إلقاء قرونها ، وسلخ الأشجار إسقاط ورقها

= ولعل من غير المعهود استعمال العش لجحر الحية ؛ إذ العش خاص بالطائر . لكن الجاحظ جعله هنا للحية ، كما جعله أبو حيان التوحيدى للثعلب . قال فى الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٧١) : « الثعلب يهيىء عشه ووكره ، ذا سبعة أجحرة » . فقد زاد على الجاحظ باستعمال (الوكر) للثعلب أيضاً .

(١) بتقديم النون على الياء ، أى يقوم عليها ويهتم بشأنها . وفى القاموس : « ما يعانون مالهم : مايقومون عليه » .

(٢) ط ، هـ : « ولذلك » صوابه فى س .

(٣) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « المخرز » .

(٤) الدبر ، بفتح الدال ويكسر ، المراد به هنا أولاد الجراد . اللسان (دبر ٣٦٠) .

(٥) التحسير : سقوط ريش الطائر . ط : « فحسيرها » س ، هـ : « فحسرها » والصواب ما أثبت . وانظر ماسبق فى (٣ : ٥١٩ س ١٠) .

(٦) العقائق : جمع عقيقة ، وهى شعر المولود .

(٧) هذه التكلة من س ، هـ .

(أصل الأسروع)

والأسروع : دويبَّةٌ تنسلِخُ فتصير فَرَاشَةً . وقال الطِّرِمَّاح شعرًا :

وتجرَّدَ الأسْرُوعَ واطَّرَدَ السَّفَا وجرت بجالَيْهَا الحِدَابُ القَرْدَدُ[1]

وانسابَ حيَّاتُ الكثيبِ وأقْبَلَتْ وُرْقُ الْفراشِ لما يَشُبُّ المَوقِدُ[2]

يصف الزَّمان .

والدُّعْمُوص ينسلخُ ، فيصير إمَّا بعوضةً وإما فراشةً .

(انسلاخ البرغوث)

وزعم ثمامة عن يحيى بن برمك[3] أنَّ البرغوث ينسلخ فيصير بعوضة ، وأنَّ البعوضةَ التى من سَلْخ دعموص ربَّما انسلخت[4] برغوثا .

والنمل تحدث لها أجنحةٌ ويتغيَّر خَلْقُها ، وذلك هو سلخُها . وهُلْكُها يحين عند طيرانها .

٧٦

---

(١) الجالان : الجانبان . ط ، هو : « بحاليها » س : « بحالبها » ، وصوابه ما أثبت من الديوان ص ١٤١ . والحداب : جمع حدب ، وهو ما أشرف من الأرض وغلظ . والقردد : المرتفعة الغليظة . وفى الأصل : « الجراد القردد » ، صوابه من الديوان ومما سيأتى ص ٢٥٦ . وقبل هذا البيت :

حتى إذا صهب الجنادب ودعت نور الربيع ولاحهن الجدجد

(٢) يقول : أقبل ذلك الفراش الذى فى لونه سواد وبياض ، إلى النار التى يشبها موقدها .

(٣) نسبه إلى جده ، وهو يحى بن خالد بن برمك ، سيد البرامكة ، وكان مؤدب الرشيد ومعلمه ، وكان الرشيد يدعوه بيا أبى ، فلما ولى هارون الخلافة دفع إليه الخاتم وقلده أمره . وكان جواداً حسن السياسة . ولما نكب الرشيد البرامكة قبض عليه وسجنه بالرقة إلى أن مات ، سنة مائة وتسعين .

(٤) فى الأصل : « تصلحت » ، والوجه فيه ما أثبت .

(انسلاخ الجراد)

والجراد ينسلخ على غير هذا النوع . قال الرَّاجز[١] :

* مَلْعُونَةٍ تسْلَخُ لَوْناً لَوْنَيْنِ[٢] *

(أثر البلدان فى ضرر الأفاعى ونحوها)

قال : وعضُّ السِّباع ذواتِ الأربع ، ولدغُ الهوامّ ، يختلفُ بقدر اختلافِ البُلدان ؛ كالذى يبلغنا عن أفاعى الرَّمْل[٣] ، وعن جَرَّارات قرى الأهواز ، وعقارب نَصيبين[٤] ، وثعابين مصر ، وهِنْدِيّات[٥] الخرابات .

وفى الشِّبثان[٦] ، والزَّنابير ، والرُّتَيْلاَت[٧] ما يقتل . فأمَّا الطَّبُّوع[٨] فإنَّهُ شديدُ الأذى . وللضَّمج[٩] أذًى لا يبلغُ ذلك .

---

(١) هو عوف بن ذروة ، كما فى نوادر أبى زيد الأنصارى ص ٤٨ . وقد روى من الرجز تسعة أبيات .

(٢) رواية النوادر وما سيأتى فى (٥ : ٥٥٨) : « تسلخ لونا عن لون » . وقبل البيت :

* من كل سفعاء القفا والخدين *

(٣) الرمل : موضع بعينه ، كما فى ياقوت .

(٤) نصيبين : مدينة من بلاد الجزيرة ، كانت عندها وقعة مشهورة . وقد عرفت بكثرة عقاربها . انظر ما كتبت فى (٣ : ٣٥٣) . وفى الأصل : « الصين » ، وهو تحريف .

(٥) الهنديات : ضرب من الأفاعى ، سبق ذكرها فى ١٢١ . ط ، س : « هذرايات » وأثبت صوابه من هـ .

(٦) الشبثان : جمع شبث بالتحريك ، وهو ضرب من الرتيلات .

(٧) الرتيلات : نوع من العناكب قتال .

(٨) الطبوع ، كتنور : دويبة ذات سم ، أو من جنس القردان ، لعضته ألم شديد .

(٩) الضمج : دويبة منتنة تلسع ، تسمى فى مصر بالبق . وهى : Cimex . وفى الأصل : « الضمخ » محرفة .

(أقوال لصاحب المنطق)

وقال صاحب المنطق : ويكون بالبلدة التى تسمَّى باليونانية : « طبقون » حيَّةٌ صغيرة شديدة اللَّدْغ ، إلا أن تُعالج بحجر ، يُخرَج من بعض قبور قدماء الملوك .

ولم أفهم هذا ، ولم كان ذلك .

وإذا أكل بعض ذوات السموم من جسَد بعضها ، كانت أردأ ما تكون سما ، مثل العقارب والأفاعى .

قال . والأيِّلُ إذا ألقى قُرونَه علم أنَّهُ قد ألقَى سلاحَه : فهو لا يظهر . وكذلك إن سمن علم أنَّهُ يُطْلَبُ ، فلا يظهر . وكذلك أوَّلَ ما ينبت قرنُهُ يعرِّضه للشمس ؛ ليصلُب ويجفّ . وإن لدغت الأيِّلَ حيّةٌ أكلَ السَّراطينَ ؛ فلذلك نَظُنُّ أنَّ السَّراطينَ صالحةٌ للدَّيغ من الناس .

قال : وإذا وضعت أنثى الأيِّل ولدًا أكلت مشيمتها . فَيُظَنُّ[١] أنّ المشيمَة شيءٌ يتداوَى به من عِلّة النفاس .

[قال] : والدُّبَّةُ إذا هربت[٢] دفعت جِراءها[٣] بين يديها ، وإن خافت على أولادها غيَّبتها ، وإذا لُحقت[٤] صعِدَتْ فى الشجر وحملَتْ معَها جِرَاءَهَا .

---

(١) كذا على الصواب فى س . وفى ط ، هـ : « فتظن » . وانظر السطر السابق .

(٢) ط ، س : « والدبة فإنها إذا هربت » . والأوفق حذف الكلمة الثانية كما فى هـ .

(٣) كتبت هذه الكلمة ونظيرتها بدون همز فى الأصل . والجراء : جمع جرو : وهو ولدها .

(٤) يقال لحقه وألحقه : أدركه . وقرئ فى القنوت : « إن عذابك الجد بالكفار =

قال : والفهْدُ إذا عراه الدّاءُ الذى يقالُ له : « خانِق الفهود » أكل العَذِرَة فبرئ منه[1] .

قال ، والسِّباع تشتهى رائحةَ الفهودِ ، والفهدُ يتغيّب عنها ، وربّما فرَّ بعضها منه فيُطْمِعُ فى نفسه ، فإذا أراده السّبعُ وثَبَ عليه الفهد فأكله .

قال : والتمساح يفتح فاه إذا غمّهُ ما قد تعلق بأسنانه ، حتى يأتى طائرٌ[2] فيأْكلَ ذلك ، فيكونَ طعاماً له وراحةً للتمساح .

قال : وأمّا السُّلحفاة فإنّها إذا أكلت الأفعى أكلت صَعْتَرًا جبليًّا . وقد فَعَلت ذلك مرارًا ، فربما عادت فأكلت منها ثمّ أكلت من الصّعتر مرارًا كثيرة ، فإذا أكثرت من ذلك هلكت .

قال : وأمّا ابنُ عِرس ، فإنّه إذا قاتَلَ الحيّةَ بدأ بأَكْلِ السَّذاب ، لأنّ رائحةَ السَّذاب مخالفةٌ للحيّةِ : كما أن سامَّ أبرصَ لا يدخلُ بيتاً فيه زعفران .

قال : والكلاب إذا كان فى أجوافها دُودٌ أكلت سُنبل القمح .

قال : ونَظُنُّ أنّ ابنَ عِرس محتالٌ للطيرِ بحيلة الذئب للغنم ؛ فإنهُ يذبحها[3] كما يفعل الذئب بالشاة .

قال : وتتقاتل الحيّات المشتركة فى الطُّعم .

= ملحق » بكسر الحاء ، أى لاحق . قال صاحب القاموس : « والفتح أحسن ، أو الصواب » . ط ، هـ : « ألحقت » وهى اللغة الضعيفة . وأثبت ما فى س .

(١) وجاء فى كتاب الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٦٧) : « الفهد إذا أكل العشبة التى تسمى خانقة الفهود ، يطلب زبل الإنسان فيأكله ويتعالج به » .

(٢) هذا الطائر هو المعروف بالقطقاط ، وهو أرقط صغير فى رأسه شوكة ، إذا أطبق التمساح فمه عليه نخسه بها فيفتحه .

(٣) انظر ما سيأتى فى (٥ : ٣٢٠) .

وزعَمَ أنَّ القنافِذَ لا يخفى عليها شىءٌ من جهة الرِّيح وتحوُّلها وهُبوبها ، ٧٧
وأنهُ كان بِقسْطنْطِينِيَّةُ رجلٌ يُقدِّم وَيُعظِّمُ ؛ لأنه كان يعْرِفُ هُبُوبَ الرِّيح ويُخبرهم[١] بذلك . وإنما كان يَعرف الحالَ فيها بما يَرَى مِنْ هيئةِ القنافذ .

(العيون الحمر)

والعيُونُ الحمرُ لِلعَرَض المفارِق ، كعين الغضبان ، وعينِ السَّكران ، وَعَيْنِ الْكلْبِ ، وعَيْنِ الرَّمِدِ .

(العيون الذهبية)

والعيُون الذهبيَّة : عيون[٢] أصناف البزاة من بين العُقاب[٣] إلى الزُّرَّق .

(العيون التى تسرج بالليل)

والعيُون التى تَسْرِج بالليل : عيون الأسْد ، وعيون النمور ، وعيون السَّنانير ، وعيون الأفاعى[٤] .

(خبر وشعر فى العين)

قال أبو حيَّة :

غضابٌ يُثِيرُونَ الذُّحُولَ ، عُيُونُهمْ كجَمْر الغَضَى ذَكَّيتُه فتوقّدَا[٥]

---

(١) ط ، ه : « ويخبر » .

(٢) ط ، ه : « وعيون » ، والصواب حذف الواو كما فى س .

(٣) ط ، ه : « العقارب » ، صوابه فى س .

(٤) سبق مثل هذا الكلام فى ص ١١٦ ، وسيأتى مثله فى (٥ : ٣٢٩) .

(٥) الذحول : جمع ذحل بالفتح ، وهو الثأر . س ، ه : « الدخول » صوابه =

وقال آخر [١] :

وَمدَجَّجٍ يَسْعَى بشِكَّتِهِ   محمرَّةٍ عيناهُ كالكلب [٢]

رجع بالكلب إلى صفة المدجَّج .

وقالَ معاويةُ لصُحارٍ العبديِّ : يا أحمر ! قال : والذهب أحمر ! قال : يا أزرق ! قال : والبازى أزرق !

وأنشدوا :

ولا عيبَ فيها غيرُ شُكْلَة عينها
كذاك عِتاقُ الطيرِ شُكْلٌ عُيونُها [٣]

وقال آخر :

وشُكلة عينٍ لَوْ حُييت بِبَعْضِها
لكنت مكانَ العَيْنِ مَرْأًى وَمَسْمَعَا [٤]

= فى ط . وذكى النار : أتى عليها ما تذكو به وتزيد اشتعالا . ط ، هـ : « ذكينه » ، ووجهه ما أثبت من س .

(١) انظر ماسبق فى (١ : ٣١٣) .

(٢) المدجج ، بكسر الجيم وفتحها ، كما فى المخصص (٨ : ٩٥) نقلا عن العين . وأراد به القنفذ ، لما عليه من الشوك . المخصص واللسان (دجج) . والشكة : السلاح . ورواية الكامل ٦٠٩ ليبسك :

ومدججا يسعى بشكته   محمرة عيناه كالكلب

وهى الصحيحة ؛ لأن قبله فى الأغانى (١٢ : ٥٠) :

إذ لا ترى إلا مقاتلة   وعجانسا يرفلن بالركب

(٣) يروى : « غير شهلة عينها » كما فى اللسان (شكل) ، وانظر تحقيقاً دقيقا فيه . وسيعاد البيت فى (٥ : ٣٣٠) .

(٤) هـ : « لو خبيت » ، صوابه فى ط ، س ورسائل الجاحظ ١٩٦ الرحمانية . والعين ، هنا : الشمس . ورواية الرسائل : « مكان النجم » .

(بعض ألوان العيون)

ومن العيون المُغْرَب[١] ، والأزرق ، والأشكل[٢] ، والأسجر[٣] ، والأشهل[٤] ، والأَخْيَف[٥] . وذلك إذا اختلفا .

(عين الفأر)

وعين الفأرة كَحْلاء ، وهى أبصَرُ بالليل من الفرَسِ والعقاب .

(شعر فى حمرة العينين وضيائهما)

وفى حمرة العينين وضيائهما يقولُ محمَّدُ بنُ ذُؤيب العُمانىُّ ، فى صفة الأسـد :

أجرأُ مِنْ ذى لِبْدَةٍ هَمَّاسِ[٦] عَضَنْفَرٍ مضـبَّرٍ رهَّاسِ[٧]

---

(١) المغرب ، بفتح الراء : الأبيض . هـ : « الغرب » س : « العذب » صوابه فى ط .

(٢) الشكلة ، بالضم : حمرة فى بياض العين .

(٣) السجرة ، بالضم : مخالطة الحمرة لبياض العين ، فهى نحو الشكلة . ط ، هـ : « الأسحر » بالحاء ، صوابه فى س .

(٤) الشهلة ، بالضم : الحمرة فى سواد العين .

(٥) الخيف ، بالتحريك : زرقة إحدى العينين وسواد الأخرى . هـ : « والأحتف » ط : « والأخف » س : « والأخسف » بإهمال الياء . وصواب أولئك ما أثبت .

(٦) الهماس : الشديد الغمز بضرسه .

(٧) المضبر : الموثق الخلق . وفى الأصل : « مضير » محرف . والرهاس : الذى يطأ الأرض وطئاً شديداً .

مَنَّاعٍ أخيَاسٍ إلى أخيَاسٍ[1] كأنّما عيناهُ في مِراسٍ[2]

* شعاعُ مِقْبَاسٍ إلى مِقباسٍ[3] *

وقال المرّار :

* مِثل ما وَقَّدَ عَيْنَيْهِ النَّمِرِ[4] *

أصوات خشاش الأرض

نحو الضبّ ، والورل ، والحيّة ، والقنفذ ، وما أشبه ذلك

يقال للضبّ والحيّة والورَل : فَحَّ يفِحُّ فحيحاً . وقال رؤبة :

٧٨ فِحِّى فلا أفْرَقَ أنْ تَفِحِّى[5] وَأنْ تَرَحَّىْ كَرَحَى المرحِّى[6]

أصْبَحَ مِنْ نحنحةٍ وأحِّ[7] يحكى سُعالَ النَّشَزِ الأبحِّ[8]

---

(١) أخياس : جمع خيس ، بالكسر ، وهو الأجمة يكون فيها الأسد . وإلى هنا بمعنى مع . ط : « أجناس إلى أجناس » س : « أخياس إلى أجناس » صوابهما في ﻫ .

(٢) أي في أثناء ممارسته الصيد .

(٣) المقباس : شعلة النار تقتبس . وإلى ، بمعنى : مع .

(٤) في الأصل : « كأنما وقد » ، وصواب روايته من المفضليات ٨٧ . وصدره :

* حنق قد وقدت عيناه لي *

(٥) أفرق : أخاف . والفرق ، بالتحريك : الخوف . ورواية اللسان : « ياحى لا أفرق » ، أي يا حية .

(٦) يقال رحت الحية ترحو ، وترحت تترحى : إذا استدارت . وأما رحت ترحى بالتشديد فلم أره في معجم ، وهذا لا ينفي صوابه . والمرحى : الذي يدوى الرحى . وهذا البيت وما قبله سيعادان في (٦ : ٤٢) ،ورواية اللسان : « أو أن » .

(٧) أح يؤح : إذا سعل . وكلمة « أصبح » هي في الأصل : « أصح » تحريف . ورواية اللسان : « يكاد من تنحنح وأح » . قال : « يصف رجلا بخيلا إذا سئل تنحنح وسعل » .

(٨) النشز ، محركة : المسن القوى . والأبح : الذى غلظ صوته من داء . ورواية اللسان :

* يحكى سعال النزق الأبح *

قال : الفحيح : صوتُ الحيَّة من فيها : والكشيش والتشيش[١] : صوتُ جلدها إذا حكّت بعضه ببعض . قال الرَّاجز[٢] فى صفة الشَّخب والحلب :

حَلبْت للأبْرَش وهو مُغْضِ حمراء منها شخْبَةٌ بالمحْض[٣]
ليستْ بذات وَبَرٍ مبيضٍ كأنَّ صَوتَ شخْبها المرْفَضِّ[٤]

* كشيشُ أفعَى أجْمعت لعَضٍّ[٥] *

ويقال للضَّبّ والورل : كش يكِش كشيشا . وأنشد أبو الجرّاح :

تَرَى الضَّبَّ إن لم يرهب الضبَّ غيرَه يكِشُّ له مُستكبرًا ويُطاوِلُه[٦]

باب

من ضرب المثل للرَّجُلِ الداهية وللحى الممتنع بالحيَّة

قال ذو الإصبع العَدْوانىُّ :

عَذِيرَ الحىِّ مِنْ عَدْوا نَ كانوا حَيَّةَ الأرض[٧]

---

(١) فى الأصل : « التشبش » ، صوابه من (٦ : ١٣٩) .

(٢) هو معتمر بن قطبة ، كما فى تاج العروس (كشش) .

(٣) حمراء : أى ناقة حمراء .

(٤) المرفض : الذى يتتابع سيلانه وترششه . وفى الأصل : « كأن شخب صوتها » صوابه فى المخصص (٨ : ١١٥) والخزانة (٤ : ٥٧١ بولاق) وأدب الكاتب ١٢٥ والاقتضاب ٣٤٥ واللسان (كشش) .

(٥) أجمعت : من الإجماع ، وهو العزم على الشىء . وفى الكتاب : « فأجمعوا أمركم » . س ، ه : « جمعت » ، وأثبت ما فى ط والمصادر المتقدمة . وبعد هذا البيت :

* فهى تحك بعضها ببعض *

ومثل هذا المعنى قول الآخر فى الاقتضاب وأمالى الزجاجى ١٢٠ واللسان (فا) :

كأن صوت شخبها إذا همى صوت الأفاعى فى خشى أشخما

(٦) فى الأصل : « مستنكرا » صوابه فى (٦ : ٦٨ ، ١٣٩) . والبيت لابن ميادة .

(٧) فى ثمار القلوب ٤٠٩ : « العرب تقول للرجل المنيع الجانب : حية الأرض » .

بَغَى بعضُهُمْ ظلماً فلم يُرْعِ على بَعْضٍ[١]
وفيهم كانَتِ السَّادا تُ والموفُون بالقرْض[٢]

يقال: «فلانٌ حَيَّةُ الوادى»، و«ماهو إلَّا صِلُّ أصلال[٣]». والصِّلُّ: الداهية والحيَّة. قال النَّابِغَةُ:

ماذَا رُزِئْنا بهِ من حَيَّةٍ ذَكَرٍ نَضْنَاضَةٍ بالرَّزايا، صِلِّ أصلالِ[٤]

وقال آخر:

صِلٌّ صفًا تَنْطِفُ أنيابُهُ سِمامَ ذيفانٍ مجيرات[٥]

وقال آخر[٦]:

مُطْرِقٌ يرشَحُ سمًّا، كما أطْرَقَ أفْعَى يَنْفثُ السمَّ صِلُّ

ومن أمثالهم: «صَمِّى صَمامِ[٧]» وَ«صَمِّى ابْنَةَ الجبل[٨]» وهى الحيَّة.

---

(١) روايته فى حماسة البحترى ١٦٩: «بغى بعضهم بعضا * فلم يرعوا».

(٢) القرض: ما يتجازى به الناس بينهم من إحسان، أو إساءة. يقول: هم قادرون على مقابلة الإحسان بالإحسان، والإساءة بمثلها. وفى ذلك المروءة، والقدرة. س: «بالعرض»، وأثبت ما فى ط، هـ. والشعراء ٦٩٠.

(٣) ويقال ضل أضلال، كما فى اللسان (ضلل) والمزهر (١ : ٣٢٣).

(٤) رزئنا به: أصبنا. وفى ط، هـ: «رأينا» و س: «رأيت»، وصوابه من اللسان (صلل) وثمار القلوب ٣٣٦ وأمثال الميدانى (١ : ٢٤). من حية: يقول: هو حية. والنضناضة: التى تحرك لسانها. أنثها ناظرا للفظ الموصوف.

(٥) تنطف أنيابه: يقطر منها السم. ط: «تنظف»، صوابه فى س، هـ. والسمام: جمع سم. والذيفان بالفتح والكسر: السم الناقع.

(٦) هو تأبط شرا، كما سبق فى (٣ : ٦٨) والحماسة (١ : ٣٤١)، وشرحها (٢ : ١٦٠ - ١٦١).

(٧) صم يصم، بفتح الصاد فيهما. وصمام كقطام: الداهية. والمثل يضرب للرجل يأتى بالداهية. اللسان وأمثال الميدانى (١ : ٣٦٢).

(٨) ابنة الجبل: الحية. أى لاتجيبى الراقى ودومى على حالك. يضرب للفريقين إذا أبيا الصلح ولجا فى الخلاف. أمثال الميدانى. وتكون ابنة الجبل أيضاً الداهية العظيمة، والصدى، أو الصخرة. اللسان (صمم).

قال الكميت :

إذا لَقِيَ السَّفِيرَ لها ونَادَى بها : صَمِّي ابْنَةَ الجَبَلِ ، السَّفِيرُ[١]

(قولهم : جاء بأم الربيق على أريق)

ومن أمثالهم : « جاء بأمِّ الرُّبَيق على أُرَيق[٢] » أمُّ الرُّبيق : إحدى الحيات . وأُرَيق : أمُّ الطَّبَق[٣] . ضربوا به مثلا فى الدواهى . وأصلها ٧٩ من الحيَّات قال :

إذا وجدْتَ بواد حَيَّةً ذَكَرًا

فاذْهَبْ وَدَعْنِي أُمارِسْ حَيةَ الوادى[٤]

---

(١) يقول : إذا لقى السفير السفير ، فأخر الفاعل . و « بها » و « لها » يرجعان إلى الحرب . اللسان وأمثال الميدانى . والمعنى : إذا فشل السفيران المنتدبان — بكسر الدال — للصلح وفض النزاع ، وتركا الحرب فى شدتها لا يستطيعان لها دفعا . فى الأصل : « إذا ألقى » ، وتصحيحه من اللسان وأمثال الميدانى .

(٢) رواه الفراء : « لقيت منه أم الربيق على وريق » .

(٣) فى الأصل : « وأريق الطبق » وهو كلام ناقص . وأم طبق من كنى الحيات . ومنه قول خلف الأحمر ، حين نعى إليه المنصور :

قد طرقت ببكرها أم طبق فذمروها وهمة ضخم العنق

انظر اللسان (طبق) وثمار القلوب ٢٠٧ . وسميت أم طبق لترحيها وتحويها كالطبق ، أو لإطباقها على من تلسعه . و « أريق » من الحيات ، كما فى قول العجاج :

وقد رأى دونى من تهجمى أم الربيق والأريق الأزنم

بدلالة قوله : « الأزنم » وهو الذى له زنمة من الحيات . اللسان (أرق) ، وفيه كلام صرفى خاص بهذه الكلمة .

(٤) حية الوادى : مثل الرجل المنيع الجانب ؛ فإن حية الوادى تحميه فلا يقربه شىء . ثمار القلوب ٣٣٥ وفيه البيت . وروى فى المخصص (١٦ : ١٠١) : « إذا رأيت » . . . الخ .

(قولهم : أدرك القُوَيْمَّة لا تأكلها الهُوَيْمَّة)

وفى المثل : « أدرك القُوَيْمَّة لا تأكلها الهُوَيْمَّة » يعنى[1] الصبى الذى يدرُج ويتناول كلَّ شىءٍ سنَح له ، ويَهوى به إلى فيه . كأنه قال لأمّه : أدركيه لا تأكلْه الهامَّة ! وهى الحيَّة . وهو قوله[2] فى التعويذ : « ومن كلِّ شيطان وهَامَّة ، ونَفْسٍ وعينٍ لامَّة[3] » :

(شعر للأخطل فى الحية)

وقال الأخطل ، فى جعلهم الرَّجلَ الشجاعَ وذا الرَّأى[4] الدَّاهية حية — وكذلك يجعلون إذا أرادوا تعظيمَ شأنها . وإذا أرادوا ذلك فما أكثر مايجعلون الحيَّةَ ذكرا . قال الأخطل :

أنبئت كلباً تمَنَّى أنْ يسافهنا وطالما سافهُونا ثمَّ ماظفِرُوا[5]

---

(١) أى بقوله : « القويمة » ، وهو تصغير « قامة » بتشديد الميم . اللسان (قم ٣٩٥) وفى أمثال الميدانى (١ : ٢٤٢) : « ويعنى بها — أى القامة — الصبى ؛ لأنه يقمّ كل ما أدرك ، يجعله فى فيه ؛ فربما أتى على بعض الهوام ، كالعقرب وغيرها . . . يضرب فى حفظ الصبى وغيره . والمراد به إدراك الرحل الجاهل لا يقع فى هلكة » .

(٢) أى فى الحديث النبوى . روى ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول : « أعيذكما بكلمات الله التامة ، من شر كل شيطان وهامة ، ومن شر كل عين لامة » . ويقول : « هكذا كان إبراهيم يعوذ إسماعيل وإسحاق عليهم السلام » .

(٣) اللامة : التى تصيب بسوء .

(٤) ط : « وإذا لرأى » ، صوابه فى س ، هـ .

(٥) كذا الرواية فى الأصل . وأراد بكلب : القبيل ، فذكره . ورواية الديوان ٢٦٨ : « أن تسافهنا » « وربما » .

كلفتمونَا رجالا قاطِعِى قَرَنٍ   مُسْتَلْحَقِينَ كما يُسْتَلْحَقُ اليَسَر [١]

ليست عليهم إذا عُدَّت خصالهم   خَصْلٌ وليس لهم إيجابُ ماقرُوا [٢]

قد أنْذِرُوا حَيَّةً فى رأس هضبتِهِ   وقد أتتهم به الأنباء والنذُرُ [٣]

باتُوا رُقُودًا على الأمْهَادِ لَيْلَهم   وَلَيْلُهُم ساهرٌ فيها ، وما شعَرُوا [٤]

ثُمَّتَ قالوا أماتَ الماءُ حَيَّتَهُ   وما يكادُ يَنامُ الحية الذَّكَرُ [٥]

(حيَّة الماء)

وما أكثرَ مايذكرون حيّة الماء ، لأنّ حَيَّاتِ الماء [٦] فيها تفاوت . إمَّا أن تكون لاتضُرُّ كبيرَ ضررٍ ، وإمّا أن تكونَ أقتلَ من الحيَّاتِ والأفاعى .

---

(١) اليسر ، بالتحريك : صاحب القدح من قداح الميسر . وكانوا ربما جاء الرجل بقدحه بعد ما فاز منهم الواحد والاثنان ، فيسألهم أن يدخلوا قداحه فى قداحهم ، فيفعلون ذلك ، ويسمونه المستلحق . انظر الميسر والقداح ١٥٣ . وقوله : « قاطعى قرن » يعنى قيسا . وذلك أن كلبا لاموا تغلب فقالوا : أعنتم قيسا علينا ! فقال الأخطل : حملتمونا ذنب هؤلاء ، وألزمتموناه ، وليسوا منا ولا نحن منهم ، كما يستلحق الأيسار رجلا لم يكن معهم . ط ، س : « مستلحقين كما يستلحق السرر » ، هـ : « مستلحقين كما يستلحف السرر » ، صوابهما ما أثبت من الديوان والميسر والقداح .

(٢) س ، هـ : « انجاب ما قروا » ، صوابه فى ط والديوان . والرواية فيه .

ليست عليهم ديات يؤخذون بها   ولا يكون لهم إيجاب ما قروا

(٣) س : « بها الأنباء » ، والديوان : « به الأخبار » .

(٤) الأمهاد : جمع مهد بالضم ، وهو النشز من الأرض ، أو ما انخفض منها فى سهولة واستواء . ورواية الديوان : « باتوا نياما على الأنماط ليلهم » وليله » .

(٥) فى الديوان : « هناك قالوا أنام الماء حيته » .

(٦) هذه الكلمة ونظيرتها ، هى فى الأصل : « المساء » محرفة . وفى الأصل : « حية » .

(الهنديات)

ويقال إنَّ الهنديّات[١] إنما تصير فى البيوت والدُّور ، والإصطبلات ، والخرابات ؛ لأنَّها تُحمَلُ فى القُضُب[٢] وفى أشباه ذلك .

(علة وجود الحيَّات فى بعض البيوت)

والحيات تأكل الجرادَ أكلًا شديداً ، فربما فتحَ رأس كُرْزه[٣] وجرابه وجوالقه ، الذى يأتى الجراد[٤] ، وقد ضَرَبَه بَرْدُ السَّحَر ، وقد تَراكم بعضه على بعض ؛ لأنها موصوفةٌ بالصَّرَدِ[٥] .

والحيّاتُ توصَفُ بالصَّرَد ، وكذلك الحمير ، والماعزُ من الغنم . ولذلك قال الشاعرُ[٦] :

---

(١) الهندية : ضرب من الأفاعى ، ذكر فى ص ١٢١ . وفى ه : « الهندبات » مصحف .

(٢) أى فى قضب الشجر . والقضيب : الفرع . وذلك أن الحاطب ربما علقت الحيات ببعض ما يجمعه . وقالوا فى أمثالهم : « كحاطب ليل » ، فهو يجمع القضب والحيات وقد يصيبه منها الضرر الشديد .

(٣) الكرز ، بالضم وتقديم الراء : ضرب من الجوالق ، أو هو الخرج الكبير يحمل فيه الراعى زاده ومتاعه . ط ، ه : « كزره » س : « كنده » وهما تحريف ما أثبت .

(٤) كلمة « الذى » هى فاعل « فتح » المتقدمة . وما سيأتى إلى السطر الخامس من الصفحة الآتية ؛ استطراد معترض ، وتبدأ صلة الكلام بكلمة : « فربما » الآتية .

(٥) من صرد ، كفرح : وجد البرد سريعاً .

(٦) هو صخر بن الجعد الخضرى ، كما فى نقد الشعر ٤٣ والأغانى (١٩ : ٦٧) ومعجم البلدان (رسم جنان ، ذروة) . وهو شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية . وكان مغرما بكأس بنت جبير بن جندب ، وهى ابنة عمه . قالوا : وكانت كأس تشرب من غدير يقال له جنان ، وبحضرته أهلها ، فوقف طويلا عليه يبكى ، وقال الشعر الآتى .

بليت كما يبلى الوِكاءُ ولا أرى جَنَاناً ولا أكنافَ ذروة مَخلَق[1]
ألوِّى حَيازِيمى بهنّ صَبابةً كما تتلوَّى الحيَّة المتشرِّق[2]

وإنما تَشرَّقُ إذا أدركها بَرد السَّحر ولم تصر بعدُ إلى صلاحها ٨٠
و [إذا[3]] خرجت بالليل تكتسب الطعم كما يفعل ذلك سائر السِّباع .
فربما اجترف صاحبُ الكرز الجراد[4] ،فأدخله كرْزَه ، وفيه الأفعَى وأسودُ سالخَ ، حتى يُنقلَ ذلك إلى الدُّور ، فربما لقى الناسُ منها جهداً .

وقال بشر بن المعتمِر ، فى شعرهِ المزاوَج :

يا عجبًا والدَّهرَ ذو عجائب مِنْ شاهد وقلبُه كالغائبِ
وحاطب يَحْطِبُ فى بجادِهِ[5] فى ظلمة الليل وفى سوادِه
يحْطب[6] فى بجاده الأيْمَ الذَّكر والأسودَ السَّالخ مكروهَ النَّظَرْ

(شعر فى حية الماء)

فمن ذكر حَيَّة الماء ، عبد الله بن هَمَّام السلولىُّ فقال :

كَحَيَّة الماء لاتنحاش مِنْ أحَدٍ صُلْبُ المراس إذا ماحُلَّتِ النُّطق[7]

---

(١) الوكاء ، بالكسر ، أراد به هنا السقاء ، وهو بالكسر جلد السخلة يتخذ للماء . والرواية فى المصادر المتقدمة : « كما يبلى الرداء » . وجنان ، كسحاب : جبل أو واد بنجد . وفى الأصل : « جنابا » ، صوابه من معجم البلدان . وذروة ، بفتح أوله ويكسر : مكان حجازى .

(٢) ط : « يتلوى » . وفى نقد النثر : « تطوى » . واستشهد ابن رشيق فى العمدة (٢ : ٤٧) بهذا البيت على ما سماه « الإيغال » ، وهو المبالغة التى يكون موضعها قافية البيت .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) فى الأصل : « الجراد » وفى س : « فربما احترف » محرفان .

(٥) البجاد ، بالكسر : الكساء .

(٦) ط ، هـ : « يخطب » صوابه فى س . حطب الحطب : جمعه .

(٧) تنحاش : تنفر . وحلت النطق : كناية عن اشتداد الأمر . والنطق : جمع نطاق ، وهو شبه إزار فيه تكة .

وقال الشَّماخ بنُ ضِرار :

خُوصُ العيونِ تبارَى فى أزِمَّتِها إذا تفصَّدْن من حرِّ الصَّياخيدِ (١)

وكلُّهن تُبارِى ثِنْىَ مُطَّردٍ كحيةِ الماءِ وَلَّى غيرَ مَطْرُودِ (٢)

وقال الأخطل :

ضفادعُ فى ظلْماءِ ليل تجاوَبَت فدل عليها صوتُها حيَّةَ البَحْرِ (٣)

وقال أيضاً :

هَـلُمَّ ابنَ صَفَّارٍ فإنَّ قتالَنا جِهاراً وما مِنَّا مُلاوَذَةُ العُذْرِ

فإنَّكَ فى قيسٍ لَنَالٍ مُذَبْذَبٌ وغيرُك منهم ذو الثَّناءِ وذو الفخرِ

ونحن منعْنا ماءَ دِجْلةَ مِنكمُ ونمنَعُ مَا بينَ العِرَاقِ إلى البِشْرِ (٤)

ألا يا ابنَ صَفَّارٍ فلا تَرُمِ العُلَى (٥) ولا تذْكرَنْ حَيَّاتِ قَوْمِكَ فى الشِّعْرِ

فما تَرَكَتْ حَيَّاتُنا لَكَ حيَّـةً تَحَرَّكُ فى أرضٍ بَرَاحٍ ولا بحرِ (٦)

وقال نَفَيع (٧) [يعيِّره (٨)] بالكُحَيل (٩) :

---

(١) يقول : تلك الإبل الغائرة العيون تتسابق ، وقد تصبب عرقها من حر الهواجر . ورواية الديوان ٢٢ : « إذا تقصدن » بالقاف ، والتقصد أصل معناه الهلاك ، وأراد به تغيرها بعد السمن .

(٢) أى كل منها يسابق طرف زمامه . س ، ه : « فى مطردة » ، صوابه فى ط والديوان .

(٣) سبق الكلام على هذا البيت فى (٣ : ٢٦٨) .

(٤) البشر ، بالكسر : جبل بالجزيرة . ه : « البسر » ، صوابه فى ط ، س .

(٥) لا ترم : لا تطلب . يقول له : ليس ذلك من شأنك .

(٦) البراح ، كسحاب : المتسع من الأرض ، لا زرع به ولا شجر .

(٧) نفيع ، بالفاء وهيئة التصغير ، هو ابن سالم بن صفار المحاربى ، وقد هجاه الأخطل بالشعر المتقدم ، فقال هو الشعر الآتى . وفى الأصل : « تقيع » مصحف . انظر المؤتلف والمختلف ١٩٥ .

(٨) ليست بالأصل ، والكلام يشعر بالحاجة إليها .

(٩) الكحيل ، بهيئة التصغير : نهر أسفل الموصل ، كانت عنده وقعة هزمت فيها تغلب وألقوا بأنفسهم فى الماء . الأغانى (١١ : ٥٥) .

فإن تك قتـلاكُم بدِجلةَ غُرِّقَتْ   فما أَشْبَهَتْ قَتْلَى حُنينٍ ولا بَدْرِ
ثَوَوا إذ لَقُونا بالكحَيلِ كما ثوى   شَمامِ إلى يوم القيامة والحشرِ[1]
بدِجلةَ حالتْ حربُنَا دُونَ قومِنا   وأوطاننا ما بين دِجْلَةَ فالحضْرِ[2]
ولو كـنتمُ حَيَّاتٍ بحـرٍ لـكنتمُ   غَدَاةَ الكُحَيْلِ[3] إذ تقُومُون فى الغَمْرِ[4]

٨١

(ما يشبَّه بالأَيم)

فالأَيْم الحيَّةُ الذكر يشبهون به الزِّمام ، وربَّما شبَّهُوا الجاريَةَ المجدولة الخميصة الخواصر[5] ، فى مشيها ، بالأيم ؛ لأنَّ الحيَّة الذَّكرَ ليس له غَبَبٌ ، وموضعُ بطنِه مجدولٌ غيرُ متراخٍ . وقال ابنُ ميَّادة :

---

(١) شمام ، كقطام : جبل له رأسان يسميان ابنى شمام ، يضرب بهما المثل فى البقاء . قال لبيد :

فهل نبئت عن أخوين داما   على الأحداث إلا ابنى شمام
وإلا الفرقدين وآل نعش   خوالد ما تحدث بانهدام

(٢) الحضر ، بالفتح : مدينة بإزاء تكريت فى البرية ، بينها وبين الموصل والفرات . ياقوت . وفى الأصل : « فالحصر » ، وهو تحريف .

(٣) أى لكنتم حيات غداة الكحيل فاستطعتم السباحة . ط : « كذات الكحيل » س : « كذات الكحيل » صوابه من المؤتلف ١٩٥ .

(٤) تقومون : تقفون وتثبتون غير متقدمين ولا متأخرين ، وذلك فى الماء معطبة . هـ : « تعومون » ولا يصح به المعنى . ورواية الآمدى : « يلبون » من ألب بالمكان : أقام به ولزمه . والغمر : الماء الكثير . وفى الأصل : « القمر » وتصحيحه من المؤتلف .

(٥) الخاصرة : مافوق الحصر من الجلدة الرقيقة . وهما خاصرتان . فهو قد جمع وأراد الاثنتين . انظر المزهر (٢ : ١٢٥) .

قعدت على السَّعلاة تنفض مسحَهَا وتجذب مِثْلَ الأَيم فى بلدٍ قَفْرِ[١]
تيمَّمُ خيْرَ النَّاسِ مِنْ آل حاضر وتحمِلُ حاجاتٍ تضمَّنَهَا صَدْرِى[٢]

(شعر فى حمرة عين الأفعى)

وقال الآخر فى حمرة عين الأفعى :

لولا الهِــراوةُ والكِفَـاتُ أَوْرَدَنِى حَوْضَ المنيَّة قَتَّالٌ لِمَنْ عَلِقَـا[٣]
أصمُّ منهــرتُ الشِّدْقين ملتبــدٌ لم يُغْذَ إلاَّ المنايا مِنْ لَدُنْ خُلِقَـا[٤]
كأنَّ عينيــه مِسْمَارَانِ[٥] مِنْ ذَهَبٍ جلاهُما مِدْوسُ التَّأَلاقِ فائتلَقَـا[٦]

(شعر فى حمرة عيون الناس)

قال فى حمرة عُيون النَّاس فى الحرْب وفى الغضب ، ابنُ ميَّادة :

---

(١) السعلاة : اسم ناقة ابن ميادة ، كما فى الأغانى (٢ : ١١٤) . ومثل الأيم ، عنى به الزمام . يقول : هى تجذب زمامها من شــدة نشاطها . وفى الأغانى : « فى برة الصفر » .

(٢) رواية الأغانى : « تيمم خير الناس ماء وحاضراً » . وبعد البيت خمسة أخرى فى الأغانى .

(٣) الكفات : جمع كفة ، بالكسر ، وهى من آلات الصيد . ط ، ه : « السفاة » ، صوابه فى س .

(٤) منهرت الشدقين : واسعهما . ط ، ه ، « منهرة » ، صوابه فى س . فى س : « لم يغذ » ، من الغذاء . ط ، س : « يفد » ه : « يغد » صوابهما ما أثبت .

(٥) فى الأصل : « مسماكان » . ولا تصح ؛ فإن المسماك : عود الخباء . وقد ذكر الدميرى فى كلامه على الحية : « وعينها لا تدور فى رأسها ، بل كأنها مسمار مضروب فى رأسها » . وانظر ما أسلف الجاحظ فى ص ١٧٩ س ١٢ .

(٦) المدوس ، بالكسر : خشبة يشد عليها مسن ، يدوس بها الصيقل السيف حتى يجلوه . والتألاق : تفعال من ألق ، بمعنى لمع . وفى الأصل : « التلاق » ! وائتلقا : لمعا وبرقا . وفى الأصل : « فابتلقا » . والوجه ما أثبت . وانظر البيان (٣ : ٦٠) .

وعند الفَــزَارِى العراقى عارض كأَنَّ عيونَ القَوْم فى نبضة الجمرِ [١]

وفى حمرة العين من جهة الخِلْقةِ ، يقول أبو قُرْدُودة ، فى ابن عمــارٍ [٢] حينَ قتله النُّعمان :

إنِّى نهيتُ ابنَ عَمَّارٍ وقلتُ له : لا تأمَنَنْ أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ والشعَرَهْ

إنَّ المــلوك متى تنزِل بساحتِهِمْ تَطِرْ بنارك مِنْ نِيرانهــم شَرَرَهْ

ياجفنَةً كإزاء الحَوْض قد هُدِمَتْ ومَنْطِقًا مِثْلَ وَشْيِ الْيَمْنَةِ الحَبِرَهْ [٣]

(معرفة فى الحية)

وأكثرُ ما يذكرون مِنَ [٤] الحيــات بأسمائها دون صفاتها : الأفعى ، والأسود ، والشجاع ، والأَرقم . قال عمر بن لجأ :

* يلزق بالصَّخْرِ لُزُوقَ الأرقَمِ *

وقال آخر :

ورفَّع أولى القوم وقعُ خرادِلٍ [٥] ووقعُ نبال مثل وقــع الأساوِدِ

(١) ط ، س : « القرارى » ، صوابه فى هـ .

(٢) هو عمرو بن عمار الطائى ، كان شاعراً خطيباً ، فبلغ النعمان حسن حديثه فحمله على منادمته ، وكان النعمان أحمر العينين والجلد والشعر ، وكان شديد العربدة ، قتالا للندماء ، فنهاه أبو قردودة عن منادمته ، فلما قتله النعمان رثاه بالشعر الآتى . البيان (١ : ٣٢٢ ، ٣٤٩) والحيوان (٥ : ٣٣٢) ومعجم المرزبانى ٢٣٦ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢) .

(٣) كانت العرب تسمى السيد المطعام جفنة ؛ لأنه يضعها ويطعم الناس فيها . اللسان (جفن) . وإزاء الحوض : مصب الدلو فيه .

(٤) ط : « مر » صوابه فى س ، هـ .

(٥) لعلها : « خوازق » جمع خازق ، وهو السهم النافذ ، أو السنان . اللسان .

(ذكر الأفاعى فى بعض كتب الأنبياء)

وفى بعض كتب الأنبياء ، أنّ الله تبارك وتعالى قال لبنى إسرائيل :
« يا أولادَ الأفاعى[1] » .

(أمثالٌ وشعر فى الحية)

ويقال : « رَمَاهُ الله بأفْعَى حَارية[2] » وهى التى تحرى[3] ، وكلما كبرت فى السن صغُرت فى الجسم . وأنشد الأصمعىُّ فى شـدَّة اسوداد أسود سالخ :

مُهَرَّت الأشداق عَوْدٍ قد كَمل[4] كأنما قيظ من لِيط جُعَل[5]

وقال جريرٌ فى صفة عُرُوقِ بَطْنِ الشَّبْعَانِ[6] :

٨٢ وأعـور من نَبْهَانَ أمَّا نهـارَه فأعمَى ، وأمَّا ليـله فبصـيرُ[7]

(١) هذه العبارة التى يشير إليها الجاحظ ، تجدها فى إنجيل متى (الأصحاح ٣ : ٧) والنص فيه : « فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته قال لهم : ياأولاد الأفاعى ! من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى ؟! » . ومثل هذا النص فى إنجيل لوقا أيضاً (الأصحاح ٣ : ٧) . وضمير (قال) عائد إلى يوحنا المعمدان — وهو يحيى بن زكريا عليهما السلام — يعظ اليهود مبشراً بعيسى عليه الصلاة والسلام .

(٢) ط ، هـ : « جارية » صوابه بالحاء المهملة كما فى س .

(٣) حرى يحرى ، كرمى : نقص . وفى ط ، س : « تجرى » ، صوابه فى هـ .

(٤) فى الأصل : « مهروتة » ، والوجه ما أثبت من (٣ : ٥٠٢) .

(٥) كذا . وانظر رواية البيت وشرحه فى (٣ : ٥٠٢) .

(٦) س : « عروق بطن » . ط ، هـ : « عروق بطن السنان » . ولا وجه للعبارتين . والصواب ما أثبت .

(٧) الأعور ، هو النبهانى ، واسمه عدى بن أوس ، أو سحمة بن نعيم ، وكان بينه وبين جرير مناقضة . انظر المؤتلف ١٦١ والمرزبانى ٢٥٣ . وصـواب رواية هذا البيت :

رَفَعْتُ له مشبوبةً يلتوى بها ... يكاد سناها فى السماء يَطيرُ[1]

فلما استوَى جنباه لاعَبَ ظلَّه ... عريضُ أفاعى الحالبَين ضريرُ[2]

قال : ويقال : « أَبْصَرُ من حيَّـةٍ » كما يقال : « أسمعُ مِنْ فرس » ، و : « أسمَعُ مِنْ عُقاب » . وقال الراجز :

* أسمَعُ مِنْ فَرْخِ العُقابِ الأسحمِ[3] *

وقال آخر[4] :

أسودُ شَرًى لاقَتْ أُسودَ خفيَّةٍ ... تساقَوْا عَلَى حَرْدٍ دِماءَ الأساوِدِ[5]

= وأعور من نبهان يعوى ودونه ... من الليل بابا ظلمة وستور

كما هو عند الآمدى والمرزبانى وفى الديوان ٢٦٥ . والذى أوهم الجاحظ ذلك أن فى القصيدة بيتا آخر ، يروى بهذه الرواية التى أثبتها ، ولكن موضعه فى نهاية القصيدة ، ويتضح لك ذلك من مطالعة الديوان ص ٢٦٦ س ٣ ، ٥ .

(١) مشبوبة : أى ناراً . وكانوا يرفعون النيران لترشد إليهم الضيفان . يلتوى : كذا جاءت الرواية هنا . وهى فى الديوان والمؤتلف : « يهتدى » .

(٢) استوى جنباه : أى برزا من امتلائهما . فى الأصل : « استوت » محرفة . لاعب ظله : أى جعل ذلك النبهانى يلاعب ظله مما طرأ عليه من السرور . وضمير « ظله » راجع إلى « عريض » . والحالبان : عرقان أخضران يكتنفان السرة إلى البطن . وفى الأصل : « عروض أفاعى الحالتين » ، تصحيحه من النقائض . وانظر الرواية فى الديوان .

(٣) الأسحم : الأسود . وفى الأصل : « الأشجع » ، صوابه فى (٦ : ٤٣٩). وفى الدميرى « فأما العقاب فنها السود والخوخية والسفع والأبيض والأشقر » .

(٤) هو الأشهب بن رميلة ، كما فى البيان (٤ : ٥٥) والكامل ٣٣ ، ٤٣٨ ليبسك والعقد (١ : ٥٣) واللسان (حرد) .

(٥) شرى : جبل بنجد ، أو تهامة ، مشهور بكثرة السباع . وخفية : أجمة فى سواد الكوفة . هـ : « حفية » بالحاء المهملة صوابه فى ط ، س والمراجع المتقدمة وكذا الأضداد ١٩٨ والمقصور ٥٨ والمخصص (١١ : ٤٨) . والحرد : الغضب . وروى فى المقصور : « لوح » . واللوح ، بالضم ، ويفتح : العطش . وقبل البيت : =

ضَرَبَ المثَلَ بجنسين من الأَسْود ، إذْ كانا[1] عندَه الغايةَ فى الشدَّة والهوْل ، فلم يقنع بذلك حتى ردَّ ذلك كُلَّهُ إلى سموم الحيّات .

(مايشبَّه بالأَسوَد)

وفى هَوْل منظر الأَسْوَد يقول الشاعرُ[2] :

مِنْ دُونِ سَيْبِكَ لونُ ليــلٍ مُظلمٍ وَحَفيفَ نافحةٍ وكَلْبٌ مُوسَدُ[3]

والضَّيْفَ عِنْدَكَ مِثْلُ أسودَ سالخٍ لا بَلْ أحَبُّهُما إليكَ الأَسْوَدُ[4]

ويصِفُون ذوائبَ النساء ، فإذا بلغوا الغايةَ شبهوها بالأساود . قال جِرانُ العَوْدِ :

ألا لا تَغرَّنَّ امرأً نَوْفَلِيَّـــةٌ على الرَّأس منها ، والترائبُ وُضَّحُ[5]

ولا فاحِمٌ يُسْقَى الدِّهانَ كأنَّهُ أساوِدُ يزهاها لعينك أبْطحُ[6]

= وإن الذى حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد
هم ساعد الدهر الذى يتقى به وما خير كف لاتنوء بساعد

(١) فى الأصل : « كان » ، وصوابه ما أثبت .

(٢) هو حسيل بن عرفطة ، الذى تقدمت ترجمته فى (٣ : ١٠٢) . انظر نوادر أبي زيد ٧٥ وديوان المعانى (١ : ١٠٦) والحيوان (١ : ٣٨٣) .

(٣) النافجة ، بالجيم بعد الفاء : الريح تبدأ بقوة . وفى الأصل وكذا ديوان المعانى : « نافحة » ، وصواب الرواية من النوادر . و : « كلب » هى فى الأصل : « قلب » صوابه من المراجع المتقدمة .

(٤) مكان : « أحبهما » بياض فى س .

(٥) النوفلية : ضرب من الامتشاط ، وفسره صاحب التهذيب بأنه شىء يتخذه نساء الأعراب من صوف يكون فى غلظ أقل من الساعد ، ثم يحشى ويعطف ، فتضعه المرأة على رأسها ، ثم تختمر عليه . ورواية الديوان واللسان : « على الرأس بعدى » . والترائب . جمع تريبة ، وهى موضع القلادة . وضح : جمع واضحة بمعنى مشرقة .

(٦) الأبطح : بطن واد فيه رمل وحجارة . الديوان : « لعينيك » ، واللسان : « مع الليل أبطح » .

(استطراد لغوى)

قال : والخرشاء[1] : القشرة الغليظة بعد أن تنقب فيخرج مافيها ، وجماعهُ الخراشىّ[2] ، غير مهموز. قال : وخرشاء الحيّة : سلخها حين تَسْلخ[3] وقال . هذا أسود سالخ ، وهذان أسودان سالخان ، وأساود سالخة .

وقال مرَقِّش :

إن يَغْضَبُوا يغضب لِذَا كَمْ كما   يَنْسلُّ عَنْ خِرْشَائِهِ الأَرْقَمْ

(تعليق الحلى والخلاخيل على السليم)

وكانوا يَرَوْنَ أَنّ تعليقَ الحَلْىِ ، وخَشخشة الخلاخيل على السّليم ، مِمّا لايفيق ولا يَبْرَأ إلاّ به ، وقال زَيْدُ الخيل :

أيم يكون النعل منــه ضَجِيعَه   كما عُلّقت فوقَ السليمِ الخَلَاخِلُ[4]

وخبّرنى خالد بن عقبــة ، من بنى سلمة بن الأَكوع ، وهو من بنى المسبع ، أنّ رجُلاً من حَزْن ، من بنى عذرة ، يسمَّى أسْباط ، قال فى تعليقهم الحَلْىَ على السَّليم :

---

(١) جاءت هذه الكلمة مقصورة فى الأصل ، وصوابها المد .

(٢) جماعه : أى جمعه . وفى ط ، هـ : « جماعة » س : « جماعته » وصوابه ما أثبت . وكلمة « الخراشى » هى فى ط ، س : « الخراش » وفى هـ : « الخراشاء » تحريف ، صوابه من اللسان والقاموس والمقصور ٣٨ .

(٣) س : « تنسلخ ». وخرشاء، هى مقصورة فى الأصل، والصواب مدها ، كما فى المفضليات ٢٤٠ والمقصور والممدود ٣٨ وما سيأتى فى ص ٣٤٠ .

(٤) الخلاخل : جمع خلخل، وهو الخلخال ، ذاك الحلى . وكان العرب يعلقون الجلاجل أيضاً على اللديغ ، جمع جلجل ، وهو الجرس الصغير . انظر لذلك بلوغ =

أرِقْتَ فلم تَطْعَمْ لى الْعَيْنُ مَهْجَعَا ... وبِتُّ كما بَاتَ السليمُ مُقَرَّعَا[1]

كأنِّى سلـيمٌ نالهُ كَلْمُ حَيَّـةٍ ... تَرَى حَوْلَهُ حَلْىَ النِّسَاءِ مُرَصَّعَا[2]

٨٣ وقال الذُّبيانىُّ :

فبتُّ كأنِّى ساورتْنى ضَئيـلةٌ ... من الرُّقْشِ فى أنيابها السّمُّ ناقعُ

يُسَهَّدُ من ليـلِ التَّمام سليمُها ... لحـلْى النِّساءِ فى يديه قَعاقِـعُ

(استطراد فيه لغة وشعر)

قال : ويقال لسان طلْق ذلقٌ[3] . ويقال للسليم إذا لُدِغ : قد طلِّق ، وذلك حين تَرْجع إليه نفسُه . وهو قول النابغة :

تنـاذَرها الرَّاقُون من سُوءِ سمِّها ... تطلِّقُه طوراً وطوراً تُراجِعُ[4]

وقال العبدى[5] — إن كان قاله — :

= الأرب (٢ : ٣٠٤) وما أورد من الشواهد . وجاء فى شرح الوزير أبى بكر لديوان النابغة ٥٢ : « كان الحلى فى الزمان الأول له جلاجل يسمع صوته من المرأة إذا مشت » .

(١) مقرعا ، بالقاف بعدها راء : من التقريع ، وهو الإقلاق .

(٢) مرصعاً : معقوداً . وفى نهاية الأرب (٢ : ٣٠٥) : « موضعاً » وهى صحيحة من وضع البانى الحجر ، بالتشديد : نضد بعضه على بعض .

(٣) فى القاموس : « وطلق اللسان بالفتح والكسر ، وكأمير . ولسان طلق ذلق — ضبط كل منهما ككتف ، بالقلم — وطليق ذليق ، وطلق ذلق بضمتين ، وكصرد وكتف : ذو حدة » .

(٤) تناذرها الراقون : أنذر بعضهم بعضاً ألا يتعرضوا لها . فى الأصل : « تبادرها » ، وصوابه من الديوان ٥٢ والمخصص (٩ : ٦٥) واللسان (نذر) والكامل ٥٠٧ ليبسك . ويروى : « من سوء سمعها » بفتح السين وبكسرها ، بمعنى الشهرة . تطلقه : أى تطلق « السليم » المذكور فى البيت السابق ، والمعنى تخف الأوجاع عنه تارة وتشتد أخرى . قال المبرد : « وذاك أن المنهوش إذا ألح الوجع تارة وأمسك عنه تارة فقد قارب أن يوأس من برئه » .

(٥) يعنى بالعبدى هنا ، الممزق العبدى ، صاحب البيت السائر (انظر الشعراء ٣٦٠) :

فإن كنت مـأكـولا فـكن أنت آكلى ... وإلا فأدركنى ولمـا أمزق =

تبيتُ الهُمُــومُ الطَّارِقاتُ يَعُدْنَنِي كَمَا تَعْتَرِي الأَهْوَالُ رَأْسَ المطلَّق [1]

وأنشد :

تُلاقِي مِنْ تَذَكُّرِ آلِ ليــلى كما يَلْقَى السَّــلِيمُ مِنَ العِدَادِ [2]

والعِداد : الوقت . يقال : إنَّ تلك اللَّسعة لتَعَادُّه [3] : إذا عاده الوجَع في الوقت الذى لُسِع فيه .

(حديث الحمل المصْلىّ)

وذكر النبىَّ صلى الله عليه وسلم السمَّ الذى كان فى الحَمَلِ المَصْلِيّ [4] ، الذى كانت اليهوديَّةُ قدّمته إليه فنالَ منــه ، فقال : « إنَّ تِلك الأَكْلَة لتَعَادُّنى [5] » .

---

(١) ط : « تعدنني » س : « تفدنى » ه : « تعدنى » ، وصوابه ما أثبت من الكامل ٥٠٧ ليبسك . وفيه أيضاً : « كما تعترى الأوصاب » .

(٢) الرواية فى المخصص (٥ : ٨٨) والأضداد ٩٠ واللسان (عدد) : « يلاقى من تذكر » . وقد أقحم الشاعر كلمة « آل » ، فهى زائدة فى الكلام، وأراد : من تذكر ليلى نفسها . مثله ما جاء فى الحديث : « لقد أعطى مزماراً من مزامير آل داود » أراد : من مزامير داود نفسه .

(٣) ط : « لتعتاده »، صوابه فى س، ه .

(٤) المصلى : المشوى . صلى اللحم وغيره صليا : شواه . والمعروف فى الرواية أنها شاة ، لا حمل . تأويل مختلف الحديث ٢٢٥ ، والسيرة ٧٦٤ جوتنجن ، والتنبيه والإشراف ٢٢٣ . والتى أهدى الشاة هو زينب ابنة الحارث اليهودية ، امرأة سلام بن مشكم اليهودى ، وقيل : هى أخت مرحب اليهودى . الروض الأنف (٢ : ٢٤٣) ، وكانت سألت : أى عضو من الشاة أحب إلى الرسول ؟ فقيل لهــا : الذراع ، فأكثرت فيها من السم . وانظر بقية الخــبر فى السيرة (غزوة خيبر) .

(٥) ط : « لتعتادنى » وصوابه فى س ، ه والروض الأنف ، وتأويل مختلف الحديث ، والمخصص (٥ : ٨٨) والأضداد ٩٠ واللسان (عدد) . والرواية فى هذه المصادر : « ما زالت أكلة خيبر تعادنى فهذا أوان قطعت أبهرى » . =

(جلد الحية)

وفى الحيَّة قِشْرُها ، وهو أحسنُ من كلِّ ورقةٍ وثوبٍ ، وجَناحٍ ، وطائر ؛ وأعجبَ من سِتْر العنكبوت ، وغِرْقِئ[1] البيض .

(ما يشبَّه بلسان الحية)

ويقال فى مثلٍ ،إذا مدحوا[2] الخفَّ اللَّطيف،والقدَمَ اللَّطِيفة ،قالوا : كأنّه لِسَانُ حيَّة .

(نفع الحية)

وبالحيّة يتداوَى من سمّ الحيّة . ولِلدغ الأفاعى يُؤْخَذ التِّرياقُ الذى لا يُوجَدُ إلاّ بمتون[3] الأفاعى . قال كثيِّر :

وما زالَتْ رُقَاك تَسُـلُّ ضِغْنِى ... وتُخْرِجُ مِنْ مَكامِنِها ضِبَابِى[4]

وترْقِيـنى لك الحاوون حتَّى ... أجابَكَ حيَّةٌ تحتَ الحجاب[5]

= وقد قال هذا القول فى مرضه الذى توفى فيه . وهو دليل على أنه صلى الله عليه وسلم مات شهيداً .

(١) الغرقىء ، كزبرج : القشرة الملتزقة ببياض البيض .

(٢) فى الأصل : « مدح » .

(٣) ط : « لا يؤخذ إلا بمنون » ، س ، ه : « لا يؤخذ إلا بمتون » وصوابهما ما أثبت . والمتن : الظهر .

(٤) الضباب ، بالكسر : جمع ضب ؛ بالفتح والكسر ، وهو الضغن والعداوة . وهو يخاطب بهذا الكلام عبد العزيز بن مروان كما فى الموشح ١٤٣ والصناعتين ٧٢ وزهر الآداب (٢ : ٦٣) وابن سلام ٤٦٤ . وفيها جميعاً نقد جيد لهذين البيتين .

(٥) ترقينى ، كذا فى الأصل ، وهى صحيحة . وفى الكتاب : « إلا الذى آمنت به =

(قصة امرأة لدغتها حية)

جويبر بن إسماعيل ، عن عمّه ، قال : حججتُ فإنّا لفى وَقْعَةٍ مع قوم[1] نزلوا منزلنا[2] ، ومعنا امرأة ،فنامت[3] فانتبهتْ وحيَّةٌ منْطوية عليها ، قد جمعَتْ رأسَها مع ذنبها بين ثدييها[4] ، فهالَها ذلك وأزعجَنا ، فلم تَزلْ مُنطوية عليها لا تضُرُّها بشيء ، حتَّى دخلنا أنصاب الحرم[5] ، فانسابتْ فدخلَتْ مكة ، فقضَينا نسكنا وانصرفْنا ، حتَّى إذا كنَّا بالمكان الذى انطوتْ عليها فيه الحيَّة ، وهو المنزل الذى نزلناه ، نزلتْ فنامت واستيقظت ، فإذا الحيَّةَ منطوِيَةٌ عليها ، ثم صفَرت الحيَّـةَ فإذا الوادى يسيلُ حيَّاتٍ عليها ، فنهشتْها حتَّى نَقَتْ[6] عظامَها ، فقلت لجاريةٍ كانت لها : ويْحَكِ ! أخبرينا عن هذه المرأة . قالت : بغَتْ ثلاثَ مرَّاتٍ ،كلَّ مرّة تأتى بولدٍ ، فإذا وضعَتْه سَجرت التنّور[7] ، ثمّ ألقته فيه .

٨٤

= بنو إسرائيل » . انظر لذلك ما أسلفت فى ص ١٩٣ . والرواية فى المراجع : « وبرقين » . والحاوون : جمع حاو . وفى ط ، س : « الحادون » . و هـ : « الحاؤن » محرفان ، صوابهما فى المراجع المتقدمة .

(١) الوقعة ، بالفتح : النومة فى آخر الليل . ط : س : « من قوم » ، صوابه فى هـ .

(٢) ط ، س : « إذ نزلوا منزلنا » هـ : « إذ أنزلوا منزلنا » ، وكلمة « إذ » مقحمة .

(٣) س : « فقامت » .

(٤) ط ، هـ : « ثديها » س : « أيديها » ، وصوابه ما أثبت .

(٥) أنصاب الحرم : حدوده ، كما فى القاموس واللسان .

(٦) نقى العظم نقياً : استخرج نقيه . والنقى بالكسر : مخ العظام .

(٧) سجرت التنور : أحميته وأوقدته . والسجور ، بالفتح : الوقود. وفى الأصل : « شجرت » ، وهو تصحيف . والتنور : ما يخبز فيه .

(قول امرأة فى علىّ والزّبير وطلحة)

قال : ونظرت امرأةٌ إلى علىٍّ ، والزُّبير ، وطلحة ، رضى الله تعالى عنهم ، وقد اختلفتْ أعناقَ دوابّهم حين التقَوا ، فقالت : من هذا الذى كأنه أرقَمُ يتلمَّظ ؟ قيل لها : الزُّبير . قالت : فمن هذا الذى كأنَّه كُسِر ثمَّ جُبِر[1] ؟ قيل لها : علىٌّ . قالت : فمن هذا الذى كأنَّ وجهه دينارٌ هِرَقْلىٌّ[2] ؟ قيل لها : طلحة .

(استطراد لغوى)

وقال أبو زيد : نَهشت أَنْهشُ نهشاً . والنَّهش : هو تناولك الشَّىءَ بفيك ، فتمضَغُه فتؤثِّر فيه ولا تجْرحه . وكذلك نَهْش الحيَّة . وأمَّا نَهْش السَّبع فتناوله من الدَّابَّةِ بفيه ، ثمَّ يقطع ما أخذَ منــه فوه . ويقال نَهشت اللحم أَنهَشُه نَهشاً[3] ، وهو انتزاع اللَّحم بالثَّنايا ؛ للأَكل . ويقال نَشَطت العَقْد نَشْطاً : إذا عقدته بأنْشوطة[4] . ونَشَطت الإبلُ تنشِط نَشْطاً : إذا ذهبتْ على هدًى أو غير هدى ، نزعاً أو غير نزْع . ونشطتْه الحَيَّــةُ فهى

(١) وذلك أن علياً كان قصيراً حادراً ضخم البطن ، أفطس الأنف ، دقيق الذراعين . المعارف ٩١ .

(٢) الدينار الهرقلى نسبة إلى هرقل . قال الأب أنستاس مارى فى حواشى النقود العربية ٢٥ : « وكان ذهبه من أحسن الذهب ، وشكله حسناً بديعاً » . وقد روى ابن قتيبة حديث هذا المرأة فى عيون الأخبار (٤ : ٢٥) برواية أخرى .

(٣) فرق بعض اللغويين بين (النهش) و (النهس) فقالوا : نهش اللحم : أخذه بأضراسه . ونهسه : أخذه بأطراف الأسنان . وسوى بعضهم بينهما .

(٤) الأنشوطة ، بالضم : عقدة يسهل انحلالها . ط ، هـ « بالنشوطة » ، صوابه فى س . وفى اللسان : « ونشطت العقد : إذا عقدته بأنشوطة » .

تنشِطهُ نَشْطاً ، وهو أن تَعضَّه عضًّا . ونكزَتْهُ الحيَّةُ تنكُزُه نكْزاً ، وهو طعنُها الإنسان بأنفها[1] . فالنَّكز من كلِّ دابَّةٍ سوى الحيَّة العضّ. ويقال : نَشطَتْه شَعُوبُ نَشْطاً[2] وهى المنيَّة :

قال : وتقول العرب . نشطهُ الشَّعوب ، فتدخل عليها التعريف

(علة تسمية النَّهيش بالسَّليم)

ويسمون النهيش سليماً على الطيرَة[3] . قال ابنُ ميَّادة :

كأنِّى بها لَمَّا عرَفْت رُسومَها   قتيلٌ لدَى أيدِى الرُّقاةِ سَليمُ

(شعر فى الحية)

وممَّا يضربون به المَثَلَ بالحيَّات فى دواهى الأمر ، كقول الأُقَيْبل القينِيّ[4] :

لَقَدْ علِمْتُ ، وخيرُ القَوْلِ أنْفعه[5]   أنَّ انطِـــلاقى إلى الحجَّاج تغْريرُ

---

(١) فى الأصل : « بفيها » . وهو تحريف ، تصحيحه من اللسان والقاموس .

(٢) شعوب ، بالفتح ومنع الصرف : علم للمنية ، سميت بذلك لأنها تشعب ، أى تفرق . ودخول (أل) عليها ، مثل دخولها على العباس ، والحسن ، والحارث .

(٣) الطيرة ، كعنبة : مايتشاءم به من الفأل الردىء . فالمعنى على تشاؤمهم من تسميته بالنهش .

(٤) هو الأقيبل بن نبهان بن خنيف ، شاعر إسلامى كان فى زمن الحجاج . وكان الأقيبل مع الحجاج بن يوسف حين خرج إلى ابن الزبير ، فهرب من الحجاج لما رأى البيت يضرب بالمجانيق ، وقال شعراً أغضب الحجاج ، فطلبه فاحتمى بقبر مروان ، فأمنه عبد الملك وكتب إلى الحجاج ألا يعرض له ، فقال قومه : إنك إن أتيت الحجاج قتلك ، فطرح الكتاب وهرب ، وقال الشعر الآتى . وفى الأصل ، وكذا الجزء السابع ص ١٠٢ : « العتبى » وصوابه من المؤتلف ٢٤ ومن نسخة كوبريلى الجزء السابع . وهو نسبة إلى بنى القين بن جسر .

(٥) رواية الآمدى :

* إنى لأعلم والأقدار غالبة *

لَئِنْ ذَهَبْتَ[١] إلى الحجَّاج يقتُلُنى   إِنِّى لأحمقُ مَنْ تُحْـدَى به العِيرُ
مستحقباً صُحُفاً تَدْمَى طوَابِعها[٢]   وفى الصَّحائف حيَّـاتٌ مَنَاكِيرُ

(استطراد لغوى)

وقال الأصمعىّ : يقال للحيَّة الذَّكر أيِّم وأيم ، مثقَّل ومخفف ، نحو لَيِّن ولين ، وهيِّن وهَين . قال الشَّاعر[٣] :

هَيْنُونَ لَيْنُون أيسَـارٌ ذَوُو يسَرٍ   سُـوَّاسُ مَكْرُمَة أبْنَاءُ أيْسَارِ

وأنشد فى تخفيف الأيم وتشديده[٤] :

ولقد وَرَدْتَ المـاء لم تشْرَبْ بِهِ   زَمَنَ الرَّبيع إلى شهور الصَّيِّفِ[٥]
إلاَّ عوَاسِرُ كالمِـراط مُعِيـدَةٌ   باللَّيـل مَوْرِدَ أيِّم متغضِّف[٦]

---

(١) رواية الآمدى :

* لئن حدى بى . . . . . . *

(٢) استحقب الشىء : حمله فى مؤخرة الرحل . ط : « مستحليا » س : « مستخفيا » هـ : « مستحفيا » وهو تحريف ما أثبت من المؤتلف والجزء السابع . والطوابع ، جمع طابع ، بفتح الباء وكسرها ، وهو الخاتم الذى يختم به الرسائل ونحوها . ط ، هـ : « طوائعها » س : « طوالعها » صوابهما من الجزء السابع .

(٣) انظر تحقيق اسمه فى (٢ : ٨٩) ، وكذا شرح البيت ورواياته فى : (٢ : ٩٢) .

(٤) قائل البيتين هو أبو كبير الهذلى ، كما فى ديوان الهذليين (٢ : ١٠٥) واللسان (صيف ، غضف) وأمالى القالى (٢ : ٨٩) .

(٥) وردت ، بفتح تاء المخاطب ، يخاطب رجلا رثاه من قومه . وقبل البيت ، كما فى تنبيه البكرى ٩٩ :

أزهير إن أخا لنا ذا مرة   جلد القوى فى كل ساعة محرف
فارقته يوما بجانب نخلة   سبق الحمام به زهير تلهفى

وفاعل « تشرب » هو « عواسر » فى البيت الآتى . وروى فى الأمالى ، واللسان : « يشرب » .

(٦) « بالليل » هى فى الأصل : « بالعسل » وتصحيحه من اللسان (عسر ، صيف ، غضف) والأمالى .

الصَّيِّف ، يعنى مَطَرَ الصيف[1] . والعواسر : يعنى ذئابا رافعة أذنابها . ٨٥
والمِراط : السهام التى قد تمرَّط ريشها . ومُعيدة : يعنى معاودة للورْد .
يقول هو مكانٌ لخلائه[2] يكون فيه الحيَّاتُ ، وتَرِدُه الذِّئاب . ومتغضِّف
يريد بعضُهُ على بعض ، يريد تثنى الحيَّة .

وأنشد لابن هند[3] :

أودَى بأمِّ سُليمَى لاطِئٌ لَبِدٌ ... كحيَّةٍ منْطوٍ من بينِ أحجار[4]

وقال محمد بن سَعيد[5] :

قريحة لم تَدنِّيها السِّياط ولم ... تورَدْ عِرَاكاً ولم تعصر على كَدَرِ[6]
كمنْطوَى الحيَّةِ النَّضناضِ مكمنها ... فى الصَّدر مالم يهيِّجْها على زَوَرِ
الليث للَّيثِ منسوبٌ أظافرُهُ[7] ... والحيَّةَ الصِّلُّ نَجلُ الحيَّةِ الذَّكَرِ

---

(١) فى الأصل : « مطرا الصيف »، وتصحيحه من اللسان (صيف) والأمالى .

(٢) فى الأصل : « هو مكان الخلاية » ، تحريف ما أثبت . وعبارة القالى : « هذا المكان لخلائه ، من موارد الحيات » ، أى لكونه خاليا ترده الحيات .

(٣) هو عبد الله بن هند ، كما فى العقد (٦ : ١٢٧)

(٤) الحية تذكر وتؤنث . وفى العقد : « بحب سليم » ؛ وهو الصواب .

(٥) ط ، هـ : « سعد » ، وأثبت ما فى س . وقد ذكر المرزبانى من اسمه محمد بن سعد الكاتب التيمى ، وهو عربى بغدادى وأنشد له الأبيات التى أولها :

سأشكر عمراً إن تراخت منيتى ... أيادى لم تمنن وإن هى جلت

وقد روى الجاحظ الأبيات بعينها ، فى الرسائل ٢٣ ساسى ، ونسبها إلى محمد بن سعيد ، قال : « وهو رجل من الجند » . فإن صدق حدسى كان محمد هذا هو صاحب الأبيات المشار إليها بعينه .

(٦) القريح : الخالص . وعنى أن هذه الإبل أو الناقة التى ينعتها خالصة النسب . ويقال أورد إبله العراك وأوردها عراكا : أى أوردها الماء مزدحمة . وجاء فيه قول لبيد (وهو من شواهد النحويين) :

فأوردها العراك ولم يذدها ... ولم يشفق على نغص الدخال

وفى الأصل : « ولم تردد » ، وصوابه ما أثبت .

(٧) ط : « أظافره » ، صوابه فى س ، هـ .

وقال ذو الرُّمّةِ :

وأحْوَى كأيمِ الضّالِ أطْرَقَ بَعْدَمَا حَبَا تحتَ فينانٍ من الظّلِّ وارفِ [1]

قال : ويقال انبسّت الحيّات [2] : إذا تفرّقت وكثرت . وذلك عند إقبال الصّيف . قال أبو النّجم :

* وانبسّ حيّات الكثيبِ الأهْيَلِ [3] *

وقال الطِّرِمّاح :

وتجرَّدَ الأسروعُ واطَّرَدَ السَّفا وجرَتْ بجاليْها الحداب القَرْدَدُ [4]

وانسابَ حيّات الكثيبِ وأقبلَتْ وُرْقُ الفَرَاشِ لما يَشُبُّ الموقِدُ [5]

قال : ويقال جبأ عليه الأسودُ من جحره : إذا فاجأه . وهو يجبأ جبْئاً وجبُوًا .

وقال رجلٌ من بنى شيبان :

وما أنا مِنْ رَيْبِ المنونِ بجبَّإٍ وما أنا مِنْ سيْبِ الإلٰهِ بيائِسِ [6]

---

(١) الأحوى ، عنى به زمام الناقة ، كما فى المخصص (١٠ : ٩٥) . والأحوى : الذى يضرب سواده إلى الحمرة . والضال : نبت. وحبا : دنا ، كما فى اللسان (حبا) حيث استشهد بالبيت .

(٢) انبست ، بالسين ، كما فى س واللسان . وفى ط ، هـ : « أنبشت » مصحف . وكلمة « الحيات » هى فى س ، ط : « الحية » وتصحيحها من هـ .

(٣) ط ، هـ : « وانبش » صوابه فى س . وفى س ، ط : « الكثيف » صوابه فى هـ . والكثيب الأهيل : الرمل السائل الذى لا يثبت .

(٤) فى الأصل : « وجرت بحالتها » . وانظر ما سبق فى ص ٢٢٥ حيث تجد شرح البيت .

(٥) فى الأصل : « زرق الفراش » ، وتصحيح الرواية مما سبق ص ٢٢٥ .

(٦) الجبأ ، بضم الجيم وتشديد الباء المفتوحة : الهيوب الجبان . وقد وهم أبو عمرو الشيبانى فى تفسير هذه الكلمة من هذا البيت فجعلها الناجى من الأمر الذى انفلت منه . وقد اعترضه صاحب التنبيهات على أغلاط الرواة . وروى فى المخصص =

(ما يَشرع فى اللبَن)

قال : ويقال : اللَّبن مُحْتَضَرٌ[١] فغطِّ إناءك . كأنَّهم يَرَوْنَ أنّ الجنَّ تشرعُ فيه[٢] ، على تصديق الحديث فى قول المفقود[٣] لعمر ، حين سأله وقد استهوتْهُ الجانّ : ما كان طعامهم ؟ قال: الرِّمَّة . يريد العظم البالى . قال : فما شرابهم ؟ قال: الجدَف . قال: وهو كلُّ شراب لا يُخمَّر[٤] .

وتقول الأعراب : ليس ذلك إلاّ فى اللَّبَن . وأمَّا النَّاس فيذهبون إلى أنَّ الحَيَّات تشرع[٥] فى اللَّبَن ، وكذلك سامُّ أبرص ، وكذلك الحيَّات تشرع فى كثير من المرق .

(حديث فى المعصفر)

وجاء فى الحديث : « لا تَبيتُوا فى المعَصْفر[٦] ؛ فإنها مُحْتَضَرَةٌ » ، أى يحضرها الجنُّ والعُمَّار .

= (١٦ : ١٢) : « فما أنا من ريب الزمان » . والسيب ، بالفتح : العطاء . وروى فى المخصص (٣ : ٧٠) : « وما أنا من سيب الإلـه بآيس » ، على القلب.

(١) محتضر : يحتضره الجن ، والدواب وغيرها من أهل الأرض . س : « فقد أتاك » محرف .

(٢) تشرع فيه : تدخل فيه لتشرب . وفى الأصل : « تسرع فيه » ، مصحف .

(٣) أى الذى كان قد استهوته الجن : فيما يروون .

(٤) لا يخمر : أى لا يغطى .

(٥) فى الأصل : « تسرع » . وانظر ما سبق قريباً .

(٦) المعصفر : المصبوغ بالعصفر ، وهو زهر القرطم . ط : « العصفر » ، صوابه فى س ، هـ . وقد أعاد إليه ضمير المؤنث لما فيه من معنى الثياب .

وقال الشاعر فيما يمجنون[1] به ، من ذكر الأفعى :

رَمَاكَ اللهُ مِنْ أيرٍ بأَفْعَى ولا عافاك من جَهدِ البَلاءِ[2]

٨٦ أجُبْناً في الكريهة حِين تَلْقَى ونَعْظاً ما تفتَّرُ في الخلاءِ ! !

فلولا الله ما أمسى رَفيقى ولولا البولُ عُوجلَ بالخِصاءِ

وقال أبو النَّجم[3] :

نظَرَتْ فأعجبَها الذى فى دِرْعِها من حُسْنِها ونظرتُ فى سِرباليا[4]

فرأتْ لها كفلاً ينوءُ بخَصْرِها وعثًا روادفهُ وأخْثَمَ ناتيا[5]

---

(١) يمجنون ، من المجون . وفى الأصل : « يحكون » ، وصوابه ما أثبت . والشعر الآتى وما بعده مجونى .

(٢) سبقت هذه الأبيات فى (١ : ١٧٦) .

(٣) كان أبو النجم قد دخل على هشام بن عبد الملك ، وقد أتت له سبون سنة ، فقال له : يا أبا النجم ! كيف أنت والنساء ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما أنظر إليهن إلا شزرا ، ولا ينظرن إلى إلا كرها ! وعلى رأس هشام وصيفة تذب عنه ، فقال : يا أبا النجم : خذ هذه الوصيفة فابل بها نفسك ، واغد على بخبرك . فانصرف بها . فلما كان من الغد غدا عليه ، فقال : ما الذى صنعت يا أبا النجم ؟ فقال : لا والذى أكرمك بالخلافة يا أمير المؤمنين ، ما صنعت شيئاً ولا قدرت عليه ! وقد قلت فى ذلك أبياتا . ثم أنشده الشعر الآتى . فضحك هشام وأمر له بخمسة آلاف درهم وقال له : خذ هذه فاجعلها عوضاً مما فاتك . الأغانى (٩ : ٧٧) وكتاب المختار من شعر بشار ص ٢٠٩ .

(٤) الدرع : القميص . رواية الأغانى : « من حسنه » والمختار : « خلقها » .

(٥) ينوء بخصرها : أى ينوء خصرها بحمل كفلها ويثقل عليه ذلك . وهذا الضرب من التعبير يسمى القلب . وعثا روادفه : أصل الوعث : المكان السهل الدهس تغيب فيه الأقدام . وهذه هى رواية ط والأغانى والمختار . وفى س ، ه : « وعسا » بالسين ، وهى بمعنى الأول . والأخثم : المرتفع الغليظ . وناتيا ، أى بارزاً ، وأصله ناتئا . ورواية الأغانى والمختار : « جاثيا » .

وَرأيتُ منتشرَ العِجان مُقَبَّضا ... رِخْـوا حمائله وجِلْدًا باليا[1]

أُدْنِى له الرَّكَب الحَلِيقَ كأنما ... أُدنِى إليـه عقاربًا وأفاعيـا[2]

وقال آخر[3] :

مريضـةُ أثنـاءِ التَّهادى كأنما ... تَخافُ على أحشائها أنْ تَقطَّعا[4]

تسيبُ انسيابَ الأيْمِ أخصَرَه النَّدَى ... يرفِّع من أطرافه ما تَرفَّعـا[5]

(شعر فى العقربان)

وقال إياسُ بن الأرَتِّ[6] :

كأنَّ مَرْعَى أمِّكمْ سـوءةً ... عقْـرَبةٌ يَكُومُها عُقْرُبانْ[7]

---

(١) فى المختار : « منتفخ العجان مقلصا »، و الأغانى: « رخوا مفاصله » . وبين هذا البيت والذى قبله بيت رواه صاحب المختار ، وهو :

ارفع جبينك فيم أنت منكس ... أفضحتنى وطردت أم عياليا

(٢) الركب ، بالتحريك : الهن . وفى المختار « أدنى لك . . . . كما أدنى إليك » على الخطاب . وبعد هذه الأبيات خمسة أخرى فى الأغانى ، منها اثنان فى المختار .

(٣) بدله فى محاضرات الراغب (٢ : ١٣٩) : « ويستحسن للسعدى »، أى رجل من بنى سعد .

(٤) التهادى : مشى فى تمايل وسكون . ﻫ : « التهاوى » صوابه فى س ، ط والمحاضرات والحماسة (٢ : ٩٣) ومجموعة المعانى ٢١٢ . والرواية فى المحاضرات والحماسة : « مريضات أوبات التهادى » . ينعتها أو ينعتهن بلين المشية ودقة الخصر .

(٥) يقول : تتدافع فى السير تدافع تلك الحية التى أثر فيها برد الندى ، فهى فى مشيتها البطيئة وتدافعها ذلك ، ترفع من أجزائها بعضاً . ورواية المحاضرات والحماسة ومجموعة المعانى : « فرفع من أعطافه » .

(٦) لم أجد له ترجمة إلا ما قال صاحب القاموس فى (رتت) : « وإياس بن الأرت ، كريم ، شاعر » . والأرت اسمه خالد ، كما فى ذيل اللآلىء ص ٢٤ .

(٧) مرعى : اسم أمهم . يكومها : يخالطها . والعقربان ، بالضم : ذكر العقارب ، أو دويبة صفراء طويلة كثيرة القوائم ، تسمى فى مصر (أم أربعة وأربعين) =

إكليلُها زَوْلٌ وفى شَــوْلها وَخْزٌ حَدِيدٌ مِثْلُ وخز السنانْ[١]
كلُّ امرئٍ قدْ يُتَّقَى مُقبِــلاً وأُمُّكم قـــد تُتَّقَى بالعِجانْ[٢]

وقال آخَرُ[٣] لمُضِيفِهِ :

تَبيتُ تُدَهْــدِهُ القِذَّانَ حَوْلى كأنَّكَ عِنْــدَ رأسى عَقْرُبانُ[٤]
فــلو أطعمتنى حَمَلاً سَمِيناً شكرْتُكَ ؛ والطَّعامُ له مكانُ[٥]

= ويسميها العرب أيضاً دخال الأذن ، ويسميها علماء الإفرنج : Centipede . وعلى الوجه الثانى من التفسير استشهد صاحب اللسان بالبيت . ولست أستجيده . وقد أسلفت كلاما على هذا الشعر فى (٢ : ٢٨٦) .

(١) كنى عن قرنى العقرب بالإكليل . التبريزى (٤ : ٢٤) . والزول : الخفيف الحركة ، أو العجب . والشول : رفع الذنب . والوخز ، بالزاى : طعن لاينفذ. حديد : قوى . س ، هـ . « وخذ حديد » ، وصوابه فى ط والحماسة . وفى س: « مثل وخذ » و هـ : « مثل خز » وهما تصحيفان .

(٢) أى إذا أدبرت . ولعله يعنى أنها إذا غابت نمت بين الناس .

(٣) قائل الشعر الآتى هو الهيردان بن اللعين المنقرى . والهيردان ، بفتح الهاء بعدها مثناة تحتية وراء مضمومة . وقد ذكره المرزبانى فى معجمه ٤٨٨ . وأما أبوه اللعين المنقرى فقد أسلفت ترجمته فى (١ : ٢٥٦) . وكان من قصة الهيردان أنه نزل فى البصرة على رجل من الصلحاء يقال له ثبيت ، فأطعمه تمراً وأسقاه لبنا وقام يصلى ، فقال الهيردان الشعر الآتى. وقبل البيت الأول:

لخبز يا ثبيت عليه لحم أحب إلى من صوت الأذان

انظر معجم المرزبانى . وقد روى القالى فى أماليه (٣ : ١٧) هذه القصة ، ولم يذكر فيها اسم الهيردان ، وقال: إن ثبيتا هذا نزل به قوم ليلة فلم يعشهم وقام يصلى ، فقال رجل منهم الشعر الآتى .

(٤) يدهده : يدحرج أو يقلب بعضه على بعض . والقذان : البراغيث ، واحدها قذة ، كقوة . والرواية الجيدة : « تدهور القرآن »، ودهور كلامه : قحم بعضه فى إثر بعض . والعقربان سبق شرحه فى التنبيه السابع من الصفحة السابقة . وقال القالى فى شرح هذا البيت : « واختلفوا فى العقربان ، فقال قوم : هو ذكر العقارب ، وقال قوم : هو دخال الأذن . وهو الوجه » . وانظر التنبيه المشار إليه .

(٥) كذا الرواية أيضاً فى عيون الأخبار (٣ : ٢٢٠)، ولم يروه المرزبانى . ورواية القالى :

فلو أطعمتنى خبزاً ولحماً حمدتك والطعام له مكان

(شعر فى الحيات والأفاعى)

وقال النّابغة :

فلو يستطيعون دبّتْ لنا مَذاكى الأفاعى وأطفالُها[١]

وقال رجلٌ من قريش :

ما زالَ أَمْرُ وُلاةِ السُّوءِ مُنْتشِرًا حتّى أظلّ[٢] عليهم حيّةٌ ذكَرُ

ذو مِرّةٍ تفرَقُ الحيّاتُ صوْلَتَه عفُّ الشّمائلِ قدْ شُدَّتْ له المِرَرُ[٣]

لم يأتهمْ خبرٌ عنْهُ يلينُ له حتّى أتاهم به عن نفْسهِ الخبرُ

وقال بشار :

تزِلُّ القوافى عنْ لسانى كأنّها حُمات الأفاعى ريقهنَّ قضاءُ[٤]

[وقال[٥]] :

فكم من أخٍ قد كان يأمُلُ نفعكَمْ شجاعٍ له نابٌ حديدٌ ومخْلبُ[٦]

أخ لو شكرْتمْ فعْلهُ لوْ عَضَضْتمُ رءُوس الأفاعى عَضّ لايتهيّبَ[٧] ٨٧

(١) المذاكى : جمع المذكى، بتشديد الكاف المكسورة ، وهو المسن من كل شىء .

(٢) كذا فى الأصل بالظاء المعجمة .

(٣) المرر : جمع مرة ، بالكسر ، وهى القوة . أراد أنه قوى الشكيمة .

(٤) الحمات : جمع حمة بضم ففتح ، وهى ماتلدغ به الأفعى . وفى الأصل : « حماة » محرف . ريقهن قضاء : أى فيه القضاء على من سرى فيه . ط : ﻫ : « قضاب »، صوابه ما أثبت من س والمختار من شعر بشار ص ٩٠ . وقبل هذا البيت :

وقد علمت عليا معد بأننى إذا السيف أكدى كان فى مضاء

(٥) هذه الكلمة ليست بالأصل . وقد يكون القائل بشاراً ، وقد يكون غيره .

(٦) حديد : قوى .

(٧) فى الأصل : « لعضضتم »، وبذا يضطرب نسج البيت. والوجه ما أثبت . وقد حذف =

وقال الحارث دعىُّ الوليد، فى ذكر الأسْودِ بالسمّ من بين الحيّات :

فإنْ أنتَ أقررْتَ الغـداة بنِسْبتِى — عُرفتَ وإلاّ كنتَ فقْعاً بقَرْدَدِ [1]

ويشْمَتَ أعداءٌ ويجذَلُ كاشحٌ — عَمَرْتَ لهم سُمًّا على رأس أسْودِ [2]

وقال آخر :

ومعشرٍ منْقَعٍ لى فى صُدورِهِمُ — سمُّ الأساودِ يغـلى فى المواعيدِ

وَسَمْتُهم بالقوافى فـوْقَ أعيُنِهم — وسْمَ المعيدىِّ أعناقَ المقاحيدِ [3]

وقال أبو الأسود [4] :

ليتَكَ آذنتنى بواحـــدةٍ — جعَلْتَها مِنْكَ آخِرَ الأَبَدِ [5]

= جواب الشرط الأول ، اكتفاء بما يدل عليه جواب الشرط الثانى . أى لوشكرتم فعله لشاركـكم فى جميع ما أنتم فيه، حتى لو تقحمّ الصعبة لتقحمها معكم .

(١) الفقع : كمأة رخوة بيضاء . ويقال للذليل : « أذل من فقع بقرقرة »، وذاك أن الفقع لا يمتنع على من جناه ، أو أنه يوطأ بالأرجل . أمثال الميدانى (٢ : ٥٩) . والقردد : الأرض المستوية . وأما القرقرة فى المثل فهى الأرض المطمئنة اللينة .

(٢) عمرت لهم : أى أبقيت للأعداء .

(٣) أى جعل هجوه إياهم بالشعر السائر كالسمة الظاهرة فى جباههم . والمقاحيد : جمع مقحاد ، بالكسر ، وهو ما عظم سنامه من الإبل . و « المعيدى » كذا بالأصل . ولعلها « المعبد » بتشديد الباء الموحدة المكسورة ، وهو الذى يعبد الإبل ، أى يطليها بالقطران ليعالج جربها ؛ فان المعيدى تصغير المعدى نسبة إلى معد ابن عدنان ، وليس له وجه مناسب .

(٤) مثل هذه النسبة فى عيون الأخبار (٣ : ١٨٩) . ونسبه ياقوت فى معجم الأدباء (١ : ١٩٣) إلى إبراهيم الصولى فى محمد بن عبد الملك الزيات . وصاحب العقد (٣ : ٣٩٧) إلى أبى زبيد . وصواب نسبته أنه لأبى الأسد نباتة بن عبد الله ، كما فى طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٤٨ والأغانى (١٢ : ١٦٨)وديوان المعانى (٢ : ٢٠٣) إذ يقول فى القصيدة :

فصرت من سوء ما رميت به — أكنى أبا الكلب لا أبا الأسد

وأبو الأسود ، قال الجاحظ : اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان . وقال عمر بن شبة : اسمه عمرو بن سفيان بن ظالم . المزهر (٢ : ٢٦٣) . وأبو الأسود الدؤلى البصرى ، أول من أسس النحو ، وأول من نقط المصحف . وكان من سادات التابعين ، وكان شيعيا . انظر بقية نعته فى بغية الوعاة ٢٧٤ . توفى سنة ٦٧ بطاعون الجارف .

(٥) آذنه بالأمر : أعلمه . ورواية ابن قتيبة : « تجعلها منك » .

تَحْلِفُ أَلاّ تَبَرَّنِى أبدًا ... فإنّ فيها بَرْدًا على كَبِدِى [١]

إن كان رزقى إليك فارْم به ... فى نَاظِرَىْ حيّةٍ على رَصدِ [٢]

وقال أبَو السَّفَّاح [٣] يرثى أخاه يحيى بن عميرة [٤] ويسمِّيه بالشجاع [٥] :

يَغْدُو فلا تَكذِبُ شَدَّاتُهُ ... كما عدا اللَّيثُ بوادى السِّباعْ

يجمَعُ عَزْماً وأَنَاةً مَعاً ... ثُمَّتَ يَنْبَاعُ انبِيَاعَ الشجاعْ [٦]

وقال المتلمِّس :

فأطْرَقَ إطرَاقَ الشجَاعِ ، ولو يَرَى ... مَسَاغا لنَابَيْهِ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا [٧]

وقال مَعْمَر بن لقيط [٨] أو ابن ذى القروح [٩] :

شموسٌ يظلُّ القوم معتصما به ... وإن كان ذا حزمٍ من القَوْم عاديَا

---

(١) يقول : ليتك تحلف ألا تبرنى ؛ فقد سئمت برك وما تحملنى من المن .

(٢) فى معجم الأدباء : « فى ماصفاحيه » . وصواب ما فى المعجم : « فى ماضغى حية » .

(٣) كذا فى الأصل ومقطعات مراث ص ١١٦ . وكذا فى الموفقيات للزبير بن بكار طبعة وستنفلد . واسمه بكير بن معدان بن عميرة بن طارق اليربوعى . والشعر منسوب فى المفضليات ١٥٤ إلى السفاح بن بكير الثعلبى . نسبة إلى ثعلبة بن يربوع.

(٤) وقال أبو عبيدة : هى لرجل من بنىقريع ، يرثى بها يحيى بن ميسرة ، صاحب مصعب بن الزبير ، وكان وفى له حتى قتل معه . انظر شرح المفضليات ٦٣٠ ، وكذا خزانة الأدب (٢ : ٥٣٧ بولاق) .

(٥) الشجاع : ضرب من الحيات .

(٦) ينباع : يثب ويسطو .

(٧) روى : « وأطرق » فى حماسة البحترى ١٥ ولباب الآداب ٣٩٣ والميدانى (١ : ٣٩٥) . وروى فى سر الصناعة : « لنابامه » . وبه يستشهد النحويون على إلزام المثنى الألف فى أحوال الإعراب الثلاث عند بعض القبائل . انظر الخزانة (٣ : ٣٣٧ بولاق) ، وقد أخذ هذا البيت عمرو بن شأس فقال (انظر معجم المرزبانى ٢١٣) :

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى ... مساغا لنابيه الشجاع لقد أرم

(٨) كذا . ولعله : « لقيط بن يعمر » .

(٩) المعروف فى الشعراء : « ذو القروح » ، وهو امرؤ القيس .

أبيت كما بات الشجاع إلى الذُّرَى وأغدُو على همِّى وإن بتُّ طَاويَا

وإنِّى أهُضُّ الضَّيم منِّى بصارمٍ رهيفٍ وشيخٍ ماجدٍ قَدْ بَنَى ليا[1]

وهكذا صفة الأَفعَى ؛ لأَنها أبدًا نابتةٌ مستوية ، فإِنْ أنكَرَتْ شيئاً فَنَشْطتها كالبَرْقِ الخاطِف .

ووصف آخرُ أفعًى ، فقال :

وقَدْ أُرانى بطوىً الحسِّ وذاتِ قرْنَيْنِ طَحُونِ الضِّرْس[2]

نضناضةٍ مثل انثناء المَرْسِ[3] تدير عَيْناً كشهاب القَبْسِ

لمَّا التقَيْنَا بمَضِيقٍ شَكْسِ[4] حتى قَنَصْتُ قَرْنَها بِخَمْسِ[5] ٨/

وهم يتهاجَوْنَ بأَكل الأَفاعى والحيَّات . قال الشاعر :

فإِياكُمُ والرِّيفَ لا تَقربُنَّهُ فإن لديه الموتَ والحتمَ قاضيَا

هُمُ طردوكم عن بلادِ أبيكم وأنتمْ حُلولٌ تشتَوون الأَفاعيَا

وقال عمر بن أبى ربيعة :

ولمَّا فَقَدْتُ الصَّوتَ منهم وأُطْفِئَتْ مصابيح شُبَّت بالعِشاء وأنؤُر[6]

(١) أهض الضيم : أدفعه . وأصل الهض : الكسر والدق .

(٢) فى الأصل : « كجون الترس » . وأثبت ماعند الدميرى .

(٣) المرس ، وأصله المرس بالتحريك : الحبل . وقد سكن الراء للشعر . وفى الأصل : « الرس » ولا وجه لها .

(٤) شكس : ضيق . وانظر نهاية مادة (شكس) فى اللسان .

(٥) أى بخمس أصابع . س : « حتى قفصت » وفى س : ط : « قبوتها » وصوابهما فى هـ .

(٦) أنؤر ، بالهمزة : جمع نار . قال المبرد فى الكامل ٣٨٣ ليبسك : « وقوله : وأنؤر ، إن شئت همزت ، وإن شئت لم تهمز » . ورويت : « أنور » عند العينى (١ : ٣١٨) .

وغاب قُميرٌ كنت أرجُو مَغيبَه ورَوَّح رُعيانٌ وهَوَّمَ سُمَّرُ

ونفَّضتُ عنِّى الليلَ[1] أقبلتُ مِشْيَةَ الـ حُبَابِ، ورُكنى خِيفَةَ القوم أزْوَرُ[2]

(ضرب المثل بسم الأساود)

[و] [3] ضَرَبَ كلثومُ بن عمرو المثلَ بسمِّ الأساود، فقال[4] :

تلوم على تَرْكِ الغِنى[5] بَاهليَّةٌ[6] طوى الدَّهْرَ عنها كلَّ طِرْفٍ وتالِدِ

رأتْ حولها النِّسوانَ يرفُلْنَ فى الكُسا[7] مقلَّدةً أجيادُها بالقلائِدِ

يسرُّكِ أنِّى نلتُ ما نالَ جعفرٌ من الملك، أو ما نال يحيى بنُ خالد[8]

---

(١) يروى : « ونفضت عنى العين »، أى احترست منها وأمنتها . وقد أفرد العين وأراد بها العيون . والرواية هنا جيدة أيضا، بل هى أطيب وألطف . ورواية العينى : « وخفض عنى الصوت » .

(٢) الحباب، بالضم : الحية . أزور : مائل، فهو يتخفى .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) فى الأغانى (١٢ : ٨) : « وكانت تحته امرأة من باهلة، فلامته وقالت : هذا منصور النمرى قد أخذ الأموال، فحلى نساءه، وبنى داره، واشترى ضياعا، وأنت ههنا كما ترى ! فأنشأ يقول . . » . وهو بهذا الشعر « يعرض بالبرامكة، ويذكر عاقبة صحبة السلطان، وأنه ما المتعلق بها من غدر الزمان أمان » . غرر الخصائص الواضحة للوطواط ٤٠٨ . والشعر متداول فى مراجع كثيرة، منها عيون الأخبار (١ : ٢٣١) والعقد (٢ : ١٣٦) والبيان (٣ : ٣٥٣) ومروج الذهب (٢ : ٤٩٥) وزهر الآداب : (٣ : ٣٩) وحماسة ابن الشجرى ١٤٠ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢، ٢١٣) .

(٥) ط، ه : « الغناء »، صوابه فى س والمراجع المتقدمة .

(٦) ط : « لأهله » ه : « بأهلية »، صوابه فى س والمراجع المتقدمة . والباهلية : امرأته .

(٧) الكسا : جمع كسوة . يرفلن : يتبخترن .

(٨) يعنى جعفرا البرمكى، ويحيى بن خالد البرمكى . أما جعفر وهو ابن يحيى بن خالد =

وأنَّ أميرَ المؤمنين أعَضَّـني مَعَضَّهمَا بالمرْهَفَاتِ البَوَارد !(١)
ذريني تجئـني ميتتى مُطْمئنَّةً ولم أتَقَحَّمْ هَوْلَ(٢) تلكَ الموارد
فإن كريمـاتِ المعالى مَشُـوبةٌ بمستَوْدَعاتٍ فى بطونِ الأساود(٣)

حيات الجبل)

وفى التشنيع لحيَّـات الجبل ، يقول اللَّعِينُ المِنْقَرِىُّ(٤) « لرؤبة ابن العجَّاج(٥) :

= البرمكى فقد قتله الرشيد فى قصه مؤسفة ، يرويها المسعودى فى مروج الذهب . وأما والده يحيى فقد حبسه الرشيد هو والفضل بن يحيى ، حتى ماتا فى حبسهما .

(١) أعضه الشىء : جعله يعضه . ومن عض السيف فقد أهلكه . وروى فى البيان والغرر وعيون الأخبار وحماسة ابن الشجرى والأغانى : « أغصنى مغصهما » . والمرهفات : السيوف المرققات . والبوارد : التى تثبت فى الضريبة ، لا تنثنى . وهم يمدحون السيف بذلك ، قال طرفة :

أخى ثقة لا ينثنى عن ضريبة إذا قيل مهلا قال حاجزه قدى

وفى الأصل : « الفوارد » بالفاء ، وصوابه فى البيان وعيون الأخبار وحماسة ابن الشجرى والمروج والزهر . وفى العقد : « الحدائد » .

(٢) كذا فى ط وسائر المراجع . وانفردت س ، ه برواية : « حول » ووجهها ضعيف .

(٣) كذا الرواية أيضاً فى البيان وعيون الأخبار . وفى الزهر : « فإن رفيعات المعالى » ، والمروج : « فإن نفيسات الأمور » ، والحماسة: « فإن رفيعات الأمور » ، والعقد : « وجدت لذاذات الحياة » ، والأغانى : « رأيت رفيعات الأمور » ، وديوان المعانى (١ : ١٣) : « وإن جسيمات الأمور منوطة » . وهو مثل من أمثلة تصرف الرواة ، وروايتهم لبعض الشعر بالمعنى دون اللفظ . وانظر مأخذ البيت فى محاضرات الراغب (١ : ٢١٣) .

(٤) روى البحترى فى حماسته ص ٨ البيتين منسوبين إلى المكعبر الضبى . واللعين المنقرى سبقت ترجمته فى (١ : ٢٥٦) .

(٥) أنشد الثانى من البيتين برواية : « خلت اللؤم والخور » فى سيبويه ١ : ٦١ والعينى ٢ : ٤٠٤ منسوبا إلى اللعين .

إنى أنا ابن جلا إن كنت تعرفنى　　يا رُؤبُ ، والحيَّةُ الصَّماء فى الجَبَلِ[١]

أبا الأراجيزِ يا ابنَ اللؤمِ توعدنى　　وفى الأراجيز جَلْبُ اللؤمِ والكَسَلِ[٢]

(خبران فى الحيات)

الأصمعىُّ ، قال : حدَّثنى ابن أبى طرفة[٣] ، قال : مرَّ قومٌ حُجَّاجٌ من أهل اليمن مع المسَاء ، برجلٍ من هُذيل ، يقال له أبو خِراش ، فسألوه القِرَى ، فقال لهم : هذه قِدْرٌ ، وهذه مِسْقَاةٌ ، وبذلك الشِّعب ماء ! فقالوا : ما وفَّيتنا حقَّ قِرانا ! فأخذ القِرْبَة فتقلَّدَها يسقيهم ، فنهشته حَيَّة .

قال أبو إسحاق : بلغنى وأنا حدث ، أن النبى صلى الله عليه وسلم « نَهَى عن اختِناث فمِ القِرْبة ، والشربِ[٤] منه » . قال : فكنت أقولُ : إنَّ لهذا الحديث لشأناً ، وما فى الشرب من فم قِرْبَةٍ حتَّى يجىء فيها هذا النهى ؟ ! حتَّى قيل : إنَّ رجلاً شربَ من فمِ قِربةٍ ، فوكعته[٥] حيَّةٌ فمات ، وإنَّ الحيَّاتِ تدخُل فى أفواه القِرَب . فعَلِمْتُ[٦] أنَّ كلَّ شىء لا أعرفُ تأويلَه من الحديث ، أنَّ له مذهباً وإن جَهِلْتُه[٧] .　٨٩

---

(١) يقولون للرجل الظاهر لا يخفى مكانه : ابن جلا . وروى البحترى : « إنْ كنت تنكرنى » . قوله : « والحية الصماء » أى وأنا الحية الصماء .

(٢) كذا . والمراد : يا أبا الأراجيز . ورواية البحترى : « أبا لأراجيز » . فى س ، ط : « يوعدنى » صوابه فى ه وحماسة البحترى . وروى : « خلت اللؤم والفشل » برفع اللؤم والفشل ، على الإقواء . وعند البحترى : « إن الأراجيز رأس النوك والفشل » .

(٣) الخبر فى الأغانى (٢١ : ٤٧ - ٤٨) والإصابة ٢٣٤١ .

(٤) اختنث فم القربة والسقاء : ثناه إلى خارج فشرب منه . وفى الأصل : « اجتثاث » بدل : « اختناث » وهو تحريف ، صوابه فى نهاية ابن الأثير واللسان (مادة خنث) من كل منهما . وانظر الجامع الصغير ٩٤١١ .

(٥) وكعته الحية : لدغته .

(٦) فى الأصل : « علمت » ووجهه ما أثبت .

(٧) وعله أصحاب الحديث أيضاً ، بأن دوام الشرب هكذا مما يغير ريحه ، وبأنه يجعل الماء يترشش على الشارب لسعة فم السقاء . انظر النهاية واللسان (خنث) .

(شعر في سلخ الحية)

وقال الشاعرُ في سَلْخ ِالحيَّة :

حتَّى إذَا تَـابَعَ بَيْنَ سَلْخَيْنْ وعادَ كالميسَمِ أحماهُ الْقَـيْنْ[1]

أقبَلَ وهـو واثقٌ بِثنْتَيْنْ : بِسَمِّهِ الرَّأسَ وَنَهْشِ الرِّجْلَيْنْ[2]

قال : كأنَّهُ ذهب إلى أنّ سمَّـه لا يكونَ قاتِلاً مُجْهِزاً حتَّى تأتيَ عليه سنتان .

(قول في سلخ الحية)

وزعم بعضهم أنّ السَّلخَ للحيّةِ مثلُ البزُولِ والقروح للخف والحافر .

قال : وليس ينسلخ إلاّ بعد سِنِينَ كثيرةٍ ، ولم يقِفُوا من السِّنين على حَدٍّ .

وزعم بعضهم أنّ الحيةَ تَسْلخ في كلِّ عام مرَّتين — والسلخ في الحيات كالتَّحسير من الطير — وأنّ الطير لا تجتمع قويّةً إلاّ بعـد التحسيرِ وتمام نباتِ الرِّيش . وكذلك الحيَّة ، تضعُف في أيام السَّلخ ثمَّ تشتدُّ بعد .

(تأويل رؤيا الحيات)

قال الأصمعيّ : أخبرني أبو رفاعة[3] ، شيخٌ من أهل البادية ، قال : رأيتُ في المنام كأنّي أتخطّى حيّات . فطَرت السماء ، فجعلت أتخطى سُيولاً .

---

(١) الميسم بالكسر : أداة الوسم . والقين : الحداد .

(٢) في الأصل : « بسمة الرأس » ، والسمة بمعنى العلامة ، وهي لا تلائم نظام الكلام .

(٣) س ، هـ : « أبو رقاعة » بالقاف .

وحكى الأصمعيُّ أنَّ رجلاً رأى فى المنام فى بيوته حَيَّاتٍ ، فسأل عن ذلك ابن سيرينَ أو غيره ، فقال : هذا رجلٌ يدخل منزلَه أعداءُ المسلمين . وكانت الخوارجُ تجتمعُ فى بيته .

(شعر للعرجى والشماخ فى الحيات)

قال العرْجِيُّ ، فى دبيب السمِّ فى المنهوش :

وأُشْرِبَ جِلْدِى حُبَّهَا وَمَشَى بِهِ ... كمَشْىِ حُمَيَّا الكأْسِ فى جِلد شاربِ
يَدِبُّ هَوَاهَا فى عظامى وحبُّها ، ... كما دَبَّ فى الملسوع سمُّ العَقَاربِ

وقال العرجىُّ فى العرماء[1] من الأفاعى ، وكونها فى صُـدوعِ الصَّخْر ، فقال :

تَأَتَّى بليلٍ ذو سَعاة[2] فسَلَّها ... بهـا حافظ هاد ولم أرق سلما[3]
كمثل شِهاب النَّار فى كفِّ قابسٍ ... إذا الرِّيحُ هبت من مكانٍ تَضَرَّمَا
أبرَّ على الحُوَّاءِ[4] حتى تَنَاذَرُوا ... حِمَاهُ[5] محاماة من الناس ، فاحتمى[6]

---

(١) العرماء ، بالفتح : الحية الرقشاء . وفى الأصل : « العرما » . وكلمة « فى » قبلها ساقطة من س ، هـ .

(٢) السعاة ، بالفتح : التصرف . ط : « سعاده » س : « سعاه » بدون إعجام . وصوابهما فى هـ .

(٣) كذا جاء هذا الشطر ، وفيه تحريف .

(٤) أبر عليهم : غلبهم واستعصى عليهم . والحواء ، بضم الحاء : جمع حاو . وهذا الجمع ليس قياسياً ولا مما ذكرته المعاجم . وسمع نظيره : غاز وغزاء ، وسار وسراء . انظر همع الهوامع (٢ : ١٧٧) . والعرجى ممن يحتج بكلامه ، فانه توفى نحو سنة ١٢٠ . وهو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان شاعراً غزلا ينحو نحو ابن أبى ربيعة ، وكان من الفرسان الظرفاء . ولقب بالعرجى لسكناه قرية العرج فى الطائف . وفى س ، هـ : « الجواد » ط : « الأجواد » . وهما تحريف ما أثبت .

(٥) تناذروا حماه : أنذر بعضهم بعضاً ألا يتعرضوا له . وقد سبق مثل هذا فى بيت النابغة ص ٢٤٨ س ٩ . وفى الأصل : « تبادروا » ، وهو تحريف .

(٦) فى الأصل : « فاحتما » .

يظلّ مُشيحاً سامعاً ، ثمّ إنها إذا بُعِثت لَمْ تَألُ إلاّ تَقَدُّما[١]

قال : ويقال : تطوّت[٢] الحيَّة . وأنشد العرجيُّ :

ذكرَتْني إذْ حَيَّةٌ قد تطوّتْ برقا عند عرسه فى الثياب[٣]

وقال الشَّماخ ، أو البَعيث[٤] :

وأطرَقَ إطراقَ الشجاعِ وقَدْجَرَى على حَدِّ نَابَيْهِ الذُّعافُ المسمَّمُ[٥]

(ما ينبح من الحيوان)

٩٠ والأجناس التى تَذْكَرُ بالنُّبَاح : الكلب ، والحيَّةُ ، والظَّبْيُ إذا أسنَّ ، والهُدهُد . وقد كتبنا ذلك مرة ثمَّ[٦] .

قال أبو النَّجم :

والأسد قد تَسْمَعُ مِنْ زئيرها وباتت[٧] الأفعى على مَحْفُورِها

تأسيرُها يحتَكُّ فى تأسيرها[٨] مرّ الرَّحَى تجرى على شعيرها

---

(١) المشيح : الحذر . وقد ذكرها مرة وأنثها أخرى . والحية مما يذكر ويؤنث .

(٢) س : « انطوت » . والأوفق ما أثبت من ط ، ه .

(٣) كذا جاء هذا الشطر فى ط ، ه . وفى س : « عند عريسه » ، وكلا النصين محرف . وانظر ديوان العرجى ١١٥ .

(٤) ليس البيت فى ديوان الشماخ .

(٥) فى الأصل : « ولو جرى » . وانظر مثيل هذا البيت فى ص ٢٦٣ .

(٦) انظر لنباح الظبى ما سبق فى (١ : ٣٤٩) ولنباح الهدهد ما سبق فى (١ : ٣٥٠) . وأما نباح الحية فلم يسبق له ذكر ، وانظر له الاستدراكات .

(٧) ه : « وبانت » بالنون . وانظر بعض أشطار من الأرجوزة فى اللسان (عفر) .

(٨) التأسير : واحد التآسير ، وهى فى أصل معناه السيور يؤسر بها السرج ، وجعله هنا لجلدها . و « يحتك » هى فى الأصل « يحنك » بالنون . وصوابه ما أثبت .

كرَعْدَة الجِرَاء أو هديرِها[1] تضرُّمَ القَصْباء فى تَنُّورها[2]

توقُّر النَّفس على توقيرها تعـلّم الأشيـاء فى تنقيرها

* فى عاجل النفْسِ وفى تأخيرها *

(قول فى آية)

وسنذكر مسألةً وجوابها . وذلك أنَّ ناسا زعموا أنّ جميع الحيوان على أربعة أقسام : شيء يطير ، وشيء يمشى ، وشيء يعوم ، وشيء ينساح .

وقد قال الله عزَّ وجلّ : ﴿ وَاللهُ خَلَقَ كلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ، يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ ﴾ .

وقد وَضَعَ الكلامَ على قسمة أجناس الحيوان ، وعلى تصنيف ضروبِ الخلْق ، ثمَّ قَصَّرَ عن الشيء الذى وضَعَ عليه كلامَهُ[3] ، فلم يذكر ما يطير وما يعومُ . ثمَّ جعل ما ينساحُ ، مثلُ الحيَّاتِ والدِيدان ، مِمَّا يمشى ، والمشى لا يكون إلاّ برجل ، كما أنَّ العضّ لا يكون إلّا بفمٍ ، والرَّمح لا يكون إلّا بحافر . وذكر ما يمشى على أربعٍ ، وهاهنا دوابُّ كثيرةٌ تمشى

---

(١) الجراء : جمع جرو ، أراد به ولد الكلب . ورعدتها : صوتها ، وكذلك هديرها . وفى الأصل : « الجزاء » ، ولا وجه له .

(٢) القصباء : جماعة القصب ، ويسمى أيضاً الأباء بالفتح . وبه يضرب المثل فى شدة الصوت عند التضرم . ومنه قول ابن أبى الحقيق :

من سره ضرب يرعبل بعضه بعضاً كمعمة الأباء المحرق

وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « القضاء » و : ﻫ : « الفضا » و س : « القضباء » . وفى س : أيضاً « تنور » مكان « تضرم » .

(٣) هذا حكاية من الجاحظ لقول المعترضين على الآية الكريمة ، وسيرد عليهم فى السطر الثالث من الصفحة الآتية .

على ثمانٍ قوائمَ ، وعلى ستٍّ ، وعلى أكثرَ من ثمانٍ . ومَن تفقَّدَ قوائمَ السّرطانِ وبناتِ وَرْدَانَ ، وأصنافَ العناكب — عرَفَ ذلك .

قلنا : قد أخطأتم في جميع هذا التأويل وحَدِّه . فما الدَّليلُ على أنَّهُ وضع كلامَهُ في استقصاء أصناف القوائم ؟ وبأيِّ حُجةٍ جزَمْتم على ذلك ؟ وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ ﴾ وَتَرَكَ ذِكْرَ الشَّياطِينِ والنَّارُ لهمْ آكلُ ، وعذابُهم بها أشدُّ . فَتَرَكَ ذِكرَهم من غير نسيانٍ ، وعلى أنَّ ذلك معلومٌ عند المخاطب . وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْواجاً[1] ﴾ ، أخرج من هذا العموم عيسى بنَ مريم ، وقد قَصَدَ في مخرَجِ هذا الكلام [إلى[2]] جميعِ ولدِ آدمَ . وقال : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكورًا ﴾ أدخلَ فيها آدمَ وحوَّاء . ثم قال على صلة الكلام : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ﴾ ، أخرج منها آدمَ وحوَّاء وعيسى بنَ مريم . وحَسُن ذلك إذ كان الكلام لم يُوضَع على جميع ما تعرفه النُّفوسُ من جهةِ استقصاءِ اللَّفظ . فقوله : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ[3] ﴾ كان على هذا المثال الذي ذكرنا . وعلى أنَّ كلَّ شيءٍ يمشي على أربع فهو مما يمشي على رجلين ، والذي يمشي على ثمان هو ممـا يمشي على أربعٍ ، وعلى رجلين .

٩١

(١) من الآية الحادية عشرة في سورة فاطر .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) بين هذه الآية والكلام بعدها ، جملة : « فهو مما يمشي على أربع » في ط ، س . وهي عبارة مقحمة ليس لها وجود في ه .

وإذا قلت : لى على فلان عشرة آلاف درهم ، فقد خبَّرت أنّ لك عليه ما بين درهمٍ [١] إلى عشرة آلاف .

وأمّا قولكم : إنّ المشى لا يكون إلّا بالأرجل ، فينبغى أيضاً أنْ تقولوا ﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ : إنّ ذلك خطأ ، لأنّ السّعى لا يكون إلاّ بالأرجل .

وفى هذا الذى جهلتموه ضروبٌ من الجواب : أمّا وجهٌ منه فهو قولُ القائل وقول الشّاعر : « ما هُوَ إلّا كأنّهُ حيّة » ، و : « كأنّ مِشيته مِشيةُ حيَّة » يَصِفُونَ ذلك . ويذكرون عِنْدَهُ مِشيةَ الأيم والحُبَاب ، وذكورِ الحيَّات . ومَنْ جَعَلَ للحيَّاتِ مَشياً من الشعراء ، أكثرُ من أن نقف [٢] عليهم . ولو كانوا لا يسمُّون انسيابَها وانسياحَها مشياً وَسَعْياً ، لكان ذلك مما يجوزُ على التشبيه والبدل ، وأنْ قام الشئُ مقام الشئ أو مقام صاحبه ؛ فمن عادة العرب أن تشبِّه به فى حالاتٍ كثيرة . وقال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ والعذاب لا يكون نزلاً ، ولكنّهُ أجرَاه مُجْرَى كلامهم ، كقول حاتمٍ حينَ أمرُوهُ بِفَصْدِ بعيرٍ ، وَطَعَنه فى سَنامه ، وقال : « هذا فَصْدُهُ [٣] ! »

---

(١) كلمة « عليه » ساقطة من ﻫ . وفى ﻫ أيضا : « مائتين » بدل « مابين » وهو تحريف .

(٢) ﻫ : « تقف » بالخطاب .

(٣) أى هذا فصد البعير ، والفصد : شق العرق لاستخراج دمه . وكان أهل الجاهلية فى شدة الأزمان يفصدون الإبل ويسخنون دم الفصد حتى يجمد ويقوى فيطعمونه ويطعمونه الضيفان ، أو يجعلون ذلك الدم فى معى من الأمعاء ويشوونه ويأكلونه . ويروى المثل عند الميدانى (٢ : ٣١٧) : « هكذا فصدى » وقال : « قيل إن أول من تكلم به كعب بن مامة . وذلك أنه كان أسيراً فى عنزة فأمرته أم منزله أن يفصد لها ناقة ، فنحرها ، فلامته على نحره إياها فقال : هكذا فصدى ! يريد أنه لا يصنع إلا ما تصنع الكرام » . عنزة : قبيلة . وأم المنزل : ربته .

وقال الآخر :

فقلتُ ياعمرُو أطْعِمَنّى تَمْرًا[1]   فكان تمْــرى كَهْرَةً وزَبْرَا[2]

وذمّ بعضهم[3] الفأرَ وذكرَ سوءَ أثرِها فى بيته ، فقال :

ياعَجِّلَ الرَّحْمـنُ بالعقابِ   لِعامرات البيتِ بالخرابِ

يقول : هذا هو عمارتها . كما يقول الرَّجُل ، « مانَرَى منْ خيْرك ورِفْدِك إلاَ مايبلغُنا مِنْ حَطبك[4] علينا ، وفتِّلكَ فى أعضادِنا[5] ! »

وقال النَّابغة فى شبيهٍ بهذا ، وليس به :

ولا عيبَ فيهم غير أنَّ سيوفهم   بِهِنَّ فلولٌ من قِراعِ الكتائب

ووجهٌ آخر : أنَّ الأعرابَ تزعُمُ — وكذلك قال ناسٌ من الحوّائين والرَّقائين — إنَّ للحيَّة حزوزا[6] فى بطنه ، فإذا مَشَى قامت حُزُوزه[7] ،

---

(١) روى فى البيان (١ : ١٥٣) : « فقلت أطعمنى عمير » ، والحيوان (٥ : ٣٣) : « قالت ألا فاطعم عميرا » . وروى فى المخصص (٢ : ١٣٤) : « فقلت أطعمنى عيم تمراً » ، وهى رواية الأضداد ١٥٢ ، وفيها : « قال أبو بكر : عيم : تصغير عم » . أى ياعمى .

(٢) الكهرة : الانتهار . والزبر : الزجر والمنع .

(٣) هو أعرابى دخل البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر . انظر الحيوان (٥ : ٢٥٨) وديوان المعانى (٢ : ١٥١) حيث تجد أيضاً بقية هذه الأرجوزة .

(٤) فى القاموس : « حطب فى حبلهم يحطب : نصرهم » . وفى اللسان : « وحطب فلان بفلان : سعى به » ؛ فالمراد هنا : من حطبك علينا بالشر ، وتأليب الناس علينا . وفى الأصل وكذا فى بعض نسخ البيان (١ : ١٥٣) : « خطبك » بالخاء . ولا تتجه إلا بتكلف . وما يبلغنا : أى مايصل إلينا .

(٥) فت فى عضده : رام إضراره بتخونه أهل بيته . وعضد الرجل : أهل بيته . ط : « وفتلك » صوابه فى س ، ه والبيان . وفى ط ، ه : « أعضاءنا » صوابه فى س والبيان .

(٦) ط ، س : « خزوزا » صوابه فى ه .

(٧) ط ، س : « خروزه » صوابه فى ه .

وإذا تَرَكَ المشْيَ تراجعتْ إلى مكانها ، وعادتْ تلك المواضعُ مُلْساً . ولم تُوجَدْ بِعينٍ ولا لَمْسٍ ، ولا يبْلغها إلّا كلُّ حَوَّاءٍ دقيقِ الحِسِّ .

وليس ذلك بأعجَبَ من شِقْشِقةِ الجملِ العربيِّ ؛ فإنَّه يظهرُها كالدَّلْو ، فإذا هو أعادها إلى لَهاَتِه تراجع ذلك الجلدُ إلى موضعه ، فلا يقدرُ أحدٌ عليه بلمْسٍ ولا عَين . وكذلك عروق الكُلَى[1] إلى المثانة التى يجْرى فيها الحَصَى المتولِّد فى الكُلية إذا قذَفتهُ[2] تلك العروق[3] إلى المثانة ، فإذا بال الإنسانُ انضمَّتِ العروقُ واتَّصلت بأماكنها ، والتحمتْ حتى كان موضعُها كسائر ما جاوز تلك الأماكن .

٩٢

ووجهٌ آخر : وهو أنَّ هذا الكلام عربيٌّ فصيح ؛ إذكانَ الذى جاء به عربيًّا فصيحاً ، ولو لم يكنْ قرآناً من عند الله تبارك وتعالى ، ثمَّ كان كلامَ الذى جاء به ، وكان مِمّن يجهل اللَّحنَ ولا يعرفُ مواضعَ الأسماء فى لغته ، لكان هذا — خاصَّةً — مِمَّا لا يجهلُه .

فلو أنَّنا لم نجعل لمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ، فضيلةً فى نُبُوَّةٍ ، ولا مزيَّةً فى البيان والفصاحة ، لكنَّا لا نجد بُدًّا من أن نعلم أنَّهُ كواحدٍ من الفصحاء . فهل يجوزُ عندكم أن يخطِىء أحدٌ منهم فى مثلِ هذا فى حديثٍ ، أو وصفٍ ، أو خُطبةٍ أو رسالة ، فيزعُمَ[4] أن كذا وكذا يمشى أو يسعى أو يطير ، وذلك الذى قال[5] ليس من لُغته ولا من لغة أهله ؟ ! فعلومٌ عندَ هذا الجواب ، وعند ماقبله ، أنَّ تأويلَكُمْ هذا خطأ .

---

(١) ط : « الكلا » . س ، هـ : « الكلا » ، صوابه ما أثبت . وهو جمع كلية ، بالضم .

(٢) ط ، هـ : « تجرى » . والحصى ، كتبت فى ط ، س بالألف . وفى هـ : « الحصا » صوابهما ماأثبت . وفى الأصل : « قذفتها » بدل : « قذفته » .

(٣) فى الأصل : « فى تلك العروق » . والوجه حذف « فى » كما أثبت .

(٤) فى الأصل : « فزعم » .

(٥) أى الذى قاله من الكلام المتقدم .

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إنَّ أَصْحابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغَلٍ فاكِهُونَ ﴾ وأصحابُ الجنّة لايوصفون بالشُّغل ، وإنما ذلك جوابٌ لقول القائل : خبِّرنى عن أهل الجنَّة : بأىِّ شىء يتشاغلون ؟ أم لهم فراغٌ أبداً ؟ فيقول المجيب : لا ، ماشُغُلهم إلّا فى افتضاضِ الأبكار ، وأكْلِ فواكه الجنَّة ، وزيارةِ الإخوانِ على نجائب الياقوت !

وهذا على مثالِ جَوابِ عامر بنِ عبد قيس ، حين قيل له وقد أقبل مِنْ جهة الحلبة[1] ، وهو بالشام : مَنْ سَبَقَ ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ! قيل : فَمَنْ صَلَّى ؟ قال : أبو بكر ! قال : إنَّما أسألُك عن الخَيل ! قال : وأنا أجيبك عن الخير !

وهو كقول المفسِّر حين سُئل عن قوله : ﴿ لَهمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ فقال : ليس فيها بُكرةٌ وعشىٌّ . وقد صدَقَ القرآنُ ، وصَدَق المفسِّر ، ولم يتّناكرا ، ولم يتنافيا ؛ لأنَّ القرآنَ ذهبَ إلى المقادير ، والمفسِّرَ ذهبَ إلى الموجودِ ، مِن دوَران ذلك مع غروب الشّمس وطلوعها .

وعلى ذلك المعنى رُوِى عن عمر أنَّهُ قال : « مُتْعتان كانتا على عهدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا أنْهَى عنهما وأضربُ عليهما[2] » .

---

(١) الحلبة ، بالفتح : الدفعة من الخيل فى الرهان . وقد روى الجاحظ هذا الحديث فى البيان (٣ : ١٦٠) برواية أخرى مع نسبته إلى عامر . كما رواه فى البيان (٢ : ٢٨٢) منسوبا إلى بلال برواية أخرى .

(٢) المتعتان : هما متعة النساء ومتعة الحج ، كما جاء هذا الخبر مفصلا فى كتاب العباسية من رسائل الجاحظ ٣٠٢ الرحمانية .

أما متعة النساء ، فهى مايسميه رجال الفقه : نكاح المتعة ، وهو الزواج بأجل مسمى فى العقد ، كيوم ، أو شهر ، أو سنة ، أو سنوات . وكان ذلك مباحا فى أول الإسلام ، وفيه نزل قوله تعالى : « فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة » ، ثم نسخ ذلك بنهى الرسول . =

قد كان المسلمون يتكلمون فى الصَّلاة ويطَبِّقُون[1] إذا ركعوا ، فنَهَى عن ذلك إمامٌ من الأئمَّـةِ ، وَضَرَبَ عليه ، بعد أن أظهَرَ النَّسخ ، وعرَّفهم أن ذلك من المنسوخ ، فكأنَّ قائلاً قال : أتنهانا عن شيءٍ ، وقد كان على عهد النبيِّ صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول : نعم . وقد قدَّم الاحتجاجَ فى النَّاسخ والمنسوخ[2] . ٩٣

ومن العجَب أنَّ ناساً جعلوا هذا القولَ على المنبرِ من عيوبه . فإن لم يكن المعنى فيه على ما وصفنا ، فما فى الأرضِ أجهلُ من عُمَرَ حِين يُظهِرُ الكُفرَ فى الإسلام على مِنبر الجماعةِ ، وهو إنما علاه بالإسلام . ثمَّ فى شيءٍ ليس له حُجَّةٌ فيه ولا عِلة . وأعجَبُ منه تلك الأمّة ، وتلك الجماعة [التى[3]] لم تنْكِرْ تلك الكلمةَ فى حياته ، ولا بَعْدَ موته ؛ ثمّ تَرَكَ ذلك جميعُ التَّابعين وأتباعِ التَّابِعينَ، حتَّى أفضَى الأمرُ إلى أهْلِ دهرنَا هذا .

وتلك الجماعة هم الذين قتلوا عُثمان على أن سيَّرَ رجلاً[4] .

= وأما متعة الحج فهو ما يعرف بالتمتع ، وعنى عمر تحريمها على سكان مكة ؛ إذ قال فى حديث آخر : « ليس لأهل مكة تمتع ولا قران » . وأراد الجاحظ أن قول عمر : «كانتا على عهد رسول الله » ليس على ظاهره ، بل المراد أنهما كانتا على عهد رسول الله وحرمتا أيضاً فى عهد رسول الله . وكذلك قوله « أنا أنهى عنهما » ،فالمراد « أنا أنهى عنهما كما نهى الرسول » .

(١) فى الأصل : « يضبعون » ، وهو تحريف صوابه ما فى البيان (٢ : ٢٨٢) . والتطبيق : أن يجمع بين أصابع يديه ويجعلهما بين ركبتيه فى الركوع والتشهد . وقد كان ذلك من فعل المسلمين فى أول ما أمروا بالصلاة ، ثم أمروا بإلقام الكفين رأس الركبتين . وانظر لسان العرب (طبق) .

(٢) انظر لتوضيح هذه الفقرة ما جاء فى البيان (٢ : ٢٨٢) .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) هذا الرجل الصحابى الجليل ، أبو ذر الغفارى . وكانت له ثورة مشهورة على الأغنياء ، غضب عليه من أجلها عثمان ، وسيره إلى الربذة ، وهى من قرى =

وهذا لا يقوله إلاّ جاهلٌ أو معاند .

وعلى تأويل قوله : ﴿ هٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ قال : ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا ، قَالُوا بَلَىٰ وَلٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾، فجعل للنّار خزائن ، وجعل لها خزنة ، كما جعل فى الجنّةِ خزائن وجعل لها خَزَنة .

ولو أنَّ جهنَّمَ فُتِحَتْ أبوابُهَا ، ونُحِّى[1] عنها الخزَنة ، ثمّ قيل لكلِّ لصٍّ فى الأرض ، ولكلِّ خائن فى الأرض : دونَكَ ؛ فقد أُبيحَتْ لك ! لَمَّا دنا منها ، وقد جُعِل لها خزائنُ وخَزَنة . وإنَّما هذا على مثالِ ما ذكرنا . وهذا كثيرٌ فى كَلَامِ العَرَب .

والآىُ التى ذكرنا فى صِدْقِ هذا الجواب ، كلها حُجَجٌ على الخوارج فى إنكارهم المنْزلة بين المنزلتين[2] .

= المدينة على ثلاثة أميال ، قريبة من ذات عرق ، فأقام بها إلى أن مات سنة ٣٢ . واسم أبى ذر جندب بن جنادة . وانظر تفصيل الخلاف بينه وبين عثمان فى مروج الذهب (ذكر خلافة عثمان) ، حيث تجد أسبابا أخر لمصرعه ، رضى الله عنهما .

(١) ط ، س : « نحيى » ، صوابه فى هـ . ونحى : أبعد .

(٢) القول بالمنزلة بين المنزلتين ، أصل من أصول المعتزلة . إذ يقولون إن الفاسق ليس بمؤمن ولا بكافر ، بل هو فى منزلة بين الإيمان والكفر . ويقولون : ليس فى الآخرة إلا الفريقان : فريق فى الجنة وفريق فى السعير ، فمرتكب الكبيرة إذا لم يتب فهو خالد فى النار ، لكنه يخفف عنه العذاب ، وتكون دركته فوق دركة الكفار . ومن أجل ذلك سماهم المسلمون المعتزلة ؛ لاعتزالهم قول الأمة بأسرها . وجمهور الخوارج على أن الفاسق كافر ، لا كما يقول المعتزلة بأنه فى منزلة بين المنزلتين .

(شعر لخلف الأحمر فى الحيات)

وقال خَلفٌ الأحمرُ فى ذِكْر الحيّات :

يَرَوْنَ المَوْتَ دونى إن رأَوْنى ... وصِـلٌّ صَفاً لِنَابَيْهِ ذُبَابُ[١]

مِنَ المُتَحَرِّماتِ[٢] بكَهفِ طَودٍ ... حَـرَامٍ ما يُرَامُ له جَنَابُ[٣]

أبِى الحاوُونَ أن يطَئوا حِمَاهُ ... ولا تَسْرِى بعَقوته الذِّئابُ[٤]

كأَنَّ دَمًا أُمِـيرَ على قَرَاهُ ... وَقَطْـرَاناً أُمِـيرَ به كُبـابُ[٥]

إذا ما استجرس[٦] الأصواتَ أبدى ... لساناً دونه الموتُ الضبـابُ[٧]

(١) ذباب الناب : طرفه الحاد .

(٢) المتحرمات ، من قولهم : تحرم فلان بفلان : إذا دخل فى ذمته وحمايته . يقول : هو من تلك الحيات التى تحرمت بذلك الكهف المنيع ، فلا يستطيع أن يحاولها أحد . فى الأصل : « المتجربات » . ولا وجه له .

(٣) طود حرام : جبل لا يستطاع القرب منه ، كأنه محرم . وفى الأصل : « عرام » . يرام : يطلب .

(٤) ط : « الحاوون » ، صوابه فى س ، هـ . والعقوة ، بالفتح : الساحة ، وما حول الدار .

(٥) أمار الدم : أجراه وأساله . وفى الأصل « أمر » فى الموضعين ، بمعنى جعل يمر ، وما كتبت أشبه . وجاء فى الحديث : « أمر الدم بما شئت » . والمائرات : الدماء . قال رشيد بن رميض :

حلفت بمائرات حول عوض ... وأنصاب تركن لدى السعير

والقرا ، بالفتح : الظهر . والكباب ، بالضم : التراب .

(٦) استجرس ، بمعنى طلب الجرس ، وهو بالفتح بمعنى الصوت . وفى الأصل : « استجرش » ولم أجد له وجها ، ومما يعزز هذا التصحيح ما جاء فى ص ١٠٢ من قول عنترة :

رقود ضحيات كأن لسانه ... إذا سمع الإجراس مكحال أرمدا

(٧) كذا ولعله : « الصهاب » بالصاد المضمومة . وفى اللسان : « والموت الصهابى : الشديد ، كالموت الأحمر ، قال الجعدى :

فجئنا إلى الموت الصهابى بعدما ... تجرد عريان من الشر أحدب » .

إذا ما الليلُ ألبَسَهُ دُجَاهُ سَرَى أصمى تَصِيحُ له الشِّعاب[1]

فقلت لحيَّان[2] بن عتبى[3] : [لِمَ[4]] قال موسى بنُ جابر الحنفىُّ[5] :

طَرَدَ الأرْوَى فما تقرَبُهُ وَنَفَى الحَيَّاتِ عَنْ بَيْضِ الحجل[6]

قال : لأنَّ الذِّئاب تأكلُ الحيَّات . [قلت[7]] : فلم قال خلفٌ الأحمر :

* ولا تسرى بعَقوته الذئاب * ؟

قال : لأنَّ الذِّئاب تأكل الحيَّات . فَظننت أنَّه حَدَسَ[8] ولم يقل بعلم.

---

(١) الأصمى : الشديد الوثاب . ط : « أسمى » صوابه فى س ، هـ . و « تصيح » هى فى س : « تضج » . ولو كانت « تصيخ » لزادت حسنا .

(٢) ط : « لحيات » صوابه فى س ، هـ .

(٣) كذا جاء هذا الاسم . ولم أعثر له على تحقيق . وجاء فى عيون الأخبار (٢ : ٤٣) من اسمه : (حيان بن غضبان) وهو الذى ورث نصف دار أبيه ، فقال : أريد أن أبيع حصتى من الدار وأشترى النصف الباقى فتصير كلها لى ! فلعله هذا .

(٤) زيادة يقتضيها السياق . وليست بالأصل .

(٥) هو أحد شعراء بنى حنيفة ، يقال له ابن الفريعة ، وهى أمه ، كما أن حسان ابن ثابت يقال له ابن الفريعة . المؤتلف ١٦٥ . وقال المرزبانى فى معجمه ٣٧٦ إنه نصرانى جاهلى ، يلقب أزيرق اليمامة . والحق أنه إسلامى ، وأنه قال شعراً فى الإسلام . انظر الأغانى (١٠ : ١٠٧) ، كما أن شعره فى الحماسة (١ : ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠) يشعر بما تقدم . وفى شرح الحماسة للتبريزى (١ : ١٨٩) : « قال أبو العلاء : موسى منقول من العبرية . ولم أعلم أن فى العرب من سمى موسى زمان الجاهلية . وإنما حدث هذا فى الإسلام ، لما نزل القرآن وسمى المسلمون أبناءهم بأسماء الأنبياء ، على سبيل التبرك » .

(٦) ط : « ونفا » ، صوابه فى س ، هـ .

(٧) ليست بالأصل ، والكلام فى حاجة إليها .

(٨) الحدس : الحزر والتخمين .

(منافضة شعرية للزيادى ويحيى بن أبى حفصة)

وقال الزِّيادىُّ فى يحيى بن أبى حفصة[١] :

إنى ويحيى وما يبغى كملتمسٍ صَيْداً وما نال منه الرِّىَّ والشِّبَعَا ٩٤

أَهْوَى إلى باب جُحْرٍ فى مقدَّمهِ مِثْلُ العَسِيبِ تَرَى فى رأسه قَزَعَا[٢]

اللَّوْنُ أَرْبَدُ والأنيابُ شابِكَةٌ عُصْلٌ تَرَى السُّمَّ يجرى بينها قِطَعَا[٣]

يَهْوِى إلى الصَّوتِ والظلماءُ عاكفةٌ تَقوُّرَ السَّيْلِ لاقى الحَيْدَ فاطَّلَعَا[٤]

لو نَالَ كفَّكَ آبَتْ منه مخضبة بَيْضاءَ قد جللت أنيابها قزعا[٥]

بِيعَتْ بوَكْسٍ قليلٍ فاستقلّ بها من الهُزَالِ أبوها بعد ما ركعا

فردَّ عليه يحيى فقال :

كم حيَّةٍ تَرهَبُ الحيَّاتُ صَوْلَتَهُ يَحْمِى لِرَيْدَيْهِ[٦] قد غادرتُه قِطَعا

---

(١) هو جد مروان بن أبى حفصة الشاعر المشهور ، وقال أبو الفرج فيه (٩ : ٣٧) : « وليحيى أشعار كثيرة » .

(٢) العسيب : أصل الذنب ، أو الجريدة المستقيمة الدقيقة من النخل يكشط خوصها . والقزع ، بالتحريك : خفة شعر الرأس .

(٣) شابكة : مشتبكة . ط ، س : « شائلة » ﻫ : « سايلة » . وصوابه ما أثبت . وانظر ما سيأتى فى (٥ : ٣٣٤) . والعصل : الملتويات . وفى الأصل : « عصلا » صوابه مما سبق ص ١٨٣ .

(٤) الحيد ، بالفتح : ما شخص من الجبل ومن كل شىء . والتقور : التثنى . وفى الأصل : « تعود » . وانظر ما سبق فى ١٨٣ . يقول : هذا الحية يتلوى فى مشيه كما يتلوى ماء السيل إذا لاقى حيدا فأشرف منه على أرض منخفضة ، فهو أسرع لجريه وتلويه .

(٥) كذا ورد هذا البيت . وفى ط : « قذعا » بالذال المعجمة .

(٦) أى تدركه الحمية والأنفة إذا اعتدى على ريديه . والريد ، بالفتح : الحرف الناتئ من الجبل . س : « لديديه » .

يلقَيْنَ حيَّةَ قفٍّ ذا مُساوَرَةٍ ... يُسْقَى به القِرْنُ من كأس الرَّدى جُرَعا[1]

تكاد تسقُطُ منهنَّ الجلودُ ؛ لِمَا ... يَعلَمْنَ منه إذا عايَنَّهُ ، قَزَعَا[2]

أصمُّ ما شمَّ من خَضْرَاءَ أيبسها ... أو مسَّ من حجرٍ أوْهاه فانْصَدَعَا[3]

(شعر فى الحيات)

وقال آخر :

وكم طَوْتَ من حَنَشٍ راصدٍ ... للسَّفْرِ فى أعلى الثَّنِيَّاتِ[4]

أصمَّ أعمَى لا يُجيبُ الرُّقَى ... يفترُّ عن عُصْلٍ حديداتِ[5]

منهرتِ الشدقِ رَقُودِ الضحى ... سارٍ طَمُور فى الدُّجُنَّاتِ[6]

ذى هامَةٍ رَقْطَاءَ مَفْطوحة ... من الدَّواهى الجبليَّاتِ[7]

صِلٍّ صَفاً ، تنطِفُ أنيابُهُ ... سِمَامَ ذَيْفَانٍ مجيرات[8]

---

(١) القف : بالضم : مرتفع حجرى . و « يسقى » هى فى الأصل : « تسقى » . والوجه ما أثبت .

(٢) قزعا : أى قطعاً متفرقة . وأصل القزع : القطع من السحاب . ط ، س : « قذعا » بالذال المعجمة ، صوابه فى هـ .

(٣) سبق الكلام على هذا البيت فى (٢ : ١٣٧) وفى هذا الجزء ص ١٨٣ .

(٤) الثنية : الطريق العالى فى الجبل .

(٥) الأنياب العصل : الملتوية . هـ : « عضل » ، صوابه فى س ، ط .

(٦) منهرت الشدق : واسعه . والطمور ، كصبور : الوثاب . ط : « طمورا » صوابه فى س ، هـ .

(٧) مفطوحة ، بالفاء : عريضة . ط : « منطوحة » بالنون ، تصحيحه من س ، هـ .

(٨) تنطف أنيابه ، بكسر الطاء وضمها : تقطر . والسمام ، بالكسر : جمع سم . والذيفان بالفتح والكسر : السم القاتل . و « مجيرات » كذا جاءت بالجيم ، ولعلها « مبيرات » بمعنى مهلكات . وقد سبق البيت فى ٢٣٤ .

مُطِلْنَ فى اللَّحْيَيْنِ مَطْلاً إلى رأسٍ وأشداقٍ رَحيبات[1]

قَدَّمْنَ عن ضِرْسَيْنِ واستأخَرَا إلى سِمَاخينِ ولَهْوات[2]

يُسْبِتُهُ الصُّبْحُ وطوراً له نَفخٌ ونفثٌ فى المغارات[3]

وتارةً تحسبُه ميِّتاً من طول إطراق وإخبات[4]

وقال آخر ، وهو جاهلىٌّ :

لاهُمَّ إنْ كان أبو عمرٍو ظَلَمْ وخانَنى فى عِلمه وقد عَلِمْ

فابعث له فى بعض أعراض اللَّمَمْ لُميمةً مِنْ حَنَشٍ أعمَى أصمّْ[5]

أسْمَرَ زَحَّافاً من الرُّقْط العُرُمْ[6] قد عاش حتى هو لا يَمشِى بِدَمْ ٩٥

فكلَّمَا أقصد منه الجوعُ شَمّْ[7] حتى إذا أمسى أبو عمرٍو ولم

يمسّ منه مَضَضٌ ولا سَقَمْ قامَ ووَدَّ بعدَها أنْ لم يَقُمْ

---

(١) سبق هذا البيت فى ص ٥٣ .

(٢) ط : « واستأخرت » ، صوابه فى س ، هـ . والضمير عائد إلى الضرسين . والسماخ بكسر السين : لغة فى الصماخ بكسر الصاد ، وهو ثقب الأذن . واللهوات جمع اللهاة ، وهى اللحمة المشرفة على الحلق . وقد سكنت الهاء للشعر ، كما أنه جمعها والمراد بها الواحد ؛ إذ أن له لهاة واحدة .

(٣) س : « المفارات » ، صوابه فى ط ، هـ . يسبته الصبح : ينيمه .

(٤) الإطراق : السكوت والنظر إلى الأرض مع إرخاء العينين . وفى الأصل : « إشراق » بالشين . ولا وجه له . قال :

مطرق ينفث سما كما أطرق أفعى ينفث السم صل

والإخبات : من أخبت بمعنى خشع . وأصله من الخبت ، وهو المطمئن من الأرض .

(٥) سبق فى ص ١١٩ .

(٦) العرم : جمع أعرم ، وهو ما كان منقطا بسواد وبياض ، ومثله الأرقط . وقد ضمت الراء فى (العرم) لضرورة الوزن . وفى الأصل : « القلم » ، ووجهه ما أثبت .

(٧) فى الأصل : « فكل ما » ، تحريف . أقصده الجوع : أصابه . وفى الأصل : « أنفصل » ووجهه ما أثبت ، كما سبق فى ١١٩ . وشم ، أى تنسم الهواء ليغتذى به . وانظر ما سبق فى ص ١١٩ .

ولم يَقُمْ لإبْلٍ ولا غنَمْ ولا لخوفٍ راعَهُ ولا لِهَمْ
حتَّى دَنَا من رأسِ نضناضٍ أصم[1] فخاضه بين الشِّراكِ والقَدَمْ[2]
بمِـذْرَبٍ أخرَجَهُ من جَوْفِ كُمْ[3] كأنَّ وخْزَ نَابِهِ إذا انتظَمْ
* وَخْزَةُ إشفَى فى عطوف من أدَمْ[4] *

ومخالب الأسد وأشباهِ الأسد من السِّباع ، تكون فى غُلُفٍ[5] ، إذا وطئت على بَطون أكُفها ترفَّعت المخالبُ ، ودخلَتْ فى أكمام لها . وهو قولُ أبى زُبَيْدٍ :

بُحُجْنٍ كالمحاجِن فى فتوخ يَقِيهاَ قِضَّةَ الأرْض الدَّخيسُ[6]

وكذلك أنياب الأفاعى ، هى مالم تعضّ مَصُونَةٌ فى أكمام . ألا تراه يقول :

فَخَاضَهُ بَيْنَ الشِّرَاكِ والقَدَمْ بِمِذْرَبٍ أخرَجَهُ من جَوْفِ كَمْ[7]

---

(١) النضناض : الحية ينضنض لسانه ، أى يحركه . ط : « من أس » ، صوابه فى س ، هـ .
(٢) هو من خضه بالسيف خوضاً : وضعه فى أسفل بطنه ، ثم رفعه إلى فوق .
(٣) عنى بالمذرب ناب الحية . هـ . « المدوب » ، صوابه فى س ، هـ . والكم ، بالضم : غشاء مخالب السبع . اللسان (١٥ : ٤٣٠) .
(٤) الإشفى : المخرز ، يذكر ويؤنث . والعطوف ، بالفتح : المعطوف . وذا أظهر لأثر الخرز . والأدم ، بالتحريك : الجلد ، أو أحمره ، أو مدبوغه .
(٥) غلف : جمع غلاف . ط : « غلق » ، صوابه من س ، هـ .
(٦) الحجن . عنى بها مخالب الأسد . وقد اشتهر أبو زبيد بنعته . والمحاجن : جمع محجن ، وهو العصا المعوجة . والفتوخ بضم الفاء ، وبالخاء المعجمة فى آخره : هى من الأسد مفاصل مخالبه ، كما فى القاموس . وفى الأصل : « فتوح » بالحاء المهملة مصحف . والقضة ، بكسر القاف وتفتح ، بعدها ضاد معجمة مشددة : الحصى الصغار . وفى الأصل : « قصة » بالصاد ، محرف . والدخيس : لحم باطن الكف .
(٧) سبق شرح البيت فى التنبيه الثالث من هذه الصفحة . ط : « مخاضه » صوابه فى س ، هـ . هـ : « بملوب » ، محرف .

(رجز وشعر فى لعاب الحية)

وقال آخر :

أنعتُ نضناضاً كَثِيرَ الصَّقْرِ [١] مولده كمولِدِ ابن الدَّهْرِ [٢]
كانَا جميعاً وُلِدَا فى شَهْـرِ يظلُّ فى مَرْأَى بَعَيدِ القَعْر
* بَيْنَ حَوَافِى سَدِرٍ وصَخْرِ [٣] *

وقال :

وكيفَ وقد أسهَرْتُ عَيْنَكَ تبتغى عِنَادًا لِنَـابَىْ حيَّةٍ قد تَربَّدَا [٤]
من الصُّمِّ يكفى مرَّةً من لُعَابِهِ وما عَادَ إلاَّ كانَ فى العَوْدِ أَحْمَـدَا [٥]

(شعر لخلف فى الأفعى)

وقال خلفٌ الأحمر — وهى مخلوطةٌ فيها شىءٌ ، وله شىء ، من الغبرة [٦]

---

(١) الصقر ، أراد به سمه ولعابه . وفى الأصل : « كبير الظفر » ، وليس للحية ظفر . وصواب الرواية ما أثبت من المخصص (١٣ : ٢٠٨) .

(٢) ابن الدهر ، فسره ابن سيده بأنه الموت . المخصص (١٣ : ٢٠٨) . وقد فسره الثعالبى فى ثمار القلوب ٢١٤ بأنه النهار ، واستشهد ببيت ابن الرومى :
وما الدهر إلا كابنه ، فيه بكرة وهاجرة مسمومة الجو قاتله
فى الأصل : « ومولد ابن الطهر » ، وتصحيحه من المخصص . وقد عنى الراجز أن ذلك الحية متقادم الميلاد ، وذاك مما يزيد فى شدة سمه .

(٣) الحوافى : جمع حافة ، بفتح الفاء المخففة ، وهو من نادر الجمع . والحافة : الجانب . والسدر ، ككتف : البحر . وحيات الماء معروفة بالجرأة والنكر . وفى الأصل : « صدر » ، ولعل الوجه فيه ما أثبت .

(٤) تربد : صار أربد . والربدة : لون إلى الغبرة . وضمير « تربد » عائد إلى الحية ، والحية تذكر وتؤنث .

(٥) ط ، س : « مرة » . هـ : « مرءة » ، صوابهما ما أثبت . والشطر الثانى فيه تهكم .

(٦) كذا جاءت هاتان الكلمتان . وحقهما أن تكونا فى صدر الفقرة مسبوقتين بنحو كلمة : « تربد » ، فتكونا شرحا لها ، كما أسلفت فى التنبيه الرابع من هذه الصفحة .

وما علمتُ أنّ أحداً وصف عَيْنَ الأفعى على معرفةٍ واختبار غيره — وهو قوله :

أفعَى رَخُوف العين مِطْراق البُكَرْ[1]

داهية قد صغرت من الكِبرْ

صِلّ صَفاً ماينطوى من القِصَرْ[2] طويلة الإطراقِ[3] من غير حسرْ

كأنما قدْ ذهبَتْ بِهِ الفِكَرْ شُقَّتْ له العَيْنانِ طُولاً فى شَتَرْ

مهروتة الشدقَينِ حولاء النظرْ جاء بها الطُّوفان أيامَ زَخَرْ[4]

كأنّ صوتَ جلدِها إذا استدرْ[5] نشِيشُ جمر عندَ طاهٍ مقتَدِرْ

(أحاديث فى الوزغ)

٩٦ هشام بن عروة قال : أخبرنى أبى أنّ عائشة أمَّ المؤمنين رضى الله عنها كانَتْ تَقْتُلُ الأوْزَاغ .

يحيى بن أبى أُنَيسةَ[6] ، عن الزُّهرى ، عن عروة[7] ، عن عائشة

---

(١) الرخوف : من رخف بمعنى استرخى . ط ، هـ : « زحوف » صوابه فى س . ومطراق البكر : أى يطرق إطراقا فى الغدوات . وذلك من صفة الأفعى . أما انتباهها فيكون على أشده فى الليل .

(٢) صلال الصفا من أخبث الحيات . وقد بالغ الراجز فى جعله الصل لا ينطوى من شدة قصره . فى الأصل : « صل صفاء ينطوى » ، وصوابه ما سبق فى ص ١١٩ .

(٣) فى الأصل : « الأطراف » بالفاء ، والوجه فيه ما أثبت . والإطراق : السكون مع النظر فى الأرض .

(٤) زخر : ارتفع . وقد عنى أن تلك الأفعى معمرة ، أدركت أيام نوح عليه السلام !

(٥) استدرّ : كثرت حركته .

(٦) يحيى بن أبى أنيسة ، بهيئة التصغير ، الجزرى ، ضعيف من السادسة ، مات سنة ست وأربعين ومائة .

(٧) هو عروة بن الزبير بن العوام ، أحد فقهاء المدينة السبعة . أمه أسماء بنت أبى بكر =

قالت : « سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للوزغ : فويسِق » ـ قالت : « ولم أسمَعْ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمَرَ بقتله » .

قال[1] قالت عائشة رضى الله عنها : « سمعت سعداً يقول : أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله » .

عبد الرحمن بن زياد قال : أخبرنى[2] هشامٌ عن عروة عن عائشة « أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للوَزَغ : الفُويسق » .

أبو بكر الهذلىُّ ، عن مُعاذ عن عائشة قالت : « دخلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم علىَّ وفى يدى عُكّازٌ فيه زُجٌّ ، فقال : ياعائشة ، ماتَصنعِين بهذا ؟ قلت : أقتُلُ به الوَزَغ فى بيتى . قال : إن تفعلى فإنَّ الدَّوابَّ كلُّها حين أُلقى إبراهيمُ صلى الله عليه وسلم فى النَّار ، كانت تُطفِئ عنه ، وإنَّ هذا كانَ ينفخُ عليه ، فَصَمَّ وبَرِص » .

وهذه الأحاديثُ كلها يحتجُّ بها أصحابُ الجهالات ، وَمَنْ زَعَمَ أنَّ الأشياءَ كلها كانتْ ناطقةً ، وأنها أممٌ مجراها مجرى الناس .

(تأوُّل آيات من الكتاب)

وتأوّلوا قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ ﴾ ، وقالوا :

= وسمع من عائشة خالته ، وروى عنه الزهرى . ولد سنة ٢٢ أو ٢٦ الهجرية . وتوفى سنة ٩٣ أو ٩٤ . وكان عبد الملك يقول فيه : « من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة . فلينظر إلى عروة بن الزبير ! » .

(١) ليست فى س ، ه .

(٢) ط : « وأخبرنى » .

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ وقال[1] تعالى : ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ[2] ﴾ وقال : ﴿ وَإِنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنهَا لَمَا يشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾ .

فذهبت الجهْمية وَمَنْ أنكَرَ إيجاد الطّبائع مذهباً ، وذهب ابنُ حائِطٍ[3] ومن لَفَّ لَفَّهُ من أصحابِ الجهالاتِ مذهباً ، وذهب ناسٌ من غير المتكلمين ، واتّبعوا ظاهِرَ الحديثِ وظاهِرَ الأشعَار ، وزعموا[4] أنّ الحجارة كانت تعْقِلُ وتَنْطِقُ ، وإنما سُلبت المَنْطِقَ فقط . فأمَّا الطّير والسِّباع فعلى ما كانَتْ عليه .

قَال : والوَطواط ، والصُّرد ، والضفدعُ ، مطيعاتٌ ومُثابات[5] . والعقرب ، والحيَّةُ ، والحِدَأة ، والغراب ، والوَزَغ ، والكلب ، وأشباهُ ذلك ، عاصياتٌ معاقَبات .

---

(١) في الأصل : « وقوله » .

(٢) لا خلاف بينهم في نصبه . وما روى عن البصرى وعاصم وروح من رفعه وإن كانت له أوجه صحيحة في العربية ، لا يقرأ به ؛ لضعفه في الرواية . السفاقسى .

(٣) هو أحمد بن حائط ، صاحب مذهب الحائطية ، وكان من أصحاب النظام وأخذ عنه وأتى في مذهبه بمنكرات عجيبة . ومما قاله : إن كل نوع من أنواع الحيوان أمة على حيالها ؛ لقوله تعالى : « ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم »، وقال : إن في كل أمة منها رسولا من نوعها ؛ لقوله تعالى : « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » . انظر الملل والنحل (١ : ٨٠ — ٨١) والفرق ٢٥٥ — ٢٥٩ حيث تجد قولا فكها ضارباً في الخيال . وفي الأصل : « ابن حافظ »، وصوابه ما أثبت .

(٤) هـ : « فزعموا » .

(٥) ط : « مثانات » بالنون ، صوابه في س ، هـ .

ولم أقف[1] على واحدٍ منهم فأقولَ له : إنَّ الوزَغةَ الَّتى تقتلها على أنَّها كانت تُضْرِم النَّار على إبراهيم ، أهى هذه أم هى مِن أولادِها فأخوذةٌ هِىَ بذنب غيرها ؟ أم تزعم أنَّهُ فى المعلوم أنْ تكون تلك الوزَغُ لا تلد ولا تَبِيضُ ولا تُفْرِخُ إلاَّ من يدين بدينها ، ويذهبُ مذهبها ؟ !

وليس هؤلاء مِمَّنْ يَفْهَمُ تأويلَ الأحاديث ، وأىَّ ضرب منها يكون مردوداً ، وأىَّ ضربٍ منها يكون متأوَّلاً ، وأىَّ ضرب منها يقال إنَّ ذلك إنَّماَ هو حكايةٌ عن بَعْضِ القبائل . ٩٧

ولذلك أقولُ : لولاَ مكانُ المتكلمين لهلكت العوامُّ ، واختُطِفَتْ واستُرِقتْ ، ولولا المعتزلة لهلك المتكلمون[2] .

(أحاديث فى قتل الوزغ)

شريكٌ عن النَّخَعِىِّ ، عن ليثٍ ، عن نافع ، أنَّ ابنَ عمرَ كان يقتُلُ الوزَغ فى بيته ويقول : هو شيطان !

هشام بنُ حسَّان ، عن خالد الرَّبعىِّ ، قال : لم يكن شىءٌ من خَشاشِ الأرض إلاَّ كان يُطفِئُ النَّار عن إبراهيم ، إلاَّ الوَزَغ ؛ فإنَّهُ كان ينفخ عليه .

حنظلة بن أبى سفيان ، قال : سمعت القاسمَ بنَ محمَّدٍ يقول : إنَّ الأوزاغَ كانت يومَ حُرِق بيت المَقدِس تنفُخُه والوطاوِطَ[3] بأجنِحَتِها .

شريكٌ عن النَّخَعىِّ ، عن جابرٍ ، عن ابن عباسٍ ، قال : الوَزَغ شَرِيكُ الشَّيطان .

(١) ط : « أفق » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٢) انظر ماسبق فى ص ٢٠٦ .

(٣) يجمع الوطواط على وطاويط ووطاوط . كما هنا وكما فى القاموس .

أبو داود الواسطيّ قال : أخبرنا أبوهاشم ، قال : مَن قَتَلَ وزغةً حطَّ الله عنه سَبعين خَطيئةً ، ومن قتل سبعاً[1] كان كَعتْقِ رقَبة .

هشامُ بن حسّان ، عن واصل مولى أبي عيينة[2] ، عن عقيل ، عن يحيى بن يعمر ، قال : لَأَنْ أقتُلَ مائةً من الوَزغ أحبُّ إليَّ من أنْ أعتِقَ مائةَ رقبة .

وهذا الحديثُ ليس من شكل الأوّل ؛ لأنّ يحيى بنَ يعمر لم يزعمْ أنّهُ يقتله لكفره أو لكفر أبيه ، ولكنها دابّةٌ تُطاعمُ الحيَّاتِ وتُزَاقُّها وتقاربُها ، وربّما قتلَتْ بعَضّتها ، وتكرَع في المرَقِ واللّبن ثُمَّ تمجُّه في الإناء فينالُ النّاسَ بذلك مكروهٌ كبيرٌ ، من حيث لا يعلمون . وقتْلُه في سبيل قَتْلِ الحيّاتِ والعقارب .

(صنع السم من الأوزاغ)

وأهلُ السِّجْنِ[3] يعملون منها سموماً أنفَذَ من سمِّ البِيشِ[4] ، ومن ريق

---

(١) تحتمل الرواية أن تكون سبعاً بإسكان الباء ، أي هذا العدد من الوزغ . وتحتمل أيضا أن تكون سبعاً بضم الباء ، بمعنى المفترس من الحيوان . والصدر الأول رواه الطبراني في الأوسط ، عن عائشة . ورمز له السيوطي في الجامع الصغير ٨٩١٥ بحرف (ح) أي حسن .

(٢) واصل مولى أبي عيينة ، بتحتانية مصغر ، قال ابن حجر : صدوق من السادسة تقريب التهذيب .

(٣) أي القوامون بأمر السجن . ولعلهم كانوا يصنعون هذا السم ليتخلصوا ممن يلون أمرهم من المساجين ، أو لتخف عنهم مؤنة المراقبة ، أو تنفيذا لما يوحى به إليهم أولو الأمر . وفي الأصل : « أهل السحر » ، والأوفق ما أثبت كما في عيون الأخبار (٢ : ٩٩) . وسيأتي من الكلام أن « المسجون » هو الذي يطعم هذا السم .

(٤) البيش ، بالكسر : نبت صيني وهندي ، يطول إلى ذراع ، سبط الأوراق . وهو سم قتال ، أسرع فتكا بالإنسان من سم الأفاعي .

الأفاعي ؛ وذلك أنَّهم يُدخِلون الوزَغَ قارورةً ، ثمَّ يصبُّون فيها من الزَّيْت ما يغمُرها ، ويضعونها فى الشَّمسِ أربعين يوماً ، حتَّى تختلط بالزَّيت وتصيرَ شيئاً واحداً . فإنْ مسَحَ السَّجِين منه على رغيفٍ مَسْحةً يسيرةً فأكَلَ منه عشرةُ أنفس ماتوا[1] . ولا أدرى لِمَ توَخَّوْا من مواضع الدَّفْنِ عَتَبَ الأبواب[2] .

(حديث فيه نصائح)

يحيى بن أبى أُنَيسة ، عن أبى الزُّبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال : « أَمَرَنَا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بأرْبَعٍ ونهانا عن أربع : أمَرَنَا أن نُجيفَ أبوابنا ، وأنْ نخمِّرَ آنيتَنَا ، وأنْ نوكىَ أسقيَتَنا ، وأنْ نُطفِئ سُرُجَنا[3] فإنَّ الشَّيطانَ إذا وجد باباً مُجَافاً لم يفتحْه ، وإناءً مخمَّراً لم يكشِفْه ، وسقاءً مُوكًى[4] لم يحلّه . وإنَّ الفُوَيسِقَة[5] تأتى المصباح فتُضْرِمُه على أهل البيت . ونهانا عن أربع : نهانا عن اشتمال الصَّمَّاء[6] ، وأنْ يمشىَ أحدُنا فى النَّعْلِ

(١) ط : « ماترا » ، صوابه فى س ، هـ .

(٢) أى دفنهم مايقتلون من الأوزاغ تحت عتب الأبواب .

(٣) أجاف الباب : رده عليه . وتخمير الآنية : تغطيتها . ويقال أوكى السقاء يوكيه : أى شده بالوكاء ، بالكسر ، وهو سير ، أو خيط . والسرج : جمع سراج ، وهو المصباح .

(٤) ط ، هـ : « موكا » ، ووجه كتابته بالياء . وفى س : « موكأ » بالهمز . ولعلها لغة .

(٥) المراد بالفويسقة : الفأرة ، تصغير فاسقة .

(٦) اشتمل الصماء : رد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر ، ثم رده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطيهما جميعا ، فن ذلك ماقيل الصماء . وللفقهاء تفسير آخر ، وهو أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبيه ، فيبدو منه ما لا يليق أن يبدو . س « الصماد » محرف .

الواحدةِ أو الخُفِّ الواحد ، وأنْ يَحْتَبِيَ الرَّجُلُ مِنَّا فى الثوبِ الواحِدِ[1] ليس عليه غيره ، وأنْ يستلقيَ أحدُنا على ظهره ويرفَعَ إحدى رجليه على الأخرى[2] » .

٩٨ وهذا الحديثُ ليس هذا موضعَه ، وهو يقع فى باب جملة القول فى النّار ، وهو يقع [بعد[3]] هذا الذى يلى القول فى النعام .

(ماجاء فى الحيات من الحديث)

شعبة أبو بسطام ، قال: أخبرنى أبو قيس ، قال : جلست إلى علقمة ابن قَيْس[4] ، وربيع بن خثيم[5] فقال ربيع : قولوا وافعَلُوا خيْراً[6] تُجْزَوْا خيراً . وقال علقمة: مَن اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ ألاَّ يَرَى الحَيَّةَ ، إلاَّ قَتَلَهَا ، إلاَّ التى مثل الميل[7] ؛ فإنَّها جانٌّ[8] . وإنَّهُ لا يضرُّه قتل حَيَّةٍ أو كافر .

(١) أى أن يضم رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليهما ، فربما تحرك ، أو زال الثوب فيقع صاحبه فى الحرج . ط : « أن يحتبى الرجل منا فى المثوب الواحد » ، وهو على الصواب فى س ، ه .

(٢) روى هذا الحديث بروايات مختلفة فى (٥ : ٤١) .

(٣) الزيادة من س ، ه .

(٤) هو علقمة بن قيس بن عبد الله النخعى الكوفى . ثقة ثبت فقيه عابد . وكان من كبار التابعين . توفى بعد الستين أو بعد السبعين . تقريب التهذيب .

(٥) هو الربيع بن خثيم ، بضم المعجمة الفوقية وفتح المثلثة ، ابن عائذ بن عبد الله الثورى الكوفى . ثقة عابد من كبار التابعين ، قال له ابن مسعود . « لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك » . مات سنة إحدى وقيل ثلاث وستين . عن تقريب التهذيب . وفى الأصل : « خيثم » ، وهو تحريف يتعرض له هذا الاسم كثيراً . وقد نبهت عليه فى تذييل الجزء الأول ص ٤٢٣ .

(٦) ط : « فقلت افعلوا خيرا » ، وتصحيحه وإكماله من س ، ه .

(٧) الميل ، بالكسر : ذاك الذى يكتحل به . والنص مضطرب فى الأصل . فى ط ، س : « إلى مثل الميل » وفى ه : « إلى مثل » بدون ذكر « الميل » . ولعل الصواب فيه ما أثبت . ويؤيده ماورد فى نهاية ابن الأثير من الحديث : « أنه نهى عن قتل الجنان » ، قال : « هى الحيات التى تكون فى البيوت، واحدها جان ، وهو الدقيق الخفيف » .

(٨) ه : « فانه جانى » .

إسماعيل المكى[1] ، عن أبى إسحاق ، عن علقمة قال : قال عبد الله ابن مسعود : من قتل حَيَّةً فقتل كافرًا .

ثم سمعت عبد الرحمن بن زَيد[2] يقول : من قتل حَيَّةً أو عقرباً قَتَلَ كافرًا .

وهذا مما يتعلق به أصحابُ ابن حائِطٍ[3] ، وتأويله فى الحديث الآخَر[4] .

عبد الرحمن بن عبد الله المَسْعُودِيُّ[5] قال : سمعت القاسم بن عبدالرحمن ، يقول : قال عبد الله[6] : من قَتَلَ حَيَّةً أو عقرباً فكأنَّمَا قَتَلَ كافرًا . فعلى هذا المعنى يكونُ تأليف الحديث .

سعيد بن أبى عَرُوبة[7] ، عن قتادة أن رسول الله صلى الله عَلَيْهِ وسلم قال : « مَا سَالَمْنَاهُنَّ مُذْ حَارَبْنَاهُنَّ[8] » .

---

(١) فى الأصل : « المكنى » .

(٢) عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوى ، ولد فى حياة الرسول ، وولى إمرة مكة ليزيد بن معاوية . ومات سنة بضع وستين . ط ، ه : « عبد الرحمن بن يزيد » ، ممن ولد فى عهد الرسول أيضا . وترجم له ابن حجر فى الإصابة ٦٢٣٠ .

(٣) فى الأصل : « ابن حافظ » . وصوابه ما أثبت . وانظر ما سبق فى ص ٢٨٨ .

(٤) إشارة إلى ماذهب إليه ابن حائط وأتباعه ، من أن الحيوان مكلف ، كما أن الإنسان مكلف ، وأن الله يرسل إليه رسلا منه كما يرسل إلى الناس ؛ فلذلك يكون من الحيوان المؤمن ، والكافر ، والصالح ، والطالح .

(٥) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الكوفى المسعودى ، مات سنة ستين أو خمس وستين بعد المائة . فى الأصل : « السعودى » ، وصوابه ما أثبت .

(٦) يعنى عبد الله بن مسعود .

(٧) سعيد بن أبى عروبة اليشكرى — مولاهم — البصرى . وكان من أثبت الناس فى قتادة . مات سنة ست أو سبع وخمسين ومائة . وأبوه أبو عروبة ، بفتح العين المهملة وضم الراء . واسم أبى عروبة مهران . عن تقريب التهذيب .

(٨) س : « حاويناهن » ، وهو تحريف . وسيعاد هذا الحديث قريبا .

سعيد بن أبي عروبة[1] عن قتادة ، قالت عائشة : « مَنْ [تَرَكَ[2]] قتلَ حَيَّةٍ مخافَةَ أَثْآرِهَا[3] فعليه لَعْنَةُ اللهِ والملائكة » .

الرَّبيعُ بن صَبيحٍ[4] عن عَطاء الخُراسانيّ[5] قال : كان فيما أُخِذ على الحيّات ألاَّ يَظْهرْن . فَمَنْ ظهَرَ منهنَّ حلَّ قتلُه . وقتالُهنَّ كقتال الكفّار ، ولا يَتْرُكُ قتلَهُنّ إلا شاكٌّ .

وهذا مِمَّا يتعلَّق به أصحابُ ابنِ حائطٍ .

محمَّد بن عَجْلاَنَ قال : سمعت أبي يحدِّث عن أبي هُريرة قال : قال رسُول الله صلَّى الله عليه وسلم : «ما سالَمْناهُنَّ مذْ حارَبْناهُنَّ» .

ابن جُرَيج قال : أخبرني عبد الله بن عُبيد بنِ عميرْ[6] قال :

---

(١) ط : « سعيد بن عروبة » ، صوابه ماأثبت من س ، ‌ﺤ . وانظر التنبيه الذي قبل السابق .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . ولا يصح المعنى ولا الرواية بدونها . أما عدم صحة المعنى فلقوله : « مخافة أثآرها » ، فالخوف من الثأر يقتضى عدم قتلها . وكان أهل الجاهلية يقولون : « إن الجن تطلب بثأر الجان إذا قتل ، فربما قتلت قاتله ، وربما أصابته بخبل ، وربما قتلت ولده » . انظر تأويل مختلف الحديث ١٤٦ . وأما الرواية فقد رواه ابن قتيبة على هذا الوجه : « من ترك قتل الحيات مخافة الثأر فقد كفر » . وفي محاضرات الراغب : « من قتل حية فخاف أثآرها فعليه لعنة الله » .

(٣) ط : « إثارها » س ، ب « اثارها » ، صوابهما ما أثبت من محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) . وهي جمع ثأر . وانظر التنبيه السابق .

(٤) الربيع بن صبيح : بفتح المهملة ، السعدي البصري ، صدوق سيئ الحفظ . قالوا : أول من صنف الكتب بالبصرة ، كان من كبار أتباع التابعين . توفي سنة ستين ومائة .

(٥) هو عطاء بن أبي مسلم ، أبو عثمان ، الخراساني . واسم أبيه ميسرة أو عبد الله . مات سنة خمس وثلاثين ومائة .

(٦) عبد الله بن عبيد بن عمير ، بتصغير الأخيرين ، من الطبقة الوسطى من التابعين ، استشهد غازيا سنة ١١٣ . وفي الأصل : « عبد الله بن عمر » . وليست تصح رواية ابن جريج عن عبد الله بن عمر فإن الأول ولد سنة ٨٠ على حين توفي عبد الله بن عمر سنة ٧٣ . والتصويب مما سبق في (٢ : ٢٩٣) .

أخبَرَنى أبو الطفيل أنَّهُ سمع على بنَ أبى طالب رضى الله عنه يقول : « اقتلوا من الحيَّات ذا الطفيتين[١] ، والكلب الأسودَ البهيم[٢] ذا الغُرَّتينِ[٣] » .

قال : والغُرّة[٤] : حُوّةٌ تكون بعينيه .

(طعام بعض الحيوان)

قال صاحب المنطق : الطير عَلَى ضربين : أوابدُ وقواطعُ . ومنه ما يأكل اللحم لا يأكل غيْرَه وإن لم يكن ذَا سِلاح . فأمَّا ذُو السِّلاح فَوَاجِبٌ أن يكون طعامُهُ اللَّحم . ومن الطَّيرِ ما يأكُلُ الحبُوبَ لا يَعْدُوها ، ومنه المشترك الطِّباع ؛ كالعصفُور والدَّجاج والغُراب ، فإنها تأكُلُ النوعين جميعاً ، وكطير المـاء ، يأكُلُ السمَكَ ويلقط الحبّ . ومنه ما يأكل شيئاً خاصًّا ، مثل جنس النّحل المعَسِّل[٥] الذى غذاؤه شىء واحد ، وجنس العنكبوت ؛ فإن طَعْمَ النَّحل المعسِّل العسل[٦] ، والعنكبوت يعيشُ من صيد الذباب[٧] .

---

(١) الطفيتان ، بالضم : خطان أسودان على ظهر الحية .

(٢) البهيم : الذى لا شية فيه .

(٣) فى الأصل : « القرنين » ، وهو تحريف صوابه ما أثبت . وانظر ما أسلفت فى (٢ : ٢٩٣) .

(٤) ط ، ب : « والفرة » س : « والقرة » صوابهما ما أثبت . وانظر ما كتبت فى (٢ : ٢٩٣) .

(٥) المعسل : الذى يصنع العسل . وإنما قال ذلك لأن النحل قبل أن يصنع العسل ، يتخذ غذاءه من مختلف أنواع الأزهار . ط : « العسل » ، صوابه فى س ، هـ .

(٦) ط ، هـ : « فإن طعم النحل العسل » س : « فإن طعم النحل المعسل » ، وقد جمعت بينهما .

(٧) هـ : « الذبان » .

(ماله مسكن من الحيوان)

ومن الحيوان ماله مسكنٌ ومأوًى ؛ كالخُلْد[1] والفأر ، والنَّملِ ، والنَّحل ، والضّبّ . ومنه ما لا يتَّخذُ شيئاً يرجعُ إليه [كالحيَّاتِ[2]] ؛ لأنَّ ذُكورةَ الحيَّاتِ سَيَّارةٌ ، وإناثُها[3] إنَّما تُقيم فى المكانِ إلى تمامِ خُروجِ الفِرَاخِ من البَيْضِ ، واستغناءِ الفِرَاخِ بأنفُسِها . ومنها ما يكونُ يأوى إلى شُقوقِ الصُّخورِ والحِيطانِ ، والمداخِلِ الضَّيِّقة ، مثل سامّ أبْرَص .

٩٩

قال : والحيّات تألفها كما تألفُ العقاربُ الخنافس . والعَظايا تألف المزابِلَ والخرابات . والوزَغُ قريبةٌ من النَّاس .

(زعم زرادشت فى العظايا وسوامّ أبرص)

[وزعم[4]] زَرَادشْت[5] أنَّ العظايا ليستْ من ذواتِ السُّموم ، وأنَّ سامَّ أبرصَ من ذواتِ السُّموم ، وأنَّ أهرمن[6] لما قعد ليقسِمَ السُّمومَ ،

---

(١) الخلد ، بالضم ويفتح : ضرب من الفأر أعمى .

(٢) ليست بالأصل . والسياق يقتضيها .

(٣) فى الأصل : « وإنها » . والوجه ما أثبت . وعند الدميرى : « والذكر لا يقيم بموضع واحد . وإنما تقيم الأنثى على بيضها حتى تخرج فراخها وتقوى على الكسب » .

(٤) ليست بالأصل .

(٥) زرادشت : رجل ظهر فى عهد كيبشتاسب من ملوك الفرس الكيانيين ، ودعا إلى دين المجوسية ، وهو صاحب الأبستا ، وشرحه : الزند بستا ، وقد ظهر قبل الإسكندر بنحو ثلثمائة سنة ، على ما فى التنبيه والاشراف ٨٥ . وقد ظهر من بعده مزدك الموبذ ، فتأول الأبستا ، وجعل لظاهرها باطناً ، واستخلص من ذلك الديانة المزدكية . فى ط ، س : « درادشت » و ب : « درادست » ، صوابه ما أثبت .

(٦) أهرمن ، هو فى مذهب زرادشت : رمز لقوة الشر ، كما أن (أرموزد) رمز لقوة الخير . وكان يرى أن الاثنين يظلان فى نزاع دائم ، حتى يتغلب أرموزد على أهرمن فى نهاية الأمر . وبدل هذه الكلمة والتى قبلها فى كل من ط ، هـ : « لأنه » صوابه فى س .

كانَ الحظ الأَوْفرُ لكلِّ شيءٍ سبقَ إلى طلبه ؛ كالأفاعى ، والثَّعابين والجرّارات . وأنّ نصيبَ الوزَغ نصيبٌ وسَطٌ قصْد ، لا يكمل أن يقتُل ، ولكنَّه يزاقُّ الحيَّةَ[١] ، فتُميرُهُ[٢] مَّما عندها . ومتى دَبَرَ[٣] الوزَغُ جاءَ منه السمُّ القاتل ، أسرَعَ من سمّ البِيش ، ومن لُعاب الأفاعى . فأمَّا العَظَاية[٤] فإنّها احتبسَتْ عن الطَّلبِ حتى نَفِدَ السمُّ ، وأخذ كلُّ شيءٍ قِسْطَهُ ، على قَدْرِ السَّبق والبكور ، فلما جاءت العظاية وقد فَنِىَ[٥] السمُّ ، دخلها من الحسْرَةِ ، وممَّا علاها من الكرْب ، حتى جعلت وجهَهَا إلى الخرابات والمزابِل . فإذا رأيْتَ العظايةَ تمشى مشْياً سريعاً ثمّ تَقِفُ ، فإنَّ تلك الوقْفة إنَّمَا هى لمــا يعرضُ لها من التذكُّرِ والحسْرة على ما فاتها مِنْ نصيبها من السمّ .

(ردّ عليه)

ولا أعلم العَظايةَ فى هذا القياس إلاَّ أكثر شُرورًا من الوزَغ ؛ لأنها لولا إفراط طباعها فى الشَّرارة[٦] ، لم يدخلها من قوَّة الهمِّ مثلُ الذى دخلَها

---

(١) يزاق الحية : مفاعلة ، من زق الطائر فرخه : أطعمه . س ، ب : « بزاق » صوابه فى ط .

(٢) ماره يميره ، وأماره يميره : جلب الطعام إليه . س : « فيميزه » ، صوابه فى ه ، ط .

(٣) دبر ، من باب نصر : أدركه الهرم والشيخوخة . ومنه فى الكتاب : « والليل إذا دبر » ، فى بعض القراءات .

(٤) العظاية ، بالفتح : دويبة كسام أبرص . ط : « الفظاية » ، صوابه فى س ، ه .

(٥) ط ، ه : « قنى » بالقاف ، ولا وجه له . وتصحيحه من س .

(٦) يقال شر يشر ويشر شراً وشرارة ، فهو شرير — بفتح الشين وكسر الراء — وشرير ، كسكيت .

ولم يستَبن للنَّاس[١] من اغتباط الوزَغ بنصيبه من السمّ ، بقدْر ما استبان من شُكل العظاية ، وتسلُّلها وإحضارها[٢] وبكائها وحُزْنها ، وأسَفها على ما فاتها من السُّمّ .

(زعم زرادشت فى خَلْق الفأرة والسِّنّور)

ويزعم زَرَادشْت[٣] ، وهو مذهبُ المجوس[٤] ، أنَّ الفأرةَ مِنْ خلق الله ، وأنَّ السِّنَّورَ من خَلْق الشَّيطان ، وهو إبليس ، وهو أَهْرَمَن[٥] . فإذا قيل له : كيف تقول ذلك والفأرةُ مُفسِدةٌ ، تجذب فَتيلةَ المصباح فتحرِق بذلك البيتَ والقبائلَ الكثيرةَ ، والمُدنَ العِظامَ ، والأرباضَ الواسعة ، بما فيها من النَّاس والحيوانِ والأموال ، وتقرِضُ دفاتر العلْم ، وكتبَ الله ، ودقائق الحساب ، والصِّكاكَ[٦] ، والشُّروطَ ؛ وتقرِضُ الثِّيابَ ، وربّما طلبت القُطنَ لتأكُلَ بِزْرَه فتدَعُ اللِّحاف غِرْبالاً ، وتقرِض الجُرُب[٧] ، وأَوْكِيةَ الأسقِيَةِ والأزْقاقِ والقِربِ فتخرجُ جميعَ ما فيها ؛ وتقع فى الآنية

(١) فى الأصل : « الناس » . وسياق القول يقتضى ما أثبت . واستبان بمعنى ظهر .

(٢) الإحضار : سرعة الجرى .

(٣) فى الأصل : « زرادست » وهو تحريف . وانظر ما سبق فى ص ٢٩٦ التنبيه الخامس .

(٤) ذاك الزعم مذهب المجوس ؛ لأن زرادشت صاحب مذهبهم .

(٥) ط : « وهرمن » ، وتصحيحه وإكماله من س ، هو . وانظر التنبيه السادس من صفحة ٢٩٦ .

(٦) الصك بمعنى الوثيقة ، معرب جك ، وهو بالفارسية : كتاب القاضى . وقيل : الصك عربى . شفاء الغليل .

(٧) الجرب ، بضمتين وبضمة أيضاً : جمع جراب ، بالكسر ، وهو الوعاء ، أو وعاء زاد المسافر .

وفى البئر ، فتموت فيه ، وتُخرِج النّاسَ إلى مُؤَنٍ عِظام ، وربّما عضّت رِجْلَ النّائم ، وربّما قتلت الإنسان بعضّتها . والفأر[1] بخراسانَ ربّما قطعَتْ أذن الرَّجُل . وجرذانُ أنطاكِيَةَ تَعْجِزُ[2] عنها السَّنانير ، وقد جلا عنها قومٌ وكرِهَها آخرون لمكانِ جِرْذانها . وهى التى فجرت المسنّاة[3] ، حتى كان ذلك سببَ الحَسْر[4] بأرض سبأ ، وهى المضروب بها المَثَلَ . وسَيل العَرِم ممّا تؤرِّخ بزمانه العَرب . والعَرِم : المسنّاة . وإنما كان جُرَذا . ١٠٠

وتقتل النَّخْل والفسِيل[5] ، وتخرِّب الضَّيعة ، وتأتى على أزِمَّةِ الركاب والخُطُم[6] ، وغير ذلك من الأموال .

والنّاسُ ربما اجتلبوا السَّنانيرَ ليدفعوا بها بوائق الفأر[7] — فكيفَ صار خَلقُ الضّارِّ المفسِدِ من الله ، وخَلقُ النّافع من الضَّرَرِ مِنْ خَلق الشيطان ؟ !

---

(١) أراد بالفأر هنا الجماعة . ط : « القار » صوابه فى س ، هـ .

(٢) ط : « تفجر » ، تصحيحه من س ، هـ .

(٣) المسناة : السد الذى يعترض به الوادى لتنظيم تدفق المياه . وفجر ، تقال بالتخفيف والتشديد ، بمعنى جعله ينفجر ويسيل .

(٤) الحسر : مصدر حسر الماء عن الأرض : نضب حتى بدا ما تحته . وجاء فى معجم البلدان (برسم مأرب) : « وجاء السيل بالرمل فطمها » . وطمها : من قولهم : جاء السيل فطم الركية : أى دفنها وسواها . ط : « الخسر » بالخاء المعجمة . وأثبت ما فى س ، هـ .

(٥) الفسيل : جمع فسيلة ، وهى النخلة الصغيرة . س : « النحل والعسيل » ، صوابه فى ط ، هـ .

(٦) الركاب ، بالكسر : الإبل . والأزمة : جمع زمام . وهو مقود البعير . والخطم : جمع خطام ، وهو ما يوضع على خطم البعير ليقاد به . وفى الأصل : « على أفرحة الركاب والخضر » . وهى عبارة لا تتجه . والصواب ما أثبت .

(٧) بوائق : جمع بائقة ، وهى الداهية ، أو الشر .

والسِّنَّور يُعدَى به على كلِّ شيءٍ خَلَقَهُ الشَّيطانُ[١] من الحيَّاتِ ، والعقارب ، والجِعلان ، وبناتِ وردْان . والفأرةُ لا نَفْعَ[٢] لها . ومُؤْنَها عظيمــة .

قال : لأنَّ السِّنَّورَ لو بالَ فى البحر لَقَتَلَ عَشْرَةَ آلافِ سمكة !

فهَلْ سمعت بحُجَّةٍ قطُّ ، أو بحيلةٍ ، أو بأضحوكةٍ ، أو بكلامٍ ظهر على تلقيح هرة[٣] ، يبلغ مُؤَن هذا الاعتلال ؟ !

فالحمد لله الذى كان هذا مقدارَ عقولهم واختيارهم[٤] .

وأنشد أبو زَيْد :

واللهِ لو كُنْتُ لهــذا خالِصاَ   لَكُنْتُ عبدًا آكل الأبارصا[٥]

يعنى جِماعَ[٦] سامٍّ أبْرص : أبارص .

---

(١) هذا مجاراة من الجاحظ للمجوسى الذى يعارضه .

(٢) فى الأصل : « لا تقع » .

(٣) كذا . والعبارة غير واضحة .

(٤) ظن بعض الناس أن مثل هذا التركيب فاسد ؛ لانعدام الرابط فى الصلة ، ومنهم الحريرى فى درة الغوص ١٠٠ . وقد رد عليه الخفاجى فى الشرح ٢٠٩ بأن حذف الرابط فى مثل هذا جائز ، كما هو معروف فى كتب النحو . فالتقدير هنا : الذى كان هذا منه . . . الخ .

(٥) يصح أن تقرأ : « آكل » قراءة الفعل . فتكون فعلا مرفوعا . وتجوز أيضاً أن تقرأ « آكل » قراءة اسم الفاعل المنصوب ، مع حذف التنوين كما جاء حذفه فى قوله :

فألفيته غــير مستعتب   ولا ذاكر الله إلا قليلا

بنصب لفظ الجلالة ، وحذف التنوين مما قبله . انظر ابن السيد فى الاقتضاب ٣٥٥ .

(٦) الجماع ، بالكسر ، بمعنى الجمع .

(أثر أكل سامّ أبرص ونحوه)

وسامٌّ أبرص ربّما قتَلَ أكله[١] ، وليس يُؤكل إلاّ من الجوع الشّديد . وربّما قتَلَ السّنانيرَ وبناتِ عِرْس ، والشّاهْمُرْكَ ، وجميعَ اللّقّاطَات[٢] .

وقال آخر[٣] :

كَأَنَّ الْقَوْمَ عُشُّوا لَحْمَ ضَأْنٍ ... فهُمْ نَعِجُونَ قد مالَتْ طُلَاهم[٤]

وهو شيءٌ يعرِض عن أكْلِ دَسَم الضّأن ، وهو أيضا يلقى على دسمه[٥] النُّعاس . وقد يفعل ذلك الحَبَق[٦] ، والخشخاش .

[والخشخاشُ] يسمَّى بالفارسيّة « أنارْ كِبُو[٧] » ، وتأويله رمّان الحسّ . وإنّما اشتقّ له ذلك إذ كان يورثَ النُّعاس ، كما يورثه الحسّ .

---

(١) يصح قراءتها على المصدرية ، أو على أنها اسم فاعل : (أكله) و : (آكله) .

(٢) أى الحيوان الذى يلتقط غذاءه . ط : « الفاهات » ، صوابه ما أثبت من س ، هـ .

(٣) هو ذو الرمة ، كما فى لسان العرب (مادة نعج) .

(٤) فى المخصص (٥ : ٨٠) : « فان أكل لحم ضأن فثقل على قلبه فهو نعج » . ومثل هذا النص فى فقه اللغة ١٣٩ طبعة الحلبى ، ولسان العرب (نعج) ، مع رواية البيت فى كل منها ، وفى الأصل: « يعجون » بالباء، وهذه الرواية مع احتمال صحتها لا تصلح مع تعقيب الجاحظ للبيت بما سيأتى من الكلام . والبعج : المتسع البطن. والطلى ، بالضم : الأعناق ، جمع طلية بالضم . وإنما مالت طلاهم لما غلب عليهم من النوم . س : « كلاهم » وهو تحريف . وانظر (٥ : ٤٧٩) .

(٥) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « رسمه » ، ولعل صوابهما : « يلقى عن دسمه » .

(٦) الحبق ، بالتحريك : ضرب من الرياحين .

(٧) هذه الكلمة الفارسية ، مركبة من مقطعين ، أحدهما (أنار) ومعناه الرمان . ويقال فيه أيضاً (نار) . ومنه (جلنار) بمعنى زهر الرمان . و (جل) بمعنى زهر =

(أكل السمانى)

وأكلُ الطَّعام الذى فيه سمَانَى يُورِثُ الدُّوَار . وزعموا أنَّ صبيًّا من الأعراب فيما مضى من الدَّهر ، صادَ هامةً[1] عَلَى قبر ، فظنها سُمَانَى ، فأكلها فغثَتْ نفسه ، فقال :

* نفسى تَمَقَّسُ مِنْ سُمَانَى الأقبرِ[2] *

(استطراد لغوى)

ويقال : غَثَت نفسه غَثَياناً وغَثْياً[3] ، ولَقِستْ تَلْقَسُ لَقَساً ، وتَمَقَّست[4] تَتَمَقَّسُ تمقسا : إذا غَثِيت[5] .

(أكل الأعراب للحيات)

وأخبرنى صباح بن خاقان، قال : كنتُ بالبادية ، فرأيت ناساً حَولَ نارٍ فسألتُ عنهم ، فقالوا : قد صادوا حياتٍ فهم يشوُونها ويأكلونها ؛ إذْ نَظَرْتُ إلى رجلٍ منهم ينهش حَيةً قد أخرجَها من الجمر ، فرأيته إذا

= والثانى (كبو) ومعناه الحس . وفيه لغات : (كيبو ، كيپو ، كبو ، جبو) . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل . فهى فى ط ، هـ : « أباركوا » وفى س : « أباركو » . واعتمدت فى تصحيحها على معجمى بالمر وريتشاردسن .

(١) الهامة : ضرب من البوم .

(٢) الأقبر : جمع قبر . والخبر فى اللسان (مقس) بصورة أخرى .

(٣) س : « عثت نفسه عثيانا وغثيا » بالعين المهملة فى الكلمة الأولى والثانية ، والمعجمة فى الثالثة . صوابه فى ط ، هـ .

(٤) فى الأصل : « وتمقس » . والوجه ما أثبت .

(٥) س : « عثيت » محرف .

امتنعَتْ عليه يمدُّها كما يُمَدُّ عصبٌ لم ينضَجْ . فما صرفْتُ بصرى عنه حتى لُبِطَ به[1] ، فما لبِثَ أن مات ، فسألتُ عنْ شأنه ، فقيلَ لى : عجَّلَ عليها قبلَ أن تنضَج وتَعْمَلَ النّار فى مَتْنها . ١٠١

(أكل الحوائين للحيات)

وقد كان فى بَغدادَ وفى البَصْرةِ جماعةٌ من الحوّائين ، يأكل أحدُهم أىَّ حيّةٍ أشرتَ إليها فى جُونَتِه ، غير مشويَّة . وربَّما أخذَ المَرارَةَ[2] وسْط راحتِه ، فلَطَعها بلسانه ، ويأكلُ عِشرين عقربانة[3] نِيّةً[4] بدرهم . وأما المشوىُّ فإنَّ ذلك عنده عُرْسٌ[5] .

(شعر فى الحيات)

وقال كثيِّر :

وما زَالَتْ رُقَاكَ تَسُلُّ ضِغْنِى ... فتُخْرِجُ من مكامِنِها ضِبابى[6]
وتَرْقِينِى لك الحاوُونَ حتّى ... أجابَتْ حَيَّةٌ خَلْفَ الحِجَاب[7]

---

(١) لبط به : صرع . وفى الأصل : « ليط به » ، بالياء ، وهو تحريف .
(٢) أى مرارة الحية ، أو لعلها « الجرارة » هـ : « النواه » محرفة .
(٣) كذا فى الأصل . ولعلها : « عقربا » .
(٤) النىء بالكسر والهمز : اللحم الذى لم ينضج . وفى اللسان : « وقد يترك الهمز ويقلب ياء ، فيقال : نى ، مشددا » . فما هو هنا صواب . وانظر (٥ : ٣٥٦) .
(٥) العرس ، بالضم وبضمتين : طعام الوليمة .
(٦) س : « وتخرج » . وفى الأصل : « من مكانها » ، محرف . وانظر ما سبق فى ص ٢٥٠ .
(٧) انظر ما أسلفت من الكلام على هذين البيتين فى ص ٢٥٠ .

وقال أبو عَدنان[1] ، وذكر ابنَ ثَرْوانَ[2] الخارجيَّ ، حين [كان] صار إلى ظَهْر البصرة ، وخرج إليه منْ خرج مِنْ بنى نُمير :

حَسِبْتَ نُميرًا يا ابن ثَرْوَان كالأُلَى   لَقِيتَهُمُ بالأمْس : ذُهلاً ويَشْكُرَا[3]

كما ظَنَّ صَـيَّادُ العَصافِـيرِ أنَّ فى   جَمِيعِ الكُوَى ، جَهْلاً ، فِرَاخا وأطيُرَا[4]

فأدْخَلَ يوماً كفَّهُ جُحْر أسوَدٍ   فشَرْشَرَهُ بالنَّهش حتى تشَرْشَرَا[5]

أراد قول رؤبة :

كنتُمْ كمن أدْخَلَ فى جُحْرٍ يَدَا   فأخْطأ الأفعَى وَلاَقَى الأسْوَدَا

لو مسَّ حرْفَىْ حجَرٍ تَقَصَّدَا[6]   بالشَّمِّ لا بالسمِّ منه قصدا[7]

فَقَدَّم الأسودَ على الأفعَى . وهذا لا يقوله مَن يَعرف مقدار[8] سُمِّ الحيات .

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ١٨٤) . هـ : « أبو عجنان » ، محرف .

(٢) فى الأصل : « أبا ثروان » . وأثبت ما يقتضيه الشعر الآتى .

(٣) ط ، هـ : « حسبت غيرا » ، صوابه فى س . وذهل ويشكر : قبيلتان .

(٤) الكوى ، بالضم : جمع كوة بالضم ، وهى الخرق فى الحائط .

(٥) شرشره : قطعه تقطيعاً .

(٦) يقال قصده فتقصد : أى كسره فتكسر . وفى الأصل : « تفصد » ، وتفصد بمعنى سال لا وجه له هنا .

(٧) كذا فى ط ، هـ فيكون المراد بهذه قصد الحجر — بالقاف — بمعنى كسره وفى س : « أقصدا » ، من أقصدته الحية : بمعنى قتلته مكانه .

(٨) س : « أقدار » . وانظر نقد هـذا المعنى فى الصناعتين ٨٨ والوساطة ١٧ والشعراء ٥٧٩ .

وقال عنترة :

حلَفْنا لَهُمْ والخيلُ تَرْدِى بنا معاً　　نُزايِلُكُمْ حتَّى تَهِرُّوا العَواليا[١]

عَوالِىَ سُمْرٍ مِنْ رماحِ رُدَينةٍ　　هَرِيرَ الكلابِ يَتَّقِينَ الأفاعيا[٢]

(حديث فى الحية)

وقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : « اتَّقُوا ذَا الطُّفَيْتَيْنِ والأبتر » . شبَّه الخيطينِ على ظهره بخُوص المُقْل[٣] وأُنْشِدْتُ لأبى ذُؤيب :

عَفَتْ غيْرَ نُؤْيِ الدَّارِ لَأْياً أُبِينُهُ　　وأَقْطاعِ طُفْىٍ قدعَفَتْ فى المعاقل[٤]

---

(١) ردت الخيل تردى : رجمت الأرض بحوافرها . نزايلكم ، أى لا نزايلكم . فحذف النافى . وهو جائز مع القسم . وفى الكتاب : « تالله تفتؤ تذكر يوسف » أى لا تفتأ . وقال امرؤ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا　　ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

وانظر لهذه المسألة المخصص (١٣ : ١١٥) وأمالى المرتضى (٣ : ١٣٧) والأضداد ١٤٨ والصناعتين ١٧٦. ويقال : هرت إليه الكلاب وهرته : أى نبحته. انظر أساس البلاغة . والعوالى ، رءوس الرماح . وليس المعنى أنهم ينبحونها ، ولكنه يريد إظهارهم بغضها والخوف منها . والكلب إذا خاف شيئا نبحه ، حتى إنه لينبح السحاب لما يلقى منه من أذى المطر . انظر (٢ : ٧٣ — ٧٤) .

(٢) سمر : أى رماح سمر . وروى فى الديوان والكامل ١٧٥ ليبسك : « عوالى زرقا » فتكون زرقا صفة للعوالى ، أى أسنة زرقا . والسنان الأزرق هو الشديد الصفاء ، فكأنه مرآة ينطبع فيها لون السماء . والبيتان من قصيدة لعنترة يقولها فى يوم (الفروق)، وهو يوم كان لبنى عبس على بنى سعد بن زيد مناة، ومطلع القصيدة :

ألا قاتل الله الطلول البواليا　　وقاتل ذكراك السنين الخواليا

(٣) انظر ما أسلفت فى ص ٢٩٥ .

(٤) النؤى : حفير حول الخباء أو الخيمة يمنع السيل ، والأقطاع : جمع قطع ، بالكسر بمعنى المقطوع . والمعاقل : جمع معقل ، كمجلس ، وهو المكان تعقل فيه الإبل =

والطُّفْيُ(1) : خُوص المُقْل .

وهم يَصِفُونَ بَطْنَ المرأةِ الهيفاءِ الخميصَةِ البطْن، ببطن الحيَّةِ. وهي(2) الأيْم . وقال العجَّاج :

* وبَطْنَ أيمٍ وقَوَاماً عُسْلُجَا(3) *

(مناقضة شعرية)

وقال أدْهَمُ بنُ أبي الزَّعْراء(4) ، وشبَّه نفسَه بحيَّةٍ :

١٠٢ وما أســودٌ بالبأس ترتاحُ نفسُهُ إذا حَلْبَةٌ جاءتْ ويُطْرِقُ للحِسِّ
به نَقَطٌ حمــرٌ وسودٌ كأنما تنضَّحَ نَضْحاً بالكُحَيلِ وبالوَرْسِ(5)

= أي تشد ، وفي الأصل : « المعالف » وهو خطأ ؛ إذ أن البيت من قصيدة لامية ، مطلعها :

لمن طلل بالمنتفى غــير حائل عفا بعد عهد من قطار ووابل

انظر اللسان (طفي) ومعجم البلــدان (المنتفى) . ويروى أيضا : « في المناقل » ، و : « في المنازل » كما في اللسان .

(1) جمع طفية بالضم ، وتجمع أيضاً على طفي بضم ففتح . قال (انظر اللسان) :

وهم يذلونها من بعد عزتها كما تذل الطفى من رقية الراقي

أي ذوات الطفى ، بمعنى الحيات .

(2) س : « وهو » ، والحية تذكر وتؤنث .

(3) قوام عسلج ، بضم العين واللام ، أي ناعم ينثني ويميل .

(4) أدهم بن أبي الزعراء الطائي ، شاعر محسن ، له أشعار جياد في أوصاف الحيات ، كما ذكر ذلك الآمدي في المؤتلف والمختلف ٣١ . وهــو من شعراء الحماسة . وهو كذلك شاعر إسلامي له شعر في وقعة المنتهب ، التي كانت في أيام مروان ابن محمد آخر خلفاء بني أمية . انظر شرح التبريزي (٢ : ٨٢) . وفي ط : « أدهم بن أبي الزيمرى » و س : « أدهم بن أبي الزبعرى » . و هـ : « ابن أبي الزبعرى » ، والصواب في ذلك ما أثبت .

(5) الكحيل ، بهيئة التصغير : القطران يطلى به الإبل ، وهو أسود اللون . والورس ، بالفتح : نبت يصبغ به ، فيعطى صفرة إلى حمرة .

أصـمٌّ قُطَارِىٌّ يكون خروجُـه ... قُبيلَ غُروبِ الشَّمس مُخْتَلَطَ الدَّمْس[1]

له منزلٌ ، أنفُ ابن قِتْرَةَ يغتذى ... به السمَّ ، لم يظهر نهارا إلى الشَّمس[2]

يَقِيلُ إذا ما قَالَ بين شواهق ... تزِلُّ العُقَابُ عن نَفَانِفِها المُلس[3]

بأَجْرَأَ مِنِّى يا ابْنَةَ القَوْمِ مُقْدَماً[4] ... إذا الحربُ دبَّتْ أو لَبِسْتُ لها لِبْسى[5]

فأجابه عَنْتَرَة الطائىُّ[6] ، فقال :

عَسَاكَ تَمنى مِنْ أَراقِمِ أَرْضِنَا ... بأَرْقَمَ يُسْقَى السمَّ مِنْ كلِّ مَنْطِفِ[7]

---

(١) قطارى ، بالضم : يقطر سمه من كثرته ، أو ضخم . مختلط الدمس : أى عند اختلاط الظلام . وروى هذا البيت فى اللسان (قطر ٤١٨) منسوبا إلى تأبط شرا برواية :

« بعيد غروب الشمس مختلف الرمس »

(٢) ابن قترة ، بكسر القاف وإسكان التاء : حية خبيثة إلى الصغر ، تنطوى ثم تنقز ذراعاً أو نحوها ، لا تجرى . ط ، ﻫ : « ابن قترة » س : « ابن قترة » صوابهما ما أثبت . يقول : إن تلك الحية الصغيرة الخبيثة تقصد إلى منزل ذلك الأسود فتغتذى بأنفها السم . و : « به » بمعنى منه ، وفى الكتاب : « عيناً يشرب بها عباد الله » ، أى يشرب منها .

(٣) قال : أمضى وقت القائلة ، أى الظهر . والشواهق : الجبال العالية . والنفانف جمع نفنف ، بفتح النونين ، وهو صقع الجبل الذى كأنه جدار مبنى مستو .

(٤) مقدما ، بضم الميم وفتح الدال ، أى إقداماً . ويصح أن يقرأ « مقدما » بضم الميم وكسر الدال ، نصب على الحال .

(٥) اللبس ، بالكسر : ما يلبس ، والمراد لباس الحرب : من الدرع والبيضة ونحوهما . ط ، ﻫ : « لبس » صوابه فى س .

(٦) هو عنترة بن عكبرة الطائى ، وعكبرة أم أمه ، وهو عنترة بن الأخرس بن ثعلبة . وساق نسبه الآمدى فى المؤتلف ١٥٢ قال : « شاعر محسن وفارس » . والبيت الآتى من أبيات خمسة فى الحماسة (٢ : ٣٨١) . وفى الأصل : « عنترة الصابى » وتصحيحه من المؤتلف وشرح التبريزى للحماسة (١ : ١١٨) .

(٧) تمنى ، أراد يقدر لك ، منى الله له الشىء : قدره . ولم أر تضعيف هذه النون إلا فى هذه الرواية . ورواية الحماسة ، وكذا محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) . « لعلك تمنى » . والمنطف : الموضع ينطف منه السم ، أى يقطر . وروى : « أنطف » على وزن أفعل ، قال التبريزى (٤ : ١٥١) . « وأفعل يوضع موضع فعل وفاعل » . ونطف يقال من بابى نصر وضرب .

(شعر فى الأسود)

وقال عنترة :

أترجُو حياةً يا ابن بشرِ بن مُسهِرٍ   وقد علِقتْ رجلاك فى ناب أسودا
أصمَّ جِبالىٍّ[1] إذا عضَّ عضةً   تزايَلَ عنه جلدُهُ فتبدَّدا[2]
بِسَلْعٍ صَفاً لم يبدُ للشَّمس قبلَها   إذا ما رآه صاحب اليَمِّ أُرْعِدَا[3]
له رِبْقَةٌ فى عنقه مِنْ قَميصِه   وسائِرُه عن مَتْنِهِ قد تَقَدَّدا[4]
رَقُودِ ضُحَيَّاتٍ ، كأَنَّ لِسانَهُ   إذا سمِع الإِجْراس مِكْحَالُ أَرْمَدَا[5]
يُفِيتُ النُّفوسَ قبل أن يقع الرُّقى   وإن أبرق الحاوِى عليه وأَرْعَدَا[6]

---

(١) كذا . ويقال للحية : « ابنة الجبل » . ورواية اللسان (مادة قطر) : « قطارى » بمعنى ضخم .

(٢) رواية اللسان : « تزيل أعلى جلده فتربدا » .

(٣) السلع ، بالفتح والكسر : الشق . واليم : البحر . وفى اللسان (سلع) : « راكب » بدل « صاحب » . وأرعد ، بالبناء للمجهول : أصابته الرعدة .

(٤) الربقة ، بالكسر : الحبل . وقميصه : جلده المنسلخ . والمتن : الظهر .

(٥) يقول : هو ينام فى الضحى ، وذاك من شأن الحيات ، وإنما تستيقظ فى الظلام . والأجراس : جمع جرس ، بالفتح : وهو الصوت . وتقرأ أيضاً : « الإجراس» بالكسر ، وهو التصويت . ومكحال الأرمد : ما يكتحل به . وجعل لسانه كالمكحال فى دقته ، وفى سواده أيضاً . ومكحال الأرمد أشد سوادا من غيره ؛ لكثرة ما يستعمل .

ومن طريف ما جاء فى وصف لسان الحية بالسواد ، قول الآخر :

كأنما لسانه حل فيه   دخان مصباح ذكت ذواكيه

قال أبو العباس ثعلب : « يقال إنه لم يسمع فى صفة الحية أحسن من هذا البيت ». انظر ديوان المعانى (٢ : ١٤٦). وقد سبق الكلام على لسان الحية فى ١٦٣ .

(٦) يفيت النفوس : يميتها موت الفجاءة . و « يقع الرقى » كذا فى الأصل . ولعلها : =

(شعر فى الحية)

وقال آخر :

لَايَنْبُتُ العُشْبُ فى وادٍ تكون به(١) ... ولا يجاورها وحْشٌ ولا شجر

رَبْداء شابكة الأنياب ذابلة ... ينبو ، من اليُبْسِ ، عن يافوخها الحجَرُ(٢)

لو سرّحت بالنَّدَى ما مسَّها بلَلٌ ... ولو تكنَّفها الحاوُون ما قدَرُوا(٣)

قد حاوَرُوها فما قام الرُّقاةُ لها ... وخاتلوها فما نالوا ولا ظفِرُوا(٤)

تقصِّدُ الورَلَ العادِى بضَرْبَتها ... نكزاً ، ويهرُب عنها الحيَّةُ الذَّكرُ(٥)

= « يسمع الرق » . وأبرق وأرعد : تهدد وأوعد ، بما يتلو من العزائم .

(١) تكون به : أى تكون تلك الحية به . وليس يعنى أنها تمنع العشب من أن ينبت ، ولكنه يريد أنها تختار موضعها فى القفر .

(٢) ربداء : من الربدة ، وهى الغبرة . شابكة : مشتبكة . س ، ه : « شائكة » وانظر ما سبق فى ص ٢٨١ س ٥ . وذابلة : دقيقة . ويعرض للحية الدقة عند الكبر فيكون ذلك أشد لسمها . ينبو : يرتد . س : « يا فوخة » ، صوابه فى ط ، ه . واليافوخ : ملتقى عظم مقدم الرأس ومؤخره .

(٣) يقول : ينزلق عنها الندى لملاستها ، ولو أحاط بها الحاوون ليستخرجوها من جحرها ما أمكنهم ذلك . والحيات الخبيثة لا تستجيب لدعوة الراق .

(٤) خاتلوها : خادعوها . س ، ه : « فما نابوا » ، صوابه فى ط .

(٥) الورل : حيوان من الزحافات طويل الأنف والذنب دقيق الخصر لا عقد فى ذنبه كعقد ذنب الضب ، وهو أطول من الضب وأقصر من التمساح : Varanus والعادى : الذى يعدو ، أى يجرى . تقصده : تقطعه وتفصله تفصيلا . انظر اللسان (قصد) وما سبق فى ص ٣٠٤ . ط ، ه : « تقتصر » ، س : « تذكر » ، والوجه ما أثبت . والنكز : طعن الحية الحيوان بأنفها .

جملة القول فى الظليم

فممّا فيه من الأعاجيب أنه يغتذى الصَّخرَ ، ويبتلع الحِجارةَ ، ويعمِد إلى المَرْوِ ، [والمَرْوُ] من الحجارة للتى توصف بالملاسة ؛ ويبتلع الحصى ، والحصى أصلبُ من الصَّخْر ، ثمّ يُميعه ويُذيبه فى قانصته[1] ، حتَّى يجعلَه كالماء الجارى . ويقصِدُ إليه وهو واثقٌ باستمرائه وهضْمه ، وأنّه له غذاءٌ وقِوامٌ . ١٠٣

وفى ذلك أعجوبتان : إحداهما التَّغذّى بما لا يُتَغذَّى[2] به . والأخرى: استمراؤه وهضمُه للشىء الذى لو أُلقِىَ فى شىء ثمّ طبخ أبداً ما انحلّ ولا لان . والحجارة هو المثل المضروبُ فى الشدَّة . قال الشاعر :

* حتى يلين لِضِرْسِ المَاضغِ الحَجرُ *

وقال آخر[3] :

مَا أَطْيَبَ الْعَيْشَ لو أنَّ الْفَتَى حَجَرٌ تنبُو الحوادثُ عنه وهو ملمومُ[4]

ووصف اللهُ قلوبَ قومٍ[5] بالشدَّة والقسوة ، فقال: ﴿ فَهِىَ كَالحِجَارةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ ، وقال فى التشديد : ﴿ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ[6] ﴾

---

(١) فى الأصل : « من قانصته » .

(٢) بدله فى س : « بما لا يغذو » .

(٣) هو تميم بن أبى مقبل ، كما فى ديوانه ٢٧٣ وشرح شواهد المغنى ٢٢٧ .

(٤) الحجر الملموم : هو المجتمع الشديد .

(٥) هم بنو إسرائيل . انظر الآية الرابعة والسبعين من سورة البقرة .

(٦) وقع تحريف فى هذه الآية فى النسخ الثلاث . فى ط : « النار » وفى س ، هـ : « نار » . وهذه الآية هى السادسة من سورة التحريم : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » . وفى سورة البقرة أيضاً : « فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » . الآية ٢٤ .

لأنه حين حذَّر النَّاسَ أعلمهم أنَّه يُلقِى العُصاة فى نارٍ تأكلُ الحجارةَ .

ومن الحجارةِ ما يتّخذه الصفّارونَ[1] عَلاةً[2] دونَ الحديد ؛ لأنّه أصبرُ على دقِّ عِظام المطارق والفِطِّيسات[3] .

فجوفُ النَّعامة يُذيب هذا الجوهرَ الذى هذه صفته .

(شواهد لأكل النعام الحصى والحجارة)

وقال ذو الرُّمَّة :

أذَاكَ أمْ خاضبٌ بِالسِّىِّ مرتَعُه ... أبو ثَلاَثِينَ أمْسى وهو منْقَلِبُ[4]

شخت الجزارة مثلُ البيتِ سائرُه ... من المُسوحِ خِدَبٌّ شوقَبٌ خَشِبُ[5]

---

(١) الصفارون : جمع صفار ، وهو من يعمل الصفر ، وهو بالضم : النحاس الجيد أو الأصفر . ط ، هـ : «الصائغون» ، والوجه ما أثبت من س ؛ إذ أن السياق يأبى ما فى ط ، هـ .

(٢) العلاة ، بالفتح : السندان ، وهو بالفتح ما يطرق عليه الحديد ونحوه .

(٣) جمع فطيس ، كسكيت ، وهى المطرقة العظيمة . ط : « الغطيسات » س : « العظيسات » ، صوابهما ما أثبت من هـ .

(٤) أذاك : يقول أذاك الثور يشبه ناقتى أم خاضب صفته كذا وكذا . والخاضب : الظليم ، أى ذكر النعام ، الذى احمرت ساقاه . والسى بكسر السين بعدها ياء مشددة : ما استوى من الأرض . وجاء فى الأصل بالهمزة ، صوابه فى اللسان (سى) والمخصص (٨ : ٥٢) وأمالى القالى (٣ : ١٦٤) وديوان ذى الرمة ص ٢٨ كبردج . أبو ثلاثين : أى أبو ثلاثين فرخا . والنعام يبيض نحو العشر فما فوقها ، فأراد بالثلاثين أنه قد حضن أبطنا فعرف ما يصلح البيض وما يفسده ، فهو حينما ينتهى من الرعى يهرع إلى أدحيته . وقال : أمسى ، ليعبر عن جده فى اللحاق قبل الليل ، ولأنه يكون فى ذلك الوقت قد رعى فاشتدت قوته . منقلب : منصرف . ط ، هـ : « وذاك » ، صوابهما فى س والمخصص والأمالى والديوان . ط : « مرتعة » صوابه فى جميع المصادر . ط ، هـ : « فهو منقلب » ، وهى رواية المخصص أيضاً .

(٥) شخت الجزارة : أى دقيق القوائم . والجزارة ، بالضم : أجر الجزارة ، كالعمالة أجر العامل . وكانوا يأخذون القوائم فى أجرة الجزار فسميت القوائم جزارة . مثل =

كأنّ رجليه مِسْمَاكانِ من عُشَرٍ صَقْبَانِ لَمْ يَتَقَشَّرْ عنهما النَّجَبُ[1]

أَلهَاهُ آءٌ وتَنُّـومٌ ، وعُقْبَتُهُ مِنْ لائحِ المَرْوِ ، والمَرْعى له عُقَبُ[2]

وقال أبو النَّجْم :

والمَرْوُ يُلْقِيهِ إلى أمعائه[3] فى سرْطم مادَ على التوائه[4]

= البيت » هو البيت من بيوت العرب من المسوح . قال المبرد : « يعنى إذا مد جناحيه . وإنما أخذه من قول علقمة بن عبدة :

صعل كأن جناحيه وجوجؤه بيت أطافت به خرقاء مهجوم »

والمسوح : جمع مسح ، بالكسر ، وهو الكساء من الشعر . والحدب : الضخم . والشوقب : الطويل . خشب : غليظ خشن . ط : « حدب » صوابه فى س ، هـ والديوان والكامل ٤٤٩ ليبسك .

(١) المسماك : عود يكون فى الخباء . والعشر : ضرب من كبار الشجر ، له صمغ حلو. صقبان : طويلان . والنجب : لحاء الشجر ، أى قشره . جعل رجليه كالمسماكين الطويلين الخشنين . وفى الأصل : « كأن عينيه » وهو من عجيب التحريف . وصوابه ما كتبت من الديوان . ط : « لم يتشر » صوابه فى س ، هـ والديوان .

(٢) الآء : شجر له ثمر يأكله النعام . والتنوم : شجر له حمل صغار مثل حب الخروع ، وينفلق عن حب يأكله أهل البادية ، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق . عقبت الماشية فى المرعى : رعت الخلة عقبة ثم تحولت إلى الحمض عقبة أخرى ، أو العكس . أى هو بعد أن يأكل هذين يجعل عقبته من لائح المرو . والمرو : الحجارة البيض . واللائح : اللامع .

(٣) المرو فسر قريباً . فى الأصل : « والمرء » ، تصحيحه من عيون الأخبار (٢ : ٨٦). والأمعاء : جمع معى بالتحريك ، وبكسر الأول وفتح الثانى . فى الأصل : « معائه » ، تحريف ما أثبت من عيون الأخبار ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) .

(٤) السرطم ، كجعفر : البلعوم . فى الأصل : « سرط » وصوابه من عيون الأخبار. ماد البلعوم : مال واضطرب . فى الأصل : « مار » ويصح بها المعنى ، لكن يسترك بها الرجز لما سيأتى فى البيت بعده . وفى عيون الأخبار : « هاد » والوجه ما أثبت . على التوائه : أى بسبب التواء بلعوم هذا الظليم .

يَمُورُ فى الحلقِ على عِلْبَائِه[1] تَمَعُّجَ الحيَّةِ فى غِشَائِهِ[2]
• هادٍ ولو حَارَ بَحُوصَلائِهِ •

(إذابة جوف الظليم للحجارة)

ومَنْ زَعَمَ أنَّ جَوفَ الظَّلِيمِ إنما يُذيب[4] الحِجارة بقَيظ الحرارة فقد أخطأ . ولكنْ لابدَّ من مقدارٍ للحرارة [و[5]] نحو غرائزَ أخر ، وخاصِّيّات أخر . ألا تَرَى أنَّ القُدورَ التي يُوقَد تحتها الأيَّامَ واللَّياليَ ، لا تذوب .

(القول فى الخاصيات والمقابلات والغرائز)

وسأدلُّك على أنْ القولَ فى الخاصِّيّاتِ والمقابلات والغرائز حقٌّ . ألا ترى أنّ جوفَ الكلْبِ والذِّيبِ يذيبان العِظام ولا يذيبان نَوَى التمر ، ونَوَى التمر أرخَى وألين وأضعَفُ من العظام المصْمَتة . وما أكثر ما يَهضِم

---

(١) يمور : أى يضطرب ويتردد ، والضمير للمرو . ط ، س : « تمر » هـ : « يمر » صوابهما من المخصص (١٦ : ٦٣) وهو ما يقتضيه ارتباط هذا البيت بما بعده . والعلباء ، بالكسر : عصب العنق . فى الأصل : « عليائه » بالياء ، والوجه ما أثبت موافقاً لما فى المخصص .

(٢) التمعج : التلوى . ورواية المخصص (١٦ : ٢٨ ، ٦٣) : « تمعج » بتقديم العين ، وهما بمعنى واحد . وغشاء الحية : غلافه . والمراد جلده الذى يسلخه . والحية يذكر ويؤنث ، جعل حركة المرو يتردد فى حلق الظليم كحركة الحية حين تضطرب فى جلدها قبل تمام انسلاخه . فى الأصل : « عشاء » صوابه من المخصص .

(٣) يقول : ذلك المرو ، ولو حار قليلا فى وصوله إلى حوصلة الظليم ، فهو هاد بها فى آخر الأمر ، أى مهتد . ط ، هـ : « جاد » محرفة . س : « حاد » . والأوفق ما أثبت من المخصص (٨ : ١٢٢) . و « بحوصلائه » : أى هو مهتد بحوصلائه ، كأنها علم له . ورواية المخصص والفصول ٤٦٢ : « لحوصلائه » .

(٤) ط . هـ . « تذيب » ، صوابهما فى س .

(٥) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

١٠٤ العظم . وقد يهضم العظمَ جوفُ الأسد وجوفُ الحيَّةِ ، إذا ازدردت بضع اللحْمِ[١] بالشَّرَهِ والنَّهَم ، وفيها بعضُ العِظام .

والبراذين التى يُحِيلُ[٢] أجوافَها القَتُّ والتِّبْنَ[٣] رَوْثاً ، لا تستمرِى الشعير .

والإبلُ تقبضُ بأسنانِها على أغْصانِ أمِّ غَيْلاَن ، وله شوكٌ كصياصِى البقر[٤] ، والقُضبانُ علكة[٥] يابسةٌ جرد ، وصلاب متينة ، فتستمرئُها[٦] وتجعَلها ثَلْطاً[٧] ولا تقْوَى على هضْم الشَّعِير المنْقع . وليس ذلك إلاَّ بالخصائص والمقَابلات .

وقد قدَّرَ كلُّ شيء لشيء . ولولا ذلك لما نفذ خرطومُ البعوضةِ والجِرجسة فى جلد الفيل والجاموس ، ولَمَا رأيت الجاموسَ يهرُب إلى الانغماس فى الماء مرَّةً ومرَّةً يتلطَّخ بالطِّين ، ومرَّةً يجعله أهله ربيثَ الدكان[٨] . ولو دفعوا إليك مِسَلَّةً شديدةَ المتْن ، لَمَا أدخلْتَها فى جلْد الجاموسِ إلاَّ بَعدَ التكلُّفِ ، وإلاَّ ببَعْضِ الاعتماد .

والذى سخَّر جلدَ الجاموسِ حَتَّى انفرَى وانصدع لطعْنةِ البعوضة ،

---

(١) البضعة ، بالفتح وقد تكسر : القطعة من اللحم، جمعها بضع بالفتح ، وكعنب ، وصحاف ، وتمرات .

(٢) فى الأصل : « يحل » .

(٣) القت : يابس الفصفصة ، والفصفصة ما يعرف فى مصر بالبرسيم . فى الأصل : « ألقت » صوابه ما أثبت .

(٤) صياصى البقر : قرونها ، مفردها صيصية .

(٥) علكة : شديدة .

(٦) فى الأصل : « تستمرئها » .

(٧) الثلط ، بالفتح : الروث . س ، هـ : « ثلكا » صوابه فى ط .

(٨) الربيث : المحبوس . وفى الأصل : « على ربيث » وهذا التصحيح للأب أنستاس .

وسخَّر[1] جلد الحمار لطعْنة الذُّباب ، وسخَّر الحجارةَ لجوف الظليم ، والعَظْمَ لجوف الكلبِ – هو الذى سخَّر الصَّخْر الصُّلْبَ لأذناب الجراد ، إذا أرادتْ أن تُلقِيَ بيضها ؛ فإنَّها فى تلك الحال مَتَى عمَدَتْ ذنبها فى ضاحى صخْرةٍ[2] انصدعَتْ لها . ولو كان انصداعُها من جهة الأَسْر[3] ، ومن قوّة الآلة[4] ، ومن الصَّدم[5] وقوّةِ الغمْز ، لانصدعت لما هُو فى الحسِّ أشدُّ وأقوى . ولكنَّه على جهة التَّسخير ، والمقابلات ، والخصائص .

وكذلك[6] عُود الحَلْفاء ، مع دقّته ورَخاوته ولِين انعطافه ، إذا نبَتَ فى عُمق الأرضِ ، وتلَقّاه الآجُرُّ والخزَفُ الغليظ ، ثَقَبَ ذلك ، عند نباته وشبابه ؛ وهو فى ذلك عبقَرٌ نَضير .

وزعم لى ناسٌ من أهل الأُرْدُنِّ ، أنهم وجَدوا الحلْفاء قد خرّق جوف القار[7] .

وزعم لى أبو عتّاب الجرّار[8] ، أنّه سمع الأكرَة يُخبِرونَ أنهم وجدوه قد خَرَقَ فلسًا[9] بَصْريًّا .

---

(١) ط : « وسخر » صوابه فى س ، هـ .

(٢) ضاحى الصخرة : ظاهرها . س ، هـ : « صاحى » صوابه فى ط .

(٣) الأسر ، بالفتح : القوة .

(٤) س : « الأيد » .

(٥) ط ، هـ : « للصدع » صوابه فى س .

(٦) س : « ولذلك » .

(٧) القار : الزفت . ط : « الفار » س : « نعار » كذا . صوابهما فى هـ .

(٨) ط : « الجرار » وأثبت ما فى س ، هـ . وانظر ما سبق فى (٣ : ٣٤) .

(٩) الفلس : جزء من أجزاء الدرهم . وقد تحدث عنه المحقق الكبير الأب أنستاس مارى فى حواشى النقود العربية ٦٧ — ٦٨ . ط : « وقد قلع فلسا بصريا » .

وليس ذلك لشدّةِ الغمزِ وحِدَّة الرأس ، ولكنه يكون على قدْر ملاقاة الطباع .

ويزعمون أنَّ الصَّاعقة تسقُطُ فى حانوت الصَّيْقل[١] فتُذيب السُّيوفَ بطبعها[٢] ، وتدع الأغمادَ عَلَى شبيهٍ بحالها . وتسقُطُ عَلَى الرَّجُلِ ومعه الدراهمُ فتَسبك الدَّراهم ، ولا يصيبُ الرجُلَ أكثرُ من الموت .

والبحريُّون عندنا بالبصرة والأُبُلَّة التى تكون عليها الصَّواعق[٣] ، لايدعون فى صُحُون[٤] دُورهم وأعالى سُطوحهم ، شيئاً من الصُّفر إلّا رفعوه ؛ لأنها عندهم تنقضُّ من أصل مخارجها ، على مقدارٍ من محاذاة الأرض ، ومقابلةِ المكان ، فإذا كان[٥] الصُّفر لها ضاحياً ، عدلَتْ إليه عن سَنَنِها[٦] .

وما أنكر ما قالوا . وقد رأيتهم يستعمِلون ذلك .

وقد يَسْقط النَّوَى[٧] فى تُرَابِ المتوضَّإ ، فَإِذَا صُهرِجَ نَبَتَ[٨] ١٠٥ فإذا انتهى إلى الصَّاروج أمسك . وإن كان الصَّاروج رقيقاً فإنْ قُيِّرَ ، وجُعلَ غِلظُهُ بقدر طول الإبهام ، نبت ذلك النَّوى حتَّى يخرِق ذلك القار .

---

(١) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها .

(٢) س : « وطبعها » .

(٣) فى الأصل : « عنها الصواعق » .

(٤) صحن الدار : وسطها .

(٥) فى الأصل ، « كانت » .

(٦) السنن : الطريق . ط : « سنها » . والوجه ما أثبت من س ، ھ .

(٧) فى الأصل : « وقد تسقط النواة » ، والسياق يقتضى ما كتبت .

(٨) صهرج المتوضأ : عمل بالصاروج ، وهو النورة أو أخلاطها .

(٩) أى جعل فوقه القار . ط : « وإن كان الصارج » ، صوابه فى س ، ھ

ولورام رَجُلٌ خرْقَه بمسمارٍ أو سِكّة[١] ، لما بلغ إرادتَه حتى يشقّ على نفْسه .

والذى سخَّرَ هذه الأمورَ القويَّةَ فى مذْهب الرَّأى وإحساسِ النّاس ، هو الذى سخَّر القُمقُم ، والطَّيجن ، والمِرْجَل ، والطَّستَ ، لإبرة العقرب . فما أُحصِى عدَدَ مَنْ أخبرنى من[٢] الحوّائين ، من أهل التَّجارب ، أنها ربّما خرجتْ من جُحرها فى اللّيل لطلَب الطُّعم[٣] ، ولها نشاط وعُرَام[٤] ، فتضرِب كلَّ مالقِيتْ ولقِيها : من حيوانٍ ، أو نباتٍ ، أو جماد .

وزعم لى خاقانُ بن صبيح – واستشهد المثنَّى بنَ بِشْر ، وما كان يحتاجُ خبَرُه إلى شاهدٍ ؛ لصدقه – أنّه سمعَ فى داره نَقْرَةً وقعتْ على قُمقُم – وقد كان سمع بهذا الحديث – فنهض[٥] نحوَ الصوت ، فإذا هو بعقربٍ فتعاورها هو والمثنى بنعالها[٦] حتى قتلاها ، ثمَّ دعَوَا بماءٍ فصبَّاه فى القُمقُم فى عشيَّتِهِماَ ، وهو صحيحٌ لايسيلُ منه شىء .

فمن تعجَّبَ من ذلك فليصرِفْ بَدِيًّا[٧] تعجُّبَه إلى الشىء الذى

---

(١) السكة : الحديدة . وأصلها حديدة المحراث . ط : « سلة » ، وأثبت ما فى س ، هـ .

(٢) فى الأصل : « عن » .

(٣) ط ، هـ : « الطعام » ، وما أثبت من س أشبه بلغة الجاحظ . والطعم ، بالضم : الطعام .

(٤) العرام ، بضم العين المهملة : الحدة والشدة . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط ، س : « غرام » و هـ : « عزام » .

(٥) هـ : « فناهض » ، صوابه فى ط ، س .

(٦) التعاور : التداول والتناوب . س ، هـ : « بنعليهما » وهو وجه جائز ، وأثبت ما فى ط .

(٧) بديا : أى بدءا وأولا . وجاء فى س : « بدءا » .

تقذفه بلذبها[1] العقربُ فى بدَن الإنسان والحمير والبغال ، فليفكِّرْ[2] فى مقدار ذلك من القلة والكثرة . فقد زعم لى ناسٌ من أهل العَسْكر[3] أنهم وزنوا جَرَّارَةً[4] بعد أنْ ألسَعُوها[5] فوجدوا وَزنها على تحقيق الوزن على مقدارٍ واحد . فإن كان الشيء المقذوفُ من شكل [الشيء] الحارّ ، فلم قصَّرت النَّارُ عن مبلغ عمله ؟ ! وإن كان من شِكل الشيء البارد فلم قصَّر الثلج عن مَبْلغ عمله ؟ ! فقد وَجَبَ الآن أنَّ السمَّ ليس يقتل بالحرارة ، ولا بالبرودة إذا كان بارداً . ولو وجَدْنا فيما أردنا شيئاً بلغ مبلَغَ الثَّلجِ والنار لذكرْناه .

فقد دلَّ ما ذكرنا على أنَّ جوفَ النَّعامةِ ليس يُذيبُ الصخرَ الأملسَ بالحرارة ، ولكنَّه لابدَّ على كلِّ حالٍ من مقدارٍ من الحرارة ، مع خاصِّيَّات أُخَرَ ، ليستْ[6] بذاتِ أسماءٍ ، ولا تعرفُ إلَّا بالوهم فى الجملة .

---

(١) ط ، هـ : « بدبها » س : « بدبها » . ولعل الوجه ما أثبت .

(٢) كذا فى س . وفى ط ، هـ : « فيفكر » .

(٣) هو عسكر مكرم ، بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء : بلد من نواحى خوزستان . قال الجاحظ عند ذكر الجرارات : « وهى تكون بعسكر مكرم وجنديسابور » . وقال الدميرى عند ذكر الجرارات : « وهى عقارب صغار صفر على مقدار ورق الأنجذان . وتكون بعسكر مكرم » .

(٤) الجرارة : واحدة الجرارات . وهى ضرب من العقارب صغار تجرر أذنابها وفى الأصل : « جرادة » تحريف . انظر التنبيه السابق .

(٥) ألسعوها : أى مكنوها من لسع حيوان . ط ، هـ : « التقوها » ، صوابه ما أثبت من س .

(٦) ط ، س : « ليسب » تصحيحه من هـ .

(علة قتل السم)

والسمّ يقتل بالكمّ والكَيف والجِنس . والكَمُّ : المقدار . والكيف : الحدّ . والجنس : عَيْنُ[1] الجوهرِ وذاتُه .

وتزعمُ الهندُ أنّ السّمّ إنما يقتُل بالغَرابة ، وأنّ كلَّ شيء غريب خالَطَ جَوْفَ حيَوَانٍ قَتَلَهُ . وقد أبى ذلك ناسٌ فقالوا : وما بالُه يكون غريباً إذا لاقى العصَبَ واللَّحم ، وربما كان عاملًا فيهما جميعا . بل ليس يقتل إلّا بالجنس ، وليس تُحسُّ النفسُ إلّا بالجنس . ولو كان الذى يميت حِسَّهُما إنما يميتُه لأنه غريبٌ ، جَازَ أيضاً أنْ يكون الحسَّاس إنما حَسَّ[2] لأنه غريب . ولو كان هذا جائزاً لقيل فى كلِّ شىء .

وقال ابن الجهم : لولا أنّ الذهب المائعَ ، والفِضَّة المائعة ، يجمدان إذا صارا فى جوف الإنسان ، وإذا جَمُدَا لم يجاوزَا مكانهما ـ لكانا[3] ١٠٦ من القواتل بالغرابة .

وهذا القول دَعْوَى فى النفس ، والنفْسُ تضيق جدًّا . وما[4] قرأت للقدماءِ فى النفْس الأجلادَ الكثيرة . [و[5]] إنما يستدلُّ ببقاء تلك الكتب على وَجْهِ الدّهر إلى يومنا هـذا ، ونَسْخِ الرِّجَال لهـا أمّةً بعدَ أمّة ، وعمرًا بعد عمر ، على جهل أكثرِ النّاسِ بالكلام . والمتكلمون

(١) فى الأصل : « غير » ، وصوابه ما كتبت .
(٢) هى صحيحة . وفى القاموس : « وحسست الشىء : أحسسته » .
(٣) فى الأصل : « لكان » . والوجه إلحاق ألف الاثنين .
(٤) لعلها : « وقد » .
(٥) ليست بالأصل .

يريدون أن يَعْلمُوا كل شيء ، ويأبى الله ذلك . فهذا بابٌ من أعاجيب الظليم .

باب آخر
وهو عندي أعجب من الأول

وهو ابتلاعُهُ الجمرَ حتى ينفُذَ إلى جوفه ، فيكونَ جوفه هو العامل في إطفائه ، ولا يكونَ الجمرُ هو العامل في إحراقه .

وأخبرني أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن سَيَّارٍ النَّظَّام ـ وكنَّا لانرتاب بحديثه إذا حكَى عن سماعٍ أو عِيان ـ أنَّهُ شَهِدَ محمد بن عبد الله ، يلقى الحجَرَ في النَّار ، فإذا عاد كالجمر قَذَف به قُدَّامَه ، فاذا هو يبتلعه كما يبتلع الجَمْرَ . وكنتُ قلت له : إنَّ الجَمْرَ سخيفٌ سريعُ الانطفاءِ إذا لقى الرطوباتِ ، ومتى أطبقَ عليه شيء يَحُولُ بيْنهُ وبين النَّسيم خَمَدَ ، والحَجَر أشدُّ إمساكاً لما يتداخَله من الحرارة ، وأثقَلُ ثِقَلًا ، وألزقُ لزُوقاً وأبطأ انْطِفَاءً ، فلو أحميْتَ الحجارة ! فأحماها ثم قذف بها إليه ، فابتلع الأولى فارتَبت به ، فلما ثنَّى وثلَّثَ اشتدَّ تعجبي له ، فقلت له : لو أحميت أواقيَّ الحديدِ ، ما كان منها رُبْعَ رِطلٍ ونصف رطل ! ففعل ، فابتلعه ، فقلت : هذا أعجبُ من الأوّلِ والثَّاني ، وقد بقيَتْ علينا واحدةٌ ، وهو أن ننظر : أيَسْتَمْرِى[1] الحديدَ كما يستمْرِى الحجارة ؟ ولم يتركنا بعضُ السفهاء

---

(١) يستمرى : يستسيغ . وأصلها الهمز .

وأصحاب الخُرْق[1] أن نَتَعرَّفَ ذلك على الأيّام . وكنتُ عَزَمْتَ على ذبْحه وتفتيش جَوْفِه وقانصته ، فلعلّ الحديد يكون قد بقى هناك لا ذائباً ولا خارجاً فعمَد بعضُ نُدمائه إلى سِكّين فأُحْمِيَ ، ثم ألقاه إليه فابتلعه ، فلم يجاوزْ أعلى حلقه حتى طلعَ طرفُ السِّكين من موضع مَذْبَحِه ، ثمَّ خرَّ مَيِّتاً .

فَمَنَعَنا بخُرقِه من استقصاء ما أردْنا .

(شبه النعامة بالبعير وبالطائر)

وفى النَّعامة أنَّها لا طائرٌ ولا بعير . وفيها من جهة المَنْسِمِ [والوظيف[2]] والخَرَمَةِ[3] ، والشقّ الذى فى أنفه ، ما للبعير . وفيها من الرِّيش والجناحَين والذَّنبِ والمِنْقارِ ، ما للطائر . وما كان فيها من شكل الطَّائر أخرجَهَا ونَقَلها إلى البيض[4] ، وما كان فيها من شكل البعير لم يخرجها ولم ينقلها إلى الوُلْدِ[5] . وسماها أهل فارس : « أشْتُرْمُرْغ[6] » ، كأنَّهم قالوا : هوطائر وبعير . ١٠٧

---

(١) الخرق ، بالضم : الحمق وسوء التصرف .

(٢) الوظيف : مستدق الذراع والرجل من الخيل والإبل . وهذه الزيادة من س .

(٣) الخرمة ، بالتحريك : موضع الخرم من الأنف . وفى كل أنف خرمات ثلاث ، ثنتان خارجتان عن اليمين واليسار ، والثالثة الوترة التى بين المنخرين . ط : « الخزامة » ، وهى بالكسر : ما يوضع فى خرمة الأنف ، وليست مرادة . س ، هـ : « الخرامة » ، صوابه ما أثبت . وانظر العقد (٦ : ٢٣٧) .

(٤) البيض ، ككتب ، وبالكسر أيضاً : جمع بائض وبيوض . والعبارة محرفة فى الأصل . فى جميع النسخ : « وفيها إلى ما فيها من شكل الطائر » ، وبعد كلمة « الطائر » فى كل من ط ، هـ : « حذقها » ، وفى س : « حذفها » وهو تحريف جد مضلل ، وقد هدانى إلى تصحيح العبارة ، ما تقتضيه المقابلة بين هذه الجملة والجملة التى تتلوها .

(٥) الولد ، بالضم وكسكر : جمع والد بمعنى والدة . وفى اللسان : « وشاة والدة وولود : بينة الولاد . ووالد ، والجمع ولد » . وانظر تاج العروس . ط ، هـ : « الواعر » ، وصوابه ما أثبت من س .

(٦) « أشتر » بضم الهمزة والتاء ، ويقال أيضاً : « شتر » بحذف الهمزة ونقل =

(شعر فى شبه النعامة بالبعير والطائر)

وقال يحيى بن نوفل :

فأنتَ كساقطٍ بين الحَشَايا   تَصير إلى الخَبيثِ من المَصيرِ[١]
ومثلُ نَعامةٍ تُدْعَى بعيراً   تعاظُمِها إذا ما قِيلَ طِيرِى[٢]
فإن قيل احْمِلى قالت فإنِّى   مِنَ الطَّيرِ المُربةِ بالوُكورِ[٣]

ثمَّ هجا خالدا[٤] فقال :

وكنتَ لَدَى المُغيرة عَيْرَ سَوْءٍ   تَصُول ، من المخافةِ ، للزَّئيرِ[٥]

= الضمة إلى الشين : معناه البعير . ومرغ ، بالضم : معناه الطائر .

(١) جعله ممن يلازم الفراش ، ويقعد عما تقتضيه الشجاعة والرجولة . وجاء فى حديث على « من يعذرنى من هؤلاء الضياطرة ، يتخلف أحدهم يتقلب على حشاياه ! » . وقال عمرو بن العاص : « ليس أخو الحرب من يضع خور الحشايا عن يمينه وشماله » . الخور : اللينات . « تصير » هى فى الحيوان (٧ : ٢٠) والبيان (٢ : ٢٦٦) : « يصير » .

(٢) تعاظمها : أى ادعاؤها العظمة والفوق على الطيور . وجاءت الرواية كذلك فى الجزء السابع ، والبيان ، وأصل عيون الأخبار (٢ : ٨٦) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) . وروى : « تعاصينا » كما هى عند الدميرى . وروى فى اللسان (مادة نعم) : « تعاظمه » ، أى تعاظم البعير .

(٣) أرب الطائر بوكره : لزمه ولم يفارقه .

(٤) هو خالد بن عبد الله القسرى . وروى الجاحظ فى البيان (١ : ١١٢) بيتين ليحيى بن نوفل فى هجاء خالد بن عبد الله القسرى :

بل السراويل من خوف ومن وهل   واستطعم الماء لما جدّ فى الهرب
وألحن الناس كل الناس قاطبة   وكان يولع بالتشديق فى الخطب

(٥) المغيرة هذا هو المغيرة بن سعيد ، صاحب فرقة المغيرية ، وهو متنبىء خرج فى إمارة خالد بن عبد الله القسرى ، وكان يقول بإلاهية على ، وتكفير أبى بكر ، وعمر وسائر الصحابة إلا من ثبت مع علىّ . وظفر به خالد بن عبد الله آخر الأمر ، فأحرقه وأحرق أصحابه فى سنة ١١٩ من الهجرة . والعير : الحمار الوحشى =

لأعلاجٍ ثمانيةٍ وعِلْجٍ كَبيرِ السِّنِّ ذى بصَرٍ ضَريرِ [1]
هتَفْتَ بكلِّ صَوْتِكَ أطْعِمُونِى شراباً ؛ ثم بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ [2]

وإنما قيل ذلك فى النَّعامةِ ؛ لأنَّ النَّاسَ يضربون بها المثلَ للرَّجل إذا كان مِمَّنْ يعتلُّ فى [كُلِّ] شىءٍ يكلفونه بعِلة ، وإن اختَلَفَ ذلك التكليف، وهو قولهم: « إنما أنتَ نعامةٌ ، إذا قيل لها احملى قالت: أنا طائر ، وإذا قيل لها طيرى قالتْ : أنا بعير » .

(قصة أذنى النعامة)

وتزعمُ الأعرابُ أنَّ النَّعامةَ ذهبَتْ تطلُبُ قرنَين ، فرجَعت مقطوعةَ الأذنين ؛ فلذلك يسمُّونه « الظليم[4] » ، ويصفونه بذلك .

وقد ذكر أبو العِيالِ[5] الهُذَلىّ ذلك ، فقال :

= جعله عند ملاقاته للمغيرة كالعير ، إذا سمع زئير الأسد دفعته شدة الجبن والذعر إلى أن يهاجم هو الأسد ، بما ضاع من صوابه وطار من رشده ، وهذا معروف من طباع العير . والبيت محرف فى الأصل وفى البيان أيضاً . فهو فى الأصل : « عبد سوء تصول من المخافة للزمير »، وفى البيان : « تبول من المخافة للزئير » . وصوابهما ما أثبت .

(١) يشير إلى المغيرة وكبار أتباعه . وللمرزبانى حديث عن هذا البيت فى الموشح ٢٣٥ .

(٢) انظر لتوضيح هذا البيت ما سبق فى (٢ : ٢٦٧ س ١٠) والحواشى .

(٣) الظليم ، أى المظلوم ، كقتيل وجريح . وانظر ما سيأتى فى ٣٩٨ - ٣٩٩ . وجاء فى هذا قول بشار : كما فى محاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) :

وكنت كالهيق غدا يبتغى قرنا فلم يرجع بأذنين

وانظر مع هذا التذييل فى آخر الجزء .

(٤) أبو العيال ، شاعر من شعراء هذيل ، مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وأسلم فيمن أسلم من هذيل ، وعمر إلى خلافة معاوية . الأغانى (٢٠ : ١٦٧) . الجمحى : « كان رجلان من هذيل يسكنان مصر — أحدهما يقال له بدر بن عامر والآخر يقال له أبو العيال بن أبى غثير . فبينا ابن أخ لأبى العيال قائم عند قوم =

وإخال(١) أن أخاكم وعِتَابَهُ(٢) إذ جاءكم بتعطُّفٍ وسكونِ(٣)

يُمْسِى إذا يُمسِى ببطن جائع صِفْرٍ ووجهٍ ساهمٍ مَدْهُونِ(٤)

فغدَا يَمُثُّ(٥) ولا يُرَى فى بَطْنِهِ مثقالُ حَبَّةِ خَرْدلٍ موزونِ(٦)

أو كالنّعامةِ إذْ غدت من بيتِها ليُصاغَ قَرْنَاهَا بِغَيْرِ أذِينِ(٧)

فاجتثت الأذْنَانِ منها فانْثَنَتْ صَلْماءَ ليسَتْ مِنْ ذَوَاتِ قُرُونِ(٨)

= ينتضلون إذ أصابه سهم فقتله . فخاصم فى دمه أبو العيال ، وأنه اتهم به بدر ابن عامر ، أن يكون ضلعه مع القوم الذين يخاصمهم ، وخاف أن يعينهم عليه ». وقد قال بدر بن عامر يبرئ نفسه مما قيل لأبى العيال وقرف به ، شعراً روى فى (أشعار الهذليين) المطبوع فى لندن ١٨٥٤ ، فأجابه أبو العيال مرة فرد عليه بدر أخرى ، وهكذا حتى تجاوبا عدة مرات . انظر أشعار الهذليين ص ١٣٦ . وهذا الشعر الآتى هو المجاوبة الخامسة من أبى العيال الهذلى . وروى قصة الشعر أبو الفرج فى الأغانى (٢٠ : ١٦٧) معزوة إلى الأصمعى وأبى عمرو . وفيها زيادة : أن ذينك الرجلين الهذليين خرجا إلى مصر فى خلافة عمر بن الخطاب . وهذا الاسم هو فى الأصل : « أبو العباس » وصوابه ما ذكرت .

(١) س : « وأخاك »، صوابه فى ط ، هـ وبقية أشعار الهذليين .

(٢) فى الأصل : « رعنانة » ، تصحيحه من بقية أشعار الهذليين .

(٣) قال ابن حبيب : يقول : جاءكم متعطفا ساكنا يريكم أن باطنه صالح : وهو باطن سيئ .

(٤) ط : « يمشى إذا يمشى » صوابه فى س ، هـ والمرجع المتقدم . والصفر بالكسر : الخالى الذى لاطعام فيه . ساهم : ضامر مهزول . وقد دهن وجهه ليرى الناس أنه مخصب وليخدعهم عن سهومه وتغيره .

(٥) يمث : يرى على بشرته وجلده مثل الدهن . فى الأصل : « يموت »، وهو تحريف صوابه فى بقية أشعار الهذليين . والرواية فيه : « فيرى يمث » .

(٦) مثقال : مقدار . وحب الخردل من أصغر الحبوب . يريد مثقال حبة خردل من طعام . وجعله موزونا مبالغة منه وإظهارا للمعنى .

(٧) بغير أذين : أى من غير أن يؤذن لها . فى الأصل : « لتصاغ »، ووجهه ما أثبت من بقية أشعار الهذليين .

(٨) اجتثت : قطعت من أصلها . والصلماء : المقطوعة الأذنين .

(تقليد الغراب للعصفور)

ويقولون : ذهَبَ الغُراب يَتعَلَّمُ مِشْيةَ العُصفور[1] ، فلم يتعلَّمْها ، ونسِى مِشيتَه ، فلذلك صارَ يحجِلُ ولا يَقْفِزُ قَفزَانَ العُصْفور[2] .

(مشى طوائف من الحيوان)

والبُرغوث والجرادةُ ذاتُ قفْزٍ ، ولا تمشى مِشْيَةَ الدِّيكِ والصَّقرِ والبازى ، ولكن تمشى مِشيةَ المقيَّد أو المُحَجَّل[3] [خِلْقَة[4]] .

قال أبو عِمران الأعمى[5] ، فى تحوُّل قضــاعة إلى قحطانَ[6]

---

(١) الشعر الذى رواه الدميرى يشير إلى أنهم زعموا أيضاً أنه رام تقليد القطاة . وهو :

إن الغراب وكان يمشى مشية فيما مضى من سالف الأجيال
حسد القطاة ورام يمشى مشيها فأصابه ضرب من العقال
فأضل مشيته وأخطأ مشيها فلذاك سموه أبا المرقال

(٢) هى صحيحة . يقال قفز يقفز قفزاً وقفزانا وقفازاً — بضم ففتحة خفيفة — وقفوزاً . والأسير والأعرف : نقز العصفور ينقز نقزاً ونقزانا .

(٣) المحجل : الذى قيدت قوائمه . وفى الأصل : « الحجل » محرف .

(٤) هذه الزيادة من س ، هـ . وهى فى أصلها : « خلقته » .

(٥) كذا فى ط ، هـ ، وفى س : « أبو عمروان الأعمى » ، تحريف . واسمه يحيى بن سعيد كما فى كتاب العقة والبررة لأبى عبيدة ، فى نوادر المخطوطات (٢ : ٣٥٢) :

(٦) قضاعة ، هو قضاعة بن معد بن عدنان . وقد تحولت إلى حمير فعدت فى اليمن . انظر المعارف ص ٢٩ . وقد وضح ابن الكلبى سبب هذا التحول بأن قضاعة ليس ولداً شرعياً لمعد بن عدنان ، بل والده هو مالك بن حمير من اليمن ، فلما توفى والد قضاعة تزوجت أمه — وكان اسمها عكبرة — بمعد بن عدنان ، فتبناه حينئذ وتكنى به ، فنسب إليه ، أى إلى معد ، فى أول الأمر . ثم عاد النسب إلى حقيقته فصار يعرف بقضاعة بن مالك بن حمير . انظر النص فى الروض الأنف (١ : ١٦) . وقد قال عمرو بن مرة يذكر هذا النسب :

نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر قضاعة بن مالك بن حمير =

عَنْ نِزارٍ(١) :

كما اسْتَوحَشَ الحيُّ المقيمُ ففارقُوا الْ خَليطَ فلا عزَّ الَّذين تَحمَّلوا
كتاركٍ يوماً مِشْيَةٍ مِنْ سَجِيَّةٍ لأخرى ففاتَتْهُ فأصبحَ يَحْجِلُ(٢)

(عظام النعـامة)

١٠٨ ومن أعاجيبها أنَّها مع عِظَمِ عظامها ، وشدّة عدْوها ، لا مخَّ فيها . وفى ذلك يقول الأعلم الهذليُّ :

عَلى حتٍّ البُرايَةِ(٣) زَمْخَرِيِّ الـ سَّوَاعِدِ(٤) ظَلَّ فى شَرْيٍ طِوالِ(٥)

يعنى ظليماً شبّه [بهِ(٦)] عدْوَ فرسِه . والحَتُّ(٧) : السريع . والشَّرى :

= النسب المعروف غير المنكر فى الحجر المنقوش تحت المنبر
وقال الكميت يعاتب قضاعة فى انتسابهم إلى اليمن :
علام نزلتم من غير فقر ولا ضراء منزلة الحميل
والحميل: السبى يحمل من بلد إلى بلد .

(١) أى عن إخوتهم نزار بن معد بن عدنان . وفى الأصل : « بن نزار » وليس شيئاً ؛ فان قحطان هو ابن عابر ؛ كما اتفقت على ذلك كتب الأنساب .

(٢) المشية ، بالكسر : الهيئة من المشى . وقد فصل بين المتضايفين بالظرف ، وهو جائز . وفى الأصل : « مشيه » والصواب ما أثبت ؛ لقوله : « أخرى » أى لمشية أخرى . وانظر العقفة و البررة لأبى عبيدة ٣٥٥ .

(٣) حت ، بحاء مفتوحة بعدها تاء مثناة . وفى الأصل : « حث » بالمثلثة ، وهو وهم وتحريف ، صوابه من اللسان (حتت ، زمخر ، برى) وحماسة البحترى ٦٦ حيث يتوسط البيت خمسة أبيات مروية هناك . س : « البرية » تحريف .

(٤) الزمخرى : سيفسره الجاحظ . س : « ذمخرى » ، صوابه بالزاى كما أثبت .

(٥) تقرأ بالكسر ، جمعا لطويل . وبالضم ، مفرداً بمعنى الطويل . قال ابن جنى « يريد أنهن إذا كن طوالا سترنه فزاد استيحاشه . ولو كن قصاراً لسرح بصره ، وطابت نفسه ، فخفض علوه » .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) ط ، هـ : « الحث » س : « الحب » ، صوابهما بالمثناة . انظر التنبيه الثالث.

الحنظل . وبُرايته : قوّته على ما يَبْريه من السَّير[1] . والسَّواعد : مجارى مخِّه فى العظم وكذلك مجارى عروق الضَّرْع ، يقال لها السَّواعد .

قال : ونظنُّ أنَّمَا قيل لها ذلك لأنَّ بعضَها يُسْعِدُ[2] بعضاً ؛ كأنَّه من التَّعاون أو من المواساة[3] .

قال : والزَّمْخَرِىّ : الأجوف . ويقال : إنَّ قصب عظْم الظَّليم لا مخَّ له . وقال أبو النجم :

* هاوٍ يظلُّ المخُّ فى هَوائِه[4] *

وواحد السَّواعد : ساعد .

وقال صاحب المنطق : ليس المخُّ إلاَّ فى المجوَّفة[5] ، مثل عظم الأسد .

وفى بعض عظامه مخٌّ يسير . وكذلك المخُّ قليلٌ فى عِظام الخنازير ، وليس فى بعضها منه شىءٌ البتَّة .

(بيض النعام وما قيل فيه من الشعر)

ومِنْ أعاجيبها أنَّها مع عِظَم بيضها تكثِّرُ عدَد البيضِ ، ثمَّ تضَع بيضَها طولاً حتَّى لو مددْت عليها خيطا لما وجدت لها مِنْهُ[6] خُروجاً عن الأخرى ، تُعطى كلَّ بيضَةٍ من ذلك قسْطَه . ثمَّ هى مع ذلك ربَّما تركت

---

(١) ذهب ابن سيده فى تفسير هذا البيت إلى أن « حت البراية » بمعنى منحت الريش لما ينفض عنه عفاءه من الربيع . والبراية : النحاتة . وأنا أستحسن ما ذهب إليه .

(٢) أسعده بمعنى أعانه. وفى ط ، هـ : « يساعده »، وأثبت ما فى س.

(٣) ط ، هـ : « المساواة »، والوجه ما أثبت من س .

(٤) فى القرطين (٢ : ٧٧) : * هاو تضل الطير فى خوائه *

(٥) أى العظام المجوفة .

(٦) أى من الخيط . وفى الأصل : « منها » .

بيضها وذهبَتْ تلتمسُ الطَّعام ، فتجدُ بيضَ أُخرَى فتحضنُه . وربّما حضَنَت هذه بيضَ تلك ، وربّما ضاع البيضُ بينهما .

وأمّا عدَدُ بيضِها ورئالها فقد قال ذُو الرُّمّةِ :

أذاك أم خاضبٌ بالسِّيِّ مرتَعُه   أبو ثلاثِينَ أمْسَى وهو مُنْقلِبُ[1]

وفى وضْعها له طُولاً وعرضا على خطٍّ وسَطْرٍ ، يقول[2] :

وَمَا بَيْضَاتُ ذِى لِبَدٍ هِجَفٍّ   سُقِينَ بِزَاجِلٍ حَتَّى رَوِينَا[3]

وُضِعْنَ فكلُّهُنَّ على غِـرارٍ   هِجانُ اللَّون لم تقرع جَنِينا[4]

يَبِيتُ يَحفهُنَّ بِعـرْفقَيْـهِ   وَيَلْحَفهُنَّ هَفهَافاً ثخينـا[5]

---

(١) سبق الكلام على هذا البيت فى ص ٣١١ . س : «أخاك». ه : « بالشى » ط : « بالسىء » وكل ذلك محرف . س ، ه : « فهو منقلب » .

(٢) القائل هو عمرو بن أحمر الباهلى ، كما سيأتى فى ص ٣٤١ والكامل ٢٥ ليبسك وعيون الأخبار (٢ : ٨٧) واللسان (هجف) .

(٣) عنى باللبد هنا الريش . والهجف ، بكسر ففتح : الطويل الضخم ، أو المسن . ط ، ه : « نجف » س : « بنجف » ، صوابه من اللسان والمخصص (٨ : ٥٥) . والزاجل ، بفتح الجيم ، ويقال بالهمز أيضاً : مايسيل من مؤخر الظليم على البيض إذا حضنه . س : « بداجل » ، صوابه فى ط ، ه والمخصص واللسان (هجف ، زجل) .

(٤) غرار ، بالكسر : أى حد واحد وقالب واحد . وأصل الغرار المثال الذى يضرب عليه النصل فتخرج النصال متساوية متشابهة . والهجان : البيض اللون . ولفظه بكسر الهاء يقال للواحد والجمع . و « لم تقرع » هكذا جاءت فى الأصل ، ورواية المبرد : « قد وسقت » ، بمعنى حملت . ولعل سبب تحريف الأصل اشتباه هذا البيت ببيت عمرو بن كلثوم :

ذراعى حرة أدماء بكر   هجان اللون لم تقرأ جنينا

فحدث فيه لذلك الوهم ثم التحريف . ثم إن العلامة المرصفى وهم أيضاً فى شرح هذا البيت من الكامل (رغبة الآمل ١ : ١٤٧) فجعله فى صفة نوق ، وإنما هو فى صفة بيض النعام .

(٥) لحفه ، من باب منع : غطاه باللحاف . هفهافا ، يعنى به الجناح . وثخينا : أى =

وقال الآخر[1] :

تهوِى بها مُكْرَبَاتٌ فى مَرافقِها فُتْلٌ صِلابٌ مَياسِيرٌ مَعَاجِيلُ[2]

يَدَا مَهاةٍ ، ورِجْلا خَاضب سَنِق كأنَّهُ مِنْ جَنَاهُ الشَّرْىَ مخلولُ[3]

هَيْقٍ هِجَفٍّ وَزِفَّانِيَّةٍ مَرَطَى زَعْراء ، رِيشُ جَناحَيها هَرَاميلُ[4] .

= تراكب ريشه بعضه فوق بعض . والبيت فى الأصل :

تبيت تحفهن بمرفقيها وتلحفهن هفهافا ثخينا

والوجه ما أثبت ، إذ أن الضمائر راجعة إلى الظليم . ورواية اللسان فى مادة (هفف) : « يبيت يحفهن بقفقفيه » . وفى مادة (قفف): « فظل يحفهن بقفقفيه » . وقفقفا الظليم : جناحاه .

(١) هو الشماخ ، من قصيدة له فى ديوانه ٧٧ — ٨٢ مطلعها :

بانت سعاد فدمع العين مملول وكان من قصر من عهدها طول

(٢) تهوى بها : أى تسرع . والضمير عائد إلى الناقة فى بيت سابق . والمكربات : المشدودات ، يعنى أن أذرعها مشدودة بمرافقها . وفتل : جمع أفتل وفتلاء ، بمعنى مندمجة شديدة . ط ، ه : « ملزمات » ، س : « مكرمات » ، وهما تحريف ما أثبت .

(٣) المهاة : البقرة الوحشية . والخاضب : الظليم احمرت ساقه . والسنق : الذى أصابه السنق والبشم من الشبع . من جناه الشرى : أى من تناوله الحنظل ، وهو أطيب طعام عند النعام . يقال جنى الثمر يجنيه جنى ، بالتحريك . والمخلول ، هو الفصيل يجعل فى لسانه عود يمنعه من الرضاع . جعل الظليم ، فى امتناعه عن الطعام ، مما شبع ، كالفصيل المخلول الذى لا يستطيع الرضاع . والبيت محرف فى الأصل تحريفاً كبيراً ، ففى الأصل : « أشق » موضع « سنق » ، والأولى لا وجود لها فى اللغة وتصحيحه من الديوان . س : « من حناه » ه : « من حناة » صوابه فى ط والديوان . س : « محلول » صوابه فى ط ، ه والديوان .

(٤) الهيق : الطويل . والهجف : الطويل الضخم . وفى الديوان واللسان (هرمل) والمخصص (٨ : ٥١) : « هزف » . والهزف : السريع . والزفانية ، بالكسر كما فى القاموس (زفف) — السريعة . ط ، ه : « زفافية » س : « زنافية » . محرفتان . وضبطت فى المخصص ضبط قلم وكذا فى الديوان بالفتح . والمرطى ، بفتحات : السريعة . وفى الأصل والديوان : « مرطا » صوابه فى المخصص واللسان (هرمل) . والزعراء : القليلة الريش . والريش الهراميل : المتفرقات . وفى الأصل : « هذا ميل » ، صوابه فى الديوان والمخصص واللسان .

كأنما مُنثنى أقماعِ ما هَصَرَتْ ... مِن العِفَاءِ بِلِيتَيْهَا ثآليلُ(١)

تَرَوَّحا مِنْ سنام العِرقِ فالتَبَطَا ... إلى القِنَانِ التى فيها المداخِيلُ(٢)

١٠٩ إذا استَهَلَّا بشُؤبوب فقد فُعِلَتْ ... بما أصابَا مِنَ الأَرْضِ الأفاعيلُ(٣)

فصادَفَا البيْض قد أبدَتْ منَاكِبَهاَ ... منها الرِّئالُ ، لها منها سَرَابيلُ(٤)

فَنكَّبَا ينقُفَانِ البَيْضَ عن بَشَر ... كأنها ورقُ البَسْباسِ مَغْسُولُ(٥)

---

(١) يقول : كأن رءوس مغارز الريش الذى هصرته تلك النعامة ونزعته ، بثور ظاهرة . والليت ، بالكسر : صفحة العنق . فى الأصل : « من الفقار » وتصحيحه من الديوان . والعفاء ، بالكسر : الريش . س : «بليديها » ه : « بليبها » بهذا الإهمال . وصوابهما فى ط والديوان .

(٢) تروحا : أى سارا فى الرواح . وسنام العرق : أعلاه . والعرق ، بالكسر : الأرض المرتفعة ، أو الجبل الرقيق المستطيل من الرمل . س : « العرف » بالفاء ، وهو بالضم : الأرض المرتفعة . وأثبت مافى ط ، ه والديوان . والتبطا : توجها . والقنان : جمع قنة بالضم ، وهى الجبل السهل المستوى المنبسط على الأرض . وفى الأصل : « الفقار » وأثبت مافى الديوان . والمداخيل : المداخل ، وعنى بها المداخل التى تحت الجرف، التى تسمى الدحال . وفى الديوان : « المداحيل » بالحاء المهملة .

(٣) أى إذا اشتدا فى الجرى بدفعة منه فإنهما يخددان الأرض بمناسمهما . وأصل الاستهلال شدة انصباب المطر . والشؤبوب : الدفعة منه . فى الأصل : « إذا استهل . . . . بما أصاب . . . . » وصوابه ما أثبت موافقا لما فى الديوان .

(٤) أى وجدا البيض وقد أخرجت منه الفراخ الصغار مناكبها، وقد علاهن بعض قشر البيض ومائه ، فكان ذلك لهن كالسرابيل . فى الأصل : « فصادف » وصوابه ما أثبت من الديوان . وفى الديوان أيضا : « منه الرئال لها منه » وهما وجهان جائزان ؛ إذ أن كل جمع يكون بينه وبين واحده الهاء نحو بقر وبقرة ، فإنه يذكر ويؤنث . المصباح ص ٩٦٨ وهذا قول الزجاج . ولابن سيده تفصيل طيب فى هذا المعنى . المخصص (١٦ : ١٠٠) .

(٥) يقول : مالا إلى ذلك البيض ينزعان قشره عن بشر تلك الفراخ ، وكأن بشرها ورق ذلك النبت حين يغسل . مكان « عن بشر » فى ط : « أعينها » وفى س : « عن » فقط ، وفى ه : « عنها » وتصحيحه وإكماله من الديوان . والبشر : جمع بشرة ، يذكر ويؤنث ، كما فى التنبيه السابق . والبسباس : نبت له أوراق متراكبة شقر . تذكرة داود . وفى الديوان : « كأنه ورق البسباس » .

(تشبيه القدر الضخمة بالنعامة)

والشُّعراء يشبِّهون القِدْرَ الضَّخْمَةَ التى تكون بمنزلِ العَظيم وأشباهِهِ من الأجواد ، بالنَّعامة . قال الرَّمّاحُ ، ابنُ مَيّادة[١] :

وقلت لهــا لاتعجلى كذلك تقوى الشوك مالم تُردد[٢]

إلى جامعٍ[٣] مثل النَّعامة يلتقى عوازبه[٤] فوق . . . . .

جامع : يعنى القدر . وجعلها مثلَ النَّعامة .

وقال ابن ميادة يمدح الوليدَ بن يزيد :

نتاج العشَار المنْقيات إذا شتَتْ[٥] روابدُها مثلُ النَّعامِ العَواطِفِ[٦]

---

(١) هو الرماح بن أبرد . وهو المعروف بابن ميادة . وميادة : أمه . وهو مخضرم من شعراء الدولتين . س ، ه : « الرياحى ابن ميادة » ، صوابه فى ط .

(٢) س : « يقرى » . ط : « مالم تزدد » . وفى هذا البيت والذى بعده نقص وتحريف .

(٣) ط : « جامل » ، وأثبت صوابه من س ، ه . وفى القاموس : « وقدر جامع وجامعة وجماع ككتاب : عظيمة » . وفى اللسان : « وقدر جماع وجامعة : عظيمة . وقيل هى التى تجمع الجزور » .

(٤) س : « غواديه » ، ه : « عواربه » .

(٥) س ، ه : « انتاج » صوابه فى ط . والمنقيات : ذوات الشحم . والنقى ، بالكسر : الشحم . وشتت : دخلت فى الشتاء . ط : « إذا المنقيات شتت » ، ه : « العشار إذا شنت » س : « العشار إذا تشنت » ، وقد وجهته بما ترى .

(٦) الروابد : من ربد ربودا : أقام . وقد عنى بهن القدور المقيمة على النار . والعواطف : الحانيات على أولادها .

وقال[1] الفرزدق[2] :

وقدرٍ كحيزُوم النّعامة أُحمِشَتْ[3] بأجْذالِ خُشْبٍ زالَ عنْهَا هشيمها[4]

(الذئب والنعام)

وضحك أبو كَلْدَةَ[5] حين أُنشِد شعرَ ابن النَّطّاح[6] ، وهو قوله :

* والذِّئب يلعب بالنّعام الشّارد *

قال : وكيف يلعب بالنّعام والذِّئبُ لايَعْرِضُ لبيض النّعام وفراخِه حين لايكونان حاضرَين ، أو يكونُ أحدهما ؛ لأنهمَا متى ناهضاه ركَضهُ الذَّكرُ فرماه إلى الأنثى ، وأعجلتْهُ الأنثى فرَكضَتْهُ ركضةً تلقيه إلى الذَّكَر فلا يزالان كذلك حتى يقتُلاه أو يُعْجِزَهُماَ هَرَباً . وإذا حاولَ ذلك منه أَحَدُهُمَا لم يقْوَ عليه . قال : فكيف يقول :

(١) قبل هذا فى هـ : « فضحك أبو عبيدة » ، وهى زيادة لاموضع لها .

(٢) البيت فى محاضرات الراغب منسوب إلى مضرس . وهو كذلك ليس فى ديوان الفرزدق مع وجود أخواته فى ص ٨٠٣ .

(٣) حيزوم النعامة : ما استدار ببطنها وظهرها . ويقال أحمش القدر وأحمش بها : أشبع وقودها . ط ، هـ : « أحشمت » ، صوابه فى س والبخلاء ١٩٠ وأمالى المرتضى (٤ : ٢٩) والحماسة (٢ : ٣٢٨) ، وأول البيت فيهما : « غضوبا » . جعل غليانها بمنزلة الغضب .

(٤) الأجذال : جمع جذل ، بالكسر ، وهو أصل الشجرة . وفى الأصل : « أجفال » تحريف ما أثبت من البخلاء ومحاضرات الراغب . ورواية أبى تمام والمرتضى : « بأجواز » أى أوساط . وهى أصلب الخشب وأبقاه ناراً . والهشيم : المتهشم . ط : « هيشها » ، صوابه فى س ، هـ وسائر المراجع . ط ، هـ : « منها » وأثبت مافى سائر المراجع .

(٥) هذه العبارة ساقطة من هـ . وأبو كلدة سبق ذكره فى (١ : ٢٣٤) .

(٦) هو بكر بن النطاح ، سبقت ترجمته فى (٣ : ١٩٦) .

« والذِّئب يلعبُ بالنَّعام الشَّارد »

وهذه حالُه مع النَّعام ؟ !

وزعم أنَّ نعامتين اعتَوَرَتا ذِئباً فهزَمتاه[١] ، وصعِد شجرةً ، فجالدهما ، فنقره أحدُهما ، فتناوَلَ الذِّئبُ رأسَــه فقطَعه ، ثمَّ نزل إلى الآخَر فساوَرَه فهزَمَه .

(جُبن الظليم ونِفاره)

والظَّليم يُوصف بالجُبْن ، ويوصف بالنِّفار والتَّوحُّش .

وقال سَهم بن حنظلة[٢] ، في هجائه بني عامر :

إذا ما رَأيتَ بني عامرٍ رأيتَ جَفاءً وَنُوكًا كثيرا[٣]

نعامٌ تَجُرُّ بأعْناقِهــا ويمنَعها نُوكها أن تَطيرا[٤]

(ضرر النعامة)

والنَّعامة تتخذها النَّاسُ في الدُّور[٥] ، وضررُها شديدٌ ؛ لأنَّها ربَّما رأتْ في أذن الجارية أو الصبيَّة قُرطاً فيه حجرٌ ، أو حبَّةَ لؤلؤٍ ، فَتَخْطَفُهُ

(١) اعتورتاه : تداولتاه . هـ : « فهربتاه » .

(٢) في الإصابة ٣٧٠٣ : « سهم بن حنظلة بن خاقان — صوابه حلوان — بن خويلد ابن حرمان — كذا — الغنوى . قال المرزبانى : شاعر شاى مخضرم » . وذكره صاحب المؤتلف والمختلف ١٣٦ .

(٣) النوك ، بالضم والفتح : الحمق . وفي عيون الأخبار : « ونوكا كبيراً » .

(٤) الرواية في عيون الأخبار (٢ : ٨٧) : « تمد بأعناقها » . وهذه أجود .

(٥) الدور : جمع دار . س : « تتخذ في الدور » .

١١٠ لتأكله . فكم أذنٍ قد خرقتها ! وربّما رأتْ ذلك فى لَبَّة[1] الصبىّ أو الصبيَّة ، فتضربه بمنقارها ، فربَّما خرقت ذلك المكان .

(شعر فى تشبيه الفرس بالظليم)

وممَّا يشبَّه به الفَرَسُ ممَّا فى الظليم ، قولُ امرئ القيس بن حُجْر :

وخدٌّ أسيلٌ كالمِسَنّ وبِرْكةٌ ... كَجؤجؤ هَيْقٍ دفُّه قد تموَّرا[2]

وقال عُقْبَةَ بن سَابق[3] :

وله بِركة كَجُؤجُؤ هَيْقٍ ... ولَبانٌ مضرَّجٌ بالخضَابِ[4]

وقال أبو دُوَاد[5] الإياديُّ :

---

(١) اللبة ، بالفتح وتشديد الباء : موضع القلادة من الصدر .

(٢) البركة ، بالكسر : الصدر . والجؤجؤ : الصدر أيضاً . والهيق : الذكر من النعام . والدف ، بالفتح : صفحة الجنب . وتمور : سقط منه النسيل أى الريش . وإنما يكون ذلك فى أيام الربيع وجودة المرعى . ويحدث مثله أيضاً للحمار حيث يسقط عنه الشعر . انظر اللسان (مور) . والنعام فى ذلك الوقت ينمو نمواً كبيراً . وقد سبق هذا البيت فى (١ : ٢٧٢) وانظر ديوان امرئ القيس ٢٦٧ دار المعارف .

(٣) هو عقبه بن سابق الهزانى ، شاعر من شعراء الأصمعيات (٦ - ٧) . وفى الأصل : « عبدة بن شأس » ، وصوابه ما أثبت كما جاء باتفاق النسخ فى الجزء الأول ص ٢٧٣ .

(٤) انظر لتفسير صدر هذا البيت ما سبق فى تفسير البيت السابق . والرواية فى الجزء الأول : « ولها » . واللبان ، بالفتح : وسط الصدر . مضرج بالخضاب : ملطخ بالدم . وكان العرب إذا ساقوا الخيل على الصيد ، فالسابق منها إليه يخضبون نحره بدم ما يمسكونه من الصيد ؛ علامة على أنه سباق غايات . بلوغ الأرب (٣ : ١٨) . وقد يكون المراد أن راكب هذا الجواد أو الفرس يعرض نفسه للمخاطر ، فيصيب فرسه نصيب من ذلك .

(٥) فى الأصل : « أبو داود » وهو تحريف يتكرر كثيرا . والصواب ما أثبت . وترجمة أبى دواد تقدمت فى (٣ : ٤٢٥) ، وهو أحد نعات الخيل المجيدين .

يَمْشِى كمشى نعامَتَيْـــنِ يُتابِعانِ أشقَّ شاخِصْ[1]

وقال آخر[2] :

كأَنَّ حَماتَه كُرْدُوسُ فَحْلٍ مقلَّصة على سَاقَىْ ظَلِيمِ[3]

وقال أبو دُوادٍ الإيادىُّ :

كالسِّيدِ ما استقبلته وإذا وَلَّى تَقُولُ مُلَمْلَمٌ ضَرِبُ[4]

لَأْمٌ إذا استقبلته ومَشَى متتابعاً ما خانَهُ عَقْبُ[5]

يَمْشِى كَمَشْىِ نَعامَةٍ تَبِعَتْ أُخْرَى إذا مَا رَاعَهَا خَطْبٌ

القولُ فيما اشتُقَّ له من البَيْض اسم

قال العدَبَّس[6] الكِنانىّ : باضت البُهْمَى[7] : أى سقطت نِصالُها[8]

---

(١) أشق : يعنى ظليما واسع ما بين الرجلين . والشاخص : المرتفع . وقد سبق البيت فى (١ : ٢٧٤) .

(٢) فى (١ : ٢٧٤) أنه خالد بن عبد الرحمن .

(٣) الحماة : عضلة الساق . والكردوس ، بالضم : واحد الكراديس ، وهى رءوس العظام . وفى الأصل : « نحل » ، صوابه ما أثبت من الجزء الأول ، ط ، هـ : « على شئ » س : « على سق » ، صوابه ما أثبت من الأول .

(٤) السيد ، بالكسر : الذئب . والململم : المجتمع المدور . والضرب : الخفيف اللحم .

(٥) اللأم : الشديد .

(٦) العدبس الكنانى: أعرابى فصيح ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ٤٧ ليدن ، ٧٠ مصر . وفى القاموس (مادة عدبس) ، أن العدبس رجل كنانى. وفى اللسان (مادة عدبس أيضاً) « ومنه سمى العدبس الأعرابى الكنانى ». وفى الأصل: « العديس » بالياء ، صوابه ما أثبت من المراجع المتقدمة .

(٨) البهمى ، كحبلى : نبت هيئته كالشعير ، ولكنه قصير . ويعرف أيضاً بالشوفانة فى سوريا . وهو بالانجليزية : Wild - oat . عن معجم النبات ، وتذكرة داود ، والقاموس .

(٨) النصال : جمع نصل ، وهو سنبلة البهمى .

وباض الصَّيف ، وباض القَيظ : اشتدَّ الحر وخرج كلُّ مافيه — من ذلك .

وقال الأسَدِىّ :

فجِئنا وقد باضَ الكَرَى فى عيونِنا[1] فَتًى مِنْ عُيُوب المقْرَفينَ مُسَلَّمَا[2]

وقال أميَّةُ بنُ أبى الصَّلْتِ :

ركِبَتْ بيضةُ البَيَاتِ عليهم لم يُحِسُّوا منها سِواها نذيرا[3]

وقال الرَّاعى ، يهجو ابنَ الرِّقاع[4] :

لو كنْتَ مِنْ أَحَدٍ يُهجَى هجَوْتُكُمْ
يا ابنَ الرِّقاع ، ولكنْ لسْتَ مِنْ أحَدِ

تأبَى قُضاعةُ لمْ تقبَلْ لكمْ نسباً وابنَا نِزارٍ فأنتم بَيضةُ البَلَدِ

وفى المديح قولُ علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه : « أنا بَيْضَةُ البَلد »

ومنه بيضة الإسلام . وبيضة القبّة : أعلاها ، وكذلك الصَّوْمَعَةُ[5] .

والبيْض : قلانس الحديد .

---

(١) الكرى : النوم والنعاس . فى الأصل : « من عيوننا » . محرف .

(٢) فى الأصل : « عيون المقرفين » والصواب ما أثبت . والمقرفين ، إن كسرت الراء كانت من أقرف الرجل : إذا كان هجينا ، بأن تكون أمه عربية وأبوه غير عربى . وإن فتحت الراء كانت من أقرف الرجل غيره : وقع فيه وذكره بسوء .

(٣) البيات ، بالفتح : من بيت العدو القوم : قصدهم فى الليل من غير أن يعلموا ، فيأخذهم بغتة . ط والديوان ٣٤ : « سراها » صوابه فى س ، ه .

(٤) هو عدى بن الرقاع . وكلمتا : « ابن الرقاع » ساقطة من س . وانظر الكلام على البيتين فى الحيوان (٢ : ٣٣٦) واللسان (بيض) وثمار القلوب ٣٩٢ والعمدة (٢ : ١٥٣) .

(٥) الصومعة ، كجوهرة : بيت للنصارى ، سمى بذلك لدقة فى رأسه .

وقال أبو حيَّة النُّميرىّ[1] :

وصدَّ الغانياتُ البِيضُ عَنِّى   وما إنْ كان ذلك عن تَقَالى[2]   ١١١

لأنّ الشَّيْبَ بَاضَ على لِدَاتى[3]   وأفْسَدَ ما عَلَىَّ من الجَمَالِ[4] !

وبَيضُ الجُرْح والخُرَاجِ والحِبْنِ[4] : الوعاء الذى يجمع فيه الصَّديد ، إذا خَرَجَ برِئَ وصلُح .

وقد يُسمُّون ما فى بطونِ إناث السَّمك بَيْضاً ، وما فى بطونِ الجرادِ بيضاً ، وإن كانوا لا يَرَوْنَ قِشْرًا يشتمِلُ عليه ، ولا قَيْضاً يكونُ لما فيه حِضْنًا[5] .

والجِرشاءُ : قشرة البيض إذا خَرَجَ مافيه . وسَلْخ الحيَّةِ يقال له الجرشاء .

---

(١) اسمه الهيثم بن الربيع ، ونسبته إلى نمير بن عامر بن صعصعة ، وهو شاعر من مخضرمى الدولتين ، وقد مدح الخلفاء فيهما جميعاً ، وكان مقصداً راجزاً من ساكنى البصرة ، وكانت به لوثة ، وكان من أجبن الخلق ، وله سيف يسميه : لعاب المنية ، ليس بينه وبين الخشبة فرق . توفى نحو سنة ١٦٠ . الشعراء ٧٤٩ والأغانى ١٥ : ٦١ . وفى الأصل : « النمرى » محرف .

(٢) التقالى : المباغضة . هـ : « ثقالى » مصحفة .

(٣) لداتى : جمع لدة ، بالكسر . واللدة : من يولد معك .

(٤) الحبن ، بالكسر : الدمل . ط : « الجبن » تصحيف سبق مثله فى ٢ : ٣٣٦ ، وصوابه فى س ، هـ .

(٥) القيض ، بالفتح : القشرة العليا اليابسة على البيضة . والحضن ، بالكسر : بمعنى مايحيط بالشىء . وأصله من حضن الجبل ، وهو مايطيف به .

(شعر فى التشبيه بالبيض)

وقال الأعشى فى تشبيه اللفّاء[1] الحسناء بالبيضة :

أو بيضةٍ فى الدِّعصِ مكنونةٍ أو دُرَّةٍ سِيقَتْ إلى تاجرِ[2]

وقال فى بيض الحديد :

كأن نَعامَ الدَّوِّ بَاضَ عليهمُ إذا شامَ يوماً للصَّريخِ المندَّدِ[3]

وقال الأعشى :

أَتتْنَا مِنَ البطْحاءِ يَبْرُقُ بَيضُهَا وقد رُفِعَتْ نِيرانُها فاستقلَّتِ[4]

---

(١) فى الأصل: « الذلفاء » ، وهى القصيرة الأنف الصغيرته. ولا وجه لها هنا . وما أثبت هو أقرب تصحيح للكلمة . واللفاء : الضخمة الفخذين فى اكتناز واجتماع .

(٢) مكنونة فى الدعص : مخبأة فى الرمل المستدير . ورواية الديوان ١٠٤ : « أو درة شيفت لدى تاجر » . وشيفت : جليت . وضبط « بيضــة » و « درة » بالكسر ؛ لأن قبل البيت :

كدمية صور محرابها بمذهب فى مرمر مائر

(٣) الدو : الفلاة . ورواية الديوان ١٣٢ : « إذا ريع شتّى للصريخ المندد » .
والبيت فى صفة كتيبة . جعل البيض الذى يحمى رءوس الرجال شبيها ببيض النعام ؛ لكثرته . فإن كل نعامة تبيض نحو الثلاثين . ولذا يقال لها : أم ثلاثين . وللظليم : أبو ثلاثين . وقبل البيت :

بملمومة لا ينفض الطرف عرضها وخيل وأرماح وجند مؤيد

فضمير « شام » عائد إلى الجند . وشام : نظر ، أو سل سيفه. والصريخ : صوت المستصرخ المستغيث . والمندد ، بضم الميم وفتح الدال المشددة ؛ الصوت المبالغ فى رفعه وتشديده . ومنه قول طرفة : « لهجس خفىّ أو لصوت مندد » ، وفى الأصل : « الممدد » ، وصواب الرواية ما أثبت من الديوان .

(٤) فى الأصل : « أتينا » صوابه من أمالى ابن الشجرى (٢ : ١٦٥ حيدر أباد) . ورواية الديوان : « أتتهم » . س ، ه وحماسة ابن الشجرى ٤١ : « تبرق » ط ، س : « بيضنا » صوابها فى ه وأمالى وحماسة ابن الشجرى وديوان =

وقال زيد الخيل :

كأنَّ نَعَامَ الدَّوِّ باضَ عليهمُ فَأَحْدَاقُهُمْ تَحْتَ الحديدِ خوازِرُ[١]

(استطراد لغوي)

قال : ويقال تقيَّضَت البيضةُ ، والإناءُ ، والقارورة ، تقيُّضاً[٢] : إذا انكسرت فِلَقاً. فإذا هي لم تَتَفَلَّقْ[٣] [فِلَقاً] وهي[٤] متلازقةٌ ، فهي منْقَاضَةٌ انقِياضاً . وقَيض البيضة : قشرتها اليابسة . وغِرْقئها : القشرة الرَّقيقة التي بين اللَّحم وبين الصَّميم . قال : والصَّميم : الجلدة .

= الأعشى ١٧٩ . ورواية العجز في الديوان : « وقد رفعت راياتها فاستقلت » . ورواية ابن الشجري : « وقد بذخت فرسانها وأدلت » . والبيت من قصيدة للأعشى يذكر فيها وقعة ذي قار ، التي كانت بين العرب والفرس . وهو في صفة جيش الفرس وعظمته . وبعده (في رواية ابن الشجري) :

فثاروا وثرنا والمنية بيننا وهاجت علينا هبوة فتجلت

نحاسيهم كأساً من الموت مرة وقد رفعت راياتهم فاستقلت

ومثله للأعشى في تعظيم شأن جيش الأعاجم حينئذ . (الأغاني ٢٠ : ١٤٠) :

لما أتونا كأن الليل يقدمهم مطبق الأرض تغشاها لهم سدف

بطارق وبنو ملك مرازبة من الأعاجم في آذانها النطف

من كل مرجانة في البحر أحرزها تيارها ووقاها طينها الصدف

وظعننا خلفنا تجري مدامعها أكبادها وجلا مما ترى تجف

وانظر بقية الشعر فيها . ولوقعة ذي قار العقد (٣ : ٣٧٤) والعمدة (٢ : ١٦٩) والميداني (٢ : ٣٥٢) ومعجم البلدان .

(١) جمع خازر : وهو من ينظر بلحاظ عينيه ، ويكون ذلك عند ما يراد تحديد النظر . ورواية الشعراء ٢٢٠ : « وأعينهم تحت الحديد » . ورواية قدامة في نقد الشعر ٣٩ والأغاني ١٠ : ٤٤ : « وأعينهم تحت الحبيك » . ونسب في الأغاني لمعقر بن أوس .

(٢) ط ، ھ : « نقيضاً » ، صوابه في س .

(٣) ط ، ھ : « تنفلق » .

(٤) ط ، ھ . « فهي » ، صوابه في س .

قال : ويقال غرقأت البيضةُ : إذا خرجَتْ وليس لها قشر ظاهرٌ غير الغِرقِئة[1] .

قال الرَّدَّاد : غرقأت الدَّجاجةُ بيضها ، فالبيضة مُغَرْقأة[2]. والخِرشاء: القشرة الغليظة[3] من البيضة ، بعد أن تُثقَب فيخرجَ ما فيها من البلل ؛ وجماعُها الخَرَاشيّ ، غير مهموز .

قال : وقال ردَّاد : خِرْشاءُ الحيّة : سَلْخها حين تنسَلخ[4] .

قال : وتغدّى أعرابيٌّ عندَ بعضِ الملوك ، فدبَّت على حلْقِه قملةٌ ، فتناولها فقصَعَها بإبهامه وسَبَّابتِهِ ، ثمّ قتلها ، فقالوا له : ويلك! ما صنعت؟! فقال : بأبي أنتمْ وأمى ، ما بقى إلا خِرشاؤها !

وقال المرقِّش :

إن يَغْضَبُوا يَغْضَبْ لذاكم كما ... يَنْسَلُّ من خِرْشائه الأرقمْ[5]

وقال دُريد بن الصِّمَّةِ فى بَيض الحديد[6] :

112 قال : ويقال فى الحافر نزا[7] ينزو . وأمّا الظليم [فيقال[8]] قعا يقعُو ،

(١) كذا جاءت . والمعروف فى المعاجم : « الغرقىء » بالتذكير .

(٢) ط ، ھ : « غرقات » صوابه فى س .

(٣) ط : « والخرشاء مغرقات الجلدة الغليظة » ، ھ : « والخرشا الجلدة الغليظة » ، صوابهما فى س .

(٤) ط ، ھ : « يسلخ جلدها » . وما أثبت من س أشبه .

(٥) الأرقم من الحيات : الذى فيه سواد وبياض . فى الأصل : « خرشائها » ، صوابه من المفضليات ٢٤٠ والمقصور والممدود ٣٨ . وقد سبق البيت فى ص ٣٤٠ . ط ، ھ : « تنسل » تصحيحه من س والمقصور .

(٦) بعد هذا بياض فى الأصل . ولم اهتد بعد إلى شعر لدريد فى بيض الحديد .

(٧) فى الأصل : « نزى » بالياء .

(٨) ليست بالأصل .

مثل البعير . يقال قاع يقوعُ قَوْعا[١] وقِيَاعاً، وقَعَا يقعُو قَعْوًا. فهذا مايسوُّون فيه بينه وبين البعير . ويقال : خفّ البعير ؛ والجمع أخفاف . ومنسِمُ البعير ، والجمع مناسم ؛ وكذلك يقال للنّعامةِ .

وقال الرّاعى :

ورِجْلٍ كرجْلِ الأخْدَرىِّ يُشِيلُها وَظِيفٌ على خُفٍّ النّعامةِ أرْوحُ[٢]

وقال جران العود :

لَهَا مثل أظفَارِ العقَابِ ومَنْسِمٌ أزجّ كظُنْبوب النّعَامةِ أروحُ[٣]

قال : والزّاجَل[٤] : ماء الظليم ؛ وهو كالكِرَاضِ من ماء الفحْل . وأنْشد لابْنِ أحمر[٥] :

وما بيضات ذى لبَدٍ هِجَفٍّ سُقِينَ بزَاجَلٍ حَتّى رَوِينَا[٦]

وقال الطِّرِمّاح :

سَوْفَ تُدْنيك مِنْ لَمِيسَ سَبَنْدَا ةٌ أمَارَتْ بالبَوْلِ مَاءَ الكِرَاضِ[٧]

---

(١) كذا على الصواب فى هـ . وفى ط : « قعيا » و س : « قيما » .

(٢) الأخدرى : الحمار الوحشى . يشيلها : يرفعها ويحملها . والوظيف : مستدق الذراع والساق . ووظيف أروح : اتسع مابينه وبين الوظيف الآخر .

(٣) السكرى : « يقول : أظفارها كمخالب العقاب . والمنسم : طرف خف النعامة . والأزج : المقوس . والظنبوب : أنف عظم الساق » . فى الأصل : « أظفار الكناء » تصحيحه من ديوان جران العود ص ٦ . والبيت وجملة : « وقال جران العود » ساقطان من س .

(٤) يقال بالهمز وبغير الهمز .

(٥) ط ، هـ : « ابن أحمر » ، صوابه فى س . وانظر ماسبق فى ص ٣٢٨ .

(٦) سبق شرحه فى ص ٣٢٨ .

(٧) السبنداة : الناقة الجريئة لاتقر الفحل . ورواية الديوان ٨١ : « سبنتاة » وهما لغتان يقال بالتاء وبالدال . أمارت : أسالت . وماء الكراض : مافى جوفها =

ورُبَّما استعاروا المناسم . قال الشاعر :

توعدنى بالسِّجن والآدات[1] إذا عَدَت تأطبت أدات[2]

* تَربطُ بالحبل أُكَيْرِعَاتِ *

قال : ويقال لولد النَّعام : الرَّأل ، والجمع رِئال ورئلان ؛ وحَفَّـانٌ . وحَفَّانة للواحدةِ ، والجمع حَفَّان ؛ وحِسْكل . ويقالُ : هذا خِيطُ نعامٍ وخِيطان[3] . وقال الأسودُ بن يَعْفُرَ[4] .

وكأنّ مرجعهم مَنَاقفُ حَنْظَلٍ لِعبَ الرِّئالُ بهاوخَيطُ نَعامِ[5]

ويقال : قَطيعٌ من نَعام ، ورَعْلةٌ من نعام .

= من ماء الفحـــل . س ، هـ : « سوف يدنيك » ، وأثبت ما فى ط والديوان .

ط ، س : « أمارات » صوابه فى هـ والديوان . والبيت من قصيدة الطرماح ، مطلعها :

قل فى شط نهروان اغتماضى ودعانى هوى العيون المراض

(١) كذا بالأصل .

(٢) كذا . وفى ط : « غدت » .

(٣) الخيط ، بالفتح ويكسر : الجماعة من النعام .

(٤) الأسود بن يعفر ، شاعر مقدم فصيح من شعراء الجاهلية ليس بالمكثر . وكان ينادم النعمان بن المنذر . ولمـا أسن كف بصره ، فكان يقاد . واسمه فى أعاشى العرب : أعشى بنى نهشل . الأغانى (١١ : ١٢٨) والخزانة (١ : ٣٦٦ سلفية) والمؤتلف والمختلف ١٦ . و (يعفر) بفتح الياء وضم الفـاء . وقال يونس سمعت رؤبة يقول : أسود بن يعفر بضم الياء - أى وبضم الفاء أيضاً — انظر الصحاح (عفر) والخزانة والأغانى وابن سلام ١٢٢ . وهو على الوجه الأول ممنوع من الصرف ، وعلى الآخر مصروف لزوال شبه الفعل عنه . ط : « يعقر » صوابه فى س ، هـ .

(٥) « مرجعهم » لعلها « مربعهم » . ومناقف الحنظل : حيث ينقف أى يشق ليستخرج حبه المدحى بالهبيد . يقول : قد صار موضع دارهم من وحشته مأوى النعام .

وقال الأصمعيُّ : الرَّعلة : القِطعة من النَّعَام . والسِّرب من الظِّباء والقَطَا . والإجْل[1] من الظِّلف .

وقال طُفَيلٌ الغَنَوىُّ فى بيضة الحَىِّ[2] وما أشبه ذلك :

ضَوَابِعُ تَنْوِى بَيْضَةَ الحَىِّ بعدما أذاعَتْ برَيْعَانِ السَّوَامِ المعزَّبِ[3]

قال : ويقال : للظليم إذا رعَى فى هذا النَّبات ساعةً وفى هذا ساعةً : قد عَقَّبَ يُعَقِّبُ تعقيبا[4] . وأنشدنى لذى الرُّمَّة :

ألهـاه آءٌ وتَنُّومٌ وَعُقْبَتُهُ مِنْ لائحِ المَرْوِ والمَرْعَى لَه عُقَبُ[5]

قال : ويقال للرجل ، إذا كان صغير الأذنين لاصقتَين بالرَّأس : أصمع ؛ وامرأةٌ صَمْعاء . ويقال : خَرَجَ السهمُ متصَمِّعاً[6] : إذا ابتلَّتْ قُذَذه[7] ١١٣

(١) الإجل ، بكسر الهمزة . س : « الأرجل » ، صوابه فى ط ، ﻫ .

(٢) فى الأصل : « الحلى » ، صوابه ماأثبت . انظر البيت الآتى وشرحه .

(٣) ضوابع : تمد أضباعها فى سيرها ، أى أعضادها . ط ، س : « صوانع » ﻫ : « صوانع » صوابهما من الديوان ١١ . تنوى : تقصد . ط ، ﻫ : « تنبى » س « تبنى » صوابهما من الديوان . وفى الأصل : « الحلى » موضع « الحى » تحريف أيضاً . وفى شرح ديوان طفيل : « وبيضة الحى : معظمهم » أذاعت : فرقت . وريعان كل شىء : أوله » . والسوام ، كسحاب : مايسرح من إبل وبقر وغنم ، ولا واحد له . والمعزب ، بتشديد الزاى المفتوحة : الذى عزَّب عن أهله لا يروح عليهم . ط ، س : « الشباب المغرب » ﻫ : « السقام المغرب » ، تصحيحه من الديوان .

(٤) ط : « عضب يعضب تعضيباً » صوابه فى س ، ﻫ .

(٥) سبق شرح هذا البيت فى ٣١٢ . ط ، ﻫ : « آه آه » بالتكرار . صوابه فى س .

(٦) ط : « أصبع » ﻫ : « صماء » س : « صماً » صوابه ماأثبت من القاموس واللسان . ويدل له الاستشهاد الآتى .

(٧) قذذ السهم : جمع قذة بالضم ، وهى ريشة السهم .

من الدَّم وانضمَّت . وقال أبو ذُؤيب :

* سهماً فَخَرَّ وَرِيشُهُ متصمِّعُ[١] *

ويقال : أتانا بثريدةٍ مُصَمَّعَة[٢] : إذا دَقَّقَهَا[٣] وحدَّدَ رأسَها ؛ وصومعة الرّاهبِ منه ؛ لأنها دقيقة الرأس . وفلانٌ أصمع القلْبِ : إذا كان ذكيًّا حديدا [ماضياً] . وقال طرفة :

لعمرى لقد مَرَّتْ عواطِسُ جَمَّةٌ وَمَرَّ قُبَيْلَ الصُّبح ظبيٌ مصمِّعُ[٤]

أراد : ماضياً .

(شعر فى البيض)

وقال الشاعر فى بيضة البَلدِ[٥] :

---

(١) عجز بيت فى صفة صائد رمى أتانا بسهم فنفذ فيها بريشه ثم سقط . وصدره :
* فرمى فأنفذ من نحوص عائط *
فى الأصل : « ريشة » ، وصوابه من اللسان (صمع) وديوان الهذليين (١ : ٨) ، والمفضليات ٤٢٥ حيث تجد القصيدة .

(٢) فى الأصل : « متصمعة » صوابه من اللسان والقاموس . ويقال أيضاً : « مصومعة » كما فى القاموس .

(٣) فى الأصل : « رققها » بالراء . وليست مرادة ، والمراد دقة الرأس . وانظر اللسان والقاموس (صمع) .

(٤) البيت من أبيات ثلاثة قالها طرفة ، فى أثناء رحلته المشهورة إلى عامل عمرو بن هند بالبحرين ، وكان قد سنحت له فى الطريق ظباء وعقاب . انظر ديوانه ٩ - ١٠ . والعواطس : جمع عاطس ، وهو مااستقبلك من الظباء . ورواية اللسان (مادة عطس) : « عواطيس » : جمع عاطوس ، وهى دابة يتشاءم بها . وفى مادة (صمع) : « عواطس » كما هنا . والمصمع : بكسر الميم المشددة : الذاهب السريع كما فسره الجاحظ . ويروى : « مصمع » بفتح الميم المشـددة ، وهو الصغير الأذنين . وفى الأصل بدل : « ومر » : « ومنى » تحريف ، صوابه ما أثبت من اللسان فى موضعيه والديوان .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من س . وانظر لبيضة البلد ماسبق فى (٢ : ٣٣٦) .

أقبلت تُوضِع بِكْرًا لا خِطامَ لها حَسِبْتَ رَهْطك عندى بَيْضَةَ البَلَدِ[١]

ويشبَّه عظام جماجم الرءوس ببَيض النَّعام . وقال الأعرج القيْنِيّ[٢] :

بكَينا بالرِّماح غداةَ طَرْق على قَتْلَى بناصفةٍ كِرامِ[٣]

جَماجمَ غودِرَت بحمام عرق كأَنَّ فَرَاشها بَيضُ النَّعامِ[٤]

وقال مقاتل بن طَلَبَةَ[٥] :

رأيتُ سحيماً فاقَدَ اللهُ بَيْنَهَا تَذِيك بأيديها وتَأْبَى أُيورُها[٦]

وقال السُّحيمى يردّ عليه :

مُقَاتِلُ ، بشِّرْها ببيض نَعامةٍ وإن لم تبشِّرْها فأنتَ أميرُها

وقال أبو الشِّيص الخُزاعى[٧] فى بيضة الخدْر :

(١) البكر ، بالكسر : الناقة لم تحمل ، أو التى ولدت بطنا واحداً . والبكر أيضاً ولدها ذكراً كان أو أنثى . وأوضع الناقة يوضعها : جعلها تضع فى سيرها ، أى تعدو عدوا خفيفاً . وفى الأصل : « ترضع بكراً » ، وهو تحريف فكه .

(٢) كذا . والمعروف فى الشعراء : الأعرج المعنى، نسبة إلى معن طيىء . واسمه عدى بن عمرو ابن سويد . وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . وهو القائل :

تَركت الشعر واستبدلت منه إذا داعى صلاة الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والنداما

معجم المرزبانى ٢٥١ والإصابة ٦٤٠٩ ، ٣٧١٣ . والأعرج المعنى شعر فى البيان (١ : ٢٤٦).

(٣) ناصفة : موضع . س ، هـ : « بناصية » ، صوابه فى ط .

(٤) الفراش ، بالفتح : كل عظم رقيق .

(٥) هو مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم ، كما فى عيون الأخبار (٤ : ٩٦). وطلبة ، بالتحريك . انظر القاموس واللسان . هـ : « كلبة » محرفة .

(٦) سحيم : بطن من بنى حنيفة . وفاقد الله بينها : جعل بعضهم يفقدون بعضا . ورواية عيون الأخبار : « وتميا » موضع : « وتأبى » .

(٧) اسمه محمد بن عبد الله بن رزين ، وهو عم دعبل بن على الخزاعى . وكان معاصرا =

وأبرزَ الخِدْرُ من ثِنْيَيْهِ بَيْضتَهُ وأعجَلَ الرَّوْعُ نصلَ السَّيفِ يُخترَطُ[1]

فثَمَّ تَفديك مِنّا كلُّ غانيةٍ والشَّيخُ يفديك والوِلدان والشُّمُط[2]

وقال جحش بن نصيب :

كأنَّ فلاق الهــامِ تحتَ سُيوفِنا خَذارِيفُ بيض عَجَّلَ النقف طائرُه[3]

وقال مهلهلٌ فى بيضة الخدر :

وتجولُ بيضاتُ الخُدورِ حواسِرًا يمسَحْنَ فَضْلَ ذَوائِبِ الأيتامْ[4]

وهو وما قبله يدلَّان[5] على أنَّهم لا يشبِّهون ببيض النّعام إلاّ الأبكار .

قال الشاعِرُ[6] :

= لأبى نواس ومسلم بن الوليد . وذكره الصفدى فى نكت الهميان ٢٥٧ وذكر أنه توفى سنة مائتين أو قبلها .

(١) الثنى ، بالكسر : واحد الأثناء ، وهى المحانى والمعاطف . وقد ثنى وأراد الجمع ، وهو معروف فى كلامهم . س : « من ثنيته بيضة » ، صوابه فى ط ، هـ . يخترط : أى يستل من غمده . يقول : استعجل الخوف نصل السيف فى حال اختراطه . فى الأصل : « مخترط » . ولا يستقيم بها إعراب البيت . فلعل الوجه ماأثبت .

(٢) الشمط ، بالضم : جمع أشمط وشمطاء . وهو من اختلط بياض رأسه بسواده . وقد ضم الميم للشعر ، وأصلها السكون .

(٣) الفلاق ، بالضم ، جمع فلاقة بالضم أيضا ، وهى القطعة . والهام : الرءوس . والخذاريف : جمع خذروف بالضم ، وهى كل شى مبعثر من شىء . س : « حذاريف » صوابه فى ط ، هـ . ونقف الطائر البيضة : ثقبها ليساعد الفرخ فى الظهور .

(٤) حواسرا : كاشفات رءوسهن . وفى الأصمعيات ١٧٦ : « عرض ذوائب » .

(٥) س ، هـ : « يدل » .

(٦) هو ذو الرمة ، كما فى الخزانة (٤ : ٤٥١ بولاق) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٩) وكتاب سيبويه (١ : ٥٦) .

وَبِيض أفقنَا[1] بالضُّحَى من مُتونها سَماوةَ بيضٍ[2] كالخباء المقوَّضِ[3]

هجومٌ عليها نَفْسَهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ مَتى يُرْمَ فى عَيْنَيْهِ بالشَّخْصِ ينهض[4]

يعنى بالبِيضِ بَيْض النَّعام . وسَماوة الشىء : شخصه . لأنّ الظَّليم لما رآهم فزِع ونهَضَ . وهذا البيت أيضاً يدلّ على أنَّهُ فَرُوقَةٌ[5] . ١١٤

وقال ذو الرُّمَّة فى بيض النَّعام :

تراه إذا هبّ الصَّبا دَرَجَتْ به غرابيبُ من بِيضٍ هَجَائنَ دَرْدَقُ[6]

قال : والصَّبَا والجنوبُ تهبَّان فى أيام يُبس البقْل ، وهو الوقتُ الذى

---

(١) كذا فى س ، هـ . وفى ط : « فلقنا » . وفى محاضرات الراغب : « كشفنا » ورواية القالى (٢ : ٢٩٤): « رفعنا »

(٢) كذا . ولعلها : « هيق » وهو الظليم . ورواية القالى : « جون » بمعنى ظليم أسود .

(٣) الخباء ، بالكسر : البيت من وبر أو صوف أو شعر . س ، هـ : «كالحياء» صوابها فى ط ، والمحاضرات والأمالى . والمقوض : المهدوم . وجعله كذلك حين حضنه البيض ورقوده عليه .

(٤) هجوم عليها نفسه : أى يهجم على البيض نفسه ويلقيها حاضنا لها . وقد أنث البيض هنا . واستشهد به سيبويه على إعمال صيغة فعول عمل اسم الفاعل . وفى الأصل : « هجوم علينا » وصوابه فى المصادر السابقة . وروى القالى وسيبويه : « بالشبح » مكان : « بالشخص » ، وهما بمعنى . والشبح والشبح ، بالفتح ، وبالتحريك ، لغتان .

(٥) الفروقة ، بالفتح : الكثير الفزع ، يقال المذكر والمؤنث . وله نظائر فى المزهر (٢ : ١٣٤) وانظر شواهد ذلك فى اللسان (فرق) . وفيه أيضاً أنه يقال المؤنث « فروق » بنزع الهاء . وفى أصل الكتاب : « روحه » وهو تحريف لايستقيم .

(٦) فى الأصل . « ذرفت به » ، وتصحيحه من ديوان ذى الرمة ٣٩٨ ومن الشرح الآتى للجاحظ . و « دردق » صفة لكلمة « غرابيب » فهى مرفوعة . والبيت من قصيدة لذى الرمة ، أولها :

أدارا بحزوى هجت للعين عبرة فماء الهوى يرفض أو يترقرق

وقبل البيت :

بمشتبه الأرباء يرمى بركبه يبيس الثرى نائى المناهل أخوق

يثقبُ النَّعام فيه البيض . يقول : درجت به رِئلانٌ سودٌ غرابيب ، وهي من بِيضٍ هجانٍ : أي بِيْض . والدَّردَق : الصِّغـار ، وهو من صُغَرِ[1] الرِّئْلاَن .

(الحصول على بيض النعام)

قال طفيل بن عوفٍ الغَنَويّ[2] ، وذكر كيف يأخذون بيضَ النّعام :

عَوازبُ لم تسمَعْ نُبُوحَ مَقَامَةٍ ولم ترَ نارًا تِمَّ حَوْلٍ مجرَّمِ[3]

سِوى نارِ بَيض أو غَزَالٍ مُعَفَّرٍ أغَنَّ من الخُنْس المناخرِ تَوْأَمِ[4]

(١) جمع صغرى . وفي اللسان : « والصغرى تأنيث الأصغر ، والجمع الصغر . قال سيبويه : يقال نسوة صغر ولا يقال قوم أصاغر ، إلا بالألف واللام » .

(٢) طفيل بن عوف الغنوى : شاعر جاهلي فحل ، قالوا : وهو أوصف العرب للخيل . ويقال له : طفيل الخيل ، ويسمى أيضا : المحبر الغنوى . المؤتلف ١٨٤ .

(٣) عوازب : عنى إبلا عوازب لا تروح على أهلها ، تبيت بالقفر . وقبل هذا البيت بأربعة أبيات :

أرى إبلى عافت جدود فلم تذق بها قطرة إلا تحلة مقسم

والنبوح ، بالضم : أصوات الكلاب . والمقامة ، بالفتح : الحى المقيمون . يريد : أصوات كلاب الحى المقيمين . تم حول مجرم : أى حول تام . س ، هـ : « بنوح » صوابه من الديوان ٥٤ ومما سبق في (١ : ٣٤٨) . هـ : « حامة » موضع « مقامة » صوابه في س ، ط والديوان . ورواية القالى : « نُبُوحَ مُقَامَةٍ » قال : « النبوح : أصوات الناس . والمقامة : حيث يقيم الناس » ، ثم قال : « يقول : هذه الإبل عوازب ، لعز أربابها ، ترعى حيث شاءت لا تمنع ولا تخاف ، فلم تسمع أصوات أهل مقامة ولم تر نارا سنة كاملة سوى نار بيض نعام يصيبه راعيها فيشويه ، أو غزال يصيده » .

(٤) معفر : مقتول ممرغ في العفر . س : « معقر » بالقاف . والأغن : الذى فيه غنة ، وهو من صفة الظباء . وفي الأصل : « أغر » وصوابه من الديوان ، والأمالى . والأخنس : القصير الأنف . والتوأم : الذى ولد مع غيره . وذلك أشد لضؤولته وصغر جسمه .

هذه إبلُ راعٍ معزِبٍ[1] صاحب بوادٍ[2] وبدوةٍ ، لا يأتى المحاضر والمياهَ حيثُ تكون النيران[3] . وهو صاحب لبنٍ وليس صاحبَ بقلٍ، فإبله لا ترى نارًا سوى نارِ بَيض أو غزالٍ .

(نار الصَّيد)

وهذه النَّارُ هى النَّارُ التى يُصطاد بها الظِّباء والرئلان وبَيْض النَّعام[4] لأنَّ هذه كلَّها تعشى إذا رأتْ ناراً ، ويحدُثُ لها فكرةٌ فيها ونظر . والصبىُّ الصغير كذلك . وأوَّلُ ما يعابِثُ[5] الرَّضيعُ ، أوَّلَ ما يناغى ، المصباحُ[6] .

وقد يعترى مثلُ ذلك الأسـدَ ، ويعترى الضِّفدعَ ؛ لأنَّ الضِّفدعَ ينقّ ، فإذا رأى ناراً سكت . وهذه الأجناس قد تغتَرُّ[7] بالنَّار ، ويُحتالُ لها بهـا .

---

(١) هـ : « معرب » ، صوابه فى ط ، س .

(٢) كتبت فى الأصل بإثبات الياء . وهو جائز فى العربية فى حالة الوقف فقط . وفى كتاب سيبويه (٢ : ٢٨٨) : « وحدثنا أبو الخطاب ويونس أن بعض من يوثق بعربيته من العرب يقول : هذا غازى ورامى وعمى . أظهروا فى الوقف ، حيث صارت فى موضع غير تنوين » .

(٣) ط ، هـ : « الثيران » بالثاء . صوابه بالنون كما فى س .

(٤) تسمح الجاحظ فى التعبير ؛ فإن بيض النعام ليس مما يصطاد، بل هو مما يطلب ويبحث عنه . وكان العرب يطلبون بيض النعام فى أفاحيصها ومكامنها بالنار . جاء فى ثمار القلوب ٤٦٢ ، عند الحديث عن (نار الصيد) : « ويطلب بها أيضا بيض النعام فى أفاحيصها ومكامنها » .

(٥) يعابث ، من المعابثة ، وهى الملاعبة . وفى الأصل : « يعاتب » محرفة .

(٦) المناغاة : المحادثة والملاعبة . و « المصباح » هى فى ط ، هـ : « المصباغ » صوابه فى س .

(٧) تغتر : تخدع ؛ فالأسد يرى النار فيستعظمها فتشغله عن السابلة ، وكذا الضفدع يشغل عن النقيق . ط ، س : « تفتر » ، صوابه فى هـ .

(تشبيه الغيوم بالنّعام)

وتوصف الغيومُ المتراكمة[١] بأنّ عليها نعاماً . قال الشّاعر[٢] :

كأنَّ الرَّبَابَ دُوَيْنَ السَّحابِ   نَعــامٌ تَعلَّقَ بالأرْجُلِ[٣]

وقال آخر :

خَليلَيَّ لا تَسْتَسْلِمَا وَادْعُوا الّذِى   له كلُّ أَمْرٍ أنْ يَصُوبَ ربيعُ

حَياً لبلادٍ أَبْعَدَ المَحْلُ أهلها   وفى العَظْمِ شىءٌ فى شَظَاهُ صُدُوعُ[٤]

بمنتضك[٥] عر[٦] النَّشَاص كأنها   جِبالٌ عليهنَّ النُّسورُ وُقُوعُ[٧]

---

(١) المتراكمة : المتكاثفة . ط ، هـ : « المترامكة » تصحيحه من س .

(٢) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، كما فى اللسان (ربب) — عن الأصمعى — ومعجم الأدباء (١٦ : ٢٥٩) عن أبى عبيد . ونسبه الحصرى فى زهر الآداب (١ : ١٧٧) إلى حسان بن ثابت . والبيت منسوب فى الكامل ٤٨٥ ، ٧٥٨ وكذا فى شرح المفضليات ٢٤٨ (عن الأصمعى) إلى المازنى . قلت : المازنى الذى عنياه هو زهير بن عروة بن جلهمة المازنى ، كما فى الأغانى (١٩ : ٣٨٧) ، أو عروة بن جلهمة ، كما فى اللسان . وقبله :

إذا الله لم يسق إلا الكرام   فأسق وجوه بنى حنبل
أجش ملثاغزير السحاب   هزيز الصلاصل والأزمل
تكركره خضخضات الجنوب   وتفرغه هزة الشمأل

(٣) الرباب ، بالفتح : السحاب المتعلق .

(٤) الحيا : الخصب . وفى الأصل : « جنا » . والمحل : الجدب وانقطاع المطر . والشظى : عظيم لاصق بالركبة . هـ : « شطاه » . س : « وفى القطم فى شطاه صدوع » وأثبت ما فى ط . ولعل صوابه : « وعَى العَظْمُ حَتّى فى شَظَاهُ صُدُوعُ » ، أى وعى العظم من المحل حتى ظهرت الشقوق فى شظاه . ووعى العظم : انجبر على عثم ، أى التواء . وهو كناية عن الشدة . والبيت وسابقه فى الزهرة ٢٠٣ .

(٥) هـ : « بمنتصك » س : « بمصك » وكلها صور محرفة . ولعلها « معتنك » وأصله البعير يحبو حبواً ولا يقدر على السير . فيكون قد جعله معتنكا لثقله وكثرة مائه .

(٦) كذا بالعين المهملة . ولعلها : « غر » .

(٧) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع بعضه فوق بعض .

(استطراد لغوى)

وقال آخر :

وَضعَ النَّعَامَاتِ الرِّجالُ بِرَيْدِهَا من بين مَخْفُوضٍ وبينِ مظَلَّلِ[1]

والنعائم فى السماء[2] . والنعائم والنّعامتان من آلات البئر[3] .

و [النعامة[4]] : بيت الصائد[5] .

وقال فى مثل ذلك عروة بن مُرَّة الهذلىُّ[6] :

---

(١) النعامة : ظلة أو علم يتخذ من خشب ، فربما استظل به وربما اهتدى به . المخصص (٥ : ١٣٥) . والرجال هنا فاعل (رفع) . والريد ، بالفتح : الحرف الناتئ من الجبل . فى الأصل : « برمدها » ، وتصحيحه من المخصص . وشبيه بلفظه قوله :

لا شىء فى ريدها إلا نعامتها منها هزيم ومنها قائم باق

و « مظلل » هى فى الأصل « مضلل » وصوابه فى المخصص .

(٢) هى منزلة من منازل القمر بها ثمانية نجوم أربعة منها فى المجرة وتسمى الواردة ، وأربعة خارجة تسمى الصادرة .

(٣) النعامتان : خشبتان يضم طرفاهما الأعليان ويركز طرفاهما الأسفلان فى الأرض ، أحدهما من هذا الجانب ، والآخر من ذاك الجانب ، يصقعان بحبل ويمد طرفا الحبل إلى وتدين مثبتين فى الأرض ، أو حجرين ، وتعلق القامة أى البكرة بين شعبتى النعامتين . قلت : فقد يضم إلى النعامتين ثالثة فيصرن نعائم . فى الأصل : « السر » وقد كشفت سر هذا التحريف بما أثبت .

(٤) ليست بالأصل .

(٥) ط ، هـ : « الصديد » . صوابه ما أثبت من س .

(٦) البيت الآتى منسوب فى اللسان (سرب) إلى أبى خراش الهذلى . وعروة وأبو خراش أخوان ، من عشرة إخوة أبوهم مرة الهذلى ، وكانوا جميعاً شعراء دهاة سراعا لا يدركون عدوا . أما عروة فقتل فى الجاهلية ورثاه أبو خراش بأبيات ضادية ، فى الحماسة . وأما أبو خراش — واسمه خويلد بن مرة — فإنه أدرك زمان عمر ابن الخطاب ، وهاجر إليه ، وغزا مع المسلمين . ومات فى زمن عمر . الأغانى (٢١ : ٣٨ — ٤٨) والإصابة ٢٤١ والشعراء والخزانة (١١ : ٤٠٠ سلفية) .

وذاتِ رَيْدٍ كَزَنْقِ الفَأْسِ مُشْرِفَةٍ   طريقها سَرِبٌ بالنّاسِ مجبُوبُ[1]

١١٥٠ لم يَبْقَ من عَرْسِها إلاّ نعامتُها   حالانِ منهزِمٌ منها ومَنصوبُ[2]

(مسكن النعام)

وفى المثل : « ما يُجمَعُ بين الأرْوَى والنّعام[3] » ؛ لأنَّ الأرْوَى تسكن الجبال ولا تُسهِل[4] . والنّعامَ تسكن السهل ولا تَرْقى فى الجبال . ولذلك قال الشاعرُ[5] :

---

(١) الريد : ما شخص من الجبل : ط . « وذات فرند » س ، هـ : « وذات زند » صوابه ما أثبت من اللسان ، وانظر البيت السابق . والزنق ، بالتحريك : أصله أسلة نصل السهم . والأسلة : مستدق النصل . فيكون قد أسكن النون لضرورة الشعر . والمعنى أن ذلك الريد يشبه حد الفأس . ط ، هـ : « بزلف » س : « بدلف » . وفى اللسان : « كزلق الرخ » . وصواب الكلمة ما أثبت. وأما كلمة « الرخ » فى اللسان فصوابها « الزج » . والأرض المشرفة : العالية تشرف على ما حولها . والطريق السرب — ككتف — : الذى يتتابع فيه الناس . فى الأصل : « طويلها » تصحيحه من اللسان . والمجبوب . كأنه الممهد من قولهم : سنام مجبوب ، أى مقطوع . ط ، س : « مجنوب » صوابه فى هـ . ورواية اللسان : « دعبوب » بضم الدال ، وهو المذلل الواضح الذى يسلكه الناس

(٢) العرس ، بالفتح : حائط يجعل بين حائطى البيت الشتوى لا يبلغ به أقصاه ثم يسقف ليكون البيت أدفأ . والنعامة : الظلة . حالان أى تلك النعامة لها حالان فبعض أجزائها منهزم أى متكسر . تقول هزمت القربة فانهزمت : إذا غمزتها فتطامنت . ومنصوب : أى قائم . انظر مثيل هذا البيت فى حواشى الصفحة السابقة . فى الأصل : « مصبوب » والوجه ما أثبت .

(٣) نص المثل فى الميدانى (١ : ١٢٦) وكنايات الجرجانى ١١٨ والدميرى : « تكلم فجمع بين الأروى والنعام » . وقالوا : أى تكلم بكلمتين مختلفتين . وفى اللسان . « ومن أمثالهم : من يجمع بين الأروى والنعامة ؟ ! » . والأَرْوَى : جمع أُرْوِيَّة ، أو اسم جمع ، وهى أنثى الوعول .

(٤) أسهل : نزل فى السهل من الأرض .

(٥) هو مهلهل ، كما فى اللسان (ظهر ، كدس) أو عبيد بن الأبرص ، كما فى مختصر تهذيب الألفاظ ١٧١ واللسان (كدس) . والبيت بدون نسبة فى المقاييس (كدس) .

وَخَيْلٍ تَـكَرْدِسُ بالدَّارِعِينَ كَمشْيِ الوُعول على الظَّاهِرَهْ[1]

وقال كثيِّر :

يهدى مَطَايَا كالحَنِيِّ ضَوَامِرًا بنيَاطِ أغبَرَ شَاخِصِ الأمْيَالِ[2]

فَـكَأَنَّهُ إذْ يَغْتَدِى مُتَسَنِّماً وَهْدًا فَوَهْدًا نَاعِقٌ بِرِئالِ[3]

(شعر فى التشبيه بالنعام)

وقال الأعشى ، فى تشبيه النَّعام بمـا يتدلَّى من السَّحاب من قطع الرَّباب :

---

(١) ط : « وتبلى » س ، ه : « ونيل » ، صوابه من الحيوان (٦ : ٣٠٠) والمخصص (١٠ : ٦٩) واللسان . وتـكردس : تمشى مشية المقيد . ط : « يكردس » س ، ه : « مكردس » ، صـوابهما من سادس الحيوان . والرواية فى المخصص واللسان والمختصر : « تَـكَدَّسُ » أى تتكدس . والتكدس : أن يمشى الفرس كأنه مثقل . والدارع : لابس الدرع الحديدى . والظاهرة : أعلى الجبل حيث يسكن الوعل . وفى الأصل : « الطاهر » صوابه من المخصص واللسان والمختصر . وانظر ما سيأتى فى (٦ : ٣٠٠) .

(٢) الحنى : كغنى : جمع حنية ، وهى القوس . جعلها كالقسى فى نحو لها . وانظر الاستدراكات . ونياط المفازة : بعد طريقها . ط ، س : « نباط » صوابه فى ه . والأغبر : الطريق ذو الغبرة . شاخص : قائم . والأميال : جمع ميل ، بالـكسر ، وهو المنار يبنى للمسافر فى أنشاز الأرض وأشرافها . وفى الأصل : « الأمثال » . ولا وجه له ، صوابه ما أثبت .

(٣) تسنم الشىء : علاه . س : « متنسما » صوابه فى ط ، ه . والوهد ، بالفتح : الأرض المنخفضة . فمعنى تسنم الوهد : أشرف عليه من الأنشاز التى حوله . ط : « وهد فوهد » س ، ه : « وهدى فوهدى » صـوابهما ما أثبت . وناعق : هو من نعق الراعى بالغنم : دعاها وصاح بها . ط : « ناطق » تصحيحه من س ، ه .

يا هَلْ تَرى بَرْقاً على الـ ـجَبَلَيْنِ يُعْجِبُنِى انجيابُه[1]
مِنْ ساقِطِ الأكنافِ ذِى زَجَلٍ أَرَبَّ به سَحابُه[2]
مثـلِ النَّعامِ مُعَلَّـقاً لَمـاَّ زَقَا ودنا ربابُه[3]

وقال وشَبَّه ناقَتَهُ[4] بالظَّلِيم :

وإذا أطافَ لبابه بسَدِيسِهِ[5] ومسافراً ولجا به وتَزَيَّدَا[6]
شَبَّهْتهُ هِقْلاً يُبارِى هِقْلَةً رَبْدَاءَفى خَيْطٍنَقَانِقَ أربدا[7]

---

(١) ياهل : أى ياصاح هل . حذف المنادى ، كما جاء فى الكتاب : « ألا يا اسجدوا » فى قراءة الكسائى ، وكقوله :

يالعنة الله والأقوام كلهم والصالحين على سمعان من جار

برفع « لعنة » . ورواية الديوان ١٩٨ : « بل هل » . والجبلان ، هما جبلا طيىء : أجأ وسلمى . وانجيابه : انكشافه . ويروى : « انتصابه » . وفى شرح الديوان : « الناصب من البرق ترى ضوءه ثابتا » . ط ، س : « انحيابه » تصحيحه من هـ والديوان .

(٢) من ساقط الأكناف : أى من سحاب ساقط النواحى . وفى الأصل : « متساقط » . و « الأكنف » هى فى س : « الأكتاف » وصواب هذين التحريفين من الديوان . والزجل ، بالتحريك : الصوت . أرب به : أقام .

(٣) معلقا ، فى موضع حال من النعام . فى الأصل : « معلق » ووجهه ما أثبت من الديوان . وانظر شبيه هذا المعنى فى البيت الذى سبق فى ص ٣٥٠ . زقا : صاح . وفى اللسان : « وكل صائح زاق . . . وقد تعدوا ذلك إلى مالا يحس فقالوا : زقت البكرة » . ط ، هـ : « رقا » ولا وجه له، وأثبت مافى س . ورواية الديوان : « لمـادَنَا قَردًا ربابُه » القرد : المجتمع . والرباب : ما تدلى من السحاب .

(٤) كذا . والوجه : « بعيره » أو « جمله » . كما يفهم من الشعر . انظر الديوان ١٥٢ .

(٥) رواية الديوان : « وإذا يلوث لُغامَه بسَدِيسهِ » و : « أطاف لغامه » .

(٦) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « ومسافر دلجا به » ، وكلاهما محرف . ورواية الديوان : « ثنّى فهبَّ هِبَابُهُ وتَزَيَّدَا »

(٧) الهقل ، بالكسر : الفتى من النعام . ط ، س : « شبهته صعلا » . والصعل ، بالفتح : الطويل من النعام . ورواية الديوان : « وكأنه هقل يبارى هقلة » . والربداء : الرمادية اللون ، أو السوداء . وروى فى الديوان : « رمداء » =

وذكر زهيرٌ[1] الظَّليمَ وأولاده ، حتَّى[2] شبَّه ناقتَه بالظَّليم :

كأنّى وردْفى وَالْقِرَابَ وَنُمْرُقِى ... على خاضبِ السَّاقين أرعَنَ نِقْنِقِ[3]

تَرامى به حبُّ الصَّحارَى وقد رَأى ... سَماوةَ قَشْرَاءِ الوظيفَيْنِ عَوْهَقِ[4]

تحنُّ إلى مِثلِ الحبابير جُثَّمٍ ... لَدَى سَكَنٍ مِنْ قَيضِها المتفلِّقِ[5]

تحطَّمَ عنها [قَيضُها] عَنْ خَراطمٍ ... وعن حَدَق كالنَّبْخ لم يتفلَّقِ[6]

النَّبْخ[6] : الجُدَرِيّ[7] .

= أى رمادية اللون . والخيط ، بالفتح والكسر : جماعة النعام . ط ، س : « نبط » ه : « نيط » تصحيحه من الديوان . والنقانق : جمع نقنق ونقنقة ، وهو الخفيف من النعام . فى الأصل : « تمانق » والوجه من الديوان . و « أربدا » صفة لخيط ، وجر بالفتحة لوزن أفعل . ه والديوان : « أرمدا » وهما بمعنى .

(١) الصواب نسبته إلى كعب بن زهير فى قصة رواها أبو الفرج فى ١٥ : ١٤١ . وفى ديوان زهير ٢٤٥ أن زهيرا وكعبا اشتركا فيها .

(٢) لعلها : « حين » ، أو : « حيث » .

(٣) الردف ، بالكسر : الحقيبة ونحوها . والقراب ، بالكسر : غمد السيف . ويروى : « والفتان » وهو غشاء الرحل . والنمرق : مايوضع فوق الرحل يقعد عليه الراكب . خاضب الساقين : عنى به ظليما احمرت ساقاه . والنقنق : النافر أو الخفيف .

(٤) فى الديوان والأغانى : و « تراخى » ، أى تطاول . ط ، ه : « وقد أرى » . وأثبت مافى س ، والديوان والأغانى ، والسماوة : أعلى شخص الشىء . والقشراء : البينة القشر ، وهو شدة الحمرة . أو القشراء : المتقشرة الساق لاريش عليها . والوظيف : مستدق الساق . وفى ط ، س : « الوظيفة » و ه : « قشر الوظيفة » صوابه ماأثبت . والعوهق : الطويل : يستوى فيه المذكر والمؤنث . ط ، س : « عيهق » ه : « عبهق » محرفتان عما أثبت .

(٥) فى الأصل : « ميل الجناحين » ، صوابه من الديوان والأغانى . والحبابير : جمع حبارى ، يعنى فراخها . والجثم : الجاثمة المقيمة فى موضعها . والسكن : حيث تسكن . وفى الأصل : « عن بيضها » ، صوابه من الديوان والأغانى . والقيض : قشر البيض .

(٦) التكملة من الديوان والأغانى . وفى ط ، ه : « خراطم أصبح » . والنبخ : الجدرى . س ، ط : « كالملح » ، ه : « كالمخ » ، صوابهما من الديوان والأغانى واللسان (نبخ) .

(٧) س : « السح » . ط ، ه : « السيح » ، محرفتان .

(٨) فى الأصل : « الجدور » ، تحريف ماأثبت .

(النعامة فرس خالد بن نضلة)

وكان اسمُ فرس خالدِ بن نَضْلَة[١] : « النَّعامة » . قال :

تَدَارَكَ إرخاءُ « النَّعامةِ » حَنْثَرًا ... وَدُودَانَ أَدَّتْهُ إلىَّ مُكَبَّلا[٢]

(تشبيه مشى الشيخ بمشى الرئال)

وقال عُروة بن الوَرد[٣] :

أليسَ ورائى أن أدِبَّ على العَصَا ... فيأمَنَ أعدائى ويَسْأَمَنِى أهْلِى[٤]

رهينَةَ قَعْرِ البيتِ كلّ عَشِيَّةٍ ... يُطِيفُ بىَ الوِلْدانُ أَهْدِجُ كالرَّأْلِ[٥]

---

(١) خالد بن نضلة الأسدى ، فارس مشهور من فرسانهم ، وله ذكر فى يوم النسار ؛ إذ كان رئيس أسد يومئذ . كامل ابن الأثير ١ : ٣٧٧ . س : « فضلة » صوابه فى القاموس (نعم) وكامل ابن الأثير ، والبيان ٣ : ٢٥٠ ، ٢٦٩ وبلوغ الأرب ٢ : ١١٨ . وقد قال البيت الآتى يذكر فيه أنه أسر حنثر بن الأضبط ، ودودان ابن خالد . شرح المفضليات ٣٦٦ وبلوغ الأرب ٢ : ١١٨ .

(٢) الإرخاء : شدة العدو . ط : « أحساء » س ، هـ : « أرحاء » ، والوجه ما أثبت ، كما فى بلوغ الأرب . و « حنثراً » هى فى الأصل : « جيداً » صوابه فى بلوغ الأرب . وانظر التنبيه السابق . وفى الأصل أيضاً : « أردته » صوابه ما أثبت . وفى بلوغ الأرب : « ودودان أدت فى الحديد » . مكبلا : مقيداً .

(٣) عروة بن الورد شاعر من شعراء الجاهلية ، فارس ، صعلوك ، جواد . وكان يسمى عروة الصعاليك ، لجمعه إياهم ، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا فى غزواتهم .

(٤) يقول : أليس ورائى إن سالمت الناس ، وتركت مخاطر التصعلك ، أن يلحقنى الكبر فأهون ويضجر منى أهلى ؟ ! فهو يحتج للتصعلك بما ترى . س ، هـ : « على الصفا » س : « وييأس بى » ، هـ : « وييأس أهلى » ، صواب ذلك فى ط والديوان ١٠٣ .

(٥) رهينة : أى ملازم لا يبرح . وهدج الشيخ فى مشيته : قارب الخطو وأسرع من غير إرادة . والرأل : فرخ النعام .

شبَّهَ هَدَجانَ[1] الشَّيخ الضعيف في مشيته بهدَجَان الرأل . ١١٦

وقال أبو الزَّحْف[2] :

أشكو إليك[3] وَجَعًا بركْبتى   وَهَدَجَاناً لم يكنْ فى مِشْيتى[4]

* كَهَدَجَانِ الرَّألِ حوْلَ الهَيْقَتِ[5] *

وقال آخر ، ولست أدرى أيُّهما حَمَل على صاحبه :

أشكُو إليكَ وَجَعاً بمرفَقِى[6]   وَهَدَجَاناً لم يكنْ فى خُلُقى

* كَهَدَجَانِ الرَّألِ حَوْلَ النِّقْنِقِ *

ولم يفضحْه إلَّا قوله :

* أشكو إليك وجعاً بمِرْفَقِى *

لأنَّ الأوَّلَ حكى أنَّ وجعه فى المكان الذى يصيبُ الشُّيوخ ، ووجع المرفق مثلُ وجَعِ الأذُنِ ، وضربانِ الضِّرس ، ليس من أوجاع الكِبَر فى شيء .

---

(١) فى الأصل : « وشبيه بهذا أن » ، تحريف ما أثبت .

(٢) أبو الزحف ، سبقت ترجمته فى (٢ : ١٩٧) . وفى الأصل : « أبو المرهف » ، محرفة . والرجز فى الشعراء ٦٦٩ فى ترجمة أبى الزحف . وقد نسب فى نوادر أبى زيد ٢٥٥ إلى (ابن عُلْقَة التَّيمىّ) ، برواية أخرى . وأراه رجزاً آخر اتفق خاطرا القائلين فيه . وهو بغير نسبة فى أمالى القالى (١ : ١٨٩) . ونسب فى العقد (٢ : ٥٢) إلى أعرابى .

(٣) فى العقد : « إلى الله » .

(٤) فى الشعراء والنوادر والأمالى : « من مشيتى » .

(٥) الهيقة : النعامة الطويلة . وقد أراد : « الهيقة » فصيـر هاء التأنيث تاء فى المرور عليها . فى الأصل : « النقنق » ولا تتفق مع الرجز ، وتصحيحها من اللسان (هدج ، هيق) وسائر المصادر المتقدمة ماعدا العقد ، فالرواية فيه أشد تحريفاً . وروى : « خلف » مكان « حول » فى جميع المصادر ماعدا العقد .

(٦) المرفق ، كنبر ومجلس : موصل الذراع فى العضد .

(شعر فيه ذكر النعامة)

وقال ابن ميّادة ، وذكر بنى نَعامةَ من بنى أسد — وقد كان قَطَرِىُّ ابن الفجاءة يكنى أبا نعامة[١] — :

فهل يمنَعَنِّى أنْ أسيرَ ببَلْدَةٍ   نَعامةُ ، مِفْتاحُ المخازِى وبابُها

وهجا دُريدُ بنالصِّمَّةِ رجُلاً فجعل البيضةَ الفاسدة مثلاً له ، ثمَّ ألحق النَّسرَ بأحرار الطَّيرِ وكرامها — وما رأيتُهُمْ يعرِفون ذلك لنسر — فقال :

فإنِّى على رغم العَذول لَنازِلٌ   بحيث التَقَى عيط وبِيضُ بنى بدر[٢]

أيَا حَكَمَ السَّوْءاتِ لا تَهجُ وَاضْطَجِعْ   فهل أنْتَ إن هاجَيْت إلَّا من الُخضْرِ

وهل أنْتَ إلَّا بَيْضةٌ مات فَرْخُها   ثوَتْ فى سُلوخ الطيرِ فى بلدٍ قفْرِ[٤]

حَوَاهَا بغاثٌ : شرُّ طير علمتُها   وَسُلَّاءُ ليستْ من عُقابٍ ولا نسْرِ[٥]

---

(١) قطرى ، بالتحريك : نسبة إلى موضع بين البحرين وعمان . وهى نسبة غير حقيقية ؛ فإن مولده بلد يقال له الأعدان . والفجاءة كذلك لقب لأبيه ، قالوا : قدم أهله فجأة فلقب بذلك . واسم قطرى جعونة ، واسم أبيه مازن . وأبو نعامة كنيته فى الحرب ، ونعامة فرسه ، وكنيته فى السلم أبو محمد . خرج قطرى فى زمن مصعب وكان بينه وبين الحجاج نضال مستمر طويل . وعثر به فرسه فاندقت فخذه فمات وجىء برأسه إلى الحجاج سنة ٧٨ . وفيه يقول الحريرى فى المقامة السادسة : « فقلدوه فى هذا الأمر الزعامة تقليد الخوارج أبا نعامة » . ابن خلكان والدميرى وشرح التبريزى للحماسة .

(٢) كذا . ولعله : « غيظ » أو « عيص » اسما قبائل .

(٣) الخضر : اسم قبيلة . ط ، س : « الحصر » هـ : « الحضر » . ولعل صوابه ما أثبت .

(٤) سلوخ : جمع سلخ ، بالفتح ، وهو مايسلخه الطائر من ريشه ، فهو يبطن به عشه ليضع فيه البيض . انظر ماسبق من القول فى سلخ الطيور ص ٢٢٤ . س : « شلوخ » ، ولا وجه لها .

(٥) السلاء ، كرمان : ضرب من الطير أغبر طويل الرجلين «

(استطراد لغوى)

ويقال للأنثى من ولد النَّعامة : قلوص ؛ على التشبيه بالنَّعام من الإبل . وهذا الجمع[1] إلى ماجعلوه له من اسم البعير ، وإلى ما جعلوا له من الخفِّ والمنسمِ ، والخَرَمَةِ[2] ، وغير ذلك .

قال عنترة :

تأوِى له قُلُصُ النَّعامِ كما أوَت حِزَقٌ يَمَانِيَةٌ لأعجَمَ طِمْطِمِ[3]

وقال شمَّاخ بن ضِرار[4] :

* قلوص نَعامٍ زِفُّها قد تَمَوَّرَا[5] *

(وصف الرئال)

ووصف لبيدٌ الرِّئالَ فقال :

---

(١) كذا . ولعلها : « يجمع » .

(٢) الخرمة ، بالتحريك : سبق شرحها فى ص ٣٢١ . وفى الأصل : « الخزامة » محرفة .

(٣) تأوى له : أى تلجأ إليه . والضمير عائد إلى الظليم ، المفهوم من قوله قبل هذا البيت :

وكأنما أقص الإكام عشية بقريب بين المنسمين مصلم

وفى الأصل : « تأوى به » ، صوابه من المعلقات واللسان (قلص) . والقلوص الشابة من الرئال ، أى فراخ النعام . والحزق : الجماعات . والمراد بها جماعات الإبل . لأعجم طمطم : أى لإهابة راعيها الأعجم الذى لايفهم الكلام .

(٤) يصف ناقته ، من قصيدة له فى ديوانه ٢٦ — ٣٤ .

(٥) الزف ، بالكسر : صغار الريش . س ، ه : « زحها » محرفة . وتمور : سقط . وصدر البيت :

* وقد أنعلتها الشمس نعلا كأنه *

فأضْحَتْ قد خَلَتْ إلاَّ عِرَارًا   وعَزْفًا ، بعـد أحياءٍ حِلَالِ [١]

١١٧ وخَيطاً من خَوَاضِبَ مُؤْلفاتٍ   كأنَّ رِئالها وُرْقُ الإفالِ [٢]

(قول فى بيت لحسان)

وقال حسانُ بن ثابتٍ ، رضى الله عنه [٣] :

لعمرُك إنَّ إلَّكَ فى قُرَيش   كإلِّ السَّقْبِ منْ رَألِ النَّعَامِ [٤]

---

(١) العرار ، بكسر العين المهملة : صوت الظليم . يقال عريعر عرارا ، وعار يعار معارة وعرارا . ط : « غرارا » ، صـــوابه فى س ، هـ واللسان (عرر) . والعزف : صوت الرياح ، وقد يجعله العرب بزعمهم صوت الجن . وفى الأصل : « عرفا » تصحيحه من اللسان . وأحيال حلال : أى أقوام مقيمون متجاورون . ينعت تلك الديار بعد مارحل عنها أهلها .

(٢) الخيط بالفتح والكسر : جماعة النعام . والخواضب : الظلمان قد احمرت سوقها . مؤلفات : ألفت الرمل . وفى الأصل : « مزلفات » صوابه من الديوان . ورئالها : فراخها . والورق : جمع أورق ، وهو مالونه كلون الرماد . والإفال : جمع أفيل ، كأمير ، وهو الفصيل من الإبل . وفى الأصل : « الإمال » بالميم ، محرفة .

(٣) يهجو أبا سفيان بن الحارث . والبيت أول أبيات أربعـة فى ديوانه ٤٠٧ — ٤٠٨ . وبعده :

فإنك إن تمت إلى قريش   كذات البو جائلة المرام
وأنت منوط بهم هجين   كما نيط السرائح بالخدام
فلا تفخر بقوم لست منهم   ولاتك كاللئام بنى هشام

(٤) الإل : القرابة . والسقب : ولد الناقة ساعة يولد . ط : « الفيل » ، س ، هـ : « السيف » صوابهما ماأثبت من الديوان ، والمخصص (٣ : ١٥١) وأمالى القالى (١ : ٤١) والأضداد ٣٤٦ . والرواية فيها جميعاً : « من قريش » . وهناك بيت آخر يشتبه بهذا البيت . وهو :

وأشهد أن إلك من قريش   كإل الفيل من ولد الأتان

وصاحبه عبد الرحمن بن الحكم يقوله لمعاوية : كما فى الحيوان (١ : ١٤٦ ، ٧ : ٢٣٥) والخزانة (٢ : ٥١٨ بولاق) . أو صاحبه يزيد بن مفرغ ، كما فى الشعراء ٣٢٢ والموشح ٢٧٣ . أو هو عبد الرحمن بن حسان : كما فى العقد (٤ : ١٨٢) .

وقد عاب عليْهِ هذا البيتَ ناسٌ ، وظَنُّوا أنَّهُ أراد التبعيد ، فذكر شيئين قد يتشابهان من وجوهٍ . وحسانُ لم يردْ هذا ، وإنما أراد ضَعْفَ نَسبه فى قُريش ، وأنَّه حينَ وَجَدَ أدنى نَسب(١) انتحل ذلك النَّسب .

(النعامة ، فرس الحارث بن عباد)

وقال الفرزدقُ ــ وذكَرَ الفرَسَ الذى يقال له : « النَّعامة » ، وهو فرسُ الحارث بن عُبَاد ، التى يقول فيها :

قرِّبا مَرْبِطَ النَّعامةِ مِنِّى   لَقِحَتْ حَرْبُ وائلٍ عن حِيالِ(٢)

وقولُ الفرزدق(٣) :

تُريكِ نُجُومَ اللَّيل والشَّمْسُ حَيَّةٌ(٤)   كِرامُ(٥) بناتِ الحارثِ بن عُبادِ

نساءٌ أبوهنّ الأغرّ ، ولم تَكُنْ   من الحُتِّ فى أجْبالها وهَدَادِ(٦)

---

(١) كذا بالأصل . ولعلها : « سبب » .

(٢) عن حيال ، أى بعد حيال . والحيال ، بالكسر : ألا تحمل الناقة بولد . وقد قال الحارث هذا الشعر لمناسبة تجدها فى (يوم قضة) من أيامهم .

(٣) يقوله للنوار زوجه ، وكان تزوج عليها امرأة من ولد الحارث بن عباد ، فقالت له : تزوجتها أعرابية دقيقة الساقين ! .

(٤) كذا رواية صدر البيت فى الموشح ١٠٤ والأغانى (١٩ : ٩) . وروى : « أرتك » فى الأغانى (٨ : ٨٩) ، و : « أراها » فى الديوان ١٥٩ . يقول لها : إن بنات الحارث بن عباد يجلبن إليها الغيرة الممضة حتى يظلم عليها نهارها . والعبارة مثل ، كما جاء فى قول طرفة (ديوانه ٦٥) :

إن تنوله فقـد تمنعه وتريه النجم يجرى بالظهر

(٥) روى فى الديوان والموشح والأغانى (٨ : ٨٩) : « زحام » . وللمرزبانى كلام فى هذا اللفظ دقيق .

(٦) الحت ، بالضم ، وهداد : قبيلتان من الأزد . ط : « من الأرد فى جاراتها وهداد » . ولعله تصرف من المصحح اعتمد فيه على رواية الأغانى (١٩ : ٩) =

أبوها الذى آوى النّعامةَ بعد ما   أبَتْ وائلٌ فى الحرْبِ غيْرَ تمادِ[1]

وقد مَدحوا بناتِ الحارث بن عباد هذا ، فمن ذلك قوله[2] :

جاءوا بحارِشَةِ الضِّبابِ كأنَّهمْ   جاءوا ببنتِ الحارثِ بن عُباد[3]

ويلحق[4] هذا البيت بموضعه ، من قولهم : باضَ الصَّيف[5] ، وباضَ القَيظ[6] . وقال مضرِّس :

بلمَّاعةٍ قد بأكَرَ الصَّيفُ ماءها   وباضت عليها شمسُه وحرارُه[7]

= لكن فى س ، ه : « من الحب فى إحالها » ، وتصحيح هذا التحريف من الديوان .

(١) أبوها ، يعنى أبا زوجته . و « آوى النعامة » إشارة إلى قوله : قربا مربط النعامة » . ط : « قاد النعامة » ويظهر أيضاً أنه اعتاد من المصحح على رواية الأغانى (١٩ : ٩) . ورواية الديوان : « أدنى » . والتمادى : اللجاجة . ووائل هو والد بكر وتغلب اللتين أشعلتا نار حرب البسوس ، فكانت إحداهما تحارب الأخرى .

(٢) فى (٦ : ١٠٢) : وقائلة هذا الشعر امرأة من بنى مرة بن عباد . ونحوه فى ثمار القلوب ٢٣٩ — ٢٤٠ .

(٣) بحارشة الضباب : أى بامرأة تحرش الضباب ، أى تصيدها . وقد عدت هذه حرش الضباب لؤما ومسبة ، ولكن بعض العرب لا يرى فى ذلك شيئاً . انظر تفصيل هذا الخلاف فى (٦ : ٧٧ — ١١١) . أما بنت الحارث بن عباد فثل فى الكرم والشرف .

(٤) الكلام من مبدإ هذا إلى نهاية بيت مضرس ساقط من س . وربما دل هذا على أنه كلام دخيل من صنع أحد القراء . وكلمة « بموضعه » تشير إلى ماسبق فى ص ٣٣٥ — ٣٣٦ .

(٥) فى الأصل : وهو هنا ط ، ه : « السيف » . وانظر ماسبق فى ٣٣٦ .

(٦) فى الأصل : « ومن باض القيظ » ، وكلمة « من » مقحمة .

(٧) لماعة : أى فلاة يلمع فيها السراب . ط : « بداعية » صوابه فى ه ، واللسان (حرر) . وفى اللسان أيضاً : « قد صادف الصيف » . والحرارُ : جمع حرور ، بالفتح ، وهو الحر . وباضت الشمس : أخرجت كل حرها . ورواية اللسان : « فاضت » .

(ابن النعامة ، فرس خُزز بن لوذان)

وابن النّعامة : فرس خُزَز بن لَوْذَان[1] . وهو الذى يقول لامرأته حين أنكرتْ عليه إيثاره فرسه باللبن :

كَذَبَ العَتِيقُ ومَاءُ شَنٍّ باردٌ   إنْ كنْتِ سائلتى غَبوقاً فاذهَبِى[2]

إنّى لَأَخْشَى أن تقولَ خليلتى[3]   هـذا غبارٌ ساطعٌ فتَلَبَّبِ[4]

---

(١) خزز بزايين وبوزن عمر ، ابن لوذان ، بفتح اللام وبذال معجمة : شاعر قديم جاهلى ، كما فى الخزانة (٣ : ١١ بولاق) . وفى الأصل : « حرز » ، صوابه فى القاموس (خزز ، لوذ) والمؤتلف ١٠٢ ، والبيان (٣ : ٣١٧) . ونسبة الشعر الآتى إلى خزز ، مثلها فى الخزانة والبيان وأمالى ابن الشجرى (١ : ٢٦٠) . ونسب إلى عنترة فى المخصص (١٣ : ٢٠٦) والعقد (٢ : ٢٥٦) وحماسة ابن الشجرى ٨ وأماليه (١ : ٢٦١) .

(٢) هو مثل صادق من عناية العرب بخيلهم ، وإيثارهم لها على أنفسهم وعلى أزواجهم ولو أدى ذلك إلى النزاع مع الحرم . وقال فى مثل هذا ، الأعرج المعنى (الحماسة ١ : ١٣٠) :

أرى أم سهل ما تزال تفجع   تلوم وماأدرى علام توجع

تلوم على أن أمنح الورد لقحة   وما تستوى والورد ساعة يفزع

أم سهل : امرأته . والورد : اسم فرسه . ولقحة : أى لبن ناقة لقحة . وما تستوى : أى ما تستوى امرأته وذلك الفرس ساعة الفزع للحرب .

(٣) يقول لها : عليك بأكل العتيق ، وهو يابس التمر ، وبشرب الماء البارد الذى فى القربة الخلق ، ولا تتعرضى لغبوق اللبن ، وهو شربه بالعشى ؛ لأن اللبن خصصت به مهرى الذى أنتفع به ويسلمنى وإياك من الأعداء . وكذب كذا ، وكذب عليك كذا : مثلان غريبان من أمثلة الإغـراء ، لـكنه جاء مسموعا كثيراً فى كلامهم . انظر اللسان (كذب) وأمالى ابن الشجرى والمزهر (١ : ٢٢٥).

(٤) يعنى بخليلته زوجته . ط ، س : « خليل » وتصح بالتصغير وإرادة النداء =

إنَّ العدوَّ لهم إليكِ وسيلةٌ إنْ يأخذوكِ تَكَحَّلِي وتخضّبي (١)
ويكون مَرْكَبُكِ القَعودَ وحِدْجَه وابنُ النَّعامة يوم ذَلِكِ مَرْكَبي (٢)

(شعر في النعامة)

وقال أبو كبير الهذليّ :

١١٨ وَضعَ النَّعاماتِ الرِّجالُ بِرَيْدِها يُرْفَعْنَ بَين مُشَعْشَعٍ وَمُهَلَّلِ (٣)

وقال ذُو الإصبع العَدْوانيّ :

ولى ابنُ عَمّ على ما كان مِنْ خُلُقٍ مخالفٌ لىَ أقْليه ويقلينى (٤)
أزْرَى بنا أنَّنا شالَتْ نعامتُنا فَخَالَنى دُونَهُ بل خِلْتُهُ دُونى (٥)

= وأثبت مافى ه والبيان واللسان (لبب) . ورواية ابن الشجرى فى الحماسة : « ظعينتى » . والظعينة : المرأة . والغبار الساطع الذى تعنى : هو مايتطاير من جرى خيل العدو المغير . والتلبب : التحزم بالسلاح وغيره .

(١) العدو ، من الكلمات التى تقال للواحد والاثنين والجمع ، والمثنى والمذكر ، بلفظ واحد . روى ابن الشجرى فى الأمالى : « أن يأخذوك » وقال : « موضعه نصب بتقدير حذف الخافض ، أى فى أن يأخذوك » . ثم قال : « قذفها بإرادتها أن تؤخذ مسبية ، فلذلك قال : تكحلى وتخضبى » .

(٢) أى يحملك الأعداء حين تسبين على القعود ، وهو الفصيل من الإبل . والحدج بالكسر : مركب من مراكب النساء . يقول : وأما أنا فأركب للقاء العدو فرسى المسمى بابن النعامة . وقيل : أراد بابن النعامة باطن القدم ، وقيل أراد الطريق . وأول الثلاثة أصحها .

(٣) « وضع » هى فى الأصل : « وقع » و « بريدها » هى فى ط ، س « بربدها » وفى ه : « برمدها » . وانظر ما أسلفت من التحقيق فى ٣٥١ . و « يرفعن » هى فى الأصل : « يدفعن » . والمشعشع : المتفرق فيه فرج . والمهلل : المتقوس . وانظر عجز البيت وشرحه فيما سبق ص ٣٥١ .

(٤) أى أبغضه ويبغضنى .

(٥) شالت نعامة القوم : تفرقت كلمتهم وذهب عزهم ، أو لم يبق منهم إلا بقية . والبيتان من قصيدة فى المفضليات ١٥٩ — ١٦٤ .

وقال أبو دُوادٍ الإيادىُّ فى ذكر الصَّيد ، وذَكر فرَسه :

وأخذنا به الضرار وقلنــا بحقــير بنــانه أضمار[1]

فأتانا يَسعَى تَفَرُّشَ أمِّ الـ ـبَيضِ شَدًّا وقد تَعَالَى النهارُ[2]

غير جعف[3] أوابدٍ ونعامٍ ونعــامٍ خِلالهــا أثوارُ

فى حوال العقارب[4] العمر فيها حين ينهضن[5] بالصباح عذارُ

ثم قال :

يتكشفن من صرائع ستٍّ قسِّمت بينهنَّ كأسٌ عُقَارُ

بينَ ربْدَاءَ كالمِظلَّةِ أفق وظلــيمٍ مع الظَّلــيم حمار[6]

ومهايين حربين ورِئال وسيــوب كأنّه أوْتَارُ[7]

---

(١) كذا جاء البيت محرفا فى الأصل . س : « الضرا » . هـ : « فلسنا » موضع « وقلنا » . س : « بخفر » موضع : « بحقير » .

(٢) أم البيض ، عنى بها النعامة . والتفرش : أن ترفرف بجناحيها . فى الأصل : « وأتى يبتغى تفرس » ، صوابه فى المعانى الكبير ٧٧٥ واللسان والمقاييس (فرش) .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) كذا فى ط . وفى س ، هـ : « فى حو القارب » ، محرفتان .

(٥) س ، هـ : « ينهض » .

(٦) ربداء : أى نعامة رمادية اللون . والمظلة : بالكسر والفتح ، الكبير من الأخبية ، وقد جاء مثل هذا فى قول ذى الرمة ص ٣١١ :

* شخت الجزارة مثل البيت سائره *

وسيأتى مثله لذى الرمة ص ٣٦٨ . ط : « كالمصلتة » س ، هـ : « كالمظلة » صوابه ما أثبت . والأفق ، بضمتين : الرائع ، يقال للذكر والأنثى ، وقد سكن الفاء للشعر .

(٧) كذا فى س ، هـ . وفى ط :

ومهاتين حرس ورئال وسيوف كأنها أوتار

والنصان محرفان . وفى المعانى الكبير ٧٧٦ قطعة من البيت فقط « كأنه أوثار » . بالثاء المثلثة. قال ابن قتيبة : « قيل هو الثوب الأبيض المحشو ، وقيل : البرذعة » .

(شعر فى تشبيه الناقة بالظليم)

ووصف علقمة بن عبدة ناقته ، وشبّهها بأشياء منها[1] ثمّ أطنب فى تشبيهه إيّاها بالظّليم :

تلاحِظ السَّوْطَ شزْراً وهى ضامزة ... كما توجَّس طاوِى الكَشح مَوْشُومُ[2]

كأنَّها خاضب زُعْرٌ قوائمُــه ... أجْنَى له باللِّوَى شَرْىٌ وَتَنُّومُ[3]

يظلُّ فى الحنْظلِ الخطبان ينقفُه ... وما استَطَفٌ من التَّنُّوم مَخْـذُوم[4]

فُوه كشَقِّ العصاَ لأْياً تَبَيَّنُهُ ... أسَكُّ مايسمَعُ الأصواتَ مَصْلُومُ[5]

يكادُ منسمه يَخْتَلُّ مُقْلتَهُ[6] ... كأنَّهُ حاذِرٌ للنَّخْس مَشْهومُ[7]

---

(١) كذا . وقد تكون هذه الكلمة زائدة ، وقد تكون أصيلة يتلوها كلام سقط .

(٢) نظر شزراً : أى بمؤخر عينه . ضامزة ، بالزاى : أى ساكتة خائفة . س ، ﻫ والديوان ١٣٠ : « ضامرة » وما أثبت من ط ، والمفضليات ٣٩٩ أجود . والتوجس : التسمع لصوت الخفى . س ، ﻫ : « تزجر » ، محرف عما أثبت من ط ، والديوان ، والمفضليات . والموشوم : الذى فى ذراعيه خطوط . وعنى به الثور الوحشى . س ، ﻫ : « مرشوم » ، محرف .

(٣) الخاضب : الظليم قد احمرت ساقاه . والزعر : القليلات الريش . ﻫ : « ذعر » . مصحفة . روى فى المفضليات : « قوادمه » . والشرى : الحنظل . والتنوم : نبت . وأجنى : أى أدرك وأمكن من جنيه . س ، ﻫ : « أحنى » صوابه فى ط : والديوان وعيون الأخبار (٢ : ٨٧) والمفضليات ٣٩٩ حيث القصيدة .

(٤) الخطبان : بالضم والكسر : جمع خطبانة بالضم ، وهى الصفراء فيها خطوط خضر . فى الأصل : « الخبطان » صوابه فى الديوان والمفضليات واللسان (طفف) . ينقفه : يشقه ليستخرج لبه . واستطف : أى بدا للآخذ . والمخذوم : المقطوع ﻫ : « محذوم » وأثبت مافى ط ، س والمفضليات . ورواية الديوان : « مخذوم » وهو المقطوع قطعاً وحياً .

(٥) لأيا تبينه ، أى لا تتبينه إلا بعد جهد ومشقة . ط : « لا يأتبينه » . س ، ﻫ : « لأيايبنيه » صوابه من الديوان والمفضليات . والأسك : الأصم . والمصلوم : الصغير الأذنين أو المقطوعهما .

(٦) المنسم ، كمجلس : طرف خف النعامة . يختل مقلته : ينفذ فيها وينتظمها .

(٧) المشهوم : الفزع . س ، ﻫ : « موسوم » س : « حازم النحيين » ﻫ : =

حتى تذكَّرَ بَيْضَاتٍ وَهَيَّجَــهُ يومُ رذَاذٍ ، عليه الرِّيحُ مَغْيُومُ[١]

فلا تَزيُّدُه فى مَشْيِــهِ نَفِقٌ[٢] ولا الزَّفيفُ دُوينَ الشَّدِّ مَسْئُومُ[٣]

يَأْوِى إلى حِسْكِلٍ زُعْرٍ حَواصِلُها[٤] كأنَّهنَّ إذا بَرَّكْنَ جُرثُومُ[٥]

وضَّاعةً كعِصِىِّ الشِّرْعِ جُؤْجُؤُهُ كأنَّهُ بتناهى الرَّوْضِ عُلْجُومُ[٦]

حَتَّى تَلاَفَى وقرنُ الشَّمْسِ مرتفعٌ أُدْحِىَّ عِرْسَيْنِ فيه البيضُ مَرْكُومُ[٧]

= « حارم التبختر » تحريف ما أثبت من ط والديوان والمفضليات .

(١) فى المفضليات : « عليه الدجن » . ﻫ : « معتوم » .

(٢) التزيد : الزيادة . والنفق ، كفرح : المنقطع . س : « لغوا » . س ، ﻫ : « ولا تزيد وفى مشيه » ، صوابه فى ط والمصدرين السابقين .

(٣) الزفيف : المشى السريع . دوين ، تصغير دون : أى أقل . فى الأصل . « مشؤوم » صوابه فى المصدرين السابقيــن . س ، ﻫ : « إلا الرفيف دون السك » ، محرف .

(٤) الحسكل ، كزبرج : الصغير من ولد النعام . س ، ﻫ : « درحق » صوابهما : « دردق » . فى الديوان : « حرق » .

(٥) الجرثوم : أصل الشجرة يجتمع إليــه التراب . س ، ﻫ : « إذا ركبن مرثوم » .

(٦) الوضاع : الذى يعلو وضعا . والوضع : علو سريع من علو الإبل . وقد زاد التاء للمبالغة ، كما جاءت فى علامة ونسابة . والشرع ، بالكسر : جمع شرعة ، وهى وتر القوس أو العود . والجؤجؤ : الصدر . والتناهى : جمع تنهية ، وهى الأماكن المطمئنة لها من جوانبها ما يمنع الماء أن يخرج منها . والروض : جمع روضة . والعلجوم : البعير الطويل المطلى بالقطران . ولعمرى لقد دار علقمة على رأسه ، فشبه ناقته بالظليم ثم عاد فشبه الظليم بالبعير ، وقد دفعه إلى ذلك إفراطه فى الاستطراد . س ، ﻫ : « وصاعد كقصى النرع » و « بتناهى الروس » صوابه ما أثبت من ط والمفضليات والديوان .

(٧) تلافى ، بالفاء : أى تدارك . س ، والديوان : « تلاقى » صوابه فى ط ، ﻫ والمفضليات واللسان (عرس) . والأدحى : موضع بيض النعامة . وأراد بالعرسين الذكر والأنثى . س : « أرحى عرينين » محرف . ومركوم : راكب بعضه بعضاً . ﻫ : « محجوم » ، « لا وجه له .

١١٩ يُومِي إليها بإنقاض وَنَقْنَقَةٍ كما تَرَاطَنُ فى أفْدانِهَا الرُّومُ(١)

صَعْلٌ ، كأنَّ جَنَاحَيْهِ وَجُؤْجُؤَهُ بيتٌ أطافَتْ به خَرْقَاءُ مَهْجُومُ(٢)

تَحُفُّهُ هِقْلَةٌ سَطْعاءُ خَاضِبَـةٌ تُجِيبُهُ بِزِمارٍ فيــه تَرْنِيمُ(٣)

(رؤيا النعامة)

الأصمعىّ ، قال : أخبرنى رجلٌ من أهل البَصرة قال : أرسلَ(٤) شيخ من ثقيفٍ ابنَه فلانا — ولم يحفظ اسمه — إلى ابن سِيرِينَ ، فكلمه بكلامٍ ، وأمُّ ابنِه هذا قاعدةٌ ، ولا يظنُّ أنّها تفطِنُ ، فقال له : يابنىَّ اذهبْ إلى ابن سِيرِينَ ، فقل له: رجلٌ رأى أنَّ له نعامةً تطحَن . قال : فقلت له ،

---

(١) يوى إليها : يشير . س ، ه : « يرحى » صواب هذه : « يوحى » كما فى الديوان والمفضليات . والإنقاض : صويت مثل النقر . والنقنقة : صوت كصوت الدجاجة للبيض . وتراطن الروم : تكلموا برطانتهم . ويصح أن يكون حذف من الفعل إحدى التاءين تخفيفاً ، فيكون أصله : تتراطن . والأفدان : جمع فدن ، بالتحريك ، وهو القصر المشيد . ه : « أفرايها » س : « أقرانها » ؛ صوابهما فى ط والديوان والمفضليات .

(٢) الصعل : الصغير الرأس . والجؤجؤ : الصدر . وخرقاء : أى ريح خرقاء لاتدوم على حال فى هبوبها . المخصص (٩ : ٨٧) . وفى الكامل ٤٤٩ : « والخرقاء : التى لا تحسن شيئاً ، فهى تفسد ماعرضت له » ، وفى اللسان : « وقال المازنى فى قوله : أطافت به خرقاء : امرأة غير صناع ، ولا لها رفق ، فإذا بنت بيتا انهدم سريعاً » . وتفسير ابن سيده أجود وأقرب . والمهجوم : المهدوم . وهو من صفة البيت الذى شبه به جناحى الظليم وجؤجؤه .

(٣) الهقلة : الفتية من النعام ، أو الطويلة الخرقاء . س ، ه : « يحفه مقلة » محرف . والسطعاء : الطويلة العنق . س ، ه : « صعقاء » محرفة . والزمار ، بالكسر : صوت أنثى النعام .

(٤) س ، ه : « أرسلنى » ، صوابه فى ط .

فقال : هذا رجلٌ اشترى جاريةً فَخَبَّأَهَا فى بنى حنيفة[١] . قال : فجئت أبى فأخبرتُه ، فنافرَتْهُ أمِّى ، وما زالت به حتى اعترف أنّ له جارية فى بنى حنيفة .

وما أعرفُ هذا التأويل . ولولا أنّه من حديث الأصمعى مشهورٌ ما ذكرته فى كتابى .

(مسيلمة الكذاب)

وأمَّا قول الشاعرِ الحنفىِّ فى مسيلِمة الكذاب ، فى احتياله وتمويهه وتشبيهِ ما يحتال به من أعلام الأنبياء ، بقوله :

ببيضة قارُورٍ وَرَايَةِ شَادنٍ وتوصيلِ مَقصوصٍ من الطير جادِفِ[٢]

قال : هذا شعرٌ أنشدَنَاه أبو الزَّرقاء سَهْمٌ الخثعمى ، هذا [منذُ[٣]] أكثَرَ من أربعينَ سنة . والبيتُ من قصيدةٍ قد كان أنشدنيها فلم أحفظْ منها إلاّ هذا البيت .

فذكر أنَّ مسيلمة طاف ، قبلَ التنبِّى ، فى الأسواق التى كانت بين دور العجم والعرَب ، يلتقُون فيها للتسوُّق والبِياعات[٤] ، كنحو سُوق الأُبُلَّة ، وسُوق بَقَّة[٥] ، وسوق الأنبار ، وسوق الحِيرة .

---

(١) أى فى حى بنى حنيفة .

(٢) الجادف من الطير : ما يطير وهو مقصوص ، كأنه يرد جناحيه إلى خلفه ، كما يفعل الملاح بمجدافيه . وفى الأصل : « جائف » ، ولا وجه له .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) فى اللسان : « تسوق القوم : باعوا واشتروا » . س ، هـ : « فيه » هـ : « لسوق » ، محرفتان عما فى ط . والبياعات : الأشياء التى يتبايع بها فى التجارة .

(٥) بقة : اسم موضع قرب الحيرة كان ينزله جذيمة الأبرش . وفيه المثل : « ببقة خلفت الرأى » . ط ، هـ : « لقة » س : « لفة » ، صوابه من معجم البلدان .

قال : وكان يلتمس تعلُّم الحِيَل والنِّيرَجَات[1] ، واختيارات النُّجوم والمتنبئين . وقد كان أحكَمَ حِيَل السَّدَنَةِ والحُوَّاء[2] وأصحابِ الزَّجْر والخطّ[3] ، ومذهبَ الكاهنِ والعَيَّاف[4] والسَّاحر ، وصاحبِ الجنّ الذى يزعم أنّ معه تَابِعَةً[5] .

قال : فخَرَجَ وقد أحكم من ذلك أموراً . فمن ذلك أنَّهُ صبّ على بيضَةٍ من خَلٍّ قاطع[6] — والبيض إذا أطيل إنقاعُه فى الخلّ لانَ قشرُه الأعلى ، حَتَّى إذا مددته استطال واستدقّ وامتدّ كما يمتدُّ العِلْكُ ، أو على قريب من ذلك — قال : فلمَّا تمّ له فيها ما حاوَل وأمّل ، طوّلها ثُمَّ أدخَلَها قارورةً ضيِّقةَ الرَّأسِ ، وتركها حتّى جفّت ويبِست . فلمّا جفّت

---

(١) كذا فى الأصل . قال صاحب القاموس : « والنيرنج ، بالكسر : أخذ كالسحر وليس به » ، وعقب عليه الشارح بقوله : « هكذا فى سائر النسخ ، والمنقول من نص كلام الليث : النيرج ، بإسقاط النون الثانية » . وجاء فى المعارف ١٧٨ : « وكان صاحب نيرنجات » فهما مذهبان فى التعريب . وهو بالفارسية : « نيرنگ » .

(٢) السدنة : جمع سادن ، وهو خادم الكعبة ، أو خادم بيت الصنم . س : « السدانة » صوابه فى ط ، هـ . والحواء : جمع حاو . انظر ما سبق فى تحقيق هذه الكلمة فى التنبيه الرابع من ص ٢٦٩ .

(٣) الخط : ضرب من ضروب الكهانة ، يأتى صاحب الحاجة إلى الحازى فيعطيه حلوانا ، فيقول : اقعد حتّى أخط لك . وبين يدى الحازى غلام له معه ميل له — أى قضيب — ثم يأتى إلى أرض رخوة ، فيخط الأستاذ خطوطاً كثيرة بالعجلة ، لئلا يلحقها العدد ، ثم يرجع فيمحو منها على مهل خطين خطين ، فإن بقى من الخطوط خطان فهما علامة قضاء الحاجة والنجح ، وإن بقى واحد كان ذلك أمارة الخيبة ، وبينما الحازى يمحو يقول الغلام للتفاؤل : ابنى عيان ! أسرعا البيان ! .

(٤) العياف ، من العيافة ، بالكسر : وهى زجر الطير ، والتفاؤل بأسمائها ، وأصواتها ومرها .

(٥) ط : « تابعة » ، أى جنية تتبعه .

(٦) خل قاطع : أى شديد الحموضة .

انضمّت ، وكلما انضمّت استدارتْ ، حتى عادت كهيئتها الأولى . فأخرجها إلى مُجّاعَة[1] ، وأهل بيته ، وهم أعراب ، وادّعى بها أعجوبةً ، وأنّها جُعلت له آية . فآمَنَ به فى ذلك المجلس مُجّاعَة[2] . وكان قد حمل معه ريشًا فى لون ريشِ أزواجِ حمامٍ ، وقدكان يَرَاهُنَّ فى منزل مُجّاعة مَقاصِيصَ . فالتفت ، بعد أن أراهم الآيةَ فى البيض إلى الحمام ، فقال لِمُجّاعَة : إلى كم تعذِّب خَلْقَ الله بالقصِّ ؟ ! ولو أراد الله للطَّير خلافَ الطَّيَرانِ لَمَا خَلَقَ لها أجنحةً ، وقد حَرّمْتُ عليكم قصّ أجنِحة الحمام ! فقال لَهُ مُجّاعة كالمتعنت : فَسَل الذى أعطاك فى البيضِ هذه الآيةَ أنْ يُنبِتَ لك جَناحَ هذا الطائر الذَّكَرِ السَّاعةَ !

١٢٠

فقلت لسهم : أمَا كان أجوَدَ من هذا وأشبَهَ أنْ يقول : فَسل الذى أدْخَلَ لك هذه البيضة فَمَ هذه القارُورة أنْ يخرجها كما أدخَلها . قال : فقال : كأنَّ[3] القَومَ كانُوا أعراباً ، ومثلُ هذا الامتحانِ من مُجّاعة كثير . ولَعَمْرِى إنَّ المتنبئَ لَيخدع[4] ألفاً مثلَ قيس بن زهير[5] ، قبل أن يَخْدَعَ

---

(١) هو مجاعة ، بضم الميم وتشديد الجيم ، ابن مرارة بن سلمى الحنفى اليمامى ، صحابى جليل ، كان من رؤساء بنى حنيفة، وأسلم ووفد . الإصابة ٧٧١٦ . وقد ذكره المرزبانى فى المعجم ٤٧٢ . وأثبت له الجاحظ بلاغة فى البيان (٤ : ٩٠) . وذكر المرزبانى أنه عاش إلى خلافة معاوية .

(٢) حدث هذا قبل أن يسلم مجاعة ، فلا تناقض . وكان مجاعة من أسره خالد بن الوليد يوم اليمامة ، فوجهه إلى أبى بكر الصديق ، فقال مجاعة من أبيات :

أترى خالداً يقتلنا اليو م بذنب الأصيفر الكذاب
لم ندع ملة النبى ولا نحـ ن رجعنا فيها على الأعقاب

(٣) ط ، هـ : « كان » ، وأثبت ما فى س .

(٤) ط : « يخدع » .

(٥) هو قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسى ، كان يلقب بقيس الرأى ؛ لجودة =

واحداً من آخرِ المتكلمين ، وإن كان ذلك المتكلم لا يشقُّ غبارَ قيس فيما قيسٌ بسبيله .

قال مسيلمة : فإنْ أنا سألتُ الله ذلك، فانتبهْ له حتى يطيرَ وأنتم ترونَهُ ، أتعلمون أنى رسول الله إليكم ؟ قالوا[1] : نعم . قال : فإنى أريد أنْ أناجىَ ربِّى ، وللمناجاة خَلوةٌ ، فانهضوا عنِّى ، وإن شئتم فأدخلونى هذا البيت وأدخِلوهُ مَعِى[2] ، حتى أخرجه إليكم السَّاعةَ وافِىَ الجناحَينِ يطير ، وأنتم ترونَهُ ولم يكن القوم سَمِعُوا[3] بتغريز[4] الحمام ، ولا كان عندهم باب الاحتياط فى أمْر المحتالين . وذلك أن عُبَيداً الكيِّس[5] ، فإنّه[6] المقدَّم فى هذه الصناعة ، لو منعوه السِّتر والاختفاء . لَمَا وصل إلى شىءٍ من عمله جلّ ولا دَقّ ؛ ولكان واحداً[7] من النَّاس . فلما خلا بالطائر أخرج الريش الذى قد هيَّأه ، فأدخل طرَفَ كلِّ ريشةٍ مِمَّا[8] كانَ معه ، فى جَوف ريش الحمام المقصوص ، من عند المقطع والقَصِّ . وقَصَبُ[9]

= رأيه . وهو صاحب داحس التى راهن عليها حذيفة بن بدر صاحب الغبراء ، فلما سبق قيس تنازعا وشبت نار حرب داحس والغبراء فى الجاهلية .

(١) فى الأصل : « قال » ، والوجه ما كتبت .

(٢) ط : « فأدخلوه هذا البيت وأدخلونى معه » ، وأثبت ما فى س ، هـ . ومؤداهما واحد .

(٣) ط : « يسمعوا » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٤) تغريز الحمام : أى تغريز الريش فى جناحه . وأصله من تغريز النخل ، أى نقله من موضع إلى موضع . وهذا يقابل ما يعرف فى اصطلاح زراع مصر بالشتل ، بفتح الشين . ط : « بتغرير » هـ : « بتعزيز » ، وأثبت الصواب من س .

(٥) كذا فى الأصل . وفى أنساب ابن الكلبى من اسمه عبيد بن مالك بن شراحيل بن المكيس . انظر تاج العروس (كيس) .

(٦) ط : « فأنه » س : « فاته » ، وصوابه فى هـ .

(٧) ط : « واجدا » .

(٨) ط : « كما » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٩) قصب الريش : أنابيبه . فى الأصل : « قضيب » محرفة .

الرِّيش أجوَفُ ، وأكثَرُ الأصــولِ حِدَادٌ وصلاب . فلما وفّى الطّائرَ ريشَهُ صارَ فى العين كأنَّهُ بِرْذَوْنٌ موصولُ الذّنب ، لا يعرف ذلك إلاَّ من ارتاب به . والحمام بنفسه قد كان له أصولُ ريشٍ ، فلما غُرِّزَتْ تمت[١] فلما أرسله من يده طار . وينبغى ألاَّ يكونَ فَعَلَ ذلك بطائرٍ قد كانوا قطوه[٢] بعد أن ثبت عندهم . فلما فعل ذلك ازداد مَنْ كان آمَنَ به بصيرةً وآمَنَ به آخرون لم يكونوا آمنوا به ، ونزع منهم فى أمْره[٣] كلٌّ من كان مستبصِرًا فى تكذيبه .

قال : ثمَّ إنَهُ قال لهم — وذلك فى مِثْل ليلةٍ مُنكَرَةِ الرِّيَاحِ مُظلمةٍ فى بعض زمان البوارح [٤] — إنَّ الملَك عَلَى أن ينزل إلىّ[٥] ، والملائكة تطير ، وهى ذوات أجنحة ، ولمجىء الملَكِ زَجَلٌ وخشخشة[٦] وقعقعة ، فمن كان منكمْ ظاهرًا فَلْيَدْخُلْ منزلَه ؛ فإنْ من تأمّل اختُطِفَ بصرُه ! ثم صــنَعَ رايةً من رايات الصِّبيان التى تعمل من الورق الصِّينىّ[٧] .

---

(١) انظر التنبيه (٤) من الصفحة السابقة .

(٢) كذا فى الأصل ، بالطاء . وقد تكون : « قصوه » .

(٣) أى صار فى مذهبه ، وصار فى نصرته .

(٤) البوارح : الرياح الشدائد التى تحمل التراب ، وخصها بعضهم بما كان منها فى القيظ .

(٥) أى على وشك أن ينزل على .

(٦) الخشخشة : صوت كصوت السلاح . ھ : « حشحشة » بمهملتين ، وليس لها وجه .

(٨) من خواص الورق الصينى النعومة والحسن والرفق والرقة . انظر ثمار القلوب ٤٣١ . قال : « وذكر صاحب المسالك والممالك أنه وقع من الصين إلى سمرقند فى سبى سباه زياد بن صالح فى وقعه أطلخ — سنة ١٣٤ — من يصنع الكواغيد ثم كثرت الصنعة ، واستمرت العادة ، حتى صارت متجرا لأهل سمرقند » . وجاء فى فهرست ابن النديم ٢١ ليبسك ٣١ مصر : « الورق الصينى ويعمل من الحشيش » .

١٢١ ومن الكَاغَدِ[1] ، ويُجْعَلُ لها الأذنابُ والأجنحة ، وتعلَّق فى صدورها الجلاجل[2] ، وترسَل يوم الرِّيح بالخيوط الطِّوال الصِّلاب .

قال : فبات القومُ يتوقَّعون نزولَ المَلَك ، ويلاحظون السَّماء ، وأبطأ عنهم حتَّى قام جلُّ أهلِ اليمامة ؛ وأطْنَبت[3] الرِّيح وقويت ، فأرسلها ، وهم لا يَرَوْنَ الخيوطَ ، واللَّيلُ لا يُبِينُ عن صورة الرَّقِّ[4] ، وعن دقَّة الكاغد . وقد توهَّموا قبل ذلك الملائكة . فلمَّا سَمِعُوا ذلك ورأوه تصارَخُوا وصاح : من صَرَفَ بصَره ودخلَ بيتَه فهو آمن ! فأصبح القومُ وقد أطبَقُوا على نصرتِه والدَّفعِ عنه . فهو قوله :

بِبَيْضَــةِ قَارُورٍ وَرَايَةِ شَــادنٍ ... وتوصيلِ مَقْصوصٍ من الطيرِ جادِفِ[5]

فقلت لسهمٍ[6] : يكون مثلُ هذا الأمْرِ العجيب، فَلاَ يقولُ فيه شَاعرٌ، ولا يَشيعُ به خبر؟! قال : [أ[7]] وَكلما كان فى الأرض عجبٌ ، أو شىء

(١) الكاغد ، بفتح الغين، كلمة فارسية أصلها صينى ، بمعنى القرطاس الذى يكتب فيه. والكاغذ لغة فيه . والقرطاس أيضاً معربة من اليونانى : χάρτης وتنطق : « خَارْطِيس » . انظر الألفاظ الفارسية لأدى شير ١٣٦ .

(٢) الجلاجل : جمع جلجل ، بجيمين ، وهو الجرس الصغير . س : « الخلاخل » ، محرفة .

(٣) أطنبت الريح إطنابا : اشتدت فى غبار . اللسان والقاموس . والكلمة محرفة فى الأصل فهى فى ط : « طلبت » ، وفى س ، ه : « طابت » . أما الأولى فظاهرة التحريف ، وأما الثانية فإن معناها يناقض ما بعدها ، وهو « وقويت » إذ أن الريح الطيبة هى اللينة غير الشديدة .

(٤) الرق ، بالفتح ، ويكسر : الصحيفة البيضاء .

(٥) فى الأصل : « جائف » . وانظر شرح هذه الكلمة وتحقيقها فى ص ٣٦٨ حيث أنشد هذا البيت .

(٦) س : « لهم » محرفة . وسيترجم الجاحظ « سهما » فى ص ٣٧٩ .

(٧) ليست بالأصل .

غريبٌ ، فقد وجَبَ أن يشيع ذكرُه ، ويقالَ فيه الشِّعرُ ، ويجعلَ زمانُهُ تاريخاً ! أَلَسْنَا معشَرَ العربِ نزعُمُ أنَّ كسرى أبرويز ، وهو من أحرار فارسَ ، من الملوكِ الأعاظم ، وسليلُ ملوكٍ ، وأبو مُلوك ، مع حَزْمه ورأيه وكماله ، خطبَ إلى النُّعمان بن المنذر ، وإلى رجلٍ يرضى أن تكونَ امرأتُهُ ظِئرا لبعض ولدِ كسرى ، وهو عامله ، ويسمِّيه كسرى عبداً ، وهو مع ذلك أُحَيْمِرُ أُقَيْشِرُ ، إمَّا من أشلاء قصيّ بن معد ، وإما من عُرْض لخم . وهو الذى قالوا : تزَوَّجَ موسةً — وهى الفاجِرةُ ؛ ولا يقال لها موسةٌ إلاَّ وهى بذلك مشهورة — وعَرَفها بذلك ، وأقام عليها ، وهُجِىَ بها ولم يَحفِلْ بهجائهم . وممَّا زاد فى شهرتها قصّة المرقش [1] . وناكها قُرَّة بن هُبيرة [2] حين سباها . فعلم بذلك وأقامَ عليها ، ثمّ لم يرضَ حتَّى قال لها : هل مَسَّكِ ؟ قالت : وأنت والله لو قَدَر عليك لَمَسَّك ! فلم يَرْضَ بها حتَّى قال لها : صِفيهِ لى . فوصَفَتْهُ حَتَّى قالتْ : كأنَّ شعر خَدَّيْهِ حَلَقُ الدِّرْع ! وبال على رأسه خلف بن نوالةَ الكنانى عامَ حَجّ ، وَنَصَّرَه عدىُّ بنُ

---

(١) هو المرقش الأصغر ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك ، أو عمرو ابن حنظلة بن سعد بن مالك، وهو ابن أخى المرقش الأكبر . واسمه عمرو — أو عوف — ابن سعد بن مالك . والمرقش الأصغر أشعر المرقشين وأطولها عمراً . والمعروف أنه عشق فاطمة بنت المنذر ، أخت النعمان لا زوجه . وقصتهما فى الأغانى (٥ : ١٨٣ — ١٨٤) . وفيها يقول — من قصيدة مفضلية مطلعها (انظر المفضليات ٢٤٤) — :

ألا يا اسلمى لا صرم لى اليوم فاطما ولا أبداً ما دام وصلك دائما

(٢) قرة بن هبيرة ، أحد بنى قشير ، وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأسلم . الإصابة ٧٠١٠ .

زيد بأحمق سبب[1] . وخطب أخوه المنذر إلى عبيدة بن همام ، فردّه أقبح الردّ ، وقال[2] :

أتوني ولم أرضَ ما بيّتوا[3] وقد طرقوني بأمرٍ نُكُرْ

لأنكح أيِّمَهُمْ منذراً وهل ينكح العبدَ حُرٌّ لحُرّ[4]

ثمّ مع ذلك خطب إليه كسرى بعضَ بناته فرغب بها عنه ، حتّى كان ذلك سببَ هربه وعلّةَ لقتله — فهل رأيت شاعرًا في ذلك الزّمان

١٢٢ مع كثرة الشعراء فيه ، ومع افتخارهم بالذى[5] كان منهم في يوم جَلُولَى[6] ويومِ ذى قارٍ ، وفى وقائع المثنّى بن حارثة ، وسعد بن أبي وقّاص — فهل سمعتَ في ذلك بشعرٍ صحيحٍ طَريف[7] المخرج ، كما سمعته في جميع مفاخرهم ممّا لا يدانى هذا المفخَر[8] ؟ !

---

(١) نصره تنصيراً : أدخله في النصرانية . وانظر خبر تنصير عدى بن زيد للنعمان بن المنذر في الأغانى (٢ : ٣٢ — ٣٣) .

(٢) البيتان بدون نسبة في الكامل ٤٤٦ ليبسك . ونسبا في اللسان (نكر) إلى الأسود ابن يعفر .

(٣) ما بيتوا : أي مادبروه وفكروا فيه ليلا . هـ : « بينوا » ، محرفة .

(٤) جعل أخا المنذر عبداً ، فقال : وهل يزوج الحر عبداً مثل أخى المنذر لحر مثل المرأة التي خطبها . في الأصل : « حرا بحر » ، وصوابه من الكامل .

(٥) س ، هـ : « في الذى » .

(٦) المعروف : « جلولاء » بالمد ، لكنها قد قصرت في الشعر ، فنه قول القعقاع ابن عمرو :

ونحن قتلنا في جلولا أثابرا ومهران إذ عزت عليه المذاهب

ويوم جلولاء الوقيعة أفنيت بنو فارس لما حوتها الكتائب

قال ياقوت : « فقصرها مرة ومدها أخرى » . وهى طسوج من طساسيج السواد . وبها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦ وقتلوا منهم مائة ألف فيما يروون .

(٧) س ، هـ : « ظريف » بالمعجمة .

(٨) ط ، س : « المفتخر » .

ولقد خَطَبَ بَعْضُ إخْوَتِهِ[1] إلى رجالٍ من نِزار ، من غير أهل البيوتات ، فرغبوا عنهم .

وأمّ النعمان سَلْمَى بنت الصَّائغ[2] : يهوديّ من أنباط الشام ، ثمّ كان نَجْلُهُ[3] لفِعلٍ غيرِ محمود .

وقد قال جَبَلَةُ بن الأيْهم[4] ، لحسَّان بن ثابت : قد دَخَلْتَ عليَّ ورأيتَنِى ، فأينَ أنا من النّعمان ؟ قال : واللهِ[5] . . . .

[فالنّعمان[6]] مع هذه المثالب كلِّها قد رَغِبَ بنفسه[7] عن مصاهرة كِسْرَى ، وهو من أنْبَهِ الكسور[8] . وكما[9] كان أبْرَوِيزُ أعْظَمَ خَطَرًا ،

---

(١) ط ، هـ : « إخوانه » . ولم يفصل صاحبا القاموس والمصباح بين الاثنين ، لكن جاء فى اللسان : « وأكثر ما يستعمل الإخوان فى الأصدقاء ، والإخوة فى الولادة » .

(٢) اسمه عطية ، كما فى الأغانى (٩ : ١٥٨) . وفى البيان (٣ : ٢٤٦) : « سلمى بنت عقاب » .

(٣) نجله ، أى ولادته . ط ، هـ : « بخله » ، صوابه فى س .

(٤) هو جبلة بن الأيهم الغسانى ، آخر ملوك الغساسنة بالشام . أسلم ثم تنصر فى أيام عمر بن الخطاب . وحديثه مع حسان معروف . الأغانى (١٤ : ٢) والعمدة (٢ : ١٧٨) والخزانة (٤ : ٢٩٧ — ٣٠٣ سلفية) . وفى الأصل : « خلف » محرف عما أثبت .

(٥) فى الكلام نقص ، تقديره كما فى الأغانى (١٤ : ٣) : « ... لقفاك خير من وجهه ، ولشمالك خير من يمينه ، ولأخمصك خير من رأسه ، ولخطؤك خير من صوابه ، ولصمتك خير من كلامه ، ولأمك خير من أبيه ، ولخدمك خير من قومه » . كما أن صاحب الحديث (فى الأغانى) هو عمرو بن الحارث الأعرج ، لا جبلة .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) س : « قد ترغب بنفسه » .

(٨) الكسور : جمع كسرى : اسم لملك الفرس ، معرب « خُسْرَوْ » أى واسع الملك . ويجمع كسرى أيضاً على أكاسرة ، وكساسرة ، وأكاسر ، انظر القاموس . وجاء فى س فقط : « الأكاسرة » . وكسرى الذى يعنيه الجاحظ ، هو كسرى أبرويز . وانظر (٧ : ١١٢) .

(٩) فى الأصل : « وكلما » .

كانَتْ أَنَفَتُهُ[١] أَفْخَرَ للعَرَبِ ، وأدلَّ على مايدَّعون من العلوِّ فى النسب وكان الأمر مشهوداً ظاهراً ، ومُرَدَّدًا[٢] على الأسماع مستفيضا . فإذْ قد تَهيَّأ أن يكون مثلُ هذا الأمر الجليل ، والمفْخِر العظيم ، والعربُ أَفْخَرُ الأمم ، ومع ذلك قد أغفلوه — فشَأنُ مسيلمةَ أحقُّ بأن يجوزَ ذلك عليه .

وأنشدنى يوسفُ لبعضِ شعراءِ بنى حَنِيفة ، وكان[٣] يُسَمَّى مُسَيْلِمَةَ وَيُكْنَى أبا ثُمامة :

لهفى عَلَيْكَ أبا ثُمامَهْ لهفى على رُكْنَىْ شمامَهْ[٤]

كم آيةٍ لأبيهِمُ[٥] كالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ غَمَامَهْ

وقد كتبنا قِصَّتَهُ وَقِصَّةَ ابن النَّوَّاحَةِ (فى كتابنا الذى ذكرنا فيه فَصْلَ ما بين النبىِّ والمتنبى) وَذَكَرْنَا جميعَ المتنبئين ، وشأنَ كلِّ واحدٍ منهم على حِدَتِهِ ، وبأىِّ ضربٍ كان يَحتالُ ، وَذَكَرْنَا جملةَ احتيالاتِهِمْ ، والأبوابَ التى تدور عليها مَخاريقهم[٦] . فإنْ أردتَ أنْ تعرفَ هذا البابَ فاطلبْ هذا الكتاب ؛ فإنهُ موجود .

---

(١) أى أنفة النعمان من مصاهرة كسرى . ط ، هـ : « ألفته » ، س : « الفتنة » . والأوضح ما أثبت .

(٢) فى الأصل : « وموروداً » . ولا تتجه .

(٣) أى كان مسيلمة .

(٤) فى المعارف ١٧٨ : « على ركنى شهامة » .

(٥) كذا . ورواية المعارف : « كم آية لك فيهم » .

(٦) المخاريق : يراد بها تلك الألاعيب التى يلجأ إليهم المشعوذون . واحدها مخراق . قال التبريزى فى شرح المعلقات ٢٢١ : « قيل المخاريق : ما مثل بالشىء وليس به نحو ما يلعب به الصبيان » . وانظر التنبيه والإشراف ٢٤٠ س ١٩ والحيوان (١ : ١٠) .

(هجاء النعمان)

وقد هجا عبدُ القيس بنُ خُفَافٍ البُرْجُمِيُّ[1] ، النُّعْمَانَ بن المنذر ، في الجاهليَّةِ ، وذكر ولادة الصائغِ[2] [له] فقال :

لَعنَ اللهُ ثمَّ ثنَّى بِلَعنٍ ابنَ ذا الصَّائغِ الظلومَ الجهولا[3]

يجمعُ الجيشَ ذا الألوفِ ويغزُو ثمَّ لا يرزأُ العدُوَّ فتيلا[4]

(سَهْمٌ الحنفى)

وكان سَهْمٌ الحنفيُّ يلي طَبَرِسْتان[5] ، لمعن بن زائِدة[6] ، مع حداثة سنه يومئذ ، وكان له مروءةٌ وَقَدْرٌ في نفسه .

(١) عبد القيس بن خفاف البرجمي ، نسبة إلى البراجم : قبيلة من تميم . شاعر جاهلي ، وله خبران مع حاتم الطائي والنابغة الذبياني . والخبر الأول في الأغاني (٧ : ١٤٥ — ١٤٦) ومعجم المرزباني ٣٢٥ . وأما خبره مع النابغة فهو أنه هو ومرة بن سعد بن قريع عملا هجاء في النعمان على لسان النابغة — وهما البيتان الآتيان مع ثالث متوسط بينهما — فأفسد ذلك على النابغة أمره عند النعمان . الأغاني (٩ : ١٥٨) . وقد ذكره المرزباني باسم (قيس) حيث ذكره في من اسمه قيس . والمعروف عبد القيس كما في الأغاني ونوادر أبي زيد ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٦ والمفضليات ٣٨٣ والحماسة (١ : ١١٣) . وفي الأصل : « عبد القيس خفاف » ، بإسقاط « بن » ، وصوابه ما أثبت . ويقال فيه أيضاً : « عبد قيس » .

(٢) ط : « والده الصائغ » ، س : « ولادة الصائغ » ، صوابهما في هـ .

(٣) روى ابن قتيبة في الشعراء ١١٢ ، ١١٧ « قبح الله » . وروى هو وصاحب الأغاني (٩ : ١٥٨) : « وارث الصائغ الجبان الجهولا » .

(٤) يرزؤه : ينقصه . ط : « يرزه » س : هـ « يرز » ، صوابهما ما أثبت من الأغاني . والفتيل : الهنة التي في شق النواة . هـ ، س : « قليلا » . والأجود ما أثبت من ط والأغاني .

(٥) طبرستان بفتح الطاء والباء وراء مكسورة : بلاد جنوبي بحر طبرستان ، المعروف أيضاً ببحر الخزر . انظر خريطة الممالك الإسلامية .

(٦) معن بن زائدة الشيباني ، أحد أجواد العرب وفرسانهم . وكان في أيام بني أمية =

(كثرة الشعر وقلته في بعض قبائل العرب)

وبنو حنيفة مع كثرة عددهم ، وشِدّةِ بأسهم ، وكثرة وقائعهم ، وَحَسَدِ العربِ لهم على دارهم وتُخومهم وَسْطَ أعدائهم ، حتى كأنهم وَحْدَهُمْ[1] يعدِلون بَكْراً كلها — ومع ذلك لم نَرَ قبيلةً قطُّ أقلَّ شعراً منهم . وفى إخوتهم عِجْلٍ قَصِيدٌ وَرَجَزٌ ، وَشعَرَاء ورَجّازون . وليس ذلك لمكانِ[2] الخِصْب وأنّهم أهلُ مَدَر ، وأكّالو تمرٍ[3] ؛ لأنّ الأوْسَ والخزْرَج كذلك ، وهم فى الشعر كما قد علمت . وكذلك عبدُ القيس النّازلة قرى البحْرين[4] ، فقد تعرفُ أنّ طعامَهم أطيبُ[5] من طعام أهل اليمامة . ١٢٣

وثقيفٌ أهلُ دارٍ ناهيك بها خِصْباً وطِيباً ، وهم وإن كان شعرُهم أقلَّ ، فإنّ ذلك القليلَ يدلُّ على طبْعٍ فى الشعر عجيب . وليس ذلك مِن

= متنقلا فى الولايات، ومنقطعاً إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى ، أمير العراقين ، فلما انتقلت الدولة إلى بنى العباس ، وجرى بين أبى جعفر المنصور وبين يزيد ابن عمر ما جرى ، من محاصرة واسط ، أبلى معن مع يزيد بلاء حسنا . فلما قتل يزيد هرب معن خوفا من المنصور ، ثم دخل معن فى شيعة المنصور وصار من خواصه . وقتل معن بسجستان ، إذ كان واليا عليها ، سنة اثنتين ، أو ثمان وخمسين ومائة . ورثاه مروان بن أبى حفصه بمرثية ، هى من عيون الشعر العربى . وفيات الأعيان والأغانى وتاريخ بغداد ٧١٢٧ .

(١) ط : « وأحدهم »، صوابه فى س ، هـ .

(٢) ط : « المكان »، صوابه فى س ، هـ

(٣) أكالو تمر : أى لهم نخيل يأكلون تمرها . ط : « آكالو تمر » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٤) البحرين ، تلك البلاد الواقعة على بحر فارس . ط : « البحر » ، والوجه ما أثبت من س ، هـ .

(٥) فى الأصل : « أخبث » . وهو عكس المراد .

قِبَلِ رداءة الغِذاء ، ولا من قِلّة الخِصب الشّاغل والغِنَى(١) عن النّاس ؛ وإنّما ذلك عن قدْر ما قَسَمَ الله لهم من الحظوظ والغرائزِ ، والبلادِ والأعراقِ مكانَها .

وبنو الحارث بن كعب قبيلٌ شريفٌ ، يجرون مَجارِيَ ملوك اليمن ، ومجارِيَ ساداتِ أعراب أهْلِ نَجْدٍ ، ولم يكن لهم فى الجاهليَّة كبيرُ حَظٍّ فى الشعر . ولهم فى الإسلام شعراءُ مفْلِقُونَ .

وبنو بَدْرٍ كانوا مفْحَمِين(٢) ، وكان ما أطلق الله به ألسنةَ العرب(٣) خيرا لهم من تصيير الشعر فى أنفسهم .

وقد يَحْظى(٤) بالشعر نَاسٌ ويخرُج(٥) آخَرون ، وإن كانوا(٦) مثلهم أو فوقهم . ولم تُمْدَح(٧) قبيلةٌ فى الجاهليَّة ، من قُريش ، كما مُدحت

---

(١) فى الأصل : « والغنا » .

(٢) فى القاموس : « المفحم كمكرم : العيى ومن لا يقدر يقول شعراً » ، كذا جاءت العبارة .

(٣) أى ماأطلق به ألسنة الشعراء فى مديحهم ، فن ذلك قول حاتم الطائى (الأغانى ١٦ : ١٠٤ والديوان ١١٦) :

إن كنت كارهة معيشتنا هاتا فحلى فى بنى بدر
جاورتهم زمن الفساد فنعـ م الحى فى العوصاء واليسر
فسقيت بالماء النمير ولم ينظر إلى بأعين خزر
الضاربين لدى أعنتهم والطاعنين وخيلهم تجرى
والخالطين نحيتهم بنضارهم وذوى الغنى منهم بذى الفقر

وانظر مديح دريد بن الصمة لهم فى ٣٥٨ .

(٤) ط ، هـ : « ويحظاه » ، س : « يخطأه » ، صوابهما ما أثبت .

(٥) كذا فى س ، ط ؛ وفى هـ : « يحرح » ، وربما كانت : « يحد » أى يسوء حظه .

(٦) س ، هـ : « كان » ، صوابه فى ط .

(٧) س ، هـ : « يمدح » .

مخزوم . ولم يتهيَّأ من الشَّاهد والمثل لمادح فى أحدٍ من العرب ، ما تهيَّأ لبنى بدر .

وقد كان فى ولد زُرارة[١] لصُلبــه ، شعر كثير ، كشعر لقيط[٢] وحاجبٍ[٣] وغيرهما من ولده . ولم يكن لحذَيفة ولا حِصْن ، ولا عيينَةَ ابنِ حِصن ، ولا لحَمَل بنِ بدْر — شِعْرٌ مذكور .

(حظوة الخلفاء والولاة بالشعر)

وقد كان عبدُ العزيز بن مَرْوَانَ أَحْظَى[٤] فى الشعر من كثير من خلفائهم . ولم يكنْ أحَــدٌ من أصحابنا ، من خُلفائنا وأئمتنـــا ، أحْظَى

---

(١) هو زرارة بن عدس ، بضمتين ، ابن زيد . جد جاهلى . بنوه بطن من بنى دارم . وكان حكيما من قضاة تميم .

(٢) لقيط بن زرارة ، شاعر فارس من فرسانهم ، وله خبر فى يوم رحرحان ، وكان من الرؤساء فى يوم جبلة ، وقتل فى ذلك اليوم وجعل يقول عند موته :

يا ليت شعرى عنك دختنوس ... إذا أتاك الخــبر المرموس
أتحلق القرون أم تميس ... لا بل تميس إنها عروس

دختنوس : بنته . وكان جبلة قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة . الأغانى (١٠ : ١٩ - ٤٤) . ط : « شعراء كلقيط » ، س : « شعرا كثيراً كشعر لقيط » هـ : « شعراً كثيراً لقيط » ، وقد وجهت القول بما ترى .

(٣) وكان حاجب بن زرارة من رؤســاء يوم جبلة . وقد عاش إلى أن وفد على الرسول وأسلم وبعثه على صدقات بنى تميم . وهو الذى رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم ووفى به . الإصابة ١٣٥٥ . وانظر قصة (قوس حاجب) فى بلوغ الأرب (١ : ١٢٥) فهى ممتعة . وممن رهن من العرب قوسه أيضاً ، سيار ابن عمرو بن جابر الفزارى ، احتمل للأسود بن المنــذر دية ابنه الذى قتله الحارث بن ظالم ، ألف بعير ، وهى دية الملوك ، ورهنه بها قوسه . انظر العقد (٣ : ٣١١ - ٣١٢) .

(٤) إشارة إلى المدائح الكثيرة الجيدة التى مدحه بها نصيب الشاعر ، وكذا عبد الله بن قيس الرقيات . ط ، س «وأخطأ» ، هـ : «وأحظاه» ، صوابهما ما أثبت من العمدة (٢ : ١٤٨) حيث نقل عن الجاحظ نقلا كاملا .

فى الشعر من الرَّشيد[١] . وقد كان يزيد بن مَزْيَد[٢] وعمه[٣] ، ممَّن أحْظَاهُ[٤] الشِّعْرُ .

وما أعلمُ فى الأرض نعمة بَعْدَ وِلاَيَةِ اللهِ أعْظَمَ من أنْ يكونَ الرَّجُلُ ممدوحاً .

الصُّمُّ من الحيوان

تقول العرب : ضربانِ من الحيوانِ لا يَسمعان الأصوات . وذلك عامٌّ فى الأفاعى والنَّعام .

واعتدّ من ادّعى للنَّعام الصَّمَمَ بقول عَلْقَمة :

فُوهُ كَشَقِّ العَصاَ لأْياً تَبَيَّنُهُ   أسَكُّ مايَسْمَعُ الأصْوَاتَ مَصْلومُ[٥]

---

(١) وأما هارون الرشيد فقد أطنب فى مدحه أبو العتاهية ، وإبراهيم الموصلى ، وإسحاق الموصلى ، ومروان بن أبى حفصة ، والعتابى ، وابن مناذر ، وأشجع السلمى ، ومنصور النمرى ، ونصيب الأصغر وغيرهم . ط ، س : « أخطأ » هـ : « أحظا » . والوجه فيهما ما كتبت .

(٢) يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى : أمير شجاع ، ندبه هارون الرشيد لقتال الوليد ابن طريف الشارى الخارجى ، فقتله وعاد إلى أرمينية ، حيث كان والياً عليها . توفى سنة ١٨٥ .

(٣) عمه ، هو معن بن زائدة الشيبانى ، الذى سبقت ترجمته فى ص ٣٧٩ — ٣٨٠ .

(٤) حظى يزيد بن مزيد بمديح مسلم بن الوليد ومنصور النمرى . ورثاه أبو موسى التيمى بمرثية سمعها الرشيد فبكى بكاء اتسع فيه ، حتى لو كانت بين يديه سكرجة لملأها من دموعه . الأغانى (١٨ : ١١٦ — ١١٧) . وأما عمه فقد حظى بمديح مروان بن أبى حفصة ، ومطيع بن إياس ، وعلى بن خليل ، والحسين ابن مطير ، وغيرهم . فى الأصل : « أخطأه » ، صوابه ما أثبت . وأحظاه : جعله ذا حظوة .

(٥) تقدم شرح هذا البيت فى ص ٣٦٦ . هـ : « يبينه » . س : « أسد » هـ : « أشد » كل منهما يدل « أسك » محرف .

قال[١] : ولا يصلح أن تكون « ما » فى الموضع الذى ذَكَر[٢]
لأنَّ ذلك يصير كقول القائل : التمر حلو ، والثَّلج بارد ، والنّـار حارَّة .
[و[٣]] لا يحتاج إلى أن يُخبر أنَّ الذى يُسْمَعُ هـذا الصَّـوتُ ؛ لأنهُ
لا مسموعَ إلاَّ الصَّـوت .

قال خصمه : فقد قال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَة

حَتَّى تلافَى وقرنُ الشَّمْسِ مرتفعٌ ... أدحىَّ عِرْسَيْنِ فيه البَيضُ مَرْكومُ[٤]
يوحِى إليها بإنقاض وَنقْنَقَةٍ ... كما تَرَاطَنُ فى أفدانها الرُّومُ[٥]

١٢٤ ثم قال :

تحفُّهُ هِقْلةٌ سـفعاء خاذلة ... تجيبهُ بزِمارٍ فيـه تَرنيمُ[٦]

واحتجَّ من زعم أنها تسمع ، بقوله[٧] :

وصحْمٍ صِيَامٍ بين صَمْدٍ ورِجْلَةٍ ... وَبَيْضٍ تُوَّامٍ بينَ مِيثٍ وَمِذْنبِ[٨]

---

(١) القائل هو الجاحظ ، ينقد البيت .
(٢) س : « فى موضع الذى » ، مع حذف كلمة « ذكر » . ط : « فى الموضع لذى ذكر » ، صوابهما ما أثبت من ه .
(٣) ليست بالأصل .
(٤) سبق شرح هـذا البيت فى ص ٣٦٧ . س : « أرخى » ه : « أرحى » محرفتان .
(٥) سبق شرحه فى ص ٣٦٨ . س : « فى أندائها » . وهى صحيحة ؛ فالأنداء : جمع النادى ، وهو مجتمع القوم . انظر اللسان . ه : « أبدانهـا» ، محرفة عن سابقتها .
(٦) سبق شرحه فى ص ٣٦٨ . والسفعاء : السـوداء . ه : « صفعاء » س : « صنعا » ، محرفتان عما فى ط . وخاذلة : مقيمة على ولدها .
(٧) هو لبيد . اللسان (صحم) .
(٨) الصحم : جمع أصحم ، وهو مافى لونه غبرة . وقد عنى بها الحمير ، كما فى اللسان . ط ، ه : « ضخم » س : « صخم » محرفتان . والصيام : جمع صيّم ، بالفتح ، وهو الغليظ الشديد ، وفى الأصل : « صنام » بالنون . وفى اللسان : =

مَتى مَا تَشَأْ تَسْمَـعْ عرارًا بِقَفْرَةٍ   يُجِيبُ زِمَارًا كاليَرَاعِ المُثَقَّبِ[1]

وقال الطِّرِمَّاح :

يدعو العِرارُ بهـا الزِّمَارَ كأنَّهُ   أَلِـمٌ تجاوبُه النِّساءُ العُـوَّدُ[2]

قال : وصَـوْتُ النعامة الذَّكر : العِرارُ[3] . وصوت الأنثى : الزِّمَار .

وأنشدَ الذى زَعَمَ أنَّهَا لا تسمع[4] ، قولَ أسامـــةَ بنِ الحارث الهذَلىِّ[5] :

تذَكَّرْتُ إخْوانى فَبِتُّ مُسَهَّـداً   كما ذكرت بَوًّا من اللَّيل فاقِدُ[6]

= « صيام » . وأثبت تصحيح ما فى الأصل . و « صمد » بالفتح : و « رجلة » بالكسر : موضعان . وفى الأصل : « بين خمر ورجله » تصحيحه من اللسان .

وبيض تؤام : أى أزواج . والميث ، بالكسر : جمع ميثاء ، وهى الأرض السهلة . والمذنب ، كمنبر : مسيل الماء .

(١) العرار ، بالكسر : صياح الظليم . وفى الأصل : « عوارا » محرفة . والزمار ، بالكسر : صوت أنثى النعام . فى الأصل : « تجيب زمارا » ، صوابه ما أثبت . وسيعاد البيت فى ص ٤٠٠ .

(٢) يدعو ، هنا ، بمعنى يجيب ، كما فى شرح الديوان ٨٩ . وفى الأصل : « العوار » صوابها فى الديوان . والألم : الذى أصابه الألم . يقال رجل ألم ووجع — كلاهما كفرح — وفى الأصل : « أيم » ، تصحيحه من الديوان .

(٣) فى الأصل : « العوار » محرفة .

(٤) فى الأصل : « الذى زعم الهذلى أنها لاتسمع » . وكلمة « الهذلى » مقحمة بلا ريب .

(٥) ذكره المرزبانى فى معجمه وقال : مخضرم . الإصابة ٤٤٢ .

(٦) مسهد : من السهاد ، وهو الأرق . والبو : ولد الناقة . والفاقد : التى فقدت ولدها . س : « ذكر براً » هـ : « ذكرت برا » ط : « ذكرت بردا » وفى الجميع : « فاقداً » بالنصب . وكل ذلك تحريف ، صوابه ما أثبت موافقا مافى بقية أشعار الهذليين (٢ : ١٠٦) .

لعمرى لقد أَمْهَلتُ فى نَهْىِ خالدٍ عَنِ الشَّامِ إمَّا يَعْصِيَنَّكَ خالدُ[1]

وَأَمْهَلْتُ فى إخوانه فكأنَّما تَسَمَّعُ بالنَّهْىِ النَّعامُ المُشَرَّدُ[2]

وقال الذى زعم أنَّها تسمع : فقد قال الله عزَّ وَجَلَّ : ﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾. ولو عنَى أنَّ عَماهم كعمى العُمْيان ، وصمَمَهم كصمَمِ الصُّمَّان ، لما قال : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ وإنّما ذلك كقوله : ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ . وكيف تُسمِعُ المدبرَ عنك ؟ ولذلك يقال : « إنَّ الحُبَّ يُعمِي وَيُصِمُّ » . وقد قال الهذلىُّ :

* تَسَمَّعَ بِالنَّهْىِ النَّعامُ المُشَرَّدُ[3] *

والشارد النافر عنك لا يوصف بالفهم . ولو قال : تسمع بالنَّهْى ، وسكت — كان أبلغَ فيما يريد . وهو كما قال الله تعالى : ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ . قال الرَّاجز :

رِدِى رِدِى وِردَ قَطَاةٍ صَمَّا[4] كُدْرِيَّةٍ أَعْجَبَهَا بَرْدُ الْمَا[5]

---

(١) فى الأصل : « خالداً » ، صوابه ما أثبت من اللسان . وفى الأصل أيضاً : « إلى الشام » ، تصحيحه من اللسان (مهل) وبقية أشعار الهذليين . وأول البيت فى هـ : « وإنى قد أمهلت » . وأمهلت : بالغت . يقول : إن عصانى فقد بالغت فى نهيه.

(٢) تسمع : أى أصغى ليسمع . ويروى : « يُسَمَّعُ » . والنعام المشرد لا يصغى إلا ريثما يشرد ، وذلك لنفوره وتوحشه . فى الأصل : « المشردا » ، وصوابه ماأثبت .

(٣) فى الأصل : « المشردا » . وانظر التنبيه السابق .

(٤) يخاطب ناقته . والرجز فى الوساطة ٣٠١ حيث استشهد به على أن المتنبى سرق منه قوله : * وورود قطا صم تشايحن فى ورد * وانظر الاستدراكات .

(٥) الكدرية : واحدة الكدرى ، وهو ضرب من القطا غبر الألوان ، رقش الظهور ، صفر الحلوق . س ، هـ : « كردية » ، تحريف طيب، صوابه فى ط —

أى لأنها [لا[١]] تسمع صوتاً يَثنيها ويَرُدُّهَا[٢] .

وأنشد قول الشاعر :

دَعَوْتُ خُلَيْدًا دَعْوَةً فَكأنما[٣] دعوت به ابنَ الطَّوْدِ أَوْ هُو أَسْرَعَ

والطَّود : الجبل . وابنُهُ : الحجر الذى يَتَدَهْدَهُ[٤] منه ، كقوله[٥] :

* كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ[٦] مِنْ عَلِ *

وقال الرَّاجز :

وَمَنْهَلٍ أَعْوَرِ إِحْدَى الْعَيْنَيْنْ[٧] بَصِيرِ الأُخْرَى وَأَصَمِّ الأُذُنَيْنْ[٨]

= والوساطة واللسان (صمم) وشرح محب الدين أفندى لشواهد الكشاف . استشهد به الزمخشرى عند قوله تعالى : « ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا » من سورة مريم .

(١) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(٢) وفى اللسان : « اسكك أذنيها . وقيل لصممها إذا عطشت » ، ووجهه محب الدين أفندى بأنها لاتسمع صوت القانص حتى تنفر . وهو تعليل جيد .

(٣) فى اللسان (مادة طود) : « جليداً » . وفى أساس البلاغة : « كليبا » س ، ط : « وكأنما » ، وأثبت مافى ھ واللسان والأساس .

(٤) يتدهده : يتدحرج . س ، ھ : « يمد هذا » ، ولعل هذه الأخيرة محرفة عن « يتدهدى » ، وهى لغة فى يتدهده .

(٥) هو امرؤ القيس ، من معلقته . وصدره :

* مكر مفر مقبل مدبر معا *

(٦) ط : « السيد » ، وهو على الصواب فى س ، ھ .

(٧) المنهل : منزل السفار على الماء . أعور إحدى العينين : أى فيه بئران غاضت إحداهما .

(٨) بصير الأخرى : أى أن البئر الأخرى بها ماء . وفى الأصل : « بصيرة » تصحيحه من اللسان (عور) . والرواية فيه : « بصير أخرى » . وأصم الأذنين : أى ليس يسمع فيه صدى الصوت . فى الأصل : « أصم » بدون واو ، وهى ضرورية لوزن الشعر . والبيت من مشطور السريع .

١٢٥ كأنَّهُ كانَ فى ذلك المَنْهَل بِيرَانِ (١) ، والآبارُ أعينٌ ، فَغُوِّرَتْ إحدى البِيرَين (٢) وتُركت الأخْرى .

وقوله : « أصَمَّ الأُذُنَيْنِ » لِمَا (٣) أنْ كان عنده (٤) فى الأرض فَضَاءٌ وَخَلَاءٌ (٥) ، حيثُ لايسمع فيه صوت ، جعله أنْ (٦) كان لايسمَعُ صوتاً أصمَّ ؛ وإنْ كان ذلك لفقْدِ الأصْواتِ .

(شاهد من الشعر لسمع النعامة)

قال : وقد قال الحارثُ بن حِلِّزَة (٧) قولاً يدلُّ على أنها تسمع (٨) ، حيث قال :

ولقد أَسْتَعِينُ يوماً على الهـ ـمِّ إذا خفَّ بالثَّوِىِّ الثَّوَاءُ (٩)

---

(١) كذا جاءت فى الأصل ، بتسهيل الهمزة .

(٢) كذا بالتسهيل .

(٣) ط : « لا » ، وصوابه فى س ، هـ .

(٤) أى عند المنهل .

(٥) فى الأصل : « فضل وخلا » ، وصوابه ما أثبت .

(٦) أى لأن . وحذف الجار مطرد فى مثل هـذا . ط : « إذ » ، وأثبت ما فى س ، هـ .

(٧) الحارث بن حلزة : شاعر جاهلى من بنى يشكر . والأبيات الآتية من معلقته المشهورة ، التى قال فيها أبو عبيدة : « أجود الشعراء قصيدة واحدة جيدة طويلة : ثلاثة نفر : عمرو ابن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، وطرفة بن العبد » .

(٨) فى الأصل : « لا تسمع » ، وهو خلاف المراد .

(٩) الثوى : المقيم . والثواء ، هكذا جاءت بالأصل . والصواب : « النجاء » ، وهى السرعة . وأما « الثواء » فهى قافية لمطلع المعلقة :

آذنتنا ببينها أسمـاء رب ثاو يمل منه الثواء

زفوفٍ كأنها هِقْلَةٌ أُ مٌّ رِئالٍ دوِّيَّةٌ سقفاء[1]

ثُمَّ قال :

آنسَتْ نَبْأَةً وأَفْزَعَهَا الْقُنَّــاص عَصْرًا وقد دنا الإمْسَاء[2]

فترى خَلْفَهُنَّ مِنْ سُرْعَةَ المَشْـ ى مَنِيناً كأنَّهُ إهباءُ[3]

ولو قال : « أفْزَعَها[4] القنّاصُ » ولم يقل : « آنَسَتْ نبأة » — والنَّبْأة الصَّوت — لكان لَكُمْ فى ذلك مَقَال[5] .

(شعر فى معنى الصمم)

وقال امرؤ القيس :

وَصُمٌّ صِلَابٌ مايَقِين من الوَجَى كأَنَّ مكان الرِّدْفِ منه على رالِ[6]

(١) زفوف ، بالفتح : أى ناقة سريعة . والهقلة : النعامة . والرئال : أولادها . دوية : منسوبة إلى الدو ، وهى الأرض المترامية الأطراف . والسفعاء : السوداء . س : « صنعاء » ﻫ : « صفعاء » محرفتان . ورواية المعلقات : « سقفاء » أى عالية .

(٢) آنست نبأة : أحست صوتا خفيا .

(٣) قال التبريزى : « خلفهن : خلف الإبل ؛ لأن الناقة الموصوفة ، تسير مع غيرها ، فحمل الضمير على المعنى » . والمنين ، بالفتح : الغبار الدقيق . و « إهباء » روى بالفتح : بمعنى الغبار المرتفع فى الجو . وروى بالكسر : مصدر أهبى يهبى إهباء : أثار التراب .

(٤) فى الأصل : « أفزع » ، وهو مخالف لنص الشعر السابق .

(٥) فى الأصل : « فقال » ، والوجه ما أثبت .

(٦) يقول : ولذلك الفرس حوافر صم صلاب ما يضعفن فى سيرهن من الوجى . والوجى : أن يجد الفرس فى حافره وجعاً يشتكيه ، من غير أن يكون فيه صدع أو غيره . ط ، س : « تمين » ﻫ : « تعين » ، صوابهما من الديوان ٦٦ واللسان (وقى) . ط : « الوجا » س ، ﻫ : « الرحا » صوابهما من المصدرين السابقين . والردف : الذى تردفه ، ومكانه الذى يقعد فيه يسمى القطاة ، ويستحب =

وإنما يعنى أنَّها مُصْمَتَةٌ غير جَوفاء . وقال الآخَر :

قلْ ما بدا لك مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ   حِلْمِى أصمٌّ وَأُذْنِى غَيْرُ صَمَّاءِ

يريد أنّ حلمَهُ ليس بسخيف متخلخِل، وليس بخفيف سَارٍ ، ولكنه مصمَت . وقال الشاعرُ :

* وأسأل[1] من صمَّاء ذاتِ صَليل *

وإنما يريد أرضاً يابسة ، ورملةً نشَّافَةً ، تسأل[2] الماء : أى تريده وتبتلعه ؛ وهى فى ذلك صمَّاء .

(ذكر الصَّمّ فى القرآن الكريم)

وقد قال الله لناسٍ يسمعون : ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ[3]﴾ وذلك على المثل . وقال : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَايَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَايَعْقِلُونَ[4]﴾ . وذلك كلّه على مافسّرنا . وقال : ﴿وَالَّذِينَ إذا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا

= إشرافها ؛ فلذلك شبهها بعجز الرأل . والرال ، أصله الهمز ، وخففه لمكان القافية . وقبل البيت :

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا   له حجبات مشرفات على الفال

(١) س ، هـ : « وأسل »، صوابها فى ط . وهى من السؤال ، كما سيأتى فى شرح الجاحظ ، وكما فى اللسان . وصدر البيت فى اللسان :

* أَجَلْ لاَ ، وَلٰكِنْ أَنْتَ أَلْأَمُ مَنْ مَشَى *

(٢) ط ، هـ : « تسال »، صوابه فى س .

(٣) الآية الثامنة عشرة من سورة البقرة .

(٤) الآية ١٧١ من سورة البقرة .

عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا[١] ﴾ ، وقال أيضا : ﴿ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ[٢] ﴾ .

(شعر فى معنى الصمم)

وقال عَنترة :

ظَلِلْنَا نكرُّ المَشْرَفِيَّةَ فيهمُ *** وخُرْصَانَ صُمِّ السَّمْهَرِىِّ المثقَّفِ[٣]

وقال العُجَيرُ السَّلولىّ :

وقد جَذَبَ القومُ العصائبَ مؤخراً *** ففيهنَّ عنْ صُلْعِ الرِّجال حُسُورُ[٤]

فظلَّ رِداءُ العَصْبِ مُلقًى كأنَّه *** سَلَى فَرَسٍ تحْتَ الرِّجال عَقيرِ[٥]

لَوَانَّ الصُّخُورَ الصُّمَّ يَسْمَعْنَ صَلْقَنا *** لَرُحْنَ وفى أعْرَاضِهنَّ فُطورُ[٦] ١٢٦

وقال زهير[٧] :

---

(١) الآية ٧٣ من سورة الفرقان .

(٢) الآية ٤٥ من سورة الأنبياء ، وأولها : « قل إنما . . . . » .

(٣) المشرفية : ضرب من السيوف ، منسوب إلى مشارف الشام . والخرصان ، بالكسر والضم : جمع خرص بالضم ويكسر ، وهو سنان الرمح . والسمهرى من الرماح : هو الصليب العود . والمثقف : المعدل المسوى بالثقاف . ﻫ : « المثقب » تحريف ، صوابه فى س ، ﻫ والديوان ١٦١ ، والرواية فيه :

فظللنا نكر المشرفية فيهم *** وخرصان لدن السمهرى المثقف

(٤) حسور : انكشاف .

(٥) العصب ، بالفتح : ضرب من البرود . وفى الأصل : « نداء العصب » ، صوابه من مجالس ثعلب ٥٩٣ . والسلى بالتحريك : الجلدة التى يكون بها الولد . وتكتب بالياء . وفى الأصل بالألف . والعقير : التى عقرت ، أى قطعت قوائمها . وفى الأصل : « عقور » صوابه من المجالس . وفى البيت إقواء .

(٦) يقول : لو أن تلك الصخور سمعن صوتنا الشديد فى تلك الحرب ، لرحن وقد تشققت أعراضهن . والأعراض : الجوانب والنواحى . ورواية الأغانى (١١ : ١٥٠) :

لو أن الجبال الصم يسمعن وقعها *** لعدن وقد بانت بهن فطور

(٧) والبيتان ليسا فى ديوان زهير .

لَيْتَنِي خُلِقْتُ لِلأَبَـدِ صَخْرَةً صَمَّاءَ فِى كَبِدِ[1]
لاَ تَشَكَّى[2] شرًّ جارتِها خُلِقَتْ غَلِيظَةَ الـكبـدِ

وقالت جُمْل بنتُ جَعْفَر :

بَنِى جَعْفَرٍ لاسِلْمَ حَتَّى نَزُورَكُمْ بكلِّ رُدَيْنِيٍّ وأبيضَ ذِي أَثْرِ[3]
وَحَتَّى تَرَوْا وَسْطَ الْبُيُوت مُغِيرةً تُصِمُّكُمُ بِالضَّرْبِ حَاشِيَةَ الذُّعْرِ[4]
تَبِينُ لِذِى الشَّكِّ الذى لم يكن دَرَى وَيُبْصِرُهَا الأَعْمَى وَيَسْمَعُ ذُو الْوَقْرِ[5]

وقال دريد :

متى كان الملوك لكم قَطِينًا[6] على ولاية صَمَّاءَ مِنِّى[7]

(مثل وحديث فى الصمم)

ومن الأمثال قولهم : « صمَّتْ حَصَاةٌ بِدَم[8] »، قال : فأصله أنْ

(١) كبد ، بفتح فكسر : اسم جبل . فى الأصل : « كبدى » !

(٢) فى الأصل : « تشتكى » ، وبذلك ينكسر الوزن ؛ إذ البيت من بحر المديد .

(٣) الرديني : الرمح المنسوب إلى امرأة تدعى ردينة ، كانت هى وزوجها سمهر يقومان القنا بخط هجر . وعنت بالأبيض : السيف . والأثر ، بالفتح : فرند السيف . ط ، س : « أشر » هـ : « أسر » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) مغيرة : أى خيلا مغيرة هاجمة بأربابها . ط : « خاشية الذعر » . وأثبت صوابه من س ، هـ . وللعرب مجاز فى مثل هذا . يقولون : حشى الرجل غيظا ، وكبراً ، كما قال المرار :

وحشوت الغيظ فى أضلاعه فهو يمشى حظلانا كالنقر

وكما قال المسعودى :

ولا تأنفا أن ترجعا فتسلما فما حشى الإنسان شراً من الكبر

(٥) تبين : تظهر هى . والوقر ، بالفتح : ثقل الأذن ، أو ذهاب السمع كله .

(٦) القطين : تبع الرجل ومماليكه وخدمه .

(٧) كذا جاء هذا الشطر .

(٨) يضرب مثلا فى الإسراف فى القتل وكثرة الدم . الميدانى (١ : ٣٥٩) .

بكثْرَ القتْلُ وسفْكُ الدِّماءِ ، حتَّى لو وقَعَتْ حصاةٌ على الأرض لم يُسْمَعْ لها صوتٌ ؛ لأنها لاتلقَى صلابةَ الأرض .

وقد جاء فى بعض الحديث : « إذا كانت تلك الملاحِمُ بلَغت الدِّماءُ الثُّنَنَ[1] »، يعنى ثُنَنَ[2] الخيل ، وهو الشَّعر الذى خلف الحافر .

(صمت السيف)

وقال الزُّبير بن عبد المطَّلب[3] :

وَيُنْبِى نَخْوَةَ المختَالِ عنِّى ... جُرَازُ الحدِّ ضَرَبتُه صَمُوتُ[4]

لأنَّ السَّيْفَ إذا مرَّ فى العظْم مَرًّا[5] سريعاً فلم يكن له صوت — كان فى معنى الصامت[6] .

---

(١) الثنن ، بضم الثاء وفتح النون : جمع ثنة ، بضم الثاء وتشديد النون ؛ الشعرات التى فى مؤخر رسغ الدابة . ط ، هـ : «السن» س: « السن »، صوابهما ما أثبت ، موافقا لما جاءت فى أمثال الميدانى فى أثناء الكلام على المثل السابق . وانظر : « بلغت الدماء الثنن » فى أمثال الميدانى (١ : ٨٣) . والملاحم : جمع ملحمة ، بالفتح ، وهى الحرب ذات القتل الشديد .

(٢) ط ، هـ : « سن »، س : « بين » محرفتان . وانظر التنبيه السابق .

(٣) هو الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ؛ سيد كريم وشاعر محسن . وكان من رجالات قريش فى الجاهلية . وهو أكبر أعمام الرسول الكريم العشرة . وهو القائل :

ولولا الحمس لم يلبس رجال ... ثياب أعزة حتى يموتوا

المؤتلف (١٣٠ – ١٣١) والمعارف ٥٢ والروض الأنف (١ : ٧٨) .

(٤) ينبى : يبعد . ونخوة المختال : تكبر المتكبر وتعظمه . وسيف جراز الحد ، بضم الجيم : ماضيه ونافذه . وانظر ما سيأتى فى (٦ : ٤٣٧) . ورواية اللسان (صمت) :

وينفى الجاهل المختال عنى ... رقاق الحد ضربته صموت

وأنشده عن ثعلب على هذه الصورة :

ويذهب نخوة المختال عنى ... رقيق الحد ضربته صموت

(٥) ط ، س : « مر »، صوابه فى هـ .

(٦) وقيل : لرسوبه فى الضريبة ، وإذا كان كذلك قل صوت خروج الدم . انظر اللسان .

(شعر في مجاز الصمم)

وقال ابن ميّادة :

مَتى أدعُ في قَيْسِ بنِ عَيْلانَ خائفاً إلى فَزَعٍ تُرْكَبْ إلَيَّ خُيولُها[١]

بملمومة كالطَّودِ شهْباء فَيْلَقٍ رَدَاحٍ يصمُّ السّامعين صليلُها[٢]

لأنَّ الصَّوت إذا اشتدَّ جدًّا لم يُفْهَمْ معناه ، إنْ كان صاحبه أراد أن يخبر عن شيء . ومتى كثُرت الأصواتُ صارت وَغًى[٣] ، ومنع بعضُها بعضاً من الفهم . فإذا لم يفهمها[٤] صار في معنى الأصمّ ، فجاز[٥] أن يسمَّى باسم الأصمّ .

وعلى ذلك قال الأضْبَط بن قريع ، حين آذوه[٦] بنو سعدٍ فتحوَّل من جوارهم في آخرين فآذوه ، فقال : « بِكلِّ وادٍ بَنُو سَعْدٍ[٧] » .

---

(١) المراد بالخيول هنا الفرسان الذين يركبون الخيول . ومنه في الحديث : « ياخيل الله اركبي » . انظر البيان (٢ : ٢٧) . ويصح أن تقرأ « تركب » بالبناء للمفعول فلا يكون فيها مجاز .

(٢) ملمومة : أي كتيبة عظيمة مجتمعة . والطود : الجبل العظيم . والشهباء : البيضاء ، لما فيها من بياض السلاح . والكتيبة الفيلق : الكثيرة السلاح . والرداح ، بالفتح : الكثيرة الفرسان الثقيلة السير لكثرتها .

(٣) الوغى : الصوت والجلبة في الحرب . ط ، س : « رغاء » ، وإنما الرغاء ، بالضم : صوت ذوات الخف . هـ : « وغا » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) س : « تفهمها » ، صوابه في ط ، هـ .

(٥) س ، هـ : « لجاز » !

(٦) كذا في س ، هـ . على لغة أكلوه البراغيث . ط : « آذاه » .

(٧) سبق المثل في (١ : ٣٥٨) و (٣ : ١٠٤) .

وقال جران العَود :

وقالَتْ لنا وَالْعِيسُ صُعْرٌ من البُرَى   وأخفافها بالجَنْدَلِ الصُّمِّ تقذِفُ[١]

(قول منكر صمم النعام)

وقال الذى ينكر صَمَمَ شىءٍ من الخلق : اعتللتم فى صمَم النعام بقول زهير :

[أَصَكَّ مُصَلَّمِ الأُذُنَيْنِ أَجْنَى   لَهُ بِالسِّىِّ تَنُّومٌ وَآءٌ[٢]]

وبقول أوس بن حجر :

وَيَنْهَى ذَوِى الأَحْلَامِ عَنِّى حُلومُهم   وَأَرْفَعُ صَوْتِى للنَّعامِ المُخَزَّمِ[٣]   ١٢٧

يريد خَرْقَ[٤] أنفه ، وهو فى موضع الخَرَمَةِ[٥] من البعير .

وأمّا قوله : « وَأَرْفَعُ صَوْتِى للنَّعام » فإنما خصَّ بذلكَ النَّعامَ لأنَّها تَجْمَعُ الشُّرُودَ وَالنِّفَار ، إلى المُوقِ وسوءِ الفهْم . ولو قال : وأرفع صَوتى للحَمِير والدَّوَاب لكان كذلك . والمصلَّمة : السُّكّ التى ليس لآذانها حَجم .

---

(١) العيس ، بالكسر : الإبل الخالصة البياض . صعر من البرى : موائل من جذب البرى : جمع برة ، وهى الحلقة توضع فى أنف البعير . والجندل : الحجارة .

(٢) هذا البيت ليس بالأصل . وبه يلتئم الكلام ويتم . وقد أثبته اعتماداً على ما سيأتى فى ص ٣٩٨ .

(٣) المراد بالأحلام هنا ، الألباب والعقول . وفى اللسان : « والمخزم من نعت النعام ، قيل له مخزم لثقب فى منقاره » . وعجز البيت فى المقاييس (خزم) .

(٤) فى الأصل : « عرض » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) فى موضع الخرمة ، أى ذلك الخرق بمكانة الخرمة ، شبيه بها . والخرمة ، بالتحريك ، سبق شرحها فى ص ٣٢١ . فى الأصل : « الخزامة » . ولا تصح ، فإن الخزامة هى الحلقة التى توضع فى الخرمة . وانظر ماسبق فى ص ٣٢١ .

(رد عليه)

قال : [قولُ(١)] الذى زعم أنها ليست بصماء لا يجوز ؛ لأنَّ الدوابَّ تسمعُ وتَفهم الزَّجْر ، وتجيب الدُّعاء . بل لو قال : وأرفع صوتى للصخور والحِجارة ، كان صواباً ، وكان لِرَفْع صوته معنًى ؛ إذْ(٢) كان الرَّفْعُ والوضْعُ(٣) عند الصُّخور سَوَاءً . وليس كذلك الدوابُّ . ولو كان إنما جعله مصلَّما ، وجعلَ آذانَ النَّعام مصلومةً ؛ لأنه ليس لآذانها حَجْم فالطِ كله كذلك إلاَّ الخفَّاش(٤) . وكلُّ شيءٍ يبيض من الحيوان فليس لها حَجْم آذان . فى قَصْدهم بهذه الكلمة إلى النَّعامِ ، بين جميعِ ما ليس لأذنَيه حجْم ، دليلٌ على أنَّ تأويلَكم خطأ . قال عَلْقمة بن عَبَدَة :

فُوه كشَقِّ العَصَا لأْياً تبيِّنُهُ أَسكُّ ما يَسْمَعُ الأصواتَ مصلومُ(٥)

وقالت كَبْشة بنت مَعْدِيكرِب(٦) :

---

(١) ليست بالأصل . وبمثلها يستقيم الكلام .

(٢) فى الأصل : « إذ لو » . وكلمة « لو » لاوجه لوجودها .

(٣) أى رفع الصوت ووضعه . والوضع بمعنى التخفيض .

(٤) س : « لا الخفاش » ط : « الأخفاش » . وأثبت الوجه من هـ .

(٥) كذا على الصواب فى هـ . وفى س: « لأياً يبينه »،و ط : « الا يأتبينه » وسبق شرحه فى ٣٦٦، وإنشاده كذلك فى ٣٨٣ .

(٦) كبشة ، هى أخت عمرو بن معديكرب . وكذلك جاءت النسبة فى حماسة أبى تمام (١ : ٧١) والبحترى ٣٠ وأمالى القالى (٢ : ٢٢٦ ، ٣ : ١٩٠) والشعراء ٣٣٥ والخزانة (٣ : ٧٧ بولاق) . ونسبت فى لباب الآداب ١٨٢ إلى ريحانة أخت عمرو بن معديكرب . قال التبريزى : « كبشة اسم مرتجل علماً. وليس بتأنيث كبش لأن ذلك لامؤنث له من لفظه ، إنما هى نعجة » . وقد قالت الشعر حينما قتل أخوها عبد الله ، ولم يأخذ عمرو بثأره ، بل أخذ دية أخيه ، فغضبت هى وقالت الشعر تحضضه على الأخذ بالثأر ، فى أسلوب حسن بديع .

وَأَرْسَلَ عَبْدُ اللهِ إذ حانَ يومُهُ إلى قومه ألاَّ تَغُلُّوا لَهُمْ دمِى[1]

ولا تأخُذُوا منهمْ إفالاً وَأَبْـكُرًا وَأُتْرَكَ فى بيتٍ بِصعْدةَ مُظْلِمِ[2]

جَدَعْتُمْ بعبد الله آنفَ قَوْمِكمْ[3] بنى مَازِنٍ أَنْ سُبَّ راعى المخَزَّم[4]

فإن أنتمُ لم تثْأرُوا لأخيـكُمُ فَمشُّوا بآذَانِ النَّعامِ المصلَّمِ[5]

فلو كانت إنّما تريد أنّه ليس لمسامِعِها حجمٌ ، كانت الدُّنيا لها مُعرضة .

وقال عنترة :

---

(١) تغلوا : تخونوا . كذا جاءت الرواية فى ﻫ . وفى س : « ألا تقلوا » محرفة . وفى ط : « لا تعقلوا »، ومعناه لا تأخذوا بدل دمى عقلا . والعقل ، بالفتح : الدية . وهى رواية الحماسة وأمالى القالى (٢ : ٢٢٦) ولباب الآداب. وروى فى الأمالى (٣ : ١٩٠) : « ألا تخلوا » . وفى حماسة البحترى : « ألا يعلوا » تحريف رواية ﻫ .

(٢) الإفال : جمع أفيل ، وهو من أولاد الإبل ما أتى عليه سبعة أشهر أو ثمانية . والأبكر : جمع بكر بالفتح ، وهو ولد الناقة . وصعدة : مخلاف من مخاليف اليمن . وجعلت قبره مظلماً لما يزعمون من أن المقتول إذا ثأروا به أضاء قبره ، فإن أهدر دمه أو قبلت ديته أظلم . التبريزى . وإنما ذكرت الإفال والأبكر ، والديات لا تكون منها ، لما أرادت من معنى تحقير الدية .

(٣) جدعتم : قطعتم . آنف : جمع أنف . والمراد : أذللتم قومكم . ورواية الأمالى : « قومه » ، وفى الخزانة : « سيد قومه » .

(٤) بنى مازن ، أى يابنى مازن . والمخزم ، كذا جاء هنا بإعجام الخاء والزاى . وكذا فى الأمالى . لكن ضبطه صاحب الخزانة بتشديد الزاى المفتوحة والحاء قبلها مهملة. ومهما يكن فهو ، كما قالوا — : رجل من بنى مازن ، كان له عبد يرعى ، وجلس عبد الله مع بنى مازن تشرب ، فتغنى ذاك العبد الحبشى بشعر ، فيه تشبيب بامرأة من بنى زبيد ، فلطمه عبد الله وسبه ، فنادى الحبشى : يالمازن ! فقاموا إلى عبد الله فقتلوه . عن الأمالى والأغانى (١٤ : ٣٢) . والرواية فى الأغانى :

أيقتل عبد الله سيد قومه بنو مازن أن سب راعى المخزم

(٥) ﻫ : « لم تتلدوا » محرفة . وروى : « لم تثأروا واتديتم » و : « لم تقتلوا واتديتم » . و : « لم تثأروا بأخيكم » .

وكأنما أقِصُ الإكامَ عَشِيَّةً ... بقَرِيبِ بَيْنَ المَنْسِمَيْنِ مُصَلَّمِ[١]

تأوِى له حِزَق النَّعامِ كما أوَتْ ... حِزَقٌ يَمَانِيَةٌ لأعْجَمَ طمطمِ[٢]

ولو كان عنترة إنَّما أراد عدَم الحجْم، لقد كانت الدُّنيا له معرضة.

وقال زُهير:

بآرزةِ الفَقَارةِ لم يخُنها ... قِطافٌ فى الرِّكاب ولا خِلاءُ[٣]

كأنَّ الرَّحْلَ منها فَوْقَ صَعْلٍ ... من الظِّلْمانِ جُؤجُؤه هَواءُ[٤]

أصَكَّ مُصَلَّمِ الأُذُنَيْنِ، أجْنَى ... له بِالسِّىِّ تَنُّومٌ وَآءُ[٥]

(رد منكر صمم النعام)

قال القوم: فإنَّا لا نقول ذلك، ولكنّ العربَ فى أمثالها تقول: إنّ

١٢٨ النَّعامةُ ذهبَتْ تطلبُ قرنَين فقطعوا أذنيها[٦]. ليجعلوها مثلاً فى المُوقِ وسوء التدبير. فإذا ذكر الشَّاعِرُ الظَّليمَ، وذكَرَ أنَّهُ مصلَّم الأذنين،

---

(١) يقول: كأنما أكسر الإكام بظليم قريب بين المنسمين. والمنسم، كمجلس: الظفران المقدمان فى الخف. وقرب المنسمين مما يجعل الخف صاباً. و «بين» تقرأ بالجر. ورواها بعض اللغويين بالنصب على تقدير «ما»، وهو وجه ضعيف.

(٢) سبق شرح هذا البيت فى ص ٣٥٩.

(٣) الفقارة، بالفتح: واحدة فقار الظهر، بالفتح أيضاً. آرزة: متداخلة مدمجة. س: «بيارزة»، هـ: «الفقاوة لم يجبها»، صوابه فى ط وديوان زهير ٦٧ واللسان (أرز، قطف، خلا) والمخصص (٧: ١٦٢) والمقصور ٣٨. والقطاف: اسم من قطفت الدابة تقطف - من بابى ضرب ودخل -: أساءت السير وأبطأت. والخلاء، بالكسر: مصدر خلأت الناقة تخلأ: حرنت من غير علة.

(٤) جؤجؤه هواء: أى صدره فارغ لاقلب فيه، فهو كالمذعور يسرع العدو هربا.

(٥) الأصك: المتقارب العرقوبين. وأجنى الشجر: أدرك. والتنوم والآء: نبتان.

(٦) انظر ما سبق فى ٣٢٣.

فإنما يريد هذا المعنى . فكثُرَ ذلك حتّى صار قولهم : مصلم الأذنين ، مثل قولهم صَكَّاء . وسواءٌ قال صَكَّاء ، أو قال نعامة ، كما أنَّهُ سواء قال خنْساء أو قال مهاة وَنَعْجَةٌ وبقرة وظبية ؛ لأنَّ[1] الظِّباء والبقرَ كلها فُطْس خُنْسٌ. وإذا سَمَّوا امْرَأةً خنْساءَ فليسَ الخَنَسَ والفطَسَ يُريدون ، بل كأنهم قالوا : مَهاةٌ وَظبية . ولذلك قال المسيَّبُ بنُ علَسٍ[2] فى صفة النَّاقة :

صَكّاءَ ذِعْلِبَةٍ إذا استَقْبَلْتَها حَرَجٍ إذا استَدْبَرْتَها هِلْوَاعِ[3]

فتفهَّمْ هذا البيت ، فإنَّهُ قد أَحْسَنَ فيه جدًّا .

والصَّكَكُ فى الناس ، والاصطكاك فى رجلى الناقة عيب[4] . فهو لم يكنْ ليصِفَها بما فيه عيب[5] ، ولكنَّه لا يفرق بين قولهِ [صَكَّاء ، وبين

---

(١) من مبدإ : « قال صكاء » إلى هنا ، ساقط من ه .

(٢) المسيب ، كعظم ، بذا ضبطه صاحب القاموس والأنبارى فى شرح المفضليات ٩٢ ، جاء فيها : قال مؤرج : إنما لقب زهير بن علس بالمسيب ، حين أوعد بنى عامر بن ذهل ، فقالت له بنو عامر بن ضبيعة : قد سيبناك والقوم ! وضبطه صاحب الخزانة بصورة اسم الفاعل . واسمه زهير بن علس كما تقدم . وهو جاهلى لم يدرك الإسلام . انظر الخزانة (٣ : ٢١٧ سلفية) .

(٣) الذعلبة ، بكسر الذال واللام : الناقة السريعة . والحرج : الجسيمة الطويلة . والهلواع : ذات النزق والخفة . وهكذا ورد البيت فى الأصل : وصواب إنشاده ، كما فى اللسان (هلع) والمفضليات ١٦ :

صكاء ذعلبة إذا استدبرتها حرج إذا استقبلتها هلواع

إذ أن جسامتها وطولها ونزقها ، إنما تبين عند الاستقبال . وقبل هذا البيت :

فتسل حاجتها إذا هى أعرضت بخميصة سرح اليدين وساع

(٤) كذا فى ط . وفى س : « واصطكاك رجلى الناقة » . وفى ه : « واصطكاك رجل الناقة » . وهذه محرفة .

(٥) كذا على الصواب فى ط ، س . وفى ه : « فلو لم يكن يصفها » . . الخ .

قَوْلِهِ[١]] نعامة[٢] ، وكذلك لايفرّقون بين قولهم : أعلم ، وبين قولهم : بَعِيرٌ[٣] . قال الراجز :

إنى لِمن أنكرَ أو توَسَّما أخو خَنائِرَ يَقودُ الأعْلَمَا[٤]

كأنه يقول : يقودُ بعيراً . وهو كقول عنترة :

وحَليلِ غانيةٍ تَرَكْتُ مجدَّلاً تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الأعْلمِ[٥]

(ردّ مدّعى الصَّمم)

فقال مَن ادّعى للنَّعام الصَّمَم : أمَّا قولكم : من الدَّليل على أن النَّعامة تسمعُ قولُ الشاعرِ :

* تدعُو النّعام به العِرار[٦] *

وقوله :

متى ماتَشَأْ[٧] تسمع عِراراً بقَفْرَةٍ يجيب زِمَاراً كاليَرَاعِ المثقَّب

وقوله[٨] :

آنَسَتْ نَبْأَةً وأفْزَعها الْقَــنّاصُ عَصْراً وَقَدْ دَنَا الْإِمْسَاءُ

فليس ذلك أراد . وقد يراك الأخرسُ مِن النّاس – والأخرسُ أصمُّ –

---

(١) ليست هذه الزيادة بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) فى الأصل : « نعم » . تحريف ، انظر له السطر الرابع .

(٤) الخنائير : الدواهى . والرجز رواه الجاحظ مرة أخرى فى (٦ : ٤١٢) .

(٥) انظر ما أسلفت من شرح هذا البيت ونقله فى (٣ : ٣٠٩) . ﻫ : « وخليل » بالخاء المعجمة .

(٦) سبق البيت بتمامه فى ٣٨٥ برواية أخرى .

(٧) فى الأصل : « متى تأتنا » . وصوابه مما سبق فى ٣٨٥ .

(٨) هو الحارث بن حلزة اليشكرى ، من معلقته . وانظر ص ٣٨٩.

فيعرف ماتقول ، بما يرى مِنْ صُورة حَرَكَتِكَ[١] ، كما يعرف معانيكَ من إشارتك ، ويدعُوك ويطلُبُ إليك بصوتٍ ؛ وهو لم يسمَعْ صوتَك قطُّ فيقصدَ إليه ، ولكنه يريد تلك الحركةَ ، وتلك الحركةُ تولِّد الصوت ، أراده هو أو لم يرده[٢] . وَيُضْرَبُ فيصيح ، وهو لم يقصدْ إلى الصِّياح ، ولكنّه متى أدار لسانَهُ فى جَوْبَةِ[٣] الفم بالهواء الذى فيه . والنَّفس الذى يُحضِره جُمّاع الفم[٤] ، حدَثَ الصوت . وهذا إنما غايَتَهُ الحركة فيعرف صورة تلك الحركة .

والأخرس يرى[٥] النّاس يصفِّقون بأيديهم ، عند دعاء إنسانٍ ، أو عند الغضب والحَدِّ[٦] ، فيعرف صورة تلك الحركةِ ؛ لطول تَرْدادِها على عينيه ، كما يعرف سائر الإشارات . وإذا تعجَّبَ ضربَ بيدَيهِ كما يضربون . ١٢٩

فالنّعامة تعرفَ[٧] صورةَ إشارة الرِّئلان وإرادتها ، فتعقل[٨] ذلك ، وتجاوبها بما تعقل عنها من الإشارة [والحركة] ، وغدت[٩] لحركتها أصواتٌ . ولوكانا يسمعان لم تزد حالهما[١٠] فى التَّفاهُم على ذلك .

---

(١) فى الأصل : « حركة » .
(٢) س ، هـ : « أم لم يرده » .
(٣) الجوبة : الحفرة . والمراد باطن الفم . س : « حوجة . ط ، هـ : « جوحة » ، وأثبت ما سبق فى مثل هذا الموضع فى (١ : ٧٠) مطابقاً لما فى نسخة كوبريلى .
(٤) الجماع ، كرمان : مجتمع الأصل .
(٥) ط : « والأخرس من يرى » . هـ : « والآخر من يرى » ، صوابهما ما أثبت من س .
(٦) الحد ، بفتح الحاء : الحدة والغضب . وفى الأصل ، « الجد » بالجيم ، محرف .
(٧) ط : « تعرق » ، صوابه فى س ، هـ .
(٨) س : « فتفعل » ، صوابه فى ط ، هـ .
(٩) س : « ويحدث » .
(١٠) س : « حالتهما » .

(شمُّ النعامة)

والعرب تقول : « أَشَمُّ مِنْ نَعامةٍ » و : « أَشَمُّ مِنْ ذَرَّةٍ » . قال الرّاجز :

* أَشمُّ مِنْ هَيْقٍ وَأَهْدَى مِنْ جَمَلْ[1] *

وقال الحِرْمازىُّ ، فى أرجُوزته :

* وهــو يَشْتَمُّ اشتِمام الهَيْقِ[2] *

قال : وأخبرنا ابنُ الأعرابىِّ أنَّ أعرابيًّا كلم صاَحِبَهُ ، فرآه لايفهَمُ عنه ولا يسمعُ كلامَهُ فقال : « أَصلَخُ كَصَلَخِ[3] النَّعَامَةِ » !

(شم الفرس والذئب والذَّرّ)

وقد يكون الفرَسُ فى الموكب وخلفه ، على قاب غَلوتين ، حِجْرٌ أو رَمكة[4] ، فيَتَحَصَّنُ[5] تحتَ راكبه ، من غير أن تكونَ صهلَتْ .

والذِّئب يشتَمُّ ويستروح مِنْ مِيلٍ ، والذَّرَّة تَشْتَمُّ ما ليس لهُ ريحٌ ، مما لو وضعْتَهُ على أنفِكَ ما وجَدْتَ لَهُ رائحة وإن أجَدْتَ التشمُّمَ ، كرِجْل

---

(١) سبق هذا البيت فى ١٣٣ . والهيق ، بالفتح : الظليم . وأهدى ، من الهداية . وذلك أنه يعرف مكامن الماء فى الصحراء ، فيتجه إليها بنفسه .

(٢) سبق البيت فى ١٣٣ .

(٣) الصلخ ، بالتحريك : الصمم وذهاب السمع . والوصف منه أصلخ . قال :

لو أبصرت أبكم أعمى أصلخا   إذا لسمى واهتدى أنى وخى

وفى اللسان : « وإذا دعى على الرجل قيل : صلخاً كصلخ النعامة ! » . ط : « أصلم كصلم » ، صوابه فى س ، هـ .

(٤) الحجر ، بكسر الحاء : الأنثى من الخيل . والرمكة ، بالتحريك : البرذونة تتخذ للنسل .

(٥) يتحصن : تبدو منه أمارات الذكورة . وقد سبق نحو هذا التعبير فى (٢ : ١٤١ س٨) . ط ، س : « فيشخص » وليس بذاك . والأوفق ما أثبت من هـ والبيان (٢ : ٢٥٧).

الجرادة تَنْبِذها[1] من يدك فى موضعٍ لم تَرفيه ذرَّة قطّ ، فلا تلبث أن ترى الذّرّ إليها كالخيط الأسودِ الممدود .

وقال الشّاعر ، وهو يصف استِرْواح الناس :

وجاءَ كمِثْلِ الرَّألِ يتبع أنْفَهُ لِعَقِبَيْهِ مِنْ وَقْعِ الصُّخورِ قعاقعُ[2]

فإنَّ الرَّألَ يشتَمُّ[3] رائحة أبيه وأمّه والسَّبُعِ والإنْسانِ من مكانٍ بعيد . وشبَّهَ بِهِ رَجُلاً جاءَ يتَّبع الرِّيح فيَشتَمُّ .

(استطراد لغوى)

وقال الآخر :

والمرء لم يغضَبْ لمطْلَبِ أَنْفِهِ أو عِرْسِهِ لِكَريهةٍ لم يَغْضَبِ[4]

ومطْلَب أنفه : فَرْجُ أمِّه ؛ لأنَّ الولد إذا تمَّتْ أيَّامُهُ فى الرّحم ، قَلاَ مكَانَهُ[5] وكرِهَه ، وضاق به موضِعُهُ ، فطلبَ بأنفه مَوضع المخرَجِ ممَّا هو فيه من الكرب ، حتَّى يَصير أنفه ورأسُهُ على فم الرَّحم ، تِلقاءَ فم المخرج. فالأَناء[6] والمكانُ برفعانه فى تلك الجهة ، والولد يلتمِسُ تلك الجهة بأنْفه

---

(١) نبذ ، من باب رمى : بمعنى ألقى ورمى . ط : ه : « ينفذها » ، صوابه فى س وفى أمثال الميدانى (١ : ٣٥١) حيث نقل كلام الجاحظ ولم يصرح بذلك .

(٢) الرأل : فرخ النعام . ه : « لعقبيه » محرفة .

(٣) س : « يشم » .

(٤) كذا جاء . وروى صدره فى كنايات الجرجانى ٢٧ : « من كان لا يغضب لمطلب أنفه » ، وكنايات الثعالبى ٧ : « وإذا الكريم أضاع مطلب أنفه » ، واللسان (أنف) : « وإذا الكريم أضاع موضع أنفه » . وعجزه عند الجرجانى « من أمه أو عرسه » ، والثعالبى : « أو عرسه لكريهة » أى كما عند الجاحظ . واللسان : « أو عرضه لكريهة » .

(٥) قلاه ، كرماه ورضيه ، قِلًى وقَلاءً ومَقْلِيَة : أبغضه وكرهه غاية الكراهة .

(٦) الأناء ، بالفتح : أن يحين الشىء .

ولولا أنّه يطلبُ الهواءَ من ذاته ، ويكرهُ مكانَه من ذاته ، ثم خرج إلى عالَمٍ آخَرَ خلافِ عالمه الذى رُبِّى فيه ، لَمَاتَ ؛ كما يموت السَّمَكُ إذا فارقه الماء . ولكنَّ الماءَ لمّا كانَ قابلاً لطباع السمك [غاذياً[1] لها ، والسَّمكُ[2]] مريداً له ، كان فى مفارقته له عطَبُه . وكان فى مفارقة الولد لجَوْف البطن واغتذائه فضلاتِ الدَّم ، [مَالَا يَنْقُصُ[3]] شيئاً من طباعِه وطباع المكان الذى كان له مَرَّةً مَسْكناً . فلذلك قال الشَّاعر الجاهلىّ :

والمرءُ لم يغضب لمطلَبِ أنفه أو عِرسه لكريهةٍ لَمْ يغضَبِ[4]

يقول : متى لم يَحْمِ فرجَ أمِّه وامرأته ، فليس مِمَّن يغضب من شىء يؤُول إليه .

(قول المتكلِّمين فى صمم الأخرس)

١٣٠ وزعم المتكلِّمون أنَّ الأخرسَ أصمُّ ، وأنَّه لم يُوتَ من العجْز عن المنطق لشىء فى لسانه ، ولكنَّه إنما أُتِىَ فى ذلك ؛ لأنّه حين لم يسمع صوتاً قطُّ ، مؤلَّفاً أو غير مولَّف ، لم يعرف كيفيَّته فيقصدَ إليه . وأنَّ جميع الصُّمّ ليس فيهم مُصْمَت[5] ، وإنما يتفاوَتُون[6] فى الشدَّةِ واللِّين ؛ فبعضهم يَسمع الهدّة والصَّاعقة ، ونَهيق[7] الحمار إذا كان قريباً منه ،

---

(١) س : « عاريا » صوابه فى هـ .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) ليست بالأصل . وبمثلها يتم الكلام .

(٤) سبق هذا البيت فى ٤٠٣ . وموضع عجزه فى كل من ط ، هـ كلمة : « البيت » .

(٥) مصمت : أى تام الصمم خالصه .

(٦) فى الأصل : « يتقاربون » .

(٧) ط ، هـ : « ونعيق » ، وإنما النعيق للغراب والبوم . وصوابه فى س .

والرَّعد الشديدَ ، لا يسمَعُ غير ذلك . ومنهم من يَسمع السِّرار[1] ، وإذا رفَعْت له الصَّوتَ لم يسمَعْ . ومتى كلَّمته وقرَّت الشِّكاية[2] فى أذنه ، فهِمَ عنك كلَّ الفهم . وإن تَكلَّمْت على ذلك المقدارِ فى الهواء ، ولم يكن ينفُذُ فى قناةٍ تحصُرُه وتجمعُه ، حتَّى تُؤَدِّيَه إلى دِماغه – لم يفهمه .

فالأصمُّ فى الحقيقة إنَّما هو الأخرس ، والأخرس إنَّما سمِّى بذلك على التشبيه والقرابة . ومتى ضَرَبَ الأصمُّ من النَّاس إنساناً أو شيئاً غيرَه ، ظنَّ أنَّه لم يبالِغْ ، حتَّى يسمعَ صوتَ الضربة . قال الشَّاعر[3] :

أشَارَ بِهِمْ لَمْعَ الأصمِّ فأقْبَلُوا   عَرَانِينَ ، لا يأتيه للنَّصرِ مُحْلِبُ[4]

وقال الأسَدِىّ :

وَأُوصيكُمُ بطِعَانِ الكُمَاةِ   فقَدْ تعلمُونَ بأنْ لا خُلُودَا[5]

---

(١) السرار ، بالكسر : مصدر ساره يساره : حدثه فى أذنه .

(٢) كذا فى ط . وفى س : « وطرت السكاية » ، ه : « وطرت الشكاية » .

(٣) هو بشر ، كما فى اللسان (صمم) . يعنى بشر بن أبى خازم . وهو شاعر جاهلى قديم . وبشر بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة . و خازم بالخاء والزاى المعجمتين . الخزانة (٤ : ٣٣٦ سلفية) .

(٤) فى اللسان : « ويقال للنذير إذا أنذر قوما من بعيد، وألمع لهم بثوبه : لمع بهم لمع الأصم . وذلك أنه لما كثر إلماعه بثوبه كان كأنه لا يسمع الجواب ، فهو يديم اللمع » . وعرانين الناس : وجوههم وسادتهم وأشرافهم ، مأخوذ من عرنين الأنف، وهو رأسه . والمحلب : من يعين المرء من غير قومه . يقول: هو لا يعينه أحد من غير قومه . فى الأصل: « مخلب » وتصحيحه من اللسان (حلب) . ويروى أيضاً : « مجلب » بالجيم ، كما فى اللسان (صمم) وفى اللسان (جلب) : « وأجلبه : أعانه » . والرواية بالحاء المهملة أجود وأصح . وقبل البيت :

وينصره قوم غضاب عليكم   متى تدعهم يوما إلى الروع يركبوا

(٥) رواية اللسان (صمم) : « فأوصيكم » . وقبل هذا البيت :

فأبلغ بنى أسد آية   إذا جئت سيدهم والمسودا

وضَرْبِ الجماجمِ ضَرْبَ الأصَــ ـمِّ حَنْظَلَ شَابَةَ يَجْنى الهبيدا[1]

وقال الهذلىُّ[2] :

فالطعْنُ شَغْشَغَةٌ والضَّرْبُ مَعْمَعَةٌ ضَرْبَ المُعَوِّلِ تحتَ الدِّيمَةِ العَضَدا[3]

وإنمَا جعله تحتَ الدِّيمة ؛ لأنَّ الأغصــانَ والأشجارَ تصــير ألْدَنَ وأعْلَكَ ، فيحتاج الذى يضربُ تلك الأُصولَ قبل المطر ، إلى عشر ضَرَباتٍ حتَّى يقطع ذلك المضروب ؛ فإذا أصابه المطَرُ احتاج إلى أكثَرَ من ذلك .

---

(١) وضرب الجماجم : أى وأوصيكم بضرب رءوس الأعداء . والأصم الذى عنى ، هو الظليم من النعام . وشابة : موضع بنجد . وفى الأصل : « شأنه »، وصوابه من اللسان (شوب وصمم) . والهبيد : حب الحنظل ، وهو أحب طعام إليه . وفى الأصل : « الوليدا » وهو تحريف . وفى اللسان : « هبيدا » .

(٢) هو عبد مناف بن ربع الجربى ، شاعر جاهلى من شعراء هذيل . و (ربع) بكسر الراء بعدها باء موحدة ساكنة . والجربى ، كقرشى : نسبة إلى جريب ، كقريش ، وهو بطن من هذيل . والبيت من قصيدة ذكر قصتها البغدادى فى الخزانة (٣ : ١٧٢ بولاق) وهى اثنا عشر بيتا . وقد نسب صاحب العمدة : (١ : ٢٠١) البيت إلى أبى كبير الهذلى . وليس بذاك . وقد نسبه العسكرى فى ديوان المعانى (٢ : ٥٥) إلى عبد مناف بن ربعى . صوابه « ربع » كما فى الخزانة واللسان (شغشغ ، هقع ، عول ، عضد) . وفى اللسان (عول) : « قال ابن برى : الصحيح أن البيت لساعدة بن جؤية الهذلى » .

(٣) الشغشغة بغينين معجمتين : تحريك السنان فى المطعون ليتمكن منه . وفى الخزانة : « شفشقة » . وفى الأصل وديوان المعانى : « شعشعة » ، وهما تحريف ما أثبت من اللسان والمخصص (٥ : ١٣٥) والعمدة . والمعمعة : شدة الحرب والجد فى القتال . والمعمعة أيضاً : الدمشقة ، وهى عمل فى عجل . ط ، هـ : « مقمعة » وأثبت ما فى س . والرواية فى جميع المصادر : « هيقعة » . والهيقعة : صوت السيوف . والمعول ، بكسر الواو المشددة : الذى يتخذ العالة ، وهى شجر يقطعه الراعى أو الرائى فيستظل به من المطر . والعضد ، بالتحريك : ماقطع من الشجر .

(تحقيق معنى شعرى)

وأنشدنى يحيى الأغر[1] :

كَضَرْبِ القُيونِ سَبِيك الحديــدِ يومَ الجنائب ضرباً وَكيدا[2]

فلم أعرفه ، فسألتُ بعضَ الصَّياقلة فقال : نعم ، هذا بَيِّنٌ معروف . إذا أخرَجْنا الحديدةَ من الكِيرِ فى يومِ شَمال[3] ، واحتاجت فى القطع إلى مائة ضربةٍ ، احتاجَت فى قطْعها يومَ الجَنُوب إلى أكثر من ذلك ، وإلى أشدّ من ذلك الضَّرب ؛ لأنّ الشمالَ يُيَبِّسُ ويقصِف ، والجنوب يرطِّب ويلدِّن .

(الأخرس)

والإنسان أبداً أخرسُ ، إذا كان لا يسمع ولا يتبيَّن الأصواتَ التى تخرج من فيه ، على معناه[4] . ويقال فى غير الإنسان ، على غير ذلك .

قال كثيِّر :

ألم تَسْألى يا أمّ عَمْرٍو فتَخْبَرِى ... سَلِمْتِ وأسقاكِ السّحابُ البوارقُ ١٣١

بُكيًّا لصَوتِ الرَّعدِ خُرسٌ روائح ... ونعق ولم يُسْمَعْ لهن صواعق[5]

(١) هـ : « الأعز » .

(٢) القيون : جمع قين ، بالفتح ، وهو الحداد . والجنائب : جمع جنوب ، وهى الريح التى تقابل الشمال . والوكيد : الشديد الصائب .

(٣) أى يوم ريح شمال .

(٤) أى على المعنى الحقيقى للخرس .

(٥) هـ : « روامج » بدل : « روائح » . ونعق ، كذا وردت . وانظر ديوان كثير (١ : ١٤٠)

وتقول العرَب : « مازلت تحتَ عينٍ خرساء » . والعين : السحابة تبقى أيّاماً تمطـر . وإذا كثر ماؤها وكثُف ، ولم يكن فيهـا مخارق لم تمدح ببرق[1] .

(سرعة الضوء وسرعة الصَّوت)

ومتى رأيتَ البرقَ سَمِعتَ الرَّعْدَ بعدُ . والرّعدُ يكون فى الأصل قبلَه ولكنَّ الصَّوتَ لا يصل إليك فى سرعة البرق ؛ لأنَّ البارقَ والبصر أشدُّ تقارباً من الصَّوتِ والسَّمْع . وقد ترى الإنسانَ ، وبينك وبينه رحْلةُ فيضرب بعَصًا إمَّا حَجَراً ، وإمّا دَابَّةً ، وإمَّا ثوباً ، فترى الضَّرْب[2] ثمّ تمكثُ وقتاً إلى أن يأتيَك الصَّوت .

(السحابة الخرساء)

فإذا لم تصوِّت السَّحابة لم تبشِّر بشيء ، و [إذا[3]] لمْ يكن لها رِزٌّ[4] سمِّيت خرْساءَ .

(الصخرة الصَّمَّاء)

وإذا كانت الصَّخرةَ فى هذه الصِّفة سمِّيت صماء . قالَ الأعشَى :

وإذَا تجيءُ كَتيبــةٌ ملمُومَـــةٌ   مَـكْرُوهَةٌ يخشى الـكمَاةُ نِزَالها

وعلى غير هذا المعنى قال كثيِّر :

كأنى أنادى صَخْرَةً، حِينَ أَعْرضَتْ،   من الصُّمِّ لو تمشى بها العُصْمُ زَلَّتِ

---

(١) انظر الاستدراكات .

(٢) س : « الضربة » .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) الرز ، بالكسر : الصوت تسمعه من بعيد ، أو الصوت مطلقاً .

ومن هذا الشّكل قولُ زُهير :

وتَنُوفَةٍ عَمْيــاء لا يَجتــازُها إلا المشيَّعُ ذُو الفُؤاد الهــادى[١]
قَفْرٍ هجَعْتُ بها ، ولستُ بنائمٍ ، وذِراعُ مُلْقِيَةِ الجِـرّانِ وِسادِى[٢]
ووقَعْتُ بَيْنَ قُتُودِ عنْسٍ ضامِرٍ لَحَّاظَةٍ طَفَلَ العشىِّ سِنَادِ[٣]

فجعل التَّنُوفَةَ عَمْياء[٤] ، حين لَمْ تكن بها أمارات .

(الزَّبابة)

ودابَّة يقال لها الزَّبابَة[٥] ، عمياء [صَمَّاء[٦]] ، تشبه الفأرة ؛ وليست

---

(١) المشيع ، بفتح الياء المشددة : الشجاع ؛ لأن قلبه لايخذله ، فكأنه يشيعه . والفؤاد الهادى : المهتدى ، أو الذى يهدى صاحبه .

(٢) قفر ، يقال أرض قفر ، ومفازة قفر وقفرة أيضاً . فهى مما يوصف به المؤنث ، صفة لتنوفة . والهجوع ، هنا ، بمعنى الاضطجاع ، نوما كان ، أو غير نوم . المخصص (٥ : ١٠٤) . وملقية الجران ، عنى بها ناقته . ألقت جرانها : وضعت باطن عنقها على الأرض ، تستريح بذلك . ومثل هذا البيت فى معناه قول الآخر (الخزانة ٤ : ٤٨٠ بولاق) :

يارب سار بات ماتوسدا إلا ذراع العنس أو كف اليدا

(٣) القتود : جمع قتد ، بالتحريك ، وهو أداة الرحل . والعنس ، بالفتح وبالنون الساكنة : الناقة الصلبة . ووقعت ، هنا ، كأنه من الوقعة ، بالفتح : وهى النومة فى آخر الليل . وطفل العشى : آخره عند غروب الشمس واصفرارها . وإنما تكثر اللحظ فى ذلك الوقت لما يداخلها من الحنين إلى ولدها ، فتتعجل الأوبة ويظهر نشاطها . والسناد ، بالكسر : الشديدة الخلق ، قال ذو الرمة :

جمالية حرف سناد يشلها وظيف أزج الخطو ظمآن سهوق

وفى الأصل : « سنادى » ، والوجه ما أثبت .

(٤) فى الأصل : « عيا » ، تحريف .

(٥) الزبابة بفتح الزاى ، بعدها باء موحدة . ط ، س : « الزيابة » هـ : « الذبابة » ، صوابهما ما أثبت .

(٦) ليست بالأصل . وأثبت ماتقتضيه المقارنة الآتية .

بالخلد ؛ لأنَّ الخُلْدَ أعمى وليس بأصمَّ .

والزَّباب[1] يكون فى الرَّمل .

وقال الشاعرُ[2] :

وهُـــمُ زبَابٌ حائر لاتَسْمَعُ الآذَانُ رَعْـــدَا[3]

(الأعمى من ولد الحيوان)

وكلُّ مولودٍ فى الأَرض يُولد أعَمى ، إن كان تأويل العمَى[4] أنّهُ لا يُبصر إلاَّ بعد أيام . فمنه ما يفتح عينيه بعد أيَّامٍ كالجِرْوِ[5] ؛ إلاّ أولادَ الدَّجاج ؛ فإنَّ فراريجها تَخْرُجُ من البيض كاسِيَة كاسِبة .

(شعر فيه مجون)

وقال أبو الشَّمقْمق — وجعل الأيْر أعمى أصمَّ على التشبيه — فقال :

فسلَّمْ عليه فاتِرَ الطَّرْفِ ضاَحِكًا وصوَّت له بالحارثِ بن عُبادِ

---

(١) ط ، هـ : « الذباب » ، صوابه فى س .

(٢) هو الحارث بن حلزة ، كما فى عيون الأخبار (٢ : ٩٥ — ٩٦) : واللسان (زبب) .

(٣) أى لا تسمع آذانهم صوت الرعد . والبيت محرف فى الأصل س ، هـ : « فهو رباب » ط : « فهو ذباب » ، وفى الجميع : « لايسمع » و هـ : « الأذانل » مكان : « الآذان » وأثبت صحة الرواية من الحيوان (٥ : ٢٦٠) وعيون الأخبار واللسان .

(٤) س : « أعمى » . هـ : « لعمى » وهذه محرفة . وأثبت ما فى ط .

(٥) الجرو ، مثلثة : ولد الكلب والأسد والسباع . ط ، هـ : « كالجرذ » س : « كالحرذ » ، صوابهما ما أثبت . وفى (٢ : ٢٨٨) : « وجرو الكلب يكون أعمى عشرة أيام وأكثر . وقد يعرض شبيه بذلك لكثير من السباع » .

بأصْلعَ مِثْلِ الجرْوِ جهْمٍ غضَنْفَرٍ   مُعَاوِدِ طَعْــنٍ جَائفٍ وسناد[1]
أصمّ وأعْمَى يُنْغِضُ الدَّهْرَ رَأسَهُ   يســير على مَيْلٍ بغير قيادِ[2] ١٣٢

(قولٌ لمن زعم أن النعامة تسمع ، وردٌّ عليه)

و [قال] مَنْ زعَم أنَّ النَّعــامة تسمَع : يدلُّ على ذلك قول طَرَفَةَ :

هَلْ بِالدِّيارِ الغَدَاةَ من خرَسِ   أمْ هَلْ بِرَبْعِ الجميعِ مِنْ أَنَسِ[3]
سِــوَى مَهاة تَقْرُو أَسِرَّتَه   وَجُؤْذُرٍ يَرْتَعِي على كُنُسِ[4]
أو خاضــبٍ يرتعى بهِــقْلَتِهِ   متى تَرُعْهُ الأَصْــوَاتُ يهتجِس[5]

فقد قال طَرَفة كما ترى :

* متى ترُعْهُ الأصوات يهتجس *

وقال الآخر : جوابُنا فى هذا هو جوابنا فيما قبله .

---

(١) الطعن الجائف : الذى يصل إلى الجوف .

(٢) أنغض رأسه : حركه إلى أسفل وأعلى . فى الأصل : « ينفض » بالفاء ، وأراها محرفة . ط ، س : « على مهل » ، وأثبت ما فى ه ، وهو أجود .

(٣) الأنس ، بالتحريك : الحى المقيمون . س : « جرس » موضع : « خرس » تحريف .

(٤) المهاة : البقرة الوحشية . تقرو : تقصد . والأسرة : جمع سر ، بالكسر ، وهو من الوادى : أفضل موضع فيه . والجؤذر : ولد البقرة الوحشية . وفيه مع الهمز لغتان : الجؤذر بضم الجيم والذال ، وبضم الجيم وفتح الذال . وانظر سائر اللغات فى القاموس . والكنس ، بضمتين : جمع كناس ، بالكسر ، وهو بيت الوحش كما فى فقه اللغة ٣٠٤ طبع الحلبى . وفى شرح التبريزى للمعلقات ١٣٠ : « وهو شىء يتخذه الظباء ، تجذب أغصان الشجرة ، فتقع إلى الأرض ، فيصير بينها وبين ساق الشجرة مدخل تستظل به » .

(٥) الخاضب : الظليم احمرت ساقاه . يرتعى بهقلته : يرعى مع أنثاه الفتية . يهتجس : فى القاموس : « هجسه : رده عن الأمر فانهجس » . ونحوه فى اللسان . فلعل يهتجس وينهجس فعلان مطاوعان لهجسه ، وإن لم تذكر المعاجم أولهما .

(فكاهة)

وروى الهيثم بنُ عديّ ، وسمعه بعضُ أصحابنا من أبي عبيدة ، قال : تضارَط أعرابيَّان عند خالد بن عبد الله[1] ، أحدُهما تميميٌّ والآخر أزْديٌّ ؛ فضَرَط الأزْديُّ ضَرْطةً ضئيلة ، فقال التميميّ :

حَبَقْتَ عَجِيفاً مُحْثَلاً ولوَ أنّنِي حَبَقْتُ لأَسْمَعْتُ النَّعامَ المشَرَّدَا[2]
فــرَّ كمــرِّ المنجَنِيق وَصوْتُهُ يبذُّ هَزِيمَ الرَّعْدِ ، بدءًا عَمَرَّدا[3]

(مَنْ لقَبَه : نَعامة)

وزعم أبو عمرو الشَّيبانيُّ عن بعض العرب ، أنّ كلّ عربيّ [وأعرابيّ] كان يلقَّب نَعامة ، فإنما يلقَّب بذلك لشدّةِ صَمَمِه . وأنَّهُ سأله عن الظليم : هل يسمع ؟ فقال : يَعرِفُ بأنفه وعينِه ، ولا يحتاج معهما إلى سَمْع .

وَأَنْشَدَنِي :

فَجِئْتُكَ مِثْلَ الهِقْلِ يشمّ رَألَهُ ولا عَرْفَ إلاّ سَوْفُهَا وَشَمِيمُها[4]

---

(١) هو خالد بن عبد الله القسرى .

(٢) العجيف : المهزول . ولم يذكر فى اللسان والقاموس بمادة (عجف) . والمحثل ، بالحاء المهملة بعدها مثلثة مفتوحة : الهزيل . وفى الأصل : « مجتلا » محرف .

(٣) المنجنيق ، وتكسر الميم : آلة ترمى بها الحجارة ، مؤنثة وقد تذكر ، فارسيتها : من جه نيك ، أى أنا ما أجودنى . يبذ : يغلب ويفوق . وهزيم الرعد : صوته . والبدء ، بالفتح : أصل معناه السيد والشاب العاقل . وبدءا : حال ثانية من ضمير « مر » . ط ، س : « بده » ه : « بداء » محرفتان عما أثبت . والعمرد ، كعملس : الطويل . وانظر نحو هذا المعنى فى (٦ : ٤٦٩) .

(٤) العرف ، بالفتح : الريح طيبة أو غير طيبة . والسوف ، بالفتح : الشم . وفى ط ، ه : « وشوءها » س : « ثوءها » . وهما كلمتان محرفتان لا تنبضان بمعنى . والوجه ما أثبت .

وزعم أنَ لَقَبَ بيهس[1] نَعامة ، وأنّه لقِّب بذلك لأنه كان فى خلق نعامة ، وكان شديدَ الصَّمَم مائقاً[2] . فأنْشَدَ لعدىٍّ بن زَيد[3] :

وِمِنْ حَــذَرِ الأَيَّامِ مَاحَزَّ أَنْفَهُ
قَصِيرٌ وَخَاض الموْت بالسَّيْفِ بَيهسُ[4]

نعامةُ لَمَّا صرَّع القومُ رَهْطَهُ تَبَيّن فى أثْوَابِهِ كيفَ يَلْبَسُ[5]

وقال المتنخِّل الهذَلىُّ[5] ، وذكر سَيْفاً :

مُنْتَخَبُ اللّبِّ لهُ ضَرْبَة خَدْباءُ كالعَطِّ من الخِذْعِلِ[6]

---

(١) بيهس : رجل من بنى فزارة بن ذبيان . وله حديث وقصة فى الأغانى (٢١ : ١٢٢ — ١٢٤)، ونقلها عنه صاحب الخزانة فى (٣ : ٢٧٢ — ٢٧٣ بولاق) . وذكره الميدانى فى مثل : « ثكل أرأمها ولدا » .

(٢) مائقاً : أى أحمق . والموق بالضم والفتح : الحمق . هذا . وقد زعم أبو الفرج أنه إنما سمى نعامة بقوله :

فلأَطْرُقَنْ قَوْمًا وَهُمْ نِيَامُ وَأَبْرُكَنْ بِرْكَةَ النَّعَامَهْ

(٣) الحق أن قائل الشعر هو المتلمس الضبعى ، من قصيدة فى ديوانه المخطوط ، وكما فى الأغانى وحماسة أبى تمام (١ : ٢٦٨) والبحترى ١٩ وأمثال الميدانى (١ : ١٣٨ ، ٢١٦) ومروج الذهب (١ : ٢٩٢) والخزانة ، ومعاهد التنصيص (١ : ٢٤٨) . وقد ذكر الجاحظ البيتين فى البيان (٤ : ١٧) ولم ينسبهما .

(٤) قصة قصير متداولة فى الكتب . وانظر المراجع المتقدمة . واسمه قصير بن سعد اللخمى . ورواية البيان : « ولاق الموت بالسيف » ، والمروج ، والأغانى، والخزانة،والميدانى : « ورام الموت » . رام : طلب .

(٥) المتنخل ، بكسر الخاء المشددة ، اسم فاعل من تنخل ، لقب مالك بن عويمر الهذلى شاعر من شعراء هذيل . وهو جاهلى كما فى الخزانة (٤ : ١١٠ سلفية) . وفى الشعراء من يقال له : (المتنخل السعدى) ذكره الآمدى فى المؤتلف ١٧٩ .

(٦) منتخب اللب : أى منتزع العقل ، فهو فى هوجه كالمجنون . ورواية اللسان : (خذعل) : « تنتخب اللب » . والخدباء ، بفتح الخاء : الهوجاء . وفى الأصل : « حدباء »، تصحيحه من اللسان . كالعط من الخذعل : أى كالشق من ثوب الخِذعل وهو بكسر الخاء والعين : المرأة الحمقاء ، أو ثياب من أدم يلبسها الرعن =

يقول : هذا السَّيف أهوجُ لاعَقْل له . والخَدَب[1] فى هذا الموضع : الهوَج[2] ، وتهاوِى الشىءِ لَايَتمَالك . ويقال للسَّيف : لايُبالى مالَقِىَ .

(شعر فى النعام والتشبيه به)

وقال الأعشى فى غير هذا الباب :

كَحَوْصَلةِ الرَّأْلِ فى جَرْيِهَا إذا جُلِيَتْ بَعْدَ إقْعَادِها[3]

١٣٣ « كحوصلة الرَّأل » يصف الخمْرَ بالحُمرة . جليت : أخرجت ؛ وهو مأخوذ من جَلوة العروس القاعدة ، إذا قَعَدَت عن الطَّلَب[4] . ومثله فى [غير[5]] الخمر قولُ علقمة :

تأوى إلى حِسْكِلٍ حُمْرٍ حواصِلُه كأنَّهُنَّ إذا بَرَّكْن جُرثومُ[6]

وقال الأخنس بن شهاب[7] :

تَظَلُّ بها رُبْدُ النَّعامِ كأنَّهَا إمَاءٌ تُزَجِّى بالمسَاءِ حَواطبُ[8]

= لتتحمل عبثهم وحمقهم . ط ، ه : « الخزعل » صوابه بالذال ، كما فى س ، واللسان .

(١) فى الأصل : « الحدب » بالحاء، صوابه بالمعجمة .

(٢) الهوج ، بالتحريك : الحمق والرعونة . ه : « الهدج » صوابه ما أثبت من س ، ط .

(٣) فى جريها : أى عند سيلانها وتدفقها من فم الدن . والرأل : فرخ النعام . وحوصلته حمراء ؛ لتجردها من الريش .

(٤) أى عن أن يطلبها الأزواج .

(٥) ليست بالأصل ، ولا يصح الكلام بدونها .

(٦) سبق هذا البيت وشرحه فى ص ٣٦٧ .

(٧) الأخنس بن شهاب ، شاعر جاهلى قبل الإسلام بدهر . الخزانة (٣ : ١٦٩ بولاق) نقلا عن شرح المفضليات ٤١٠ .

(٨) الربد : جمع أربد وربداء ، وهو ما فى لونه غبرة . والإماء : جمع أمة ، بالتحريك وهى المملوكة . والحواطب : اللاتى يجمعن الحطب . وخص المساء ؛ لأن الإماء =

تُزجِّى : تدْفعُ[1] ، وذلك أنَّهُ يثقل حِملها فتمشى مِشْيةَ النَّعامةِ .

وقال الرّاجز[2] :

وإذا الرِّياحُ تَروَّحَتْ بِعَشِيَّةٍ رَتَكَ النَّعامُ إلى كَنِيفِ العَرْفَجِ[3]

والرَّتَكُ : مشيٌ سريع . يقول تبادِرُ إلى الكَنيف[4] تستتر به[5] من البَرْد . وقال :

* رَتْكَ النَّعامةِ فى طريقٍ حامِ[6] *

= المحتطبات يرجعن فيه إلى أهاليهن وقد أعيين ، فهن يمشين على تؤدة . انظر شرح المفضليات. ورواية المفضليات : « بالعشى » مكان : « بالمساء » .

(١) فى الأصل : « ترفع » ، صوابه من اللسان وشرح المفضليات ٤١١ . ويروى : « تَزَجَّى » بنزع إحدى التاءين .

(٢) كذا ، وصوابه : « الشاعر » . وهو الحارث بن حلزة اليشكرى ، من قصيدة مفضلية ٢٥٥ أولها :

طرق الخيال ولا كليلة مدلج سدكا بأرحلنا ولم يتعرج

(٣) كذا أنشد الجاحظ هذا البيت . وتفسيره الآتى يشهد لصحة هذا النص عنده هو ، وكذا صحة ماضبطت به البيت . لكن صواب الرواية والضبط ، هو كما فى المفضليات ٥٢٦ :

وإذَا اللِّقَاحُ تَرَوَّحَتْ بِعَشِيَّةٍ رَتْكَ النَّعامِ إلى كَنِيفِ العَرْفَجِ

وبعده :

أَلْفَيْتَنَا للضيف خَيْرَ عِمَارَةٍ إنْ لَمْ يَكُنْ لَبَنٌ فَعَطْفُ المُدْمَجِ

اللقاح : الإبل ، وأحدها لقوح ، بالفتح . تروحت بعشية : سارت فى آخر النهار راجعة إلى مأواها . رتك النعام : أى مثل رتك النعام . والرتك ، بالفتح والتحريك : مقاربة الخطو . والكثيف : الملتف. وأما الكنيف ، بالنون، فهو حظيرة تعمل من شجر تأوى إليها الإبل . والعرفج : شجر .

(٤) س : « الكثيب » محرف . وفى الكلام نقص ، اصله « الكثيف من العرفج » .

(٥) س : « تستتر به » . ولعلها صحيحة . وقالوا : انسرب الوحشى : دخل فى كناسه .

(٦) طريق حام : أى حمى رمله بما ضربت فيه الشمس . وهو أشد لرتك النعامة .

(استقبال الظليم للريح)

وليسَ لقولِ مَنْ زعم أنَّ الظليم إذا عدا استقبَل الرِّيح [وإنما ذلك مخافةَ أن تكونَ الرِّيحُ من خلفه فتكبِتَه(١) — معنًى ؛ لأنَّا نجدُهم يصفون جميع مايستدعونه(٢) باستقبال الرِّيحِ] . قال عَبْدة بن الطَّبيب ، يصف الثَّور :

مستقبل الرِّيحِ يهفُو وهو مبترِكٌ لسانُه عَنْ شِمالِ الشِّدْقِ مَعْدُولُ(٣)

ووصف الذِّيبَ طُفيلٌ الغَنَويُّ ، فقال :

كسِيدِ الغَضَا العادِى أضَلَّ جِرَاءَهُ عَلَى شَرَفٍ مُسْتَقْبِلَ الرِّيح يلحَب(٤)

---

(١) تكبته : تصرعه لوجهه ، كبته يكبته كبتاً فانكبت . وممن ذهب هذا المذهب شارح ديوان طفيل ص ٢٣ قال : « وكل دابة أو ضامر إذا جرت استقبلت الريح ، لأنها إذا استدبرتها كمعتها وألقتها » .

(٢) كذا بالأصل . ولعلها : « يستسرعونه » ، أى يعدونه سريعا . وقد علل الأمر صاحب اللسان بقوله : « وامتخر الفرس الريح واستمخرها : قابلها بأنفه ؛ ليكون أروح له » .

(٣) يهفو : يشتد عدوه . قال بشر بن أبى خازم يصف فرساً :

يُشَبِّهُ شخْصُها وَالخَيْلُ تَهْفُو هُفُوًّا ظِلَّ فَتْخَاءِ الجَنَاحِ

وابترك : انتحى على أحد شقيه فى عدوه . ط : هـ : « مشتبك » س : « مشترك » صوابهما من المفضليات ١٤٠ . والشدق هى فى س : « السدق » هـ : « السدف » صوابهما فى ط والمفضليات . وأول البيت فى كل من ط ، هـ : « يستقبل » وأثبت رواية س والمفضليات .

(٤) السيد ، بالكسر : الذئب . والغضا : نبت تلجأ إليه الذئاب . وذئاب الغضا أخبث الذئاب . ط : « العاوى » هـ : « العارى » ، صوابهما فى س . ورواية الديوان : « الغادى » . أضل جراءه : فقد أولاده ، فهو يسرع فى عدوه مجتهدا ليبحث عنها . والشرف : الأرض العالية . ورواية الحيوان : « عَلاَ شَرَفًا » . يلحب : —

(استطراد)

ويُلحَق[1] بموضع ذِكْر الضَّربِ الشديد ، قولهم فى المثَل : « ضرَبْنَاهُمْ ضَرْبَ غَرَائب الإبِلِ » . قال أبو حيَّة :

جَدِيرُونَ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنْ يخضِبُوا القَنَا
وَأَنْ يترُكوا الـكَبْشَ المدجَّجَ ثاويا[2]

ضَرَبْنَاهُمُ ضرب الحسـاما غرائب
وإذا جاءك عطاشا لعسا حراراً ضواريا[3]

وإذا جاءت عِطاشاً قَدْ بلَغ منْها العطشُ واليُبْسُ ، قيل : جاءتْ تَصِلُّ

= يمر مرا سريعاً . وفى الأصل : « يلهث » ، صوابه ماأثبت . والبيت من قصيدة بائية لطفيل ، أولها :

تَـأَوَّبَنِي هَمٌّ من الليلِ مُنْصِبُ وجَاءَ مِنَ الأَخْبَـارِ مالا أُكَذِّبُ

وهو قد نعت بالبيت الذى أنشده الجاحظ فرسا شبهه بالذئب . وقبل البيت :

كأنَّ على أعرافِهِ ولجـامِهِ سَنَـا ضَرَمٍ مِنْ عَرْفجٍ يتلهبُ

(١) الكلام من هنا إلى قوله فى الصفحة الآتية : « وزعم ابن أبى العجوز » ، استطراد من الجاحظ لاعلاقة له بالكلام السابق .

(٢) القنا : الرماح . يخضبونها : أى بدماء الأعداء . والكبش : القائد ، أو الرئيس . المدجج : ذو السلاح . ثاويا : مقتولا . ﻫ : « الكيس » س : « الكبس » س ، ﻫ : « المحدد » مكان : « المدجج » ، ﻫ : « قاويا » . وصـواب رواية البيت من ط .

(٣) هذا البيت ساقط من س . ﻫ : « وإذا جاءت » . وهو كلام محرف مشيأ ، لم أجد له مرجعا يعين على تحقيقه .

أجوافها صَليلا . قال الرَّاعى :

فَسَقَوْا صوادِىَ يَسْمَعُون عشيَّةً لِلْماءِ فى أجوافِهِنَّ صَلِيلَا

قال : وأنشدنا أبو مَهديَّة ، لمزاحمٍ العُقَيلىّ[1] :

غَدَتْ مِنْ عَليه بعدَ ماتمَّ ظِمْؤُها تَصِلُّ، وَعَنْ قَيْضٍ بِزَيزَاءِ مَجْهَلِ[2]

قال : الزِّيزاءُ[3] : المكان الغليظ .

وقال آخر[4] :

ألَمْ تَعلمى يا أمَّ حَسَّانَ أنَّنِي إذا عَبْرَةٌ نَهْنَهتُها فَتَجلَّتِ[5]

١٣٤ رجَعت إلى صَدْر كجرَّةِ حَنتَم إذا قُرِعَتْ صِفْرًا مِنَ الماءِ صلَّتِ[6]

(١) هو مزاحم بن عمرو ، شاعر بدوى إسلامى ، صاحب قصيد ورجز ، كان فى زمن جرير والفرزدق ، وكان جرير يصفه ويقرظه ويقدمه . الأغانى (١٧ : ١٥٠) .

(٢) أى أقامت مع فرخها حتى عطشت وطلبت الماء ، فطارت لذلك عند تمام ظمئها . والظمء ، بالكسر : مابين الشربين أو الوردين . وروى فى الكامل والمخصص (١٤ : ٥٧) : « تم خمسها » . وهو بالكسر : ورود الماء فى كل خمسة أيام . قال أبو حاتم : ولم يرد أنها تصبر عن الماء خمسة أيام ، إنما هذا للإبل لا للطير ، ولكنه ضربه مثلا . ابن السيد فى الاقتضاب ٢٤٨ . وقد تكلم كثير من العلماء فى هذا البيت ، فى دخول : « من » على « على » . انظر أدب الكاتب ٣٨٣ وابن سيده (١٤ : ٥٧) والبغدادى (٤ : ٢٥٣ بولاق) واللسان (صلل) . ط : « بعدما » تحريف . والقيض ، بالفتح : قشر البيضة الأعلى . والزيزاء ، بالكسر والفتح : ماغلظ من الأرض . ه : « عن قبض بزيراء » محرف . قال أبو حاتم : قلت للأصمعى : كيف قال : غدت من عليه ، والقطاة إنما تذهب إلى الماء ليلا ، لا غدوة ؟ فقال : لم يرد الغدو ، وإنما هذا مثل للتعجيل . والعرب تقول : بكر إلى العشية ، ولا بكور هناك .

(٣) ه : « الزيراء » ، محرف .

(٤) هو عمرو بن شأس ، كما فى اللسان (حنتم) والأغانى (١٠ : ٦١) . وعمرو ابن شأس شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام وهو شيخ كبير . شرح التبريزى للحماسة (١ : ١٤٩ بولاق) .

(٥) أم حسان هى زوجه . والعبرة ، بالفتح : الدمعة . نهنهها : كفها . تجلت : ظهرت . وفى الأغانى : « فتخلت » ، والأولى أقوى وأطيب .

(٦) الحنتم : جرار خضر تضرب إلى الحمرة ، وقد يقال للخزف كله حنتم . =

(اختبار أمير المؤمنين المنصور لأحد الحُوّاء)

وزعمَ ابن أبي العجوز الحوّاءُ ، أنَّ الأفاعيَ صُمٌّ ، فلذلك لاتجيب الرُّقَى ، ثمَّ زعم لي في ذلك المجلس[١] أنَّ أميرَ المؤمنينَ المنصورَ ، أراد امتحان رُقَى حَيَّة[٢] وأنْ يتعرَّف صحَّتها من سُقْمها ، وأنَّهُ أمَرَ[٣] فصاغوا له أفْعًى من رَصاص ، فجاءت ولا يَشُكُّ النَّاظر فيها ؛ وأنَّهُ أمر[٤] بإلزاقها في موضعٍ من السَّقف ؛ وأنَّهُ أحضرهُ وقال [له] : إنَّ هذه الأفعى قد صارَتْ في هذه الدّارِ ، وقد كرِهْتُها لمكانها ؛ فإن احْتَلْتَ لي برُقْيَة ، أو بما أحببْتَ[٥] أحسنتُ إليك . قال : إن أرَدْتُ أنْ آخذها هَرَبَتْ[٦] ولكنْ أرقيها حتى تنزل ! فرقاها فلما رآها لاتتحرَّكُ زادَ في رفْع صوته وألقى قِناعَهُ ، فلما رآها لاتتحرَّكُ نزعَ عِمامتَهُ وزاد في رفعِ صوتِه ، فلما رآها لاتتحرّك نَزَعَ قلنسوتَه وزادَ في رَفْعِ صوتِه . فلما رآها لاتتحرَّك نَزَعَ ثِيابَهُ ، وزاد في رَفْعِ صوْتِه[٧] ، حَتَّى أزْبَدَ[٨] ، وتمرَّغَ

= انظر اللسان والنهاية . صفراً من الماء : خالية منه . وجعل صدره كالجرة من الحنتم ، في صلابتها وشدتها .

(١) بدل هذا الكلام من أول الفقرة في س : « زعم ابن أبي العجوز في ذلك المجلس » .

(٢) س ، ه : « جده » ط : « جد » ، صوابهما ماأثبت . وانظر ٤٢٠ س ٢ .

(٣) ط ، ه : « فأمرهم » .

(٤) ط ، ه : « ثم أمر » .

(٥) ط ، ه : « أحسنت » ، صوابه في س .

(٦) س : « فعلت » .

(٧) الكلام من مبدإ : « وألقى قناعه » إلى هنا ساقط من س .

(٨) ط ، س : « أربد » . ه : « أزيد » ، صوابهما ماأثبت . وأزبد بمعنى ظهر منه الزبد على جانبي الشفتين .

فى الأرض ، فلما فعل ذلك سال ذلك الرَّصاصُ وذابَ ، حتى صار بين أيديهم ، فأقرَّ عند ذلكَ المنصورُ بجودَةِ رُقيته .

فقلت له : ويلك ! زعمتَ قُبَيْلُ أنَّ الأفاعِىَ لاتجيب الرُّقَى ؛ لأنها لاتسمع ، وهى حيوان ، ثمَّ زعمتَ أنَّها أجابت ، وهى جماد ! !

(شعر وخبر فى نفار النعامة)

وقال الشَّاعِرُ :

وربداء يَكفِيها الشَّمِيمُ ومالها ... سِوى الرُّبْدِ من أنْسٍ بتلك المجاهِلِ

يخبر أنَّ النَّعامة لاتستأنسُ بشىء من الوحْش ، وأنَّ الشَّمَّ يغنيها فى فهم ماتحتاج إليه .

وهى مع ذلك إذا صارتْ إلى دور النّاس ، فليس معها من الوحْشة منهم، على قدر ما يذكرون .

وفى الوحش ما يأنس ، وفيها[1] مالا يأنس . وقال كثيِّر :

فأقسَمْتُ لَا أنْسَاكِ ماعِشْتُ لَيْلَةً ... وإنْ شَحَطَتْ دارٌ وَشَطَّ مَزارُهَا[2]

وما استَنَّ رَقراقُ السَّرَاب وما جَرَتْ ... ببيض الرُّبا أنسيُّها وَنَوَارُهَا[3]

---

(١) س : « ومنها » .

(٢) شحطت : بعدت . وشط مزارها : بعد .

(٣) استن السراب : اضطرب . والسراب ، كسحاب : مايرى على وجه الأرض كأنه ماء وليس به ، وهو يبدو فى الفلوات فيخدع السفر يظنونه ماء . وفى الكتاب « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً » . وقد علله العلماء بما يكون من الانعكاسات الضوئية ، فتظهر صورة السماء فى صفحة الأرض ، أو تبدو صورة النخيل البعيدة ، فى وضع مقلوب يخدع الناظر ، فيحسبها ظلالا مرتسمة فى ماء . والأنسى من الحيوان ، يقال بفتح الهمزة والنون ، نسبة إلى الأنس =

ووصف بلادًا قفاراً[1] غيرَ مأنوسة فقال :

ما تَرَى الْعَيْنُ حولَهَا مِنْ أنِيسٍ   قُرْبَهاَ غيرَ رابداتِ الرِّئَال[2]

خصّها بالذِّكْر ؛ لأنها أنْفرُ وأشْرُدُ ، وَأَقَلُّ أنساً من جميع الوحش .

وقال الأحيمر[3] : كنتُ آتى الظَّبْيَ حتَّى آخُذَ بذراعيه ؛ وما كان شيءٌ من بهائم الوحْش ينكرُنى إلاّ النّعام[4] .

وَأنْشَدَ قوْلَ ذى الرُّمّةِ :

وكلّ أحَمَّ المقْلتين كأنَّهُ   أخوالإنسِ من طُول الخَلاءِ المغفّلِ[5]

= والأنسة بالتحريك فى كل منهما بمعنى الائتناس . ويقال بكسرها نسبة إلى الإنس ، بالكسر ، وهم بنو آدم . ويقال بضمها نسبة إلى الأنس ، بالضم ، وهو ضد الوحشة . وأول هذه اللغات أضعفها . وقد أعاد الضمير فى « أنسها » إلى الحيوان ، ولم يذكره ، ولكنه مفهوم ضمنا . والنوار ، بالفتح : النافر الذى لا يستأنس من الحيوان . والرواية فى ديوان كثير (١ : ٩١) : « وحشيها ونوارها » .

(١) س : « أقفارا » .

(٢) الرابدات : المقيمات . ربد ربودا : أقام . والرئال : جمع رأل ، بالفتح ، وهو ولد النعام . وفسرت « الرابدات » فى شرح ديوان كثير (١ : ١٤٨) بأنها « صفة بمعنى الربد جمع ربداء ، وهى التى فى سوادها نقط بيض أو حمر » . ولعل مافسرت به أقرب إلى الاشتقاق . فليس فى المعاجم التى بأيدينا « رابد » بمعنى « أربد » .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ١٣٣) . والخبر فى العقد (٤ : ٢٣٨) وعيون الأخبار (٢ : ٨٨) .

(٤) كذا أورد الجاحظ الخبر مقتضبا ، وهو بتمامه ، كما فى عيون الأخبار (٢ : ٨٨) « كنت حين خلعنى قومى ، وأطل السلطان دمى ؛ وهربت وترددت فى البوادى ظننت أنى قد جزت نخل وبار ، أو قريب منها . وذلك أنى كنت أرى النوى فى رجع الذئاب . وكنت أغشى الظباء وغيرها من بهائم الوحش فلا تنفر منى ؛ لأنها لم تر أحداً قبلى . وكنت أمشى إلى الظبى السمين فآخذه ؛ وعلى ذلك رأيت جميع تلك الوحوش ؛ إلا النعام ؛ فإنى لم أره قط إلا نافراً فزعا » .

(٥) أحم : أسود . والمقلة ، بالضم : حدقة العين . لا وأراد به الظبى . والخلاء المغفل : الذى لا علامة فيه ولا أثر . وضبط « كل » بالنصب ؛ لأن قبل البيت كما فى الديوان ٥٠٥ : =

(نِفار الوحش وهربها من الصحارى)

١٣٥ يدلّ على ذلك فى قدْرِ ما شاهدنا أنّهم يخرجون إلى الصّحارى الأغفال(١) ، التى لم يُذْعَر صيدُها ، ولا يطَؤُها النّاس ، فيأتون الوحْشَ فوضَى هَمَلاً ، ومعهم كلابُهم وفهودُهم تتلوّى(٢) بأيديهم ، فيتقدّمون إلى المواضع التى لو كانوا ابتدءوا الصَّيْدَ مِنْ جهتها لأخَذُوا ما أخذوا . فإذا نفرَتْ وحوشُ هذه الأرْضِ ، ومرَّت بالأرْضِ المجاورَةِ لها ، نفرت سُكّان تلك الأرضِ مع هذه النّوافر ، ولا تعودُ تلك الصّحارَى إلى مثل ما كانت عليه ، مِنْ كثْرَة الوَحْشِ حيناً .

ومتى لم تنفِّرها الأعرابُ بالكلابِ والقِسِيِّ ، ونَصْب الحبائل ، رتَعتْ بقُربهم ، ثمَّ دنتْ منهُمْ أوّلاً فأوّلاً ، حتى تطأ أكنافَ بيوتهم . وهى اليوم فى حَيْرِ(٣) المعتصم بالله(٤) والواثق بالله(٥) على هذه الصّفة .

= دعت مية الأعداد فاستبدلت بها خناطيل آجال من العين خذل

وبعده سبعة أبيات ، ثم :

وكل موشاة القوائم نعجة لها ذرع قد أحرزته ومطفل

تربع له ريع الهجان وأقبلت لها فرق الآجال من كل مقبل

تم البيت : «وكل أحم المقلتين» .

(١) الأغفال : التى لاعلامة فيها ولا أثر .

(٢) س : «ملوى» ! .

(٣) الحير ، بالفتح : البستان ، أو الموضع المطمئن الوسط المرتفع الحروف . ومثله الحائر . جاء فى اللسان : «وبالبصرة حائر الحجاج ، معروف ، يابس لاماء فيه ، وأكثر الناس يسميه الحير ، كما يقولون لعايشة : عَيْشَةُ . يستحسنون التخفيف وطرح الألف» . فى ط ، س : «حيز» ه : «حد» صوابهما ماأثبت .

(٤) المعتصم بالله ، هو محمد بن هارون الرشيد ، بويع بالخلافة سنة ٢١٨ بعد وفاة المأمون ، وهو فاتح عمورية ، وأول من أضاف من الخلفاء اسمه إلى اسم الله تعالى. توفى بسامرا سنة ٢٢٧ .

(٥) الواثق بالله ، هو هارون بن محمد بن هارون الرشيد ، فهو ابن المعتصم . ولى بعد أبيه سنة ٢٢٧ وتوفى بسامرا سنة ٢٣٢ .

(هِجرة الظِّباءِ إلى الناس)

وخبّرنى إبراهيم بنُ السِّنديِّ[1] قال : خبرنى عبدُ الملك بنُ صالح ، وإسحاقُ بن عيسى ، وصالحٌ صاحبُ الموصِل ، أنّ خالدَ بنَ بَرْمَكَ ، بينا هو على سطحٍ من سُطوح القُرى مع قَحْطَبَةَ[2] ، وهم يتغدّون[3] ، وذلك فى بَعض منازلهم[4] ، حين فصلوا من خُراسَانَ إلى الجبل . قال : وبين قحْطَبَةَ وبينَ الأعداء مَسِيرَةُ أيَّامٍ وليالٍ . قال : فبينا خالد يتغدَّى معه وذلك حين نزلوا وبهم كلَالُ السَّير ، وحينَ عَلّقُوا على دوابِّهم[5] ، ونصبوا قُدُورَهُمْ ، وقَرّبُوا سُفَرَهُمْ[6] .

---

(١) هو إبراهيم بن السندى بن شاهك ، يروى عنه الجاحظ كثيراً . وأبوه السندى ابن شاهك ، كان يلى الجسرين ببغداد للرشيد . انظر الجهشيارى ٢٣٦ — ٢٣٧ . وقد نعت الجاحظ إبراهيم بأنه « مولى أمير المؤمنين » . الرسائل ٤٧ ساسى .

(٢) هو قحطبة بن شبيب الطائى ، صحب أبا مسلم الخراسانى وكان شريكه فى إقامة الدعوة العباسية بخراسان ، وقاد جيوش أبى مسلم فكان مظفراً ، غرق فى الفرات سنة ١٣٢ حين ابتدأت الخلافة العباسية هـ : « قرطبة » محرفة . وقحطبة ، بفتح القاف والطاء .

(٣) أى يتناولون الغداء ، بالفتح ، وهو طعام الغدوة ، بالضم ، وهى البكرة ، أو ما بين الفجر وطلوع الشمس . س : « يتغذون » بالذال المعجمة .

(٤) بعد هذا فى س : « وذلك حين نزلوا وبهم كلال السير » ، وهو كلام مقحم سيأتى فى موضعه قريباً .

(٥) فى اللسان : « والعليق : القضيم يعلق على الدابة . وعلقها : علق عليها » . والقضيم : الشعير . ولا تزال هذه العبارة حية عندنا فى مصر ، يستعملها سواس البهائم . هـ : « علفوا على دوابهم » محرفة .

(٦) السفر : جمع سفرة ، بالضم ، وهى طعام المسافر ، وتقال لتلك التى تبسط ويؤكل عليها ، والتى يوضع فيها طعام المسافر .

قال : فَنَظَرَ خالدٌ إلى الصَّحراء ، فرأى أَقَاطِيعَ الظِّباء قد أقبلَت من جهة الصَّحَارَى ، حتى كادت تخالِطُ العَسْكَر ، فقال لِقَحْطَبَةَ : أيُّها الأمير ! نَادِ فى النَّاس : « يا خَيلَ الله ارْكَبى[1] » ؛ فإنّ العدوَّ قد حَثَّ إليكَ السَّير ، وعامّةُ أصحابك لن يسرِجوا ويُلجِموا قبل أن يروا سَرَعانَ الخيل[2] . فقام قحطبة مذعوراً ، فلما لم ير شيئاً يَرُوعه ، ولَمْ يرَ غُبارا قال لخالد : ما هذا الرّأىُ ! قال: أيُّها الأمير ! لا تتشاغل بى وبكلامى ، ونَادِ فى النّاس[3] . أما تَرَى أقاطيعَ الوحْش قد أقبلت ، فارقت[4] مواضعَها حَتّى خالطت الناس ؟ ! إنّ وَرَاءها جَمْعاً عظيما[5] ! . قال : فو الله ما ألجموا وَأَسْرَجُوا[6] حَتّى رَأَوْا ساطِعَ الغبَارِ ، ولا تلبّسوا[7] وتسلّحوا حَتّى رأوا الطليعة[8] . فما التأموا حَتى استوى أصحابُ قحطبَة على ظُهورِ خيولهم . ولولا نَظْرَةُ خالد بنِ برمَكَ وفِراستُهُ ، لقد كان ذلك الجيش اصطُلِم[9] .

---

(١) روى الجاحظ هذا الحديث فى أول ما اختاره « من كلام الرسول ، مما لم يسبقه إليه عربى ، ولم يشاركه فيه عجمى ، ولم يدع لأحد ، ولا ادعاه أحد ، مما صار مستعملا ومثلا سائراً » . البيان (٢ : ١٥) .

(٢) سرعان الخيل ، بالتحريك ، ويسكن : أوائلها . وفى الأصل : « وغاية أصحابك أن يسرجوا » ، صوابه من ابن أبى الحديد (٣ : ٤١٣) .

(٣) كذا فى ه . وفى س : « ناد فى الناس » بإسقاط الواو . ط : « ونادى فى الناس » محرفة .

(٤) كذا بدون ذكر الواو قبله ، على الاستئناف . وفى ابن أبى الحديد بالواو .

(٥) س : « فظيعاً » . وفى ابن أبى الحديد : « وإن وراءها لجمعا كثيفا » .

(٦) أى وضعوا اللجم والسروج على الخيل .

(٧) تلبسوا ، لبسوا ثياب الحرب .

(٨) طليعة الجيش : أولهم . س : « الطلبة » .

(٩) اصطلم الجيش ، بالبناء للمفعول : أبيد ، واستؤصل .

(قصّة فى قوّة الشمّ)

وكان إبراهيم [بنُ[1]] السِّندىّ يحدِّثنا مِنْ صدقِ حِسِّ أبيه فى الشَّمّ ، بشىءٍ ما يحكى مثلُه إلاّ عن السِّباع والذَّرّ والنَّعام . وزعم أنَّ أباه قال ذات يوم : أجدُ ريحَ بولِ فأرة ! ثمَّ تشمَّمَ وأجَالَ أنْفَهُ فى المجلس ، فقال : هو فى تلك الزّاوية ! فنظروا فإذا على طرف البِساط من البلَلِ بقدْر الدِّرْهم ، أو أوْسَعَ شيئاً ، فقضَوْا أنّهُ بولُ فأرة . ٦٣٦

قال : وشَهِدْتُهُ مرَّةً وأَشْرَاطُهُ[2] قيامٌ على رأسِه فى السِّماطين[3] ، فقال : أجدُ ريحَ جَوْرَبٍ عَفِنٍ مُنْتِن ! فتشمَّمْنا بأجمعنا ، فلم نجدْ شيْئاً ، ثمَّ تشمَّمَ وقال : انزَعُوا خُفَّ ذاك . فنزعوا خُفَّه ، فكلَّما مدَّ النازعُ له شيئاً بدا من لِفافته . فما زال النَّتْنُ يكثُفُ ويزدادُ ، حتَّى خلَعَ خُفَّهُ ونزَعَهُ مِنْ رِجْله ، فظهَرَ من نَتْنِ لِفافَتِهِ ماعُرِفَ به صِدْقُ حِسِّه . ثمَّ قال : انزَعُوا الآنَ أخْفافَكُمْ بأجمعكم ، فلا بُدَّ من ألاَّ يكونَ فى جميع اللَّفائفِ مُنْتِنٌ غيرُ لِفافته ، أو تكونَ لِفافتُه أنتنَها ؛ فنَزَعُوا ، فلم يجِدُوا فى جميعها لِفافةً منتنةً غيرها .

وأنْشَدُوا :

غزا ابْنُ عُميرٍ غَزوةً تركت لنا ثَناءً كنَتْنِ الجوربِ المتخرِّقِ[4]

---

(١) ليست بالأصل . وانظر ما سبق فى التنبيه الأول من ص ٤٢٣ .

(٢) الأشراط : الحرس ، مثله ماجاء فى قول حسان (اللسان : شرط) :

فى ندامى بيض الوجوه كرام نبهوا بعد هجعة الأشراط

(٣) السماطين : مثنى سماط ، بالكسر ، وهو الصف من الناس .

(٤) ابن عمير هذا ، اسمه عبد الله بن عمير ، كما سبق فى (١ : ٢٤٠) . وفيه وفى ثمار القلوب ٤٨٦ : « تركت له » . ورواية الوساطة ٢٩٩ : « لها » =

(أقوى درجات التشمم)

وليس الذى يُحكَى من صِدق الحسّ فى الشّم – عن بعض النّاس ، وعن النّعام والسّباع ، والفأر والذّرّ ، وضروبٍ من الحشَرات – من شكل مانطق[1] به القرآنُ العظيمُ ، من شأن يعقوبَ ويوسفَ عليهما الصلاة والسّلام حين يقول تعالى : ﴿ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَنْ تُفَنِّدُونِ . قَالُوا تَاللهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ ﴾ . وكان هذا من يعقوبَ بعد أن قال يوسفُ : ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِى هٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . ولذلك قال : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ ، ثمّ قال : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ .

وإنما هذا علامة ظهرَتْ له خاصة ؛ إذ كان النّاسُ لا يشتمّون أرواحَ أولادهم[2] إذا تباعَدُوا عن أنوفهم ، وما فى طاقة الحصان الذى يجدَ ريحَ الحِجْر ممّا يجوز الغَلْوتين والثّلاثَ[3] . فكيف يجدُ الإنسانُ وهو بالشّام ريحَ ابنه فى قميصه ، ساعةَ فَصَلَ من أرض مصر ؟! ولذلك قال : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ .

= والثناء ، بتقديم المثلثة : ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم ، وخص به بعضهم المدح ، ورواية الوساطة وثمار القلوب : « الجوزب المتمزق » .

(1) كذا فى س : وفى ط ، هـ : « مما نطق » .

(2) الأرواح ، هنا : جمع ريح ، بالكسر ، وهى بمعنى الرائحة .

(3) أى ولا يشتمون ما فى طاقة الحصان . . . الخ . والحجر ، بالكسر : أنثى الخيل . يجوز : يزيد . والغلوة ، بالفتح : قدر رمية بسهم ، وانظر ما سبق من الكلام على تشمم الحصان فى ٤٠٢ وكذا (٢ : ١٤١) .

(بعض المجاعات)

وقد غَبَرَ موسى وهو يَسير أرْبَعين عاماً[1] ، لايذوق ذَوَاقاً[2] . وجاع أهل المدينة فى تلك الحُطْمَةِ[3] ، حتّى كان أصحاب رسول الله صلى الله عَليه وسلم يشدُّون الحَجَر على بُطُونهمْ ، من الجُوعِ والجَهْدِ . وكان النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله الطَّيِّبين الطَّاهرين ــ يقول : « إنِّى لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ ، إنِّى أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّى ، يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِى » .

(حِجَاجٌ فى ذبح الحيوان وقتله)

ورجَالٌ مِمنْ ينتحِلِ الإسلام ، يُظهِرُون التقذُّرَ من الصَّيدِ ، وَيَرَوْنَ أنَّ ذلكَ من القَسوة . وإنَّ أصحاب الصَّيْدِ لَتُوَدِّيهم الضَّراوةُ التى اعترتهم

(١) غبر : مكث . س ، ه : « وهو يسرى » . والوجه ما أثبت من ط . والسرى لايكون إلا بالليل . و « عاما » صوابه « يوما » . انظر الاستدراكات .

(٢) الذواق ، بالفتح : المأكول والمشروب . وفى الحديث : « لم يكن يذم ذواقا » فعال بمعنى مفعول من الذوق ، يقع على المصدر والاسم . وما ذقت ذواقاً : أى شيئاً .

(٣) الحطمة ، بالفتح والضم : الجدب والسنة الشديدة ، كأنها تحطم كل شىء . وكان النبى صلى الله عليه وسلم ، قد دعا على مضر فقال : « اللهم اشدد وطأتك على مضر وابعث عليهم سنين كسنى يوسف » . فتتابع عليهم الجدوبة والقحط سبع سنين ، حتى أكلوا القد والعظام والعلهز . فنال ذلك الجدب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وبدعائه عوقبوا ، حتى شد وشد المسلمون على بطونهم الحجارة من الجوع . تأويل مختلف الحديث ٢٦٩ ، ٣١٨ والتجريد الصريح للزبيدى (١ : ٧١) وثمار القلوب ٣٧ . وفى صحيح البخارى : « فأخذتهم سنة حصت كل شىء » . عمدة القارى (٧ : ٢٧ ــ ٢٨) . وقد كان هذا الأمر فى مكة قبل الهجرة ، لا فى المدينة كما ذكر الجاحظ . عمدة القارى (٧ : ٤٦ س ١٣) .

مِنْ طرُوقِ الطَّيرِ فى الأوكار ، ونَصْبِ الحبائل للظِّباء ، التى تنقطع عن الخِشْفَانِ[1] حتى تموتَ هُزْلًا وجُوعا ، وإشلاء السِّباعِ على بهائم الوحش وسَتَسْلِمُ[2] أهلَها إلى القَسْوة ، وإلى التهاوُن بدماء النَّاس . ١٣٧

والرَّحمةُ شكلٌ واحد . ومَنْ لم يَرْحَم الْكَلْبَ لم يَرْحَمِ الظَّبىَ . ومَنْ لم يرْحَمِ الظبىَ لَمْ يَرْحَم الجدْىَ ، ومَنْ لَمْ يَرْحَمِ الْعُصْفُورَ لَمْ يَرْحَم الصَّبىَّ . وصغارُ الأمور تؤدِّى إلى كبارها .

وليس ينبغى لأحدٍ أن يتهاونَ بشىءٍ مما يؤدى إلى القَسْوة يوماً مَا . وأكثرُ ماسمعت هذا البابَ ، مِن ناسٍ من الصُّوفِيَّة ، ومن النَّصارى ؛ لمضاهاة النَّصارى سبيلَ الزَّنَادِقَةِ ، فى رفضِ الذبائح ، والْبُغضِ لإراقة الدماء ، والزُّهدِ فى أكل اللُّحْمَانِ .

وقد — كان يرحمك الله — على الزِّنديق ألَّا يأتى ذلك فى سِباع الطير ، وذواتِ الأربع من السِّباع . فأما قتْلُ الحيَّة والعقرب ، فما كان ينبغى لهم الْبَتَّةَ أَنْ يَقفوا فى قتلهما طرْفَة عَينٍ ؛ لأنَّ هذه الأمورَ لاتخلو منْ أن تكون شرًّا صِرْفاً ، أو يكون مافيها من الخير مغْموراً بما فيها من الشَّر . والشَّرُّ شيطانٌ والظُّلمة عدُوُّ النُّور . فاستِحْياءُ الظلمة وأنتَ قادرٌ على إماتتها ، لايكونُ من عمل النُّور . بل قد ينبغى أن تكونَ رحمةُ النُّور لجميع الخلائق والنَّاس ، إلى استنقاذهما من شرور الظُّلمة .

---

(١) الخشفان : جمع غريب للخشف ، بتثليث الخاء ، وهو ولد الظبية عند ما يتحرك للمشى . ولم أر هذا الجمع فى معجم ، وجمعه فى اللسان والقاموس على « خشفة » بكسر ففتح .

(٢) أى ، وستسلم الضراوة . فى الأصل : « ستسلم » بدون واو . والمراد بالسباع هنا الحيوان المفترس من الوحش والطير ، كالكلاب والفهود والبزاة .

وكما ينبغي أن يكون حَسَناً في العقل استحياءُ النُّور والعَمَلُ في تخليصه والدَّفعُ عنه ــ فكذلك ينبغي أنْ يكون قتْلُ الظُّلْمة وإماتتُها ، والعَوْنُ على إهلاكها ، وتوهينِ أمرها ــ حسناً .

والبهيمة التي يَرَوْنَ أن يدفَعُوا عنها أيضاً ممزُوجة[١] ، إلَّا أنَّ[٢] شرَّها أقلُّ . فهم إذا استَبْقَوْها فقد استبْقَوا الشُّرورَ المخالطة لها .

فإنْ زعموا أنَّ ذلك إنما جاز لهم ؛ لأنَّ الأغْلَبَ على طِباعِها النُّور فلْيغتفروا في هذا الموضعِ إدخالَ الأذى على قليل مافيها من أجزاءِ الشَّرِّ[٣] كما اغتفروا مافي إدخال الروح والسُّرور[٤] على مافي البهيمة من أجزاء الظُّلْمة لدفعهم عن البهيمة ؛ إذْ كان أكثرُ أجزائها من النُّور .

وإنما ذكرتُ ما ذكرت ؛ لأنهم قالوا : الدَّليلُ على أنَّ الذى أنتم فيه ، مِنْ أكلِ الحيوان كلَّ يومٍ من[٥] الذبائح ، مكروهٌ عِنْدَ الله ، أنَّكُمْ لمْ ترَوْا قطُّ ذبَّاحي[٦] الحيوان ولا قَتَّالي[٧] الإنسان ، ولا الذين لايقْتاتون إلَّا اللَّحْمَان يفلحون[٨] أبدا . ويستغنون[٩] ؛ كنحو صيَّادِي السَّمك وصيَّادي الوحْش[١٠] وأصناف الجزَّارِين والقَصَّابين ، والشَّوَّائين والطهَّائين

---

(١) أي ممزوج فيها الخير بالشر .

(٢) س : « لأن »، صوابه في ط ، هـ .

(٣) في الأصل : « الخير » ، والصواب عكسه ، كما يقتضي الكلام .

(٤) الروح ، بالفتح : الرحمة . و « السرور » هي في أصلها « الشرور » مصحفة .

(٥) ط : هـ : « ومن » . والوجه حذف الواو كما في س .

(٦) هـ : « ذبايح » محرفة . ط : « ذابح » وأثبت ما في س لملاءمته نسج الكلام .

(٧) ط فقط : « قتال » .

(٨) س ، هـ : « لا يفلحون » . والوجه إسقاط « لا » كما في ط .

(٩) في الأصل : « ولا يستغنون » .

(١٠) جاءت كلمة « صياد » في الموضعين : « صيادى » بحذف الياء الآخرة . والوجه إثباتها .

والفهَّادِين[1] والبيَازِرة[2] والصَّقَّارين والكلابين ؛ لاترى أحداً منهم صار إلى غِنًى ويُسْرٍ ، ولا تراهُ أبداً إلا فقيراً مُحَارَفاً[3] ، وعلى حالٍ مشبهَةٍ بحاله الأولى .

وكذلك الجلَّادون ، ومن يضرِبُ الأعناق بين يَدَى المُلوك . وكذلك ١٣٨ أصحابُ الاستخراج[4] والعذابِ ، وإن أصابوا الإصابات ، وجميع أهل هذه الأصناف .

نَعَمْ وحَتَى ترى بعضَهم وإن خَرَج نادِرًا خارجيًّا ، ونال منهم ثَروةً وجَاهاً وسُلطاناً ، فإمَّا أن يُقْتَلَ ، وإمَّا أنْ يُغْتَصَبَ[5] نَفْسَهُ بميتَةٍ عاجلة ، عندَ سرورِه بالثَّروة ؛ أو يبعث الله عليه المحق[6] فلا يَنْمُو له شيء ، وإما ألَّا يجعل مِنْ نسلهم عَقِباً مذكوراً ، ولا ذِكْراً نبيهاً وَذُرِّيَّةً طَيِّبَة مثل الحجَّاج بن يوسف ، وأبى مسلم[7] ، ويزيد بن أبى

(١) الفهاد : الذى يصطاد بالفهد ، ذاك الحيوان .

(٢) البيازرة ، بتقديم الزاى : جمع بيزار . وبيزار : معرب بازيار ، الفارسية ، وهو القائم بأمر البازى . انظر الصحاح واللسان . ط : « البيازة » ھ : « البيارزة » س : « البيازرة » ، محرفات عما أثبت . وقد جاءت على الصواب فى ص ٤٣٥ .

(٣) المحارف ، بفتح الراء : المحدود المحروم .

(٤) انظر للاستخراج ، وهو استصفاء أموال المختلسين ، حواشى البيان ٢ : ٤٣ ، ١٦٦ .

(٥) ط ، ھ : « يغصب » ، وأثبت ما فى س .

(٦) المحق ، بالفتح : النقصان ، وذهاب البركة . س : « المحو » .

(٧) يعنى أبا مسلم الخراسانى . وهو عبد الرحمن بن مسلم ، القائد المشهور ، الذى قام بتأسيس الدولة العباسية ، توفى سنة ١٣٧ وله من العمر سبع وثلاثون سنة ، قتله أبوجعفر المنصور .

مسلم(1) ومثل أبي الوعد(2) ، ومثل رجالٍ ذكروهم لانحبُّ أن نسميهم .

قال : فإنَّ هؤلاء مع كثرة الطَّرُوقةِ(3) وظُهُورِ القدْرة ، مع كثرة الأنسال ، قد قَبَّحَ الله أمرَهم ، وأخْمَلَ أولادهم . فهم بين مَنْ لم يُعقِبْ ، أو بَيْنَ مَنْ هُوَ في معنى مَن لم يُعقب .

فقلت للنَّصارَى بديًّا : كيف كان النّاسُ أيَّام الحكم بما في التَّوْراة أيَّامَ(4) موسى وداودَ ، وهما صاحبا حُروبٍ وقَتْلٍ ، وسِبَاءٍ وذبائحَ ؟ ! نعم حتى كان القُربان كُله أو عامَّتهُ حيواناً مذبوحاً ، لذلك سُمِّيتم بيت المَـذْبَحِ .

ولسْنَا نسألكم عن سِيرَة النَّصارى اليومَ ، ولكِنَّا نسألُكُمْ عن دينِ موسى وحُكْمِ التَّوْرَاةِ ، وحُكْمِ صاحب الزَّبور . وما زالوا عندكم إلى أن أنكروا رُبُوبِيَّةَ المسيح ، على أكثَرَ من حالنا اليومَ في الذبائحِ .

وأنتم في كثيرٍ من حالاتكم تُغْلُونَ علينا السَّمَكَ حتَّى نتوخَّى أيَّاماً بأعيانها ، فلا نشترى السَّمَكَ إلا فيها ؛ طلباً للإمكانِ والاسترْخَاص وهي يومُ الخميس ، ويومُ السبت ويومُ الثُّلاثاء ؛ لأن شراءكم في ذلك

---

(1) يزيد بن أبي مسلم : هو يزيد بن دينار الثقفي ، كان مولى الحجاج بن يوسف وكاتبه ، ولما حضرت الحجاج الوفاة استخلفه على الخراج بالعراق ، فلما مات أقره الوليد بن عبد الملك . وقال الوليد في شأنه : « مثلي ومثل الحجاج وابن أبي مسلم ، كرجل ضاع منه درهم فوجد ديناراً ! » . قتل يزيد سنة ١٠٢ . وفيات الأعيان (٢ : ٢٧٦ — ٢٧٧). وفي س ، ط : « يزيد بن مسلم » . هـ : « زيد بن مسلم » ، صوابهما ما أثبت . وسيأتي على الصواب في ص ٤٣٥ — ٤٣٦ .

(2) كذا جاء . ولم أجد له تعريفا .

(3) الطروقة ، بالفتح : المرأة ، والزوجة .

(4) س : « أيام » .

اليوم يَقِلُّ . على أنَّكم تُكْثِرُونَ مِنَ الذَّبائح فى أيَّام الفِصْح[١] وهل تَدَعُونَ أكل الحيوان إلَّا أيَّاماً معدُودةً ، وساعاتٍ مَعْلُومةً ؟ !

فإذا كانت الحِرْفةُ والمِحَنُ إنما لزِمَا القصَّابين والجزَّارين والشَّوَّائين ، وأصنافَ الصَّيَّادين ، من جهة العقوبة — فأنتمْ شركاءُ صيَّادِى السَّمَكِ خاصَّةً ؛ لأنَّكم آكَلُ الخلْقِ له ، وأنتم أيضاً شُرَكاءُ القصَّابين فى عامَّةِ الدَّهْرِ . فلا أنتم تَدِينُون للإسلام فتعرفوا ماعليكم ولكم ، وفصْل[٢] مابين الرَّحمةِ والقَسوة ، وما الرَّحمةُ ، وفى أىِّ موضعٍ يكونُ ذلك القتلُ رحمةً ؟ فقد أجمعوا على أنَّ قَتْلَ الْبَعْض إحياءٌ للجميع ، وأنَّ إصلاحَ النَّاس فى إقامةِ جزاءِ الحسنة والسيئة . ﴿وَلَكُمْ فى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ[٣]﴾ .

والْقَوَدُ حَيَاةٌ . وهذا شىءٌ تَعْمَلُ به الأممُ كلها ، غيرَ الزَّنَادِقَةِ . والزَّنَادِقَةُ لم تَكُنْ قَطُّ أُمَّةً ، ولا كان لها مُلْكٌ وَمَمْلَكَةٌ ، ولَمْ تَزَلْ بيْنَ مَقْتُولٍ وهاربٍ ومنافقٍ . فلا أنتم زَنَادِقَةٌ . ولا ينكر لمن كان ذلك مَذْهَبَهُ أن يقول هذا القَوْلَ .

فأنتم لادهْرِيَّة[٤] ، ولا زَنَادِقَةٌ ، ولا مُسلمون ؛ ولا أنتم رَاضُونَ بحُكمِ اللهِ أيّام التّوراة .

١٣٩٤ فإن كان هذا الحكمُ قد أمرَ الله به — وهو عَدْلٌ — فليس بين الزَّمانَيْنِ فرق .

---

(١) الفصح ، بالكسر : عيد للنصارى . انظر القاموس وبلوغ الأرب . (١ : ٣٥٧) والتنبيه والإشراف ١٠٨ ، ١٢٣ والاستدراكات .

(٢) فصل : أى فرق . فى الأصل : «فضل» ، وهو تصحيف يتكرر .

(٣) ﻫ : «ولكم فى القصاص» . وهو سهو من الكاتب .

(٤) سبق شرح هذه الكلمة فى ص ٧٩ — ٨٠ .

وَبَعْدُ فَإِنَّا نَجِدُكم تَأْكُلُونَ السَّمك أَكْلاً ذَرِيعا ، وتتقذرون من اللُّحمان ! أفلأنَّ السَّمك لا يأْلَمُ الْقَتْلَ ، أم لأنَّ السَّمكَ لمَّا قتلتموه بلاَ سِكِّين لم يُحِسَّ[١] قَتلَهُ ؟ ! فالجميع حيوانٌ ، وكلٌّ مقتول يألَمُ ، وكلٌّ يُحِسّ . فكيف صار أَكْلُ اللَّحْمِ قَسْوَةً ، وَأَكْلُ السَّمَكِ ليْسَ بقَسْوة ؟ ! . وكيف صار ذَبْحُ البهائمِ قسوة ، ولا تكون تفرِقَةُ ما بين السَّمَكِ والماء حَتَّى تموت[٢] قسوة ! وكيف صار ذَبحُ الشَّاةِ قَسوَةً وصيدُ السمك بالسَّنانير المذَرَّبة المعقَّفة[٣] ليس لها شعائر تخالف العقاف المنصوص[٤] فى جهاتها . وكيف وهى وإنْ لم تنشَبْ فى أجوافها ، وتَقْبِضْ على مجامع أرواحِها ، لم تقدِرْ على أخْذِها ؟ !

وكيف صار وَجْءُ اللَّبَّة[٥] من الجَزُور أقسى من ضَرْب النبائل[٦] ؟ ! أم كيف صار طَعْن العَير[٧] بالرُّمح ، ونصبُ الحبائل للظِّباء ، وإرسالُ الكِلابِ عليها أشَدُّ مِنْ وقع النَّبائل[٨] فى ظَهْرِ السَّمَك ؟ !

---

(١) ط : « يحسن » ، صوابه فى س ، هـ .

(٢) المراد بالتفرقة الصيد . تموت : أى تموت السمك . س فقط : « يموت » بالياء . وكل جائز .

(٣) المذربة : المحددة . والمعقفة : الملوية .

(٤) كذا جاءت العبارة محرفة فى الأصل . بيد أنه فى ط : « العقاب » مكان « العقاف » .

(٥) وجء اللبة : طعنها بالسكين . واللبة ، بالفتح : المنحر ، أى موضع النحر . س ، هـ : « وحاء » ، ولم أجد هذه إلا بمعنى لايلائم هذا الموضع . ط : « وجأ » محرفة . ط : « اللبة » ، صوابها فى س ، هـ .

(٦) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « التبابل » بهذا الإهمال .

(٧) العير ، بالفتح : الحمار الوحشى .

(٨) كذا . ولعلها : « النبال » . جمع نبل ، بمعنى السهام .

ولأنّكم تكثرونَ قولَكُمْ : لا نأكل شيئاً فيه دمٌ أيّامَ صومِنا ، فالسَّمك دمٌ ، ولا بدَّ لجميع الحيوان من دمٍ أو شيءٍ يُشاكِلُ الدَّم ، فما وجْهُ اعتلالِكم بالدَّم ؟! ألِأنَّ[1] كلَّ شيءٍ فيه دمٌ فهُوَ أشدُّ ألماً ؟ فكيف نعلم ذلك؟ وما[2] الدَّليلُ عليه ؟

فإن زعمتم أنَّ ذلك داخلٌ فى باب التعبُّدِ والمصْلَحة ، لا فى باب القِياسِ والرَّحْمَةِ والقَسْوة ؛ فهذا باب آخر . إلاَّ أنْ تدَّعُوا أنَّ ذَواتِ الدِّماء[3] أقوى للأَبدان ، وآشَرُ[4] للنُّفوس ، فأردتم بذلك قلّة الأشَرِ وضَعْفَ البدن . فإنْ كان ذلك كذلك فقد ينبغى أنْ يكونَ هذا المعنى مُستبيناً فى آكِلِي السَّمَكِ من البحريين[5]

وأمّا ما ذكَرْتُم مِنْ مُلازمَةِ الحِرْفَةِ لهؤلاء الأصْناف ، فإنَّ كلَّ مَنْ نزلَتْ صناعَته ، ودَقَّ خطَرُ تِجارَتِه ، كذلك سَبيله .

وأحلُّ الكَسْب كلِّه وأطْيَبُهُ عِنْدَ جميعِ النّاسِ سَقْىُ الماء ، إمّا على الظَّهر ، وإمّا على دابّة . ولم أرَ سَقَّاءً قَطُّ بَلَغَ حالَ اليسارِ والثَّروة . وكذلك ضَرَّابُ اللَّبِنِ ، والطَّيَّانُ والحرّاثُ . وكذلك ما صَغرَ من التِّجاراتِ والصِّناعاتِ .

ألا ترون أنَّ الأمْوالَ كثيراً ما تكونُ عند الكتَّاب ، وعندَ أصْحاب الجَوهرِ ، وعندَ أصحابِ الوَشْيِ والأنماط[6] ، وعند الصَّيارفَةِ

---

(١) فى الأصل : « ألا أن » .

(٢) فى الأصل : « وأما » .

(٣) يعنى بذوات الدماء : ماسوى السمك . وفى الأصل : « دواب الماء » .

(٤) آشر : أفعل من الأشر بالتحريك ، وهو المرح والنشاط . فى الأصل : « أسر » . وانظر السياق .

(٥) فى الأصل : « فى أكل السمك من البحرين » ، محرفة .

(٦) الأنماط : ضرب من البسط .

والحنّاطين[1] ، وعند البحريّين والبصريين[2] . والجلاّبُ أبدا[3] ، والبيازِرَة[4] أيسر ممّنْ يَبتاع منهم .

وجُمَلُ الأموالِ حَقٌّ[5] بأنْ تَربحَ الجمَلَ مِنْ تفاريق الأموال . وكذلك سبيل القصّاب والجزّار ، والشوّاء ، والبازيار[6] ، والفهّاد .

وأمّا ما ذكرتم من انقطاع نَسْلِ القُساةِ ، وخمولِ[7] أولادِهم ، كانقطاع نَسْلِ فِرعَونَ ، وهامان ، ونُمرُود[8] ، وبُختَ نَصّر[9] ، وأشباههم ، فإنّ الله يقول : ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ .

١٤٠

وإن شئتم أن تعدّوا من المذكورين بالصَّلاحِ أكثَرَ مِن هؤلاء ممّن كان عقيما أو كان ميناثاً[10] ، أو يكون ممّنْ نَبَتَ لهم أَوْلادُ سَوْءٍ عقّوهُمْ في حياتهم ، وعرّضوهُمْ للسَّبِّ بعد موتهم — لوجَدْتُموهُمْ .

وعلى أني لم أَنْصِبْ نَفسي حَرْباً لِلحَجّاجِ[11] بن يوسف ، ويزيد

---

(١) الحناط : بائع الحنطة ، وهي بالكسر : البر .

(٢) كذا .

(٣) المراد بالجلاب : من يجلبون الرقيق والعبيد للتجارة فيها . و « أبدا » كذا في الأصل ، وقد تكون صحيحة . أو لعلها « أثرى » من الثراء ، وهو الغنى واليسر .

(٤) سبق الكلام على البيازرة في ص ٤٣٠ .

(٥) هي صحيحة . يقال : هو حق بكذا ، أي جدير به . انظر القاموس .

(٦) البازيار : من يتعهد البازي ويعتنى به . وفي الأصل : « البازباز » مصحفة .

(٧) الكلام من مبدأ : « وجمل الأموال حق » إلى هنا ، ساقط من هـ .

(٨) نمرود ، بالضم : جبار من الجبابرة ، ظهر إبراهيم عليه السلام في زمنه . وانظر الاستدراكات .

(٩) هو ذاك الطاغية المشهور الذي خرب بيت المقدس . ولى ملك بابل سنة ٦٠٦ قبل الميلاد .

(١٠) كذا بالياء ، وأصلها الهمز ، والمئناث : من لا يولد له إلا الإناث .

(١١) الحرب : المحارب . ولعله يريد بذلك : مدافعاً عن الحجاج ، وانظر ما سبق في ٤٣٠ .

ابن أبى مسلم[١] ، أنحرى بهما[٢] ، وهما عِندى من أهل النَّارِ . ولكِنى عرفْتُ مَغْزاكم .

وعلى أنَّكُمْ ليسَ الْقَصَّابينَ أَرَدْتُمْ ، وَلٰكِنَّكُمْ أَرَدْتمْ دِينَ المسلِمين .

وَقَدْ خَرَجَ الحجَّاجُ من الدُّنياَ سَلِيماً فى بَدَنِهِ ، وظَاهِرِ نعمته ، وعلىً مرتَبَتِهِ منَ الملْك ، ومَكانِهِ من جَوَازِ الأمْرِ وَالنَّهْى[٣] .

فإنْ كان الله عِنْدَكُمْ سَلَّمَهُ وَعاقَبَ أولاده ، وكان ذلك دينَكم فإنّ هذا قولٌ إن خاطبتم به الجبْرِيَّةَ[٤] فعسى أن تتعلَّقُوا منهمْ بسبب، فأمَّا مَنْ صَحَّحَ القَوْلَ بالْعَدْل[٥] فإنّ هذا القولَ عِنْده من الخطأ الفاحش الذى لاَ شبهَةَ فيه .

(شعر فى القانص وفقره)

وكان مِمَّا أنشدَوا من الدَّلِيل على أنّ القانِصَ لا يزالُ فقيراً — قَوْلُ ذى الرمَّةِ :

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٤٣١ .

(٢) كذا بالأصل . ولعله : « أتحدى بهما » ، فيكون مراده أنهما لايصلحان لأن يتحدى بهما ، أو يدافع عنهما .

(٣) جوار الأمر والنهى : نفوذهما .

(٤) الجبر ، هو نفى الفعل حقيقة عن العبد ، وإضافته إلى الرب تعالى . والجبرية أصناف . فالجبرية الخالصة هى التى لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا . والجبرية المتوسطة التى تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة . فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثراً ما فى الفعل ، وسمى ذلك كسباً ، فليس بجبرى . والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة فى الإبداع والإحداث استقلالا — جبريا . الملل والنحل (١ : ١٠٨) .

(٥) يعنى المعتزلة ، وهم يسمون أهل العدل . يقولون : إن الله منزه أن يضاف إليه =

حَتَّى إِذَا مَالَهَا فِى الجَدْرِ وَاتَّخَذَتْ ... شَمْسُ النَّهَارِ شُعَاعاً بينها طِبَبُ[1]

ولَاحَ أَزْهَرُ مَشْهُورٌ بِنُقْبَتِــهِ ... كَأَنَّهُ حِينَ يَعْلُو عَاقِرًا لَهَبُ[2]

هَاجَتْ بِهِ جَوَّعٌ طُلْسٌ مُخَصَّرَةٌ ... شَوَازِبٌ لَاحَهَا التَّقْرِيب والخَبَبُ[3]

جُرْدٌ مُهَرَّتَةُ الأَشْــدَاقِ ضَارِيَةٌ ... مثلُ السَّرَاحِين فى أعناقِهَا العَذَبُ[4]

= شر وظلم ، وفعل هو كفر ومعصية ؛ لأنه لو خلق الظلم كان ظالما ، كما لو خلق العدل كان عادلا . الملل والنحل (١ : ٥٦) .

(١) لها : غفل . يعنى ثورا وحشياً . والجدر ، بالفتح : نبت رملى . والشعاع ، بالضم : ضوء الشمس الذى تراه عند ذرورها كأنه الحبال أو القضبان مقبلة عليك . والطبب ، كعنب : جمع طبة ، بالكسر ، وهى الطريقة من طرائق الشعاع . وأصل الطبة السير الذى يخرز به . س : « إذا رابها » هـ : « إذا نابها » ، محرفتان صوابهما فى ط و الديوان ٢٣ ، وجمهرة أشعار العرب ١٨٣ ، واللسان (طبب) . س ، هـ « فى الخدر وانحدرت » تصحيحه من الديوان واللسان . وفى اللسان : « وانحدرت » محرفة . ط والجمهرة : « بالجدر » وهى صحيحة . س ، ط : « قبب » هـ : « طنب » ، صــوابهما فى الديوان والجمهرة واللسان .

(٢) لاح : ظهر ، وأشرق . س ، هـ : « ناب » محرفة . وأثبت ما فى ط والديوان وجمهرة أشعار العرب واللسان (نقب) . والأزهر : الأبيض . وأراد به الصبح . والنقبة ، بالضم : اللون . فى الجمهرة : « معروف بنقبته » . يعلو عاقراً : أى يرتفع فى رملة لا تنبت شيئاً ، شبهت بالعاقر من الناس : الرجل والمرأة اللذين لا يلدان . وقد شبه الصبح بلهب النار . جاء فى جمهرة أشعار العرب : « منهم من يقول إنه يعنى الفجر ، ومن يقول إنه يعنى به الثور » .

قلت : ممن جعله يعنى الثور صاحب اللسان ، فإنه قال : « يصف ثوراً » .

(٣) يقول : أولعت بذاك الثور كلاب جائعة ، فى لونها غبرة إلى سواد ، قد ضمرت خواصراها . ط وجمهرة أشعار العرب : « هاجت به عوج » وفى الجمهرة والديوان : « زرق مخصرة » . والشازب ، بالزاى : الضامر اليابس . س : « شواذب » بالذال ، مصحفة . لاحها : هزلها وغيرها . والتقريب والخبب : ضربان من العدو . وفى الديوان : « التغريث والجنب » . التغريث : التجويع . والجنب بالتحريك : أن يشتد عطش الحيوان حتى تلزق رئته بجنبه . وأصله فى الإبل .

(٤) جرد : جمع أجرد ، وهو القليل الشعر . وفى الديوان واللسان (عذب) : =

ومُطعَمُ الصَّيْدِ هَبَّالٌ لِبُغْيَتِهِ أَلْفَى أَبَاهُ بِذَاكَ الْكَسْبِ يَكْتَسِبُ [1]

مقزَّعٌ أَطْلَسُ الأطمَارِ لَيْسَ له إلاّ الضِّرَاءَ وَإلاّ صَيْدَهَا نَشَبُ [2]

فانصاعَ جَانِبَهُ الوَحْشِيَّ وَانْكَدَرَتْ

يلحبن لا يأتلى المطلوبُ والطَّلبُ [3]

قال : فجعله كما ترى مقزَّعاً أطلسَ الأطمار ، وخَبَّرَ أنّ كِلاَبَه نشَبُه ، وأنَّه ألفَى أباه كذلك .

وأنشَدُوا فى ذلك قول الآخر :

= « غضف » . مهرتة الأشداق : واسعتها . والسراحين : الذئاب ، واحدها سرحان ، بالكسر . والعذب : سيور تشد فى أعناق الكلاب ، واحدها عذبة ، بالتحريك .

(١) مطعم الصيد : أى رجل طعمته وحرفته الاصطياد ، فهو مرزوق منه . ومطعم ، بضم الميم وفتح العين ، قال امرؤ القيس :

مُطْعَمٌ للصَّيْدِ ليس لَهُ غَيْرَهَا كَسْبٌ على كِبَرِه

هبال ، من الاهتبال ، وهو سرعة الأخذ . والبغية ، بالضم : الطلبة . والطلبة بفتح ، فكسر : مايطلبه المرء . س ، هـ : « هتاك لنقبته » محرفة . وفى جمهرة أشعار العرب : « هباش لبغيته » . ألفى أباه ، يقول : هو صائد ابن صائد ، فذاك أسهر له .

(٢) مقزع : خفيف الشعر . أطلس : أغبر . والأطمار : جمع طمر بالكسر ، وهو الثوب الخلق البالى . والضراء ، بالكسر : جمع ضرو بالكسر أيضاً ، وهو الضارى . عنى بها الكلاب . وصيدها : أى ماتصيده الكلاب من الوحش . والنشب ، بالتحريك : المال .

(٣) انصاع : ذهب سريعاً . جانبه : أى على جانبه . والجانب الوحشى : الأيمن من الدابة ، وقيل الأيسر . انكدرت : أى انقضت . وضميره للكلاب . يلحبن : يسلكن طريقا لاحباً ممهدا . أو يمررن مراً سريعاً . لا يأتلى : أى لا يترك جهداً ولا يخفض من جريه . والمطلوب ، عنى به الثور . والطلب ، بالتحريك : جمع طالب ، وهو من نادر الجمع . وقد أراد به الكلاب . س ، هـ : « واتصلت بحيث لا يأبأ » تحريف ما أثبت من ط والديوان وجمهرة أشعار العرب ، واللسان (صوع ، لحب ، لمب) .

وأعصمَ أنْسَتْهُ المنيّـةُ نَفْسَهُ رعَى النَّبْعَ والظَّيّانَ فى شاهقٍ وَعْرِ (١)
مَوَارِدُهُ قَلْتٌ تصفّقُه الصَّبَا بنِيقٍ مَزِلّ ، غيرُ كدْرٍ ولانَزْرِ (٢)
قَرَتْهُ السَّحابُ ماءها ، وتَهدَّلَتْ عليه غُصونٌ دانياتٌ من السَّمْرِ (٣)
أُتيحَ له طِلْحٌ إزَاهُ بكفِّه هَتُوفٌ وأَشْبَاهٌ تُخُيِّرْنَ مِنْ حَجْرِ (٤)
أبو صِبْيةٍ لا يَسْتدِرٌّ إذا شَتَا لَقُوحاً ، ولا عَنْزاً ، وليس بذى وَفْرِ (٥)

---

(١) أعصم : يعنى وعلا بإحدى يديه بياض . س : « وأعظم » مصحفة . أنسته المنية نفسه ، أى أعماه قدر الموت عن الحذر . والنبع والظيان : من أشجار الجبال . وفى الأصل : « النبت والطيان » محرف .

(٢) القلت : نقرة فى الجبل تمسك الماء . تصفقه : تضربه . والصبا : ريح شرقية . والنيق ، بالكسر : أعلى موضع فى الجبل . مزل : تزلق عليه الأقدام ولا تثبت . س : « مزلك » . وغير كدر ، صفة للقلب . وقد أسكن الدال للشعر .

(٣) تهدلت : تدلت . والسمر : نبات ، وهو بضم الميم . وأسكنها للشعر .

(٤) أتيح له : أى قدر . والطلح ، بالكسر : المعيى . أراد صائداً . وإزاه : أى سبب عيشه . والإزاء ، بكسر الهمزة والمد ، وقصره للشعر . فى الأصل : « أذاه » مصحفة . والهتوف : القوس المرنة المصوتة . قال الشنفرى :

هتوف من الملس المتون يزينها رصائع قد نيطت إليها ومحمل

وقال الشماخ :

هتوف إذا ما جامع الظبى سهمها وإن ريع منها أسلمته النوافز

ط ، س : « خنوف » ﻫ : « حتوف » صوابهما ما أثبت . وأشباه : أى سهام متشابهة طبعت على غرار واحد . وحجر ، بالفتح : قصبة اليمامة ، تنسب إليها السهام والنصال ، قال الراعى :

توخَّى حَيْثُ قَالَ القَلبُ منه بحَجْرِيٍّ ترى فيه اضطمارا

أى نصل منسوب إلى حجر . أبو حنيفة : « وحدائد حجر مقدمة فى الجودة » . وقال رؤبة :

حَتَّى إذا تَوَقَّدَتْ من الزَّرَقْ حجْرِيَّةٌ كالجمْرِ مِنْ سَنّ الذَّلق

(٥) يقول : له صبية ، فهو يسعى جاهداً ليحصل على ما يقوتهم به من صيد . واللقوح =

١٤١ لَهُ زَوْجَةٌ شَمْطَاءُ يَدْرُج حَوْلَهَا فَطِيمٌ تُنَاجيه ، وَآخَرُ فى الحِجْرِ [١]

مُشوَّهةٌ لم تَعْبَ طيباً ولم تَبتْ تقتر هندِيًّا بِلَيْلٍ على جَمْـرِ [٢]

مُحَـدَّدَةَ الْعَرقُوبِ ثَـلْمٌ نَابهَا تَعَرَّقُهَا الْأَوْذَارَ مِنْ فِقَرِ الحُمْرِ [٣]

مُسفَّعَةُ الخَدَّيْنِ ، سوَّدَ دِرْعَهَا تقدُّرها بالليلِ ، والأخْذ بالقِدْرِ [٤]

كغولِ الفلاةِ لم تخضِّبْ بَنَانَهَا ولم تَدْرِ مَازِىُّ الخرائدِ بالمِصْرِ [٥]

فَأَرْسَلَ سهْمًا أرهَفَ القَيْنُ حَدَّهُ فَأَنْفذَ حِضْنَيْهِ فَخَرَّ على النَّحْرِ [٦]

= بالفتح : الناقة الحلوب . يقول : ليس له لقوح فيستدرها . واختار الشتاء لما أنه وقت الجهدة والعسر عندهم . وإنما يخصبون فى الربيع . ط : « يستدرا » صوابه فى س ، ﻫ الوفر ، بالفتح : الغنى .

(١) أى فى حجرها . والشمطاء : التى يخالط سواد شعرها بياض . وهو يصور بذلك كثرة عيال الصائد .

(٢) لم تعب طيباً : لم تهيئه ولم تخلطه . يقال عبأ الطيب يعبؤه ، من باب منع : صنعه وخلطه . فأصله الهمز كما رأيت ، فلما سهلها بالألف ، عامله كالمعتل . والهندى : أراد به العود الهندى الذى يتبخر به . والتقتير : تهييج القتار ، وهو بالضم : ريح البخور .

(٣) العرقوب ، بالضم : عصب غليظ فوق عقب الرجل . ثلم نابها : كسر حرفه . والتعرق : أكل ما على العظم من اللحم . والأوذار : القطع الصغيرة من اللحم . وفى الأصل : « الأوزار » صوابه بالذال كما أثبت . والفقر ، كعنب : جمع فقرة ، بالكسر ، وهى الواحدة من عظام الصلب . ﻫ : « نقر » محرفة . والحمر ، أصله الحمر بضمتين : جمع حمار . عنى ما يصطاده زوجها من حمر الوحش . وسكن الميم لضرورة الشعر .

(٤) مسفعة : مسودة . ﻫ : « مسقعة » محرفة . والدرع ، بالكسر : القميص . والتقدر ، مثل معناه الطبخ فى القدر ، ولم يذكره صاحبا اللسان والقاموس . وفى اللسان : « قدر القدر يقدرها ويقدرها قدراً . واقتدر أيضاً بمعنى قدر » . ط ، س : « تقذرها » ، وأثبت ما فى ﻫ .

(٥) الزى ، بالكسر : الهيئة . والخرائد : جمع خريدة ، وهى البكر لم تمسس ، أو الخفرة الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت ، المستترة .

(٦) القين ، بالفتح : الحداد . أنفذ حضنيه : خرق جنبيه . والحضن ، بالكسر : الجنب . والنحر ، بالفتح : أعلى الصدر .

(مُساءلة المنانيّة)

كان أبو إسحاقَ يسأل المنانيَّة[1] ، عن مسألةٍ قريبة المأخَذِ قاطعة ، وكان يزعُمُ أنها ليست له .

وذلك أنَّ المنانيَّةَ تزعَمُ أنَّ العالَمَ بما فيه ، من عشرةِ أجناس : خمسةٍ منها خيرٌ ونورٌ ، وخمسةٍ منها شرٌّ وظلمَة . وكلُّها حاسَّةٌ وَحارَّة .

وأنَّ الإنسانَ مركَّبٌ مِنْ جميعِها على قدْر ما يكونُ في كلِّ إنسان من رُجْحانِ أجناس الخيرِ على أجْنَاس الشَّرِّ ، [ورُجْحان[2]] أجْنَاس[3] الشَّرِّ على أجناسِ الخير .

وأنَّ الإنسانَ وإن كان ذا حَواسٍّ خمسةٍ[4] ، فإنَّ في كلِّ حاسَّةٍ متوناً[5] من ضدِّه من الأجْناس الخمسة . فمتى نَظَرَ الإنسانُ نظْرَةَ رحمة فتلك النَّظْرَة من النور ، ومن الخير . ومتى نَظرَ نَظْرَةَ وعيدٍ ، فتلك النَّظْرَةُ من الظلمة . وكذلك جميع الحواسِّ .

وأنَّ حاسَّة السَّمعِ جنسٌ على حِدَةٍ ، وأنَّ الذى فى حاسَّة البصر من الخير والنُّور ، لا يعين الذى فى حاسَّة السَّمع من الخيرِ ولكنه لا يضادُّهُ[6] ،

---

(١) المنانية : أتباع مانى . انظر ما سبق ص ٨١ . وقد أسهب القول ابن النديم فى تفصيل مذهبه · الفهرست ٣٢٧ — ٣٣٧ ليبسك ٤٥٦ — ٤٧٢ مصر .

(٢) ليست بالأصل . وبها يصلح الكلام .

(٣) فى الأصل : « فاحتاج » . ووجهه ما أثبت .

(٤) كذا . وهى صحيحة ؛ فإن المعدود إذا وصف بالعدد جاز فى العدد المطابقة وعدمها . الصبان ٤ : ٦١ .

(٥) كذا فى الأصل .

(٦) ط ، هـ : « يضاره » بالراء . وأثبت ما فى س .

ولا يُفاسِدُهُ ، ولا يمنعه . فهو لايعينه[١] لـكان الخِلاف والجنس ، ولا يعين عليه ؛ لأنَّهُ ليس ضِدًّا .

وأنَّ أجناسَ الشَّرِّ خلافٌ لأجناس الشَّرِّ ، ضِدٌّ لأجناس الخير . وأجناسَ الخيرِ يخالفُ بعضها بَعْضاً ولا يضادُّ . وأنّ التَّعاونَ والتآدِي[٢] لا يقعُ بين مختلِفِها ، ولا بين متضادِّها[٣] ، وإنما يَقعُ بين متفقها .

قال : فيقال للمنانيِّ : ما تقول في رَجُل قال لرجُلٍ : يا فلان ، هل رأيت فلانا ؟ فقال المسئول : نعم قد رأيته . أليسَ السَّامعُ قد أدَّى إلى النَّاظِرِ ، وَالنَّاظِرُ قد أدّى إلى الذَّائِقِ ؟ ! وإلاَّ فلِمَ قال اللِّسَانُ نَعَمْ ! إلاَّ وقد سَمِعَ الصَّوْتَ صاحبُ اللِّسَانِ ؟ !

وهذه المسألة قصيرةٌ كما ترى ، ولا حِيلةَ له بأنْ يَدْفَعَ قَوْلَهُ .

(مُساءلَة زنديق)

ومسألةٌ أخرى ، سأل عنها أميرُ المؤمنين[٤] الزِّنديقَ الذى كان يكنى بأبي عليّ ، وذلك عندما رأى من تطويلِ مُحمَّدِ بن الجهم[٥] وعجْز العُتبى[٦] وسوءِ فهم[٧] القاسم بن سَيَّار[٨] ، فقال له المأمون : أسأَلكَ عن حَرفين

---

(١) س : « يعنيه » ومع إسقاط « لا » . هـ : « لا يعينه » . وصوابهما ما أثبت من ط .

(٢) التآدى : التعاون . وفي الأصل : « التأذى » ولا يستقيم به المعنى .

(٣) س ، هـ : « مضادها » .

(٤) يعني الخليفة « المأمون » كما سيأتي في الكلام .

(٥) هو محمد بن الجهم البرمكى ، الذى أسلفت ترجمته في (٢ : ٢٢٦) .

(٦) هو محمد بن عبد الله العتبى . وقد تقدمت ترجمته في (١ : ٥٤) .

(٧) في الأصل : « وسوقهم » وهو تحريف .

(٨) القاسم بن سيار ، ذكره الجاحظ في الرسائل ٢٤ ساسى ، فيمن كانوا يغشون دار الخلافة . وأجرى له ذكراً في ٢٦ ، ٢٧ من الرسائل .

فقط . خبِّرنى : هل ندِم مُسىءٌ قَطُّ على إساءته ، أو نكون نحنُ لم نندَمْ على شىءٍ كان منّا قط ؟ ! قال : بل ندِم كثيرٌ من المسيئينَ على إساءتهم . ١٤٢ قال : فَخَبِّرْنِى عن النَّدَم على الإساءة ، إساءةٌ أو إحسان؟ قال : إحسان . قال : فالذى ندم هو الذى أساء أو غيْرُهُ ؟ قال : الذى نَدِم هو الذى أساء. قال : فأرى صاحبَ الخير هو صاحبُ الشّرِّ ، وقد بطل قولكم : إنّ الذى ينظر نَظرَ الوعيد غيرُ الذى ينظر نَظَرَ الرحمة . قال : فإنى أزعمُ أنّ الذِى أساء غيرُ الذى ندِم . قال : فندم على شىءٍ كان منه أو على شىءٍ كان من غيره ؟ فقطعه[١] بمسألته ، ولم يتبْ ولم يرجِعْ ؛ حتى مات ، وأصْلاَه الله نارَ جَهنَّمَ .

(شعر فى هجو الزنادقة)

وقد ذكر حمّادُ عجردٍ ناساً فى هجائه لعُمارَة[٢] ، فقال :

لو كنْتُ زِنْديقًا ، عُمارُ ، حبوتَنى ... أو كنْتُ أعبُد غيْرَ رَبِّ محمَّدِ[٣]

أو كنتُ عِندك أو تَراك عرفتَنى ... كالنَّضْر أو ألْفيتُ كابن المُقْعَد[٤]

أو كابن حمّادٍ ربيئــة دينكمْ ... جبل وما جبل الغَوى بمرْشَدِ[٥]

لٰكِنَّنى وحّــدْت رَبِّىَ مُخلِصاً ... فجفَوْتَنى بُغْضاً لكلِّ موحِّد

---

(١) قطعه : أى غلبه بالحجة وأسكته .

(٢) فى الأصل : « لبشار »، ونص الشعر والتعقيب عليه ، يوجب ما أثبت .

(٣) عمار ، أى ياعمارة . وحذف جواب (كنت) الثانية لدلالة جواب الأولى .

(٤) هـ : « أو تراك عرفتنى » .

(٥) الربيئة : الطليعة ، وعين القوم . والغوى : الضال . ط ، هـ : « القوى » ووجهه ما أثبت من س .

وحَبَوْتَ مَنْ زَعمَ السَّماءَ تَكوَّنَتْ
والأرضَ خالقهـا لهـا لم يَمهَدِ[1]
والنَّسْمَ مثلَ الزَّرْعِ آنَ حَصَادُهُ منه الحصيدُ ومنه مَالَمْ يُحْصَدِ[2]

وحمَّادٌ هذا أشهر بالزَّنْدَقةِ من عُمارَة بن حربية[3] ، الذى هجاه بهذه الأبيـات .

وأمَّا قوله :

وحبوت من زعم السماءَ تـكوَّنت . . . . (البيت)

فليس يقول أحد : إنّ الفلكَ بما فيه من التّدْبير . تـكوّنَ بنفسه ومِنْ نفسه ! فَجَهْلُ[4] حمّادٍ بهذا المقدارِ من مقالة القوْم[5] ، كأَنّهُ عندى مِمّا يعرفه من براءته الساحة[6] . فإن كان قدْ أجابَهُـمْ فإنمـا هو من مقلِّديهم .

---

(١) الأرض عطف على السماء .

(٢) أى : وحبوت من زعم النسم . . . الخ . والنسم ، بالتحريك : جمع نسمة ، بالتحريك . والنسمة : الإنسان . وقد أسكن السين لضرورة الشعر . وفى الأصل : « النعم » تحريف ما أثبت . وجاء فى الأغانى (١١ : ٧١) فى أثناء الحديث عن عمارة بن حمزة ، الذى هو هنا : عمارة بن حربية : « وكان له نديم يعرف بمطيع ابن إياس ، وكان زنديقاً مأبونا . وكان له نديم آخر يعرف بالبقلى . وإنما سمى بذلك ؛ لأنه كان يقول : الإنسان كالبقلة ، فإذا مات لم يرجع » . فهذا النص يفسر ماجاء فى البيت ، ويدل على التصحيح الذى أثبت .

(٣) كذا ورد هذا الاسم فى الأصل ، بحاء مهملة بعدها راء وباء موحدة تحتية تتلوها ياء مثناة تحتية . وفى الأغانى (١١ : ٧١) : « عمارة بن حمزة » . وأمالى المرتضى (١ : ٩٠) نقلا عن الجاحظ « عمارة بن حمزة » .

(٤) فى الأصل : « فجعل » .

(٥) يعنى بالقوم ههنا الزنادقة .

(٦) كذا فى ط . وفى س : « من براءة الساحة » ، وفى هـ : « مما نعرفه من براءته الساحة » وكل محرف .

وهجا حمادُ بن الزِّبرِقان[1] ، حماداً[2] الراوية فقال :

نِعْمَ الفَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ ويقيمُ وقتَ صَلَاتِهِ حمادُ

هدَلَتْ مَشَافِرَهُ الدِّنَانُ فأنْفُهُ مِثْلُ القَدُومِ يَسُنُّها الحَدّادُ[3]

وابْيَضَّ مِنْ شرْبِ المُدَامَةِ وَجْهُهُ فَبَيَاضُه يوم الحساب سَوَادُ

فقد كان[4] كما ترى :

هدَلَتْ مَشافِرَهُ الدنانُ فأنفُه مثلُ القدوم . . . . (البيت)

فقد رأيتُ جماعةً ممَّنْ يُعاقِرُون الشَّراب ، قد عظمت آنفُهُمْ[5] وصارتْ لهم خراطيمُ ، منهُمْ رَوْحُ الصَّائغُ[6] ، وعبدَ الواحد صاحب اللؤلؤيّ[7]

---

(١) نسبه صاحب الأغانى (٦ : ١٦٢) إلى أبي الغول ، وكان حماد قد عاب شعراً له. وانظر الخزانة (٤ : ١٣٢ بولاق) والمخصص (١٧ : ٦) والعقد (٤ : ٣٢١) وأمالى المرتضى (١ : ٩١) وديوان المعانى (١ : ٣١٤) والشعراء ٧٥٤ .

(٢) فى الأصل : « حماد » .

(٣) الدنان : جمع دن ، بالفتح ، وهو من الأوعية التى يحفظ فيها الخمر ، وهو خزفى مستطيل مقير لايقعد إلا أن يحفر له . والقدوم ، بالفتح : قدوم النجار ، مؤنثة . فى المخصص : « نفخت مشافره الشمول » ، والمرتضى : « بسطت مشافره الشمول » ، والعسكرى : « هدلت مشافره المدام وأنفه » . والمدام والشمول : الخمر .

(٤) لعلها : « قال » .

(٥) آنف : جمع أنف . س ، ﻫ : « أنفهم » بالإفراد . وهو جائز . والعرب يقيمون الواحد مقام الجمع . وفى الكتاب : « ثم يخرجكم طفلا » أى أطفالا . و : « لا نفرق بين أحد منهم » ، والتفريق لا يكون إلا بين اثنين ، فالمعنى لا نفرق بينهم . و : « وإن كنتم جنبا » . انظر سر العربية ٣٣٩ الحلبى ، وحواشى الحيوان (٢ : ٤٠٣) .

(٦) لعله : « أبو روح الصائغ » . انظر (٣ : ٤٣٥) .

(٧) كذا وردت كتابة هذا الاسم بواوين فى الأصل وفى سائر المراجع القديمة . واللؤلؤى ، هو الحسن بن زياد ، الذى تقدمت ترجمته فى (١ : ٥٢) .

وجماعة من نَدْمانٍ[1] حمّاد بن الصّبّاح ، وعبد الله أخو نهر[2] ابن عسكر وناس كثيرٌ[3] .

ويدلُّ على ذلك من المنافَرَةِ قولُ جَريرٍ للأخطل :

١٤٣ وشَرِبتَ بعد أبي ظهير وابنِه سكَرَ الدِّنَانِ كأَنَّ أنْفكَ دُمّلُ[4]

وكان منهم يونس بن فروة[5] . وفى يونس يقول حمّادُ عجرد :

أما ابنُ فَرْوَةَ يُونسٌ فكأنَّهُ مِنْ كِبْرِهِ أيرُ الحمارِ القائمُ[6]
ما النَّاسُ عِنْدَكَ غيرُ نفسِكَ وحْدها والخَلْقُ عندَكَ ما خَلاكَ بهائمُ[7]
إنّ الذى أصبحْتَ مفتـوناً به سيزُول عنك وأنفُ جارِكَ راغمُ
فتعضُّ من نَدَمٍ يَدَيْكَ على الذى فرَّطت فيـه ، كَمَا يَعضُّ النّادمُ

---

(١) الندمان ، بالفتح : النديم على الشراب . والمراد هنا جماعة الندامى . وفى اللسان : «وقد يكون الندمان واحداً وجمعاً » . ومثله فى القاموس .

(٢) هـ فقط : « هز » . وكلمة : « أخو » هى فى الأصل : « أخا » .

(٣) فى الأصل : « وناسا كثيراً »، صوابه ما أثبت .

(٤) السكر ، بالتحريك : الخمر ، أو نبيذ يتخذ من التمر ، أو كل مسكر .

(٥) يونس بن فروة ، ويقال ابن أبى فروة . وجاء بالأخيرة فى لسان الميزان (٢ : ٣٥٣ ، ٦ : ٣٣٤ ، ٣٣٥) وكذا أمالى المرتضى (١ : ٩٠) نقلا عن الجاحظ . وما فى الشعر يرجح التسمية الأولى . وجاءت التسمية الأولى أيضاً فى جمع الجواهر ٢٠٩ فى أثناء رسالة للخوارزمى ، والعمدة (٢ : ١٨٥) والطبرى (١٠ : ٥٠) .

(٦) فى الأصل : « من كفره » وهو تحريف ، صوابه فى عيون الأخبار (١ : ٢٧٢) والعمدة ، وجمع الجواهر . وفى جمع الجواهر أيضاً : « ذاك الحمار » .

(٧) فى عيون الأخبار والعمدة : « والناس » موضع : « والخلق » . والبيت ساقط من س .

فلقــد رَضيتَ بعُصْبَةٍ آخَيتهــمْ وإخَاهُمُ لك بالمَعَرَّةِ لازمُ[1]

فعلِمْتَ حِينَ جعلتهم لك دخلة[2] أنى لعِرضك فى إخائك ظالِمُ

(ذكر بعض الزنادقة)

وكان حمَّادُ عجرد[3] ، وحَماد الرّاوية[4] ، وحمّادُ بن الزِّبرقان[5] ، ويونسُ بن هارُون[6] ، وعلى بن الخليل[7] ، ويزيد بن الفيض[8] ، وعُبادة وجميل بن محفوظ[9] ، وقاسم[10] ، ومطيع[11] ، ووالبة بن الحباب ، وأبانُ

(١) وإخاهم ، أراد : وإخاؤهم ، أى صحبتهم . قصر الكلمة للشعر . ط : « أوخاهم » تصحيحه من س ، هـ .

(٢) دخلة الرجل ، بتثليث الدال : بطانته .

(٣) حماد عجرد ، بالإضافة ، هو حماد بن عمر بن يونس ، شاعر مشهور ، وهو من مخضرمى الدولتين : الأموية والعباسية ، ولم يشتهر إلا فى العباسية . وكان بينه وبين بشار أهاج فاحشة . توفى سنة ١٦١ وقيل ١٦٨ أو قتل سنة ١٥٥ .

(٤) حماد الراوية ، هو حماد بن أبى ليلى ، عرف بكثرة روايته للشعر والخبر ، وكان يصنع فيهما . ولد سنة ٩٥ وتوفى سنة ١٥٥ .

(٥) حماد بن الزبرقان ، ذكره ابن حجر فى لسان الميزان (٢ : ٣٤٧) وهو ممن اتهم بالزندقة .

(٦) كذا فى الأصل ، وهو كذلك فى الأوراق للصولى ١٠ قسم أخبار الشعراء . وقد نقل عن الجاحظ ولو أنه لم يصرح بذلك . وقد يكون : « يونس بن فروة » الذى تقدمت ترجمته قريباً .

(٧) هو رجل من أهل الكوفة ، مولى لمعن بن زائدة ، وكان يعاشر صالح بن عبد القدوس ، لا يكاد يفارقه ، فاتهم بالزندقة . وله أخبار مع المهدى والرشيد. انظر الأغانى (١٣ : ١٣ — ١٨) .

(٨) ذكره صاحب لسان الميزان .

(٩) كذا فى الأصل وأمالى المرتضى والأغانى (١٦ : ١٤٣) نقلا عن الجاحظ. والأوراق ١٠ قسم أخبار الشعراء . وعند ابن حجر فى لسان الميزان : « حميد بن محفوظ » . فى رسم خاص . ولعله تصحف عليه .

(١٠) فى أمالى المرتضى : « قاسم بن زنقطة » .

(١١) هو مطيع بن إياس الكنانى ، من مخضرمى الدولتين ، كان ظريفا خليعاً . ولد ـ

ابن عبد الحميد[1] ، وعمارة بن حربية[2] ، يتواصلون ، وكأنهم نفس واحدة وكان بشارٌ ينكَر عليهم .

ويونسُ الذى زعم حمادُ عجْردٍ أنّهُ قد غرَّ نفسه بهؤلاء ، كانَ أشهَرَ بهذا الرّأى منهم ، وقد كان كتبَ كتاباً لملك الرُّوم ِ فى مثالب العرب ، وعيوب الإسلام ، بزعمه[3] .

(هجائية فى أبان والزنادقة)

وذكر أبو نواسٍ أبانَ بْنَ عبد الحميد اللاّحقى ، وبعضَ هؤلاء ، ذِكَرَ إنسانٍ يَرَى لهم قدْرًا وخطراً ، فى هجائِيّةٍ لأبان[4] ، وهو قوله :

جالسْتُ يوماً أباناً لا درَّ درُّ أبان

ونحنُ حَضْر رواق الـ أمير بالنَّهْرَوَانِ[5]

= ونشأ بالكوفة . وأخباره مبهمة فى الأغانى (١٢ : ٧٥ - ١٠٣) .

(١) أبان بن عبد الحميد اللاحق ، شاعر من ظراف الشعراء . نقل للبرامكة كتاب كليلة ودمنة فجعله شعراً ؛ ليسهل حفظه عليهم ، فأعطاه يحيى عشرة آلاف دينار ، و الفضل خمسة آلاف دينار ؛ ولم يعطه جعفر وقال : ألا يكفيك أن أحفظه فأكون راويتك ؟ ! .

(٢) فى الأغانى ولسان الميزان : « عمارة بن حمزة » ، وما فى أوراق الصولى يوافق ما أثبت من الأصل .

(٣) زاد فى أمالى المرتضى : « فأخذ منه مالا » .

(٤) ذكر سبب هذا الهجاء ، أبو الفرج فى الأغانى (٢٠ : ٧٣) قال : « كان يحيى بن خالد البرمكى قد جعل امتحان الشعراء وترتيبهم فى الجوائز ، إلى أبان بن عبد الحميد ، فلم يرض أبو نواس المرتبة التى جعله فيها أبان ، فقال يهجوه بذلك » .

(٥) حضر ، هنا بمعنى قربه وبمحضر منه . وانتصب على الظرفية . وأصله بتحريك الحاء الضاد . وسكن الضاد للشعر . ويقال أيضاً حضرة ، بالفتح . قال :

فشلت يداه يوم يحمل راية إلى نهشل والقوم حضرة نهشل =

حَتَّى إذا ما صَلاة الـ ـأُولَى أَتَتْ لأَوَانِ[1]
فقامَ ثَمَّ بها ذُو فصاحةٍ وبيـانِ[2]
فكلٌّ ما قال قلْنَا إلى انقضاء الأذانِ[3]
فقال : كيف شهدتم بِذَا ، بغيرِ عِيان ؟ ![4]
لا أشهَدُ الدَّهْرَ حَتَّى تُعَـايِنَ العَيْنَانِ !
فقلت : سبحانَ رَبِّي ! فقال : سُبحانَ مانِي ![5]
فقلت : عيسى رسولٌ فقال : مِنْ شَيطانِ ![6]
فقلتُ : موسى كَلِيمُ الْـ ـمهيمنِ المنَّانِ[7]

١٤٤

= والرواق ، بالكسر : مقدم البيت ، أو سقف فى مقدمه . ط ، س : « ونحن وحضروان » ، وتصحيحه من الديوان ١٨٠ وأوراق الصولى (قسم أخبار الشعراء ١١) .

(١) صلاة الأولى ، عنى بها الصبح . لأوان : أى لأوانها ووقتها . س ، ط : « الأذان » ، وأثبت ما فى الديوان ، والأوراق ، والأغانى . وفى هـ والخزانة (٣ : ٤٥٨ بولاق) نقلا عن الأغانى : « لأذان » ، وإخالها تحريفاً .

(٢) أى قام بصلاة الصبح مؤذنا لها ، رجل ذو فصاحة وبيان . فالمراد الأذان ، لا الصلاة .

(٣) أى كلما قال المؤذن قولا رددوه بعده .

(٤) بذا : أى بقول المؤذن : « أشهد ألا إله إلا الله » ، « أشهد أن محمداً رسول الله » . بغير عيان : بغير معاينة ومشاهدة .

(٥) مانى : صاحب دين المانوية الزنادقة . انظر ما كتبت عنهم فى ص ٨١ .

(٦) فى الأصل : « من شيطانى » ، صوابه من الديوان والأوراق . وقد أراد أنه قال : رسول من شيطان !

(٧) المنان : اسم من أسماء الله تعالى ، أى المعطى ابتداء . وفى الأصل : « المنانى » ، تصحيحه من الديوان والأوراق .

فقال : ربُّكَ ذو مُقْ　لَةٍ إذا ولِسانِ !
فنفســـه خلقَتْــه　أمْ مَنْ؟! فقُمْتُ مكانى
عن كافرٍ يَتَمَرَّى　بالكُفر بالرَّحمنِ[1]
يريد أن يتسوّى　بالعُصْبــة الُمجّان
بعَجْرَدٍ وعُبــادٍ　والوالبىِّ الهِجَانِ[2]
وقاسـمٍ ومُطيـعٍ　رَيْحانةِ النَّدْمانِ[3]

وتَعَجُّبى من أبى نواس ، وقد كان[4] جالسَ المتكلمين أشدُّ من تعجبى من حمّادٍ ، حين يَحكى عن قوم من هؤلاء قَولاً لا يقولُه أحد[5] . وهذه قُرَّة[6] عَينِ المهجوّ . والذى يقول : سبحانَ مانى ، يعظم أمر عيسى تعظيماً شديداً[7]

(١) يعمرى : يتزين . يقول : هو يتخذ الكفر زينة له . وبئس الزينة ! . ط والأوراق : « يمارى » بمعنى يشك ، وليس له وجه صالح . وأثبت ما فى س والديوان . وفى ﻫ : « متمرى » تحريف ما فى س . وبين هذا البيت وسابقه بيتان فى الديوان ، هما :

وقلتُ ربِّى ذُو رحْ　مَةٍ وذُو غُفْــرَانِ
وقُمْتُ أسحَبُ ذيلى　عن هازئٍ بالقُرانِ

(٢) فى الصفحة ٤٤٧ ، من اسمه : « عبادة » ، فلعله هو بهذا تغيير يسير ، لما يقتضى الشعر . أما الوالبى فهو والبة بن الحباب . شاعر من شعراء الدولة العباسية ، هاجى بشارا وأبا العتاهية فلم يصنع شيئاً ، وفضحاه . وهو أستاذ أبى نواس . الأغانى (١٦ : ١٤٢) .

(٣) سبق تفسير هذه الكلمة فى ص ٤٤٦ .

(٤) س : « وهو كان » .

(٥) إشارة إلى ما سبق فى ص ٤٤٣ .

(٦) ﻫ : « قوة » تحريف .

(٧) هذا مافهمه الجاحظ . ويؤيده ماورد فى فهرست ابن النديم ٣٢٨ ليبسك ٤٥٨ مصر : « وزعم مانى أنه الفارقليط المبشر به عيسى عليه السلام . واستخرج مانى =

فكيف يقول : إنّه من قِبَلِ شيطان ؟!

وأما قوله : « فنفسه خلقَتْه أم من » فإنَّ هذه مسألةٌ نجدها ظاهرةً على ألْسُنِ العوامّ . والمتكلمون لا يحكُون هذا عن أحد .

وفى قوله : « والوالبيُّ الهِجان » دليلٌ على أنّه من شكلهم .

والعجب أنَّه يقول فى أبان : إنَّهُ مِمَّن يتشبه بعَجْرد ومُطيعٍ . ووالبةَ ابن الحباب ، وعليٍّ بن الخليل . وأصبغ[١] — وأبانُ فوقَ ملء الأرض مِنْ هؤلاء . ولقد كان أبانُ ، وهو سكرانُ ، أصحَّ عقلا من هؤلاء وهم صحاةٌ[٢] . فأمّا اعتقادُه فَلاَ أدرى ما أقول لك فيه ؛ لأنَّ النّاس لم يؤْتَوْا فى اعتقادهم الخطأَ المكشوفَ ، من جهة النظر[٣] . ولكنْ للنّاس تأسّ وعاداتٌ ، وتقليدٌ للآباء والكُبراء ، ويعملون على الهوى ، وعلى ما يسبق إلى القلوب ، ويستثقلون التَّحصيلَ ، ويُهملون النَّظَرَ ، حتى يصيروا فى حالٍ متى عاودوه وأرادوه ، نظروا بأبصار كليلة[٤] ، وأذهان مدخُولة ، [و] مع سوء عادَة . والنّفسَ لا[٥] تجيبُ وهى مُسْتَكْرَهة . وكان

= مذهبه من المجوسية والنصرانية » . لكن جاء فى الفهرست أيضاً مايؤيد مافهمه أبو نواس . ففيه : « ومانى ينتقص سائر الأنبياء فى كتبه ، ويزرى عليهم ، ويرميهم بالكذب ، ويزعم أن الشياطين استحوذت عليهم ، وتكلمت على ألسنتهم بل يقول فى مواضع من كتبه : إنهم شياطين ! فأما عيسى المشهور عندنا وعند النصارى ، فيزعم أنه شيطان » الفهرست ٤٦٨ مصر . فالظاهر أن مرد ذلك الخلاف إلى مافى أقوال مانى من التناقض والتنافر .

(١) لم يذكر هؤلاء جميعاً فيما رواه الجاحظ من القصيدة المتقدمة ، فلعله سقط منها شىء . وانظر الديوان والأوراق حيث تجد زيادة فى الشعر .

(٢) الصحاة : جمع صاح ، من صحا يصحو . س : « أصحاء » ، صوابه فى ط ، هـ والأوراق ١٢ قسم أخبار الشعراء .

(٣) ط ، هـ : « النظير » ، صوابه فى س .

(٤) كليلة : ضعيفة . س : « قليلة » تحريف . وفى الأصل : « ونظروا » .

(٥) س : « لما » .

يقال : « العقل[1] إذا أكرِه[2] عَمِي » . ومتى عَمِيَ الطِّباعُ[3] [و] جَسَا وغلظ وأهمل ، حتَّى يألف الجهل ، لم يكد[4] يفهم ما عليه وله . فلهذا وأشباهه قاموا على الإلف ، والسَّابق إلى القلب .

(شعر لحماد عجرد)

وقال حمَّادُ عجْرَد :

اعلَمُوا أنَّ لوُدى ثمناً عنـدى ثَميناَ
لَيْتَ شِعْرِى أىَّ حُكْمٍ قَدْ أراكُمْ تَحْكُمُونا
أنْ تـكونوا غيْرَ مُعْطِيـ نَ وأنتمْ تأخذونا[5]

١٤٥ ابْنِ لُقْمَانَ بنَ عادٍ فى اسْتِ هذا الدِّين دِينا[6]

وما رأيت أحداً وضع لقمانَ بنَ عاد فى هذا الموضع . غيرَه ! وقال حَمَّادُ عجردٍ فى بشار :

يا ابنَ الحبيثةِ إنَّ أمَّـ ـكَ لم تـكُنْ ذاتَ اكتتامِ[7]
وتبدَّلتْ ثَوْبَانَ ذَا الْـ أيْرِ المضبَّرِ والعُرَامِ[8]

---

(١) ط ، هـ : « الطفل » ، صوابه فى س .

(٢) فى الأصل : « كره » .

(٣) الطباع ، بالكسر : الطبع والسجية .

(٤) ط ، هـ : ولم يكد » بإثبات الواو قبلها ، صوابه فى س .

(٥) ط : « تأخذون » ، صوابه فى س ، هـ .

(٦) ابن : أمر من بنى يبنى . ط ، س : « أين » وصوابه فى هـ . ولقمان : أى يالقمان ، حذف حرف النداء .

(٧) أى كانت تجاهر بفسقها .

(٨) ثوبان : رجل اتهمت أم بشار به . وفيه أيضاً يقول حماد عجرد (الحيوان ١ : ٢٤٢) :

ثَوْبَانَ دَقَّاقَ الأَزز بأرواث حســـامِ[1]
عَـــرْد كقائمة السَّر يرِ يُبيلهَا عنـــد الرِّطام[2]
وَأَتَتْ سُمَــيعةُ بَعْدَهَا بالمصمئلاّتِ العِظــامِ[3]
أخت لهم كانت تكا برُ أن تُسَافِحَ مِنْ قيـام[4]

وقال حمَّاد يذكر بشاراً .

غزالة الرجسة أو بنتها سُمَيعة الناعيـــة الفهرا[5]

وقال وذكر أمّه[6]

أَبَنِىَ غزَالة يا بنِي جُشَمِ استَها لَيَحقكُمْ أَنْ تفرَحوا لاَتَجزعُوا[7]

(حماد عجرد وبشار)

وما [كان] ينبغى لبشَّارٍ أنْ يناظِرَ حماداً من جهة الشعرِ وما يتعلّقُ

= يابن التى نشزت عن شيخ صبيتها لأير ثوبان ذى الهامات والعجر

يقول : تبدلت ثوبان بزوجها . ط : « ثوبين » ، تحريف صوابه فى س ، هـ .

(١) ط : « دقاقا » صوابه فى س ، هـ . ط : « الازار » وأثبت ما فى س ، هـ ، وهما محرفان . س : « يلقها أرزب خام » وأثبت ما فى ط ، هـ . على تحريفهما .

(٢) العرد ، بالفتح : الصلب الشديد . ط : « كقائمة السير » صوابه فى س ، هـ . يبيلها : يجعلها تبول . ط ، س : « يسلها » ووجهه ما أثبت من س . والرطام : أن يخالطها مستوعبا . هـ : « الركام » صوابه فى ط ، س .

(٣) ضبطت « سميعة » بهيئة التصغير فى س . والمصمئلات : الدواهى .

(٤) تكابر ، هى فى ط : « لكابر » محرفة .

(٥) كذا جاء البيت .

(٦) أى أم بشار . ط ، س : « وقال ذو الرمة » وهو تحريف لاجرم .

(٧) أبنى ، أى يابنى . والجشم ، كصرد : الجوف : ط ، هـ : « ياجشم » وإكماله من س .

بالشِّعر ، لأنَّ حمَّاداً في الحَضِيض ، وَبَشَّارًا مع العَيُّوق[١] . وليس في الأرض مولَّدٌ قَرَوِيٌّ يُعَدُّ شعرُه في المحدث إلاّ وبَشَّارٌ أشعرُ منه .

(شعر في هجو بعض الزنادقة)

وقال أبو الشمقمق في جميل بن محفوظ[٢] :

وهذا جميلٌ على بغله ... وَقَدْ كانَ يعدُو عَلَى رِجْلِهِ
يَرُوحُ ويغدو كأَيْرِ الحمارِ ... وَيرجِعُ صِفْراً إلى أهله[٣]
وقد زَعموا أَنَّهُ كافرٌ ... وأنَّ التَّزَنْدُقَ من شَكْلِهِ
كأني به قد دعاهُ الإمامُ ... وآذن ربُّكَ في قتْـلِه

(غلو أبي نواس في شعره)

وأمّا أبو نُواسٍ فقد كان يتعرّضُ لِلْقَتْلِ بجهْدِه . وقد كانوا يعجَبون من قوله :

كيف لايُدْنيك مِنْ أَمَلٍ ... مَنْ رَسُولُ اللهِ مِنْ نَفَرِه[٤]

---

(١) العيوق ، بفتح العين ، وتشديد الياء المضمومة : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن ، يتلو الثريا لايتقدمها . يضرب به المثل في العلو .

(٢) سبقت ترجمته في ٤٤٧ .

(٣) ط : « يروح ويغد » صوابه في س ، ه . صفراً : خالى اليدين .

(٤) من نفره : من قومه وأنصاره : ه : « نقله » تحريف . والبيت من قصيدة رائية مشهورة مطلعها :

أيها المنتاب من عفره ... لست من ليل ولا سمره

يمدح بها العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر المنصور . الديوان ٦٦ . وقد أثار هذا البيت ضجة كبيرة بين الأدباء ، فأخذوا عليه قوله : « من رسول الله من نفره » . انظر الكامل ٢٣٤ — ٢٣٥ ليبسك والعقد (٣ : ٤٣٦ — ٤٣٧) =

فلما قال :

فاحْبِبْ قُريشاً لحبِّ أحمَدِها واشكُرْ لها الجَزْلَ مِنْ مواهبها(١)

جاء بشيء غطّى على الأوّلِ .

وأنكروا عليه قولَه :

« لو أكثر التَّسْبيح ما نجّاه »

= حيث تجد النقد والاعتذار له . وفى الموشح ٢٧٩ أن أبا على الضرير ، أحد رواة أبى نواس قال : « أنشدنى أبونواس فى العباس بن عبيد الله ؛ مديحه الذى يقول فيه :

كيف لايدنيك من أمل من رسول الله من نفره

فعلمت أنه كلام ردىء مستهجن موضوع فى غير موضعه ، وأنه مما يعاب به ؛ لأن من حق الرسول صلى الله عليه وسلم أن يضاف إليه ، وألا يضاف إلى أحد . فرأى ذلك فى وجهى ، فقال لى : ويلك ! إنما أردت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبيل الذى هو منه ، كما قال حسان :

وما زال فى الإسلام من آل هاشم دعائم عز لا ترام ومفخر

بهاليل منهم جعفر وابن أمه على ومنهم أحمد المتخير

فقال : منهم ، كما قلت من نفره . أى من النفر الذين العباس منهم ، فما تعيب من هذا ؟ ! » . قال أبو على : « فعلمت أن هذا ضرب من الاحتيال » . وقد روى هذا الخبر فى أخبار أبى نواس ١٦١ - ١٦٢ وزاد فى آخره : « ولكنه قد أحسن المخرج منه » . وفى الصناعتين ١١٣ نظائر لهذا الخطأ .

(١) رواية الديوان ١٥٧ : « أحبب » بقطع الهمزة وإسقاط الفاء : أمر من أحب يحب . ورواية الجاحظ هنا تخرج على لغة ضعيفة . وفى اللسان عن الفراء ، أن حببته لغة . وفيه أيضاً : « وكره بعضهم : حببته ، وأنكر أن يكون هذا البيت لفصيح » . وفيه : « وحكى سيبويه : حببته وأحببته بمعنى » . وفى الصناعتين ١١٣ : « واحبب » . والبيت من قصيدة جيدة لأبى نواس يفتخر فيها بقحطان ويهجو عدنان ، وقد أبدع فى صنعتها إبداعا ، وأتى بطريف حقا . ولكن هذه القصيدة جلبت إليه شؤما بما حبسه الرشيد وأطال من حبسه . ومطلعها :

ليست بدار عفت وغيرها ضربان من قطرها وحاصبها

وفيها يقول :

فاهجِ نزارا وافر جلدتها واهتك الستر عن مثالبها

فلما قال :

١٤٦ يا أحمدَ المُرْتَجَى فى كُلِّ نائبةٍ   قُمْ سَيِّدِى نَعْصِ جَبَّارَ السَّمٰوَاتِ[1]

غطّى هذا على الأوّل[2] . وهذا البيت مع كفره مَقِيت جدا . وكان يُكثِر فى هذا الباب[3] .

(خطأ أبى نواس فى شعره)

وأما سوى هذا الفنّ فلم يعرِفُوا له من الخطإ إلاّ قولَه :

أَمستخبرَ الدّارِ هلْ تنطِقُ   أنا مكان الدار لا أنطقُ[4]

كأنها إذْ خَرِسَتْ جَارِمٌ   بينَ ذَوِى تَفْنِيدِهِ مُطْرِقُ[5]

فعابوه بذلك ، وقالوا : لايقول أحد : لقد سكت هذا الحَجَرُ ، كَأَنَّهُ

---

(١) أحمد هذا ، هو أحمد بن أبى صالح ، كان أبو نواس يتعشقه . أخبار أبى نواس ١٤٥ . وأبيات القصيدة فيها ، وفى ديوانه ٢٤٩ - ٢٥٠ . وقبله :

فقلت والليل يجلوه الصباح كما   يجلو التبسم عن غر الثنيات

(٢) فى الأصل : « الأولى » . وانظر مثل هذا التعقيب فى الصفحة السابقة . و « غطى » رسمت بالألف فى هذا الموضع وسابقه فى كل من ط ، ه وهو رسم قديم . وأثبت مافى س .

(٣) أى كان أبو نواس يكثر من القول فى مثل المعنى السابق . ومما قال فى ذلك (الصناعتين ١١٣) :

تنازَعَ الأحمدان الشَّبهَ فاشْتَبَهَا   خَلْقًا وَخُلْقًا كما قُدَّ الشِّراكانِ

قال العسكرى : « فزعم أن ابن زبيدة مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خلقه وخلقه » .

(٤) ط : « أخبر الديار » س : « أمستخبر الديار » ه : « يامستخبر الدار » . ولعل صوابه ماأثبت . وعجز البيت هكذا ورد بالأصل .

(٥) الجارم : الجانى . والتفنيد ، المراد به : اللوم والعذل . والتفنيد : التكذيب والتعجيز وتخطىء الرأى وتضعيفه . والبيت عند العسكرى فى الصناعتين ٦٨ .

إنسانٌ ساكت ، وإنما يُوصَف خرَسُ الإنسانِ بخَرَسِ الدَّارِ ، ويشبَّهُ صممه بصمَمِ الصَّخر .

وعابوه بقوله ، حين وصف عَيْنَ الأسد بالجحوظِ ، فقال :

كأنَّمَا عَيْنُهُ إذا التهبَتْ بارِزَةَ الجفْنِ عـينُ مخنوقِ[1]

وهُمْ يَصِفُونَ عينَ الأسد بالغؤورِ . قال الرَّاجز :

* كأنما يَنْظرُ من جَوْفِ حَجَرْ[2] *

وقال أبو زُبَيدٍ[3] :

كأنَّ عَينيه فى وَقْبَين من حَجَر قِيضا اقتياضاً بأطراف المناقير[4]

ومع هذا فإنَّا لا نعرف بَعْدَ بَشَّارٍ أشعَرَ منه[5] .

وقال أبو زُبيد :

وعَينانِ كالوَقْبين فى ملْء صَخْرَةٍ ترى فيهما كالجمْرَتَيْنِ تَسَعَّرُ[6]

(قصة راهبين من الزَّنادقة)

وحدَّثنى أبو شُعيب القَلاَّلُ ، وهو صُفْرِىٌّ[7] ، قال : رهبان الزَّنادقةِ

(١) هـ : « والمخنوق » وأثبت ما فى ط ، س والصناعتين ١١٥ .

(٢) فى الصناعتين : « من خرق حجر » .

(٣) هو أبو زبيد الطائى ، الذى تقدمت ترجمته فى (١ : ٣٥٢) .

(٤) الوقب ، بالفتح : النقرة فى الصخر . قيضا : شقا وحفرا . اقتياضا : استئصالا . فى الأصل : « قيضاً اقتناصا » محرف ، صوابه فى الصناعتين ١١٥ . والمناقير : جمع منقار ، وهو حديدة كالفأس ينقر بها .

(٥) منه : أى من أبى نواس . وحق هذا التعقيب أن يكون بعد البيت الآتى .

(٦) فى الصناعتين : « فى قلب صخرة * يرى فيهما » .

(٧) الصفرى ، بالضم ، ويكسر : واحد الصفرية . وهم فرقة من الخوارج ، نسبوا إلى زياد بن الأصفر ، أو عبد الله بن صفار ، أو إلى صفرة ألوانهم ، أو لخلوهم من =

سَيّاحون⁽¹⁾ ، كأنهم⁽²⁾ جعلوا السِّياحَةَ بدلَ تعلقِ النُّسطورى⁽³⁾ فى المطامير .
و [مُقامُ⁽⁴⁾] الملكانىّ⁽⁵⁾ فى الصَّوامع . ومُقامُ النُّسطورِىّ

= الدين . انظر القاموس . وتفصيل مذهبهم فى الفرق ٧٠ - ٧١ والملل والنحل (١ : ١٨٣ - ١٨٤) . والأرجح نسبتهم إلى زياد بن الأصفر ، كما فى الفرق والملل . ط : « صفرى » صوابه فى س ، ه .

(١) السياحة : الذهاب فى الأرض للعبادة ، وانظر ماسيأتى من قول الجاحظ .

(٢) ط ، ه : « لأنهم » وأثبت مافى س .

(٣) فى القاموس : « النسطورية ، بالضم وتفتح : أمة من النصارى تخالف بقيتهم . وهم أصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمن المأمون ، وتصرف فى الإنجيل بحكم رأيه ، وقال : إن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة . وفى الفصل (١ : ٤٩) : « وهذه الفرقة غالبة على الموصل والعراق وفارس وخراسان . وهم منسوبون إلى نسطور ، وكان بطريركا بالقسطنطينية » . وقد أخطأ صاحب القاموس ؛ فإن نسطور ، أو نسطورس كان قبل الهجرة لا فى زمن المأمون كما زعم . وقد ذكر المسعودى فى التنبيه والإشراف ١٢٧ أن السنهودس الثالث بمدينة أفسيس قرر لعن نسطورس والتبرؤ منه ونفيه ، فسار إلى صعيد مصر فأقام ببلاد أخميم والبلينا ومات بقرية يقال لها سيفلح » . وقد كان اجتماع ذلك السنهودس فى سنة ٤٣١ الميلادية ، كما جاء فى كتاب تاريخ الأمة القبطية ، تأليف لجنة التاريخ القبطى (الحلقة الثانية ١١٦) . ، وكما جاء فى معجم القرن العشرين : (Nestorian) . وصاحب القاموس المحيط المتوفى سنة ٨١٧ ه قد تابع فى خطئه هذا ، ماذكره الشهرستانى صاحب الملل والنحل المتوفى سنة ٥٤٨ ، حيث قال فى (٢ : ٦٤) : « النسطورية أصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمان المأمون » . وانظر رد ابن الأثير عليه فى الكامل (١ : ١٩١) . وقد تولى نسطورس بطريركا سنة ٤٢٨ م . فبينه وبين ظهور الإسلام نحو ١٨٣ سنة .

(٤) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(٥) الملكانى : واحد الملكانية ، ويقال ملكانى وملكائية ، كما فى مفاتيح العلوم ٢٣ وملكى وملكية كما فى التنبيه والإشراف ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٦ . وفى مفاتيح العلوم : « وهم منسوبون إلى ملكاء . وهم أقدمهم » . يعنى أقدم النصارى . وفى الملل والنحل (٢ : ٦٢) : « الملكائية أصحاب ملكا الذى ظهر بالروم واستولى عليها » . والحق أن الملكانيين منسوبون إلى « ملكا » =

فى المطامير[1] .

قال : ولا يَسِيحون إلاَّ أزواجا . ومتى رأيتَ منهم واحداً فالتفتْ رأيتَ صاحبَه[2] ، والسِّياحة عندهم ألاَّ يبيت أحَدُهم فى منزِلٍ ليلتَين . قال : ويسِيحون على أربع خِصال : على القدْس ، والطُّهر ، والصِّدق ، والمسكنَة . فأمَّا المسكنة ، فأَنْ يأكلَ من المسألة[3] ، ومِمَّا طابت به أنفُسُ النَّاس له حَتَّى لا يأكلَ إلاَّ من كسْبِ غيره الذى عليه غُرْمُهُ ومأثمه . وأمّا الطهر فترك الجِماعِ . وأمّا الصِّدق فعلى ألاّ يكذبَ . وأما القُدْس فعلى أن يكتُمَ ذنبَه ، وإن سئل عنه .

قال : فدخل الأهوازَ منهم رجلان ، فمضى أحَدُهما نحو المقابرِ للغائط وجلس الآخرُ بقربِ حانوتِ صائغٍ ، وخرجت امرأةٌ من بعض تلك القُصُور ومعها حُقٌّ[4] فيــه أحْجارٌ نَفيسة ، فلما صَعِدَت من الطَّريق إلى دكان الصَّائغ زلِقت فسقَطَ الحقُّ من يدها ، وظليمٌ لِبعضِ أهل تلك الدُّورِ يتردَّدُ ١٤٧ فلما سقَطَ الحقُّ وبايَنَهُ الطَّبَقُ[5] ، تبدّدَ ما فيه مِنَ الأحْجار ، فالتَقَمَ

= « ومعناه » الملك بالسريانية . والمراد بهم : أتباع مذهب قياصرة الروم ، الذى يسمى أيضاً المذهب الخلقيدونى، الذى أقره المجمع المعقود فىخلقيدونية سنة٤٥١ م . انظر تاريخ الأمة القبطية (الحلقة الثانية ص ٩١ — ٩٣) .

(١) المراد بالمطامير : أماكن تهيأ تحت الأرض . وهى فى أصلها اللغوى : حفر أو أماكن تحت الأرض ، يطمر فيها الطعام والمال ، أى يخبأ . والمطمورة أيضاً : السجن تحت الأرض . انظر اللسان .

(٢) س : « ترى صاحبه » .

(٣) أى سؤال الناس الطعام . س : « فأنه » مكان : « فأن » .

(٤) الحق ، بالضم : وعاء من الخشب ، ومثله الحقة ، بالضم أيضاً . وقد يكون الحق جمعاً لحقة ، كما فى اللسان والقاموس . لكن المراد هنا المفرد قطعاً .

(٥) الطبق ، بالتحريك : غطاء كل شىء . وفى الحديث : « حجابه النور ، لو كشف طبقه لأحرقت سبحات وجهه كل شىء أدركه » . سمى طبقاً لأنه يطابق ويساوى ما هو غطاء له .

ذلك الظَّلِيمُ أعظَمَ حَجرٍ فيه وأَنْفَسَهُ ، وذلك بِعَيْنِ السَّائح[١] ؛ ووثب الصَّائغُ وغلمانهُ فجمَعُوا تلك الأَحْجَارَ ، وَنَحَّوا النَّاسَ[٢] وصاحُوا بهم فلم يَدْنُ منهم أَحَدٌ ، وفقدوا ذلك الحجَر ، فصرخت المرأةُ ، فكشفَ القَوْمُ وتناحَوْا[٣] ، فلم يصيبوا الحَجَرَ ، فقال بعضهم : واللهِ ماكان بقُربنا إلاّ هذا الرّاهبُ الجالسُ ، وماينبغى أن يكون إلاّ معــه ! فسألوه عن الحجر فكرِه أنْ يخبرَهم أنه فى جوف الظليم فيُذْبَحَ الظليمُ ، فيكونَ قد شاركَ فى دَمِ بعضِ الحيوان ، فقال : ما أخذْتُ شيئاً ! وبحثوه وفتّشوا كلّ شىء معه وألحُّوا عليه بالضّرب ، وأقبل صاحِبَهُ وقال[٤] اتّقوا اللهَ ! فأخذُوهُ وقالوا دفعته إلى هذا حَتَّى غَيَّبَهُ ! فقال : ما دفعتُ إليه شيئاً ! فضرَبوهما ليقرَّ[٥] فبينما هما كذلك إذْ مَرَّ رَجُلٌ يَعْقِلُ ، ففهم عنهُمُ القِصَّةَ ، ورأى ظليماً يتردّدُ فقال لهم أكان هــذا الظليمُ يتردَّد فى الطريق حِينَ سَقَطَ الحجر ؟ قالوا : نَعَمْ . قال : فهو صاحبكم . فعوَّضُوا أصحاب الظليم ، وذبحوه وشقّوا عن قانصته ، فوجدوا الحجَر وقد نَقَص فى ذلك المقدارِ من الزّمانِ شبيها بِشَطْره[٦] ، إلاّ أنها أعطتْهُ لوْناً صارَ الذى استفادُوه من جهةِ اللَّوْنِ أربحَ لهم من وزْنِ ذلك الشّطر أنْ لَوْكانَ لم يَذهَبْ .

ونارُ القانصةِ غيرُ نارِ الحجَرِ[٧] .

---

(١) العين ، بالفتح : المعاينة . ومنه قولهم فى المثل : « تطلب أثراً بعد عين » . انظر أمثال الميدانى فى هذا الرسم .

(٢) نحوا : أبعدوا . ط : « نحو الناس » صوابه ، فى س ، هـ .

(٣) تناحوا : المراد بها تباعدوا . ط : « تناجوا » بالجيم ، صوابها فى س ، هـ .

(٤) ط ، س : « وقال » صوابه من هـ .

(٥) فى الأصل : « ليموتا » . وفى الجماهر للبيرونى ٤١ : « فضربا ضرب التقرير » .

(٦) أى قريبا من نصفه .

(٧) أى النار التى تقدح من الحجر .

القول في النّيران وأقسامها

ونحنُ ذاكِرُون جُمَلاً في القَول في النّيرانِ وأجناسِها ، ومَواضِعِها ، وأيٍّ شيءٍ منها يضافُ إلى العجَم ، وأيٍّ شيءٍ منها يضاف إلى العَرب . ونُخبِرُ عن نيران الدِّيانات وغير الدِّيانات . وعمَّن عظَّمها وعمَّن استهانَ بها . وعمَّنْ أفرَطَ في تعظيمها حتّى عبَدَها . ونخبِرُ عن المواضع ِ التي عُظِّمَ فيها مِنْ شأنِ النّار .

(نار القربان)

فمن مواضعها التي عُظِّمَتْ بها أنَّ الله عزَّ وجلَّ جعلها لبني إسرائيلَ في موضع ِ امتحانِ إخلاصهم ، وتعَرُّفِ صدقِ نِيّاتِهم ؛ فكانوا يتقرَّبون بالقُرْبان . فَمَنْ كانَ منهم[1] مُخْلِصاً نزلتْ نارٌ من قِبَلِ السّماءِ حتّى تُحِيطَ به[2] فتأكُلَهُ ، فإذا فَعلَتْ ذلك كان صاحبُ القُرْبانِ مُخْلِصاً في تَقَرُّبِهِ . ومَتَى لَمْ يرَوْها وَبَقِيَ الْقرْبانُ على حَاله . قَضَوْا بأنّهُ كانَ مدخولَ القلْب فاسِد النِّيّةِ . ولذلك قال الله تعالى في كتابه : ﴿ الَّذِينَ قَالوا إنَّ اللهَ عَهِدَ إلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ[3] ﴾ . ١٤٨

والدَّليل على أنَّ ذلك قَدْ كَانَ معلوماً ، قولُ الله عزّ وجلّ :

---

(١) « فمن كان منهم » ساقطة من هـ .

(٢) أي بالقربان . وفي الأصل : « بهم » ، تحريف .

(٣) الآية ١٨٣ من آل عمران .

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ ﴾ ثمَّ إنّ الله سَتَرَ على عبادِه ، وجعَلَ بيانَ ذلك فى الآخرة . وكان ذلك التّدْبيرُ مصلحةَ ذلك الزّمانِ[1] ، ووفق[2] طبائعهم وعِلَلهم . وقد كانَ القومُ من المعاندةِ والغَباوة على مقدارٍ لم يكنْ لينجع[3] فيهم وَيَكْمُلَ لمصلحتهم إلاّ ماكان فى هذا الوزْن . فهذا بابٌ من عظم شأن النّار فى صُدور النّاس .

ومِمّا زاد فى تعظيم شأنِ النّار فى صدور النّاس[4] قولُ الله عزّ وجلّ : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى . إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ[5] أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى . فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِىَ يَامُوسَى . إِنِّى أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ . وقال عزّ وجلّ : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ[6] إِنِّى آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُون . فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِىَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِى النَّارِ وَمَنْ حَولَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وكان ذلك مما زاد فى قَدْرِ النّارِ فى صدور النّاس .

---

(١) فى ثمار القلوب ٤٥٥ نقلا عن الجاحظ : « وكان ذلك التدبير مصلحة فى ذلك الأمر » .

(٢) ط : « ووافق » ، وأثبت ما فى هـ وثمار القلوب .

(٣) ط : « ينجع » .

(٤) الكلام من قوله : « قول الله عز وجل » إلى هنا ، ساقط من س .

(٥) فى الأصل : « بخبر » وهو تحريف شنيع . والآية هى العاشرة من سورة طه .

(٦) ط ، هـ : « فقال لأهله امكثوا » س : « وقال لأهله امكثوا » وهو تحريف كبير كسابقه . والآية هى السابعة من سورة النمل . وقد سبق مثل هذا التحريف فى القرآن ، فى ص ٨ و ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٣١٠ . وانظر تحقيق النصوص لعبد السلام هارون ص ٤٥ .

ومن ذلك نار إبراهيم صلى الله عليه وسلم . وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ . قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ ثمّ قالَ ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ فلما قالَ الله عزّ وجلّ : ﴿ قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ كانَ ذلك ممّا زاد في نباهة النّار وَقَدْرِهَا في صُدور النّاس .

باب آخر

(تنويه القرآن الكريم بشأن النار)

وهو قوله عزّ وَجَلّ : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ[1] ﴾ .

والنَّارَ مِنْ أَكْبَرِ الماعون[2] ، وأعظَمِ المرافق . ولو لم يكنْ فيها إلاّ أَنّ الله عزّ وَجَلّ قد جَعَلَهَا الزاجرةَ عن المعاصي ، لكان ذلك ممّا يزيدُ في قَدْرِها ، وفي نَباهةِ ذِكْرِها .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ[3] ﴾ ، ثم قال . ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ[4] ﴾ . فقف عند قوله : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا ﴾ .

---

(١) الآية ٨٠ من سورة يس .

(٢) الماعون : ما ينتفع به . في الأصل : « من أكثر الماعون » .

(٣) الآيتان ٧١ ، ٧٢ من سورة الواقعة .

(٤) الآية ٧٣ من سورة الواقعة .

فإنْ كنت بهذا القول مؤمناً فتذكَّرْ ما فيها من النعمة أوَّلاً ثم آخراً ، ثم توهَّمْ مقادير النعم وتصاريفها .

١٤٩. وقد علمنا أنَّ الله عذَّب الأممَ بالغَرَق ، والرِّياحِ ، وبالحاصِب[١] ، والرُّجُمِ[٢] ، وبالصَّواعق ، وبالخسْف[٣] ، والمسخ ، وبالجُوع ، وبالنقص من الثمرات ، ولم يبعث عليهم نَاراً ، كما بعث [عليهم[٤]] ماءً وَريحاً وحجارة . وجعلها من عقاب الآخرة ، ونهى أن يُحرَق بها شيء من الهوامّ وقال[٥] : « لاتُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ » . فَقَدْ عَظَّمَهَا كما ترى .

فتفهَّمْ — رَحِمَكَ الله — فقد أرادَ اللهُ إفهَامك .

وقال الله تعالى للثَّقَلَيْنِ[٦] : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنْتَصِرَان . فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ . فجعل الشُّواظَ والنُّحَاسَ ، وهما النَّارُ وَالدُّخانُ ، من الآية . ولذلك قال على نَسَق الكلام : ﴿ فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ،ولم يَعْنِ أن التَّعْذِيبَ بالنَّار نِعمةٌ يومَ القيامة ، ولكنه أرادَ التَّحذيرَ بالخوفِ والوَعِيدِ بهـا[٧] ، غيرَ إدخالِ النَّاس[٨] فيها ، وإحراقهم بها .

---

(١) الحاصب : ريح شديدة تحمل التراب والحصباء . وقيل : هو ما تناثر من دقاق البرد والثلج ، أو الريح التي تقلع الحصباء .

(٢) الرجم ، بضمتين : النجوم التي يرمى بها .

(٣) الخسف : تغييب الشيء في باطن الأرض . وفي الكتاب في شأن قارون : « فخسفنا به وبداره الأرض » .

(٤) الزيادة من س ، ه : وثمار القلوب ٤٥٤ .

(٥) أي على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . والحديث الآتي رواه أبوداود والترمذي والحاكم في المستدرك . انظر الجامع الصغير ٩٨٣٠ .

(٦) الثقلان ، بالتحريك : الجن والإنس .

(٧) كذا في س . وفي ط ، ه : « والخوف والمواعيد بها » .

(٨) في الأصل : « النار » ، ووجهه ما أثبت .

(شعر فى بعض النبات)

وقال المرَّار بن منقذ[1] :

وكأَنَّ أرحُلنا بجـوٍّ مُحَصَّبٍ بِلوَى عُنَيزةَ مِنْ مَقِيلِ التُّرْمُسِ[2]

فى حيثُ خالطت الخزامى عَرْفَجاً يأتيك قابسَ أَهْلِهَا لم يُقْبسِ[3]

أراد خِصْبَ الوادى ورُطوبَتَهُ . وإذا كان كذلك لم تَقْدَحْ عيدانُهُ ، فإنْ دَخَلها[4] مستقبسٌ لم يُورِ ناراً .

وقال كُثَيِّر :

له حسبٌ فى الحىِّ ، وارٍ زِنَـادُهُ عَفَـارٌ وَمَرْخٌ حَثَّهُ الوَرْىُ عاجلُ[5]

---

(١) المرار بن منقذ ، ذكره صاحب المؤتلف ١٧٦ ، ويعرف أيضاً بالمرار الحنظلى ، وهو الذى سعى بجرير إلى سليمان بن عبد الملك فهاج الهجاء بينه وبين جرير . معجم المرزبانى ٤٠٩ . والبيتان الآتيان سبقا فى (٣ : ١٢١) .

(٢) ط ، ه : « أرجلنا » صوابه فى س . ط : « مخصب » وأثبت ما فى س ، ه والبيان (٣ : ٣٤) . وما فى ط رواية المخصص (١٠ : ١٢٣) . وانظر ما سبق من شرح البيت فى (٣ : ١٢١) .

(٣) فى الأصل : « الخزاما » بالألف . وانظر ما سبق من الكلام على هذا البيت فى (٣ : ١٢١) .

(٤) انظر ما سبق من تعقيب الجاحظ فى (٣ : ١٢١) . ولعل : « دخلها » : « حكها » أو « قدحها » .

(٥) وار : متقد . والزناد : جمع زند ، أو الزناد مفرد كالزند ، عن كراع ، وهو ذاك الذى يقتدح به . وهى كناية عن الكرم وغيره من الخصال المحمودة . ط ، س : «وارى» صوابه فى ه والمخصص . حثه : أراد : عجل بإشعاله . وفى الأصل « حثة » تحريف صوابه فى المخصص (١١ : ٢٧) . وصدره فى المخصص : « لهم حسب » ومما قيل فى مثل هذا المعنى ، قول الأعشى :

زنادك خير زناد الملوك خالط فيهن مرخ عفارا

ولو بت تقدح فى ظلمة حصاة بنبع لأوريت نارا

والعَفار والمَرْخ ، مِن بين جميع العِيدان التى تُقْدَحُ ، أكثرُها فى ذلك وأسرعُها .

قال : ومن أمثالهم : « فى كُلِّ الشَّجَرِ نارٌ ، واستمجَدَ المَرْخُ والعَفار[1] » .

(نار الاستمطار)

ونارٌ أخرى ، وهى النَّار التى كانوا يَسْتَمْطِرُونَ بها فى الجاهليَّةِ الأولى ؛ فإنهم كانوا إذا تتابعت عليهم الأَزَمَات[2] ورَكَدَ عليهم البلاءُ ، واشتدّ الجَدْب ، واحتاجُوا إلى الاستِمْطار ، اجتَمَعُوا وجَمَعُوا ما قَدَرُوا عليه من البَقر ثمَّ عقَدُوا فى أذنابها وبينَ عَراقِيبها ، السَّلَعَ والعُشَر[3] ، ثمَّ صعدوا بها فى جبلٍ وعْرٍ[4] ، وأشعَلُوا فيها النِّيرانَ ، وضجُّوا بالدُّعاء والتضرُّع . فكانوا يَرَوْنَ أنّ ذلك من أسبابِ السُّقيا . ولذلك قال أُمَيَّةُ :

سَنةٌ أَزْمةٌ تخيِّلُ بالنَّا ... سِ ترَى للعِضاهِ فيها صرِيرا

(١) استمجد : أسرع الورى ؛ فهو فى منحه النار بسرعة ، شبيه بمن يكثر من العطاء طلباً المجد . ط ، س : « استجمد » هو : « استمحر » صوابهما فى اللسان وأمثال الميدانى (٢ : ١٨) والمخصص (١١ : ٢٧) والخزانة (١ : ١٥٩ ، ٢ : ٨٦ ، ٤ : ٤٦ بولاق) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) .

(٢) الأزمات ، بالتحريك : جمع أزمة بالفتح ، وهى الشدة . وفى الأصل : « الأزمان » محرفة .

(٣) السلع ، بالتحريك ، والعشر بضم ففتح : ضربان من الشجر ، كان العرب يأخذون حطبهما للغرض الذى ذكره الجاحظ .

(٤) وروى عكسه ، أى أنهم كانوا يحدرونها من الجبال . انظر شرح شواهد المغنى ٣٤٧ .

إذْ يَسفُّونَ بالدَّقيقِ وكانوا قَبْلُ لا يأكُلونَ شيئاً فَطيرا(١)
ويَسُوقون باقراً يطردُ السَّهـ لَ مهازيلَ خشْيةً أن يَبُورَا(٢)
عاقِدِينَ النِّيرانَ في شُكُرِ الأذْ نابِ عَمداً كيما تَهيجَ البُحورا(٣)
فاشتَوَت كلها فهاجَ عليهم ثمَّ هاجَتْ إلى صَبِيرٍ صَبيرَا(٤) ١٥٠
فرآها الإلٰه تُرْشِمُ بِالْقَطْـ رِ وأمسى جَنابُهم ممطورا(٥)
فسقاها نَشاصُه واكفَ الغيْـ ثِ منه إذ رادعوه الكبيرا(٦)
سَلَعٌ ما ومِثْله عُشَرٌ ما عائلٌ ما وعالت البيقورا(٧)

---

(١) سففت السويق والدواء ونحوهما ، بكسر الفاء الأولى ، أسف ، بفتح السين . والباء في : « بالدقيق » زائدة . أي يسفون الدقيق . انظر أدب الكاتب ٣٩٧ والاقتضاب ٤٥٦ . والفطير : ماعجل خبزه من ساعة ، ولم يترك حتى يختمر .

(٢) الباقر : البقر . ورواية اللسان (عيل) : « ويسوقون باقر السهل للطود » وهي رواية الآلوسي في بلوغ الأرب (٢ : ٣٠١) عن ابن الكلبي . مهازيل : نحاف ، هزلتها الأزمة . يبور : يهلك ، أي الباقر . س : « تبورا » .

(٣) الشكر : جمع شكير ، وهو الشعر القصير بين الشعر الطويل . ط : « عهدا » مكان « عمدا » هـ : « عداء » ، صوابهما ما أثبت من س . وهاجت البحور : أثارتها . يقال : هاجه وأهاجه . وروى في اللسان (ثكن) وبلوغ الأرب : « في ثكن الأذناب » .

(٤) كلها : أي كل الأذناب ، أو كل الباقر . والصبير : السحاب يثبت يوما وليلة ولا يبرح ، كأنه يصبر أي يحبس .

(٥) ضمير رآها للأرض المفهومة من الكلام . وأرشمت الأرض : بدا نبتها . في الأصل والديوان : « ترسم » ولا وجه له . والقطر ، بالفتح : المطر .

(٦) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع . والغيث الواكف : المطر الهاطل . وفي الأصل : « فسقاها نشاطه واكف النبت » تحريف . منه : أي من النشاص . وفي الأصل : « منهم » صوابه من ديوان أمية ٣٦ . هـ : « إذ رأى دعوة » وفي الديوان : « إذا وادعوه » . وأرى كل ذلك محرفا . وشعر أمية مفعم بالتحريف والتصحيف .

(٧) السلع والعشر مضى ضبطهما وتفسيرهما . والكلمة الأخيرة من البيت حكاية من =

هكذا كان الأصمعيُّ يُنشِدُ هذه الكلمة ، فقال له علماءُ بَغدادَ : صحَّفْتَ ، إنما هي البيقور ، مأخوذة من البقر .

وأنشد[1] القحذمي[2] للوَرَلِ الطائيِّ[3] :

لادَرَّ درُّ رِجالٍ خابَ سَعيُهُمُ يستَمْطِرُون لَدَى الأزْماتِ بالعُشَرِ[4]

أجاعلٌ أنتَ بَيْقُوراً مُسلَّعةً ذَرِيعةً لك بينَ اللهِ والمَطَرِ[5]

= الجاحظ لتصحيف الأصمعي ، كما سيأتي والرواية : « البيقورا » بمعنى البقر ، كما نبه وكما في اللسان (بقر - عيل) والديوان . ويقال عال الشيء فلانا : ثقل عليه . القاموس . يقول : أثقلت البقر بما حملته من السلع والعشر . انظر اللسان (عيل) وأنشد البيت صاحب اللسان مرة ثالثة في (علي) بعد أن قال : « وعالِ عَلَيَّ : أي احمِلْ » فكأنه جعل « عالت » مرة أخرى من المعالاة . والبيت استشهد به ابن هشام في المغنى على زيادة « ما » ثلاث مرات . وقد نقل السيوطي في المزهر (٢ : ٢٢٣) ما كتبه الجاحظ هنا عن تصحيف الأصمعي . وفيه : « النيقورا » . وليس أحد التصحيفين بأولى في الإثبات من صاحبه . ونقل الآلوسي في بلوغ الأرب (٢ : ٣٠١) أن تصحيف الأصمعي هو : « وغالت البيقورا » بالغين المعجمة .

(١) ط : « فأنشد » صوابه في س ، هـ .

(٢) القحذمي هو الوليد بن هشام القحذمي ، كما في البيان (١ : ٦١ ، ٢ : ٢٥٤) . وفي لسان الميزان (٦ : ٢٢٨) . « قال ابن حبان في الطبقة الثالثة من الثقات : الوليد بن هشام بن قحذم ، أبو عبد الرحمن القحذمي ، من أهل البصرة ، يروى عن جرير بن عثمان . حدثنا عنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي . مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين » . والقحذمي ، بفتح القاف بعدها حاء مهملة ساكنة وذال معجمة مفتوحة : نسبة إلى جده قحذم ، كما رأيت . وفي الأصل : « القحدمي » بالدال ، تصحيف ، صوابه من المصدرين السابقين .

(٣) كذا في الأصل واللسان (بقر) نقلا عن الجوهري ، حيث أنشد البيتين . وفي اللسان (سلع) : « الورك » .

(٤) س ، هـ : « لدى الأزمان » ، صوابه في ط واللسان (بقر ، وسلع) .

(٥) مسلعة : وضع في أذنابها وبين عراقيبها السلع . والسلع ، بالتحريك : نبت .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال بَقَر ، وبَقِير . وبَيقور ، وباقر[1] . ويقال للجماعة منه : قطيع وإجْل . وكَوْر[2] . وأنشد[3] :

فسكَّنتهم بالقَولِ حتى كأنَّهم بواقِرُ جُلْحٌ أسكنَتها المراتعُ[4]

وأنشد[5] :

ولا شَبُوبٌ مِنَ الثيران أفْرَدَهُ عَنْ كَوْرِه كَثْرَةُ الإغْرَاء والطَّرَدُ[6]

---

(١) زاد عليه فى اللسان : باقور وباقورة . وكلها أسماء جمع .

(٢) إجل ، بالكسر . وكور ، بالفتح . وفى الصحاح : « والكور أيضاً : الجماعة الكثيرة من الإبل . . . . وجعله أبو ذؤيب فى البقر أيضاً » .

(٣) البيت الآتى لقيس بن عيزارة الهذلى ، كما فى اللسان (جلح) . وله ترجمة فى معجم المرزبانى ٣٢٦ . والعيزارة أمه ، وهو قيس بن خويلد .

(٤) جلح : جمع أجلح وجلحاء ، وهو الذى لا قرن له . أسكنتها : جعلتها تسكن . وفى اللسان (جلح) : « سكنتها » ، وروى فى (بقر) : « أسكنتها » . وفى س : « أمكنتها » .

(٥) البيت الآتى لأبى ذؤيب الهذلى ، كما فى ديوان الهذليين ١ : ١٢٤ واللسان (كور) . وقبله ، وهو أول القصيدة :

تَاللهِ يَبْقَى على الأيّامِ مُبْتَقِلٌ جَوْنُ السَّراة رَبَاعٌ سِنُّهُ غَرِدُ

يقول : تالله لايبقى على الأيام مبتقل : أى الذى يرعى البقل . جون السراة : أسود الظهر . غرد : مصوت .

(٦) أى : ولا يبقى شبوب . والشبوب ، كصبور : التام الشباب . ومثله الشبب ، بالتحريك . والمشب ، بضم الميم وكسر الشين . ورواية الجوهرى : « ولا مشب » وهى كذلك رواية ابن سيده (٨ : ٣٣) . وفى (٨ : ٤٢) : « ولا شبوب » . وقد ضبط فى اللسان : « ولا شَبوبَ » بالبناء على الفتح ، وهو خطأ ، فإنه عطف على : « مبتقل » فى البيت السابق فى التنبيه السالف . أفرده عن كوره : جعله مفرداً عن جماعته وشرده . وروى فى اللسان : « من كوره » : والإغراء : =

(نار التحالف والحلف)

ونار أخرى ، هى التى توقَدُ عند التَّحالُف ؛ فلا يعقِدُونَ حِلفهُمْ إلاَّ عندَها . فيذكرون عنــد ذلك[١] منافعَها ، وَيدْعُونَ إلى الله عزَّ وجلَّ ، بالحرمان والمنع من منافعها ، على الذى يَنْقُضُ عَهْدَ الحِلف ، ويَخيس بالعهد[٢] .

ويقولون فى الحلف : الدَّمُ الدَّمُ ، والهــدمُ الهــدَمُ[٣] (يحركون الدّالَ فى هذا الموضع) لا يزيده[٤] طلوعُ الشمس إلاَّ شَدًّا . وطولُ اللَّيالى إلاَّ مَدًّا ، ما بلَّ البحر صوفة[٥] ، وما أقام رضوى فى مكانه[٦] . (إن كان جبلهم رَضْوَى) .

= أى إغراء الكلاب الصائدات به . والطرد ، بالتحريك ، مثل الطرد بالفتح : المطاردة ومزاولة الصيد . هـ : « من النيران » محرف . وفى الأصل : « كثرة الأعداء » ، صوابه من اللسان والمخصص والصحاح .

(١) هـ : « عند ذكر » .

(٢) خاس بالعهد : أخلفه ونقضه .

(٣) الهدم ، بالسكون ، وبالتحريك : إهدار دم القتيل . والمعنى : إن طلب دمكم فقد طلب دمنا ، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمنا . وقيل : الهدم ، بالتحريك : القبر . أى قبرنا قبركم . أى لا نزال معكم حتى نموت عندكم . وللعبارة تفاسير أخر مذكورة فى اللسان ، وكلها جيد .

(٤) أى لا يزيد الحلف .

(٥) فى الأصل : « وما بل البحر صوفة » والواو مقحمة . والصوفة : واحدة الصوف . وصوف البحر : شىء على شكل هذا الصوف الحيوانى . ويروى : « ما بل بحر صوفة » ، كما فى اللسان (صوف) .

(٦) رضوى ، بالفتح : جبل بالمدينة .

وكلُّ قومٍ يذكرون جبلهم ، والمشهورُ من جبالِهم .

وربّما دَنَوْا منها حتى تكاد تحرقهم[١] .

ويهوِّلون على من يُخافُ عليه الغَدْرُ . بحقوقها ومنافعها . والتَّخويفِ مِنْ حِرْمانِ منفعتها . وقال الكُمَيت :

كهُولةِ ما أوقد المحلفُو ... ن للحالِفِينَ وما هَوّلوا[٢]

وأصلُ[٣] الحِلْف والتَّحالف ، إنما هو من الحَلِفِ والأيمان[٤]

ولقد تحالفت قبائلُ من قبائِل مُرَّةَ بنِ عوف ، فتحالفوا عندَ نارٍ فدَنَوْا منها . وعشُوا بها[٥] . حَتَّى محشتهم . فسُمُّوا : المحاشَ[٦] .

وكان سيدَهم والمطاعَ فيهم ، أبو ضمرة يزيد بن سنان بن أبي حارثة[٧] .

ولذلك يقول النّابغة :

جَمِّعْ مِحَاشَكَ يا يزيدُ فإنَّني ... جَمَّعْتُ يَرْبُوعاً لكم وتميما[٨]

---

(١) هـ : « تحرفهم » مصحفة .

(٢) الهولة ، بالضم : مايهول . ط ، س : « لهولة » صوابه في هـ واللسان (هول) . وكانوا يطرحون في النار ملحا يفقع يهولون بذلك . اللسان (نور) . وانظر الخزانة (٣ : ٢١٤) حيث تجد تفصيلا أوسع . وقبل البيت كما في الخزانة :

فقد صرتُ عمَّا لها بالمشيبِ ... زَوَالاً لدَيْهَا هُـوَ الأَزْوَلُ

(٣) في الأصل : « وأهل » ، ووجهه ما أثبت .

(٤) الأيمان : جمع يمين ، وهي القسم . ط : « ولا يماو » تحريف ما أثبت من س ، هـ .

(٥) عشى بالنار ، كرضي ودعا : ساء بصره . ومصدره العشا ، يكتب بالألف وبالياء .

(٦) المحاش ، بالكسر . ومحشته النار : أحرقته . والمحاش : هم صرمة وسهم ومالك بنو مرة ابن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض ، وضبة بن سعد . اللسان (محش) . وفي شرح ديوان النابغة للبطليوسي ٦٩ أنهم بنو خصيلة بن مرة ، وبنو نشبة بن غيظ بن مرة ، تحالفوا على بني يربوع بن غيظ بن مرة ، رهط النابغة .

(٧) يزيد هذا ، هو أخو هرم بن سنان بن أبي حارثة الذي مدحه زهير بن أبي سلمى . وأبوهما سنان ، كان أيضاً ممن مدحه زهير .

(٨) رواية اللسان والديوان : « أعددت يربوعا » .

١٥١ ولحِقتُ بالنَّسَبِ الذى عَـيَّرْتَنِي وتركْتَ أصلاً يا يزيدُ ذميما[1]

وقوله : « تميم » يريد : تميمة[2] . فحذف الهاء .

(التحالف والتعاقد على الملح)

وربَّما تحالفوا وتعاقَدُوا على الملح . والملحُ شيئان : أحدهما المرَقة[3] ، والآخر اللَّبَنَ . وأنشدوا لشُتيم بن خُويلدٍ الفَزاريّ[4] :

لا يبعد اللهُ رَبُّ العبـادِ والمِلْـحُ ما وَلَدَت خَالِدَهْ[5]

---

(١) كان يزيد يفتخر بنسبته فى قيس ويقول :

إنى امرؤ من صلب قيس ماجد لامدع نسبا ولا مستنكر

وكان يقول للنابغة : والله ما أنت من قيس ولا أنت إلا من قضاعة . فقال النابغة له : أنا لاحق بمن عيرتنى ومتحقق بهم ، ولست مثلك تنتفى عن أصلك . وقيس من العدنانية . وأما قضاعة فكانت فى العدنانية ، ثم تحولت إلى القحطانية . انظر ما سبق من الكلام على هذا فى ص ٣٢٥ — ٣٢٦ من هذا الجزء . وفى الديوان : « وتركت أصلك » و « ذميما » حال من فاعل « تركت » أى فعلت ذلك وأنت مذموم .

(٢) أى استعمل الترخيم فحذف الهاء . وتميمة هى ابن ضبة بن عذرة بن سعد بن ذبيان ، كما فى شرح ديوان النابغة ٧٠ . قال : « قوله وتميما ، لم يرد تميم بن مر . إنما أراد : تميمة بن ضبة بن عذرة » . وقد عقب على ذلك بقوله : « فرخم فى غير النداء » . وكلمة : « مر » هى فى أصل الشرح : « مرة » . و « تميمة بن ضبة » هى فى أصلها : « تميم ابن ضبة » . وقد أصلحت التحريفين .

(٣) كذا . وفى القاموس واللسان أن الملح « الحرمة » . وفى اللسان عن ابن الأنبارى والخزانة (٤ : ١٦٤ بولاق) عن المفضل بن سلمة أن الملح « البركة » . ولم أجد من فسرها بأنها المرقة .

(٤) شتيم ، بهيئة التصغير ، شاعر جاهلى كما فى الخزانة (٤ : ١٦٤ بولاق) . وروى فى الخزانة أيضاً عن نوادر ابن الأعرابى منسوبا إلى نهيكة بن الحارث المازنى من مازن فزارة . ورواه المبرد فى كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ٢٧ منسوبا إلى ابن الزبعرى . وفى مقطعات المراثى ١٠٦ نسبتها إلى الحارث بن عمرو الفزارى يرثى بنى خالدة : كردماً وإخوته . وانظر اللسان (لوم ٣٨) .

(٥) الملح ، روى بالرفع فى الفاخر ٩ والكامل ٢٨٤ ليبسك . عطف على لفظ الجلالة —

وأنشدوا فيه[1] قول أبي الطَّمَحَان[2] :

وإنى لأَرْجُو مِلْحَهَا فى بطونكم ... وما بَسَطَتْ مِنْ جِلْدِ أَشْعَثَ أَغْبَرَا[3]

وذلك أنَّهُ كان جاورهم ، فكان يَسقيهم اللَّبن ؛ فقال : أرجو أن تشكروا لى رَدَّ إبِلى[4] ، عَلَى ما شربتم من ألبانها ، وما بَسَطتْ من جلْدِ أَشْعَثَ أغبر . كأنَّهُ يقول : كنتم مهازيل — والمهزولُ يتقشَّف جِلْدُهُ وينقبض — فَبَسَطَ ذلك من جُلودِكم .

(نار المسافر)

ونار أخرى[5] ، وهى النَّار الَّتى كانوا رُبَّما أوقدوها خَلْفَ المسافر ،

= وروى بالجر عطفا على « العباد » أو بجعل الواو واو القسم . انظر اللسان (٣ : ٤٤٤ س ٤) حيث تجد العبارة مضطربة . وقد حررتها . وخالدة هى بنت أرقم ، أم كردم وكريدم ابنى شعبة الفزاريين .

(١) أى فى الملح . وفى الأصل : « فى » محرفة .

(٢) أبو الطمحان ، بالتحريك ، هو حنظلة بن الشرقى . كان نديما للزبير بن عبد المطلب فى الجاهلية ، ثم أدرك الإسلام . وهو أحد المعمرين . الإصابة ٢٠٠٧ والأغانى (١١ : ١٢٥) والشعراء ٣٤٨ .

(٣) كذا جاءت الرواية هنا وفى الكامل ٢٨٤ ليبسك والاشتقاق ٢٦٧ والغريب المصنف ٤٩٤ والمخصص (١ : ٢٦) بالجر . والقصيدة مكسورة الروى . وأولها :

ألا حنَّتِ المرقالُ واشتاق رُبُّها ... تَذكَّرُ أرْمَامًا وأذكُرُ مَعْشَرِى

انظر اللسان (ملح) والشعراء والأغانى (١١ : ١٢٨) . والبيت يقوله لقوم نزلوا عليه فشربوا من ألبانها ثم أغاروا عليها فأخذوها .

(٤) الرد بمعنى الفائدة والنفع . وانظر البيان (٣ : ٥٠) . ط ، هـ : « ردائلى » س : « رزائلى » بهذا الإهمال . وصوابهما ماأثبت .

(٥) سماها العسكرى فى كتاب الأوائل : « نار الطرد » صبح الأعشى (١ : ٤٠٩) وتنزيل الآيات لمحب الدين أفندى . وسماها الثعالبى فى ثمار القلوب ٤٥٩ : « نار المسافر » .

وخَلْفَ الزَّائرِ الذى لا يحبُّونَ رُجُوعَهُ . وكانوا يقولون فى الدُّعاءِ : أبعده الله وأسحقه ، وَأَوْقَدَ نَاراً خلفَه ، وفى إثره ! وهو معنى قولِ بشار — وضربَهُ مثلا — :

صَحوتَ وأوقَدْتَ للجهل نَارَا   وردَّ عليك الصِّبَا ما استَعَارَا[1]

وأنشدوا :

وَجَمَّةِ أقوامٍ حَمَلْتَ ولم تكنْ   لتوقِدَ نَاراً إثرهم للتندُّمِ[2]

والجَمَّة : الجَمَاعَة يمشون فى الصلح . وقال الراجز فى إبله :

* تقَسَمُ فى الحقِّ وَتُعْطَى فى الجُمَمْ[3] *

يقول[4] لا تندم على ما أعطيت فى الحمالة[5] ، عند كلام الجماعة فتوقد خلفهم نَاراً كَى لا يعودوا .

(نارُ الحرب)

ونار أخرى[6] وهى النَّار التى كانوا إذا أرادوا حرْباً ، وتوقعُوا جيشاً عظيما ، وأرادوا الاجتماع أوقدوا ليلاً على جبلهم نَاراً ؛ ليبلغَ الخبرُ أصحابَهم .

---

(١) ديوان بشار ٣ : ٤ ومجالس ثعلب ٦١١ والأزمنة والأمكنة (٢ : ٣٥٧) . واللسان (وقد) .

(٢) مثل هذه الرواية فى ثمار القلوب ٤٥٩ وتنزيل الآيات . وروى فى اللسان (نور) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٧) : « ولم أكن لأوقد ناراً » . والجمة ، بفتح الجيم وتضم .

(٣) فى الحق : أى فى حق الأضياف إذ ينحرها لهم . ھ : « يقسم » س ، ھ : « بالحق » صوابهما فى ط . س : « بالجمم » صوابه فى ط ، ھ .

(٤) أى الشاعر السابق ، لا الراجز .

(٥) الحمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

(٦) سماها الثعالبى فى ثمار القلوب ٤٦١ : « نار الإنذار » والعسكرى فيما نقل عنه محب الدين أفندى : « نار الأهبة للحرب » ، وفيما نقل عنه القلقشندى : « نار الحرب » .

وقد قال عمرُو بنُ كلثومٍ :

ونحنُ غداةَ أُوقِدَ في خَزَازٍ   رَفَدْنَا فوْقَ رِفْدِ الرَّافدينَا[١]

وإذا جَدُّوا في جَمْعِ عشائرهم إليهم[٢] أوْقَدُوا نارَيْنِ . وهو قول الفرزدق[٣] :

لولا فوارِسُ تَغْلِبَ ابنَةِ وائِلٍ   سَدَّ العدوُّ عليكَ كل مكانِ[٤]

ضربُوا الصَّنَائِعَ والملوكَ وأوقدُوا   نارَينِ أشرفَتَا على النِّيرانِ[٥]

---

(١) خزاز وخزازى ، بالفتح : جبل . وروى البيت بالروايتين . س ، ه : « حزاز » مصحفة . وانظر خبر يوم خزاز في معجم البلدان والميداني (٢ : ٣٥٣) والعقد (٣ : ٣٦٥) وكامل ابن الأثير (١ : ٣١٠) والعمدة (٢ : ١٦٦) . رفدنا : أعنا .

(٢) في الأصل : « في جميع » محرفة . ط ، س : « ولما وجدوا » ه : « ولما حدوا » وهما تصحيف ما أثبت . وجاء في تنزيل الآيات ٩٢ : « فإذا جد الأمر أوقدوا نارين » ، وفي الخزانة (٣ : ٢١٤ بولاق) نقلا عن ابن قتيبة : « فإذا جدوا وأعجلوا أوقدوا نارين » .

(٣) من قصيدة يهجو بها جريرا ، ويذكر فضل التغلبيين رهط الأخطل . الديوان ٨٨٢ — ٨٨٣ .

(٤) روى في الديوان وتنزيل الآيات : « نزل العدو عليك » ه : « ترك » محرفة عن الرواية السابقة .

(٥) الصنائع ، يروون أنه كان للنعمان الأكبر ملك الحيرة ، خمس كتائب : الرهائن ، والصنائع ، والوضائع ، والأشاهب ، ودوسر . فالرهائن : خمسمائة رجل رهائن لقبائل العرب يقيمون سنة على باب الملك طوع أمره ، ثم يستبدل غيرهم بهم . و (الصنائع) : بنو قيس وبنو تيم اللات ابني ثعلبة . وكانوا خواص الملك لا يبرحون بابه . والوضائع : ألف رجل من الفرس يضعهم ملك الملوك بالحيرة نجدة لملوك العرب ، يقيمون سنة ثم يستبدل غيرهم بهم . والأشاهب : إخوة ملك العرب وبنو عمه . وأما دوسر فكانت أخشن كتائبه وأشدها بطشا ، وكانوا من كل قبائل العرب : وأكثرهم من ربيعة . انظر بلوغ الأرب (٢ : ١٧٦) . وفي الأصل : « ضربوا المصانع والتلول » وليت شعري ماذا يجدى عليهم ضرب التلول ؟ ! =

(نار الحرّتين)

ونار أخرى ، وهى « نار الحرّتين[1] » ، وهى نار خالد بن سنان ،
أحد بنى مخزوم - من بنى قطَيْعَة بْنِ عَبْس[2] . ولم يكن فى بنى إسمعيل
١٥٣ نبىٌّ قبلهُ . وهو الذى أطفأ الله به نار الحرَّتَيْنِ . وكانت ببلاد بنى عبس[3] ،
فإذا كان اللَّيلُ فهى نارٌ تسطعُ فى السَّماء ، وكانت طيِّئٌ تُنْفِشُ بها إبلها
من مسيرةِ ثلاث[4] . وربّما ندَرَتْ منها العُنُق[5] فتأتى على كلِّ شىء
فتحرقه . وإذا كان النّهارَ فإنّما هى دخانٌ يفور . فبعث الله خالدَ بنَ سنانٍ

= فهو تحريف صوابه ما أثبت من الخزانة ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) ، وتنزيل الآيات . ورواية الديوان : « قتلوا الصنائع والملوك » وفيه أيضاً : « نارين قد علتا » . وأشرقتا وعلتا بمعنى .

(١) الحرة ، بالفتح : أرض ذات حجارة نخرة سود . والحرتان ، هما حرة ليلى ، لبنى مرة ، وحرة النار لغطفان ، كما فى المزهر (٢ : ١١٩) . أما حرة ليلى فهى من وراء وادى القرى من جهة المدينة . وحرة النار قريبة من حرة ليلى قرب المدينة . عن معجم البلدان .

(٢) قطيعة، كجهينة ، بهيئة التصغير .

(٣) فى الأصل : « وكانت حرة ببلاد بنى عبس » . وكلمة « حرة » تفسد الكلام . وضمير « كانت » راجع إلى : « نار الحرتين » فالصواب حذفها ، كما جاء فى نقل الثعالبى عن الجاحظ فى ثمار القلوب ٤٥٦ . وكما فى صبح الأعشى (١ : ٤٠٩) وبلوغ الأرب .

(٤) أنفش الراعى إبله : جعلها ترعى ليلا دون أن يراقبها . من مسيرة ثلاث : أى ثلاث ليال ، كما جاء فى ثمار القلوب نقلا عن الجاحظ ، وكما فى صبح الأعشى (١ : ٤٠٩) وبلوغ الأرب . س : فقط « ثلاثة » : أى ثلاثة أيام . فى الأصل : « تتبين بها إبلها » . وفى ثمار القلوب : « تنعش بها إبلهم » ، ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) وهو ينقل عن الجاحظ ولو لم يصرح - : « تنفش فيها الإبل » صواب هذا كله « تنفش » بالفاء ، كما أثبت موافقا لما فى عجائب المخلوقات ٨٨ .

(٥) ندرت : ظهرت وبدت . والعنق : القطعة أو الطائفة .

فاحتَفَرَ لَهَا بئراً ، ثمَّ أدخلها فيها ، والنَّاسُ ينظرون ؛ ثمَّ اقتحم فيها حتى غيَّبها. وسمع بعض القوم وهو يقول [هَلَكَ الرَّجُلُ ! فقال خالدُ بنُ سِنانٍ[١]] : كذب ابنُ راعية المعز ، لأخرجنَّ منها وجبينى يَنْدَى[٢] ! فلمَّا حضرَتْهُ الوفاة ، قال لقومه : إذا أنا متُّ ثمَّ دفنتمونى ، فاحضُرونى بعدَ ثلاثٍ ؛ فإنَّكم تَرَوْنَ عَيراً أبتَرَ يطوفُ بقبرى ، فإذا رأيتم ذلك فانبشونى ؛ فإنى أخبرُكم بما هو كائن إلى يوم القيامة . فاجتمعوا لذلك فى اليوم الثالث[٣] ، فلما رأوا العَيْرَ[٤] وذهبوا ينبشونه ، اختلفوا ، فصاروا فرقتين ، وابنه عبدُ الله فى الفِرقة التى أَبَتْ أن تنبشه وهو يقول : [لا أفْعَلُ ! إنى[٥]] إذًا أُدْعَى ابنَ المنبوش ! فتركوه .

وقد قدِمَتْ ابنَتُهُ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فبسَطَ لها رِداءَه وقال . هذه ابنة نَبِيٍّ ضيَّعهُ قومُهُ .

قال : وسَمِعَتْ سورَةَ : ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ فقالت : قد كان أبى يتلو هذه السورة .

---

(١) هذه التكملة من الإصابة ٢٣٥١ فى ترجمة خالد بن سنان . وبدونها لايصح الكلام .

(٢) كذا على الصواب فى محاضرات الراغب ، والعبارة محرفة فى الأصل . فى ط : « وجبِّى تندل » هـ : « وحيتى يندا » س : « وجبينى تندى » . وينِدى : أى عليه ندى العرق . كناية عن سلامته من أذى النار ولفحها .

(٣) كذا فى س ، وثمار القلوب . وفى ط ، هـ : « فاجتمعوا له فذلك اليوم » .

(٤) العير ، بالفتح : الحمار الوحشى .

(٥) الزيادة من محاضرات الراغب . وانظر الخبر أيضا مروج الذهب (١ : ٦٧ – ٦٨) .

(نبوّة خالد بن سنان)

والمتكلّمون لا يؤمنون بهذا ، ويزعمون أنّ خالداً هذا كان أعرابيًّا وَبَرِيًّا ، من أهل شَرْجٍ ونَاظِرَة[١] . ولم يبعث الله نبيًّا قطُّ من الأعرابِ ولا من الفدّادِينَ[٢] أهلِ الوَبَرِ ، وإنما يبعثهم من أهل القرَى ، وسُكّانِ المُدُنِ .

وقال خُلَيْدُ عَيْنَيْنِ[٣] :

وأيّ نبيٍّ كانَ فى غيرِ قَوْمِهِ ... وَهَلْ كانَ حُكْمُ اللهِ إلاّ مَعَ النَّخلِ[٤]

وأنشدُوا :

كَنَارِ الحَرَّتَيْنِ لها زفيرٌ ... يُصِمُّ مَسَامِعَ الرَّجُلِ السَّمِيعِ[٥]

(عبادة النار وتعظيمها)

وما زالَ النّاسُ كافّةً ، والأممُ قاطبةً — حتى جَاءَ الله بالحقّ — مُولَعِين بتعظيم النّار ؛ حتى ضلّ كثيرٌ من النّاس لإفراطهم فيها ، أنهم يعبدونها[٦] .

---

(١) شرج وناظرة : ماءان لعبس . عن معجم البلدان (ناظرة) . وشرج ، بفتح الشين وسكون الراء بعدها جيم . وناظرة ، بالظاء المعجمة . وفى ط ، س : « سرح وناصرة » ه : « سرح وناصر » محرفتان صوابهما ماأثبت .

(٢) الفدادون : أهل الوبر ، أى الذين يعيشون فى بيوت من وبر الإبل ، وهم أهل البادية .

(٣) عينين : قرية بالبحرين نسب إليها خليد . وقد ترجمته فى (١ : ٢٦٦) . وفى الأصل : « خليد عبس » محرف .

(٤) يقوله لجرير فى قصيدة يهجوه بها ويرد عليه . انظر (١ : ٢٦٦) .

(٥) زفير النار : صوت توقدها واضطرامها . ط ، ه : « تصم » . ورواية البيت فى ثمار القلوب :

ونار الحرتين لها زفير ... يصم لهوله الرجل السميع

(٦) فى ثمار القلوب : « حتى ظن كثير من الناس لإفراطهم أنهم يعبدونها » .

فأما النار العُلويَّة ؛ كالشمس والكواكب ، فقد عُبدت ألبتَّة . قال الله تعالى : ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ .

وقد يجيءُ فى الأثرِ وفى سُنَّةِ بعضِ الأنبياء ، تعظيمها على جهة التعبّدِ والمحنة ، وعلى إيجاب الشكر على النِّعمة بها وفيها . فيغلط لذلك كثيرٌ من النَّاس ، فيجوزُون الحدَّ .

ويزعم أهلُ الكِتاب أنَّ الله تعالى أوصاهُمْ بها ، وقال : « لا تُطفِئوا النِّيران مِنْ بُيوتى » . فلذلك لاتجد الكنائس والبِيَع [1] ، وبيوت العبادات ، إلاَّ وهى لا تخلو من نارٍ أبداً . ليلاً ولا نهاراً ؛ حتَّى اتَّخذَت للنِّيرانِ البُيُوتَ وَالسَّدَنَةَ . ووقَفُوا عليها الغَلاَّتِ الكثيرة . ٦٥٣

(إطفاء نيران المجوس)

أبو الحسن عن مسلمة [2] وقحدَم [3] ، أن زياداً بعث عَبدَ اللهِ بنَ أبى بَكرة [4] ، وأمَرَهُ أن يُطفِئَ النيران ، فأراد عبدُ اللهِ أنْ يَبْدَأَ بنار

(١) البيع بكسر ففتح : جمع بيعة ، بالكسر ، وهى كنيسة النصارى ، وقيل كنيسة اليهود .

(٢) هو مسلمة بن محارب ، فيما أرجح . وله حديث عن زياد فى البيان (٢ : ٧٧) .

(٣) كذا جاء بالدال المهملة . والمعروف فى أسمائهم : « قحذم » بالذال ، و : « قحزم » بالزاى .

(٤) عبد الله ، أحد أولاد أبى بكرة الأربعين ، ذكره ابن قتيبة فى المعارف ١٢٥ . وأبو بكرة اسمه نفيع بن الحارث ، أسلم ومات فى خلافة عمر . وكان تدلى إلى النبى صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ببكرة ، فاشتهر بأبى بكرة . الإصابة ٨٧٩٤ .

جُور[1] فيطفِئها ، فقيل له : ليست للمجوس نارٌ أعْظَمَ من نار الكارِيانِ[2] من دار الحارث[3] . فإن أطفأتها لم يمتنع عَلَيْكَ أحدٌ ، وإنْ أطفأت سافلتها استعدُّوا للحَرْب وامتَنَعُوا ، فابْدَأ بها . فخرجَ إلى الكاريان فتحصَّنَ أهلُها فى القَلْعة . وكان رَجُلٌ من الفرس مِنْ أهل تلك البلاد معروف[4] بالشدّة ، لا يقدرُ عليه أحد ، وكان يمرُّ كلَّ عشيَّةٍ ببابِ منزله[5] استخفافا وإذلالاً بنفسه ، فغمَّ ذلك عبدَ الله . فقال : أما هٰذا أحدٌ ؟ ! وكان معَ عبد الله ابن أبى بكْرة[6] رجلٌ من عبد القيس ، مِنْ أشدِّ النَّاس بطشاً ، وكانَ جباناً ، فقالوا له : هذا العبدى[7] ، هو شديدٌ جَبان . وإن أمَرْتَهُ به خافَ القتالَ فلم يَعْرِضْ له . فاحتل له حيلةً . فقال : نعم .

قال : فبينا هو فى مجلسه إذ مرَّ الفارسِىُّ . فقال عبد الله : ما رأيتُ مِثلَ خَلْق هذا ، وما فى الأرض — كما زعموا — أشدُّ منه بطشاً ! ما يقوى

(١) ط ، هـ : « حوم » س : « حدر » ، صوابهما ماأثبت . جاء فى مروج الذهب (١ : ٣٨٣) : « وفى مدينة جور من أرض فارس وهو البلد الذى يحمل منه ماء الورد الجورى . وإليه يضاف بيت النار ، بناه أردشير بن بابك » . ونحو هذا الكلام أيضاً فى معجم البلدان (جور) .

(٢) الكاريان ، بكسر الراء ، قال ياقوت : « مدينة بفارس صغيرة ، ورستاقها عامر ، وبها بيت نار معظم عند المجوس ، تحمل ناره إلى الآفاق » .

(٣) كذا بالأصل . ولعل وجهه : « ومن نار الحارث » ، والحارث : جبل بأرمينية انظر معجم البلدان .

(٤) كذا فى س ، هـ ، على الوصفية ، وخبره : « لايقدر » . ط : « معروفا » على الخبرية .

(٥) فى الأصل : « يأتى منزله » .

(٦) س : « وكان مع ابن أبى بكرة » .

(٧) العبدى : نسبة إلى عبد القيس : قبيلة كانت تسكن البحرين . س : « العبدكى » ولعل صواب مافى س : « العدولى » ، نسبة إلى عدولى بفتحتين فسكون ففتح مقصور ، وهى قرية بالبحرين بلاد عبد القيس .

عليه أحد ! فقال العبدى[1] : ما تجعلون لى إن احتملته حتّى أدْخِلَه الدّار وأكْتِفَهُ ؟ فقال له عبد الله : لك أربعةُ آلافِ درهم . فقال : تَفُونَ لى بألف ؟ قال : نَعَمْ ! فلمّا كان الغدُ مرَّ الفارسىُّ ، فقام إليه العبدىُّ فاحتمله فما امتَنَع ولا قَدَر أن يتحرّك ، حتّى أدخله الدّارَ وَضَرَبَ به الأرضَ وَوَثَبَ عليه النّاسُ فقتلوه ، وغُشِىَ على العبدى[2] حين قتلوه . فلما قُتِلَ أَعْطَى أهلُ القَلْعة بأيديهم[3] . فقتل ابن أبى بَكْرَةَ الهرابذةَ[4] ، وأطفأ النّارَ ، ومضى يُطفِئُ النِّيرانَ حتّى بَلَغَ سِجِسْتَانَ .

(تعظيم المجوس للنار)

والمجوسُ تقدِّم النّارَ فى التّعظيم على الماء ، وتقدّم الماءَ فى التّعظيم على الأرض . ولا تكاد تذكر الهواء[5] .

(نار السعالى والجن والغيلان)

ونار أخرى ، التى يحكونها من نيران السّعالى[6] والجنّ ، وهى غيرُ نار الغيلانَ[7] . وأنشد أبو زيد لسَهم بن الحارث[8] :

---

(١) س : « العبدلى » . وانظر التنبيه السابق .

(٢) س : « العبدلى » ، محرف .

(٣) أعطوا بأيديهم : استسلموا واستأسروا .

(٤) الهرابذة : جمع هربذ ، بكسر الهاء والباء ، كزبرج ، وهو خادم نار المجوس . وفى معجم استينجاس أنه قيم معبد النار : أو الرئيس من رؤساء كهنة المجوس .

(٥) فى الأصل : « الهوى » محرف .

(٦) السعالى : جمع سعلاة ، بالكسر ، وهى أنثى الجن فيما يزعمون .

(٧) ذهب الجاحظ إلى أن الغيلان نوع مغاير للسعالى . انظر تفصيل ذلك فى الحيوان (٦ : ١٥٨ - ١٦٠) . ونحوه ماورد فى عجائب المخلوقات ٣٠٩ . وبعض اللغويين يجعلهما نوعا واحداً .

(٨) الذى فى نوادر أبى زيد ١٢٣ : « شمير بن الحارث الضبى » وضبط « شمير » =

وَنَارٍ قد حضأتُ بُعيْدَ هَدْءٍ بدارٍ لا أريدُ بهـا مُقامًا[١]

سوَى تحليلِ رَاحلةٍ وعَـيْنٍ أكالئُها مخافةَ أنْ تَنَامَا[٢]

أَتَوْا نارِى ، فقلْتُ مَنُون أنتمْ فقالوا : الجنُّ ! قلت : عِمُوا ظَلامًا[٣]

فقلت : إلى الطَّعامِ ، فقال منهم زَعيمٌ : نحسُدُ الإنْسَ الطعامَا[٤]

وهذا غلط وليس من هذا الباب . وسنَضعُهُ فى موضعه إن شاء الله تعالى[٥] . بل الذى يقع ههنا قولُ أبى المطراب عبيدِ بنِ أيُّوبَ[٦] :

بهيئة التصغير . وقال أبو الحسن فى ١٢٤ : « حفظى سمير » أى بالسين . وانظر الخزانة (٣ : ٣ بولاق) . وجاء فى الحيوان (٦ : ١٩٦) : « شمر بن الحارث الضبى » ومثله فى اللسان (من) . ونسبه فى (عير) إلى تأبط شرا .

(١) حضأت : أشعلت . هـ : « حصأت » مصحفة . والهدء ، بالضم والفتح : أن تهدأ الرجل والليل . س : « هذا » محرفة .

(٢) فى شرح نوادر أبى زيد ١٢٦ : « سوى تحليل راحلة » أراد سوى راحلة أقمت بها فيها بقدر تحلة اليمين » . وتحلة اليمين : مثل فى القليل المفرط القلة . وهو أن يباشر من الفعل الذى يقسم عليه المقدار الذى يبر به قسمه ويحلله . مثل أن يحلف على النزول بمكان ، فلو وقع به وقعة خفيفة أجزأته ، فتلك تحلة قسمه . انظر اللسان . وروى : « سوى ترحيل راحلة » أى إزالة الرحل عن ظهرها . وروى فى المخصص (١ : ٩٤) الميدانى (١ : ٣٢٠) مع نسبته فى الأخير إلى تأبط شراً : « وعير * أكالئه مخافة أن يناما » . وفى الخزانة عن المفضل « وعير أكالئها مخافة أن تناما » . والعير ، بالفتح : إنسان العين ، يذكر ويؤنث .

(٣) منون أنتم : أى من أنتم . وانظر تفصيل القول فى هذه اللغة فى لسان العرب (من) .

(٤) إلى الطعام : أى هلموا إليه .

(٥) برّ الجاحظ بوعده . وأعاد ذكر الأبيات فى موضعها . انظر الحيوان (٦ : ١٩٦) .

(٦) عبيد بن أيوب : شاعر من بنى العنبر . كان يخبر فى شعره أنه يرافق الغول والسعلاة ، ويبايت الذئاب والأفاعى ، ويؤاكل الظباء والوحش . الشعراء ٧٥٨ — ٧٦١ .

فللّه درُّ الغُـول أىُّ رَفيقةٍ لصاحِبِ قفرٍ خائفٍ متقفِّرِ[1] ١٥٤
أرَنَّتْ بِلَحْنٍ بَعْدَ لَحْنٍ وأوقَدَتْ حَوَالَىَّ نِيراناً تبوخُ وَتَزْهَرُ[2]

(نار الاحتيال)

وما زالت السَّدَنَةُ تحتالُ للنَّاس جهةَ النِّيران بأنواع الحيل ، كاحتيال رُهبانِ كَنيسةِ القُمَامة[3] ببيت المقدس بمصابيحها ، وأنَّ زَيْتَ قناديلها يَسْتوْقِدُ لهم[4] من غير نَارٍ ، فى بعض ليالى أعيادِهم .

قال : وبمثل احتيال السَّادن[5] لخالد بن الوليد ، حين رماه بالشَّرَر ،

(١) المتقفر : الذى يتبع آثار الصيد ونحوه . فى الأصل : « در القول » صوابه ما أثبت من الحيوان (٥ : ١٢٣) والشعراء ٧٥٨ والمسعودى (١ : ٣٢٨) وأصل إعجاز القرآن للباقلانى ٤٣ وتنزيل الآيات ٩٣ . ط ، س : « أى رقيقة » . صوابه : « رفيقة » أى صاحبته ، كما فى هـ والمراجع المتقدمة . وفى الشعراء « يتستر » بدل « متقفر » .

(٢) أرنت : من الإرنان ، وهو التصويت . فى الأصل : «أذنت» صوابه فى المراجع . ط : « حوالى نيران » صوابه فى س ، هـ ، والمصادر السابقة ، قال المسعودى ، « كانت العرب قبل الإسلام تزعم أن الغيلان توقد بالليل النيران للعبث والتخييل واختلال السابلة » . وانظر الحيوان (٥ : ١٢٣) . تبوخ : تسكن وتفتر . تزهر : تضىء ، وبابه منع . والمعنى : أنها تخبو تارة وتشتعل أخرى . وهذه رواية الأصل والشعراء وإعجاز القرآن وتنزيل الآيات . وفى مروج الذهب والحيوان ج ٥ : « تلوح وتزهر » . وفى هذا البيت إقواء ، فإنه مروى مع أبيات خمسة أخرى مكسورة الروى . انظر الحيوان (٦ : ٥٠) .

(٣) هى كنيسة القيامة : أعظم كنيسة للنصارى بالبيت المقدس . ورجح ياقوت فى معجم البلدان تسميتها : كنيسة القمامة ، بالضم . فى الأصل : « القمة » محرفة . صوابها من الحيوان (٦ : ٢٠٢) ومعجم البلدان . وجاء فى التنبيه والإشراف ١٢٣ : « وبنت هيلانى ، بإيليا : الكنيسة المعروفة بالقيامة فى هذا الوقت ، التى يظهر منها النار فى يوم السبت الكبير الذى صبحه الفصح » .

(٤) يقال اتقدت النار وتوقدت واستوقدت . القاموس . فى الأصل : « تستوقد » .

(٥) يريد سادن العزى . وكانت العزى ثلاث شجرات من سمر ، فأرسل النبى =

ليوهمه أنَّ ذلك من الأوثان ، أو عقوبةَ على ترك عبادتها وإنكارها ، والتعرُّض لها ؛ حتى قال .

يا عُزُّ كُفْرَانَكِ لاسُبْحَانَكْ إنِّى وَجَدْتُ اللهَ قد أهَانَكْ [١]

حَتَّى كشف الله ذلك الغِطاءَ ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(نار الصيد والبيض)

ونار أخرى ، وهى النَّار التى توقَدُ للظباء وصيدِها . لتعشى إذا أدامت النَّظر . وتجعلُ من ورائها . ويطلب بها بيضُ النَّعام فى أفاحيصها ومكِناتها [٢] . ولذلك قال طُفيلٌ الغَنوىّ :

عوازب لم تسمع نُبُوح مَقامَةٍ وَلَمْ تَرَ نَارًا تِمَّ حَوْلٍ مُجَرَّمِ [٣]

سِوى نَار بَيْض أو غزَالٍ بِقَفْرَة أغنَّ مِنَ الخُنْسِ المَنَاخِرِ تَوْأَمِ [٤]

= صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ليعضدها ، وذلك يوم فتح مكة . انظر بقية الخبر والزعم فى الأصنام ٢٥ وثمار القلوب ١٧ وخزانة البغدادى (٣ : ٢٤٢ — ٢٤٤ بولاق) . والعزى ، فى لفظها : تأنيث الأعز .

(١) روى فى المخصص (١٥ : ١٩٠) :

كفرانك اليوم ولا سبحانك الحمد لله الذى أهانك

(٢) مكناتها ، بفتح الميم وضم الكاف وكسرها ، أو بضمهما . والمكنات : الأمكنة ومنه الحديث : « أقروا الطير على مكناتها » . انظر التفصيل فى لسان العرب (مكن) .

قال الزمخشرى : « ويروى : مُكُناتِها ، جمع مُكُن . ومُكُنٌ : جمع مكان كصُعُدات فى صُعُد ، وحُمُرات فى حُمُر » .

(٣) س ، هـ : « بنوح مقامة » محرف . وانظر تحقيق البيت وشرحه فى ص ٣٤٨ .

(٤) انظر رواية البيت وشرحه وتحقيقه فى ص ٣٤٨ .

وقد يُوقِدون النِّيرانَ يُهَوِّلون بها على الأُسْدِ إذا خافوها . والأَسَدُ إذا عايَنَ النَّارَ حَدَّقَ إليها وتأمَّلها ، فما أكْثَرَ ما تَشْغَلهُ عن السَّابلة[1] .

(قصة أبى ثعلب الأعرج)

وَمَرَّ أَبُو ثعلب[2] الأعرج ، على وادِى السِّباع ، فَعَرَضَ له سبع ، فقال لَهُ المُكَارِى : لو أمرتَ غِلْمانَكَ فأَوْقدُوا ناراً ، وضَرَبوا على الطِّساس[3] ! ففعلوا فأحْجَمَ عنها[4] . فأنشدنى لَهُ ابن أبى كريمة ، فى حُبِّه بعد ذلك للنّار ، ومَدْحِهِ لها وللصَّوتِ الشَّدِيد ، بَعْدَ بُغْضِه لَهُمَا[5] وهو قوله :

فأحْبَبْتهاَ[6] حُبًّا هَوِيتُ خِلاَطَهَا ... ولو فى صَمِيمِ النّارِ نَارِ جَهَنَّمِ

وصِرْتُ أَلَذُّ الصَّوتَ لو كان صاعِقاً ... وَأَطْرَبُ من صَوْتِ الحِمار المرقَّمِ[7]

وروى أنّ أعرابيًّا اشتدَّ عليه البَرْدُ ، فأصابَ ناراً ، فَدَنَا منها ليصطلىَ بها[8] ، وهو يقول : اللهم لا تَحْرِمْنيها فى الدُّنيا ولا فى الآخرة ! .

---

(١) سبق مثل هذا الكلام فى ص ٣٤٩ . وقد سمى الثعالبى هذه النار : « نار التهويل » . ثمار القلوب ٤٦٠ .

(٢) فى الأصل : « ابن ثعلب » وفى ثمار القلوب ٤٦١ : « أبو تغلب » . وجاء فى الحيوان (٦ : ١٦٦) : « وكان من العرجان الشعراء أبو ثعلب ، وهو كليب بن الغول » وانظر ما كتب فى هامش أصل معجم المرزبانى ٣٥٤ — ٣٥٥ وكذا ماجاء فى نهاية مادة (اى ر) من لسان العرب .

(٣) الطساس : جمع طس ، بالفتح ، وهو الطست .

(٤) فى ثمار القلوب : « وأحجم عنهم الأسد » .

(٥) فى الأصل : « لها » ، والصواب ما أثبت موافقاً مافى ثمار القلوب .

(٦) ط : « فأجبتها » ، صوابه فى س ، ه وثمار القلوب .

(٧) ينعت الحمار الوحشى بالمرقم ، لأنه مخطط القوائم .

(٨) س : « فدنا ليصطلى منها » .

(حيرة الضفدع عند رؤية النار)

ومما إذا أبصر النّار اعترَتْهُ الحيرةُ ، الضِّفدعُ ؛ فإنّهُ لا يزالُ يَنِقُّ فإذا أبْصرَ النّار سَكتَ .

(نار الحباحب)

ومن النِّيران « نار الحباحِب[1] » وهى أيْضاً « نارُ أبى الحباحب » .
وقال أبو حيّة :

تعسر فى تغريبه فإذا انحنى عليهنّ فى قفٍّ أرنّتْ جنادلُه[2]

١٥٥ وأوْقدَ نيرانَ الحباحب والتقى غَضًى تَراقى بينهنّ ولاوِلُهْ[3]

وقال القطامىُّ فى نار أبى الحباحِب :

تُخَوِّد تخْويدَ النّعامةِ بَعْدَ ما تَصوَّبَتِ الجوْزاءُ قَصْدَ المَغارِبِ[4]

(١) الحباحب ، بضم الحاء الأولى ، سيفسرها الجاحظ .

(٢) فى الشطر الأول تحريف . والقف ، بالضم : الأرض ذات حجارة عظام . أرنت : صوتت . ط ، هـ : « أرثت » س : « أرتنا » محرفتان . والجنادل : الحجارة الكبيرة . جعلها تصوت مما يضرب بعضها فى بعض .

(٣) الغضى : نبت شديد النار تبقّى ناره طويلا . وفى الأصل : « عصا » صوابه فى تنزيل الآيات ٩٣ . تتراقى : تتصاعد . والولاول : الأصوات ؛ جمع ولولة .

(٤) خود الهبر والظليم : أسرع واهتز فى مشيه . وفى الأصل ، وهو هنا ط ، هـ ؛ لأن البيت ساقط من س : « تجرد تجريد » وتصحيحه من الديوان ٥٣ وأمالى ابن الشجرى (٢ : ٦٠ حيدر أباد) . والجوزاء : نجم . تصوبت قصد المغارب : انحدرت ومالت إلى المغيب . يقول : تلك الناقة قد سارت ليلتها وهى بعد ذلك تواصل سيرها السريع بعد تصوب الجوزاء حين يعترى الكلال كل شىء ، فهى محتفظة أبداً بنشاطها . وإنما تتصوب الجوزاء وقت الغداة . ط : « تصوتت » صوابه فى هـ والمرجعين السابقين . وفى الأصل : « قصر » صوابه فى الديوان والأمالى .

ألا إنما نِيرَانُ قيْس إذا اشْتوت لطارقِ ليْل مثلُ نارِ الحباحِب[1]

ويصفون نارًا أخرى ، وهى قريبةٌ من نار أبى الحباحب . وكلُّ نار تراها العينُ لا حقيقةَ لها عند التماسها ، فهى نار أبى الحباحب . ولم أسمعْ فى أبى حباحب نفسِهِ شيئاً[2] .

(نار البرق)

وقال الأعرابىُّ ، وذَكَرَ البرْق :

نَـارٌ تعُود به للعُودِ جِدَّتُه والنَّـارُ تُشْعِلُ نِيرَاناً فتحتَرِقُ

---

(١) فى الأصل : « ألا إنها نيران قيس إذا استوت » وتصحيح الكلمة الثانية من الديوان وأمالى ابن الشجرى وثمار القلوب ٤٦٣ المخصص (١١ : ٢٨) واللسان (حبحب) والخزانة (٣ : ١٩٠ بولاق) وأمثال الميدانى (٢ : ٨٦) . وأما « استوت » فهى محرفة عما أثبت . واشتوت : صنعت شواء . ومثل هذه الرواية رواية الخزانة (٣ : ٢١٣ بولاق) : « إذا اشتووا » . وقيس تؤنث باعتبار القبيلة . والرواية الجيدة : « إذا شتوا » أى أقاموا شتاء . وهى رواية جميع المصادر السالفة وكذلك العقد (٤ : ٢٢٤) وفيه : « ألا إنها » تحريف . وهو قد هجا قيس عيلان ؛ لأنه مر فى بعض أسفاره بامرأة من محارب بن قيس فاستقراها — أى طلب منها القرى — فقالت : أنا من قوم يشتوون القد من الجوع . قال : ومن هؤلاء ويحك ؟ قالت : محارب . ولم تقره ! فبات عندها بأشر ليلة ، وصنع فيها القصيدة . أمالى ابن الشجرى (٢ : ٥٨) والخزانة (٣ : ١٨٩ — ١٩٠ بولاق) . وقد نسب البيت فى اللسان (حبحب) إلى النابغة . وهو خطأ .

(٢) هكذا تكون أمانة العلم . ومثله ماقال أبو حنيفة : « لا يعرف حباحب ولا أبو حباحب . ولم نسمع فيه عن العرب شيئا » . لكن جاء فى المخصص (١١ : ٢٨) نقلا عن صاحب العين : « كان أبو حباحب رجلا من محارب خصفة . وكان بخيلا لا يوقد ناره إلا بحطب شخت » . ومثله فى اللسان . وزاد : « لئلا ترى » . وفى اللسان : « وقيل اسمه حباحب فضرب بناره المثل ؛ لأنه كان لايوقد إلا ناراً ضعيفة مخافة الضيفان » . وفى المخصص : « وزعم قوم أن —

يقول : كلُّ نار فى الدُّنيا فهى تحرِق العِيدانَ وتُبْطلها وتُهلكهَا ، إلاَّ « نار البرق » ؛ فإنَّها تجىء بالغيث . وإذا غِيثَتِ[1] الأرضُ ومُطِرَتْ أحدَثَ الله للعِيدَانِ جِدَّةً ، وللأَشْجارِ أغصاناً لم تكن .

(نار اليراعة)

ونَارٌ أخرى ، وهى شبيهةٌ بنار البرق ، ونارِ أبى حباحب ، وهى « نار اليراعة » . واليراعة : طائر صغير ، إنْ طار بالنَّهار كان كبعض الطَّير ، وإن طار باللَّيل كان كأنَّهُ شهابٌ قُذِفَ[2] أو مصباحٌ يطير .

(الدفء برؤية النار)

وفى الأحاديثِ السَّائرة المذكورة فى الكتب ، أنَّ رَجُلاً أُلقِى فى ماءٍ راكِدٍ[3] فى شتاءٍ بارد ، فى ليلةٍ من الحنادِس[4] ، لا قمر ولا ساهور[5] — وإنما ذكر ذلك ؛ لأنَّ ليلة العَشْر[6] والبدر والطوق الذى يستدير حول القمر ، يكون كاسِراً[7] من بَرْد تلك الليلة — قالوا : فما زال الرجُل حيًّا

= أبا حباحب وحباحبا اليراع ، وهو فراشة إذا طارت بالليل لم يشك من لم يعرفها أنها شررة طارت من نار » .

(١) غيثت الأرض : أصابها الغيث . والغيث ، بالفتح : المطر . ط ، هـ : « غثيت » صوابه فى س .

(٢) أى الكوكب الذى ينقض على إثر الشيطان بالليل ويقذف به . وفى الكتاب : « إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب » .

(٣) راكد : ساكن لا يتحرك . س : « وبارد » .

(٤) الحنادس : ثلاث ليال من الشهر مظلمات .

(٥) الساهور : التسع البواقى من الشهر .

(٦) أى العشر الليالى . س ، هـ : « العسر » ، صوابهما فى ط .

(٧) كاسراً : أى مضعفاً ومخففاً . ط ، هـ : « كاسداً » بالدال ، صوابه فى س .

وهو فى ذلك تَارِزٌ[1] جامِد ، ما دام ينظر إلى نَارٍ ، كانت تِجُاهَ وجهِه فى القرية ، أو مصباحٍ . فلما طَفِئَتْ انْتفَضَ[2] .

(نار الخلعاء والهُرَّاب)

وقال الشّاعر :

ونارٍ قُبيلَ الصُّبحِ بادَرْتُ قدْحَهَا   حَيَا النَّارِ قد أَوْقَدْتُهاَ للمُسَافِرِ[3]

يقول : بادرت اللّيل ، لأنَّ النَّارَ لا تُرى بالنهار ، كأنه كان خليعاً أو مطلوبا[4] :

وقال آخر :

ودَوِّيّةٍ لا يثقب النَّارَ سَفْرُهَا   وَتضْحِى بها الوَجْناءُ وهى لَهِيدُ[5]

كأَنّهم كانوا هُرّاباً ، فمنْ[6] حثهم السّيرَ لا يُوقِدون لبُرْمَةٍ ولا مَلَّةٍ ؛

(١) التارز : الصلب الشديد . وفى الأصل : « بارد » ، وذا يفسد المعنى ، ووجهه ما أثبت .

(٢) طفئت النار ، كسمع ، طفوءا : ذهب لهبها ، كانطفأت . وانتفض : ارتعد ، أى من البرد . وفى الأصل : « انطفأ » وهو تحريف .

(٣) أنشد هذا البيت صاحب اللسان فى (١٨ : ٢٣٣) وقال فى تفسيره : « قوله : حيا النار : أراد حياة النار ، فحذف الهاء » . ط ، هـ : « خبا » ، صوابه من س واللسان .

(٤) الخليع : الرجل قد خلعه أهله ، فإن جنى لم يطالبوا بجنايته . والمطلوب : من يطلبه السلطان ليأخذه بجنايته .

(٥) أثقب النار : أشعلها . س : « تثقب » . والسفر : المسافرون . والوجناء : الناقة الشديدة . واللهيد : المجهدة المتعبة . فى الأصل : « نهيد » بالنون ، ولا وجه له ، والصواب ما أثبت . واللهيد ، وصف يستوى فيه المذكر والمؤنث ؛ لأنه فعيل بمعنى مفعول . وانظر المزهر (٢ : ١٣٥) فيما جاء من صفات المؤنث من غير هاء .

(٦) ط : « من » وأثبت ما فى س ، هـ .

لأنّ ذلك لا يكون إلاّ بالنزول والتمكث ، وإنما يجتازون بالبَسِيسَةِ[١] ، أو بأدنى عُلقة[٢] . وقال بعضُ اللُّصوص[٣] :

ملساً بذودِ الحَدَسِيِّ مَلْسا[٤]   نبَّهتُ عنهن غلاماً غُسًّا[٥]

لمّا تَغَشَّى فَرْوَةً وَحِلْسَا[٦]   مِنْ غُدْوَةٍ حتّى كأنّ الشَّمسَا[٧]

١٥٦ بالأُفُقِ الغربيِّ تُكْسَى وَرْسَا   لاتخبزا خَبْزًا وَبُسَّا بَسًّا[٩]

---

(١) البسيسة : بالفتح ، سيفسرها الجاحظ . يقال بس البسيسة : صنعها . ط ، س « بالبسهسة » . هـ : « بالبيسة » صوابهما ما أثبت . وانظر اللسان (بسس) .

(٢) العلقة ، بالضم : كل شيء يتبلغ به .

(٣) هو الهفوان العقيل ، أحد بني المنتفق ، وأحد لصوص العرب .

(٤) ملس بالإبل ملسا : ساقها في خفية . والذود ، بالفتح : جماعة الإبل . والحدسى يعني الرجل الحدسى الذي سرقوا إبله . والحدسى ، بالتحريك : نسبة إلى بني حدس ، حي من اليمن . والبيت محرف في الأصل . ط ، هـ : « ملسا برود الحي منى » س : « برود الحي مى » صوابهما في اللسان (حدس) ومعجم المرزباني ٤٩٢ والمخصص (٧ : ١٢٧) . وفي اللسان (ملس) : « بذود الحلسى » محرف .

(٥) عنهن : أي عن الإبل . والغس ، بضم الغين : الضعيف اللئيم . وفي الأصل : « قاسا » صوابه من نوادر أبي زيد ١٢ ، ٧٠ . وفي معجم المرزباني : « جبسا » . والجبس ، بالكسر : النؤوم الكسلان .

(٦) تغشى الشيء : تغطى به . والحلس ، بالكسر والتحريك ، مثل شبه وشبه ومثل ومثل . وهو مايبسط تحت حر المتاع من مسح ونحوه ، أو الكساء الذي على ظهر البعير تحت القتب .

(٧) مثله في المخصص (٧ : ١٢٧) . وفي معجم المرزباني : « من بكرة » .

(٨) في الأصل : « بالأفق الشرق » صوابه من المخصص (٧ : ١٢٧) . وفي معجم المرزباني وتهذيب الألفاظ ٦٣٦ : « بالأفق الغورى » محرف . وجعل الشمس كأنها مكسوة بالورس . والورس ، بالفتح : نبت له نور لونه يشبه الزعفران . ط : « تكاسا » س ، هـ : « تكسا » صوابه في معجم المرزباني ونوادر أبي زيد ١١ . ورواية المخصص ونوادر أبي زيد : « تطلى ورسا » . ومثله في المعنى قول أسقف نجران في الشمس — وقد سبق في (٣ : ٨٨) — :

وطلوعها بيضاء صافية   وغروبها صفراء كالورس

(٩) رواه المرزباني : « لا توقدا نارا » . وفسره بقوله : « لا توقدا نارا لتختبزا فتبطئا =

ولا تُطيلا بمُناخٍ حَبْسَا وَجَنِّباهَا أَسَداً وَعَبْسَا[1]

قال : والبَسيسة[2] . أن يبلّ الدَّقيق بشيء حتى يجتمع ويؤكل .

(نار الوسم)

ونار أخرى ، وهى « نار الوَسْمِ[3] والمِيسَمِ » يقال للرجل : ما نار إبلِك ؟ فيقول عِلاط[4] ، أو خِبَاط[5] أو حَلْقة[6] أوكذا وكذا .

(رجز لبعض اللصوص)

وقرّب بعضُ اللّصوص إبلاً من الهُواشة[7] ، وقد أغار عليها من كلّ

= ويعرف موضعكما — فى الأصل : موضعهما — واقتصرا على الإبساس وهو الحلب » وروى فى فقه اللغة ٥١ طبعة الحلبى : « لا تَخْبِزَا خَبْزًا ونُسَّا نَسًّا » وهى إحدى روايتى ابن سيده فى المخصص (٧ : ١١٥) ورواية اللسان (مادة خبز) . وفسر الخبز بأنه السوق الشديد . وأما النس ، بالنون ، فهو السوق الرفيق . ويروى : « لاتخبزا خبزا وبسا بسا » بالباء وبالمعنى الأخير . وقيل إنها خطأ ، كذ جاء فى المخصص .

(١) أسد وعبس : قبيلتان .

(٢) البسيسة ، بالفتح . والمراد عمل البسيسة . وفى الأصل : « البسبسة » تحريف .

(٣) الوسم : التعليم على الإبل بالميسم ، وهو المكواة .

(٤) العلاط ، بالكسر : سمة فى عرض عنق البعير . والسطاع بالطول . وربما كان العلاط خطا ، وربما كن خطين أو خطوطا فى كل جانب .

(٥) الخباط ، بكسر الخاء المعجمة : سمة تكون فى الفخذ طويلة عرضاً . وهى لبنى سعد . وقيل هى التى تكون على الوجه . حكاه سيبويه . ط ، هـ : « وخباط » صوابه « أو » . س : « أو حباط » و « حباط » محرفة عما أثبت من ط ، هـ .

(٦) الحلقة ، بالفتح : سمة على شكل الحلقة ، فى الفخذ أو أصل الأذن . ط ، س « جلفة » صوابه فى هـ . وانظر بابا مفصلا فى سمات الإبل ، فى المخصص (٧ : ١٥٤ — ١٥٦) .

(٧) هاشت الإبل هوشا : نفرت فى الغارة فتبددت وتفرقت . وإبل هواشة : أخذت =

جانب ، وَجَمَعَها من قبائلَ شتّى ، فقرَّبها إلى بعض الأسواق ، فقال له بعض التّجّار : ما نارك ؟ وإنما يسأله عن ذلك ؛ لأنهم يعرفون بميسم كلِّ قومٍ كَرَمَ إبلهمْ من لؤمها . فقال :

تَسْألُنِى البَاعَةُ ما نِجارُها   إذْ زعزعُوها فَسَمَتْ أبصارُها[1]

فكلُّ دارٍ لأناسٍ دَارُهـا   وكلُّ نَارِ العَالَمِينَ نارها

وقال الكردوس المرادى[2] :

تسائلنى عن نارها ونِتَاجها   وذلك عِلْمٌ لا يُحيط به الطِّمْشُ[3]

والطِّمشُ[4] : الخَلْقُ . والوَرَى[5] : النّاس خاصّة .

تمّ المصحفُ[6] الرابعُ من كتاب الحيوان ، ويليه إن شاء الله تعالى المصحَفُ الخامسُ . وأوله نبدأ فى [هذا] الجزء بتمام القَوْل فى نيران العجَم والعرب ، ونيران الدِّيانة ، ومبلغ أقدارها .

= من هنا وهنا . لسان العرب . وفيه : « والهواشات ، بالضم : الجماعات من الناس ومن الإبل ، إذا جمعوها فاختلط بعضها ببعض . وفى الأصل : « النواسة » محرف .

(١) زعزعوها : ساقوها سوقا شديدا . وفى الخزانة (٣ : ٢١٣ بولاق) : « إذ زعزعتها » أى زعزعتها الباعة . وانظر رواية الرجز فى الخزانة ، وأمثال الميدانى (٢ : ٧٤) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٠) .

(٢) س : « المرارى » .

(٣) الطمش ، بالفتح ، سيفسر . وفى ط : « الطمس » بالسين ، صوابه فى س ، هـ .

(٤) ط : « الطمس » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) ط ، هـ : « الودى » ، صوابه بالراء كما فى س .

(٦) ط فقط : « تم هذا المصحف » .

تذييل واستدراك

صفحة سطر

٢٧ ١ كلمة « الشبُّور » مأخوذة من العِبرية ، ولعلَّ أوّل من انتبه إلى أصل هذه الكلمة هو ابنُ الأثير فى مادة (شبر) ونقل ذلك عنه صاحب اللِّسان . وهى فى العبريّة (שופר) : شُوفَار . ومعناه عندهم : البُوق الذى يُستعمل فى الأعيـاد الكبرى كرأس السّنة . والعيد الأكبر (عيد الصِّيام) .

٢٧ ٢ « رأس الجالوت » المراد به : رئيس الجالوت . وجاء فى مفاتيح العلوم ص ٢٤ للخوارزمىّ المتوفى سنة ٣٨٧ : « والجالوت هم الجالية ، أعنى الذين جَلَوا عن أوطانهم ببيت المقدس . ويكون رأسُ الجالوت من ولد داودَ عليه السلام . وتزعم عامَّتهم أنَّه لا يَرْأس حتَّى يكونَ طويلَ الباع تبلغ أناملُ يديه ركبتيه إذا مدَّهما » . قلت : وهو بالعبريَّة : (ראש גלויות) : رُوش جالُويُوت .

٨٩ ٩ فى الأصل « بنى النواحة » والصواب : « ابن النوَّاحة » كما جاء فى ص ٣٧٨ س ٩ . وقد ذكره ابن حجر فى الإصابة ٦٦٤٣ قال : « عبد الله بن النوّاحة ، ذكره بعضُ من ألف فى الصَّحابة ، فقرأتُ بخطه بما هذا لفظه : كان قد أسلم ثم ارتد فاستتابه عبدُ الله بنُ مسعودٍ فلم يتُبْ ، فقتله عَلَى كُفره ورِدَّتِه . والنّواحة : الكثيرة النّوح » .

صفحة سطر

٩٣ ٣ ش مافى ط إذا صح عن الجاحظ ، كان حكاية منه لقول العوام ، أو جريا على مذهب ضعيف فى النحو . وفى كتاب سيبويه (٢ : ٢٩٦ س ١١ – ١٢) « وحدثنى الخليل أن ناسا يقولون : ضربتيه . فيلحقون الياء » .

٩ « ريطة » هى زوج المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ، وهى بنت سعيد – بالتصغير – ابن سهم . وولدت من المغيرة عشرةَ رجال . الإصابة ٨٣٢٩ . وفى الإصابة : « لم يَنْجُ من بنى المغيرة فى طاعون عمواس إلاّ المهاجر ، وعبد الله بن أبى عمرو بن حفص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . وفى ذلك يقول المهاجر بن عبد الله » . وأنشد الأبيات ، ماعدا البيت الأوّل . وانظر الرِّواية عنده .

١٥٥ ١١ كتب إلىّ الأخ الشيخ على الطالبانى الكردى بتاريخ ١٩٤٧/١٢/٢٢ كتابا جاء فيه :

« أتشرف بأن أقول لك : إننى عثرت أثناء مطالعاتى لشروحك القيمة على كتاب الحيوان لأبى عثمان الجاحظ فى الجزء الرابع فى صفحة مئة وخمس وخمسين فى تعليقتك المرقة بثلاثة على قولك « الأجدهانى » إنك لم تهتد إلى ضبطها ، وقلت : هكذا بالأصل . فإذا تنازلت فإنى أقول لكم إتماما للفائدة : إن هذه الكلمة تكتب بالفارسية : أرْدها (بفتح الألف وتسكين الراء وكسر الدال) وتنطق الراء الأولى – التى هى فى الأصل زاى فارسية – حسب

صفحة سطر

لغة المصريين ، بجيم شديدة التعطيش . وعلى هذا فيكون ضبطها في الأصل الفارسي هكذا : « أژْدِهاءْ » بهمزة بدل النون والياء ، بينما إذا استبدلت الهمزة براء « أژْدهار » فيكون معناها آفة مكلوبة . ومعنى « أژْدهاء » أفعى كبيرة . وهي متعارفة عند خواص الفرس : حيوان خرافي لا وجود له . وإني أرجو أن تتقبل مني هذه الإشارة التي يعد قبولك إياها مثلا كريما . . . » .

١٧٤ ٤ روى في اللسان (عرر ٢٣٦) : « عرارة هبوة » وفسر العرارة بأنها الجرادة أيضاً .

١٨٤ ٣ « وسواء علينا جعلوه كلاما وحديثاً منثورا أو جعلوه رجزا وقصيـــدا موزوناً » . وقد يظن بعضُ الناس أنّ في العبارة تحريفا . والحق أنها صواب ، وإن كانت مخالفةً للمذهب المشهور ، وهو أن يكون في الجملة همزة التسوية وأن يكون العطف بكلمة « أم » لا « أو » . فتقول : سواء أكان كذا أم كذا . وجاء في المغني (١ : ٤٢) ، « وقد أولع الفقهاء وغيرهُم بأن يقولوا ، سواء كان كذا أوكذا . وهو نظير قولهم يجب أقل الأمرين من كذا أوكذا . والصواب العطف في الأول بأم وفي الثاني بالواو . وفي الصحاح تقول سواءٌ عليَّ قمت أو قعدت . اه . ولم يذكر غير ذلك . وهو سهو . وفي كامل الهذلي أن ابن محيصن قرأ من طريق الزعفراني : سواءٌ عليهم أنْذَرْتَهُمْ

صفحة سطر

أَوْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ . وهذا من الشذوذ بمكان » . قلت . شذوذ هذا المذهب لا يمنع صحته . والجاحظ إمام عارف بالكلام متمرس به وكلامه حجة . وقد استعمل هذا المذهب هنا . وجرى عليه مرّةً أخرى فى ٣٩٩ س ٢-٣ وج ٥ ص ١٣ س ١٧ .

٢٠٣ ٨ « المحلّإِ باقِرُهْ » أخذ هذا المعنى الحطيئة فى قوله :

فهلْ كنتُ إلاَّ نائياً إذ دعوتَنى
مُنادَى عبيــدانَ المحلَّإِ باقِرُه

الديوان ص ٨ . ولعل هذا الاشتباه هو الذى دعا إلى تحريف رواية بيت النابغة .

٢١٨ ١٠ ش « عقرب » . انظر الكلام بتفصيل ، على منع صرف ما سمى من الذكور بأسماء الإناث ، فى همع الهوامع (١ : ٣٤) . لكن « عقرب » فى أصله مذكر ، وقد يؤنث . تقول : هذا عقرب ، وهذه عقرب . فإذا روعى أصل التذكير صرف ، وإذا روعى أصل التأنيث لم يصرف .

٢٢١ ٣ « ويقتلها الآخر » . انظر لتوضيح هذا الكلام وتعيين المراد منه ص ١١٠ من الجزء الخامس ، وكذا نهاية الأرب (١٠ : ١٤٨) .

٢٢٢ ١٥ ولادة الدّسّاس ، ثبت علميًّا أن الدّساس وأنواعا أخرى من الحيات ، يكون تناسلها بطريق الولادة ، لا البيض . انظر

صفحة سطر

كتاب علم الحيوان المقرر للمدارس الثانوية المصرية ص ١١٤ طبع ١٩٣٤ .

٢٤٣ ٨ « دون صفاتها » أى دون إرادة صفاتها وملاحظتها .

٢٧٠ ٧ نباح الحية ، جاء فى المخصص (٨ : ١١٥) « الأفاعى تكشُّ خلا الأسوَد ، فإنه يصفِر وينبِح ويضبَح » . ونبح ، يقال من بابى منع وضرب .

٣٢٣ ١١ ش « وكنت كالهيق غدا يبتغى . . . » الخ . تعرض هذا البيت للتصحيف ، فأنشده بعضهم : « فرحت كالعير غدا يبتغى » وقد أثبت هـذا التصحيف صاحب المعاهد والتنصيص ، فى ترجمته لبشار (١ : ١٠٢) . بل بالغ فى تأكيد هذا التصحيف ، فعقب عليه بقوله : « قوله : فرحت كالعير ، البيت ، مثل قول بعضهم :

ذهب الحمار ليستفيد لنفسه قرنا فآب وماله أذنان » اهـ

وليت شعرى ، إن كان الحمار فاقد الأذنين ، فأى حيوان سواه ميزه الله بطول الأذنين ؟ !

ومن العجيب أن يتغلغل هذا التحريف مع ظهور خطئه ، وجلاء بطلانه ، بين بعض الشعراء ، فقال آخر :

كمثل حمار كان للقرن طالبا فآب بلا أذن وليس له قرن

فالظاهر أن « الهيق » تصحف عليهم بـ « العير » ثم ترجموا العـير بـ « الحمار » فذاع الخطأ . ومن الشعر الذى يستشهد به

صفحة سطر

على أن طالب القرن النعامة ، ما أنشده الميدانى — عند قولهم :
«كطالب القرن جدعت أذنه » — :

مثل النعامة كانت وهى سائمة
أذْناء حتى زَهَاها الحــينُ والجُنُنُ
جاءتْ لتشرى قرناً أو تعوِّضه
والدَّهرُ فيه رَباحُ البيع والغَبَنُ
فقيل أُذْناكِ ظلمٌ ثمَّت اصطلمت
إلى الصِّماخ ، فلا قرنٌ ولا أُذُن

والجُنُن ، بضمتين : الجنون ، كما فى اللسان (جنن ٢٤٩)
عند إنشاد البيت .

٣٥٣ ٨ ش «جعلها كالقسى فى نحولها » . ومما يستشهد به على تشبيه
الإبل المهزولة بالقسى ، قول البحترى — (انظر معاهد التنصيص
١ : ٢١٦) — :

كالقِسِيِّ المعطَّفاتِ بل الأسْـ ـهُـمِ مَبْرِيَّةً بل الأوتارِ

وقول الشَّريف :

خوص كأمثالِ القسىِّ نواحلاً وَإذا سَمَا خطبٌ فهنَّ سِهامُ

٣٨٦ ٩ ش البيت من قصيدة للمتنبى يمدح بها ابن العميد ويودعه .
ومطلعها :

نسيت وما أنسى عتابا على الصـد
ولا خفرا زادت به حمرة الخـد

صفحة سطر

ورواية البيت بتمامه عند العكبرى (١ : ٢٧٧) :

وتلقى تواصيها المنايا مشيحة ورود قطا صم تشايحن فى ورد

وكلمة « تشايحن » تصحح ما نقلت عن الوساطة . ومعناها أسرعن . والبيت فى صفة خيل .

٤٠٨ ١ ش « ما زالت تحت عين خرساء » تفسير الجاحظ للعبارة يشوبه بعض الغموض والتحريف . وفى اللسان (خرس) : « أبو حنيفة : عين خرساء وسحابة خرساء : لا رعد فيها ولا برق ولا يسمع لها صوت رعد . قال : وأكثر ما يكون ذلك فى الشتاء ، لأن شدّة البرْد تخرس البَرَدَ وتطفىء البرق » .

٤١٣ ١ خُلُق ، أى طبيعة . ويصح أيضاً أن تقرأ : خَلْقَ . بمعنى خِلْقَة .

٤٢٧ ٢ « أربعين عاما » . كذا جاء بالأصل . وهو خطأ ، صوابه « أربعين يوما » . وقد جاء فى الأصحاح التاسع من سفر التثنية : « حينَ صعدتُ إلى الجبل لكى آخُذَ لوحَى الحجَر ، لوحَى العهد الذى قطعه الربُّ معكُم ، أقمت فى الجبلِ أربعينَ نهاراً ، وأربعين ليلةً ، لا آكل خُبْزاً ولا أشْرَبُ ماء » .

٤٣٢ ١ الفصح هذه الكلمة معربة عن العبريّة . وهى فى أصلها : (פסח) وتنطق : پسَحْ . ومعناها اللغوى : القفز ، أو العبور . والعلّة فى تسمية هذا العيد عند اليهود بهذه التسمية ، ماجاء فى سفر الخروج (١٢ : ٢٧) : « إنكم تقولون : هى ذبيحة فصح

صفحة سطر

للرب الذى عَبَرَ عن بيوت بنى إسرائيل فى مصر ، لما ضرب المصريِّين وخلَّص بيوتنا » . ومعنى عبر عن بيوتهم ، أن الله عاقب المصريين وخدهم بالضَّرب ، متجاوزاً بيوت بنى إسرائيل لم يمسها بسوء . والضَّربة التى تشير إليها التوراة ، هى أن الله قد أمات كل بكر من أبكار المصريين ، وكلّ بِكر من حَيوانهم كذلك . انظر (١٢ : ٢٩ – ٣٠) . وكلمة عبر هى فى النص العبرى للتوراة : (פסח) بِاسَاخْ . وهذا هو الفعل العبرى الذى أخذ منه المصدر المتقدم . فهذا أصل العيد وأصل تسميته عند العبرانيين . وعنهم أخذ المسيحيون .

هذا ولم تشر المعاجم العربية إلى أصل الكلمة ، حسبوها عربية لملاءمة نسجها للنسج العربى ، وهى ليست من ذلك .

٤٣٥ ٦ نمرود بضم النون والراء وآخره دال مهملة ، كما فى القاموس والتنبيه والإشراف ٣٤، ٨٢ . ويقال : نمروذ بذال معجمة فى آخره كما فى كامل ابن الأثير (١ : ٥٣–٥٧) ورسائل الجاحظ ١٠٠ ساسى . وعلى هذه اللغة جاء قول ابن رشيق :

يا رَبِّ لا أقوى على دفع الأذى
وبك استعنْتُ على الزّمان الموذى
مَالى بَعثتَ إلىّ ألفَ بعوضةٍ وبعثْتَ واحدةً على نمروذِ

انظر شرح القاموس .

صفحة	سطر	
٤٥٦	٢	« يا أَحْمَدَ المُرْتَجَى » ضبط هذا المنادى بالفتح جائز فى مذهب الكوفيين فقط ، وأما البصريون فيوجبون ضمه ، إذ أن مذهب البصريين إجازة الضم والفتح فى المنادى العلم الموصوف بابن متصل بالعلم مضاف إلى علم آخر . ويوافقهم الكوفيون فى هذا ولكنهم يفارقونهم فى إجازة الضم والفتح أيضاً فى المنادى العلم الموصوف بأى صفة أخرى كانت غير كلمة ابن . انظر همع الهوامع (١ : ١٧٦) .
٤٨٧	٧	البيت خامس أبيات خمسة رواها ابن سيده فى المخصص (٩ : ١٠٢) وانظر الرواية فيه .

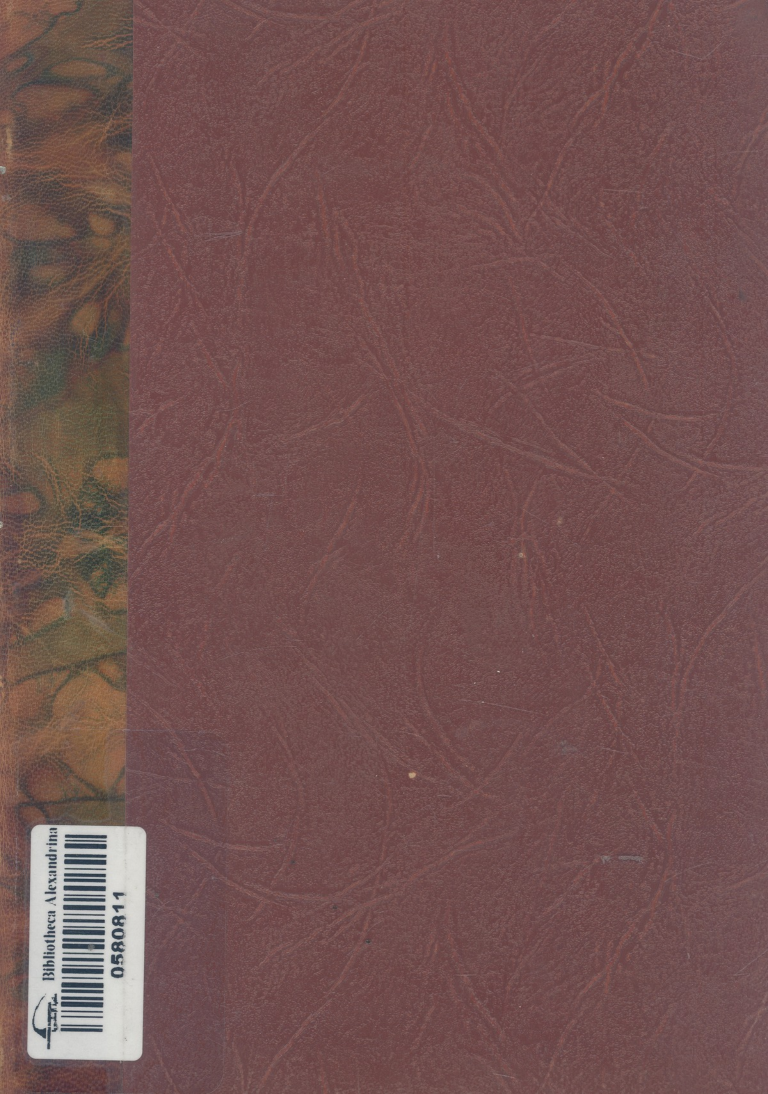
مصر الجديدة فى { أول صفر سنة ١٣٨٦ / ٢٢ من مايو سنة ١٩٦٦ }

كتبه

عبد السلام محمد هارون

أبواب الكتاب

صفحة


Bibliotheca Alexandrina
0580811